نفحة الريحانة

ورشحة طلاء الحانة

لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي
١٠٦١ - ١١١١ هـ

تحقيق
عبد الفتاح محمد الحلو

الجزء الثاني

طبع بدار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

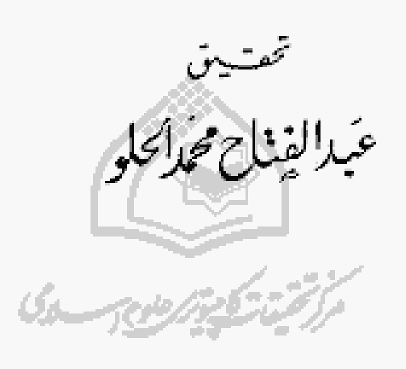
نفحة الريحانة

ورشحة طلاء الحانة

لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي

١٠٦١ — ١١١١ هـ

تحقيق



عبد الفتاح محمد الحلو

الجزء الثاني

طبع بدار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

الطبعة الأولى
(١٩٦٨ م ـ ١٣٨٧ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

بقيـــة

الباب الأول

في محاسن شعراء دمشق ونواحيها


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فصل

ذكرتُ فيه مشاهيرَ البيوت ، التي هي في أُفق دمشق كالثَّوابت واضحة الثُّبوت

قسم ١

بيت حمزة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[بيت حمزة]

زُبْدة آل البيت، ونُقاوة ذلك المنصر أبَرّاً من اللُّوّ واللَّيت.

آل رسول الله ونعم الآل ، والموارِد الصادقة إذا كذب الآل .

وسُراة لُؤيّ بن غالب ، ومُلتقى النور بين الزّهراء وعليّ بن أبي طالب .

وهو بيت شُيِّدت دعائمه ، وسمَتْ فيه [1] سُعود الفلك ونعائمه [2] .

عصابةٌ فضلٍ أخصب الدهرُ منهمُ ... فأصبح مُخضرّاً وقد كان مُغبرّا

تــكاد يَدِي تَندَى إذا مالمسْتُه ... وتُنبِتُ فى أطْرافها ورقاً خُضرا [3]

لهم المجد السابق ، وبهم يَحيى الحسَب الباسِق .

ماولَدوا غيرَ نَجيب ، ولا دعَوا إلا كان الدهرُ أوّلَ مُجيب .

وقد رأيتُ أبياتاً ذكرها صاحبُ « دمية القصر » ، لم أرَ من تفرّد عليه إلا هُم بأداة الحصر .

وهى [4] :

سقى آلَ حمزةَ صَوْبُ الحيــا ... فهم فى حساب العُلى الحاصِلُ [5]

---

(١) فى ا : « به » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) النعائم : من منازل القمر . القاموس (ن ع م) .

(٣) أخذ هذا من قول عنون بن عامر :

تــكاد يدى تندَى إذا ما لمسْتُها ... وينبُت فى أطرافها الورقُ الخضْرُ

تزيين الأسواق ٦٧ ، وانظر ريحانة الألبا ٢١٧/٢ .

(٤) دميــة القصر (الطباخ) ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وهى أبيات لأبى بكر اليوسفى ، فى أبى نصر أحمد بن ينقم ، وآل ينقم .

(٥) فى دمية القصر :

سقى آلَ ينْقَم صَوْبُ الحيا ... لهم فى الحسابِ العلى حاصلُ

هم الزائدون هم الفاضلون   وغيرُهمُ الزائد الفاضلُ [١]

لساني عن حالهم سائلٌ   ودمعي على إثْرهم سائلُ [٢]

إذا كنتُ في ظِلّهم قائلاً   فإنّي بفضلهمُ قائلُ [٣]



---

(١) في ا : « ثم الزائدون » . وهي رواية حسنة ، والمثبت في : ب ، ج ، ودمية القصر .

(٢) في ا : « لساني على حالهم » ، والمثبت في : ب ، ج ، ودمية القصر . (٣) في ا : « في إثرهم قائلا » . والمثبت في : ب ، ج ، ودمية القصر .

فمنهم :

٦٢

السيد محمد بن السيد كمال الدين *

الشريف الرَّضِيّ بنقابته وكفايته ، والسامى عليه (١) برعاية التفنُّن وحفايته .

فهو البحر الذى لايُدرَك شاطئُه ، والرئيسُ الذى تُقبَّل بِشفاه الأجفان مواطئُه .

نصَب شِباكَ الأفكار فاقتنَص مابه كمالُ نوع الإنسان ، ووفَّر الله له دواعيَ الحظ

لجمع بين عجائب الحُسْن وغرائب الإحسان .

فاسْتدارت منطقةُ المجد حول مركز سيادته ، واستنارت كواكبُ المعالى الزاهراتُ بأضْواء سعادته .

فكانت له الفِرْدوس حَضْرة ، ونعيم خلدها يرفُّ عليه نَضْرة .

وأناتُه (٢) من رَجاح رَضْوَى (٣) [illegible] ، وقسماتُه من البدر أضوا .

(*) السيد محمد بن كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسينى ، الحنفى .

ولد بدمشق ، سنة أربع وعشرين وألف .

وربى فى حجر والده ، فقرأ القرآن وجوده على أبى بكر السليمى الحنفى ، ثم على عبد الباقى الحنبلى .

وأحضره والده على علماء عصره ، فأخذ على عدد كبير من الشيوخ بدمشق ، والروم ، ومكة ، والمدينة ، ذكرهم المحبى فى الخلاصة ، وأجازوا له .

رحل إلى دار السلطنة صحبة والده سنة أربعين وألف ، وحج سنة خمسين وألف .

وولى النيابة الكبرى بدمشق ، وقسمة العسكر ، ودرس بالتقوية ، ولما توفى والده ولى مكانه النقابة ، وانعقدت عليه صدارة الشام .

وله مؤلفات ، منها : « حاشية على شرح الخلاصة لابن الناظم » ، و « التحريرات على الهداية » .

توفى سنة خمس وثمانين وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس .

خلاصة الأثر ٤/١٢٤ ــ ١٣١ . وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٩ ــ ١٦ .

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « وإنابة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) رضوى : جبل بالمدينة . معجم البلدان ٢/٧٩٠ .

وله فى عُلُوِّ الهمة مُحْكَم الذِّكْر ، وفى دَرْكِ المهمة الفِكْرةُ الثاقبة [١] والعَزْمة [٢] البِكر .

فهناك تتوقَّى الأيام حَذِرة ، وتأتيه الليالى مما لم تَجْنِ معتذِرة .

ولو أن هارُوتَ البيانِ يزورُه بلا فتنةٍ للناس علَّمه السحرَا

وفضلاء الوقت لاتفارق جَمْعَه ، والأمْداح من [٣] كل فمٍ تُقَرِّط سمعَه .

ومجلسُه إمَّا عِلْمٌ يُمْليه ، «أو بحث يُجيله» [٤] .

أو شعر يفترعه ، أو بِكْر معنًى يخترعه .

وأخِصَّاؤه من الذين يعرفون القولَ ويتهافتون عليه ، يوَدُّون أن مسامعَهم وأبْصارهم لم تُصرَف [٥] إلا إليه .

ربيعُ مَعالٍ بالفضائل مُخْصِبٌ لذلك بردُ الآلِ فى حَيِّه اخضَرَّا [٦]

وفى بَحْرِ أنْسابٍ إذا غاص غائصٌ فليس يرَاه مثلَ جوهرِه دُرَّا

* * *

وله من شريف الكلام ، ما تتشرَّف به الأقلام .

فمن ذلك قوله فى الغزل [٧] :

أمَلٌ ليس ينقضى فى تَمَنِّى نظرةٍ تُستعادُ عند التفاتِكْ [٨]

ليس أرْضاكَ مُسْرِفاً فى تجنِّيـ ـكَ بحالٍ والحسنُ بعضُ صِفاتِكْ [٩]

---

(١) فى ج : « الثاقبة » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) فى ا : « والعزم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : « فى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ج : « أو بحث يجيله » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) فى ا : « تسمع » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى ا : « ربيع معان » ، وفى ج : «ربيع مقال» ، والمثبت فى : ب ، وفيها : « فى حيه خضرا » . (٧) القصيدة فى خلاصة الأثر ٤ / ١٣١ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ١٣ ، ١٤ .

(٨) فى خلاصة الأثر : « نظرة تستفاد » ، وكذلك فى تراجم بعض أعيان دمشق .

(٩) فى خلاصة الأثر : « لست أرضاك » ، وكذلك فى تراجم بعض أعيان دمشق .

لكَ فى كلِّ مهجةٍ راضَها الْـ ... حُبُّ هوًى يُستطابُ فى مَرْضاتِكْ

بقَوامٍ يُمْلِى علىَّ إذا ما ... لَ حديثَ الرِّماحِ فى لَفَتاتِكْ [١]

ومُحيًّا يُرِى ضَئِيلَ نُحولِى ... لعذولى والصبحُ للسِّتْرِ هاتِكْ [٢]

وسَنًا مَبْسِمٍ إلى الرُّشْدِ يَهدِى ... هائمًا ضلَّ فى دُجَى مُرْسَلاتِكْ [٣]

يابديعًا تحكِى الرياضَ سَجايا ... هُ أقِلْ مُهجتِى شَبَا لَحَظاتِكْ

أنا مَن لا يُحِيلُه فَرْطُ إعْرا ... ضِكَ عن مَذْهبِ الوَلا وحَياتِكْ

وعلى مقلتى رقيبٌ من الوَجْـ ... ـدِ أرى فى لِقاه بهجةَ ذاتِكْ [٤]

حَسْبُ قلبٍ وناظرٍ يتمنَّا ... كَ بأن لايرَى سوى حسناتِكْ [٥]

مُلَحٌ تسلِبُ النُّهَى ومَزَايا ... أيُّها يُستطاعُ واللَّحْظُ فاتِكْ [٦]

* * *

ومن مقاطيعه قوله [٧] :

بين تَثنِّيكَ واعتدالِكْ ... مكائدٌ تقطعُ المَهالِكْ

ودون ألحاظِك المَواضِى ... مصائدٌ كم بهنَّ هالِكْ

* * *

ومن مُعمَّياته قوله ، ويخرج منه اسم [٨] جمال :

وشادنٍ أسْفَرَ عن وجهِه ... فأشْرق الكونُ به واسْتَنارْ

وقد رَنا نحوى بألحاظِه ... وسهمُها فاق فدار العِذارْ

* * *

---

(١) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « حديث الرماح فى فتكاتك » . (٢) فى ب ، ج : « لعذولى والصبح » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . وفى خلاصة الأثر : « للسر هاتك » .

(٣) فى الأصول : « فى هدى مرسلاتك » ، والتصويب من : خلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٤) فى خلاصة الأثر : « وعلى مهجتى رقيب » .

(٥) فى ب : « حسب قلبى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفيه : « وناظر يتملاك » . (٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « أيها يستطاب » .

(٧) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٤ . (٨) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

وقوله ، ويخرج منه اسم خضر [١] :

سطا بلحظٍ مُثْخِنٍ في الحشا ظَبْيٌ جيوشُ الحسن أنصارُهْ

وكيف لا يُثْخن قلبي سطا سَفْك دم العشاق مِعْشارُهْ [٢]

* * *

وقوله ، ويخرج منه اسم مهدى [٣] :

أهْواه كالغصنِ لَيِّناً بَهِجاً تلطَّف في سَلْب مهجتي خُدَعُهْ

مُعتني فيه لا تكن خشِناً مَن ذا بقلبي مكانه أضَعُهْ [٤]

* * *

وقوله ، ويخرج منه اسم شعبان [٥] :

قد أثَّرتْ شمسُ النهار بوجه مَن أرْبَى على قمرِ السماء إذا اتَّسَقْ

ورقَ العِذارُ على صحيفةِ خدِّه لمَّا بدا من تحته ذاك الشَّفَقْ

* * *

وقوله ، ويخرج منه اسم حسن [٦] :

دَعِ الجهلَ والزم ساحة المجدِ واطَّرِحْ عُلُوقاً بأسباب الزمان المماطلِ [٧]

فهل يُرتجى دهرٌ يفوهُ بلا فمٍ بخفضِ أعاليه ورفعِ الأسافلِ [٨]

* * *

---

(١) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ١٥ .

(٢) في ا : « سفك دما العشاق معشاره » ، والمثبت في : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٣) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ١٥ .

(٤) في ب ، ج : « من بقلبي » ، والمثبت في : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفيه : « أمتصني فيه . . . » .

(٥) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ١٥ .

(٦) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ١٥ .

(٧) في تراجم بعض أعيان دمشق : « والزم رتبة الفضل واجتنب » .

(٨) في تراجم بعض أعيان دمشق : « فلا خير في دهر » .

وقوله ، ويخرج منه اسم على [١] :

بِرُوحى أنيسٌ نوى طَرْفَه ... مَخائلَ وصلٍ لِسلْبِ النُّهى [٢]

يُقارب خَطْــــو تلافِ نأى ... وبالقابِ بلهو ولا مُنْتهى [٣]

***

وله فصول قصار ، كل فصل منها تِقْصار [٤] .

فمنها :

حسن السِّيرة ، خيرٌ من كثرة العَشِيرة .

كمال الوجاهة [٥] ، أن يصون المرء عرضَه وجاهَه .

رَوْنَق المقال ، أن يطابِق مقتضَى الحال .

كثرةُ المِرَا ، تحُلُّ وثيقَ العُرَى .

صنائع المعروف ، [٦] تقِي مصارفَ الصُّروف [٦] .

تقارُب [٧] الخطَى ، تحفظك من الخطَا .

متابعة الهوى ، تحيدك عن حدِّ الاستوا .

من رفَق فى الطلب [٨] ، عَلِق بالأرَب .

مَن ساهَم مَن دونه ، اتُّهم بالرُّعونة .

من تخلَّق بالأناة، تمنْطَق بمناطِق النَّجاة .

من فوَّض أمرَه لمولاه ، أمِن مما يحْذَرُه ويخْشاه .

***

(١) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٥ . (٢) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « بروحى أنيس حوى طرفه » . (٣) فى ا : « يقارب حطو تلاف ناءى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٤) التقصار : القلادة . القاموس (ق ص ر) . وهذه الفصول مذكورة فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٥ . (٥) فى ا : « الرجاحة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « تنسى مصارع الصروف » .

(٧) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « تقابل » . (٨) فى تراجم بعض أعيان دمشق: « بالطلب » .

وكان يوماً فى روضٍ فَيْنان [١] ، اخضرّت فيه خمائلُ وأفْنان .

وهو منشرح الصدر ، ونُدَماؤه حولَه كالنجوم أحاطت بالبدر .

وصَرْف الدهر عنه مصروف ، وطَرْفه دون [٢] تطرُّف ساحتِه مطروف [٢] .

يترنّح فى الخُطْوة يمينا وشمالا ، ويقتطف من الحظّ أمانىَّ وآمالا .

والروض يُحَيِّيه بتباسيم زَهْره ، ويرفع إليه رفْعَ الحمد بَبنان [٣] قُضْبه الناشئة من مِعْصم نَهْره .

وهو يجْلُو من أبكاره ، وعرائس أفكاره .

ماهو أمتع من بواكير الرَّياحين ، وأوْقع فى الأسماع من مُطرِبات التَّلاحِين .

فقُرِئ بحضْرته أبياتٌ غنَّت بها نُعْم [٤] الجارية بين يدَى المأمون ، وهى :

ولقد أخذْتُم من فؤادِى أُنْسَهُ ... لاشَلَّ ربى كفَّ ذاكَ الآخذِ [٥]

وزعمتِ أنِّى ظالمٌ فهجرْتِنى ... ورميْتِ فى قلبى بسهمٍ نافذِ

ونَعَم هجرْتُكِ فاغْفرى وتجاوزِى ... هذا مقامُ المستجيرِ العائذِ

هذا مقامُ فتًى أضرَّ به الهوى ... قَرِحِ الجفون بحُسْن وجهكِ لائذِ

فأنشد مضمِّنا لهذا المِصْراع قولَه [٦] :

نقَل العَذُول بأننى أفْشَيْتُ ما ... أخْفَى الحِفاظُ من الغَرام الواقذِ [٧]

---

(١) ذكر المحبى هذه القصة أيضا ، فى خلاصة الأثر ٤/١٢٨ ــ ١٣٠ .

(٢) فى ا : « تطرق ساحته مطروق » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ب : « ببنانه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) هكذا ذكر المحبى هنا ، وفى خلاصة الأثر أن اسم الجارية نعم ، وهو ينقل عن ابن خلكان كما سيأتى ، ولم يعين ابن خلكان اسم الجارية ، وإنما قال : «وعنده ــ أى المأمون ــ قينة تغنيه ، وكانت من أجل أهل دهرها» . وفيات الأعيان ٥/٢٣٢ .

(٥) ترتيب هذا البيت الأخير ، فى وفيات الأعيان ، ولكن المحبى جعله صدر الأبيات هنا ، وفى خلاصة الأثر . (٦) البيتان أيضا فى سلك الدرر ٤/٦٣ . (٧) فى خلاصة الأثر ٤/١٢٨ : «بأنى أخفيت ما» .

هَبْنِي اقترفْتُ لمـا افْترى فاغفِرْهُ لى ‌ ‌ ‌ ‌ هــــذا مَقامُ المستجيرِ العـائذِ [١]

فلم يَبْقَ أحدٌ ممن تضمنه المجلس إلا وبدَا وبَدَه [٢] ، وشَدا وشَدَه [٣] .

فمنْهم ولده السيد عبد الرحمن [٤] ، قال مرتجلا :

نبَـذ العهودَ مُغـاضِبى فألَمَّ بى ‌ ‌ ‌ ‌ فى صورةِ الإشْفاق طَيفُ النّابذِ

فسألْته أن لا يفوه بما جرَى ‌ ‌ ‌ ‌ فيُجيبـــله عنّى بقــولٍ نافذِ

فمَضى ونَمَّ علىَّ فيما قلتُــــه ‌ ‌ ‌ ‌ فأتى يهدِّدنى بسيفٍ شاحـــذِ

رُحْماكَ قد صدق الخيالُ وإنمــا ‌ ‌ ‌ ‌ هـــذا مقام المستجير العائذِ

ثم تلاه [٥] تِلْوه السيد عبد الكريم [٦] ، فقال :

هَبْ قادنى فيك الغرامُ فما الذى ‌ ‌ ‌ ‌ ألجاكَ تعْـــذيبى بهجْرٍ واقذِ

أَصَراعتى أم ما افترته عَواذِلى ‌ ‌ ‌ ‌ عنِّى إليك من الكلام النـافذِ

رُحماكَ بى لاتزْعَ غــيرَ مودّتى ‌ ‌ ‌ ‌ وحِفـاظَ وُدّى لاتكنْ بالنّابذِ

فلدَيكَ منكَ بِكَ استعذْتُ وإنه ‌ ‌ ‌ ‌ هـــذا مقام المستجير العائذِ [٧]

---

(١) جاء صدر البيت فى ب هكذا :

* هبنى اقترفتُ كما افتريتَ واغفِرى *

وفى سلك الدرر : « هبنى اقترفت كما افترى » .

والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

وقد أنشد له المحبى ، فى خلاصة الأثر ، بيتين آخرين فى المعنى ، هما :

نبذ الخليطُ مودّتى حيث العِدَى ‌ ‌ ‌ ‌ حَوْلى يرُوّعنى بهجْرِ النابذِ

فسألتُه الرُّجْعَى وقلتُ دَعِ القِلَى ‌ ‌ ‌ ‌ هذا مقـام المستجيرِ العائذِ

(٢) بدهه بالأمر : استقبله به أو بدأه به . القاموس (ب د ه) . (٣) شده فلانا : أدهشه ، القاموس (ش د ه) .

(٤) ستأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ٦٤ .

(٥) فى ا ، وخلاصة الأثر : « تلا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) ستأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ٦٥ . (٧) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ، له أيضا ، هذين البيتين فى المعنى :

رِيمٌ رنا نحوى بطَرف أدْعَجٍ ‌ ‌ ‌ ‌ فاستلّ روحى من جميع مآخذِى

فطفقتُ أستعفى اللواحظَ قائلا ‌ ‌ ‌ ‌ هذا مقام المستجيرِ العائذِ

ثم اقتفى أثره شقيقهما السيد إبراهيم [١] ، فقال :

نظرتْ لواحظه فأقصدتِ الحشا ... منّى بسهمٍ فى الحشاشةِ نافذِ [٢]

مافوّقتْ إلا وقلتُ لسهمِهـا ... هـذا مقام المستجير العائذِ

وقال الفاضل عبد الغنى النّابُلُسِىّ [٣] ، حفظه الله تعالى :

لاحظْتُ خالًا تحت صفحةِ خدِّه ... متواريًا خلفَ اللّهيبِ النافذِ [٤]

فسألته ماذا المقـامُ فقال لى ... هـذا مقام المستجيرِ العائذِ

وقال الفاضل عبد القادر بن عبد الهادى [٥] :

وافَى الحبيبُ بغيرِ وعدٍ زائرًا ... يرنو بطرفٍ بالمجامع آخـذِ

أَرْبَى بسُكْرِ هوًى وسكرِ مُدامةٍ ... حتى إذا سُدّتْ علىّ منافذِى

ناديْتُـهُ حسْبِى فديْتُك زائرًا ... هـذا مقامِ المستجيرِ العائذِ

وقال العالم الشيخ عبد الحىّ العَكْرىّ [٦] :

أنزلتُ آمالى بوادٍ مُخصِبٍ ... وحِمًى منيعٍ نعم كهفُ اللّائذِ

فلذاك نادانى يقينى مُعْلِنـا ... هـذا مقام المستجيرِ العائذِ

(١) ستأتى ترجمته ، فى هذا الباب برقم ٦٦ . (٢) أقصده : طعنه فلم يخطئه .

(٢) وورد البيت فى خلاصة الأثر ، بهذه الرواية :

قد أوسعتْ عيناه قلبى أسهُمًا ... إن غضّ عنّى هذه أصمَى بذِى

(٣) ستأتى ترجمته فى هذا البـاب ، برقم ٧٢ ، عند ذكر بيت النـابلسى . والبيتان أيضا فى سلك الدرر ٤/٦٣ . (٤) فى خلاصة الأثر ، وسلك الدرر : « متواريا خوف اللهيب النافذ » .

(٥) تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ، صفحة ٥٨٦ ، برقم ٥٩ .

(٦) أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد العكرى ، الصالحى ، الحنبلى ، المعروف بابن العماد .

العالم ، المصنف ، الأديب ، الإخبارى .

ولد سنة اثنتين وثلاثين وألف .

وأخذ بدمشق عن علماء عصره ، ثم رحل إلى القاهرة للأخذ عن علمائها ، فأقام بها مدة طويلة ، ثم عاد إلى دمشق ، ولزم الإفادة والتدريس ، وهو شيخ المؤلف .

وهو صاحب « شذرات الذهب » ، وله أيضا « شرح على متن المنتهى » فى فقه الحنابلة .

توفى بمكة ، سنة تسع وثمانين وألف ، حين ذهب إليها للحج ، ودفن بالمعلاة .

خلاصة الأثر ٢/٣٤٠ ، ٣٤١ .

وانظر تحقيق الأستاذ خير الدين الزركلى ، لضبط « العكرى » ، فى الأعلام ٤/٦١ .

وقال الأديب زينُ الدين البَصْرَوِيّ (١) :

وأغَنَّ فتّاكِ اللّواحظِ أدْعجٍ ... يرْمى بنَبْلٍ فى القلوبِ نوافذِ

نادَيْتُه أفْلاذِي وقد فتكتْ بها ... هــــذا مقام المستجير العـائذِ

وقال البارع عبد الرحمن البَعْلِي (٢) :

ولقد وقفْتُ على الطُّلولِ عشيَّةَ الـ ... ـتَّوديعِ يوم البَيْنِ وَقْفةَ لائذِ

فاسْتعْبَرتْ عيْناىَ لمَّا بانَ مَــن ... أوْهَى بفُرقته جميعَ مآخــذِى

لامَ العَـذُول وقـد رآنِى وَالِهـاً ... فأجبْتُه خفِّضْ عليك مُنــابذِى

لَوْ راعَك البَــيْنُ المُشتُّ عذَرْتنى ... هــذا مقـام المستجير العـــائذِ

وقال الألمعى إبراهيم بن محمد السَّفَرْجلانِيّ (٣) :

ياآلَ بَيْتِ المصطفى شِعْرِى حَلاَ ... فيكم وطابتْ بالمديح لَذائذِى

وافيْتُكم أبْغِى حِمــاكم منشداً ... هــذا مقـام المستجير العـائذِ

وقال الكامل محمد الذهَبِيّ (٤) :

يامَن إذا جاريْتُه فى مَسْلَكٍ ... ألفيْتُه قد سدَّ طُرْقَ منافذِى

أهْوِنْ بمَضْنــاكَ الذى حيَّرْتَه ... هــذا مقام المستجيرِ العـائذِ

ثم طُلب من الأمير المَنْجَكِيّ (٥) تضْمينه ، فقال :

---

(١) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٤٢٠ ، برقم ٣٩ . والبيتان أيضا فى سلك الدرر ٤/٦٣ .

(٢) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٤٤٨ ، برقم ٤٣ .

(٣) تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ، صفحة ٤٧٩ ، برقم ٤٦ .

هذا وقد جاء بيتا السفرجلانى فى ب ، بعد بيتى الذهبى ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) محمد بن عبد اللطيف الدمشقى ، الشافعى ، المعروف بالذهبى .

فاضل ، نبيل ، بارع ، له شعر مطبوع ، ومشاركة جيدة .

توفى سنة ست ومائة وألف ، ودفن بالذهبية ، من مرج الدحداح .

سلك الدرر ٤/٦٣ .

والبيتان فيه .

(٥) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ١٣٦ ، برقم ٧ .

والبيتان أيضا فى ديوانه ١٤٧ .

بِسوَى جَمالِكُم لا تَرانِى مُقْلَةٌ ... يا مَن لهم وُدِّى المؤكَّد لائذِى [1]

فإذا وقفتُ ببابكم مُتَذلِّلاً ... هذا مقام المستجير العائذِ

واتَّصل ذلك بالأديب الباهر الطريقة ، عبد الرحمن المَوْصِلِى [2] ، فقال :

عاهدتُه أن لا يميلَ وقد رأى ... نَبْذَ العهودِ فديْتُه من نابذِ

رَدَّ الصباحَ لناظِرَىَّ بهجْرِه ... ليْلا وسدَّ بالصُّدود منافذِى

ناديْتُه واليأسُ أمْسى ضاحكا ... وأناملُ الآمالِ تحت نواجذِى

رِفْقاً بقلبٍ لا يميلُ لغيركُمْ ... هذا مقام المستجير العائذِ [3]

* * *

قلت : والأبياتُ المتقدِّمة ذكرها ابن خلِّكان [4] .

وقال : إن المأمون استعاد الصوت من نُعْم ثلاث مرات ، وكان بحضرة اليَزِيدِىّ [5] ؛ فقال : يا يزيدِىّ ، أيكون شىء أحسنَ ممَّا نحن فيه ؟ .

---

(١) عجز البيت فى الديوان :

* يا مَن لهم وُدِّى القديم بلائذِ *

والمثبت فى الأصول ، وخلاصة الأثر .

(٢) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٤٣٠ ، برقم ٤١ .

(٣) وذكر المرادى أيضا ، أن الكمال محمد بن محمد الغزى العامرى قال :

باللهِ صِلْ مُضْناكَ يا مَن شَفَّنِى ... منه جَوًى أفنى جميعَ لذائذِى

فبعزَّةِ الحسن استعذتُ وإنه ... هذا مقامُ المستجيرِ العائذِ

(٤) وفيات الأعيان ٥/٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٥) أبو محمد يحيى بن المبارك العدوى ، المعروف باليزيدى .

المقرئ ، النحوى ، اللغوى ، مؤدب المأمون .

توفى سنة اثنتين ومائتين .

تاريخ بغداد ١٤/١٤٦ ، طبقات القراء ٢/٣٧٥ ، طبقات النحويين للزبيدى ٦٠ ، معجم الأدباء ٢٠/٣٠ ، وفيات الأعيان ٥/٢٣١ .

قلت : نعم ، ياأمير المؤمنين .

فقال : وما هو ؟ .

قلت : الشكرُ لمن خَوّلك هذا الإنْعام العظيم الجليل .

فقال : أحسنتَ ، وصدقت .

ووَصَلني ، وأمر بمائة ألف درهم يتصدّق بها ، فكأنّي أنظُر إلى البِدَر وقد أُخرجت ، والمالِ يُفرّق .





٦٣

أخوه السيد حسين *

إذا كان ذاك الرَّضِيّ فهذا المُرْتَضَى ، وكلٌّ منهما الحسام المجرَّد والسيفُ المُنتضَى .

فهما فى السيادة رَبِيبان ، يتضاءل لديهما الأقْعَسان .

اشتركا فى البَراعَة اشْتراكَ الشُّمُول ، وفاحا فوحة [1] الزَّهْر وهَبَّا هبوب الشَّمول .

فكأنَّ يدَ القادر الفتّاح ، شقَّتْهما [2] من شِقَّى التُّفَّاح .

ينظُر الأدبُ منهما عن مُقْلَتيْن ، ويتردَّد الأفاضل بينهما تردُّد النسمات بين روضتين [3] .

وهذا وإن عاجلَه الحِمام ، فاسْتَسَر [4] قبل التَّمَام .

إلّا أنه اهْتَصر الأملَ لَدْنا ، وتبوَّأ من قرارة العيش عَدْنا .

وقد ألان [5] له الدهرُ مِعطفًا ، وأجناه ماشاء من الأمانى مِقْطَفا .

وناله [6] قُبَيل موته حالٌ سنيّة الخلال ، وسيادةٌ وَرِيفة الظِّلال .

(*) السيد حسين بن كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسينى .

ولد سنة إحدى وثلاثين وألف .

واشتغل ، وبرع ، وسما قدره لمعالى الأمور ؛ فسافر إلى الروم ، وأقام بها زمانا طويلا ، وتقلبت به الأحوال ، إلى أن قدم إلى دمشق ، ورأس فيها ، وصار نائبا بالمحكمة الكبرى ، وقساما للعسكر ، ودرس بالمدرسة الفارسية .

جمع كتابا ، سماه بـ « التذكرة الحسينية » ، ذكر فيه شعراء متقدمين ، كالشريف الرضى ، ومن نحا نحوه ، وختمه بذكر بعض معاصريه من الشعراء ، ثم ذكر فى آخره حصة وافية من نظمه .

توفى سنة اثنتين وسبعين وألف ، ودفن بتربة الإيجية ، فى سفح قاسيون .

خلاصة الأثر ٢/ ١٠٥–١٠٨ . وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٠٤–١٠٥ .

(١) فى ب : « فوحات » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « شقيهما » ، وفى ج : « ستتهما » ، والمثبت فى : ب . (٣) فى ب : « الروضتين » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) استسر : استتر وتوارى . (٥) فى ا : « لان » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى الأصول : « ونال » ، ولعل الصواب ما أثبته .

فلم يقم داعى الهنا بإقباله حتى قام ناعِى الأُمْنِيَّة ، ولا انتُقِد دينارُ عمرِه على مِحَكّ الانتقا حتى عُولِج بصَرْف المنِيَّة .

فروَّح اللهُ بِرُوحه (١) فى الجنان ، وعامله بمَحْض الفضْل والامْتنان .

***

وقد أثْبَتُّ من شعْره مااستوْفَى أقْسام النَّضارة ، واستكمل فصاحةَ البداوة وهو من أُبِّ الحضارة .

فمنه قوله من قصيدة ، مستهلها (٢) :

لكَ اللهُ هــل بَرْقُ الرُّبوع يلوحُ ... وهل بان من ليلِ البِعادِ نُزوحُ (٣)

وكم يا ترى يَسْطُــو علىَّ بأدْهَمٍ ... وأشْهبُ طِرْفِ الصُّبح عنه جَموحُ (٤)

أُراقِبُ نَجْمًا ضَــلَّ مَسْلَكَ غَربِه ... وطَرْفِىَ هامٍ والفؤادُ جــريحُ

يبيتُ يناجينى الحمَامُ بسجْعِــه ... ويروِى حديثَ السُّقْمِ وهْوَ صحيحُ

أطارحُه وجْدِى ويشْكو من الجَوَى ... وكلُّ مَشُوقٍ بالغــرام يبوحُ (٥)

ينوح ولا يدْرِى البِعادَ وفَرْخُــه ... لديْه قريبٌ والزمانُ سَمُــوحُ

على غُصْنِــه الميَّادِ أصبح شادياً ... ونَشْر الصَّبــا يَغْدو له ويروحُ

بِرَوْض بكَتْه الغادياتُ فأضحكتْ ... ثُغــورَ أقاحٍ بالعبير تفــوحُ

أقول له والوجْــدُ يُمطِر مقْلتِى ... وقلبىَ فى نارِ الغــرام طريحُ (٦)

ألا ياحَمــامَ الأيْكِ إلْفُك حاضرٌ ... وغصنُك مَيَّادٌ ففِيمَ تنــوحُ (٧)

---

(١) فى ب : « روحه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وروح الله روحه : أنعشها .

(٢) القصيدة فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٢ ، ٤٣ ، وذكر ابن شاشو أنه مدح بها نقيب الأشراف بالقسطنطينية . (٣) فى ا : « برق الولوع » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفيه : « من ليل العناد » .

(٤) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « ألم تره يسطو على بأدهم » .

(٥) سقط هذا البيت من تراجم بعض أعيان دمشق . (٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « من نار الغرام » . (٧) سقط هذا البيت من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفيه : « فرخك حاضر * وغصنك ميال . . . » .

ألا يا حمامَ الأيكِ تعدُوكَ حالُ مَن ... بأحشاه من حرِّ البعادِ قُروحُ

مُغـادِرُ أفراخِي صغاراً وليس لى ... جَناحٌ ولم يهبُبْ بِفُلْكِي رِيحُ (١)

فأينَ من النَّائِي عن الإلفِ حاضرٌ ... وأينَ من البـاكى النَّحُوبِ صَدوحُ

فهل يا ترى مِـن مُنْقذٍ أو مساعدٍ ... يخلِّص مِن أيدى النَّوى ويُرِيحُ (٢)

* * *

وقوله ، من أخرى (٣) :

مَعـاذَ الهوى أن الصَّريعَ به يصْحُو ... ليعقِلَ ما يُتلَى على سَمْعِـه النُّصْحُ

وكيف تُرجَّى منــه يوماً إفاقةٌ ... وزَنْدُ الهوى فى عقله دأْبُهُ القَدْحُ (٤)

دعِ القلبَ يشقى فى طريقِ ضلالةٍ ... ففى رأْيه أن الوصـولَ بهـا نُجْحُ (٥)

تؤمِّل آمالًا مـدى العمرِ دونهـا ... كأن مَطايا النائبـات به جُمْحُ (٦)

يُكتِّمُ أسرارَ الغـرامِ فؤادُه ... ويفضحُه من مُزْنِ مُقْلته السَّحُّ (٧)

لقـد ألِفتْ عيناه أن تنفحَ الدِّما ... وتلك دِما لُبَّ به أحْكِمَ الجرحُ (٨)

يَعافُ الكرَى منه المحاجرَ كأنها ... نزولَ جراحٍ جُرحُها شأنه الرَّشْحُ (٩)

له فى انتظـارِ الطَّيفِ جفْنٌ مُؤرَّقٌ ... تعوَّده من شدَّةِ الأرَقِ القَرْحُ (١٠)

---

(١) فى ب : « مبادر أفراخى » وفى ج : « فغادرت أفراخى » والمثبت فى : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « من منقـذ ومساعد » ، وتمام القصيدة بطولها فيه .

(٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/١٠٦ ، ١٠٧ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٤٤ ، ٤٥ .

(٤) فى خلاصة الأثر :

* وزَنْدُ الهوى فى عقله عظُمَ القدْحُ *

(٥) فى ب : « دع القلب يشقى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٦) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفيه : « يؤمل آمالا » .

(٧) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « ويكتم أسرار الغرام » . (٨) فى ا : « أن تنضح الربا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفيه : « وتلك دما عقل » .

(٩) فى خلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « نزول جراح » ، وفى ب : « شانه الرشح » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (١٠) فى خلاصة الأثر : « تقيه من شدة الأرق القرح » .

ولم يدرِ أن الطيفَ يحذَر أن يُرَى ... نزيلَ بيوتٍ دأبُ أبوابِهـــا الفتحُ

غدا دهرُه بالهجرِ ليلًا جميعُـــــه ... وحسْبُك دهرٌ بالنَّوى كلُّه جُنْـحُ

كأن نجـوم الأفقِ فيـه تنصَّرتْ ... فليس لغيْرِ الشَّرْقِ وِجْهتُها تنْحُو (١)

كأن الثريَّا والنسور تخـــاصمَتْ ... وظَـــلَّا على جِدٍّ يُجانبُه المَزْحُ (٢)

كأن به الشُّهْبَ الثواقبَ تنبَرِى ... مَراسِيلَ ذاتِ البَيْنِ يُرْجى بها الصلحُ

كأنَّ به خَيْطَ المَجرَّة جـــدولٌ ... تَوارَدَه الجَيْشانِ وازْدحم النَّزْحُ (٣)

كأن ظلامَ الليلِ في الجوِّ عِثْـيَرٌ ... تَغَشَّى صفوفَ الجيشِ من جَوْنِه قُبْحُ (٤)

كأن به العَيُّوقَ مَلْكٌ مُبجَّـــلٌ ... كأن اخْضرارَ الفجرِ في أُفْقِه صَرْحُ (٥)

***

وقوله من أخرى ، مستهلها (٦) :

خَفِّضْ عليك أخا الظِّباءِ الغِيـــدِ ... وارْحَمْ مدامــــعَ جَفْنِيَ المَسْهودِ

كم ذا أُعلِّل بالأماني تارةً ... قلبي وطوْرًا بانْتظار وعُـــودِ (٧)

ولَـكَمْ أبيتُ بليـــلةِ المَلْسوعِ في ... أذُنى سميعٌ في التفات رَصِيـدِ (٨)

***

(١) في ا : « لغير الشوق » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) في خلاصة الأثر : « كأن الثريا والنسور تخاصما » ، وكذلك في تراجم بعض أعيان دمشق .

(٣) في ا : « وازدحم البرح » ، وفي ب ، وخلاصة الأثر : « وازدحم الترح » ، والمثبت في : ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفيـه : « تزاحمه الجيشان » ، وهي رواية حسنة .

(٤) في ا : « من جونة قبح » ، وفي ج : « من جوده فتح » ، وفي خلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « من جونه قبح » ، والمثبت في : ب .

والعثير : التراب والعجاج . والجون : الأسود والأبيض ، ضد .

(٥) في الأصول : « كأن اخضرار الفجر في أفقـه طرح » ، والمثبت من خلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

والعيوق : نجم أحمر مضيء ، في طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا لا يتقدمها . القاموس (ع و ق) .

(٦) الأبيات في خلاصة الأثر ٢/١٠٦ ، وذكر أنه مدح بها رؤساء الروم .

(٧) في الأصول : « بانتظار وعودى » ، والمثبت في خلاصة الأثر .

(٨) في ا ، ج : « في التفات وصيد » ، والمثبت في : ب ، وخلاصة الأثر .

ليلة المَلْسوع ، كناية عن السَّهَر المؤلِم .

ومن اللطائف : دواء المَلْسُوع الصِّياح إلى الصباح .

والملسوع اسم مفعول ، من لَسعته الحيَّة أو العقرب .

وأول من استعمل هذه الكناية الشَّريف الرَّضِيّ ، في قوله [١] :

أتبيتُ رَيَّانَ الجفونِ من الكرَى ... وأبيتَ منك بليلةِ المَلْسُوعِ

ومن نوادر البيت ، أن « تبيت » مضموم التاء ، وهو للمخاطب ، و « أبيت » مفتوح التاء [٢] وهو للمتكلم ، والخطاب في الأول مُستفاد من تاء المضارعة ، والتكلُّم في الثاني مستفاد من الهمزة ، وأن الأول مرفوع ؛ لحُلوله محلَّ الإسم ، والثاني منصوب بأن مضمرة بعد واو المُصاحَبة .

* * *

يا مُسرِفا في هجْرِه لمتيَّمٍ ... هجَرتْ محاجِرُه لذيذَ هُجودِ

أهْونْ برغبتك القِلَى والجُهْدَ في ... تعْذيبِ شِلْوِ فؤادِيَ المفؤودِ [٣]

* * *

الشِّلْو : العُضو ، وفي الحديث [٤] : « ائْتِنِي بِشِلْوِهَا الأيْمَنِ » .

والشِّلْو : شِلْو الإنسان ، وهو جسده بعد بِلاه ، وكلاهما هنا مُحتمِل .

* * *

لم يُبْقِ هَجْرُكَ فِيَّ قلبًا خافقًا ... لسرُورِ وعدٍ أو لحزنِ وَعيدِ [٥]

---

(١) ديوانه ١/٤٩٧ ، ورواية البيت فيه :

أهْوِن عليك إذا امتلأتَ من الكرى ... أنّي أبيتُ بليلة الملسوعِ

(٢) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .
(٣) في ب : « أهون برغبتك العلى » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . وفي ج : « القلى والهجر » ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .
(٤) النهاية ، لابن الأثير ٢/٤٩٨ .
(٥) في خلاصة الأثر : « أو خوف وعيد » .

وغدوتُ من فِعْلِ السَّقامِ كأنني ... أوْهامُ فِكْرٍ في خيالِ بليدِ

أدْنَيْتَني حتى ملكْتَ حُشاشتي ... وتركْتَني وَقْفاً على التّنكيدِ

***

وله من أخرى ، أولها[١] :

عجبتُ لقلبي ما يُكِنّ من الوَجْدِ ... ونارِ جوًى لا تفتُرُ الدهرَ عن وَقْدِ[٢]

سقى مَعْهدي والرَّبْعَ من أرضِ جِلّقٍ ... أسَحُّ غمامَيْ أدْمُعِي والحَيَا الرَّغْدِ[٣]

أُرِيدُ الحَيَا فالدمعَ أحْذَرُ إنّه ... يُحرِّمُ منها ماءَها الطَّيِّبَ الوِرْدِ

***

من قول مِهْيار[٤] :

بكَيْتُ على الوادِي فحرَّمْتُ ماءَه ... وكيف يَحِلُّ الماءُ أكثرُه دَمُ

***



منها :

وناعسِ طَرْفٍ بات يمزج راحتَه ... بريقتِه مَزْجَ الضمائرِ بالوُدِّ

يُنادمني والسُّكرُ يَخفِضُ صوتَه ... كهَيْنَمةٍ بالروضِ من نَسْمةِ الرَّنْدِ

***

منها :

سَقاه غَمامُ الحسنِ صَوْبَ عِهادِه ... فأثمر بدرًا قد تنوَّر بالوَرْدِ

***

---

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٢) في ا : « عجبا لقلبي » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٣) في ا : « أسح غمام أدمعي » والمثبت في : ب ، ج .   (٤) تقدم التعريف به ، في الجزء الأول ، صفحة ١٦٣ .

والبيت في ديوانه ٣/٣٤٤ ، وانظر ريحانة الألبا ١/٣٤ .

قلت : هذا شعر تجاوز فى الطف الحدّ ، يحمَرّ له خجلاً وردُ الرُّبى وورْد الخدّ .

***

ومن أحاسنه[1] التى عطّلت الياقوت والدُّرّ ، ومن يصْبُو بمحاسنه فقد بان له العُذر ، قوله :

إلى م ترى ذا العهـــدِ يُتْلِفه الغَدْرُ ... وحتّى م وعدٌ دون إنجازِه الحَشْرُ

أبيتُ ولى قلبٌ على جَمْرةِ الغضَــا ... وأعبـــاء أحزانى على مُهْجتى وِقْرُ

وقد ضلّ أُنسُ الأفْقِ مَسْلكَ غَرْبِهِ ... بحِنْدِسِ ليـــلٍ ليس يَعْقُبه فَجْرُ[2]

وباتتْ تُناجينى بشَجْوٍ حمــامةٌ ... لها تحت ذيلِ الليلِ فى شأْنهـــا هَدْرُ

تنوح على الغصن الرطيب فينْثنِى ... طَرُوبا كمَن مالتْ بأعْطافِه الخَمْرُ

أناشِدةٌ تشـــدو على فَنَنِ الرُّبَى ... مُفارِقةَ إلْفًا وقد خانها الصـــبرُ

أراكِ مُنَدّاة الجناحِ نخـــبِّرى ... أَدَمْعى الذى نَدّاه وَهْنـــاً أم القَطْرُ

[3]منها فى الحماسة[3] :

وإنّى صبورٌ عنـــد كل مُلِمَّةٍ ... يشيبُ لها فَوْدٌ ويَحْدَوْدِبُ الظهرُ

ولا ارْتياعٍ لى قلبٌ لخطْبٍ إذا غدا ... علىّ له الإبْرامُ والنَّهْىُ والأمرُ

فلا خَيْرَ فى قلبٍ أبتْ أن تُذيبَه ... خطوبٌ فلولا السَّبْكُ ماعُرِف التِّبْرُ

وقد زادنى جَوْرُ الزمان تأرُّجاً ... كما زاد نَشْرَ المسك فى سَحْقِه الفِهْرُ[4]

***

---

(١) فى ب : « إحسانه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ج : « وقد ضل نسر الأفق » ، وهى رواية حسنة ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « وقد زادنى جور الزمان تأدبا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

هذا من قول سعيد بن هاشم الخالِدِىّ[1] :

تَزِيدُنى قسوةُ الأيّامِ طِيبَ ثَنًا ... كأنَّنى المسكُ بين الفِهْرِ والحجَرِ

والفهر : الحجر الذى يُسحَق عليه .

* * *

وإن لاح لى فوق السِّما كَيْنِ مَطْلَبٌ ... فلا المُرتقَى صعبٌ علىَّ ولا وَعْرُ[2]

ولستُ بِهَيَّابٍ ليومِ كريهـةٍ ... وقد صافحتْ فيـه المُهَنَّدَةُ البُتْرُ

فإن خانَنى دهرِى فما خاننى الحِجَا ... وإن خذَلَتْنى الصَّحْبُ لم يَخْذُلِ الصبرُ

ولا أشْتكِى خطبًا يُشـدِّدُ وَطْأَةً ... علىَّ فلولا العسرُ ما خُلِق اليسرُ[3]

* * *

منها[4] :

ولستُ الذى يُمْضِى الليالى أمانيًا ... يضيع سُدًى فى شأنها الوقتُ والفكرُ

ولا أكره الخطْبَ المُلِمَّ فرُبَّمـا ... أتى النفعُ من حالٍ تراءى به الضُّرُّ

ولله ألطافٌ يدِقُّ خفاؤهـا ... فكم خِيفَ أمرٌ كان فى ضِمْنه النصرُ

وكم عمَّنى بالفضل والنِّعَمِ التى ... يقِلُّ عليها منِّىَ الحمدُ والشكرُ

إذا رُمْتُ أُحْصِى وصْفَها بِبيانها ... فهيهاتَ يُحْصَى الرَّملُ أو يُحصَر القَطْرُ[5]

* * *

---

(١) أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدى ، عرف هو وأخوه محمد بالخالديين .
وكان أديبا ، شاعرا ، اشترك مع أخيه فى تأليف عدد من الكتب .
توفى سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة .
فوات الوفيات ١/٣٤٦ ، وهو فيه : « سعد بن هاشم » ، معجم الأدباء ١١/٢٠٨ ، وهو فيه : « سعد بن هشام بن سعيد » ، يتيمة الدهر ٢/١٩٩ .
وقد ورد اسم أبيه فى ب : « هشام » ، والمثبت فى : ا ، ج .
والبيت فى يتيمة الدهر ٢/٢٠٧ .

(٢) السماكان : نجمان نيران ، يقال لأحدهما الرامح ، وللآخر الأعزل . القاموس (س م ك) .

(٣) فى ا : « يجدد وطأة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا .   (٥) فى ب : « أحصى فضلها » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وله من أخرى ، مطلعها[1] :

أرانى الزمانُ فِعَالًا خسيسًا وخطْبًا يبدِّل نُعْماه بُوسـا

* * *

منها[2] :

ومُذ أسْكرتْنى صُروفُ الزمانِ نسِيتُ بها الكأسَ والخَنْدَرِيسا[3]

وألزمتُ نفسىَ حـالَ الخمولِ وعِفْتُ المُنى وهجرتُ الجليسـا

فقـد يمكثُ السيفُ فى غِمْدِهِ مَصونًا ويستوطنُ اللَّيْثُ خِيسا[4]

* * *

ومنها فى المديح :

بعـزْمٍ تراه إذا ما بدا بمُعضِلِ أمـرٍ يَفُلُّ الخميسا

ولا يَملِكُ القلبَ منه الرَّدَاحُ ولو أشْبه الوجهُ منهـا الشموسا[5]

ولو تكُ لو لم تَمِسْ ما اهتـدتْ غصونُ الرِّياض إلى أن تميسا[6]

* * *

وله من أخرى ، مستهلها[7] :

خَفِّض عليك أخا الظِّباء الرُّتَّعِ أنت الشريكُ بمـا رميْتَ به معِى

أرسلتَ من أجفان لَحْظِكَ أسهمًا مذ فُوِّقَتْ لم تُخْطِ قلبَ مُرَوَّعِ

---

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/١٠٧ . (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) فى ج : «ومذ أذكرتنى» ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، وفى ب : «خطوب الزمان» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

والخندريس : الخمر .

(٤) فى خلاصة الأثر : «فى غمده * حصونا» .

والخيس : موطن الأسد وغابه .

(٥) فى الأصول . «منه الشموسا» ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

والرداح : الثقيلة الأوراك .

(٦) مكان : «تك لو لم تمس» بياض فى : ا ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٧) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/١٠٧ .

قد ظَــلَّ موقعَها الفؤادُ وإنَّنى ... لم ألق غيرَكَ ثَمَّ فى ذا الموضعِ [١]

كَلِفٌ بحبَّاتِ القلوبِ كأنما ... تبغى الوقوفَ على الضَّميرِ المُودَعِ [٢]

يامن غدا يسْطُو علىَّ بهجْــرِهِ ... أَوَما رحمتَ نحيبَ صَبٍّ مُولَعِ

شيْئان تَنْصدعُ الجوانحُ منهما ... تغْرِيدُ ساجعةٍ وأنَّةُ مُوجَعِ

كم رُمْتُ أُخْفى عن سواكَ صَبابتى ... وبها يَنُمُّ علىَّ شاهدُ أدْمُعِى

يهْنُو لِغَىِّ فيك قلبى ثم لا ... يُصغى لغشٍّ بالرَّشاد مُقَنَّعِ

قل للعذُول عليك يتْرُكْ غِشَّه ... بالنُّصْح لى فلذاك أُذْنِى لا تَعِى

لم تُخْفِ قَطُّ بشاشةٌ لُؤْمَ الفتى ... فالطبعُ يفضح حالةَ المتطبِّعِ

إن المَلامَ وحقِّ وجهك فى الهوى ... مازاد غيرَ توَلُّهى وتوَلُّعِى

قد زاد فيك تألُّمِى بتألُّمِى ... وتفكُّرِى فيه انتهى لتمتُّعِى [٣]

* * *

الأبيات الثلاثة الأُوَل ، هى بعينها [٤] ثلاثة المِهْيار :

أَوْدِعْ فؤادى حُرَقًا أو دَعِ ... ذاتك تؤذى أنتَ فى أضلعِى

أمْسِكْ سِهامَ اللحظِ أو فارْمِهــا ... أنتَ بما ترْمِى مصابٌ مَعِى

موقعُها القلبُ وأنت الذى ... مَسْــكَنُه فى ذلك الموضعِ

* * *

ومن مقطَّعاته قوله [٥] :

إذا منَعتْ سُحْبُ العواذلِ وجهَه ... وحجَّب عنى نورَه وهْو ساطعُ

---

(١) فى الأصل : « قد طل موقعها » ، والمثبت فى خلاصة الأثر . (٢) فى خلاصة الأثر : « كلفت بحبات القلوب » . (٣) فى خلاصة الأثر : « وتفكرى فيك » (٤) فى ب : « لمهيار » ، والمثبت فى : ا ، ج .

والأبيات مما ليس فى ديوانه المطبوع ، وهى فى خلاصة الأثر ٢/١٠٧ .

(٥) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٥ .

فمن نارِ أحْشائِي تصاعد بَرْقُها   وهاطِلُها ما أمْطرته المدامعُ [١]

* * *

وله فى الغزل :

عجبْتُ لحُسادِي عليــك وليْتهم   دَرَوا أنّنى من نقْضِك العهدَ فى ضَنْكِ [٢]

مضى ظنُّهم فى مَيْنِ وعـدِك صحــةً   وحقق إنْجازاً عَرِيًّا عن الشِّرْكِ

فبَيْن وعيدٍ صادقٍ لا تَحيدهُ   ووعدٍ كَذُوبٍ ليس يُؤذن بالشَّكِّ

غدَوْتُ ولى حالٌ كما تشْتهى العِدَا   وسُحْبُ دموعى أنبتَتْ كَلَأَ الهَتْكِ

فللهِ مَن أخلصتُ دهرِيَ وُدَّه   وعذَّبنى بالغدْر والهجرِ والفَتْكِ

* * *

وقوله ، فى شخص اسمه موسى :

يناديك ياموسى فؤادٌ تـكثَّرت   عليه وُشاةٌ فى هَواكَ خُصومُ

وليس عجيبا أن توَلَّه فى الهوى   وأنت له بيْن الأنام كليمُ

* * *

وله فى غرض [٣] :

كم ذا تظَلُّ مُؤرَّقَ الأجفانِ   ماعشْتَ وثَّاباً لنَيْلِ أمانِي

فبــكلِّ وادٍ أنت رائدُ مطالبٍ   وبكلِّ نادٍ أنت ناشدُ شانِ

تَرِدُ الخطوبَ لِموردٍ هاعَتْ به   أُسْدُ الفَلا مذعورةَ الأعْيانِ [٤]

---

(١) فى تراجم بعض أعيـان دمشق : « ما أمطرتها المدامع » .   (٢) فى ب ، ج : « فى نقضك العهـد » ، والمثبت فى : ا .

(٣) القصيدة فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) فى ا : « لمورد هامت به » ، وفى ب : « لمورد أعتــابه » . والمثبت فى : ج ، وتراجم بعض أعيـان دمشق .

وهاع يهيع : جبن وفزع .

وفى ا : « سـد الفلا » بدون نقط على النون ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « سند العلا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

لا تهتدي فيه القطا لورودها ... إلا بوِرْدِ الضَّيْغَمِ الظَّمآنِ (١)

وكأنما رِيشُ النواهض حولَه ... وَقْعُ النِّبالِ عقيبَ يومِ طِعانِ

وترى المَطايا عُوِّضَتْ من طائها ... نُونًا لِمُقْتَحِمٍ له ومُدانِ

فأتيته والأُسْدُ تُوجِسُ خِيفَةً ... فيه مفارقةَ ثباتَ جَنانِ (٢)

وحَشَا خطوبٍ قد شققتُ ضميرَها ... بيدٍ تدقُّ عواليَ المُرّانِ (٣)

وغدوتَ تعتسفُ الفَلا وتجوبُها ... لمطالبٍ قد زُيِّنَتْ وأمانِ

وفرَيْتَ وَفْرَ ظلامِها بصوارمٍ ... وصلتْ عُرَى الإصْباحِ باللَّمعانِ (٤)

وركبت متنَ مَهامِهٍ متوخِّيًا ... دارَ العُلى فوصلتها بأمانِ (٥)

وبذلتَ شَرْخَ العمرِ وهْوَ نفيسُه ... في سُوقِ رَغْباتِ الهوى النَّفْسانِي (٦)

قسمًا بأيامِ الشبابِ وطيبِها ... وبنظمِ شَمْلٍ شتَّتَه الحَدَثانِ (٧)

وبآيةِ القلبِ الصريعِ إذا نأى ... عنه الأليفُ وأقفرتْه مَغانِي (٨)

لَأشدُّ ما يلقَى امرؤٌ في دهرِه ... شيئانِ صدقُ قِلىً وبُعْدُ مُدانِي (٩)

* * *

(١) في ب : « لا تهتدي فيه القطاء لوردها » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) في تراجم بعض أعيان دمشق : « توحش خيفة » . (٣) المران : الرماح اللدنة الصلبة . القاموس (م ر ن) .

(٤) في ب : « عرى الإصلاح » ، والمثبت في : ا ، ج .

وهذا البيت ساقط من تراجم بعض أعيان دمشق .

(٥) في ا : « وركبت متن مهامه متوجها » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « وركبت متن مهابة متوخيا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٦) في تراجم بعض أعيان دمشق : « وهي نفيسة » .

(٧) حدثان الدهر : نوائبه .

وبعد هذا البيت في تراجم بعض أعيان دمشق :

وبما حَدَا الحادي بهم يومَ النوى ... وبعَبْرةٍ أرْبَتْ على الهَتَّانِ

(٨) صدر البيت في تراجم بعض أعيان دمشق :

* وبآيةِ القلبِ الصَّديعِ إذا نأى *

(٩) في تراجم بعض أعيان دمشق : « صد قلى » .

وله مضمِّنا بيت الأرَّجانِيّ [١] مرتجلا [٢] :

لستُ أنسىَ لياليًا قد تقضَّتْ ... بوصالٍ وطِيبِ عيْشٍ بمَغْنَى

كم قضَينا بها لُبانةَ أُنْسٍ ... وظفِرْنا بكلِّ ماتتمنَّى

حيثُ غُصْنُ الشبابِ رَيَّانُ من ما ... ءِ صِباه مع الهوى يتثنَّى

قد أتتْ بغتةً وولَّتْ سِراعًا ... كطُروقِ الخيالِ مُذْ زار وَهْنَا

أترى هل تعود لى بالتّدانِي ... ومُحالٌ جَمْعِي بها أو تُثنَّى

غيرَ أنى أعلِّلُ النفسَ عنها ... بالأمانى الكِذابِ وَهْمًا وَوَهْنَا [٣]

أتمنَّى تلك الليالى المُنيرا ... تِ وجهدُ المحبِّ أنْ يتمنَّى [٤]

* * *

وله يخاطب مليحا مرِض [٥] :

يامن تعالاه السقا ... مُ لقد حكيتَ بذاك جفْنَكْ

إذ صار يا بدرَ السما ... ءِ مُضاعفًا ذا الضعفُ حُسْنَكْ

لم ينتقِصْ بالسُّقمِ حُسْـ ... ـنُكَ سيِّدى واللهِ إنَّكْ [٦]

* * *

يُشير إلى قول ابن سَناء المُلْك [٧] فى مليح شفَّه السَّقام [٨] :

أشْبهْتَ جسمِي نحولاً ... فهل تعشَّقْتَ حسنَكْ [٩]

---

(١) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ٤٣٢ .

(٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/١٠٨ .

(٣) فى ب ، ج : « وما وذهنا » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى الأصول : « إذ جمعى » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٥) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٥ .

(٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « لم ينتقص » .

(٧) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ٣١١ .

(٨) الأبيات فى ديوانه ٥٣٣ .

(٩) صدر البيت فى الديوان : « حكيت جسمى نحولا » .

وكانَ جِفْنُكَ مُضنىً فصِرتَ كلكَ جَفْنَكْ [1]
وزادَكَ السُّقْمُ حسناً واللهِ إنَّكَ إنَّكْ

٭٭٭

وللسيد محمد ثلاثة أبناء ، كثلاثة هَقْعَة [2] الجوزاء ، وإن أرْبَوا عليها في السَّنا والسَّناء :



---

(١) في الأصول : « وكان جسمك مضنى » ، والتصويب من الديوان .

(٢) هقعة الجوزاء : ثلاث كواكب فوق منكبي الجوزاء كالأثافي . القاموس (هـ ق ع) .

٦٤

السيد عبد الرحمن (*)

هو في السّن يكبرهم ، وفي الأخذ بأطراف الشعر يكثرهم .

ومكانه منهم الأخطر الأنفس ، وصبح الفضل عن[1] بلجته يتنفّس .

وذاته شغلٌ للمحبّ الواجد ، وشأنُ القلوب في محبّته شأنُ القلب الواحد .

فمَنْ الكلامَ لمّا نوّر ، ورتّب[2] محاسن[3] البديع في دُرَر كَلِمِه وطوّر .

وقد فُجِعت به بنو الآداب في مَيْعة[4] شبابه ، وفقدت منه سيّداً ألمّ بخالصة الأدب ولُبابه .

فلا عُذْرَ للدمع إنْ لم[5] يساجل عليه المُزْن ، ولا للنفس إن لم تُماشِر في مصابه الحُزْن .

وأرجو الله سبحانه ، أن يمنحه رَوْحه وريحانه .

وكنت[6] صحِبْته أياماً ، نبهْت فيها حظوظاً نِياماً .

(*) السيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسيني ، الدمشقي ، المعروف بابن النقيب .

ولد سنة ثمان وأربعين وألف .

وتخرج بوالده ، وغيره من فضلاء العصر ، حتى برع وأتقن فنونا ، ثم تعاطى الإنشاء ونظم الشعر في شبيبة عمره ، فأحسن فيهما كل الإحسان ، وهو صاحب النكات المتقنة ، والمعميات العويصة .

توفي مطعونا ، سنة إحدى وثمانين وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس .

خلاصة الأثر ٢ / ٣٩٠ — ٤٠٤ ، وله ترجمة على طريقة المنجد ، في تراجم بعض أعيان دمشق ١٦ — ٢٧ .

(١) في ا : « على » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٢) في ب ، ج : « وربت » ، والمثبت في : ا .

(٣) في ا : « محاسنه » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٤) في ب : « صيغة » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٥) في ا : « ألا » ، وفي ج : « أن لا » ، والمثبت في : ب .   (٦) بعد هذا في ا زيادة : « في » والمثبت في : ب ، ج .

فما زلت أتروّح نسيم لطفه وأنتشقه ، وأقول فيه ما[1] يقول المفتون فيمن يعشقه .

* * *

وكان المحبّى من أشعاره بطُرَف تُرْوَى وتُنقَل ، وبمثلها يُجلَى القلبُ من صَداه ويُصقَل .

وها أنا ذا أورد منها ماألتزمه وأترك عنك دُرَر البحور ، فإن بها[2] زينةَ الصدور ، وتلك بها زينة النُّحور .

وكل ما أذكر له إما تشبيه زَهْرًا وزَهْر ، أو وصف روض يطلّ على نَهْر .

وهو ممن أُغرِيَ بهذين النوعين ، فأتى منهما بجمل متكاثرة ، ونظم فيها بدعًا أضحت لها عقود الترائب متناثرة .

وذلك إما لميل غريزيّ في فطرته ، أو لأن دمشق مُتَروّح فكرته .

وحسبك من طبع لو كان للسحب صيرت زمانَ فصلَ الربيع ، وفكرةٍ لو كانت للنجوم السيّارة جرَيْن سعدًا أكبر في التربيع .

ويكفيك من مُتَروّح تتفتح العين منه على بهجة ونضارة ، ومَسرح ينجلي القلبُ منه بجدّة[3] وغضارة .

* * *

فمن ذلك مقامته الربيعيّة ، كتبها للأمير حمزة الدفتريّ ، بدمشق ، وقد احتوت على مُعظَم تشبيهات الزهور .

وهى :

إلى روضة الآداب ريحانة النّدِّ ... تحايا حفاظ حرّكتها يدُ الوُدِّ

---

(١) في ب : « كما » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ا : « به » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٣) في ب : « ببهجة » ، والمثبت في : ا ، ج .

فجاءتْ كأنفاسِ الرِّياحِ تسحَّبتْ على رَشَحاتِ الطَّلِّ من وَجْنَةِ الوردِ

هذا ، وقد عنَّ للخاطر ياسيدي أن يزُفَّ إليك بوادِرَه ، ويَجْلِيَ عليك نوادره .

إذ لابد للنفوس أن تَمْرَح ، وللنَّوادر أن تُستباح وتُسْتَمْلَح .

وقد أشعرت أنى دُفِعتُ إلى مناجاة الفكر الفاتِر ، عند قِلَّة المحادثة والمُناظِر .

فخاطبنى فى ابْتكار النُّخَب[1] ، وأغرانى باقْتِراع أبْكار الأدب .

وقال : ماتقول فى دُعابة تُقلِّص ذَيْلَ الوقار ، وتُزْرِى بأكْؤُس العُقار .

فقلت : إيه ، يانَبِيه . ثم لزمتُ الإصاخة لتلقِّيه .

فسلك بى طريقًا من الواهمة[2] ، كأنما أعدَّه لهذه المنادمة .

فأفضَى إلى روضٍ مُنَدًّى ، كأنما تجلَّل بالنعيمِ وتردَّى .

وقد فُرِشتْ مُلاءة النَّوْر على مَيادِينه ، وحرشت[3] أيْدِى النَّسيم بين رياحِينه .

يخترقه نهرٌ كأنما يَسيلُ من دُرَّة ، أو ترقرق من عَبْرة .

وعليه دُرٌّ من الفواقِع منظوم ، وبشواطيه وَشْيٌ من الأزاهِرِ مَرْقوم .

فمن [4] نَرْجِسٍ نَعْتُه الفُتور ، وورْدٍ كأنما انْتُزِع من أوْجُه الحُور .

وأقاحٍ كأنه ثَغْرُ الحبيب بلا مِرًا ، وقصورٍ من العَسْجَد السَّبيك مُشْرِفةِ الذُّرَى .

وياسَمِين كأنه أنْمُل الأبْكار ، أو صُلْبانٌ من الفضة صِغار .

وبَنَفْسَجٍ كأنه العوارضُ الطَّرِيرة ، أو رَصَّة القُرْط فى سالِفةِ مَهْمُومةٍ غَرِيرة .

وشقِيقٍ كأنه أقْداحُ العقيق ، قد رسَب بقرارتها مسكٌ فَتِيق .

---

(١) فى ا : « النجب » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) الواهمة : قوة الوهم .

(٣) فى ا : « وهرشت » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) بياض فى : ا ، والمثبت فى : ب ، ج .

وآذَرْيُون [1] كأنَّهنَّ مَداهِنُ عَسْجَد ، على سواعدِ زَبَرْجَد .

قد ضُمِّخت أوساطُها بغَالية ، وسَماواتُها [2] من ذاكَ خالية .

وسُوسان [3] كبياضِ السَّوالف ، أو جِيادِ الوصائف .

وتَرْنُجان [4] كأنَّها وشْمٌ على زُنود ، أو بِساطُ سُنْدُسٍ مَمْدود .

ومَرْدَقُوش [5] كأنَّما مَفْروقُهُ آذانُ خُرَّد [6] ، ومجموعُهُ صَرْحٌ من الزُّمُرُّد مُمَرَّد .

ورَيْحان يَعُدُّه النديمُ ليوم الفَراغ ، ويحكيه الحبيبُ بسلاسِلِ الأصْداغ .

وقَرَنْفُل كأنَّما توقَّد بالجَمْر ، وانْعقَد من الخَمْر .

على مَكاحِل خُضرٍ معشوقة ، وسواعدَ صُفْرٍ ممشوقة .

وسُنْبُل [7] لا زَوَرْدِيّ الأديم ، عَنْبَرِيّ الشَّميم .

تخالُه بأكُفِّ الولائد ، كأنَّه شُنوفٌ علِقتْ إلى مَراوِد .

وبادورد ، تَسَمَّى برائحة العَنْبَر والوَرْد .

كأنَّه هالَةُ البدرِ في القِياس ، أو شَمْسَة [8] تَفَكَّكَت [9] من الألماس .

---

(١) في ا ، ج : « وآذريونه » ، والمثبت في : ب .
والآذريون : نور أصفر ، معرب آذركون ، أي لون النار . شفاء الغليل ١٢ .

(٢) في ب : « وسماواتها » ، والمثبت في : ا ، ج .
والسماوة : سقف كل شيء . القاموس (س م و) .

(٣) قال الشهاب الخفاجي ، في شفاء الغليل ١٢٣ : « سوسن ، بالضم : زهر معروف ، ووقع في كلام بعض المولدين سوسان بالألف ، ولم أره » .

(٤) في ا ، ج : « وترنجانه » ، والمثبت في : ب .
والترنجان : اسم نوع من الريحان ، عامي مولد . شفاء الغليل ٦٥ .

(٥) في ج : « ومردقوشه » ، والمثبت في : ا ، ب .
والمردقوش : الزعفران ، أو نبت آخر طيب الرائحة . شفاء الغليل ٢٠٧ ، وانظر الصحاح ٣/١٠١٩ .

(٦) في ا : « جرد » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٧) سنبل ، كقنفذ : نبات طيب الرائحة ، ويسمى سنبل العصافير ، أجوده السوري ، وأضعفه الهندي . القاموس (س ن ب ل) .

(٨) في ا : « شمسته » ، والمثبت في : ب ، ج .
والشمس : ضرب من القلائد . القاموس (ش م س) .

(٩) ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب .

والطيرُ جذلانُ مبتهج ، بين فردٍ ومزدوج .

قد صدَح ومرَح ، وغنّى بكل مقترَح .

فمن عندليب قد أخذ من الغرام بنصيب ، وحرّك نوازعَ الحبّ [1] الحبيب .

كأنما رُقّش [2] بحُوّة [3] الَلعَس ، أو قدْ طُوّق من أديم الغلَس .

ومن شُحْرور ، قد أعلن بالسرور ، وترنّم خلف الستور .

ثم برز للمناغاة كل أورق صدوح ، كأنه راهب في مُسوح [4] .

وقد صيغَتْ من الأبنوس قوائمُه ، وصُبغت بعصارة المرجان ملاثمه .

ومن مُطوَّق قد حنّ إلى إلفه وتشوّق ، وترسّل بالأغاريد وتنوّق .

ومن قُمريّ راح يقهقه بترجيعه ، ويحكي إبريقَ المدام عند سَكْبِ نجيعه .

ومن ساجعة ، ذات غُنّة متراجعة .

معشوقة التفويف ، مُغلّمة الرمَل والخفيف .

يندَى بمرتحل الوَذاذ عاتقها ، وفي أحشائها زفرة من الشوق لا تفارقها .

ومن ساقِ حُرّ [5] كأنما اكتحل بِسَار الجوانح ، وبرز على منصّة المُناوح [6]

لكل مُطارِح .

جوارٍ على قُضْبِ الأراكِ تنوّحتْ وما هي إلا للقلوب جوارحُ

وإذا بولدان كأنهن شوارد آرام ، أو بدور تمام ، يتطلعن من فروج الغمام .

---

(١) في ب : « الحب » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٢) في ا : « نقش » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٣) في ب : « حُودة » ، والمثبت في : ا ، ج .

والحوة : سواد إلى الخضرة ، أو حمرة إلى السواد . القاموس (ح و ى) .

(٤) في ا ، ج : « مسطوح » ، والمثبت في : ب . (٥) ساق حر : ذكر القماري ؛ لأن حكاية صوته ساق حر . القاموس (س و ق) . (٦) في ا : « النواح » ، والمثبت في : ب ، ج .

من كل ذي طَرْف مَنْهوكِ [١] النَّظر ، بادِي الفُتور والحَوَر .

بمُحيًّا وسيمٍ يَندَى بمائه ، قد أطلَع فيه النعيمُ آيةَ رُوائِه .

وجِيدٍ ممشوقِ الغَيَد ، على قوامٍ رهيفِ التَّثنِّي والمَيَد .

كأنه الغصنُ يمرَح في بُرْدِه ، والصبحُ ينْساخ نورُه من طَوْقه [٢] وعِقْدِه .

قد رفعوا سُجوفَ التكلُّف ، وهصَروا بأغصان التألُّف .

وعلى يدِ كلِّ واحدٍ كأسُ مُدامٍ ، وإبْريقٌ منْزوعُ الفِدام [٣] .

وهما يتعاقران السُّلاف على روضٍ وغَديرٍ ، وسماعِ بَمٍّ [٤] وزِيرٍ .

حتى مرَج [٥] الدَّوْحَ بهم واضطرب [٦] ، وجرت الأكوابُ على الحَبَب .

فبينما أنا متعجِّب من هذه الآثار العبقريَّة ، ومتأمِّل في هذه المحاسن الربيعيَّة .

وإذا بالفكر قد رفع الحجاب مُنشِداً ، وإلى وجهِ الطرب مرشداً .

فقال :

إليك نزعَـــةَ آدابٍ يروقُ بها ... طــيرُ الفصاحةِ إيناساً وتطريبا [٧]

لا تعجَــلِ اللومَ فيه واستشِفَّ لها ... معنًى يرِفُّ ويندَى يَمْنَــةً طِيبا

وربَّمـــا أفصحتْ من بعدِ عُجْمتِها ... وعاد ترجيعُهـــا مَدْحاً وتشبيبا

فعــادَ سَمْعُكَ مِندمِسَ القريضِ بها ... فليس يأْلُــوكَ إبْداعاً وتهذيبا

فحيث ما جُلْتَ تلقَى روضَـــةً أُنُقاً ... منها ومســـكاً على الأرجاء مَنْهوبا

---

(١) في ب : « مبتوك » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « طرفه » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) الفدام : شيء تشده العجم والمجوس على أفواهها عند السقي . القاموس (ف د م) .

(٤) البم : الوتر الغليظ من أوتار المزهر . القاموس (ب م م) .

والزير : الدقيق من الأوتار أو أحدها . القاموس (ز و ر) .

(٥) في ب : « مرح » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٦) في ب ، ج : « وأطرب » ، والمثبت في : ا .

(٧) في ا : « نزغة آداب » ، والمثبت في : ب ، ج .

ومُـــترَفًا لم يزل بالدَّلِّ مُنتطِقًا ... بالظَّرفِ مُتَّشِحًا بالحسنِ مَعْصوبا [١]

من حيث لا روضةٌ عند العيانِ ترى ... فيها ولا مُسْمِعًا يشـدُو ولا كُوبا

وإنمـا هو تمويهٌ على نَسَقٍ ... تخــاله شاربًا للذهنِ مشروبا

والشعرُ ضربٌ من التصويرِ قد سلكتْ ... فيه القرائحُ تدريجــا وترتيبا

فالروضُ روضُ السجايا طاب منبتُها ... والزهرُ زهرُ الثنا تُهديه مرغوبا

والكأسُ كأسُ الودادِ المحضِ مُرتَشَفًا ... والحسنُ حسنُ الوفا تلقاه محبوبا [٢]

والطيرُ طيرُ بيـــانٍ ظلَّ مُغتردًا ... طوبى لمن بات يقري سمعَه طوبى [٣]

والسجعُ طيبُ حديثٍ ظلَّ جوهرُه ... بين الأخــلاء منثورًا وموهوبا

وتلك أوصافُ مَن طابتْ مَـكاسِرُه ... ومن غدا جوهرًا للفضلِ منخوبا [٤]

أعني به حمزةَ الراقي إلى شرفٍ ... يرى به كوكبَ الجوزاء محجوبا [٥]

من راح مُنتدِبًا للفضــل يجمعه ... والعُرْفُ يصنعه بدءا وتثويبا

والمَكرُمات غدتْ في طبعه خلقًا ... ونحلةُ الودِّ دأبًا منه مَدْؤوبا

إليك يا مَوئلَ الآدابِ غانيـــة ... تُهدي ثناءً كأنفاسِ الربى طيبا [٦]

زُفّتْ بمَيْشِك سمـــعَ الودِّ منك بها ... وأولها بجميـــلِ القولِ ترحيبا

***

وقوله في تشبيه الياسمين : « أو صاحبان » إلخ ، من قول ابن قُرْنَاص [٧] :

---

(١) في ا : « بالحسن معصوبا » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٢) في ب : « كأس مدام المحض » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) مكان « سمعه » بياض في : ا ، والمثبت في : ب ، ج .

(٤) في ا : « طابت مكارمه » ، والمثبت في : ب ، ج .
والمكسر : الخبر ، والأصل .

(٥) في ب : « محبوبا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ا : « إليك يا مؤنس الآداب » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٧) أبو إسحاق مخلص الدين إبراهيم بن محمد بن هبة الله الخزاعي ، الحموي ، ابن قرناص .

انْظُرْ إلى خَيْمةٍ وقد نُصِبَتْ خضراءَ عند الصَّباح مُبْيضَّهْ
كأنّها قُبّةٌ لِراهبـــــــةٍ وقد كستْها صُلْبانُ من فِضَّهْ

* * *

ومن التّشابيهِ في البَنَفْسج قوله :

بَنَفْسَجٌ بذَكِيِّ المسك مخصوصُ كَخَدِّ أغْيَدَ بالتّخْميش مقروصُ

* * *

(١ وقال آخر ١) : بنفسَجٌ كآثار العَضّ ، في البدَن الغَضّ .

وقوله : « وشقيق ، كأنه أقداح العقيق » إلخ ، هذا نقل فيه تشبيه الأذَرْيُونة[٢] من بيت قيل فيها ، وهو[٣] :

وحَوْلَ آذَرْيُونةٍ فوق أُذْنِه ككأسِ عَتيقٍ في قرارتِه مِسْكُ

وضمير « حول » يرجع إلى المحبوب .

والأذَرْيُون : نَوْر أصفر ، معرّب آذركون[٤] ، أي لون النار . والعرب[٥] كانت تجعله خلف أذنها تيمُّنا .

وأصله أنّ أرْدشير ابن بابَك ، كان يوماً بقصْره ، فرآه فأعجبه ، ونزل لأخْذه فسقط قصره ، فتيمَّن به .

وهو نَوْر خريفيّ ، يَمُدّ ويَقْصُر .

= أديب فاضل ، له اليد الطولى في النظم .
توفي بحماة ، سنة إحدى وسبعين وستمائة .
النجوم الزاهرة ٧/٢٣٨ .

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٢) في ب : « الأذريون » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٣) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .
(٤) في ا : « آذركوه » ، وفي ج : « آذركونه » ، والمثبت في ب ، وهو موافق لما في شفاء الغليل ١٢ ، والنقل عنه ، كما سيأتي .
(٥) كذا جاء في الأصول ، وفي شفاء الغليل : « والفرس » .

قاله الشهاب ، في « شفاء الغليل » .

وقال غيره : هو ورد مُدَوَّر [١] له أوراق [١] حُمْر ، في وسطه سواد ، له نُتوء، وارْتفاع ، فيُشبَّه بكأس عقيق كالأول [٢] ، وقد يكون أصفر ، وعليه قوله [٣] الآخر:

وآذَرْيون كأنَّهن مداهنُ عسْجد ، على سواعد زَبَرْجَد . إلخ

وهذا حلُّ الأبيات لابن المُعْتَزّ [٤] :

سَقْيًا لروضاتٍ لنـــا ... من كلِّ نَوْرٍ حاليهْ

عيونُ آذَرْيونِهـــا ... الشَّمسِ فيهـا كاليهْ [٥]

مداهنٌ من ذهبٍ ... فيهـــا بقايا غاليهْ

والمداهن جمع مُدْهُن .

قال الجَوْهَرِيّ [٦] : المُدْهُن ، بالضم لا غير : قارورة الدُّهْن ، وهو أحد ما جاء على مُفْعُل ، مما يستعمل من الأدوات ، والجمع المداهن .

ومعنى كَلاءة عيون الآذَرْيون للشمس ، أنها تستقبلها وتدور معها حيث دارت .

وقوله : « سنبل لازوردى الأديم » ، وقد استعمل هذا التشبيه في مَقْطوع له مشهور ، يقول فيه [٧] :

أصْبح السُّنْبلُ الجَنِيُّ لدينا ... فوق سُوق فيها النَّدَى يتردَّدْ [٨]

---

(١) في ا : « أوراقه » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٢) ساقط من : ب ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) في الأصول : « قول » ، ولعل الصواب ما أثبته ، فقد تقدم هذا القول له ، في صفحة ٣٧ .

(٤) هكذا نسب الشهابي هذه الأبيات إلى ابن المعتز ، والبيتان الثاني والثالث في شفاء الغليل ١٢ لابن الرومي ، ولم أجد شيئا من ذلك في ديوان ابن المعتز المطبوع ، وكذلك في ديوان ابن الرومي المطبوع ، والبيت الثالث غير منسوب في تلخيص الخطيب القزويني المفتاح . شروح التلخيص ٣ / ٨ ، ٤ .

(٥) في شفاء الغليل :

كأن آذَرْيونَهـــا ... والشمسُ فيه كاليهْ

(٦) الصحاح ٥ / ٢١١٦ .   (٧) البيان في تراجم بعض أعيان دمشق ١٩ .

(٨) في تراجم بعض أعيان دمشق : « السنبل العجيب » .

كشُنوفٍ لطُفْنَ من لازَوَرْدٍ   عُلِّقتْ فى مَراوِدٍ من زَبَرْجَدْ

＊＊＊

وله فى السُّنْبُل أيضا :

وسُنْبُلٍ وافَى على سُوقِهِ   غِبَّ الحَيَا فى زُرْقَةٍ لا تُحَدّ

مَكْفُوفةِ الحافاتِ زَهْراتُهُ   مَدْرُوبةِ الأوراقِ فى كلِّ حَدّ [1]

كأنَّما تَمْقِيف أطرافِها   مَحاجِنٌ صِيغتْ من اللّازَوَرْدْ

＊＊＊

وله أيضا فيه :

يا حُسْنَه من سُنْبُلٍ ناصعٍ   يَبْدو لنا فى قائمٍ أخضَرِ

كأنَّه من حَوْلِ زَهْراتِهِ   زَرافِنٌ صُفَّتْ من العَنْبَرِ [2]

＊＊＊

ومن تشابيهه النادرة ، قوله فى الورد [3] :

وأقبلَ الوردُ من بُرْعُومِه خَجِلاً   يُبْدِى لنا فوق رَيَّا نَشْرِه العَبِقِ [4]

دراهمًا من يواقيتٍ على قُضُبٍ   تراكَمتْ تحت دِينارٍ على طَبَقِ

وقد أحاطتْ لِرَقْصِ الدُّمْقُبُنْدِ بِها   من الزَّبَرْجَدِ حِيتانٌ من الوَرَقِ

＊＊＊

البُرْعوم ، والبُرْعُم ، والبُرْعُمة والبُرْعُومة ، بضمِّهن : زهرة الشجرة قبل أن تتفتح.

---

(١) فى ج : « مكفوفة الحافات . . . مدروزة الأوراق » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وذرب السيف : كان حادا .

(٢) الزرفين ، بالضم والكسر : حلقة الباب ، وقد زرفن صدغيه ، جعلهما كالزرفين . القاموس (ز ر ف ن) .   (٣) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٨ .   (٤) فى ا : « من برغوصه خجلا » ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « من برغومه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وفى ا : « يبدى لنا فرق ريا نشرها العبق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

ورقص المستبند : معروف للعجم ، يأخذ بعضهم بيد بعض ، يقال له الفَنْزج [١] ، بفتح الفاء .

ولقد أتى بأبدع مايُستعذَب ويُستغرَب .

ومنزعـه في هـذا مافي كتاب « ازدهار [٢] الأزهار » الشقائق [٣] ، حيث أنشد فيه [٤] :

وقد فتح الوردُ جُنْبُـــذاً بَهِجاً ‏ ‏ يكاد منه الدينارُ ينْسبِكْ [٥]

عقيقُ أوراقِهــا على ذهبٍ ‏ ‏ يَحْمله من زَبَرْجَـــدٍ سَمَكْ [٦]

قال : لم أسمعْ في زرّ الورد الأخضر ، الحاوى للزهر الأحمر ، أبدعَ من هـذا التشبيه [٧] ، بل لم أسمع فيـه شيئاً البتّة غيره [٧] ، وهو من بدائـع التشْبيهات ، وروائع التَّوْجيهات ، التي يطرَب عليها [٨] الأديب ، ويهتزّ لها العاقل الأريب .

وقد أغار عليه الأمير طاهر [٩] ، فقال [١٠] :

انْظُرْ إلى الورد تحـــت خُضْرته ‏ ‏ كأنه ‏ ‏ مَخْـــدُ ‏ ‏ الموَرَّدْ

(١) في أصول النفحة : « الفنزج » ، والتصويب من المعرب ٢٣٧ ، و الألفاظ الفارسية ٦٣ ، وشفاء الغليل ١٦٨ ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « الفنزج » . (٢) في أصول النفحة : « ازدهاء » ، وما أثبته في تراجم بعض أعيان دمشق ١٩ . (٣) ا : «الشقائق» ، وفي ب : «الشقائق» ، والمثبت في : ج ، ولم أعرفه . (٤) البيتان والنقل بعدهما في تراجم بعض أعيان دمشق ١٩ ، وقد ذكرهما ابن شاشو تعقيبا على البيتين السابقين في قافية الدال ، وهما المبدوءان بقوله : « أصبح السائل .. » ، حيث قال : « وما أخذه ما رأيته منقولا من ازدهار الأزهار لبعضهم » .

(٥) الجنبذ : كالجلنار من الرمان . القاموس (ج ن ب ذ) . (٦) في تراجم بعض أعيان دمشق : « عقيق أوراقه » . (٧) ساقط من : تراجم بعض أعيان دمشق . (٨) في تراجم بعض أعيان دمشق : « لها » .

(٩) لعله يعني طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، الذي أيّد دعائم ملك المأمون .
كان أديبا ، حكيما ، شجاعا .
توفي سنة سبع بعد المائتين .
تاريخ بغداد ٩/٣٥٣ ، وفيات الأعيان ٢/٢٠١ . (١٠) نسب ابن شاشو ، في تراجم بعض أعيان دمشق ١٩ هذين البيتين إلى الأمير منجك ، ولم أعثر عليهما في ديوانه .

مِن حولِهِ ورَقٌ كحيتانٍ خُلِقْنَ من الزَّبَرْجَدْ

***

ومما يُستَبدع ويُستظرف، قوله فى تشبيه المُضَعَّف[1] :

ونَرْجِسُ الروضِ قــد حَيَّى بمُضْعَفِهِ في أصفرٍ فاقعٍ مع أبيَضٍ يَقَقِ[2]

كأنه وهْـــــــو في قُضْبٍ مُنعَّمةٍ يُلْقِى النسيمُ عليها نفسَ مُعتنِقِ[3]

أمْشاطُ دُرٍّ من الإبْريزِ في جُمَمٍ جُعْــدٍ فما بين مجموعٍ ومُفْترِقِ[4]

***

الجمم : جمع جُمَّة ، وهى من الإنسان مُجْتمَع شعر ناصيتِه .

***

وقوله فى تشبيه الياسَمين[5] :

وأطْلَعَ الياسَمينُ الغضُّ حين بدا دُرًّا يفُوح بنَشْرٍ منــه مُنْفَتِقِ[6]

كرَوْبَجاتٍ صغارٍ سال فى نَمَعٍ من أُفْقِها ذائبُ الياقوتِ فى الشَّفَقِ[7]

***

وقوله فى الزهر المعروف بالعنبر[8] بوى ، ومعناه رائحة العَنْبَر[8] :

وذِى قامةٍ فى الزَّهْرِ تنْدَى غَضارةً بدَا فاختَنَى اللونِ من عَنْبَرِ الشِّحْرِ[9]

---

(١) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٧ . (٢) أبيض يقق : شديد البياض . القاموس (ى ق ق) .

(٣) فى ب : « نفس معتبق » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٤) فى ا : « ابرازدر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٥) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ١٧ . (٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « أبدى لنا الياسمين الغض حين بدا » .

(٧) الروبج : الدرهم الصغير الخفيف . القاموس (ر ب ج) .
وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « كزوبجات » ، وهو خطأ .

(٨) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب (٩) الشحر : صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، بين عدن وعمان . ينسب إليــه العنبر الشحرى . معجم البلدان ٣/٢٦٣ .

لهُ جمُّ زُغْبٌ تَشَكَّلَتْ حولَهـــا ... من الزَّهْرِ إفْرِيزٌ كأجْرِبة العِطْرِ
تَكَوَّنَ لطفًا فوق زِرٍّ زَبَرْجَدٍ ... تَكَتَّبَ بالألْماسِ سَطْرًا على سطرِ

* * *

وقوله فى الأبيض منه :

وذِى هالةٍ فى الزهر أبْيَضَ ناصعٍ ... تَكَوَّنَ للمَشْيِ من العَنْبَرِ الوَرْدِ
يَرُوقُكَ هُدَّابٌ به راحَ أشْيَبًا ... تَدَثَّرَ فى زِرٍّ كَبارِزةِ الهُنْدِ[1]
أحاطَتْ به الزهرُ فى زِيِّ دارةٍ ... ظُروفٌ من الـكافورِ مَثْنُونةُ الزَّنْدِ[2]

* * *

وقوله فى الزهر المعروف بحَلَقَة المحبوب :

وزهرٍ كأمْثالِ الشُّنوفِ لَطافةً ... تَداخَلَ من أجزائه البعضُ فى البعضِ[3]
لقد أحْكَمَتْ إبْرامَها المُزْنُ خِلْقَةً ... لَدَيْنا وأعطَتْه أمانًا من النَّقْضِ

* * *

ونقلتُ عنه ، قال : أنشدنى العلامة شيخ وحده المرحوم أبو العباس أحمد المَقَّرِيّ المَغْرِبِي[4] ، فى [5] كتابه « أزهار الرياض فى أخبار عياض »[6] فى جملة ما أورده من شعر ابن زَمْرَك الأندلسيّ[7] ، فى[5] كتاب ذكر أنه من تآليف بعض سلاطين

---

(١) فى ب : « يروقك أهداب » ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى الأصول: « كبارزة الهند » ، ولعل الصواب : « كبارزة النهد » .   (٢) فى ا ، ج : « مبثوثة الزند » ، والمثبت فى : ب .

(٣) فى ب : « تداخل فى أجزائه » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٤) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ١١٣ .   (٥) ساقط من: ا، وهو فى : ب ، ج . وخلاصة الأثر ٢ / ٣٩٣ ، ونقل فيه أيضا هذا الخبر فى صفحتى ٣٩٣ ، ٣٩٤ .   (٦) أزهار الرياض ٢ / ١١ .

(٧) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الصريحى الأندلسى ، المعروف بابن زمرك .

ولد بغرناطة ، ونشأ بها ، وتلمذ للسان الدين بن الخطيب وغيره ، فبرع فى الكتابة والشعر . ترقت به الأمور حتى صار كاتم سر الغنى بالله محمد بن يوسف ، صاحب غرناطة ، والمتصرف برسائله وحجابته .

قتل نحو سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .

الإحاطة ٢ / ٢٢١ — ٢٤٠ ، أزهار الرياض ٢ / ٧ — ٢٠٦ ، الدرر الكامنة ٥ / ٧٨ .

تِلِمسان [١] بَنِى الأحمر ، وهو حفيد ابْن الأحمر المخلوع [٢] ، سلطان الأندلس ، الذى كتب إليه ابن زَمْرَك المذكور ، بعد ابن الخطيب [٣] .

قال : وهو سِفْر ضخم ، سماه بـ « البقيّة [٤] والمدرَك من شعر [٥] ابن زَمْرَك » ليس فيه إلا نظمه فقط [٦] .

---

(١) تلمسان وتنمسان : مدينتان بالمغرب متجاورتان مسورتان ، بينهما رمية حجر ، إحداهما قديمة والأخرى حديثة ، واسم الحديثة أقادير . معجم البلدان ١ / ٨٧١ .

وأقادير هي التي تعرف اليوم بأغادير ، المدينة التي وقع بها الزلزال المشهور .

(٢) ابن الأحمر المخلوع هو الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل .

ثامن ملوك دولة بني نصر بن الأحمر بالأندلس .

وعرف بالمخلوع ؛ لأن أخاه إسماعيل استمال إليه جماعة من أهل غرناطة ، فنادوا بدعوته ، وخلعوا الغني ، ففر إلى تونس ، سنة إحدى وستين وسبعمائة ، ثم سنحت له الفرصة ، سنة ثلاث وستين وسبعمائة فعاد إلى غرناطة ، ووطد بها دعائم ملكه .

توفى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .

الإحاطة ٢ / ٢ — ٥٩ ، أزهار الرياض ١ / ١٩٤ — ٢٠٤ ، الدرر الكامنة ٥ / ٦٣ .

أما حفيده الذى لم يسمه المقرى ، فهو أبو الوليد إسماعيل بن يوسف ، المؤرخ الأديب .

صاحب « نثر الجمان فى شعر من نظمنى وإياه الزمان » .

فقد ذكر المقرى فى نفح الطيب ٧ / ١٩٩ نقلا عن حفيد ابن الأحمر المخلوع ، فى الجموع الذى ذكر فيه شعر ابن زمرك ، أن الأخير استعطف والده السلطان أبا الحجاج بأبيات ، وهو ما يقطع بأن الحفيد إنما هو إسماعيل بن يوسف .

توفى أبو الوليد سنة سبع وثمانمائة .

جذوة الاقتباس ٩٩ .

(٣) أبو عبدالله محمد بن عبدالله ، لسان الدين بن الخطيب .

ولد بغرناطة ، ونشأ بها ، وبرع فى الأدب ، وارتقت أحواله ، فستوزره أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل صاحب غرناطة ، ثم وزر لولده الغني بالله محمد من بعده .

ولسان الدين مؤرخ جليل ، ووزير نبيل .

خنق فى سجنه ، سنة ست وسبعين وسبعمائة .

الدرر الكامنة ٤ / ٨٨ ، نفح الطيب ، القسم الثانى منه .

(٤) فى ب : « سماه بالبعية » ، وفى ج : « سماه البغية » ، والصواب فى ا ، وخلاصة الأثر ، وأزهار الرياض ٢ / ١١ ، وقد عاد المقرى فأكد هذه التسمية حين شرحها بقوله — نقلا عن ابن الأحمر الحفيد — : « أما البقية فما بقى بعد هلاكه ، وتخطته الحوادث وشح الدهر بإمساكه ؛ والمدرك لأجل ما تركه فى مبيضاته ، ولم يخرجه فى حياته » . أزهار الرياض ٢ / ٢١ .

(٥) فى أزهار الرياض ٢ / ١١ : « كلام » . (٦) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وأزهار الرياض .

فقال [١] : ومن وصفه فى زهر القَرَنْفُل الصَّعْب الاجْتنا بجبال الفتح ، وقد وقَع له مولانا الغنىّ [٢] بالله بذلك ، فارْتجل قطعا .

منها :

أتَوْنى بنُوَّارٍ يرُوق نَضارةً كخَدِّ الذى أهْوَى وطِيبِ تنفُّسِهْ
وجاءوا به من شاهِقٍ مُتمنِّعٍ تمنُّعَ ذاك الظَّبْىِ فى ظلِّ مَكْنَسِهْ
رعَى اللهُ منه عاشقاً مُتقنِّعاً بزَهْرٍ حكَى فى الحُسْن خدَّ مؤنِّسِهْ [٣]
وإن هبَّ خفّاقُ النَّسِيم بنفْحةٍ حكَى عَرْفَه طِيبا قضَى بتأنُّسِهْ [٤]

* * *

قال [٥] : وكنتُ من إعمال الفكر فى عدة تماثيل ، [٦] أصِف فيها ماتَسكون من هذا [٦] الزهر على حالة تحشر لها النفس بتحْريك نازِع الاقْتدار ؛ ويصرف عنها الخاطر إكباراً [٧] لأن [٨] أكون فاتح هذا الباب من غير وطئة [٩] ثابتة فى اسمه ومقتضاه ، حتى رأيت فى ذكر مَعْزاه ماترى ، فقلت فيه عدة مقاطيع .

منها [١٠] :

وجَنِيٍّ من القَرَنْفُل يُبْدِى لك عَرْفاً من نَشْره بابْتسامِ
فوق سُوقٍ كأنها من أبارِيـ ـقِ الحُمَيَّا مَساكِبُ المُدامِ [١١]

---

(١) أزهار الرياض ٢/٣٩ ، ونفح الطيب أيضا ١٠/٣٢ ، ٣٨ . (٢) فى الأصول : « المغنى » . وفى خلاصة الأثر : « المستعين » ، وكل ذلك خطأ . (٣) فى ا : « عاشقا متمنعا » . وفى ب : « عاشقا متفتقا » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر ، وأزهار الرياض ، ونفح الطيب .

(٤) سقطت « قضى » من : ا ، وهى فى : ب ، ج ، وأزهار الرياض ، ونفح الطيب ، وفى خلاصة الأثر : « يفى بتأنسه » . (٥) أى المترجم . (٦) فى ب : « أصف فيها تسكون هذا » ، وفى ج : « أصف بها تسكون من هذا » ، والمثبت فى : ا ، وفى خلاصة الأثر : « أصفه بما تسكون من هذا » .

(٧) ساقط من : ب ، وفى ج : « إكبار » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر . (٨) فى ب ، ج : « إلا أن » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر . (٩) فى ب : « وطئه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (١٠) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٣٩٤ . (١١) فى الأصول : « مساكبا » ، والتصويب من خلاصة الأثر .

وسَّدَتْ فوقها السُّقاةُ خدوداً   داميات منها مكان المُدامِ (١)

* * *

ومنها (٢) :

قم بنا يانديمُ فالطيرُ غرَّدْ   لمُدامٍ كؤوسُه تتوقَّدْ
فلدينا قَرَنْفُلٌ قد نَماهُ   جبلُ الفتحِ نشْرُه قد تصعَّدْ
بين سُوقٍ عُوجِ الرِّقاب لِطافٍ   شَمِرات من لِينِها تتجعَّدْ (٣)

* * *

ومنها (٤) :

أهْدَى لنا الروضُ من قَرَنْفُلِهِ   عبيرَ مسْكٍ لديه مفْتوتِ
كأنما سُوقُه وما حملتْ   من حسنِ زَهْرٍ بالطِّيبِ منْعوتِ
صَوالجٌ من زَبَرْجَدٍ خرطتْ   لها الفوادِي كُراتِ ياقوتِ (٥)

* * *

ومنها (٦) :

أرى زهرَ القَرَنْفُلِ قد حَكَتْهُ   قُدودٌ تَرْجَحِنُّ به قيامُ
أخالُ لَوَانَّها أعناقُ طيرٍ   نهضْنَ به لقلتُ هي النَّعامُ (٧)
توقَّد زَهْرُه جمْراً لدينا   وتلك لها من الجمْرِ التِقامُ

* * *

---

(١) في ا ، ج : « وشدت فوقها السقاة » ، والمثبت في : ب ، وخلاصة الأثر .
(٢) خلاصة الأثر ٢ / ٣٩٤ .
(٣) في ب : « ثمرات من لينها » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٤) خلاصة الأثر ٢ / ٣٩٤ .   (٥) في ب : « لها الفوادى » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٦) خلاصة الأثر ٢ / ٣٩٤ .   (٧) في ب : « أخال بأنها » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

ومنها في الأبيض منه من أبيات (١) :

مَاتَرَى نَاصِعَ القَرَنْفُلِ وَافَى ... بِتَحَايَا الشَّمِيمِ بَيْنَ الزُّهُورِ

قُضُبٌ مِن زَبَرْجَدٍ حَامِلَاتٌ ... قِطَعاً فُكِّكَتْ مِنَ الكَافُورِ

* * *

هذا ما وجدتُه منقولا عنه .

ورأيت في أشعار بعض المتأخِّرين ممَّن تقدمَ تشبيهَ هذا الزهر .

فممَّن استعمله ممَّن أدركتُه أبو مُفْلح البَيْلونيّ الحلبيّ (٢) ، في مقصورة له (٣) ، (٤ حيث قال ٤) :

قَرَنْفُلُ الرَّوْضِ شِفَاهٌ ضَمَّهَا ... لَعْساً لِكَيْ يَلْثَمَ نَاشِقاً دَنَا

* * *

واستعمله قبله الكمال محمد بن أبي اللطف المقدسيّ، المتوفَّى (٥) سنة ثلاث وثلاثين وألف في قوله (٦) :

حَكَى القَرَنْفُلُ مُحْمَرّاً عَلَى قُضُبٍ ... خُضْرٍ لَهَا صَارَ بِالتَّفْضِيلِ مَنْعُوتَا

كَفّاً عَلَى مِعْصَمٍ نَقْشٌ بِهِ خَضِرٌ ... غَدَا لَهُ كَافِرُ العُذَّالِ مَبْهُوتَا (٧)

---

(١) خلاصة الأثر ٢/٣٩٤ .

(٢) سيترجمه المؤلف، في الباب الثاني، ضمن هذا الجزء، برقم ١١٢ . (٣) زاد المؤلف في خلاصة الأثر ٢/٣٩٤ : « مقدمة التاريخ » . (٤) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج وخلاصة الأثر .

(٥) كمال الدين هو محمد بن عبد الحق بن أبي اللطف القدسي ، الحنفي .

كان فاضلا ، ظريفا ، رقيق الحاشية .

وكان كثير الأسفار ، رحل إلى القاهرة وأقام بها سنين عديدة ، واشتغل على علمائها ، وبرع ، ثم سافر إلى الروم ، وطلب تدريس المدرسة العثمانية بالقدس، فوجهت إليه ، ومرض في طريقه من الروم إلى بيت المقدس ، وتوفي بها ثاني يوم وصل إليها ، عن ستين سنة .

خلاصة الأثر ٣/٤٨٢ .

(٦) خلاصة الأثر ٢/٣٩٤ ، ٣٩٥ . (٧) في ا : « كفي على معصم » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

أَبْدَتْهُ خَوْدٌ وقد ضَمَّتْ أناملَها كأساً تُشعِرُ لُطفاً صِيغَ ياقوتا [1]

* * *

والذى حاز فى تشبيهه قصبَ السَّبْق ، [2] فيما أعلم [2] ، الشهاب بن خَلُوف [3] الأندلسِىّ ، أحد المشاهير المُجيدين ، حيث قال ، من قصيدة [4] :

وللقَرَنفُل راحاتٌ مُخضَّبةٌ على معاصمِ خُضْرٍ فتنةِ الرَّائى

كأنجُمٍ من عقيقٍ فى ذُرَا فلكٍ من الزُّجاج أَرَتْ أشطان لألاءِ [5]

* * *

وكان السيد المترجَم لما أنشأ هذه المقاطيع التى تقدَّمت اشتهر أمرُها ، فحذَا حذْوَه فى بابها جماعةٌ من أدباء الشام ، ونظموا فيه تشابيه متنوِّعة .

فمنهم الأمير مَنْجَك [6] ، حيث قال [7] :

قَرَنفُلُنا العطرىُّ لوناً كأنَّه رُءُوسُ العذارى ضُمِّختْ بعبيرِ

مداهنُ ياقوت بأعلى زَبَرجَدٍ لقد أُحكِمتْ صُنْعاً بأمرِ قديرِ

* * *

ومنهم شيخنا المُهَمَّنْدارىّ [8] المفتى ، حيث قال [9] :

قَرَنفُلٌ فى الرياضِ هيئتُه تحكى وقد مَدَّ للسحابِ يدَا

---

(١) فى ا ، ج : « كأس تشعر » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

(٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ٢/٣٩٥ . (٣) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ٣٦ . (٤) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٣٩٥ . (٥) فى ب : « شيطان لألاء » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ١٣٦ ، برقم ٧ . (٧) خلاصة الأثر ٢/٣٩٥ ، ولم أجد البيتين فى ديوانه .

(٨) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٥٦٠ ، برقم ٥٥ .

(٩) خلاصة الأثر ٢/٣٩٥ .

فَوَّارةً من زَبَرْجَدٍ فتَقَتْ ... ففار منها العقيقُ والْجَمَدا

* * *

وقال أيضا [١] :

هذا الْقَرَنْفُل قد بدَا ... في لونِه الثانِي تَجَمُّدْ [٢]

فكأن مَرْآةَ الأنِيـ ... ـقَ لدَى الرياضِ إذا تَنهَّدْ

قِطَعُ العقيقِ تناثرتْ ... فتخطَّفَتْه يدُ الزَّبَرْجَدْ

* * *

ومنهم شيخُنا عبد الغنيّ النَّابُلُسِيّ [٣] ، في قوله [٤] :

كأن قَرَنْفُلاً في الروضِ يَسْبِي ... شذَا رَيَّاه مُنتشِقَ الأنُوفِ

سواعِدُ من زَبَرْجَدَ قائماتٌ ... بلا بدَنٍ مُخضَّبَةُ الكفوفِ

* * *

وقوله [٤] :

قم يانَدِيمِى لداعِي اللَّهْوِ مُنشرِحاً ... فقد ترَنَّمتِ الوَرْقاء في الورقِ

وانظُرْ إلى حسنِ باقاتِ القَرَنْفُلِ ما ... بين الرُّبَى نفحتْ كالمَنْدَلِ العَبِقِ

أطْفَى النسيمُ لهيباً من مشاعِلِها ... في ظُلْمَةِ الروضِ حتى جمرُهنَّ بَقِي [٥]

* * *

وقوله [٦] :

بين الحدائقِ أعْطافُ القَرَنْفُلِ في ... زَهْرٍ بريحِ الصَّبا الزَّاكِي وتَمْثيلِ [٧]

---

(١) خلاصة الأثر ٢/٣٩٥ . (٢) في ا ، وخلاصة الأثر : « الثاني يحمد » ، وفي ج : « الثاني يحمد » ، والمثبت في : ب .

(٣) سيترجمه المؤلف ، في هذا الفصل ، وسيأتي برقم ٧٢ .

(٤) خلاصة الأثر ٢/٣٩٥ . (٥) في ا : « في ظلمة الروض » ، وفي ب : « في جمرة الروض » ، والمثبت في : ج ، وخلاصة الأثر .

وفي ب ، ج : « حتى جمرهن نقى » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر .

(٦) خلاصة الأثر ٢/٣٩٥ . (٧) في خلاصة الأثر : « بريح الصبا الزاكي وتمثيل » .

مِثْلُ العرائسِ فى خُضْرِ الملابسِ قد لاثَتْ على وجْهِها حُمْرَ المناديلِ

* * *

وقوله فى الأبيض منه (١) :

هيَّا بنا فالطيرُ صاحَ مُغرِّداً ما إن يُقاس لدى الورَى بمُغرِّدِ
والروضُ مَدَّ من القَرَنْفُلِ للنَّدَى كاساتِ دُرٍّ فى زُنودِ زَبَرْجَدِ

* * *

وقوله فى الأبيض المُشرَّب بحمرة (٢) :

وزهرِ قَرَنْفُلٍ فى الروض يحكى قصورَ دمٍ على صفحات ماء (٣)
رأى وجَناتِ من أهْوَى فأغضَى فبان بوجْهِه أثرُ الحياء

* * *

وقد تطفَّلت أنا على عادتى ، فقلت (٤) :

وافَى القَرَنْفُلُ مُعجِباً فينا بمنظرِه الأنيقْ
يُبْدِى زُنُودَ زَبَرْجَدٍ حمَلَت رُءوساً من عَقِيقْ

* * *

هذا ماوصلنى من التشبيهات التى نُظمت فيه ، وإن ظفرتُ بشىء ألحقتُه .

عَوداً على بدْء .

ومن رَوْضيَّاته قوله (٥) :

قادنى للرُّبَى مَرُوحِ العِنانِ نَفْحُ رَوْحِ النسيمِ فى الرَّيْحانِ (٦)

---

(١) فى ا ، ج : « منها » ، والمثبت فى : ب . والبيتان فى خلاصة الأثر ٢/٣٩٥ ، ٣٩٦ .

(٢) خلاصة الأثر ٢/٣٩٦ .

(٣) فى ا : « على وجنات ماء » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) بيتا المحبى فى خلاصة الأثر ٢/٣٩٦ .

(٥) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ٢١ .

(٦) فى الأصول : « مروج العنان » ، والمثبت فى تراجم بعض أعيان دمشق .

وَاهْتِزازُ الأَوْراقِ فِى القُضُبِ الهِيـ ـفِ أرتْنى فى ساحةِ البستانِ [١]
طُرَرَ الغِيدِ قد رقصْنَ بها عَنْـ ـد اجْتلاءِ الطِّلا على العِيدانِ [٢]

* * *

وقوله [٣] :

كأنّما شجَرات الدَّوْحِ فى خَلَعٍ تَنْدَى فيبلغ أقْصَى الحسنِ مَبْلَغُها [٤]
أرْواحُ دُرٍّ تَبِيتُ المُزْنُ فى بشرٍ من الزُّمُرُّدِ بالأنْواءِ تُفْرِغُها [٥]
ماجَتْ بِمَدْرَجَةِ الأنْفاسِ واطَّرَدتْ كأنّما حولَها أيدٍ تُدَغْدِغُها [٦]

* * *

وقوله [٧] :

والنهرُ يصْدَا بهاتيك الظِّلالِ كما يَصْدَا من الغِمْدِ حدُّ الصارمِ الذَّكَرِ [٨]
والزهرُ يفْرِش فى شطَّيْه مارقَمتْ فيها السحائبُ من رَيْطٍ ومن حِبَرِ
رَبِيعةَ الوَشْىِ لا ينفكُّ زِبْرِجُها يجْلو لنا من حُلاها أحْسَنَ الصُّوَرِ [٩]

* * *

[١٠] الزِّبْرِج ، بالكسر : الزينة من وَشْىٍ أو جوهر ، أو نحو [١١] ذلك .
ويقال : الزِّبْرِج : الذهب [١٠] ، والزبرج : السحاب الرقيق فيه حمرة .

* * *

(١) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « بالقضب الهيف » . (٢) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « عن الميدان » . (٣) تراجم بعض أعيان دمشق ٢١ .
(٤) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « كأنما شجرات الدوح فى خجل * تبدو . . . » .
(٥) فى ا : « أدواح در » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . وفى ا : « بالأنوا تضوعها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٦) فى ب : « فاطردت » ، والمثبت فى : ا ، ج وتراجم بعض أعيان دمشق . (٧) تراجم بعض أعيان دمشق ٢٣ .
(٨) فى الأصول : « يصدى من الهند » ، والمثبت فى تراجم بعض أعيان دمشق .
(٩) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « ربعية الوشى » . (١٠) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .
(١١) فى ب : « ونحو » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وله :

بادِرْ بعيْشك فالنعيمُ مُخَيِّمٌ ومُلاءةُ البستانِ فى تفْويفِ
والطيرُ مغْترِدٌ عليه يشُوقه جِيدٌ بأعْناق الغصون الهِيفِ [1]
تُصْغى له أذْنُ الطَّروبِ فينْثنى والشوقُ مِلْءُ فؤادِى المشْغوفِ

* * *

وله [2] :

ومجلسٍ حفَّتِ الغصونُ بنـا فيـه ووجـهُ الرياضِ مُبْتهِـجُ
كأن أوراقَها يرِفُّ بهـا فوق النَّـدامَى نسيمُها الأرِجُ
خُضْرٌ من الأزْرِ لاتزال بهـا مناكبُ الرَّاقصات تختلِـجُ

* * *

وله [3] فى روض ألقتِ الأشجار ظلالَها عليه ، فالشمس من فُرُوجها عيونٌ ناظرةٌ إليـه [4] :

وبطنٍ من الوادى حَلَلْنا مسيلَهُ خلالَ غصونٍ عا كفاتٍ على الشُّرْبِ
تُنَقِّط منـه الشمسُ فى مِسْكَة الثَّرى مَدَبَّ عِـذارِ الظلِّ فى وَجْنةِ التُّرْبِ
بخِيلانِ كافورِ الشُّعاع كأنما أبتْ غيرجلْدِ النَّمر يُفرَش بالسُّحْبِ [5]

* * *

رأيت بخطِّه عقيب هذا : قلت : وما كنتُ أحسَبنى زُوحِمت فى هـذا المعنى ، ولا سُبِقت لهذا المعنى ؛ حتى وقع إلىَّ حال مطالعتى ا « تتمـة اليتيمة » من قول السيد

(١) فى ب : « بأعناق القدود الهيف » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٢) الأبيـات فى تراجم بعض أعيـان دمشق ٢١ . (٣) وضعت هذه الـكلمة فى مؤخرة التقديم للأبيات فى : ا ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٤) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ٢٢ .
(٥) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « يفرش للصحب » .

أبي البركات العَلَوِيّ [١] ، في الأشجار والقَمر [٢] ، ماصورته :

ألا صرِّفْ لنا خمراً ... فنفسُ الصَّبِّ مَدْهوشَهْ [٣]

على أدْواحِ رَيْحانٍ ... بماء الطَّلِّ مَرْشوشَهْ [٤]

كأن الأرضَ من حُسْنٍ ... بجِلْدِ النَّمِرِ مفروشَهْ

فعجبت من مُواردتي إياه في اشتراك الخواطر ، مع اقْتران المناسبة بين الشمس المنيرة والقمر الزّاهر .

ثم وقع إليّ من أناشيد صاحب « الذخيرة » [٥] للتِّهامي [٦] أيضاً ماصُورته في تشبيه الثُّرَيّا [٧] :

وللثُّريا رُكُودٌ فوق أرْحُلِنا ... كأنها قطعةٌ من فَرْوة النَّمِرِ [٨]

* * *

قلتُ : وقد نزع في [٩] هـذا المعنى البديع قول عبـد المحسن الصُّورِيّ [١٠] ،

---

(١) واسمه علي بن الحسين . يتيمة الدهر ٤ / ٣٠ ، تتمة اليتيمة ٢ / ٣ . (٢) في تتمة اليتيمة ٢ / ٥ : « والقمراء » . ، والقمراء : ضوء القمر .

(٣) بعد هذا البيت في التتمة قوله :

فصرِّفها وقَرِّبهـــا ... وغرِّب وهْي مغشوشه

(٤) في تتمة اليتيمة : « على أنواع ريحان » ، وبعد هذا البيت في التتمة قوله :

ترى الشَّجْراء في القمرا ... ء بالأفياء منقوشه

(٥) لم ينشر هذا القسم بعد من الذخيرة .

(٦) أبو الحسن علي بن محمد التهامي ، الشاعر .

أصله من تهامة ، ورحل إلى الشام والعراق ، وولي خطابة الرملة .

ثم رحل إلى مصر بكتب من حسان بن مفرج الطائي ، إلى بني قرة ، فاعتقل في مصر ، وحبس ، ثم قتل سرا في سجنه ، سنة ست عشرة وأربعمائة .

تتمة اليتيمة ١ / ٣٧ ، دميـة القصر ١ / ١١٠ « تحقيق » شذرات الذهب ٣ / ٢٠٤ ، وفيـات الأعيان ٣ / ٦٠ .

(٧) ديوان التهامي ٤٢ . (٨) في ب : « فوق أرجلنا » ، والصواب في : ا ، ج ، والديوان ، وفيه : « كأنها قطعة من جلدة النمر » . (٩) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(١٠) تقدم التعريف به ، في الجزء الأول ، صفحة ٣٩٠ .

من أناشيد الثَّعالِبِيّ ، وهو [1] :

فاسْقِنِيها مَلْأَى فقد فضح اللَّيْـ ... ـلَ هلالٌ كأنه فِتْرُ زَنْدِ [2]

والثُّرَيَّا خَفَّاقةٌ بجناح الْـ ... ـغَرْبِ تهوى كأنها رأسُ فَهْدِ

***

وتَشْبيه وقوع الشُّعاع قد أكثر فيه الشعراء القولَ .

فمنه قول المعوج الشاعر [3] :

كأنَّ شعاعَ الشَّمْسِ فى كلِّ غُـدْوة ... على ورَقِ الأشجار أوّلَ طالعِ [4]

دَنانيرُ فى كَفِّ الأشَلِّ يضمُّهـا ... لقبْضٍ تهوَّتْ فى فُروجِ الأصابعِ [5]

وهو مأْخوذ من قول المتنبّى [6] :

وألْقَى الشرقُ منهـا فى ثيابى ... دنانيراً تفِرُّ من البَنانِ

وأخذه القاضى الفاضل ، فقال [7] :

والشمسُ من بين الأرائِك قد حكَتْ ... سيفاً صَقِيلاً فى يَدِ رَعْشاءِ [8]

وللنَّامِى [9] :

سماه غصونٍ تحجُبُ الشمسَ أن تُرَى ... على الأرضِ إلّا مثلَ نَثْرِ الدراهمِ

ومما يُضاهى هذا قولُ الصّلاح الصَّفَدِىّ فى القمر :

---

(١) يتيمة الدهر ١/٣٢٥ . (٢) فى يتيمة الدهر . «فتر زند» . (٣) معاهد التنصيص ١/١٤٤ .

(٤) فى الأصول : « كأن شعاع الشمس كل غدوة » ، والمثبت فى معاهد التنصيص .

(٥) فى معاهد التنصيص : « لقبض فتهوى من فروج الأصابع » . (٦) ديوان أبى الطيب ٥٥٧ ، ومعاهد التنصيص ١/١٤٤ . (٧) ومعاهد التنصيص ١/١٤٤ وديوان القاضى الفاضل نقلا عن المعاهد .

(٨) فى الأصول : « فى يدى رعشاء » ، والمثبت فى : الديوان ؛ ومعاهد التنصيص .

(٩) أبو العباس أحمد بن محمد الدارى ، المعروف بالنامى .

من خواص شعراء سيف الدولة ، وله المنزلة بعد المتنبى .

توفى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة .

وفيات الأعيان ١/١١٦ ، ترجمة رقم ٥٠ ، يتيمة الدهر ١/٢٤١ .

والبيت فى معاهد التنصيص ١/١٤٤ .

كأنّما الأغصانُ فى دَوحِها ... يلُوح لى منها سنا البدرِ
ترْسٌ من التِّبْرِ غدا لامعاً ... يقيسُه أسْوَدُ بالشِّبْرِ (١)

وقوله :

وكأنّما الأغصانُ يثْنيها الصّبا ... والبدرُ من خَلَلٍ يلوح ويُحْجَبُ
حسناء قد عامَتْ وأرْخَتْ شعرَها ... فى لُجّةٍ والموْجُ فيها يَلْعَبُ

وقوله :

كأنّما الأغصانُ لمّا انْثَنَتْ ... أمام بَدْرِ التّمّ فى غَيْهبِهْ
بنتُ مَليكٍ خلْفَ شُبّاكِها ... تفرّجتْ منه على موْكِبِهْ

* * *

وللسيِّد فى الغزل (٢) :

ولما تفاوضْنا الحديثَ عشيّةً ... ومالتْ بِعطْفَيه المُدامةُ فاسْتغْفَى (٣)
وضعتُ له كفِّى فوسّدَ نَغْنغًا ... تناهتْ به مائِيّةُ الحُسْنِ فاستكْفَى (٤)
وكنتُ أراعيه بلحْظِى تسرُّقًا ... فملّكْتُ طَرْفِى منه من بعدِ ما أغفَى

* * *

وله (٥) :

قد لوى جِيدَه حَياءً وحيّى ... بكؤوسِ المُدامِ كأساً فكأساً

---

(١) فى ب : « يقيسه الأسود » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ٢١ . (٣) فى ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « ومالت بعطفيه المدامة فاستعفى » . (٤) فى ا : « تناهت به ماهية الحسن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

ولعله أراد بالنغنغ العنق . انظر القاموس (ن غ ن غ) .

(٥) تراجم بعض أعيان دمشق ٢١ .

فَفَضَضْتُ اليدين عن يانع الزهـ ـرِ لعلّى أجِـدُ لى فيه أُنْسَا [1]
نُمْنُمٌ فى نَصاعـةِ الزهرِ مَرْآ هُ لعينى وكالحريرةِ مَسّا [2]

* * *

وله :

قُمْ وسَقِّ المُدامَ كُوباً فكُوباً فخطيبُ الرِّياضِ أضْحَى طَرُوبا [3]
والنَّواويرُ فى الأكِمَّةِ تُجْلِى حَبَباً من تَجْنِيها مقْلوبا [4]
غـيرَ أن الرياحَ قد مزّقتْ عنْـ ـد اعْتِناقِ الغصونِ منها الجُيُوبا

* * *

وله [5] :

توسَّمْتُه لما تكامل حسنه وقد رقْرقتْ فيه الشَّبيبةُ ماءها
تخلّتُ بأن الحولَ حان ربيعُه وأن الرِّياضَ الحزْنَ أبْدتْ رُواءها [6]
فنفَّسْتُ عن طير الجوى بتأوُّهى وأرْسلتُ عينى بالدموعِ وراءها

* * *

---

(١) فى ج : « ففضضت اليدين » ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « فنفضت اليدين » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وعجز هـذا البيت وصدر الذى يليه ساقطان من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) فى ا : « نمنم فى بضاخته » ، والمثبت فى : ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٣) فى ا : « قم واسق المدام » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) النواوير : جمع نوارة .

(٥) تراجم بعض أعيان دمشق ٢٣ .

(٦) فى ا : « حال ربيعه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

وفى ب : « وأن رياض الحزن أبدت بداءها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

وله [١] :

نَبَّهْتُــه سَحَراً والـكأسُ فوق يدى ... والعودُ مصْطَخِبُ الأوتارِ يُجْليهِ [٢]

فرفَّع الجِيــدَ عن كَفِّى وقد فَتَرَتْ ... أطْرافُه وأنا أُدْنِيــــه من فِيهِ

كما ترفَّع غصنُ البان منْتَصِباً ... حالا فحالا إذا مارُحْتَ تَثْنِيـــهِ

* * *

وله [٣] :

وأهْيفَ ممْنوجِ اللَّواحظِ مُتْرَفٍ ... رَهِيفِ التَّثَنِّى ناهَزَ العشْرَ فى السِّنّ [٤]

دَعانى إلى باكُورةِ الحسْنِ صَغْرُه ... ولم أرَ شَيْئاً مثلَ باكورةِ الحسْنِ [٥]

* * *

وله فى راقص [٦] :

وأهْيفَ مهْضومِ الحشا كادَ رقْصُهُ ... يُحكِّم فينا السِّحْرَ من كلِّ جانبِ

يميـــلُ به ثِقْلُ الخطا فتردُّه ... رَجاجةُ أعْـكانٍ له ومَساربِ [٧]

* * *

ومما أنشدنيه من لفظه لنفسه هذه الأبيات ، أحسن فيها المراجعة كل الإحسان :

وجليسٍ مَنَّيْتُـــه طَرَفَ الأنْـ ... ـسِ وذَكَّرْتُه قديمَ العهودِ

قلتُ كيف النَّـــديمُ قال يُحَيِّى ... ويُفدِّى بأنْفسٍ وجُـدودِ

قلتُ كيف المُدامُ قال مع الرَّيْـ ... ـحانِ حَيِّى بنَرْجِسٍ وورودِ [٨]

---

(١) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ٢١ . (٢) فى ب ، ج : « مصطخب الأوتار » ، والمثبت فى : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٣) تراجم بعض أعيان دمشق ٢٢ . (٤) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « رشيق التثنى » . (٥) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « دعتنى إلى باكورة الحسن سنه » .

(٦) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ٢٢ .

(٧) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « أعـكان له ومناكب » .

(٨) فى ا : « حى بنرجس » ، والمثبت فى : ب ، ج .

قلت والنَّقْل قال تقْبيل خَـدٍّ ... من حبيبٍ ورشْفُ ثَغْرٍ بَرُودِ

قلتُ والطِّيب قال طَشٌّ من الما ... وَرْدِ يُزْجِى سحابَ نَدٍّ وعُودِ (١)

قلت كيف القِيانُ قال إِلَيْهِنَّ ... انْقِيادُ الأوتارِ عند النَّشِيدِ

قلت كيف الغِناء قال تطرّقْـ ... ت ولم يَعْدُ فيـــه بيتَ القصيدِ

أشْتهِى فى الغنـــاء بَحّـةَ حَلْقٍ ... ناعمِ الصوتِ مُتْعَبٍ مَكْدُودِ

كأَنِينِ المُحبِّ أنْحلَه البَيْـ ... نُ فضاهَى به أنِينَ العُودِ

* * *

ومن تشابيهه النُّجوميَّة ، قوله من قصيدة ، مستهلها :

لِعَيْنَيْكَ فى الأحشاء مانَفَثَ السحرُ ... وللحبِّ فى الألبابِ مافعَل الخمرْ

منها (٢) :

كأن الُمنَى ماءٌ كأنِّىَ ناهلٌ ... كأن الفَيافِى البِيدَ مابيْننا جِسْرُ

كأن الثُّرَى أُفْقٌ كأن مَطِيَّتِى ... هلالٌ كأن السَّيْرَ غايتُه الحشْرُ

كأن نجاشِيَّ الظلامِ مُتيَّمٌ ... كأنِّى مُلاقٍ فى ضمائرِه سِرُّ

منها :

ولم يَبْقَ لى إلا ثَمِلَّةُ مُعْدِمٍ ... يجاذِبُها من كلِّ ناحيةٍ ذِكْرُ (٣)

ليالٍ يَراها القِصْرُ حتى كأنما ... تَـكنَّفَها من كلِّ ناحيةٍ فَجْرُ (٤)

كأن دُجاها فى أدِيمِ نهارِها ... عَصِيمُ مدادٍ كادَ يجْحدُه السِّفْرُ (٥)

---

(١) فى ب : « والطيب قلت » ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى ج : « قال طس من الماورد » ، والمثبت فى : ا ، ب . والطش : المطر الضعيف ، والطس : إناء من نحاس لغسل الأيدى .

(٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٤) القصر : ضد الطول . (٥) فى ب : « عصيم مدام » ، والتصويب من : ا ، ج . والعصيم : البقية من الشىء ، والأثر .

كأن به الجوزاءَ عِقْدُ لآلئٍ ... تطوَّقه من صدرِ زِنْجيةٍ نَحْرُ (١)

كأن الثريَّا في اختلافِ نُجومِها ... بوادرُ آمالٍ يُحاولُها الحُرُّ (٢)

كأن السُّها معْنًى دقيقٌ فيختفِي ... ويَبْدو جِهاراً إن تَواجَهه الفِكْرُ

* * *

توارَد في هذا التشبيه مع البَابِيّ الحلبيّ، (٣) في قوله:

كأن السُّها معنًى يَجولُ بفِكْرةٍ ... فآونةً يَخْفَى وآونةً يبْدُو (٤)

ابن هانئ (٥):

كأن سُهاها عاشقٌ بين عُوَّدٍ ... فآونةً يَبْدو وآونةً يَخْفَى

ابن خفاجة (٦):

كأن السُّها إنسانُ عينٍ غَريقةٍ ... من الدمعِ يبْدو كلما ذَرَفَتْ ذَرْفا

حازم (٧):

كأن السُّها قد دَقَّ من فرْطِ شوقِه ... إليها كما قد دَقَّق الكاتبُ النُّقَطا (٨)

ابن جانْدار (٩):

كأن السُّها ذو صَبْوةٍ غالَه النَّوى ... فأنحلَه والبَيْنُ لِلصَّبِّ يُنْحِلُ

* * *

(١) في ب: «تطرقه من صدر زنجية نحر»، وفي ج: «تطرقه»، والمثبت في: ا.

(٢) في ا: «يثار لها الحر»، والمثبت في: ب، ج.

(٣) يعني مصطفى بن عبد الملك، وقيل ابن عثمان البابي الحلبي، وسيترجمه المؤلف، في الباب الثاني، برقم ١١٠.

(٤) في ب: «يجول بفكره»، والمثبت في: ا، ج. (٥) ديوانه ١١٣. (٦) ليس في ديوانه المطبوع.

(٧) أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن القرطاجني.

كان – كما يقول المقري – خاتمة شعراء الأندلس الفحول، مع تقدمه في معرفة لسان العرب وأخبارها.

توفي سنة أربع وثمانين وستمائة.

أزهار الرياض ٣/١٧٣، بغية الوعاة ١/٤٩١، نفح الطيب ٣/٣٤١.

والبيت في نفح الطيب ٣/٣٤٢.

(٨) في ب: «قد دق من فرط شوقه»، والمثبت في: ا، ج، ونفح الطيب.

(٩) حسين بن شهاب الدين العاملي، ابن جاندار، سيترجمه المؤلف في هذا الباب، في أدباء جبل عاملة، ويأتي برقم ١٠٣.

وله [١] :

كأنّ بنى نَعْشٍ سَفِينٌ تخالَفَتْ عواصِفُها وَهْناً فشتّتَها البحرُ [٢]

كأنّ سُهَيْلاً حين صَوّب آفِلاً فُؤادُ مُحِبٍّ راح يُرْجِفه الهجرُ

* * *

ابن هانئ [٣] :

كأنّ سُهَيْلاً فى مَطالع أُفْقِـه مُفارِقُ إلْفٍ لم يَجِدْ بعـده إلْفاَ

ابن خفاجة [٤] :

كأنّ سُهَيْلاً فارسٌ عايَنَ الوغَى ففرّ ولم يشْهَد طِراداً ولا زَحْفا

حازم [٥] :

كأنّ سُهَيْلاً إذْ تناءتْ وأنجدتْ غـدا يائساً منهـا فأتْهَم وانْحطّا

* * *

وله [٦] :

كأنّ به الشِّعْرى الغُمَيْصاء خلفه شقيقته الخنْساء يقدُمها صَخْرُ [٧]

كأنّ امْتِدادَ الأُفْقِ فوق نُجومه قَساطِلُ حَرْبٍ زَغْفُ فرسانِها نَضْرُ [٨]

---

(١) ساقط من : أ ، وهو فى : ب ، ج ، وهو من القصيدة الرائية التى يذكر المؤلف توارد المترجم مع غيره فى بعض معانيها .

(٢) يقول الفيروزابادى ، فى القاموس (ن ع ش) : « وبنات نعش الكبرى : سبعة كواكب ؛ أربعة منها نعش ، وثلاث بنات ، وكذا الصغرى ، تنصرف نكرة لا معرفة ، الواحد ابن نعش ؛ ولهذا جاء فى الشعر بنو نعش » .

(٣) ديوانه ١١٣ .

(٤) فى ب نسب بيت حازم لابن خفاجة ، وتقدم عليه ، ونسب بيت ابن خفاجة لحازم .
والبيت ليس فى ديوان ابن خفاجة المطبوع .

(٥) نفح الطيب ٣ / ٢ : ٣ .

(٦) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وهو تمام قصيدة المترجم الرائية السابقة .

(٧) الغميصاء : إحدى الشعريين ، والأخرى العبور . القاموس (غ م ص) .

(٨) فى ب ، ج : « زعف فرسانها نضر » ، والمثبت فى : ا .
ودرع زَغْف ودروع زَغْف ، وهى الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة الحسنة السلاسل .
القاموس (ز غ ف) .
والنضر : الذهب والفضة . القاموس (ن ض ر) .

كأن عمودَ الصبحِ تحت هلالهِ   لتزكيةٍ من تحت منطقهِ خنصرُ

* * *

وله معمّيات فى غايات الإتقان .

فمنها قوله ، فى اسم محمد [١] :

رُبَّ ظبيٍ مُقَرْطَقٍ قد تبدّى   خلتُ بدراً من فوقهِ قد تلالا [٢]

لاح فى الثغرِ جوهرٌ من ثنايا   هُ فأبدى فى الخدِّ خالا بلالا [٣]

* * *

وقوله فى هانى [٤] :

حين بان الخليطُ وازدادَ وجدِى   قلتُ والدمعُ فى الخدودِ يسيلُ [٥]

يارسولِى إليه زوجِىَ خُذها   مُنجداً إثرَهُ بها يا رسولُ

* * *

وقوله فى سليمان [٦] :

لقد سقانى الحبيبُ كأساً   لم أروَ منها ورمتُ أخرى

فقال خُذ مابقِى بكأسى   سُؤراً وأحسِن بذاك سُؤرا

فعندما جاد لى بما فى   أواخرِ الكأسِ متُّ سُكرا

* * *

وقوله فى رمضان :

فى يدِ الارتهانِ عينِى تملّتْ   بعد عشرٍ بطيفِ من قد تولّتْ

---

(١) اليتان فى خلاصة الأثر ٢ / ٣٩١ .

(٢) المقرطق : لابس القرطق ، وهو لباس شبيه بالقباء ، وانظر إلى استعمال القرطق بمعنى القرط ، فى شفاء الغليل ١٧٧ .

(٣) يشير إلى سواد الصحابى الجليل بلال بن رباح .   (٤) خلاصة الأثر ٢ / ٣٩١ .

(٥) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) خلاصة الأثر ٢ / ٣٩١ ، ٣٩٢ .

مُذ أغارتْ وأنْجَدتْ بفؤادِي ... من رهـــينٍ لحيثما هى حلّتْ

* * *

وقوله فى صالح :

لم أنْسَه وَسْنانَ يأسِر طــرفُه ... عَرَضاً إذا ترك القلوبَ أسارَى[1]

صــاد القلوبَ بطَرْفِهِ وقَوامِه ... من بعد ماقد حلّ فيــه ودارَا

* * *

وقوله فى عبد اللطيف :

يالَســاقٍ نَاشِرِ الْأدبِ ... دار مَعْ طَىِّ بِساطِ الأرَبِ

لابسٍ من نَشْرِ ما دار به ... ثوبَ عَرْفٍ هــزّنى للطَّرَبِ

* * *



وقوله فى على :

غَيْمٌ رفيعٌ لم يــكدْ يبدو لشمسِ الأُفْقِ حاجِبْ[2]

فغَــدا يُقِلّ الشمسَ لِيــنُ قَوامِه من غــير حاجِبْ

* * *

وقوله فى سليم[3] :

ورْقاء قلبىَ قد أضحتْ مُرفْرِفةً ... على قَوامِك يامَن طرفُه عَجَمِى

وإنهــا هبَطتْ منــه على غُصُنٍ ... فغُضَّ طَرْفَك وارْسِلْه إلى القدَمِ

---

(١) فى ب ، ج : « يأسر نفسه » ، والمثبت فى : ا . وفى ب : « غرضا إذا ترك القلوب أسارى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا ، ج : « غيم الرفيع فلم يكد » ، والمثبت فى : ب .

(٣) لعله وحده فى خلاصة الأثر ٢ / ٣٩٢ .

وهذا في غاية المَنَعة ، فلهذا تعرّضت [١] [٢] إلى حلّه [٢] ، فأقول :

أرادها من أنها بعمل التحليل وهي بستة ، وبالمعجمية شش ، فإذا هبطت سارت سيف والغَضُّ [٣] الألف ، وهي يك ، ولها اللام بالعدد الحسابي من أَبْجَد ، وغض مرادفه [٤] كيف ، وهي بمائة ، فإذا هبطت ، لها الياء والميم من الغاية .



---

(١) في ج : « أتعرض » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) في ب : « حله » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) في ا ، ج ، وخلاصة الأثر : « والغصن » ، والمثبت في : ب ، وهو موافق لما سبق في البيت ، ولما سيأتي .

(٤) في ا : « مرادفة » ، وفي ج : « مراده » ، والمثبت في : ب ، وخلاصة الأثر .

٦٥

السيد عبد الكريم *

هو منهم بيتُ القصيد ، وواسطة عِقْد المجْد النَّضيد .

تجسَّم من شرف مَحْض ، وكرم لا يحتاج [١] خيرُه إلى خضٍّ [١] ومَخْض .

إلى ماحاز من أشتات الكمال ، والمعالى [٢] المُرْبية على الآمال .

وهو بعد أبيه النَّقيب ، ومحله فوق المُعَلَّى [٣] والرقيب [٤] .

فمهما ترقَّى البدرُ فقاصِرٌ عن مَراقيه ، والبحر لو عَذُب لكان بعض سواقيه .

وله مع النَّباهة رُوح الفضل وجسمُه ، ومن بِشْر أساريره ينهض أثَرُ المجد ورَسْمُه .

وبيني وبينه وُدٌّ مُورَّث [٥] في الأعقاب ، وحُبٌّ خالد مادامت الأحْقاب .

ولى في كل لَحْظٍ منه أمانٍ يُنْشيه [٦] ويعيده ، وفي مَرْأى وجهه نَوْرُوز إذا مضى أقْبل عِيدُه .

(*) السيد عبد الكريم بن محمد بن محمد كمال الدين الحسيني ، ابن حمزة ، الحنفي ، الدمشقي .

ولد بدمشق ، سنة إحدى وخمسين وألف ؛ ونشأ بها في ظل أبيه .

قرأ وحصل على جماعة ؛ منهم : والده ، ونجم الدين الغزى ، ومحمد البلبانى الصالحى ، وخير الدين بن أحمد الرملى الحنفي ، وأجاز له محمد بن سليمان المغربي .

وتولى نقابة الأشراف بدمشق مرات عديدة ، وتولى تدريس القيمرية البرانية ، وترددت إليه الناس لقضاء حوائجها ، ورحل إلى الروم .

توفي سنة ثماني عشرة ومائة وألف ، ودفن بتربة مرج الدحداح في المقبرة الغربية .

سلك الدرر ٣/٦٦ ـ ٨٠ ، وقد نقل المرادى صدر ترجمة المحبى له ، وللسيد عبد الكريم ترجمة على طريقة النفحة ، في تراجم بعض أعيان دمشق ٢٧ ـ ٣٩ .

(١) في سلك الدرر : « خيره إلى خضخضة » . (٢) في سلك الدرر : « والمعاني » .

(٣) المعلى : القدح السابع في الميسر ، وهو أفضلها إذا فاز حاز سبعة أنصباء من الجزور . اللسان (ع ل ا) ١٥/٩١ . (٤) الرقيب : أمين أصحاب الميسر ، أو اسم السهم الثالث من قداح الميسر . اللسان (ر ق ب) ١/٤٢٥ . (٥) في ا ، ج : « موروث » ، والمثبت في : ب ، وسلك الدرر .

(٦) في ا : « يثنيه » ، وفي ج : « نشأة » ، والمثبت في : ب ، وسلك الدرر .

وإذا أردتُ مدحَه أرسلتُ نفسى وما تجُود ، فلا تنتهى عند وصفٍ من أوصافه إلا وتقول أحسنَ الموجود .

وأنا أرجو الله تعالى فى كل مايشاؤه ، (١ وأسأل له ١) (٢ ماهو ٢) مايليق به ممتلئًا رِشاؤه .

* * *

وقد أوردت له من نَفَثاته السِّحْريَّة ، ونَسَماته الشِّحْريَّة (٣) .

ماهو أحسنُ من نَوْر تفتحه الصَّبا ، وأوقعُ من خُلْسة الوصلِ فى عهد الصِّبا .

فمن ذلك قوله (٤) :

لقد دعانا إلى الرَّنى الطَّرَبُ ... فأجبنـــاه حسْبما يَجِبُ (٥)

واستبقْنا والشوقُ يحدُونا ... كأن أشْواقَنا لنــا نُجُبُ (٦)

وشَمْلُنـــا والحظوظُ تسعدُنا ... مجتمعٌ سِلْكُ عِقْدنا الأدبُ

فحلْلنا منـبــــزَهًا تحرِّكنا ... وهو للرائين مُنْتخبُ (٧)

وقد حبانا الربيعُ مقتبِلًا ... بمزاياه والمُنَى نُخَبُ

فالروضُ مُخضلَّةٌ ملابِسُه ... تجمَّع الحسنُ فيه والأرَبُ (٨)

وقد تنـــاغتْ به بَلابِلُه ... فمنهمُ فاقِدٌ ومصطحِبُ

---

(١) فى سلك الدرر : « وأسأله » .

(٢) فى سلك الدرر : « من الخير » . (٣) نسبة إلى الشحر . انظر ما تقدم فى صفحة ٤٥ .

(٤) القصيدة فى سلك الدرر ٢ / ٦٧ – ٦٩ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٣٥ ، ٣٦ .

(٥) فى ب : « لقد دعانى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٦) فى ا : « واستقبنا والشوق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

ونجب : جمع نجيبة ، وهى الناقة السريعة .

(٧) فى سلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « هو للزائرين منتخب » . (٨) فى سلك الدرر : « يجمع فيها الحسن والأدب » .

وموكبُ الزَّهرِ في حدائقِه   مُنْتَزَه بالعيونِ مُنْتَهَبُ(١)

تُظِلُّ مَغْناه وهْو مُزْدهِرٌ   قِبابُ نَوْر كأنها سُحُبُ

يُنْعِشنا العَرْفُ من شَميمِهما   ومثلَ هذا العبيرِ يُكْتَسَبُ

والمَرْجُ رَحْبُ الفِناء مُصْطحِبٌ   عليه ذَيْلُ النسيمِ مُنْسحِبُ(٢)

تخالُه من زَبَرْجَدٍ نَضِرٍ   بحرًا غدا بالنسيمِ يضطربُ

يشوقُنا حسنُه ومنظرُه   يَسُرُّنا حيث زانه الخِصبُ(٣)

ولانسكابِ المياهِ حسنُ صدًى   يرقص عند استماعِه الحَبَبُ

فمذ نَعِمْنا بذا وذاك وقد   تكنَّفَتْنا بفَيْئِها القُضُبُ

أخصبَ ربْعُ المنى وطاب به الـ   عيشُ لنا واستفزَّنا الطَّرَبُ

فعاد الوجْدُ مُدْنَفٌ طَرِبًا   وهكذا مُدنَفُ الهوى طَرِبُ

ومال وَفْقَ الهوى وحُقَّ له   ذلك إذْ ليس مابه لَعِبُ(٤)

وراح يُمْلِي غرامَه ولنا   في غَزَلٍ رَقَّ صَوْغُه عَجَبُ(٥)

ومن يكن بالغرامِ مُمْتَحَنًا   لاغَرْوَ بالشوقِ قلبُه يَجِبُ

يا بأبي مُتْرَفٌ أَلِفْتُ به الـ   وَجْدَ وما غيرَ مُحَتَقِي السَّببُ

أُطمِعْتُ فيه الهوى ومَعْدِنُه   بِمِغْنَطِيسِ الجمالِ مُنْجذِبُ(٦)

بمائه فتنةٌ لذي نُسُكٍ   مُهذَّبٍ زان حُسْنَه الأدبُ

تمازجَ اللطفُ والعفافُ به   كذا لَمَى الثغرِ منه والشَّنَبُ

---

(١) في ا «منزه بالعيون» ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . وقد شاع في عصر المؤلف استعمال منزه ، مكان متنزه .   (٢) في سلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « رحب الفناء مصطحب» ، وفي سلك الدرر : « عليه ذيل النسيم منسحب » .   (٣) في ب : « يسوقنا حسنه » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .   (٤) هذا البيت ساقط من تراجم بعض أعيان دمشق .   (٥) في ج : « في غزل وصوغه عجب » ، والمثبت في : ا ، ب ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .   (٦) في سلك الدرر : «مغنطيس الجمال » .

بَدْرٌ مُحَيَّاه ما به كَلَفٌ ... بِرَوْنَقِ الحسنِ راح يَحْتَجِبُ
وقَدُّه السَّمْهَرِيُّ من مَرَحٍ ... ما اهْتَزَّ إلَّا ازْدَهتْ به القُضُبُ
وما بطَرْفٍ رَنَا لوامِقِهِ ... إلا وسهمُ اللَّحاظِ مُنْتَشِبُ[1]
شَهِيُّ لَفْظٍ تــكاد رِقَّتُه ... تَسْتَرِقُ اللُّبَّ وهْو مُحْتَجِبُ
مَنطِقُه مُسْكِرٌ لمستمــعٍ ... وسُكْرُنا من سماعِه طَرَبُ
قد مُنِحتْ بالجمــال صورتُه ... وقد مُنِحْتُ الهوى ولا عَتَبُ
أوْسَعَنِي فيه حبــه وَلَهًا ... وليس إلا هواه لى أَرَبُ
وقد أبَى غيرَ مُهجتِي سَكَنًا ... وهْي له مَرْتَــعٌ ومُنْقلَبُ
فلا خَلاَ مِن هواه لى خَلَدٌ ... وذاك بيْنى وبينه نَسَبُ[2]

* * *

وقوله[3]:

لا وصدق أُنْسِها المُحِبَّ الوَدودِ ... لغرامٍ سما به للسُّعُــودِ
ونُزولِ الحِمَى وقد طال نأىٌ ... باشتياقٍ نَمَا مِن المَعْمودِ
وارْتِضاعٍ لِمَا جَلَتْها أكُفٌّ ... خضَبَتْها دِما ابنةِ العنقودِ[4]
وارْتشافِ اللَّمَى ولَثْمِ الخدودِ ... واعْتناقِ الدُّمَى ذَواتِ النُّهودِ[5]
ما الهوى بى كما يظُنُّ جَهولٌ ... بل غرامى بما عليه شُهودى

* * *

(١) فى سلك الدرر: «وما بطارف».
(٢) جاء عجز البيت فى تراجم بعض أعيان دمشق هكذا:
* ودام هذا الإخاء والنَّسَبُ *
(٣) الأبيات فى سلك الدرر ٣/٦٩، وتراجم بعض أعيان دمشق ٣٦. (٤) فى ا: «دم ابنة العنقود»، والمثبت فى: ب، ج، وسلك الدرر، وتراجم بعض أعيان دمشق. (٥) فى سلك الدرر، وتراجم بعض أعيان دمشق: «ولثم خدود».

وقوله [١] :

لستُ إلا كَلًّا على إشفاقِكْ   فبرُحماكَ جُزْ على أخلاقِكْ [٢]

وأعِدْ نظرةَ الحنـــان ليهدا   رَوْعُ من لم يزل على ميثاقِكْ [٣]

وارْعَ وُدًّا رضيتَه منــه حاشا   نَبْذُ وُدٍّ أتى على مِصْداقِكْ

إن قلبًا حلَلْتَه عرَضٌ أنْـ   ـتَ به جوهرٌ على إطلاقِكْ

كيف يرضى دون التَّسلِّى بأقيا   لٍ محبٌّ إقالةً من وَثاقِكْ [٤]

* * *

وقوله أيضا [٥] فى الغزل [٦] :

أمْنَحِ الطرفَ منك طَلْقَ العِنانِ   لاجْتلاء الورود فى الأغصانِ

والْثَمنْ باللحاظ منه خدودًا   صبغُها من صنائع الرحمنِ

واغتنمْ طِيبَ وقتِـــه فلَعمرى   إنَّه غُرَّةٌ بوجـــهِ الزمانِ [٧]

فانتهِزْ فيه فرصـــةً لأمانيـ   ـكَ وحسْبُ الشَّجِىِّ نيلُ الأمانِى [٨]

حيث وجهُ الزمان طَلْقٌ وريْعا   نُ التَّصابى إقبالُه مُتدانِى [٩]

وبحيث المُنى يَسُرُّك منهـــا   ما تدانَتْ قِطـــافُه للبَنانِ

واصْطحِبْ للنَّدام كلَّ مجيدٍ   لِقصار الفصولِ ذاتِ المعانِى

---

(١) الأبيات فى سلك الدرر ٣ / ٦٩ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٣٦ ، ٣٧ . (٢) فى سلك الدرر: « فبرحماك جد على عشاقك » ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « فبرحماك جد على أخلاقك » .

(٣) فى سلك الدرر : « وأعد نظرة الحنان الفتى » . (٤) فى ب : « إقالة من وشائك » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٥) ساقط من ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٦) القصيدة فى سلك الدرر ٣ / ٦٩ ، ٧٠ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٣١ ، ٣٢ . (٧) فى ب : « طيب وقتها » ، وفى سلك الدرر: «طيب وصله» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٨) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « فحسب الشجى » . (٩) فى ا : « وريعان اتصاف اقتباله » ، وفى ج : « وريعان التصاف اقتباله » ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « وريعان الصبا فى اقتباله » ، والمثبت فى : ب ، وسلك الدرر .

أَلْمَعِيّ حُلْوِ الحديث يُجاري   لك بما تشْبيهِ ذي تِبْيانِ

واصْطَفِ للغناء كلَّ طَروبٍ   ناعمِ الصوتِ مُتْقِنِ الألحانِ (١)

يُوسِعِ السمعَ شَدْوُه طَرَباً والْ   قلبَ شَجْواً بأَنَّةِ الألحانِ (٢)

وأَغْنَ ياصاحِ قبل فَوْتِكَ واسْتجْ   لِ عَرُوساً بمُطْرِباتِ الأغاني

واحْتَسِيها عذراءَ كأساً فكأساً   يتلألأ حَبابُها كالجُمانِ (٣)

يتَهادى بها إليك غَرِيرٌ   خَنِثُ اللَّحْظِ فاترُ الأجْفانِ

لَيِّنِ العِطْفِ يستَبيك إذا ما   قام يختالُ مثلَ خُوطِ البانِ (٤)

يُشْبِه النَّوْرَ منه رَوْنَقُ وجهٍ   وتَرى الخدَّ منه كالأُرْجُوانِ

واجْتَنِ للمَشامِّ من يانعِ الزَّ   هرِ صنوفاً من روضةِ القِينانِ (٥)

وأَطْلِقِ العودَ في المَجامِرِ والنُّدْ   مانَ حَيِّ بماء وردِ القِنانِ (٦)

فلَعَمْري هذا هو العيشُ فاغْنَمْ   فسِوى اللهِ كلُّ شيءٍ فانِ (٧)

---

(١) في الأصول ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « واصطفى » .

(٢) في سلك الدرر : « بأنة الأشجان » ، ورواية البيت في تراجم بعض أعيان دمشق :

يوسِعِ القلبَ شجْوُه طربا والْ   قلب شوقا بأنَّةِ الأشجانِ

(٣) كذا في الأصول « واحتسيها » ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٤) الخوط : الغصن الناعم .

(٥) قبل هذا البيت في تراجم بعض أعيان دمشق زيادة :

واجعلِ النُّقْلَ من مُقَبَّلِه فَهْـ   ـو لأشهى من نَبْـاتِ الظَّمْآنِ

وجاء « واجتنى » في ا ، ب ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٦) في تراجم بعض أعيان دمشق : « والندمان حيوا بماء ورد القنان » . (٧) سقط هذا البيت من تراجم بعض أعيان دمشق .

وكتبتُ إليه أمدحه بقولي [١] :

كتمتُ هواه لو يُفيد التَّكتُّمُ ... وكيف ودمعُ العين عنه يُترجِمُ [٢]

لك اللهُ قلبي كم تُقاسي لَواعِجاً ... لها في الحشا نارٌ من العشق تُضْرَمُ [٣]

بُليتُ بقاسٍ لا يزال يُذيقني ... من الصَّدِّ مالم يلْقَه قبلُ مغرمُ

فسلَّمتُ قلبي طائعاً غيرَ أنني ... أُؤخِّر رجلاً في الهوى وأقدِّمُ

وما كنْتُ أدرى أن للعشقِ فتنةً ... وأن اجْتنابَ الشرِّ للحُرِّ أسْلَمُ [٤]

فلما رأى وجْدِي عليه تغيَّرتْ ... خلائقُه ثم انثنى يتحكَّمُ

وصَدَّ وجازاني على الوُدِّ بالقِلَى ... وأعْرض عنى وهْو بالحال يعلَمُ [٥]

وبَدَّل ميثاقي وأضْحى مُجانباً ... يمُرُّ فيَثْني عِطْفَه لا يسلِّمُ [٦]

وأغدق دمعي وهْو ماءٌ ممنَّعٌ ... وحلَّلَ قتْلي وهْو أمرٌ محرَّمُ

عفا اللهُ عنه من بخيلٍ بقُرْبه ... وسامحه من ظالمٍ ليس يرحمُ

أُقضِّي به عمرى مع اليأسِ والمُنى ... ولى من عَذُولى كلَّ وقتٍ مُهيِّمُ [٧]

أبِيتُ أُعانى الوجدَ ليلةَ لم أكنْ ... بغيرِ ثَنا فَرْدِ الورى أترنَّمُ

---

(١) القصيدة في سلك الدرر ٣/٧١ ، ٧٢ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٣٨ ، ٣٩ ، وصدرها ابن شاشو بقوله : « وكتب بعض أفاضل دمشق مادحا له » .

(٢) في سلك الدرر : « كتمت هوائي » . (٣) في تراجم بعض أعيان دمشق : « من الشوق تضرم » . (٤) في تراجم بعض أعيان دمشق : « أن للعبد فتنة » . (٥) في تراجم بعض أعيان دمشق : « وصد وجازاني » ، وفي سلك الدرر: « على الصد بالقلى » . وفي ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « وهو بالحال أعلم » ، والمثبت في : أ ، ج ، وسلك الدرر .

(٦) سقط عجز هذا البيت وصدر الذي يليه من : ج ، كما سقط هذا البيت والذي يليه من تراجم بعض أعيان دمشق ، والبيتان في : ا ، ب ، وسلك الدرر .

وفي ب : « يمرونثني » . والمثبت في : ا ، وسلك الدرر .

(٧) عجز هذا البيت في تراجم بعض أعيان دمشق :

* وشوق بأحْناء الضلوعِ مُخيِّمُ *

عَنيتُ النقيبَ السيد السَّنَد الذى غـدا مثـالَ بسم الله فهو مُقدَّمُ (١)

وحيــدٌ له الأفْضـال طبعٌ وشيمةٌ وفيه انْتهى جودُ الورى والتَّـكرُّمُ

إذا كان نُور الشمس لازِمَ جِرْمِها فطلعتُــــه الزهراء نُورٌ مجسَّمُ

ونادِيه روضٌ بالفضــائل مُزهِرٌ لـانِىَ فيــه البُلْبُلُ المترنِّمُ (٢)

تُعطِّر هَبَّاتِ النسيمِ خِلالُه فباتت بعَرْفٍ غـيرِها تتنسَّمُ

ويفْترّ عن لألاء بِشْرٍ كأنه مُقبَّل شادٍ ألعَسٍ يتبسَّمُ (٣)

أمولاىَ أنت الناسُ يافوق فَوْقِهم لأنك للطلاب رزقٌ مقسَّمُ

هواك بقلبى ليس يبْرَح لحظــةً به أبْتدِى الودَّ الصحيحَ وأخْتِمُ (٤)

ولى فى عُلاك الباهرِ المجْدِ فى الورى عقودُ كلامٍ بالثناء تُنظَّمُ

قواف إذا ما أُنشِدتْ بين أسرةٍ فقُسٌّ لديْها بالفصاحة أبْــكَمُ (٥)

وماهى إلَّا الزَّاهراتُ فلو بدت لقامتْ مَقام الزُّهْرِ والليلُ مظلِمُ

تمتّعْ بها من مادحٍ ليس يرتجى من الدهرِ شيئا غيرَ أنك تسلَمُ

وحسبُك شُكْرِى مابقيتُ على المدى وقلبى وأعْضـائى تصدِّق والفَمُ (٦)

* * *

---

(١) صدر هذا البيت فى تراجم بعض أعيان دمشق :

* نقيبِ العُلى والسيِّدِ السَّنَدِ الذى *

(٢) عجز هذا البيت فى تراجم بعض أعيان دمشق :

* يرُوق كما راق العِذارُ المُنمنَمُ *

(٣) سقط هذا البيت من تراجم بعض أعيان دمشق ، وفى ب : «مقبل شادن» ، وفى سلك الدرر : « مقبل شادن ألعس إذ يتبسم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

والعس : سواد فى باطن الشفة .

(٤) سقط هذا البيت والأبيات الثلاثة التالية له من تراجم بعض أعيان دمشق . (٥) فى ب ، ج : « فى الفصاحة أبكم » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « وحسبك شكرا » .

فكتب إلىَّ مراجعا بقصيدة على رَوِيّها ، وكنت مريضا ، وهي [1] :

حسْبُ المُنى حيث الحوادثُ نُوَّمُ   وحواسِدِي وعواذِلى واللُّوَّمُ [2]

وافتْنِيَ الحسناءُ فى داجِى ذَوا   ئِبِها وللأشْواقِ فىَّ تحكُّمُ

عذراءُ وافَتْ وهى تخترق الضِّيا   من وجهِها مُذْلاح فيه تبسُّمُ

فتعطَّرتْ منها الرُّبوعُ وفاضَ فى   أنحائِها منها السَّنا يتنسَّمُ [3]

ولطالَما راقبْتُ من وَلَهِى بها   طَيْفًا يَنِمُّ بزَوْرة تُتغنَّمُ [4]

ومن اغتذى ضَرْعَ الهوى هل عَيْنُه   يومًا بتَهْوِيمِ الكَرَى تتنعَّمُ

كَلَّا إذا الأحْشاءُ خامَرَها الهوى   قِدَمًا فلاعِجُه بها متضرِّمُ

وافتْ فحقَّ لىَ الهَناءُ بها كما الـ   واشون حُقَّ لهم بذاك توغُّمُ [5]

فغدوتُ ذا طَرَبٍ قريرَ العين سِمْـ   ـطُ الشَّمْلِ بالأحباب لى مُتنظِّمُ

لا بِدْعَ أن أزْهُو إذاً وأجُرُّ ذَيْـ   ـلَ العُجْبِ تِيهاً والهوى أتهكَّمُ [6]

وأمِيدَ نَشْوانًا بكأسِ حديثِها   وثناءِ ناظمِ عِقْدِها أترنَّمُ

لِمَ لا أكُنْ بثنائِه مُتَمَدِّحاً   وهو الأمينُ وبالمُنى المتكرِّمُ [7]

الأرْيَحِيُّ المَكرُماتِ ومن حوَى   حسنَ الخلا فيها غدا يتوسَّمُ [8]

رَبُّ الفصاحةِ والنباهةِ مَن غدا   وله من الفضلِ الجسيمِ تجسُّمُ

---

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٣/٧٢ ، وذكر المرادى أنه غير الوزن لا القافية ، وقد ذكر ابن شاشو منها الأبيات الثمانية الأولى ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٣٩ .

(٢) فى ا : « حسبت المنى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٣) فى ا : « وفاض من » ، والمثبت فى : ب ، ج ،وسلك الدرر ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفى ا ، وسلك الدرر : « منها السنا يقسم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٤) فى ب ، وسلك الدرر : « بزورة تتنعم » ، وفى ج : « بزورة متغنم » ، وفى سلك الدرر : « بزورة تتنعم » ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « بزورة تتغنم » ، والمثبت فى : ا .

(٥) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « وافت وحق لها » ، وفى سلك الدرر : « لهم بذاك ترغم » .
وتوغم عليه : اغتاظ .

(٦) فى سلك الدرر : « لا بدع أن أسلو » .   (٧) كذا فى الأصول : « لا أكن » .

(٨) فى سلك الدرر : « غدا يتوسم » .

ما اللطفُ في النَّسمات إلا من كَرِ ... مِ خِلالِه وبعَرْفِهــــا تتنسَّمُ [١]

تخِذَ التَّطوُّل بالمكارِمِ عادةً ... فكأنه كلِفٌ بذاك متيَّمُ [٢]

لا غَرْوَ أن ملأتْ محامدُه المسا ... مِعَ واستلَذَّ سماعَها المترنِّمُ

يافرعَ أبنــاء الكرام ومَن لهم ... في كل مجدٍ رُتبةٌ وتقدُّمُ [٣]

بُشْراك ما أُوتيتَ من أجْرٍ بما ... عاينْتَ من وَصَبٍ عِداك يُيمِّمُ [٤]

فتَهنَّ مأجوراً ومسروراً بما ... فيه أتتْك فلا عــداتك تعمّمُ

وعَدَتْك أسقامٌ عَنَتْك وللعِدَى الْ ... عادِين وافتْ بينهم تتقسَّمُ [٥]

وبقيتَ في ظــلِّ التَّهاني سالمًا ... والعيشُ مخضرًا لديك مُخيِّمُ [٦]

وإليكَهـا قَسِّيَّةً ألفاظُهـا ... كالدُّرِّ في سِلْكِ الثناء تُنظَّمُ [٧]

جادت بهـا منِّي قريحةُ مُوقِنٍ ... بجُمودها إذ جاء منك مُهيِّمُ

فاعذُرْ وكن بثنائها متمتِّعا ... حسَبَ المُنَى حيث الحوادث نُوَّمُ [٨]

❊ ❊ ❊

فكتبتُ إليه معتذراً عن مراجعته بقصيدة ؛ لعارِض المرض ، وما أقول إلا كما قال الدِّيباجِيّ [٩] : كلامي في خطابه مماثِل لانعكاس الناظِر ، وردّ الفوّارة ماء

---

(١) في سلك الدرر : « وبعرفهـا يتنسم » . (٢) في ب : « تخـذ التطول في المكارم » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٣) في سلك الدرر : « في كل محد رتبة وتقدم » ، وفي هامشه : « محد كمجلس ومقعد » .

(٤) في ا : « عداك يتمم » ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٥) في ا « أسقام عدتك » ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٦) في ج ، وسلك الدرر : « والعيش مخضر » على أن الجملة حال ، والمثبت في : ا ، ب ، على أن « مخضرا » مفعول « بقي » .

(٧) في ب : « وإليكها قسية » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٨) في ب : « بثنائها متنها » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٩) في ا ، ج : « الديباج » ، والمثبت في : ب .

والديباجي هو أبو الفتح محمد بن سعد بن محمد .

أديب من أهل مرو ، كانت إليه خزانة كتب جامعها .

توفي سنة تسع وستمائة .

بغية الوعاة ١/١١١ ، الوافي بالوفيات ٣/٨٩ .

الغَمام الماطِر [١] :

ليس فَمى فيك يبلغ الشكرا ... من بعد ماقد ملأْتَه دُرّا [٢]

بعثْتَ لى بالحياة فى كَلِمٍ ... يزيد فى العمر لطفُها عُمْرا [٣]

من كل لفظٍ فى اللفظِ أحسَبه ... ينفُث هاروتُ منه لى سِحرا

لم تصْطنِع جبْرَك القلوبَ لمن ... يدعوك إلّا وتقتنى أجْرا

يامن هو الروضُ فى خلائقِه ... يَعْبَق من نَسْمةِ النَّدى نَشْرا

شَوْقى لتقبيل راحتيْك لقد ... جاوزَ حتى لم يُبْقِ لى صَبْرا

لكنّ عُذْرى إليك مُتّضِحٌ ... فاقبَلْ حَماك الإلهُ لى عُذْرا [٤]

* * *

فبعث إلىّ بهذه الأبيات [٥] :

أيُّها الموسِعُ المنى بِشْرا ... كُنْتَ تستنطِق النُّهى شُكْرا [٦]

ودام ثغرُ الوِدادِ يَبْسِم من ... بِشْرِ مُحيّاك لافِظاً دُرّا [٧]

وحبّذا منك ذا لأَمَلِهِ ... فهو لعَمْرى ينافِس الشَّحْرا [٨]

لقد منحت المُحِبَّ منك بما ... أثلَج منه الفؤادَ والصدرا [٩]

مِن كل لفظٍ فى اللطفِ أحْسَبه ... ينفُث هاروتُ منه لى سِحْرا

فدُمْ لنا روضةً نُسَرُّ بها ... ومِن رُباها نستنشِق العِطْرا

---

(١) القصيدة فى سلك الدرر ٣/٧٢ ، ٧٣ . (٢) فى ا « ليس فهمى فيك » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٣) فى ب : « بعثت لى فى الحياة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٤) فى ب وسلك الدرر : « لكن عذرى لديك » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) القصيدة فى سلك الدرر ٣/٧٣ . (٦) فى سلك الدرر : « تستنطق النهى شكرا » . (٧) فى ا : « وأدم لثغر الوداد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . وفى ب : « مبتسم من » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

(٨) فى سلك الدرر : « ينافس السحرا » ، وتقدم الحديث عن العنبر الشحرى ، فى صفحة ٤٥ .

(٩) فى ب : « أباج منه الفؤاد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر.

وفيك مادامتْ لنا المُنَى أممٌ ‏ إنْ نلتُها كان لى بها البُشْرَى (١)

* * *

وكتب إلىّ (٢) يستدعينى إلى مُنْتَزه (٣) :

أنعم اللهُ للجناب صباحَــــهْ ‏ وبإسعادِه أراش جناحَهْ

وحبانا حَسْبَ المُنَى بمعاليـ ‏ ـهِ وآدابِ فضلِه المستباحَهْ (٤)

وأقرّ العيونَ منّا بما من ‏ غَضِّ آدابِه أجاد اقتراحَهْ

يا أمينَ الكمالِ وابنَ ذوى الفضـ ‏ ـلِ وخِدْنَ العُلى وربَّ الفصاحَهْ

لاعدِمْتُ الوفاءَ منك بأوفى ‏ صِدْقِ عبدٍ يُجدى إلى نَجاحَهْ (٥)

فأجِبْ داعياً إلى منزلِ القصـ ‏ ـفِ صباحاً لكى تنال رَباحَهْ (٦)

مُسْعِداً حظّه ببِشْرٍ ولُطفٍ ‏ بهما الصدرُ راح يلقى انشراحَهْ

وابْقَ سلْماً حَديثُك السَّعْدُ ما أسْـ ‏ ـعَدَ خِلٌّ إلى خليلٍ صباحَهْ (٧)

* * *

فخاطبته مرتجلا (٨) :

أسعد اللهُ من تكون صباحَهْ ‏ فمحيّاك للصباحِ صَباحَهْ

بأبى أنت رائشاً لجناحى ‏ فى زمانٍ عدمْتُ فيه نجاحَهْ

كان قِدْماً جوادُ حَظِّى جَمُوحاً ‏ فلأنْتَ الذى أزَحْتَ جِماحَهْ (٩)

قد أتتْنى أبياتُك الغُرُّ تختا ‏ لُ وقد أُورِثَتْ جميعَ الملاحَهْ

(١) فى سلك الدرر : « وفيك دامت لنا المنى أمم » .

(٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٣) القصيدة فى سلك الدرر ٣/٧٣ .

(٤) فى سلك الدرر : « بمعاليه » وآداب » . (٥) فى سلك الدرر : « لا عدمنا الوفاء » ، وفى ب : « صدق وعدى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٦) فى ب ، وسلك الدرر : « لكى تنال » ، وفى ج : « لكى ينال » ، والمثبت فى : ا ، وفى سلك الدرر : « تنال رباحه » .

(٧) فى سلك الدرر : « إلى الخليل صباحه » .

(٨) القصيدة فى سلك الدرر ٣/٧٣ ، ٧٤ .

(٩) فى ب : « أرحت جماحه » ، وفى سلك الدرر : « أنت جماحه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

مُبْدَعاتٍ لا يبرحُ الطرفُ عنها ... فهىَ قَيْدُ النَّواظرِ الَّلمَّاحَهْ

كلُّ لفظٍ منها كوُسْطَى نِظامٍ ... زَيَّنَ العقدُ منه جِيدَ الفصاحَهْ

قد دعتْنى إلى اغتنامِ عُهودٍ ... أنا منها فى غِبْطةٍ وارْتياحَهْ [1]

ألفُ سَمْعٍ وطاعةٍ ولكَ الأمْـ ... ـرُ الذى ما برحْتُ أرجو نجاحَهْ [2]

وابْقَ واسْلَمْ على المَدى لمُحِبٍّ ... لكَ يدعُو غُدْوَهْ ورواحَهْ

***

وعزم يوماً على التنَزُّه فى حديقة اتّخذها مَأْلَف نشاطه ، ومَحَلّ أُنْسه وانْبِساطه . فكتب إلىّ يستدعينى [3] :

تتفدّاك مُسْتباحَ الودادِ ... ثابتاً فى حِفاظِه كودادِى

مُستباحَ الجَنَى وطَلْقَ المُحيّا ... ذا جَنانٍ رَحْبٍ وبِشْرٍ بادِى

يا كريماً خصالُه تجذِبُ الآ ... مالَ طبعاً لفضلِه المستفادِ [4]

أُتْحِفُ للعيون بِشْرُ مُحيّا ... كَ فكن مُفْضِلاً بذاكَ مُبادِى

وأجِبْ مسعداً بلُقياكَ داعٍ ... عَمَّه الشوقُ فهْو بالمِرْصادِ

وابْقَ سالماً ممتَّعاً بأمانِـ ... ـيكَ على رَغْمِ مَعْطِسِ الحُسَّادِ

ماتداعتْ إلى التَّدانِى أمانٍ ... من مَشوقٍ أشواقُه فى ازْديادِ

***

ولما قدمتُ من الحج كتب إلىّ ، فأهدى لىَ البدرَ من بيت شَرَفِه ، والعيشَ فى نَضْرة تَرَفِه :

بُشْرَى بمَقْدَمِ خيرٍ منك مسعودِ ... أهْدَى لنا رَوْحَ أُنْسٍ منك معهودِ

---

(١) فى سلك الدرر : « إلى اقتسام عهود » ، وفى ب : « فى غبطة وانشراحه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٢) فى ا : « ولكن الأمر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر .

(٣) القصيدة فى سلك الدرر ٣ / ٧٤ .

(٤) فى سلك الدرر : « لفضله المستجاد » .

أعاد أُنْسَ تدانينا وأسْعَدنا ... بعد التباعد حيناً في ذُرا الجودِ

فلْيَهْنِ معشرَ أحْبابٍ وحُقَّ لهم ... بأن يُهَنّوا ببشرٍ منك مشهودِ

كما يَحِقُّ هَنـاءُ الجَناب بما ... رَوِيتَ من زَمْزمِ المُشْفي لمقصودِ

بُشْراك بشراك ما بُلِّغت من نِعَمٍ ... وما نعِمْتَ به من فضلِ معْبودِ

مُخَيِّمٌ بمِنى حيث المُنى أمَمٌ ... قريرُ عينٍ بموجود وموعودِ

متمِّماً بطَوافٍ نُسْكَ حَجَّتك مُقْـ ... ـرُوناً بحسنِ قبولٍ غيرِ مردودِ[1]

مُيَمِّما سيِّداً مَن زاره وجبتْ ... له الشفاعةُ حقّاً غير مجحودِ

عليـه أفضلُ ماصلَّى الأنامُ على ... جنابهِ مِن صلاة عِدْلَ معدودِ[2]

تُتْلى بأوْفى سلامٍ والرضا أبداً ... يَنْدى على آلهِ والصحبِ بالجودِ

مُثْنٍ عِنانَك فوراً نحو طَيْبةَ ... عَوْداً لأحمد إذ هُو أحمدُ العودِ[3]

فمِن تطيِّب من داريِّ تُربته ... يَشَمّ ما عاش عَرْفَ المسكِ والعودِ[4]

وأبْشِر بحمدك في الأخرى سُراك غداً ... فما السُّرى عند صُبْحٍ غير محمـودِ

ودُمْ حَليفَ مَسَراتٍ خَدِين تُقى ... في ظلِّ سعدٍ نَدى العيشِ ممدودِ

واعْذُرْ أخاك بما أبْدتْ قريحتُه ... من رَوْحِ أُنسِك لا من مثل جلْمودِ

واعذُرْ تأخُّرَ خَجْلَى دون موعدها ... فما القضاء بمنْـكورٍ ومجْحُودِ[5]

فلا برِحْتَ نعيمَ البالِ مقتنِصاً ... بيضَ الأماني بسَعْدٍ غير مورودِ[6]

❊ ❊ ❊

---

(١) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٢) في ب : « ما صلى الإله على » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) طيبة : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . (٤) مسك داري : منسوب إلى دارين ، فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند . معجم البلدان ٢ / ٥٣٧ .

(٥) في ب : « تأخر حجلى » ، وفي ج : « تأخر خجلا » ، والمثبت في : ا . (٦) في ب : « نعيم البال منتضيا ... بسعد غير موءود » ، والمثبت في : ا ، ج .

وردت علينا سَنة من سِنِي يوسف لم تدع للأُنْس وقتا ، ولم تبعث إلا إساءة ومَقْتا .

فأقبل الربيعُ وولّى ، ولم تَدْرِ[1] أجاء أو لا .

وقد طُمِست آثار المسرّات ، عند ما قامتْ نوائب المَضرّات .

فذكرتُ أوقاتى معه ، حيث مآرِبى به مجتمِعة .

تُشْرِق بِحُلاه ، وتبتهج بِعُلاه .

وكان وعدَنى بإرْسال بعض قِطَع ، من نظْمه المبتَدع .

فكتبتُ إليه :

رُقْعتى إلى الحضرة الشّرِيفة صدرَت عن ذهنٍ كَليل ، وحَدٍّ فَلِيل ، وقلقٍ[2] كثير ، وتصبُّر قليل .

وخاطرٍ منْقَبِض ، وأسًى فى الصدر معترِض .

كيف والأنسُ تقلّص ذيلُه ، وأظلم دون الأمل نهارُه وليلُه .

وهِيضَ عَضُده ، وغِيض ثَمَدُه[3] .

فلْيَبْكِ عليه الباكى ، وليَبُثّ ما يجده من فَقْده الشّاكى .

فهذا الوَرْد كما جاء راح ، وما تعطّر به مجلسُ رَاح .

فهو لذلك شَقّ جَيْبَه بل قلبه حُزْنا ، واستعْبَر حتى فُقِدت دموعُه ، فاستنْجد للبكاء طَلاًّ ومُزْنا .

وغطّى رأسه بأكْمِه ، خَجْلان من سَماجة أيّامه .

---

(١) فى ب ، ج : « يدر » . والمثبت فى : ا . (٢) فى ا : « وقلقل » . والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) الثمد : الماء القليل .

وكان يقال له : اخْتَشى أَلَمَ القطعِ فاحْتَسَى الزَّعْفران ، وأمّا الآن فقد احْتساه ليغيِّب حواسَّه عن[1] آلام الزّمان .

بل سمع بالنـار تَسَعَّر[2] لاستقْطاره ، فناشَدَ بَنْ يُعجِّل[3] بقَبْض رُوحِه ، وألّا يُعذَّب باسْتِنْظاره .

وما زال[4] يستجير من جَوْرِ الدهر[5] الخَؤُون ، إلى أن رَقَّ له النسيمُ وحَنَتْ عليه الغصون .

فهذا حالُ الوردِ وهو زَهْر ، فكيف حالُ صَبٍّ[6] يدْرِى مواقع[6] الدهر .

تُذَكِّرُكَ عهودُه الماضية ، أيامَ كان بخدمتكَ في[7] العيشة الرّاضية .

وأنت تُغنِّيه بنَضارة لَفْظِكَ عن الورود المتنوِّعـة ، وبفنون حِفْظِكَ عن الطُّرَفِ المتجمِّعة .

فأيُّ عيشٍ له[8] بعدَها يَطِيب ، ولا رَوْضَ صِبَاه مُخْصِب ولا غُصْنه رَطِيب .

فإن رأيتَ ولك[9] الرّأى أن تتلافَى في بعضَ رَمَق ، فتُهْدِى لى الحيـاةَ من أشعارِكَ الغضَّةِ في طَبَق .

لأستبدل بها من صدأ الهمِّ صِقالا ، وأُفرِّج بها عن فكرتى ارْتباطا واعْتقالا[10] .

فتعود كُبولتى صِبا ، وتَهُبَّ رِيحى صَبا .

فعندها أقول للآمال : دعِ الأيام تكُن غِضابا ، إذا ما اجْتَنَيْتَ من هـذه الشجرة رُضابا .

---

(١) في ب : « من » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « تستعر » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٣) في ب : « يعجله » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) في ب : « ولا زال » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٥) في ب : « الزمن » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ا : « يدرى بمواقع » ، وفي ب : « يدرى دواقع » ، والمثبت في : ج . (٧) في ا : « من » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٨) ساقط من : ب ، ج ، وهو في ا . (٩) في ج : « ذلك » ، والمثبت في : ا ، ب .
(١٠) في ا : « أو اعتقالا » ، والمثبت في : ب ، ج .

فمهما مَنَنْتَ ، تطوَّلتَ وأحسنت .

فالوقت إساءةٌ أنت إحْسانُه ، وناظِر ليس إلّا أنت إنْسانُه .

فالله يُبْقِيك ما انْبَسَطت بك أساريرُه ، وقامت بك عن ذنوبه معاذيرُه .

* * *

فراجعني بقوله :

سيّدي الأمين ، ومُؤيّدي في كلّ حين .

حرس الله تعالى من الغِيَرِ حصنَ حِمايتك ، ومن الكدَر صَفْوَ أوقاتك .

وتولّى حفظ مَلَكِيّ[1] ذاتِك ، وصَوْن مُضافاتِك من كل فاتك .

وشرح منك وبك الصدور ، وأنْعم[2] منك وبك البالَ وحَباك السرور[3] .

لازلت تُحْيِي[4] برُوح تلافيك التياحي ، وتُحيِي[5] بريح تلافيك ارْتياحي .

فلقد وأيْمُ اللهِ أوْلَيْتَ من صنيعك منه ما أمْلَيْت ، فكأنما بلساني نطقْت ، وعمّا أعْرَبه جَناني أعْرَبْت .

فصديقُك في الحال قد واساك ، ورفيقُك في المجال قد ساواك .

غير أنه وجَم عن بَثّ أحْزانه ، من تقلُّب وقته وانقلاب عيانه .

يقـول إيهٍ وقد وجَمْتُ ومَن بَنْطق أو من يُطيق مُحْتملا

كيف وقد تقلَّص من الوقت ذيلُ أنْسِه ، وصار من المَقْت يحسُد يومَه لأمسِه .

واعْتاض[6] مُسْتام[7] جميلَ عوائده ، بصَفْقة الخسْران من فوائده .

---

(١) في ا : « ملك » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ب : « فأنعم » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) في ا : « بالسرور » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ج : « تحيى » ، والمثبت في : ا ، ب .

(٥) في ا : « وتحيى » ، والمثبت في : ب ، ج . (٦) في ج : « أو اعتاض » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٧) في ب : « مستهم » ، والمثبت في : ا ، ج .

فهناك الوردُ زاد[1] فيه بُرهة وَجلا[2] ، وعاد سُرعةً نادماً خجِلا .

فحُقَّ له ما به قد وصفْتَه ، بل وإن لم يَعد لمثلها لكنت أنصفْته .

هذا وهو زائر مُجتاز ، فما حال من هو لِمَواقع دهره الظَّلُوم مَجاز .

تعرّض مجتازاً فكان مُذكِّراً بعهْد اللَّوَى والشيء بالشَّيء يُذكَرُ

فياله من مُذَكِّر مُصيب ، قد حَبانا[3] من مآثره بأوْفَى نصيب .

حيث ذكَّر الفِطْنة السليمة ، بسوابق عوائدها الكريمة .

فجاءتْ جَرْياً على العادة ، بما اسْتَوْجب منِّي الشكرَ وزيادة .

فعند ذلك تنفَّستُ نَفَس المصدور ، وهنالك نشِطْتُ كما نشِط المخمور .

وامتثلتُ الطَّلب ، حيث كان عينَ الأدب .

واستدعيْتُ القريحة الخامدة ، واستنطقْتُ الفكرة الجامدة .

فأبدتْ هذا المقول ، حيث علِمتْ بأن العذرَ عندكم مقبول[4] :

أرَغدُ العيش ما وفاكَ زمانُهْ وتواخاكَ يا أُخَيَّ أمانُهْ[5]

وصفا مَشْرب التأنُّس واستدْ عتْك للقصف والهنا إخْوانُهْ[6]

وتدانتْ به الأماني وأزْرتْ بالثُّريَّا في نَسْقِهـا نُدمانُهْ[7]

وتداعَى من المحبِّ حنينٌ وتدانَى من الحبيب جَنانُهْ[8]

فغَدَوْا والمُنَى لهم أَمَمٌ يُحْ سِنُ كلٌّ شكراً لمنْ ذا امتنانُهْ[9]

---

(١) في ا : « ذاو » ، وفي ج : « زاد » ، والمثبت في : ب . (٢) جلا : من الجلاء . (٣) في ا : « جاءنا » ، وفي ب : « حيانا » ، والمثبت في : ج . (٤) الأبيات العشرة الأولى في تراجم بعض أعيان دمشق ١٣٧ . (٥) في ب ، ج : « ما واتاك زمانه » ، والمثبت في : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفي ج : « وتوخاك يا أخي » ، والمثبت في : ا ، ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٦) بين هذا البيت والذي يليه تقديم وتأخير في : ب . (٧) في ج : « وتداعت بك الأماني » ، والمثبت في : ا ، ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٨) في ا : « وتداعى من الحبيب » ، وفي ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « من الحبيب حنانه » ، والمثبت في : ب ، ج . (٩) في الأصول : « والمنى لهم أم » ، والمثبت في تراجم بعض أعيان دمشق ، وفي ب : « شكر المرء امتنانه » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

هكذا العمر يستفاد وحقاً ... يستجاد احتسابه وبيانه

يا حبا الله بالأحبة مغنى ... فيأت غصن روضه أفنانه

هو للقصف منزل مستطاب ... طال ما ضم شملنا فينانه

جاور السفح فاكتسى عاطر النـ ... ـفح فأضحى ذاكى الشذى ريحانه (١)

فرعى الله سالف العهد منه ... حيث لى بالسعود كان اقترانه (٢)

وأمانينا تبادرنا مستبقا ... ت والعيش طلق عنانه (٣)

وأماليك تستفاد وآدا ... بك روض يشوقنا عنوانه (٤)

حيث كانت تندى أراكة حظى ... من ندى لفظك الشهى وزانه

فسقى الله بالحيا ذلك السـ ... ـفح وحيى عهوده رضوانه

وحبانا منها بأحمد عود ... وأرانى بك المنى إحسانه

---

(١) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « ذاك الشذا ريحانه » . (٢) فى ب : « سالف العصر منه » .
والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٣) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٤) فى ج : « وأمانيك تستفاد » ، والمثبت فى : ا ، ب .

٦٦

السيد إبراهيم*

صغيرهم الذى هو فَذْلَكة حسابهم ، والجامع الكبير لما تشعّب(١) من بحر أنسابهم .

(*) السيد إبراهيم بن محمد بن محمد كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسيني الحنفي .
المحدث ، النحوى ، العلامة .
ولد فى دمشق ، سنة أربع وخمسين بعد الألف .
ونشأ بها فى كنف والده ، واشتغل عليه ، وعلى شقيقه السيد عبد الرحمن ، وتخرج بهما .
وقرأ على جماعة ، منهم : محمد [illegible] ومحمد بن سليمان المغربى ، ويحيى الشاوى ، وإبراهيم الفتال الدمشقى . وأجازه جماعة من الأعلام ، من دمشق وغيرها .
وسافر إلى الروم ، فقرأ على علمائها ، ثم إلى مصر ، متوليا نقابة الأشراف بها ، سنة ثلاث وتسعين بعد الألف ، وأخذ عن علمائها .
تولى نيابة محكمة الباب الكبرى بدمشق ، والقسمة العسكرية ، والنقابة مرات ، ودرس بالأمجدية والجوزية .
ومن مؤلفاته « أسباب الحديث » لخص فيه مصنف أبى البقاء العكبرى ، وزاد عليه ، ومنها « حاشية على شرح الألفية لابن المصنف » لم تكمل .
حج سنة تسع عشرة ومائة وألف ، فلما عاد مرض ، ولم يزل حتى توفى بمنزلة ذات الحاج سنة عشرين ، ودفن بها .
سلك الدرر ١ / ٢٢ ــ ٢٤ ، ونقل المرادى صدر ترجمة المحبى له فى « النفحة » ، وقال : « ولم يذكر له من الشعر سوى القصيدة التى سبك فيها نسبه ، ولم أظفر له بغيرها من الشعر حتى أثبته هنا إلا بيتى لغز » .
وللسيد إبراهيم ترجمة على طريقة النفحة فى تراجم بعض أعيان دمشق ٣٩ ــ ٤١ ، وذكر له ابن شاشو قصيدة النسب ، وأخرى سينية ، بدأها بقوله :

أحِنُّ إلى تلك الرُّبَى والمآنسِ ... بذات الغضا والساجعاتِ الأوانسِ

(١) فى ب : « السمت » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر .

وله الاطّلاع الذي يخفَى عنده صيتُ ابن السَّمْعانيّ[١] ويعدَم ابنُ العَـديم[٢] ، والرِّواية التي يشفع حديثُها قديمَ الفضل فالحديث يشهد بفضله القديم .

وقد طلع من هـذا الفلك بدراً[٣] تستمدُّ منه البدور ، وحلَّ من المجد صدراً[٤] تنْشرح برؤيته[٥] الصدور .

وعُنِيَ بالرحلة من عهد ريْعانه ، فسطَع نُور فضله بين إشْراق الأمَلِ ونَمَدانه .

وهو أينما حلَّ حلا[٦] ، وحيثما جالَ جلا[٧] .

والقلوب على حبِّه مُتوافقة ، وأخبار فضله مع نسمات القَبول مترافقة .

وكنت لقيتهُ بالروم أوّل ما حَيَّيْتُهــا[٨] ، فسرَّيْت كُرْبــتي في تلك الغربة بلقائه وجَلَيْتُها[٩] .

و نسيتُ ذنبَ الدهرِ لما رأيتُه ودهرٌ به ألقاه ليس له ذنْبُ

وهو الآن بدمشق مقيم ، بين رَوْحٍ وريحان وجنة نعيم .

---

(١) بيت السمعاني محله في العلم كبير
وأبعدهم صيتا أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور ،صاحب «الأنساب» «والذيل على تاريخ بغداد» .
مؤرخ ، من رجال الحديث .
توفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة .
طبقات الشافعية الكبرى (الطبقة الخامسة) ٤/٢٥٩ ، اللباب ١/٩ ، وفيات الأعيان ٢ ٣٧٨ــ٣٨١ .

(٢) كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله ، المعروف بابن العديم .
من أهل حلب ، جال في دمشق ، وفلسطين ، والحجاز ، والعراق .
له اشتغال بالحديث والتاريخ ، وهو صاحب شعر حسن .
توفي بالقاهرة ، سنة ستين وستمائة .
إعلام النبلاء ٢/٣١٣ ، الجواهر المضية ١/٣٨٦ ، معجم الأدباء ١٦ ٥ ــ ٥٧ ، فوت الوفيات ٢/٢٠٠ ــ ٢٠٣ .

(٣) في سلك الدرر : « بدر » . (٤) في سلك الدرر : « صدر » . (٥) في ا : « به » ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٦) في ج : «حلى» ، والمثبت في : ا ، ب ، وسلك الدرر . (٧) في ج : « جلى » ، والمثبت في : ا ، ب ، وسلك الدرر . (٧) هـكذا على طريقة المؤلف في الفك .

(٩) في ب : « وجليتها » ، والمثبت في : ا ، ج ، وسلك الدرر .

تحيّته فيها سلام ، وآخر دَعْواه إجلال واحترام .

رغبته إلى [1] التوسُّع فى المعلومات متسدّة ، ونفسه باقتناء محامد [2] المعلوات [3] مشتدّة .

* * *

وله فى الأدب بَسْطة وباع ، وشعر مُتَحلٍّ [4] بروْنق وانطباع .

فما رويته من نظمه الذى أتحفنى بإملائه ، وجلا عن مرآة فكرى صَداها باجْتلائه .

قوله من قصيدة يذكر فيها نسبه ويفتخر [5] :

غيرى الذى يَسْتام رِبْحَ تَدانٍ ... بمذلّةٍ هى صفقةُ الخُسْرانِ [6]

ومن الرّدَى أن أرْتضى بمذلّةٍ ... وخلائقى تسمو على كِيوانِ [7]

وأُضيعَ حقّى والشهامة شِيمَةٌ ... مُتَّتْ إلىَّ من النّبىّ العدنانِ [8]

الهاشمىّ محمدٍ مَن قد رقَى السَّبْعَ الطِّباقَ وخُصَّ بالقرآنِ [9]

وبابنِ عمّ المصطفى نسبى بما ... أعنى عليًّا سيدَ الشجعانِ

وبفرْعه سِبْطِ النّبىّ مجْدى بما ... أعنى حسينًا سيدَ الشبانِ

وبزَيْن عُبّاد الإلهِ وباقرٍ ... وبصادقٍ فخْرى على الأقرانِ

---

(١) فى ب : « فى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلاف الدر . (٢) ساقط من : ا ، وسلاف الدرر ، وهو فى : ب ، ج . (٣) فى سلاف الدرر : « المعلومات » .

(٤) فى سلاف الدرر : « متجمل » . (٥) ذكر المحبى نسب بنى حمزة جميعه ، فى ترجمة السيد حسين بن كمال الدين بن محمد . خلاصة الأثر ٢/١٠٥ .

والقصيدة كلها عدا الأبيات الخمسة الأخيرة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٠ .

(٦) فى ا : « ربح تدان » ، وفى ج : « ربح تدانى » ، والمثبت فى : ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٧) فى ب : « أن أرتقى بمذلة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفى الأخيرة : « وخلائقى تعلو على كيوان » .

وكيوان : زحل . القاموس (ك و ن) .

(٨) فى ا : « والشهامة شيمتى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٩) فى ا ، ج : « وخص بالعرفان » ، والمثبت فى : ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

وكذا بإسماعيلَ ثم محمدٍ ... وكذا بإسماعيل وهو الثانِي (١)

وبأحمدٍ ثم الحسينِ وفرعِهِ السَّـ ... امِي نقيبِ دمشقَ الحـرّانِي

أعني به إسماعيلَ ثم بفرعِهِ ... أعنى الحسينَ العارفَ الرَّبانِي

ثم الشجاعِ عليٍّ من حاز التقى ... وبناصرِ الدين الرفيعِ الشانِ

ومحمدِ النَّسَّابةِ الشهمِ الذكِي ... وبحمزةَ ذي الفضلِ والعرفانِ

وبذي التقى الحسنِ البهيِّ وفرعِهِ ... أعني عليًّا قدوةَ الأعيانِ

وبحافظِ العصرِ الهمامِ محمدِ الْـ ... ـمدعُو بشمسِ الدين ذي الإتقانِ

وعلي نقيبِ دمشقَ مُسنِدِ عصرِهِ ... وبأحمدَ السَّامي بحُسْنِ بيانِ

وبحمزةِ ذي الفضلِ والتأليفِ في ... علمِ الحديثِ وحافظِ القرآنِ (٢)

ومحمدِ المدعُو كمالَ الدينِ مَن ... رحلتْ له الطلابُ من بغْدانِ (٣)

مفتي دارِ العدلِ ثم محقِّقِ الْـ ... ـعصرِ الحسينِ وفارسِ الميدانِ

أعني محمداً النقيبَ بجلِّقٍ ... ومحمدٍ وهو الكمالُ الثانِي (٤)

أعني نقيبَ دمشقَ جدي من سما ... بنصيحةٍ للهِ في الإعلانِ (٥)

وبوالدي الحبْرِ الهمامِ محمدٍ ... من فاقَ في تحقيقِهِ الجرجانِي (٦)

وهو النقيبُ بجلِّقٍ أيضا ولِي ... عِزٌّ بتَوْلي عزِّهِ أسمانِي

(١) إسماعيل الأول ، هو إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق . وإسماعيل الثاني ، هو إسماعيل الثاني ابن محمد بن إسماعيل الأعرج .

(٢) حمزة هذا هو حمزة بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن حمزة المتقدم ذكره في البيت الثاني عشر .

(٣) بغدان : لغة في بغداد . (٤) الكمال الأول تقدم ذكره في البيت الثالث عشر ، وهو كمال الدين محمد بن حمزة بن أحمد ، والكمال الثاني هو كمال الدين محمد بن محمد بن حسين بن محمد الكمال الأول .

(٥) في ب ، ج : « بنصيحة لله بالإعلان » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق :

« بالفضلِ والتحقيقِ والإتقانِ »

والمثبت في : ا .

(٦) الجرجاني هو علي بن محمد بن علي ، المعروف بالسيد الشريف .

عالم عظيم ، عرف بإتقانه العربية وتحقيقه .

توفي سنة ست عشرة وثمانمائة .

البدر الطالع ١/٤٨٨ ، الضوء اللامع ٥/٣٢٨ .

مولاى مَن عزّ الذليلُ ببابه السّـ ... امِى مُفيضُ الفضلِ والإحسانِ

مفتى الأنام محمـدٌ مَن قد رقى ... بذُراهُ فخـراً مذهبَ النُّعمانِ

فردُ الزمانِ وواحدُ العصرِ الذى ... وافتْ له الفتوى ولا مِن ثانِ

واللهُ حقَّق مارجوْتُ بفضلِه ... فالعزُّ عزّى والزمانُ زمانى

واللهَ أرجو أن يديمَ له البقـا ... ويقيه من شرِّ الزمان الجانى[1]

ومحاسن هؤلاء الاخوان ، لم يتمتَّع بمثلها أوان[2] ، وأدبهم كتنبتِ الأرض ألوان :

فلنصْرف عِنانَ الإطالة ، ونسلِّم على السيادة[3] الطاهرة الأصالة .

* * *

ولى[4] من فصُول[5] الـكلام ، قصيدة فى مدح[6] آل رسول الله[6] عليـه الصلاة والسلام .

وكان سببُ إنشائها ذِكْرى لهؤلاء العصابة ، وفى ظنى أنى قدحْتُ فيهـا زَنْد الإصابة .

فعَنَّ لى أن أذكرها هنا لهذا السبب ، وأنا متوسِّل إليهم بفضل النَّسَب .

والقصيدة هى هذه :

ماضَرَّه لو كان عَلَّل بالمُنَى ... فلقد رضيتُ ولَذَّ لى فيه العَنَا

اليأسُ أقتلُ ما يكون لذى الهوى ... فعسى نُداوَى بالمنى ولعلَّنَا

بل ماعليه لو سَخَا بخيـالِه ... فيزورَ فى بعض الليالى مَوهِنَا[7]

---

(١) عجز البيت فى ب :

* ويقيه شرَّ طوارقِ الحِدْثانِ *

والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ب : « زمان » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ب : « السادة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٥) فى ا : « فضول » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى ا : « الرسول » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٧) الموهن من الليل : نحو منتصفه .

زُرْ ياخيالُ ودعْ مراقبةَ العِـــدى   فلكَ الأمانُ لقـــد تساويْنا ضَنَى

ولقد خفِيتُ عليك فاطلبْ مَضْجعى   فوسادتى تَهْدِيك أنَّى هاهنا

أوْلا فمُرْنى أنْ أزور كرَوْرتى   والدارُ بالجرْعاء جامعـةٌ لنا [1]

قل للذى نزل الغضا مُتباعِـــداً   عنّى وكانَ له فؤادى مسكنا

هـــذا الغضا قلبى وسَفْحُ محاجرى   يجرى العقيقُ وذى ضُلوعى مُنْحنَى

ولقد عَنيتُ رشاً تخِذْتُ تولِّعى   فيه إلى صـــــدقِ الوفاء تديُّنا

بدرٌ إذا شبّهتُ باهرَ حسنِـــــه   بالبدرِ كان الوجهُ منـه أحسنا [2]

نَشْوان من خمرِ الشّبيبـة والصِّبـا   لحظاتُه شَرَكُ العقول إذا رَنا

إن مرّ بالأغصان خرّتْ رُكّعاً   لقَوامه أو بالقَنـــا فضَح القنا

ما أبْدع الرحمنُ طلْعـــةَ وجهِه   إلا ليُودِعهـــا الجمالَ الْمُمكِنا

جسدٌ يسيلُ لطافةً كالماء من   ترَفٍ أرقَّ من الحرير وألْيَنا

ستَرَ الجمالُ خُـــدودَه بعوارضٍ   قتَلَ النفوسَ بها وأحْيَى الأعيُنا

والشمسُ يمنعها اجْتلاها أن ترَى   فإذا اكْتستْ غيماً رقيقاً أمْكنا [3]

نادمْتُـــــه والراحُ يعطِف عِطْفَه   كالغصنِ يعطِفه النسيمُ إذا انثنَى

متألّفيْن على الصّبابة والهـــوى   مُتَسربِلَيْن ردا الأمانةِ والمُنَى

حيث الزمانُ كما نحبُّ وخُلْقُـــه   سهلٌ وليس كأهْلِه مُتلوِّنا

حتى تغـــــيَّر عن حقيقـةِ حاله   وبطبْعه أعْـــدَتْه أولاد الزّنا [4]

وعفتْ رسوم الودِّ وانقَشع النَّدَى   فالعيشُ قَفْرُ الرَّبْعِ مُغْبَرُّ الفِنا

والدهرُ قد عمّتْ مواقعُ خَطْبِـــه   من لم يـكن يجْني الذنوبَ ومَن جَنَى

---

(١) الجرعاء ، والغضا ، وحاجر ، والعقيق ، والمنحنى : أماكن يكثر ذكرها فى الشعر ، ولايراد بها مكان بعينه .   (٢) فى ب : « بدرا » على النصب ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « يمنعها ضياها » ، والمثبت فى : ب ، ج.   (٤) فى ب : « عن حقيقة أهله » ، والمثبت فى : ا ، ج .

كلٌّ على مِقْدارِهِ أخْطارُهُ ... فأحقُّهم بالمجـــدِ أكثرُهم عَنَا

ما ماسَ فى بُرْدِ المعـــالى ناعماً ... إلا الذى لبس العَجاجَ الأدْكَنا

رُوحِى فِدًا نفرٍ بصـــبرِهمُ على ... نُوَبِ النوائب أحْرزوا فضلَ الثَّنَا

بلغتْ بهم عَلْياؤهم رتباً غـــدا ... منهـا السناءُ مُفرَّعاً وكذا السَّنَا [1]

وإذا دعا داعٍ بياخَـــيْرَ الورى ... كلٌّ يقول مرادُ ذا الداعِى أنا

وإذا العُلَى عَلِقتْ بغـــيرِ حبالِهمْ ... رُمِيتْ وحاشاها بِشُنُوءِ الثنا [2]

لا تقدرُ الفصحاءُ تحصُرُ فضلَهم ... لو أن ذَرَّ النملِ كانت ألْسُنا

طالُوا السِّماكَ فمن أراد لَحاقَهمْ ... أوْمَتْ مَساعيه إليـــه قِفْ هُنا [3]

لم تنتج الزَّهْراءُ إلا أزْهراً ... وشرافةُ الحسنَين إلَّا مُحْسِنا

ياسادتى يا آلَ أحمـــدَ مدحُكمْ ... فرضًا يَراه مَنْ تَسَمَّى مؤمنا

أنا قد حُسِبتُ عليكمُ فى نسبةٍ ... شَرُفتْ وتلك أجلُّ فخرٍ يُقْتَنَى [4]

لا تمنعوا عـــنِّى عِنايةَ فضلِـكم ... فأنا الفقيرُ وأنتمْ أهـــلُ الغِنَى

* * *

---

(١) فى ا : « بلغت بهم علياؤهم رتب غدا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ا : « رميت وحاشاى . . . » وبقية عجز البيت بياض ، وفى ب : « رميت وحاشاها بشنو الثنا » ، والمثبت فى : ج . (٣) السماك : أحد كوكبين نيرين ؛ يقال لأحدهما الرامح ، وللآخر الأعزل . القاموس (س م ك) . (٤) سقط هذا البيت من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

بيت العماد

بيت فضل وكرَم ، دمشقُ بهم من عهد ذات العماد إرَم .

يمثل رتبتهم بشَمخ العِزّ المتقاعِس ، ويمثل طلاقتهم بتنبّه الحظّ المتناعِس ، وفي ذلك المجد فليتنافَسِ المتنافِس .

فضلهم على الكرام ، فضلُ الحلال على الحرام .

ولهم من المَزيّة على أهل الكمال ، مَزيّةُ الصَّبا على الجَنوب واليمينِ على الشِّمال .

هم القومُ حازوا صِفاتِ العُلى　　بحسْن الطبائِع ولطفِ الشِّيَمْ

ودُنْياهمُ طلْعــــةُ المجْتَلى　　ودهرُهمُ واضحُ المُبْتَسَمْ

ومن حقِّهم شكرُ آلائِهمْ　　ومن حقّ شانيهمُ أن يُذَمّ

فيهم :

٦٧

شهاب الدين بن عبد الرحمن *

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ [(١)] ، ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ [(٢)] .

لَهُو جَواد اسْتَبَق فحاز السَّبْق ، وانطلق فأبْعد [(٣)] الطَّلَق .

وشهاب تألَّق ، وشهمٌ قنَص وما حلَّق .

تبنَّغ حتى لم يُبْقِ مَطْمَعا ، ولاح فأرى الشمسَ والبدر معا .

وهو فى عيشٍ موافق وزمن مُعِين ، وروضة مُنًى طَلَّة [(٤)] وماء مَعِين .

والجود لا يُعْطَى إلا بِبَنانه ، والدهر لا يسطو إلا بجَنانه .

إلا أنه تصرَّفت به [(٥)] فى آخره الأعمال ، فقُبِض على فَتْرة من الآمال .

(*) شهاب الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد العمادى ، الدمشقى ، الحنفى .

ولد سنة سبع بعد الألف .

ترقى فى حجر والده ، واشتغل فى مبدأ أمره على الحسن البورينى ، والشهاب أحمد العيثاوى ، والشهاب أحمد الوفائى ، وعلى والده .

وأخذ عن أبى العباس المقرى ، ولازم المولى السيد محمد بن محمود الحميدى ، شريف ، قاضى العسكر .

درس بعدة مدارس ؛ منها : النورية الكبرى ، والناصرية الجوانية ، والشبلية ، والسليمية ، وولى قضاء الركب الشامى ، وحج .

وسافر إلى الروم ؛ لطلب فتيا الشام ، فلم يتيسر له ، ثم أعطيت له ، وعزل عنها ، فأقام بداره لا يخالط أحدا ، ولم يزل منغص العيش ، شاكيا دهره ، متلهفا على ماضى عزه ومنصبه ، حتى توفى سنة ثمان وسبعين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٢/٢٣١ ـ ٢٣٥ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٦ ـ ٤٨ .

(١) سورة الشمس ١ ، ٢ . (٢) سورة الشمس ٤ .

(٣) فى ا بعد هذا زيادة : « عن » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ب ، ج : « طلة » ، والمثبت فى : ا . (٥) فى ا : « فيه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وله المآثر الغُرّ ، يزينها خطٌّ[1] أغلى قيمةً من الدُّرّ .
فإذا دجا ليلُ قلمه ، وطلعت فيه شهبُ[2] كَلِمه .
لم يقعُد له بها شيطان مَقْعَدا ، إلّا وجد له شهاباً رَصَدا .
فأسرارُها مَصُونة عن كل خاطف ، مطويّة بأيدي الصَّوْن عن كل قاطف .

* * *

وقد وقفتُ من آثاره على قِطَع ، كأنما الحسنُ منها مُقتطَع .
فأثبت منها ماهو سَلْوة المتغنِّي[3] ، وشهدة المُتمعنِي[4] .
ونُزهة المُتلفِّظ[5] ، وكفاية المتحفِّظ .
فمنها قوله في الغزل[6] :

بروحِيَ فتّانٌ بلحظيه قاتلٌ ... يُرِينا المنايا الحمرَ بالأعيُن النُّجْلِ[7]
يميل بقدٍّ أخجل الغصنَ والقنا ... يُجِدّ على قتل المحبّين بالهَزْلِ
عجبتُ لهذا الحبِّ تَرْضى فعالَه ... وإن هو بعد العزِّ بدّل بالذلّ

* * *

وقوله في دير مُرّان[8] :

أيا دَيْر مُرّانَ سقاكَ غمامُ ... تروح وتَغْدُو غِبَّهنّ سلامُ[9]
وحيّاك من ديْرٍ وحيّي معاهداً ... بمغناك ماناح الزمانَ حَمامُ[10]

---

(١) في ب : « حظ » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .
(٣) في ا : « المتعني » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) كذا في الأصول .
(٥) في ب : « المتقط » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٦) الأبيات في خلاصة الأثر ٢ / ٢٣٣ . (٧) في خلاصة الأثر : « بلحظيه فاتك » .
(٨) سيذكر المؤلف دير مران فيما بعد ، والأبيات في تراجم بعض أعيان دمشق ٤٨ .
وفي ا هنا وفيما يأتي « دير صروان » ، والتصويب من : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .
(٩) في تراجم بعض أعيان دمشق : « تروح وتغدو عيشهن سلام » .
(١٠) في ب : « ما ذح الزمان » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

وقفتُ على رَسْمٍ به راحَ دارساً ... وقد فاح من عَرْفِ الرياضِ خُزامُ [1]

فقلتُ ولى فيــــه رَسِيسُ صَبابةٍ ... وفى القلبِ منّى لوعـــةٌ وغرامُ

كأن لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم تُهْرَقْ هناك مُـــدامُ

* * *

والبيتُ مُضمَّن ، وأصلُه [2] :

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكَّةَ سامرُ [3]

بلى نحن كنــــــا أهْلَها فأبادَنا ... صُروفُ الليالى والجدودُ العواثِرُ [4]

* * *

ودير مُرّان معروف بدمشق ، بالقرب من الرَّبْوة [5] .

وقد تداولت ذكره البُلغاء [6] ، وحسبك من وصْفِه ماحكاه الثَّعالبيّ عن البَبَّغا [7] .

وهو دير قديم ، مترنح شائق وبديع .

دَيْرٌ أطلَّ فوق وادٍ نَضِرٍ ، يرضع طفلُ نَوْرِه ثَدْيَ المطر .

إلا أن الدهر عَفَّى [8] صورةَ رَسْمه ، ومَحا محاسن هيئةٍ كانت روحاً لجسمه .

---

(١) الخزام ، هو الخزامى : خيرى البر ، زهره أطيب الأزهار . القاموس (خ ز م) .

(٢) البيتان لعمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى يتشوق مكة ، لما أجلتهم عنها خزاعة ، وهما له فى : أنساب الأشراف ١/٨ ، ٩ ، تاريخ الطبرى ٢/٢٨٥ ، وجاء اسمه فيه عاص بن الحارث ، وهو خطأ . صوابه فى صفحة ٢٨٤ السابقة حيث تقدمت أبيات من القصيدة منسوبة لعمرو بن الحارث ، سيرة ابن هشام ١/١١٤ ، ١١٥ ، اللسان (ح ج ن) ١٣/١٠٩ ، معجم البلدان ٢/٢١٥ ، ٤/٦٢٣ ، ونسبه ياقوت فى الأول لمضاض بن عمرو الجرهمى .

(٣) الحجون : جبل بأعلى مكة ، عنده مدافن أهلها . معجم البلدان ٢/٢١٥ .

(٤) فى أنساب الأشراف ، وسيرة ابن هشام : « كنا أهلها فأزالنا » .

(٥) ذكر ابن شاكر أنه فى سفح قاسيون ، وذكر أنه دير النائم الأقصى ، وأنشد أبيات الخزاعى الآتية . وقال ياقوت : نقلا عن الخالدى : « هذا الدير بالقرب من دمشق ، على تل مشرف على مزارع الزعفران » معجم البلدان ٢/٦٩٦ .

(٦) فى ب : « البلغاء » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٧) انظر يتيمة الدهر ١/٢٥٣ .

(٨) فى ا ، ج : « أعفى » ، والمثبت فى : ب .

وكانت به مقاصيرُ كأنها مقاصير جَنَّة ، فأصبحت الآن وهي ملاعب جِنَّة .

فقد عميتْ أخبارُ قُطّانه ، ودثَرت [1] آثارُ أوطانه .

من وَهْي بِنائه ، وسكَن الحوادث بِفِنائه .

وقفتْ عليــه السُّحْبُ وَقْفةَ راحمٍ   فبَـكتْ له بعيونِهــــا وقلوبِها

وهو أحد الدِّيارات المذكورة فى الشعر القديم .

قال فيه الخليع [2] :

يادَيْرَ مُرّانَ لا عُرِّيتَ من سكَنٍ   قد هجْتَ لى شجَناً يادير مُرَّانا [3]

سَقْياً ورَعْيــا لِمُرّانٍ وساكنِه   ياحبّذا قاطنٌ بالدير مَن كانا [4]

حُثَّ المُــدامَ فإنّ الـكأسَ مُترَعةٌ   مما يهيج دواعِي الشوقِ أحيانا [5]

* * *

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٢) أبو على الحسين بن الضحاك الباهلى .

شاعر من البصرة ، نادم الأمين ومدحه ، ثم اتصل بالمعتصم أيام خلافته ، ومدحه ، ومدح الواثق .

توفى ببغداد ، سنة خمسين ومائتين .

الأغانى ٧/١٤٦ ــ ٢٢٨ ، وفيات الأعيان ١/٤٩٢ ــ ٤٩٤ ، ترجمة رقم ١٨٣ .

والأبيات فى الأغانى ١/١٩٣ ، والديارات ٢٢ ، ومعجم البلدان ٢/٦٩٥ .

(٣) رواية الشابشتى وياقوت : « دير مديان » فى الوضعين ، ورواية أصول الأغانى توافق ما فى النفحة.

قال ياقوت : « وروى غير الشابشتى هذا الشعر فى دير صمان ، وأنشده كذا ، والصواب ما كتب؛ لتقارب هذه الأمكنة المذكورة بعضها من بعض » .

ودير مديان : على نهر كرخايا ، قرب بغداد ، وكرخايا نهر يشق من المحول الكبير ، ويمر على العباسية، ويشق الكرخ ، ويصب فى دجلة . معجم البلدان ٢/٦٩٥ .

ورواية الأغانى لعجز البيت : « هيجت لى سقما يادير مديانا » .

ورواية الديارات ، ومعجم البلدان له : « ما هجت من سقم يادير مديانا » .

(٤) رواية الأغانى :

سَقْياً ورَعْياً لـكَرْخايا وساكنِها   والجُنَيْنة بالرَّوْحاء مَن كانا

ورواية الديارات ، ومعجم البلدان :

سقيا ورعيا لـكَرْخايا وساكنه   بين الجنينة والرَّوحاء من كانا

(٥) جاء هذا البيت فى صدر القصيدة فى رواية ياقوت ، والشابشتى .

وفى الأصول : « حيث المدام » ، والتصويب من : الأغانى ، ومعجم البلدان .

وحيث انساق الكلام إلى الدِّيارات ، فلنذكر مشاهيرها على طريق الاختصار ؛ فإن لها تعلُّقًا بما نحن فيه .

فمنها :

ديرُ القائم الأقصى ، على شاطئ الفُرات ، بطريق الرَّقَّة .

يقول فيه هاشم بن محمد الخزاعيّ [1] :

بدَيْرِ القائمِ الأقْصَى غزالٌ شادِنٌ أحْوَى
بَرَى حُبِّي له جسمى ولا يدْرِي بما ألْقَى [2]
وأخفى حُبَّه جُهْدِي ولا واللهِ لا يخفَى [3]

ومنها [4] :

دير زَكَّا ؛ موضعان [5] .

قال أبو الفرج : دَيْرُ زَكَّا بالرُّها .

وقال الخالِديّ والشَّابُشْتيّ: دير زكَّا من ناحية البَلِيخ .

قال الرَّشِيد [6] :

غزالٌ مَرابِعُه بالبَليخِ إلى دير زَكَّا فجِسرِ الخَربْ [7]

---

(١) هكذا نسب الخبي الأبيات إلى الخزاعى ، ونسبها إليه أيضا ابن عساكر ، في تراجم بعض أعيان دمشق ، ونسبها ياقوت إلى عبدالله بن مالك المغنى ، ثم قال : « وقال الخالدى : هو لإسحاق الموصلى » . معجم البلدان ٢ / ٦٨٤ .   (٢) في تراجم بعض أعيان دمشق : « برى جسمى له حبى » .

(٣) في معجم البلدان :

وأكتم حبه جهدى ولا والله ما يخفَى

(٤) من هنا إلى نهاية بيت الرشيد ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٥) انظر الديارات ١٣٩ ـ ١٤٦ ، المشترك وضعا والمفترق صقعا ١٨٩ ، ونقل عنه .

(٦) يعنى العباسى أمير المؤمنين . كما جاء في معجم البلدان ٢/ ٦٦٥ . والبيت أيضا في المشترك ، الموضع السابق ، والديارات ١٤٤ .   (٧) عجز هذا البيت ساقط من : ج ، وهو في : ا ، والرواية فيه : «وجسر الخرز» ، وهو خطأ ؛ لأن الأبيات بائية، وقد أثبت رواية المشترك ؛ لأنها أقرب إلى ما في : ا ، ورواية معجم البلدان : « فجسر الخشب » ، ورواية الديارات : « فقصر الخشب » .

وفي المشترك بعد هذا : « ودير زكى : قرية بغوطة دمشق، فما ذكر ؛ فإن صحت الروايات الثلاث، فهي ثلاثة مواضع » . وذكر ياقوت هذا أيضا في معجم البلدان ٢ / ٦٦٥ .

ومنها :

دير عَبْدُون [١] ، وهو بظاهر المَطِيرة [٢] ، ببغداد .

يقول فيه ابن المُعتزّ [٣] :

سقى المَطِيرةَ ذاتَ الظِّـــلِّ والشجرِ ودَيْرَ عَبْـدون هطَّالٌ من المطرِ [٤]

وقال ياقوت ، فى المُشْتَرك : دير عَبْدون موضعان : أحـدهما بسُرَّ مَن رَأى ، إلى جانب المَطِيرة ، من نواحى بغداد ، سمى بعَبْدون أخى صاعد [٥] بن مَخْلَد ، وزير المعتمد على الله ، كان كثيرَ التردُّد إليه والمُقام به .

ودير عَبْدون قرب جزيرة ابن عمر ، يليهما [٦] دِجْلة ، [٧] وقد خرِب [٧] ، وكان من مُنْتَزهات الجزيرة [٨] .

والمَطِيرة ، كسفينة [٩] : قرية بنواحى سُرَّ مَنْ رأى ، والصواب المَطَرِيَّة ، لأنه بناها مطر بن فَزارة الخارجي [١٠] .

ومنها :

دير مارَت مَرْيَم [١١] ، وهو ديْر قديم من دِيارات ، الشام الأوَّلِيَّة .

يقول فيه ابن هُرْمُز :

---

(١) تراجم بعض أعيان دمشق ٤٨ ، ومعجم البلدان ٢/٦٧٨ ، والمشترك ١٩٠ ، والديارات ١٧٤ .

(٢) المطيرة : قرية من نواحى سامراء ، وكانت من متنزهات بغداد وسامراء . معجم البلدان ٤/٥٦٨ .

(٣) جاءت هذه المقدمة وبيت ابن المعتز بعدها فى ج بعد كلمة «دير عبدون» الآتية ، والمثبت فى : ا ، ب . وبيت ابن المعتز فى معجم البلدان ٢/٦٧٨ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٤٨ .

(٤) فى الأصول وتراجم بعض أعيان دمشق : « ذات الظل » ، والمثبت فى معجم البلدان .

(٥) فى ب : « مساعد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والمشترك .

(٦) فى المشترك : « بينهما » . (٧) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، والمشترك .

(٨) إلى هنا انتهى النقل عن المشترك . (٩) فى ب بعد هذا زيادة : «حداية» ، والمثبت فى : ا ، ج . وتقدم التعريف بها . (١٠) فى معجم البلدان ٤/٥٦٨ : «قال البلاذرى : وبيعة مطيرة محدثة ، بنيت فى خلافة المأمون ، ونسبت إلى مطر بن فزارة الشيبانى ، وكان يرى رأى الخوارج ؛ وإنما هى المطرية ، فغيرت ، وقيل المطيرة» . (١١) انظر الديارات ٢٠١ ، ومعجم البلدان ٢/٦٩٢ ، والمشترك ١٩١ ، وجاء هذا أيضا فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٨ .

نعمَ المحلُّ لمن يسعَى للَذَّتِه ... دَيرٌ لمريمَ فوق الظهرِ معمورُ[(١)]

ظِلٌّ ظليلٌ وماءٌ غيرُ ذِي أَسَنٍ ... وقاصراتٌ كأمثالِ الدُّمَى حُورُ[(٢)]

وزاد فى « المشترك » ثانيا بنواحى الحِيرَة ، من بناء آل المنذر بين الخَوَرْنَق والسَّدِير .

وثالثا ، قال الشَّابُشْتِيّ : دير أَتْرِيب[(٣)] بمصر ، يقال له دير مارتَ مَرْيَم .

ومنها :

دَيْرُ مَرْجُرْجُس[(٤)] ، كان بالمَزْرَفَة[(٥)] بينه وبين بغداد أربعة فراسخ ، وكان من مُتَنَزَّهات بغداد .

وآخر بين بَلَد وجزيرة ابن عمر ، على ثلاثة فراسخ من بَلَد ، على جبل يظهر للرَّائى من فراسخ عِدَّة[(٦)] .

ومنها :

دَيْرُ العَذَارَى[(٧)] ، وهو بِسُرَّ مَن رأى .

يقول فيه جَحْظَة البَرْمَكِيّ[(٨)] :

ألا هل إلى دَيْرِ العَذَارَى ونظرةٍ ... إلى مَن به قبل المماتِ سبيلُ[(٩)]

---

(١) جاء البيتان غير منسوبين فى معجم البلدان ٢/٦٩٢ ، وهذه النسبة أيضا فى تراجم بعض علماء دمشق ٤٨ . (٢) فى معجم البلدان : « كأمثال المها » . (٣) فى ا : « أرب » ، وفى ب : « أرب » ، وفى ج : « أمرت » ، والمثبت فى : المشترك ، ومعجم البلدان ، وفى الشابشتى : « بمصر أتريب » .

(٤) انظر الديارات ٤٥ ، ومعجم البلدان ٢ / ٦٩٧ ، والمشترك ١٩١ . (٥) فى ب : « المزارقة » ، وفى المشترك : « المزرقة » ، وكلاهما خطأ ، والصواب فى : ا ، ج ، والديارات ، ومعجم البلدان .

والمزرفة : قرية كبيرة فوق بغداد ، على دجلة ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ . معجم البلدان ٤/٥٢٠ .

(٦) فى ا : « من عدة فراسخ » ، وفى ب : « من سبعة فراسخ » ، والمثبت فى : ج ، والمشترك .

(٧) انظر : الديارات ٦٩ ، ومعجم البلدان ٢/٦٨٨ ، والمشترك ١٩٠ ، وجاء هذا أيضا مع الشعر فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٨ . (٨) البيت فى معجم البلدان ٢/٦٧٩ مما أنشد أبو الفرج الخالدى لجحظة .

(٩) فى معجم البلدان جاء عجز البيت هكذا :

* إلى الخير من قبل المماتِ سبيلُ *

وقال ياقوت[١] : ديْر العَذَارَى ثلاثة مواضع ؛ أحدُها بين أرض الموصل وبين بَاجَرْمَا[٢] من أعمال[٣] الرَّقَّة ، وهو ديْر قديم ، كان به نساء مُترهِّبات ، وبذلك سُمِّى .

[و][٤] دَيْر العذارى بقرب سُرَّ مَن رأى .

ودير العذارى ، موضع بظاهر حلَب ، فيه أكثر بساتينها .

ومنها :

ديْر سِمْعان[٥] ؛ أربعة مواضع .

وسمعان هو شَمْعون الصفا ، من الحواريِّين ، وله دِيَرَة[٦] كثيرة .

والذى اشتهر هذه[٧] .

أحدُها فى غُوطَة دمشق ، وفيه دُفن عمر بن عبد العزيز فى الصحيح من الأخبار ، ولا يعرف الآن .

[٨]ودير سمعان ، من نَواحى أنطاكِية ، دير كبير كالمدينة[٨] .

ودير سَمْعان ، قربَ المَعَرَّة ، يقال : فيه قبرُ عمر بن عبد العزيز . والأول أصحّ .

وديْر سَمْعان ، من نواحى حلب ، بين جبل بنى عُلَيْم والجبل الأعلى .

ومنها :

---

(١) فى المشترك ١٩٠ ، ١٩١ . (٢) فى ج : «باجر» ، وفى المشترك : « باجرى » ، والمثبت فى : ا ، ب ومعجم البلدان ٢/٦٧٨ ، ويؤيده ما جاء فيه ١/٤٥٤ : « باجرما ، بفتح الجيم وسكون الراء ، وميم وألف مقصورة من أعمال البليخ ، قرب الرقة ، من أرض الجزيرة » .

(٣) فى ب بعد هذا زيادة : « أرض » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والمشترك .

(٤) تكملة لازمة من المشترك . (٥) المشترك ١٨٩ ، وانظر أيضا معجم البلدان ٢/٦٧١ .

(٦) فى ب ، ج : « ديور » ، والمثبت فى : ا ، والمشترك . (٧) فى ج : «هذا» ، وفى ب مكان هذه الكلمة ، والتى تليها الواقعة فى أول السطر : « واحد » ، والمثبت فى : ا ، والمشترك .

(٨) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، والمشترك .

دَيْرُ هِنْد : موضعان[١] ، وهما بالحِيرَة ، يقال لأحدهما دَيْرُ هند الكبرى ، والآخر دَيْرُ هند الصغرى .

فأما هند الكبرى فهى بنت الحارث بن عمرو ، آكل المُرار ، وهى أم عمرو بن هند ، بَنَتْهُ بظاهر الحِيرَة ، وترهَّبت به .

وأما هند الصغرى[٢] فهى بنت النُّعمان بن المنذر ، المعروفة بالحُرَقَة[٣] ، صاحبة القصَّتَيْن[٤] مع خالد بن الوليد والمُغيرة بن شُعْبة .

* * *

[٥] ومن شعر المترجم ، ما كتبه لبعض أحبابه ، فى صدر رسالة [٥] :

سلامٌ على مَن فى الفؤادِ مَحلُّه ... وإن غاب عن طَرْفى فما غاب عن قلبى[٦]

وإنِّى وإن غِبتُمْ وبِنْتُمْ عن الحِمَى ... مُحِبٌّ لكم يزداد فى البعد والقرب[٧]

* * *

وكتب إلى والدى ، فى صدر رسالة أرسلها إليه[٨] ، وهو بالروم ، تتضمَّن عتابا ، وكان عُزِل عن الفُتْيا[٩] :

أمولاىَ فضلَ اللهِ دام لك الفضلُ ... ودمتَ به تزْهو وأنت له أهلُ[١٠]

---

(١) المشترك ١٩١ ، ١٩٢ ، وملحق كوركيس عواد . الديارات ٢٤٥ . (٢) الديارات أيضا ١٥٧ ، ومعجم البلدان ٢/٧٠٧ . (٣) كذا فى المشترك ، وفى معجم البلدان «بالحرقة» بفتح الحاء .

(٤) فى الأصل : « القضيتين » ، والمثبت فى المشترك ، وانظر لذلك معجم البلدان ٢/٧٠٨ .

(٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

والبيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٧ .

(٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « وإن غاب عن عينى » . (٧) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « وإنى وإن بنتم وغبتم » ، تقديم وتأخير . (٨) فى الأصول : « إلى » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٩) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٢٣٣ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٤٧ .

(١٠) فى ب : «كان لك الفضل» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

يبعُد منى القلب ماعجَّ نَوْءُه   بجلّق حتى مَجّهُ العقْلُ والنَّقْلُ (١)

فلا تعْضَبنْ إن الشّهابَ لَوائقٌ   برُكْن عمادٍ شادَهُ المجدُ والفضلُ (٢)

وأنت لأدْرَى بى وداداً وخُلّةً   وأنْ لَيْس يلْوِى القلبَ عن حُبّكمْ عَذْلُ (٣)

فقلبى قلبى مثلُ ماقد عهدْتَه   وقلبُك فيما أدَّعِى شاهدٌ عدْلُ

***

فكتب والدى ، رحمه الله تعالى ، إليه :

ورد علىّ (٤) كتاب ، ذلك الجناب .

لازالت شهبُ الآفاق هِدايةً لأصفيائه (٥) ، ورُجُوما لشياطين (٦) أعدائه .

فاستْدعى شكرى وحمدى ، واستفْرغ فى الثناء على مُرسلِه عهدى ، واستخلص فى الصَّفا ماعندى .

فكأنما اشْتمِلَتْ معانيه مما عندى ، واشْتملتْ على حقائق دقائق قصْدى .

فرتع ناظرى منه فى روض أريض ، وحظيتُ من الانْتعاش بوُروده بما يحْظى به المريض ، لو لقِىَ بيمينه منْشور العمرِ الطويل العريض ، بعد ماحال الجريض ، دون القريض (٧) .

وإنى وإن بلغتُ غاية الاجْتهاد ، فى أداء بعضِ مايُوجب الخلوص والاتّحاد ، من نَشْر طيِّب الثناء فى كلّ ناد ، ورفْع لواء الولا على رؤوس الأشْهاد .

---

(١) فى ب : « ما عج شوقه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . وفى ا ، ج : « مجه النقل والعقل » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) فى ب : « شاده المجد والفضل » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٣) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « فأنت لأدرى » .   (٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٥) فى ب : « لأصفائه » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٦) فى ب : «للشياطين» ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٧) هذا مثل يضرب للأمر يقدرعليه أخيرا حين لاينتفع ، والجريض : الريق يغص به ، والقريض : الشعر . وأصل المثل أن رجلا كان له ابن نبغ فى الشعر ، فنهاه أبوه عن ذلك ، فجاش به صدره ، ومرض حتى أشرف على الهلاك ، فأذن له أبوه فى قول الشعر ، فقال هذا القول . مجمع الأمثال ١ / ١٢٩ .

وربما انعكس ذلك إلى المسامع ، لكن على كل خير مانع .

فقد تجرى الرياح ، بما لا تشتهى الملّاح .

فإن تكُ قد عُزلتَ فلا عجيبٌ ضياء الشمس يمحوه الظلامُ

ويعز علىّ أن أنظر إلى [١] ذلك الصدْر ، [٢] وقد جلس فيه [٢] غيرُ ذلك البدْر .

وإنى لأستحى لعينى أن أفتحها على الصغير ، وقد جلس مجلس الكبير .

فإنى [٣] لذلك ضيّقُ ساحةِ [٤] الصدر ، قريب غَوْر الصبر .

كثير المباراة ، قليلُ المداراة .

فما أسْرع الأيام على الكريم فيما يضرّه ، وعلى اللئيم فيما يسرّه .

فترفع كلّ وَغْد خسيس ، وتخفِض كل حُرّ نفيس .

وكالبحر يسفل فيه الجواهر اللطيفة ، وتطفو فوقَه الجيفة .

وكالميزان يرفع من الكِفّة ، ما يميل إلى [٥] الخِفّة .

ويخفِض ما يَفِي بالرُّجْحان ، ويبعد من النقصان .

لولا الحظوظُ التى فى عقلها نَباهة لما علا الشمسَ بَهْرامٌ ولا زُحَلُ

ولا بِدْع ، فهى علامة ، على قيام القيامة .

وهذا الخروج ، مقدّمة يأجُوجَ ومأجوج .

ياضَيْعةَ الأعمارِ فى طلبِ العلى بالعلمِ والنسبِ الذى بالشِّين

ولا غَرْو ، فهى للدهر شيمةٌ مألوفة ، وسجيّة فى الكرام معروفة .

على أن المنصِب بصاحبه ، والمَرْكِب براكبه .

فالصغير منه بالكبير كبير ، والكبير منه بالصغير صغير .

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « وقد حبس محبس فيه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى الأصول : «فإن» ، ولعل الصواب ما أثبته . (٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٥) فى ب : « من » ، والمثبت فى : ا ، ج .

أنت الكبيرُ الذى لا العزلُ ينقُصهُ قدراً ولا المنصبُ العالى يُشرِّفهُ

* * *

ووقفت له على تحريرة كتبها على بيت المتنبّى [١] :

وكذا الكريمُ إذا أقام ببلدةٍ سال النُّضارُ بها وقام الماء

قال فيها :

المفهوم من كلام الواحدِىّ ، [٢] أنه اختار كون قوله « وقام الماء » معطوفا على الجزاء ، أعنى « سال » ؛ فيكون داخلا تحت الشرط ؛ ليتمّ التشبيه فى خَرْق العادة فى كلا [٣] الأمرين ، ويظهرَ وجهُ الاتِّصال فى البيتين كما قرَّره .

ولا شك أن المعطوف على الجزاء جزاء ، فيحتاج حينئذ [٤] إلى بيان وجْهِ لزوم [٥] الجزاء للشرْط [٥] ، وتسَبُّبه عنه .

والذى يظهر فى وجهه ، أن معنى « وقام الماء » [٦] أن الماء [٦] جمَد تحيُّراً وخجلا واستعظاما ؛ لمَّا رأى عظيمَ سخائه ، وشاهد عميمَ جوده وعطائه .

وقد صرَّح بتفسير ذلك فى البيت الذى بعده حتى صار جليًا [٧] ، بحيث يصلح أن يكون استئنافا بيانيًا ، أعنى قوله [٨] :

جَمَد القطار ولو رأتْه كما رأى بُهِتتْ فلم تتبَجَّسِ الأنْواء [٩]

إذ الضميرُ فى قوله : « كما رأى » يعود إلى القطار .

والمراد بالقطار ، هو الماء المذكور فى البيت الذى قبله ، كما لايخفى ، وإلَّا لم تظهر المناسبة والاتِّصال .

---

(١) ديوان أبى الطيب ١١٦ . (٢) شرح الواحدى ١٩٥ . (٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٥) فى ا : « الشرط للجزاء » تقديم وتأخير، والمثبت فى :ب ، ج . (٦) ساقطمن :ب ،وهو فى :ا ، ج . (٧) شرح الواحدى١٩٦ .

(٨) ديوان أبى الطيب ١١٦ . (٩) فى شرح الواحدى : « ولو رأته كما ترى » ، ثم ذكر بعد ذلك أنه روى : « كما رأى » ، وفى ب : « بهتت فلم تجبس الأنواء » ، والصواب فى : ا ، ج ، والديوان ، وشرح الواحدى له .

هذا ماخطر بالبال .

وأما مااستفدناه من تجويز كون الواو للحال ، فذلك الوجهُ الوجيه ، تنحسم به مادَّةُ الإشكال ، والله سبحانه أعلم بحقيقة الحال .

***

ومن عجيب الاتفاق أنه وقع ماهو قريب من هذا الاستشهاد في تفسير بيت عويص ، عرض من هذه القصيدة على سبيل الاستطراد ، وهو قوله [١] :

لاتكثر الأموات كثرة قِلَّة ... إلا إذا شقيتْ بك الأحياء [٢]

مُحصَّل ماحكاه الواحِدِيّ [٣] ، من كلام ابن جِنِّيّ ، في تفسير البيت ، أنه على حذف مضاف ، تقديره « شقيت بفقدك » .

والمعنى ، أنه لاتصير الأموات أكثر من الأحياء إلّا إذا مِتّ .

واستبعد الواحِدِيّ أن أحدا يخاطب ممدوحه بمثل هذا .

ومُحصَّل ماذكره الواحِدِيّ في معنى البيت ، أنه أراد بالأموات القتلى ، وتقدير المضاف المحذوف [٤] « شقيت بفضلك » [٤] وقتلك إياهم .

والمعنى ، إذا غضبتَ على الأحياء ، (٥ زادت الأمواتُ بمن يقتلهم قتلُك من الأحياء ٥) .

وفي كلٍّ من الوجهين تعسُّف لايخفى ، ولكن يشهد لقول ابن جِنِّيّ حكاية (٦ أبي عُمر ٦) الشَّامِيّ ، قال : عُدت أباعلي الأوْرَاجِيّ [٧] ممدوحَ المتنبِّي ، في علته التي مات

---

(١) ديوان أبي الطيب ١١٨ . (٢) في ا : « إلا إذا كثرت بك الأحياء » ، وهو خطأ صوابه في : ب ، ج ، وديوان المتنبي ، وشرح الواحدي له . (٣) شرح الواحدي ١٩٩ . (٤) في شرح الواحدي : « شقيت بك » أي بفضلك . (٥) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج . (٦) في ا : « أبي عمرو » ، وفي ب : « عمر » ، والمثبت في : ج ، وانظر حاشية ديوان أبي الطيب ١١٨ .

(٧) هو أبو علي هارون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب . انظر ديوان المتنبي ١١٤ ، وشرح الواحدي ١٩١ .

فيها بمصر ، فأنشدنى قوله فيه : « لاتكثر الأموات » إلخ ، ثم لم يزل يكرّره ويبكى حتى مات .

وروى السُّلَمِىّ فى حكايته : « فجعت » مكان « شقيت » .

ويشهد لقول الواحِدِىّ ، البيت الذي بعده [١] ، فإنه مناسب للمعنى الذى ذكره .

ثم يساعد الأولَ ، معانى الأبيات التى قبله ، من وصف عموم كرمه وإحسانه للناس ، فناسب أنهم يشقَوْن بفقده ، ويكادون يموتون من بعده . فليُتأمَّل .

وقال الواحِدِىّ ، فى تفسير قوله : « كثرة قلة » ، [٢] أى : كثرة فى الأموات تحصل عن قلة [٣] الأحياء .

ولا يخفى مافى هذا المعنى من كثرة السَّماجة ، وقلّة الجدوى ، وتحصيل الحاصل ، من غير دليل يدلُّ على أن كثرةَ الأموات مضافة إلى قلّة غيرهم .

ولو أريد بالقلّة العدمُ ، كما هو شائع واقع فى الكلام الفصيح ، لكان أقربَ ، إذ كثرةُ الأموات فى الحقيقة عدمٌ محْض ، وصحّ ذلك على كلٍّ من قولَيِ ابن جِنّىّ والواحِدِىّ .

ولو أُريد بالقلّة الإقلالُ ، وقلةُ الجدوى ، كما يقال : مات فلان من القلة ، أى الفقر ، بمعنى أنهم ماتوا من الإقلال حين انقطعت عنهم مكارمُه ، لأمكن أيضا .

وهذا الوجه إنما يجرى على قول ابن جِنّىّ ، ولا بُعْدَ فى ذلك ، إذ الظاهر أن خطاب الممدوح بمثل ذلك لم يكن مُستهجَنا عند المتقدّمين ؛ لظهور حقيقة تيقّن الموت ، ألا ترى إلى قول أبى نُوَاس ، فى آخر قصيدته التى قالها فى تهنئة جعفر البَرْمَكِىّ [٤] :

---

(١) وهو قوله :

والقلب لاينشقّ عما تحته ... حتى تحُلّ به لك الشحناء

ديوان أبى الطيب ١١٨ ، وشرح الواحدى ١٩٩ .

(٢) الذى فى شرح الواحدى : « أى كثرة تحصل عن قلة ، وهى قلة الأحياء » .

(٣) فى ب بعد هذا زيادة : « تحصل » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) ديوان أبى نواس ٧٤ .

سلامٌ على الدنيا إذا ما فَقِدتمُ   بَنِي بَرْمَكٍ مِن رائحين وغادِ

وقوله [١] :

إنما الدنيا حُمَيْدٌ   وأياديه الجسامُ

فإذا ولّى حُمَيْدٌ   فعلى الدنيا السلامُ

لا سيَّما إذا كان الممدوح من الأعيان ، ولم يكن بذي سلطان . انتهى .



---

(١) لم أجد هذين البيتين في ديوانه .

٦٨

أخوه إبراهيم *

هذا الجناب الأفضل ، والمحل الأمْرع الأخْضل .

مكان القول فيه ذو سَعة ، والألسنة كلها على مدحه مُجتمِعة .

فمن يتقدَّمْ فليَقُل ماشاء فى وصف شمائله ، وحَقّ على المدح أن يتباهَى بمخائل خمائله .

وحسْبُك من امرئٍ لم ترَ له ذامًّا ولا شانيا ، ولا ذاكرا يعلم اللهُ أن له فى الفضل ثانيا .

فقد جمع إلى كرَم أصله ، أعظمَ مَزِيَّة من باهرِ فضله .

فقضى الحقَّ الواجبَ عليه ، واستدعَى حيازةَ التَّفضيل [1] بالحجَّة إليه .

فالدُّرُّ يُنثَر من يديهِ [2] وفيه ، والخيرُ مجموعٌ لمن يَدْه وفيه .

وهو رَيَّانُ من كل فَنّ ، سَمْح من غير تبجُّحٍ ومَنّ .

(*) إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد العمادى ، الدمشقى ، الحنفى .

ولد سنة اثنتى عشرة بعد الألف .

واشتغل فى ابتداء أمره على والده ، وعلى الحسن بن محمد البورينى ، فى أنواع العلوم ، وعليهما تخرج فى الأدب .

وأخذ الحديث عن الشهب الثلاثة : أحمد العيثاوى الشافعى ، وأحمد الوفائى الحنبلى ، وأحمد المقرى المالكى .

وحين برع ، اشتغل بالتدريس ، فأعاد لوالده فى تفسير « الكشاف » ، ودرس بالمدرسة النورية الكبرى برتبة الداخل .

حج إبراهيم العمادى مرتين ، ثانيتهما قاضيا بالركب الشامى ، وسافر إلى الروم عقيب موت والده .

وكان قوى البادرة ، كثير المحفوظات ، لذيذ المعشرة ، عظيم الهيبة .

لحقه الفالج فى آخر عمره ، ولازمه مدة سنة ونصف ، ثم توفى ، وكانت وفاته سنة ثمان وسبعين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ١/٢٣–٢٥ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٥٥–٥٧ .

(١) فى ب : « التفضل » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٢) فى ا : « يده » ، والمثبت فى : ب ، ج .

مجلسه يأْرَج أرَجَ الزَّهْر ، وسماحُه يفيض فَيْضَ النَّهْر .
وعيْنُه في اكْتساب المحامد ممنوعة السِّنات ، وصحيفةُ وجهه كلها قُرُبات وحسنات .
وهو وحيدُ الدهر في الأدب وفريدُه ، والمَعْنِيّه الذي وفي البلاغة كلّ ماتريده .
بِبنان قد قبض على أزِمَّة البيان ، ولسان قد امْتطى صَهْوَة الإحسان .

* * *

وله من (١) النظم بِدَعٌ (٢) جلائل ، إلا أنها في العدد قلائل .
والنجومُ أجلُّها (٣) أعلاها ، والمعادن أقلُّها أغلاها .
فمن شعره قوله (٤) :

إن يكن زاد في الحسانِ جمالٌ	أكّد الحسن فيهمُ تأكيدا
فلقد أسّس العِـــذارُ بخدِّي	مُنْيَتِي رَوْنقاً ولطفـــاً مزيدا
وهْو عَمْرِي لاشكَّ أزْهَى وأبْهى	حيثُما قد أفاد معنًى جديداً (٥)

* * *

وقوله (٦) :

يامليحاً قد حاز كلَّ الجمــــالِ	وحبيباً تفْــديه رُوحي ومالِي
كلّما زِدْتُ في هواكَ غـــــراماً	قلّ صبْرِي وزاد فيك انْتِحالِي
آهِ من حسنِ مَبْسمٍ لكَ كالدُّ	رِّ ولحظٍ يَرْوِي عن الغزّالِي
خُذْ لعبدٍ غدا قتيلَ عيونٍ	قد رمتْه خاظُها بِنِبـــالِ (٧)
لكَ خَصْرٌ قد صار مثلى نحيلاً	حمّلته الأرْدافُ ثِقْلَ الجبالِ

(١) في ج : « في » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) في ا : « بديع » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٣) في ب : « أجلاها » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) الأبيات في خلاصة الأثر ١ / ٢٣ ، ٢٤ .
(٥) في ا : « حسبما قد أفاد » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٦) القصيدة في تراجم بعض أعيان دمشق ٥٦ . (٧) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

لكَ وجْه قد أخجل الشمسَ نوراً ‏ ‏ ‏ ‏ لكَ جِيدٌ قد فاق جِيدَ الغزالِ

لكَ قدٌّ كالرمحِ يهتزُّ تِيهاً ‏ ‏ ‏ ‏ قد رماني بأسْمرٍ عسَّـــالِ (١)

فترفَّقْ بعبدِ رِقٍّ عميـــدٍ ‏ ‏ ‏ ‏ قد غدا في هواكَ رَقَّ الخلالِ (٢)

نحلتْهُ الأسقامُ شوقاً ووجداً ‏ ‏ ‏ ‏ فغدا جسمُهُ من السُّقمِ بالِي (٣)

كلُّ ما مَرَّ شَرْحُه بعضُ حالي ‏ ‏ ‏ ‏ وهو عندي إن كان يُرْضيكَ حالِي (٤)

* * *

وقوله من قصيدة ، أولها (٥) :

ما رياضٌ حِيكتْ بأيْدِي الغمامِ ‏ ‏ ‏ ‏ باكَرتْها بصَوْبِ مُزْنٍ هامِي

عَلَّها وابلُ الحيا بعـــد نَهْلٍ ‏ ‏ ‏ ‏ فأماطتْ عن ثغرِها البَسّامِ (٦)

وتحلَّتْ بنورِ نَوْرٍ نضـــيدٍ ‏ ‏ ‏ ‏ من عَرارٍ ونرجسٍ وبَشامِ (٧)

فعليـــلُ النسيمِ منها إذا هبَّ ‏ ‏ ‏ ‏ كفيلٌ بصحةِ الأجسامِ (٨)

فهْي نوراً كبهجةِ الشمسِ حسناً ‏ ‏ ‏ ‏ وهْي لطفاً كالبُرْءِ للأسقامِ (٩)

كمُحيَّا الأستاذِ مولاي يحْيى ‏ ‏ ‏ ‏ دام يَحْيـــا على مدى الأيّامِ

* * *

---

(١) في تراجم بعض أعيان دمشق : « لك قد يهتز كالرمح تيها » .

(٢) في تراجم بعض أعيان دمشق : « رق الخيال » .

والعميد : من هده العشق .

(٣) هكذا « بالى » التزاما للقافية . (٤) في ب : « كل ما مر بعض شرح حالى » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « كل ما مر ذكره شرح حالى » ، والمثبت في : ا ، ج .

و « حالى » الثانية ضد المر .

(٥) القصيدة في تراجم بعض أعيان دمشق ٥٦ . (٦) العلل : الشرب الثاني ، والنهل : الشرب الأول .

(٧) في ب : « وتحلت بنود نور » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفي ا ، ب : « نور نضيد » ، والمثبت في : ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٨) في تراجم أعيان دمشق : « بعليل النسيم » .

(٩) في تراجم بعض أعيان دمشق : « كالبرء في الأسقام » .

وكتب إلى والدى ، وهما بدار الخلافة ، قوله[1] :

إليكَ أخى نصيحةَ ذى اخْتِبارِ ... له حزمٌ وزَنْدٌ فيه وارِى
إذا جار الزمانُ وكلُّ دهرٍ ... على أحرارِه فى الجَوْرِ جارِى
وأَكْسَبكَ اغْترابًا وانتزاحًا ... فكُنْ متغرِّبًا فى أسْكدارِ[2]
ترى فيها ظبــاءً سانحاتٍ ... بألحاظٍ يَصِدْنَ بها الضَّوارِى
وطَوراً تلتقى غصنًا رطيبًا ... علاه حَدِيقةٌ من جُلَّنارِ[3]
فقَضِّ العمرَ فيها فى سرورٍ ... وصِلْ ليــلَ التَّواصُلِ بالنهارِ
وخَلِّ الأهْلَ عنك وقلْ سلامٌ ... على الأوطــانِ منِّى والديارِ

* * *

فراجعه بقوله[4] :

أتتْكَ نصيحةٌ من ربِّ فضلٍ ... إمامٍ فى الفضــائلِ والفخارِ
له فى كل عـــلمٍ طِيبُ مَجْنى ... وفضلٌ زانه كَرَمُ النِّجارِ[5]
ونظمٌ يُعْجِز البلغـــاءَ لفظًا ... ونـــثرٌ كاللآلى والدرارِى
يقول وقولُه لا شـــكَّ صدقٌ ... عليك إذا اغْتربتَ بأسْكدارِ
نعم هى جَنّةٌ حُفَّتْ بحُورٍ ... وولدانٍ حَكَتْ شمسَ النهارِ
ولـكن لم أجـــدْ فيها خليلاً ... يُعِين أخا الغرامِ على اصْطبارِ

---

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ١/٢٤ ، وصدرها المحبى هناك بقوله : « وكتب إلى والدى ، وقد عزم على السفر من قسطنطينية ، وبقى والدى بها قوله : » . (٢) أسكدار : بلدة بالروم ، إليها ينسب الشيخ محمود الأسكدارى ، ولى صالح ، كانت وفاته بعد السبعين وألف . انظر خلاصة الأثر ٤/٣٢٧–٣٢٩ ، وانظر فى أسكدار أيضا ريحانة الألبا ١/٢٤٨ . (٣) الجلنار : زهر الرمان . (٤) قصيدة فضل الله المحبى ، فى خلاصة الأثر ١/٢٤ ، ٢٥ . (٥) فى خلاصة الأثر : « وفضل زانه » .

يساعدني على كَلَفي بريمٍ ... يُعذِّب عاشقيه بالنِّفارِ [١]

له لحظٌ يصولُ به دلالاً ... فيفتِنُ ربَّ نُسْكٍ ذا وقارِ [٢]

وقدٌّ إن تثنَّى فهْو غُصنٌ ... يُحرِّكُ من هوى نائي الديارِ [٣]

فمالي والقرارَ بها وأنَّى ... يطيبُ ليَ القرارُ بلا قرارِ [٤]

قضاءٌ من إلهي ليسَ يجري ... على قدرِ الإرادة باختياري

* * *

وطلب من والدي تأليفه « الرحلة الرومية » ، فبعثه إليه ، وكتب معه :

تبسَّم عن ثغرِ الأقاحِي لِثامُها ... وغنَّتْ على الأفنان صُبْحاً حَمامُها

وغرَّدتِ الأطيارُ من بهجةِ الرُّبَى ... فمالتْ لها الأغصانُ وهْو سلامُها

وحيَّتْ بخدٍّ كالشقيقِ مُورَّدٍ ... ورقَّةِ خَصْرٍ لانَ منه قَوامُها

فأحْيَتْ عليلاً طالَ وقتُ انتظارِه ... ووافتْ فوافَى بالصباحِ ابْتسامُها

تقلَّدتِ الزُّهْرَ الدَّرارِي كأنَّ من ... ثنائيَ على ربِّ المعالي نظامُها

هُمامٌ أطاعتْه يَراعٌ يراعُه ... يراعُ مُعادِيها ويُرْعَى ذِمامُها

تحضَّرتْه العَلْيا إذا انْحطَّ قدرُها ... غدا فوقَ فرْقِ الفرْقَدين مَقامُها

وهاتِيكَ بِكْرُ فكرٍ قد أتتْ نحوَ بابِكم ... بغيرِ يديْكم لم يُفَضَّ خِتامُها [٥]

وصُحْبَتُها منِّي الدعاءُ ورحلتي ... تُشرَّفُ بالأنظارِ وهْو مَرامُها

وها هي قد جاءتْك تشكُو من الظَّما ... بأدْنَى ابْتسامٍ منك يُرْوَى أوامُها

فما القلبُ يصفُو إذ تزيدُ همومُه ... ولا الشمسُ تبْدُو إذ يُحيط غَمامُها

---

(١) في ب : « على كلف بريم » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) في الأصول : « فيفتك رب نسك » ، والمثبت من : خلاصة الأثر . (٣) في ا : « تثنى فهو نسك » ، والتصويب من : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . وفي ا ، ج ، وخلاصة الأثر : « تحرك من هو » ، والمثبت في : ب .

(٤) في الأصول : « بها قرار » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٥) في ب : « لا يفض ختامها » ، وفي ج : « لن يفض ختامها » ، والمثبت في : ا .

فلا زلْتَ تُبقي كلّما رنَّحَ الصَّبا ... غصونًا وقد غنّى عليها حمامُها
مدى الدهرِ ما أهدَى لبيبٌ رسالةً ... لروضةِ فضلٍ فاح منها بِشامُها

* * *

فأجابه بقوله :

أروضةُ زهرٍ جاد سحًّا غمامُها ... فأهدَى لنا نَشْرَ العبيرِ خُزامُها
أمِ الرّاحُ في الأقداحِ لاحتْ فأسْكرتْ ... فؤادي وثمَّ فُضَّ منها ختامُها
تطوف بها ذاتُ الوشاحِ خَريدةٌ ... يروقُكَ مرآها ويحلو كلامُها
مريضةُ أجفانِ اللحاظ سليمةٌ ... وما صحةُ الأجفانِ إلّا سَقامُها
مُثقلةُ الأردافِ خَفَّ وِشاحُها ... مُرنّحةُ الأعطافِ لَدْنٌ قَوامُها
مُضمّنةٌ من ذي وفاءٍ قصيدةً ... بليغةُ ألفاظٍ بديعٌ نِظامُها
أخي فِطنةٍ رقّتْ وراقتْ علومُه ... فلله منها لُطفُها وانسجامُها
أطاعتْه أبكارُ المعاني وعونُها ... بفضلٍ فأضحَى في يديْه زِمامُها
وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشا ... ويمنحه نفسًا عزيزًا مَرامُها
تحاول منّي أن أردَّ جوابَها ... وفكرتي استولى عليها قتامُها
وقد لعبتْ أيدي المشيب بمفرقي ... وتوّجني دُرًّا يسوءُ انتظامُها
رعَى اللهُ أيامَ الشبابِ ومبدَه ... وأوقاتَ أُنسٍ ليت عمري عامُها
وحيّى لُيَيْلاتٍ مضتْ وتصرّمتْ ... ليالِيَ أُنسٍ كان صُبحًا ظلامُها(١)
يغازلني فيها أغنُّ مهفهفٌ ... لواحظُه وسْطَ الفؤادِ سهامُها
وبِتُّ يُعاطيني كؤوسَ حديثِه ... فلله من خمرٍ حلالٍ حرامُها
وطورًا يُحيّيني بوردةِ خدِّه ... وآونةً من خمرِ فيه مُدامُها

---

(١) في ج : « ليالي وصل » ، والمثبت في : ١ ، ب .

فريقته تقس الشمول وثغره ... حَباب لها يطفو ومن فيه جامها(1)

وقد عفت أبيات القريض ونظمه ... وقُوّض من بين الفؤاد خيامها

ولكن بحمد الله جادت قريحتي ... وما خلت يوماً أن تجود جهامها(2)

فدونكها يا ابن الكرام بديعة ... تؤم ذرى ناديك يُهْدى سلامها

ودُم وابق ما أنشا بليغ قصيدة ... تضوّع مسكا بالثناء ختامها



---

(١) في ب : « حباب له يطفو » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٢) الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه .

٦٩

فضل الله بن شهاب الدين *

الفضلُ التامُّ له منه جُلّه ، والحسنُ للناس بعضُه وله كلُّه .

والزيادة من فضل الله لا تنتهى ، والنِّعَم لدَيْه منها مايشتهى .

وقد وُلد فى طالع عنه الإقْبال يُترجِم ، فكاد يقضى له بالسّعد مَنْ لم يكن يتنجّم .

(١ والحر تكفيه عن تنجيم وتقويم ، تشْيحة خَلْق وخَلْق له فى أحْسن تقْويم ¹) .

فاقترن باليمن (٢) باستهلاله ، حتى كأنّ نُونَه خُطّت من هلاله .

فودّت الجوْزاء لو كانت قِلادة تَراقيه ، والزّهَرة لو غدت عِوَض ذُؤابته (٣) التى تُراقيه .

(*) فضل الله بن شهاب الدين بن عبد الرحمن العمادى ، الدمشقى ، الحنفى .

ولد سنة خمس وأربعين وألف .

وعنى بالاشتغال من طليعة عمره ، فقرأ فنون الأدب على إبراهيم الفتال ، ومحمد العيثى ، وتخرج بأبيه وعميه : عماد الدين ، وإبراهيم .

فرغ له والده عن المدرسة الشبلية ، فدرس بها ، وسافر إلى الروم ، واجتمع بشيخ الإسلام يحيى المنقارى ، فأقبل عليه ، ووجه إليه رتبة الداخل ، فرجع إلى دمشق .

ولما توفى والده أعطى مكانه قضاء بيروت ، ولم تبق عليه كثيرا ، فرتبط داخل داره لأدب يقتبسه ، أو كتاب يطالعه .

وكان فضل الله من فضلاء الوقت ونبغائه ، وله شعر باهر ، ونثر معجب .

توفى سنة ست وتسعين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٣/٢٧٢–٢٧٥ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٤٨–٥٥ .

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٢) فى ب : « اليمن » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا ، ب : « ذابته » ، والمثبت فى : ج .

ونشأ فى نعمة تتملى [١] اقْتبالا [٢] ، وكرامةٍ تَسْبِغ سِرْبالا .

ووقايةُ الله تحفظه ، وعيون الألطاف [٣] تحفُّه و [٣] تلْحظه .

حتى جمع أرْيَحيَّة الشباب ، ونَجابة الكهول ، وحلَّ من الفضل المحلَّ السامىَ والمَرْبَع المأْهول .

وتقدّم إلى دقائق العلوم فتغلغل فى شِعابها ، وتميَّز على نُظَرائه بحلِّ رموزها وتسْهيل صِعابها .

وهذه دعوةٌ شاهدُها مَن كان مثْلى بَرِيًّا من الرَّيْب ، ولست أُخْبر عن الموتى ولا [٤] أستشهد الغيْب.

* * *

وقد بلغنى من بدائع فكره المتأَّب الوَقْد ، وروائع شعره الخالى من [٥] التكلُّف والنَّقْد .

ماتناثر على مُذْهَباته الدُّرَر ، وتنكَّر على محاسنه الغُرَر .

فمن ذلك قوله [٦] :

مُذْ مال خرّتْ له الأغصانُ ساجدةً	خُوطٌ به من رحيق الثغرِ إسْكارُ [٧]
حَطَّ اللِّثامَ فغاب البدرُ من خَجَلٍ	وقد بدا فى الدُّجى للصبح إسْفارُ
أضحى كجسمى منه الخصْر ليس يُرَى	ومَنْطقَتُه من العشاق أبْصارُ [٨]

---

(١) فى ج : « تتملأ » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) فى ج : « إقبالا » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) زيادة من : ب ، على ما فى : ا ، ج .

(٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٥) فى ا « عن » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٦) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/٢٧٢ ، ٢٧٤ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥٢ ، ٥٣ .

(٧) فى خلاصة الأثر : « خرت له الأقمار ساجدة » .

والخوط : الغصن الناعم .

(٨) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « ونطقته من العشاق أبصار » . وبين هذا البيت والذى بعده تقديم وتأخير فى تراجم بعض أعيان دمشق .

وشادنٍ مثـــــــلُ قلبي خافقٍ أبداً   ولَحْظُه الفاتكُ الفتّانُ سحّارُ [١]

كأنّمــــــا شعرُه في خالِ وجْنتِه   دخانُ قطعةِ نَدٍّ تحتهــــــا نارُ

* * *

قلت هذه القطعة قطعة عمادية ، والقول بأنها تُماثل نَزْعة عِنادية .

* * *

ولابن سَناء الملك فيما يُشبه هذا التشبيه ، وإن لم يكن منه [٢] :

سمراء قـــد أزرتْ بكلِّ أسمرٍ   بلَوْنها وليِنهــــا وقدِّها [٣]

أنفاسُهـــا دخانُ نَدِّ خالِهـــا   وريقُها من ماء وردِ خدِّها

وأقرب منه قول السيد محمد العُرْضِيّ [٤] :

على وجَناتِه خالٌ عليــــــه   تبــــدّتْ شعرةٌ زادتْه لطفا

كقطعةِ عنبرٍ من فوقِ نارٍ   بدا منها دخانٌ طاب عَرْفا [٥]

ومثله للسيد أبا كير بن النّقيب [٦] :

(١) جاء عجز البيت في خلاصة الأثر ، هكذا :

* ولحظه الفاتنُ الفتّاكُ سحّارُ *

(٢) لم أجد هذين البيتين في ديوانه المطبوع ، وهما في خلاصة الأثر ٣ : ٢٧٤ .

(٣) في ب : « سمراء قد زارت بكل أسمر » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) محمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضي ، الحلبي .

ذكره المحبي في خلاصة الأثر ، فقال : « كان من الفضل في مرتبة الأعلى ، ومن الأدب في مرتبة لاتنال بالاجتهاد » .

ولي القضاء مدة ، ثم اشتغل بالتدريس ، ثم ولي إفتاء الشافعية بحلب ستين ، ثم سافر إلى الروم ، وحين توفي أخوه أبو الوفاء أخذ مكانه في إفتاء الشافعية بحلب ، وأقام بها .

توفي محمد العرضي سنة إحدى وسبعين وألف ، وقد أناف من العمر على ستين سنة .

إعلام النبلاء ٦ / ٣١٨ ، خبايا الزوايا ، لوحة ٦٧ ا ، خلاصة الأثر ٤ : ٨٩ ، ريحانة الألبا ١ : ٢٧٤ .

والبيتان في : خلاصة الأثر ٣ : ٢٧٤ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥٣ .

(٥) ذكر ابن شاشو بعد هذا في صفحة ٥٣ ، ثلاثة أبيات لإبراهيم الأكرمي ، وبيتين للأمير منجك ، وبيتين لابن شاهين ، في المعنى . (٦) السيد أبا كير بن أحمد بن محمد ، المعروف بابن النقيب ، ستأتي ترجمته في هذا الجزء ، الباب الثاني ، برقم ١١٦ .

فى خدِّه القانى المضرَّجِ شامةٌ ... قد زِيد بالشّعرات باهرُ شأنِها
كلهيبِ جمرٍ تحت قطعةِ عنبرٍ ... قدأُوقِدتْ فبدا ذَكِىُّ دُخانِها [1]

* * *

وله [2] :

ومُدِيرٍ لنـــا المُدامَ بكأسٍ ... مثـــلُ عِقْدٍ حَبابُه منْظومُ
هو بدرٌ وفى اليمين هلالٌ ... فيه شمسٌ وقد علتْهـــا النجومُ
مَن دنَا دَنّه يشمُّ عبيراً ... من شَذاه رحيقُه مختومُ [3]
حَىِّ يا صاحِ بالفَلاحِ عليهـــا ... واصْطحِبْها تنفكُّ عنك الهمومُ [4]
ودعِ العمرَ ينقضى بالتَّصابِى ... وكذاك الوُشاةَ دعْهم يلومُوا

قوله : « هو بدر » ، إلى آخر البيت ، قد أحسن فيه ، لـكن تشبيه الـكأس بالهلال محلُّ نظَر ، والمتعارَف تشبيهه بالبدر ، كما فى قول ابن الفارض [5] :

لها البدرُ كأسٌ وهْى شمسٌ يُدِيرُها ... هلالٌ وكم يبـــدو إذا مُزِجتْ نَجْمُ

إلَّا أن يكون قصد الزَّوْرَق ، فإنه شُبِّه به الهلال ، كما فى قول ابن المُعتز [6] :

وانْظُرْ إليـــه كزورقٍ من فضةٍ ... قد أثْقلتْـــه حمولةٌ من عَنْبَرِ

فعـكَس التشبيه .

---

(١) فى ا : « زكى دخنها » ، وفى ب : « دخنها » ، والمثبت فى : ج .
(٢) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣ / ٢٧٤ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥٢ .
(٣) فى ب : « من رحيق شذاؤه مختوم » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .
(٤) فى خلاصة الأثر : « واصطبحها » ، وهو المناسب للمعنى .
(٥) شرح ديوان ابن الفارض ٢ / ١٣٩ ، وخلاصة الأثر ٣ / ٢٧٤ .
(٦) ديوانه ٤ / ٩٨ ، وخلاصة الأثر ٣ / ٢٧٤ .

ويمكن أن يقال [١] : إنه شبَّهه بالهلال ، بالنَّظر إلى هيئته ، إذا أمْسَكه السَّاقِي ، كما يفعل الأعاجم فى مُناولة إناء المشروب ؛ وذلك أنهم يقْبضون بالإبهام والمُسبِّحة على الإناء من فوق ، فيَسْتتر نصفُ الكأس [٢] بالأصْبعيْن ، ويبقى النصفُ ظاهرا كهيئة الهلال [٣] . انتهى .

* * *

وله [٤] :

ذمَمْتُ النَّوَى من قبلُ منِّى جهالةً ... ولم أدْرِ أن البَيْنَ أصلُ شِفائِي

فحِبِّيَ لمَّا حازه البعد حازَنِى ... سَقامٌ فأخْفانِى عن الرُّقباءِ

وصرتُ إذا شاء الزيارةَ زُرْتُه ... ولم ترَنى عينٌ لفَرْطِ خَفائِي

* * *

أخذه [٥] من قول كُشاجِم [٦] :

وما زال يَبْرِى أعْظُمَ الجسم حُبُّها ... ويُنْقصها حتى لَطُفْنَ عن النَّقْصِ [٧]

فقد ذُبْتُ حتى صرتُ إن أنا زُرْتُها ... أمِنْتُ عليها أن يَرى أهلُها شخصِى [٨]

* * *

وله [٩] :

أطار الهوى مِن جمر خدَّيْه جَذْوَةً ... فأصْلَى بها قلبى الذى ضم أضْلُعِى

---

(١) ذكر المحبى هذا أيضا فى خلاصة الأثر ٣/٢٧٤ ، وقال : إنه وقع له فى حل بيت فارسى مثَّل تعريبه، ثم ذكر تعريبه فى بيتين .   (٢) فى ا بعد هذا زيادة على ما فى ب ، ج : « من فوق » .

(٣) انظر تعليق ابن شاشو على هذا ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٥٢ .   (٤) الأبيات فى تراجم بعض أعيان دمشق ٥٢ .   (٥) قبل هذه الكلمة فى ا زيادة عن ما فى ب ، ج : « النقص » .

(٦) البيتان فى ديوانه ١٠٦ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥٢ .

(٧) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « أعظم الجسم حبه » .

وفى ب : « لطفن من النقص » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٨) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « وقد ذبت . . . أنا زرته . . . يرى غيره شخصى » ، وفى الديوان أيضا : « وقد ذبت » .   (٩) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣ / ٢٧٤ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥٠ .

وصعَّده مِنْ بعـــد ماقد أذاقَهُ   وقطَّرَهُ من مقلتى دَرَّ أدْمُعِى [1]

* * *

أحسن منه قولُ ابن النَّبيه [2] :

تعلَّمتُ علمَ الـكيمياء بحبِّـــه   غزالٌ بجسمى مابعيْنيه من سُقْمِ [3]
فصعَّدتُ أنفاسى وقطَّرتُ أدْمُعى   فصحَّ من التَّقْطير تصفيرةُ الجسمِ [4]

وللشِّهاب الخفاجيّ :

فى بُـكائِى راحةٌ من شجَنِى   بعـد يأْسٍ من أمانٍ يُطمِعُ
فـكأنَّ الحزنَ من نار الجوَى   ذاب حتى اسْتقْطَرتْه الأدْمُعُ

* * *

وله [5] :

أيا شاهراً سيْفاً يُشابه لَحْظَه   يصُول به ضَرْباً وموقعُه القلبُ
دعِ السيفَ وانظر نحوَ مَنْ رمتَ قتلَه   فعيْناك كلٌّ منهما صارِمٌ عَضْبُ [6]

* * *

وله [7] :

دَائِيَ الحبُّ والأمانى طَبِيبى   والنَّوى والفِراقُ من عُوَّادِى [8]

---

(١) فى تراجم بعض أعيان دمشق : «فصعده . . . وقطره فى مقلتى . . . » .
(٢) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ٣١٠ .
والبيتان فى ديوانه ٧٢ ، وخلاصة الأثر ٣/٢٧٥ .
(٣) فى الديوان : « ما بجفنيه من سقم » .
(٤) فى ا ، ج : « تصفيرة الجسم » ، والمثبت فى : ب . وفى الديوان :

* فصحَّ بذا التدبيرِ تصْفيرةُ الجسْمِ *

(٥) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ٥٠ . (٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « دع السيف تخويفا لمن رمت قتله » . (٧) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٢٧٥ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥١ .
(٨) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « والأمانى طبيب » .

ودوائي ذِكْرُ اللِّوَى وسَمِيرِي ... ضَيْفُ طَيفٍ مُوَكَّلٍ بسُهادِي (1)

* * *

وله (2) :

بي ظَبْيٌ إِنسِيٌّ لاحَ في قُرْطُقٍ ... قد فضحَ الدُّرَّ سَنَا ثغرِه (3)

ما فيـــه من عيبٍ سوى أنه ... أشْبَهَ جسمي بِضَنَى خَصْرِه (4)

* * *

وله :

تحجَّبَ البدرُ في غَيْمِ الصدودِ وفي ... ليلٍ من الهجرِ عن مأسورِ ألفاظِه (5)

ومرَّ يبخلُ حتى بالسلامِ ترى ... مِن خَوْفِه تَقَطُّ سمعي دُرَّ ألفاظِه (6)

* * *

وله :

كأنَّ مُبتَدأَ نبتِ الشاربَيْنِ وقد ... بدا على شفةٍ شَطَّتْ عن الدَّنَفِ

زُبانَيَا عقربَيْ صُدْغَيْهِ قد حَمَتا ... رحيقَ ريقتِه عن رشفِ مُرتَشِفِ (7)

* * *

وله (8) :

---

(1) في تراجم بعض أعيان دمشق : « ذكر النوى » ، وفي خلاصة الأثر : « موكل بسهادي » .

(2) البيتان في : خلاصة الأثر ٣ / ٢٧٥ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥١ . (3) تقدم ذكر القرطق ، في صفحة ٤٦ ، من هذا الجزء . (4) في الأصول ، والخلاصة : « أشبه جسمي [illegible] خصره » ، والمثبت في تراجم بعض أعيان دمشق . (5) في ب : « في غيم [illegible] » ، والمثبت في : ا ، ج . (6) في ا : « ومن تبخل » ، والمثبت في : ب ، ج . وفي ا ، ب : « لقط سمعي » ، والمثبت في : ج . (7) في ا : « ذبابا عقربي » ، وفي ب : « زبابا عقربي » ، وفي ج : « ذبابا عقربي » ، والصواب ما أثبته ، وزبانيا العقرب : قرناها .

وفي ا : « عقربي خديه » ، والمثبت في : ب ، ج .

(8) البيتان في : خلاصة الأثر ٣/٢٧٥ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥٠ .

فديتُك رَأبُك الإعراضُ عنّي ولمْ أعرفْ له سبباً وحقِّكْ[١]
سوى أنّي المقيمُ على وِدادي وأنّي يا حبيبي عبدُ رِقِّكْ[٢]

* * *

وله[٣] :

إذا زارني ليلاً مخافةَ عاذلٍ وأسفر وجهاً صار صبحاً بغُرّتِهْ
وإن زارني صُبحاً وأرخى غدائراً على الوجهِ صار الصبحُ ليلاً بطُرّتِهْ

* * *

وله[٤] :

وبدرٍ حكتْهُ الشمسُ عند شروقِها إذا غربتْ في فيهِ والليلُ سائلُ[٥]
إذا ما تثنّى قَدُّه وَسْطَ روضةٍ تخِرُّ له اهيفُ الغصونِ الموائلُ

* * *

وله :

لمّا غدا جيدُك الحالي بعقدٍ من قلائدٍ وعقودٍ عاطلَ الخالِ
دمي تقلّده ظلماً ألستَ ترى نقطاً عليه دمي سمّوه بالخالِ

* * *

وله[٦] :

ودّعني مَن نواه أودعني شوقاً يزيد الفؤادَ نيرانَا[٧]
وقال لي والبكاء يغلبُه ياليت يومَ الفراقِ لا كانَا

---

(١) في تراجم بعض أعيان دمشق : « فديتك دأبك الإعراض عني » . (٢) في ا : « وأني حبيبي » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٣) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٥١ . (٤) البيتان أيضاً في تراجم بعض أعيان دمشق ٥١ . (٥) في ا : « والليل سائل » ، وفي ب الكلمة « سائل » بلا نقط ، والمثبت في : ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٦) البيتان في : خلاصة الأثر ٣/٢٧٥ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٥١ ، ٥٢ . (٧) في ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « من هواه أودعني » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .
وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « يزيد القلب نيرانا » .

٧٠

على بن إبراهيم *

هو الآن فى الحضرة الخَضِرة ، مُتعيِّن فى نُظَرائه بالمعالى النَّضِرة .

فيكاد يُشير إليه ، من يُغْمِض عيْنيه .

ومن أراد أن يكون السَّعْدُ من خَدَمِه ، فليضعْ قدمَه مكان قدمِه .

فالإقْبال كأنما خُلِق لأجْلِه ، واليُمْنُ فى مَواطِئه بخَيْلِه ورَجْلِه .

وهناك جَدٌّ لو كان بظُبَة[1] صارِم ما نَبا غِرارُه ، وبِشْرٌ لو سال بصفحة البدر ما خِيف سِرارُه .

وأنا إذا جئتُ أصِفُه ، ولا[2] أقدر أن أُنْصِفه .

قلت : أعلى اللهُ مكانَه ، وشيَّد فى أُفق النَّباهة أرْكانَه .

فما زال الأمْنُ يواصل هَدُوَّه[3] ، والجَذَلُ يصاحب رَواحَه وغُدُوَّه .

(*) على بن إبراهيم بن عبد الرحمن العمادى ، الحنفى ، الدمشقى .
ولد بدمشق ، سنة ثمان وأربعين وألف .
ونشأ بها ، فقرأ على والده ، وعميه : شهاب الدين وكمال الدين ، ومحمود الكردى ، وإبراهيم الفتال ، ورجب القصيرى الميدانى الفرضى ، وغيرهم .
ولى تدريس المدرسة السليمانية ، فى الميدان الأخضر ، وإفتاء الحنفية ، بدمشق ، ثم عزل عنها .
وكان صدرا من صدور دمشق ، مهابا ، عالما ، أديبا ، حاذقا .
توفى سنة سبع عشرة ومائة وألف ، ودفن بمقبرة أسرته ، بباب الصغير .
سلك الدرر ٣/١٩٦ — ٢٠١ ، وقد نقل المرادى ترجمة المحبى له ، وما أورده من شعره .
ولعلى العمادى ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٥٧ ، ٥٨ .

(١) فى ب : « بضبة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٢) فى ب : « لا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٣) رجل هدو : هاد . القاموس (هـ د ى) .

وله السلامةُ التى يُهَنَّا بها ويُحَيِّ ، والدنيا التى لم تزل غَضَّةَ العهدِ طَلْقَةَ المُحيَّا .

وله عندى وراء ذلك ثناءٌ بَرِىءٌ من الكَلَف ، وامْتداحٌ لو نالَه البدرُ لانجلى عنه الكَلَف .

وهو فى الفضل كأبيه وجدِّه(١) ، وإذا قيس بهما فقد انتهى لأقصى حَدِّه .

وأما أدبُه فقد حلَّ من البراعة مكانا عليًّا ، وهَمَى وَدْقُه على رُبَى الإجادة وَسْمِيًّا ووَلِيًّا(٢) .

فإذا جال يَراعه ، ملأ القِرْطاس بلاغةً وبَراعة .

وإذا وشَّى الصحائفَ من حَبائر بَديهتِه وإملائه ، فكأنما أفاض عليها من أنواره ولألائِه .

وقد أثبتُّ له ما يبهج الأدب وبزينه ، وإذا وُزِن به الشعر رجَحتْ موازينه .

فمنه قوله ، فيما كتبه إلى الأستاذ زين العابدين الصدِّيق(٣) ، يستدعيه لدمشق(٤) :

---

(١) تقدمت ترجمة أبيه برقم ٦٨ ، فى هذا الجزء .

أما جده ، فهو :

عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد العمادى ، الحنفى ، الدمشقى .

ولد سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ، ونشأ يتيما .

وقد أخذ عن مشايخ عصره ، وحج فأخذ عن علماء المدينة ، واجتهد حتى صار فى عصره ممن يشار بالتردد إليه ، والاكتساب من علومه .

واشتغل بالإفتاء ، والتأليف ، والتدريس بمدارس الشام .

توفى سنة إحدى وخمسين وألف .

خبايا الزوايا لوحة ٦١ ب ، خلاصة الأثر ٢ / ٣٨٠ ، ديوان الإسلام لوحة ٦٠ ب ، ريحانة الألبا ١ / ٢٢١ ، سلافة العصر ٣٧٢ .

(٢) الوسمى : أول مطر الربيع . والولى : المطر يسقط بعد المطر .

(٣) ستأتى ترجمته ، فى الباب السابع ، برقم ٢٢٥ . (٤) القصيدة فى سلك الدرر ٣ / ١٩٧ ، ١٩٨ .

قد ألبس الروضُ أنواعاً من الحِبَرِ ... وتوّج الغصنُ إكليلا من الزَّهَرِ

ومدّت الأرضُ وسطَ الروضِ حاشيةً ... من الزُّمُرُّدِ في مُستنزَهٍ نَضِرِ

وقام كلُّ خطيبٍ في الرياضِ شدا ... بلحنِ مَعْبَدَ وقْعَ المثنى والوتر (١)

وفاح نَشْرُ عبيرٍ في دمشقَ غدا ... يفنى بطيبٍ شذاً من عنبرٍ عطرِ

كأن عطرَ غوانٍ قد ضمّخْنَ به ... أتتْ به من نحورٍ نسمةُ السَّحَرِ (٢)

وراقبتْ فرصةَ الإغفاء فانغمستْ ... كالسحرِ بين مقرِّ الجفنِ والشَّعَرِ (٣)

فاستجمعتْ كلَّ لُطفٍ مع لطافتها ... واستصحبتْ كلَّ عَرْفٍ طيّبِ الأثرِ

فقمتُ أنشقُ ريّاها وقلتُ لها ... جودي عليَّ فإني لاتَ مُصطبري

وخبّريني أهذا العَرْفُ منشؤه ... عن طيبِ مَخْبَرٍ أم عن طيبِ الخبرِ

قالتْ أعندكَ من هذا النبا نبأٌ ... كفاك رونقُ هذا العهدِ من خبرِ (٤)

فالشامُ شاميةٌ والأرضُ نديةٌ ... والسحبُ هاميةٌ بالغيثِ والمطرِ (٥)

من أجلِ أنّ إمامَ الوقتِ أعني به ... زينَ الأنامِ وكهفَ البدوِ والحضرِ

ذاك الهمامُ الذي بالمجدِ قد بهرتْ ... آياتُ محتدِه السامي على الزُّهُرِ (٦)

وابنُ الإمامِ الذي ما مثله أحدٌ ... إذ كان في الغارِ ثاني سيدِ البشرِ (٧)

---

(١) معبد بن وهب المدني ، مولى بني مخزوم .
بدأ حياته برعي الغنم في المدينة لمواليه ، ثم ظهر نبوغه في الغناء ، فأثنى عليه الناس ، ورحل إلى الشام فرافق [illegible] ، واتصل بالأمراء والكبراء .
توفي سنة ست وعشرين ومائة .
الأغاني ١/٣٦ .

(٢) ضمخ جسده بالطيب : لطخه به . (٣) في أ ، وسلك الدرر : « وراقبت فرصة الإغفاء فانغمست » ، وفي ب : « [illegible] » بدون نقط في النون والغين ، والمثبت في ج . والإغفاء [illegible] والوقت الذي [illegible] متخفية . وفي سلك الدرر : « بين مقر الجفن والشعر » . (٤) في ج : « من هذا [illegible] » . والمثبت في : أ ، ب ، وسلك الدرر . (٥) في سلك الدرر : « والشام شامية » ، وفي [illegible] .
(٦) في سلك الدرر : « الزاهي على الزهر » . (٧) يعني الخليفة أبا بكر الصديق ، رضي الله عنه .

يرومُ جانِي قصداً أن يشرّفها ... بالبِشْرِ منه فتضحي نُزهةَ النظرِ (١)

فقمتُ أهلاً بما أديتِ من نبأٍ ... أودعتِ في السمع منه أنضرَ الدُّرَرِ

وصرتُ أثمُ فاها فرحــــةً وهوًى ... ومنطقاً وِرْدُه أحلى من الصَّدَرِ

فأنجزِ الوعدَ لطفاً منك سيدَنا ... فالشامُ إن جزتَ صينت عن يدِ الغِيَرِ

فعينُ الزهرِ وسْطَ الروضِ شاخصةٌ ... لكي تراك فتحظَى منك بالبَصَرِ (٢)

✻ ✻ ✻

ومن بديع قوله (٣) :

عزّ هـــذا العزيزُ في سُلطانِهْ ... ومضى والجمالُ أكبرُ شانِهْ

وأرانا من سحرِ عينيه هارو ... تَ وماروتَ من شَبا أجفانِهْ

فاستمالَ القـــلوبَ نحو مُحيّا ... كان سَلْبُ القلوبِ من بُرهانِهْ (٤)

وحبانا من جمـــالٍ ما تمنّى ... من شذا وردِهِ ومن ريحانِهْ (٥)

وأرانا برقَ الثغـــرِ اختلاساً ... خوفَ واشٍ وحاسدٍ يريانِهْ

ورأيتُ المُدامَ في فيـــهِ لمّا ... لاحَ فرقُ اللَّمى وضوءُ جُمانِهْ (٦)

فشهدتُ المُدامَ في الكونِ طرًّا ... من لَماه والسكرَ في لمعانِهْ (٧)

وضروبَ الجمالِ قد جُمعتْ فيـ ... ـهِ وفي شـــكلِهِ وفي ألوانِهْ

قدُّه كالقضيبِ من فوقِ رِدْفٍ ... ذي اهتزازٍ يميسُ في أعكانِهْ

تحت وجهٍ كالروضِ أودعَ فيه ... كلَّ معنًى يروقُ في إبّانِهْ

---

(١) في سلك الدرر : « نزهة البصر » .

(٢) في سلك الدرر : « فتحظى منك بالبصر » . (٣) القصيدة في سلك الدرر ٣ : ١٩٨ .

(٤) في سلك الدرر : « سلب العقول » . (٥) في سلك الدرر : « من شذا ورده » .

(٦) في سلك الدرر : « ورأيت الغرام » ، وفي أ : « وضوء جمانه » ، والمثبت في : ب ، ج ، وسلك الدرر .

(٧) في سلك الدرر : « من لماه » .

خدُّه كالشَّقيقِ فى اللونِ والصِّبـ ـغِ كأسِ الرِّياضِ فى عُنْفُوانِه (١)

تحته جيدُه الذى حلَّ فيـــه خالُه مُختفٍ لِجُلِّ مكانِه (٢)

فافتتَنّا بقــامةٍ وبجيـــدٍ وسبانا زُمُرُّدى هِمْيــانِه

طرَّ عقلى بطرَّةٍ شكلُ سينٍ بيديْه قد طرَّها وبَنــانِه (٣)

❊ ❊ ❊

وقوله (٤) :

وكأنما المصباحُ وسْطَ حديقةٍ محفوفةٍ بالورد والنِّسْرينِ

بدرٌ بدا تحت السحابِ أحاطَهُ قزحٌ بقوسٍ مُحكَمِ التَّنْوينِ

أو غادةٌ قد ألبست أبدانَها حُلَلَ الجمال بديعةَ التَّلوينِ

أو شادنٌ قد خُطَّ تحت جبينهِ بالطُّرَّةِ الدَّعْجاءِ شكْلُ السينِ (٥)

❊ ❊ ❊

وقوله (٤) :

باكِر صَبُوحَك مِن فيه مُشعشَعةً تُضىء إن رُشِفتْ منه كمصباحِ

بيضاء مثلُ نهارِ الوصلِ رُؤيتُها وحالةَ الوصلِ تُحْكى لونَ تفّاحِ (٦)

لأن مَنْبِتَ دُرِّ الثَّغرِ حانتُها ودنُّها من عقيقِ اللونِ وضّاحِ (٧)

---

(١) فى سلك الدرر :

خدُّه كالشقيقِ فى اللونِ والصِّبـ ـغِ كأسِ الرياضِ فى عنفوانه

(٢) سقطت : « جيده » من : ا ، ب ، وهى فى : ج ، وسلك الدرر . وفى سلك الدرر : « خاله مختف » . (٣) هذا البيت ساقط من سلك الدرر . (٤) الأبيات فى سلك الدرر ٣/١٩٩ .

(٥) عجز البيت فى سلك الدرر :

❊ بالطُّرَّةِ العجْماء تحت السِّينِ ❊

(٦) فى سلك الدرر : « وحالة الرشف » . (٧) فى سلك الدرر : « لأنت نبت » .

وعاذلٍ قال ماقى الرَّاحِ مَعْتَبةٌ ... فاسْتَغْنِ عنها بكاساتٍ وأقْداحِ
فقلت ياجاهــــلاً فى الحُبِّ معرفتى ... إليك عنِّى فـلا أُصْغِى إلى اللَّاحِى
لاأشربُ الرَّاحَ إلا من مُقَبَّلِ مَــن ... تقْبيلُ مَبْسِمِهِ أشهى من الرَّاحِ [1]

***

وله فى العذار [2] :

ما كنتُ أحسَبُ قبل نَبْتِ عِــذارِه ... أن العِــذارَ لحُسْنه تأكيدُ
حتى بَدَا فى خــدِّه مُتجعِّدًا ... كفتيتِ مِسْكٍ لايلينُ جــديدُ
فكأنَّ مُحمرَّ الخــدودِ شقائقٌ ... عن لَثْمِ أفواهِ الأنامِ تَحِيــدُ
وكأنَّ مُعْوجَّ العِــذارِ بصُــدْغِهِ ... شَرَكٌ لحَبَّاتِ القلوب يصيــدُ

* * *

[3] وله ، فى [3] البيت الأخير استخدام [4] :

وعاذلٍ قال عَقْــرَبٌ ادّعتْ ... أَحْمَدَ نَوْعِ الجمالِ سَيِّــدَهْ
قلتُ عجيبٌ لهـــا ماهِبتْ ... عقربَ صُــدْغٍ رأتْ مُمدَّدَهْ
قالوا رأته وأنت تخـــبره ... ذاك لِلسْعِ القلوب أرْصَدَهْ [5]
فقلتُ إذْ بَانَ عقربٌ بكمُ ... لمـــا أتته رأتْ تأوُّدَهْ [6]
خافَتْ على قلبهـــا يمزِّقُه ... فزَحْزَحتْه وقبَّلتْ يدَهْ

* * *

وكتبتُ إليــه أستأذنه فى التنزُّه أيَّاما بقصْره ، الذى أحاطت به السَّراء إحاطةَ النِّطاقِ بخَصْره [7] :

---

(١) فى سلك الدرر : « تقبيل راحته » . (٢) الأبيات فى سلك الدرر ٣/١٩٩ .
(٣) فى ب ، ج : « وفى » ، والمثبت فى : ا ، وسلك الدرر . (٤) الأبيات فى سلك الدرر ٣/١٩٩ .
(٥) فى ا : « قالوا أرته » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر ، وفى سلك الدرر : « للسع القلوب ترصده » . (٦) فى سلك الدرر : « إذ بان أن عقربكم » . (٧) نقل المرادى هذا الفصل أيضا ، فى سلك الدرر ٣/١٩٩ ، ٢٠٠ .

سيدى وسَنَدى ، أنقذ اللهُ على يديك الخواطرَ من هُمومها ، وجَلّى عنها بِحُسْن توجُّهك غياهب غُمومها [١] .

الزمنُ وما أدْراك [٢] ، [٣] لم يبْقَ فيه إدْراك [٣] .

من نكَبات لولا طَيْشُ وِصالها لاتَّصلتْ اتِّصال الشُؤْبوب [٤] ، وصَدَمات لولا تكسُّر نِصالها لكانت كالرُّمح أُنْبوبا على أُنْبوب .

ولكن ثمَّ نفوسٌ من الفكر طائشة ، لا تحسَبُها إلا من ناهِلِ [٥] الحِمام عائشة . فهى تستدعى بعضَ مألوفاتِها عن رَوِيّة ، طامعة فى حَسْوة من الأمانى إمّا قَدِيّة أو رَوِيّة .

وذلك لدَفْع صائل ، لا لتوقُّع [٦] طائل .

وإلّا فكلنا يعرف زمانَه ، [٧] ويعلم أن النهوضَ فيه زَمانَة [٧] .

وقد طلبنا فلم نجد غيرَ قصرِك البهيِّ من النَّوازلِ مَفَرّا ، ولا مثل ساحتِه للأمْن من الغوائل مَقَرّا .

إذ هو القصر الذى أقرّت له القصورُ بالقصور [٨] ، ولبست منه الشِّعْرَى العَبُور [٩] ثوبَ الغَيُور .

فعسى ماعزَّ على العِيان من لُقياك ، نستنشق فيه من مَواطِئك عَرْفَ رَيّاك .

فإن أذنْتَ فَمثلُك مُنَزَّه عن التّغاضى ، ومثلُنا مُوَلَّه بالتّقاضى .

---

(١) فى سلك الدرر : « عمومها » .

(٢) فى ب ، وسلك الدرر : « أدريك » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) هذه الجملة ساقطة من : ب ، وفى ا : « لم يبق فيه إلا أدراك » ، وفى سلك الدرر : « لم يبق لنا فيه إدراك » ، والمثبت فى : ج .

(٤) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

(٥) فى ا : « تناحب » ، وفى ب ، ج : « تناهل » ، والمثبت فى سلك الدرر .

(٦) فى ب : « توقع » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلك الدرر . (٧) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وسلك الدرر . (٨) ساقط من سلك الدرر .

(٩) الشعرى العبور والشعرى الغميصاء : أختا سهيل . القاموس (ش ع ر) .

ولك [١] الفضل الذى إذا كشّر الدهرُ عن نابِه ، تُكشف الحوادث عَنَّا [٢] به .

والثناء على سجيَّتك ثناء الروضِ المُونِق ، على الغديرِ المُغدِق .

والسلامُ على خُلقك العاطِرِ ، سلامُ النسيمِ على الغصن الناضِرِ .

وبقِيتَ فى يومٍ أغـــرَّ مُبشِّرٍ بسعادةٍ غرَّاء تطلعُ فى غـــدِ
لتقيمَ كلَّ مُؤوَّدٍ وتُنيمَ كلَّ مُسَهَّدٍ وتضمَّ كلَّ مُبدَّدِ

***



(١) فى الأصول : « ولكن » ، والمثبت فى سلك الدرر . (٢) فى ا : « عما » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلك الدرر .

بيت النابلسي

هذا البيت لي فيه نَسَب ، مُدْلٍ وربُّ البيت بنشَب .

وجدّي من قِبَل الأُمّهات كبيره إسماعيل [١] ذلك الإمام ، والفائق في الإضاءة على البدر التَّمام .

شيخُ التوفيق ، وأحقُّ من يُدْعَى بالبَرّ الشفيق .

أحلّه اللهُ دار القَرار ، وبوّأه منازلَ الأبرار .



(١) هو إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم النابلسي . انظر خلاصة الأثر ١/٤٠٨ ، وقد عين المحبي هذه القرابة ، في خلاصة الأثر ٤/٤١٠ ، فقال : « ولنا قرابة معهم من جهة الأمهات ؛ فإن جدي محب الله ابن عمة صاحب الترجمة » يعني إسماعيل بن عبدالغني .

٧١

حفيده إسماعيل *

سَمِيُّهُ ووَلِيُّه ، سقاه من الرِّضا وَسْمِيُّه ووَلِيُّه .

غرةُ وجهِ الدهر ، والقمر نصفَ الشهر .

جرى ففات ، واستغرق الصِّفات .

وأرْبى على الأكفاء وبرّز ، وأعْلَمَ حُلَّة الفضل وطرّز .

فقصّر في حَلْبة البراعة مُجارِيه ، واستشْعر فَوْتَ الطلب مُبارِيه .

وحاشيتُه على « الدُّرَر » أقرّ لها ابنُ عَزْمِي [1] بانْحلال عَزْمه ، واعْترف الْوَانِي [2]

(*) إسماعيل بن عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى ، الدمشقى ، الحنفى .

ولد سنة سبع عشرة وألف .

وقرأ بدمشق على الشرف الدمشقى ، ومحمود الكردى ، وعمر القارى ، والعمادى المفتى ، وتفقه بالشيخ عبد اللطيف الجالقى ، وأخذ الحديث عن النجم الغزى ، ولازم شيخ الإسلام يحيى بن زكريا بالروم ، وأخذ بالقاهرة عن الشهاب أحمد الشوبرى الحنفى ، والشيخ حسن الشرنبلالى .

وحين برع شرع فى إلقاء الدروس بالجامع الأموى ، سنة سبع وثلاثين وألف ، وانتفع به جماعة ، منهم إبراهيم الفتال ، وكان إليه أيضا تدريس المدرسة القيمرية بدمشق ، وتدريس جامع السلطان سليم بصالحية دمشق .

رحل إسماعيل النابلسى إلى الروم مرارا ، وإلى القاهرة ، ودخل حلب ، وحج .

وصنف كتبا حين لزم بيته ، وانعزل عن الناس للتحرير والمدارسة ، منها : « كتاب الإحكام شرح الدرر » فى اثنى عشر مجلدا .

توفى سنة اثنتين وستين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، بالمدفن المعروف باسم أسرته .

خلاصة الأثر ١/٤٠٨ــ٤١٠ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٦٣ــ٦٧ .

(١) هو مصطفى بن محمد ، الشهير بعزمى زاده ، أو ابن عزمى ، قاضى العسكر .

عالم فاضل ، ومؤلف نحرير .

توفى فى حدود سنة أربعين وألف .

خلاصة الأثر ٤/٣٩٠ ــ ٣٩٢ .

(٢) هو محمد بن مصطفى الوانى .

فقيه حنفى رومى .

له « نقد الدرر » وهو تعليقات على « درر الحكام فى شرح غرر الأحكام » . توفى سنة ألف .

الأعلام ٧/٣٢٠ .

بأنه وانٍ عن لحاقها لعدم حزْمِه .

فإذا أعمل لسانَه وفمَه ، وأخذ دَواتَه وقلمَه .

تجارَى يراعُه وطبْعُه ، وحدَّث عن البحر العُباب نَبْعُه .

فأبدى خاطرُه الشُّموسَ من الطُّروس ، وأطْلَع فكرُه النّقا ونفائس الذخائر في سُوق العروس .

* * *

ولطائفُه في الأدب جواهر أصْداف ، وزواهر أسْداف .

أوردتُ منها دُرًّا يلْفظه البحر ، فيزيِّن به من المعلومات (١) الغُرّ الصدرَ والنَّحْر .

فمن ذلك قوله ، وكتبه في صدر رسالة لبعض أحبابه (٢) :

إن طلبتُمْ أُبْدِي لكم شرحَ حالي ... فهو أمرٌ يَكِلُّ عنه مَقالِي

لاتقولوا مُسافرٌ بل مُقيمٌ ... كلَّ يومٍ سرورُه في كمالِ

ثم ماقد أصابنا من رفيقٍ ... وعزيزٍ ومُتْبِعِ الأفْضالِ

فهْوأمرٌ عجزتُ إذ رُمْتُ أُحْصِي ... منه حالا فكيف بالأحْوالِ

غير أنى قصدتُ من رَقْمِ هذا ... فهْمَكم حالنا على الإجمالِ

* * *

وكتب أيضا (٣) إلى بعض إخوانه (٤) :

إذا قيل أىُّ إمامٍ هُمامٍ ... بليغٍ لقد فاق للفاضِلِ (٥)

---

(١) في ا : « المعلوات » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٢) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٤٠٩ .

(٣) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٤) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٤٠٩ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٦٧ . (٥) في تراجم بعض أعيان دمشق : « أى عام إمام » تقديم وتأخير .

غزيرِ النَّوالِ عزيزِ المَثالِ ... شريفِ الخصالِ وذِي النائلِ [١]

وحَبْرِ الأنامِ وبحرِ الكرامِ ... خضمٍ يُرامُ بلا ساحلِ [٢]

كريمِ الأصولِ ومُحْيِي القَبُولِ ... وفضلاً يصولُ على الجاهلِ [٣]

أشارَ إليكَ جميعُ الأنامِ ... إشارةَ غَرْقَى إلى الساحلِ [٤]

***

أصله ماقاله فى كتاب « العقد » [٥] ، [٦]لابن عبد ربه[٦] : أنه وقف بعض الشعراء على عبد الله بن طاهر ، فأنشده :

إذا قيلَ أيُّ فتًى تعلمون ... أهَشَّ إلى البأسِ والنائلِ [٧]

وأضربَ للهامِ يومَ الوغَى ... وأطْعَمَ فى الزمنِ الماحلِ

أشارَ إليكَ جميعُ الأنامِ ... إشارةَ غَرْقَى إلى الساحلِ

***

ومن شعره قوله [٨] :

لَوَى وجهَه عنِّى على زعمِ أننى ... أداهنه من أجلِ أمرٍ أحاوِلُهْ [٩]

فقلتُ له خفِّضْ عليكَ فإننى ... تكلَّفْتُ هذا الأمرَ ممَّن أخالِلُهْ

***

---

(١) فى خلاصة الأثر : « عزيز المثال » . (٢) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « وخير الأنام » .

(٣) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وفى خلاصة الأثر : « وفضل يصول » . (٤) فى ب : « جميع الورى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٥) العقد الفريد ١/٣١٥ ، وخلاصة الأثر ١/٤٠٩ .

(٦) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا . (٧) فى ا : « أى فتى تعلموه » ، والمثبت فى : ب ، ج وخلاصة الأثر ، والعقد ، وفى ا : « أهش إلى الباس والنائل » ، وفى ب : « أهش إلى البأس فى النائل » ، وفى خلاصة الأثر : « أهش إلى البأس السائل » ، والمثبت فى : ج ، والعقد . (٨) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٤٠٩ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٦٦ . (٩) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « لوى جيده عنى » .

وقوله (١) :

ولو لم يكنْ علْمِى بأنك فاعـــلٌ من الخيرِ أضعافَ الذى أنا قائلُ (٢)

لمــــا بسَطتْ كفِّى إليك وسيلةً ولا وصلتْ منِّى إليك الرسائلُ (٣)

***

وله هذه الرباعية (٤) :

قد أقسم لى لمَّـــا اعترانِى الوَلَهُ أن يعطِف لى لـكنَّه أوَّلَهُ

لا يسمحُ بالوِصال إلا غلَطًا فى النـادرِ والنــادرُ لا حكمَ لَهُ



(١) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/٩٠٤ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٦٦ .

(٢) فى خلاصة الأثر : « أضعاف الذى أنا فاعل » ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « أضعاف الذى أنا سائل » . (٣) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « لما سطرت كفى » . وفى ب : « لما بسطت يدى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) الرباعية فى : خلاصة الأثر ١/٩٠٤ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٦٦ .

٧٢

ولده عبد الغنى *

الوِرد الرَّوِىّ ، والنَّهج السوِىّ .

خلقه اللهُ للفضل أهلا ، وأشْرَق به الهدَى طفلا وكَهْلا .

فترشَّح (١ للعلى ، وتوشَّح ١) بتلك الحُلا .

وما انفصل عن طَلِّه الوَبْل ، وكما تعرفه البراعةُ من بعد تعرفه من قَبْل .

بحرُ علمٍ لا يُدرَكُ غَورُه ، وفلَكُ فضلٍ على قُطْب الرجاء دَوْرُه .

ولم يقْنَع بالمَجاز عن الحقيقة ، حتى تبوَّأ البُحْبُوحة من تلك الحديقة .

ولَدَيْه من المعلومات مايشقُّ على الأقلام حَشْرُه ، ويتعسَّر على الكَلِم نشرُه .

وتآليفه تُكاثِر السحبَ المواطِر ، حشوُها فوائدُ عُقْلة الأفكار وقيْدُ الخواطر .

(*) عبد الغنى بن إسماعيل بن عبد الغنى النابلسى ، الدمشقى ، الحنفى ، النقشبندى ، القادرى .

ولد بدمشق ، سنة خمسين وألف .

واشتغل من أول أمره بقراءة القرآن ، ثم بطلب العلم ؛ فأخذ عن والده ، وأحمد القلعى الحنفى ، ومحمود الكردى ، وعبد الباقى الحنبلى ، ومحمد الخاسكى ، والنجم الغزى ، وإبراهيم بن منصور الفتال ، وغيرهم ، وأجازه كثير منهم .

رحل إلى بغداد ، ومصر ، والحجاز ، وتنقل فى فلسطين ولبنان .

وابتدأ فى قراءة الدروس وإلقائها ، والتصنيف لما بلغ عشرين عاما .

وأدمن القراءة فى كتب الصوفية ، وانقطع عن الناس ، وظهرت له أحوال غريبة .

وله مؤلفات كثيرة ، ذكرها المرادى فى كتابه ، فاستغرقت نحو سبع صفحات ، وأحصى بعضهم له ثلاثة وعشرين ومائتى مصنف .

توفى فى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ، ودفن بالقبة التى أنشأها فى صالحية دمشق .

الأعلام ٤/١٥٨ ، ١٥٩ ، تاريخ الجبرتى ١/١٥٩ـ١٦١ ، سلك الدرر ٣/٣٠ـ٣٨ ، الباشاة والقضاة (ولاة دمشق فى العهد العثمانى) ٦٤ ، ولعبد الغنى النابلسى ترجمة على طريقة النفحة فى تراجم بعض أعيان دمشق ٦٧ ـ ٨٣ .

(١) ساقط من : ب ، وسقط من : ج : « للعلى » فقط ، والمثبت فى : ا .

وله أشعار أغلبُها فى الزهد ، إلا أنها فى الحلاوة بمثابة الشُّهد .

وهو ممن نَحَوْتُ إلى كعبته ، ورميتُ نُشّاب البراعة من جُعْبته .

ومضى لى فى صحبته حين ، لم أنشق به إلا شمّامات ورياحين .

أسارع إليه مسارعة مُوفٍ لا مُقرِض ، وأتعرّض إلى خدمته تعرّض مُقْبِل لا مُعْرِض .

فأستجلى أحاسنَ المحاسن ، وتنقاد لى بدائعه ذُلُلَ المراسين .

وقد انقبض حيناً عن الناس ، وعَدَّ الوحشةَ من الإيناس .

وانعكف على دواوينه ، وكَلِف بالعلم وأفانينه .

ثم نبَّه جَفْنَه بعضَ انتباهة ، فطار فى أفق الشام بين نزاهة ونباهة .

وسافر ذكرُه للرُّكبان زادا ، كما أقام فضلُه للوارد عَتادا .

وقد ورد القاهرة وأنابها أماطيل الشوق وهو غريم ، وأطاب فَيْض الدمع وهو كريم .

فتألّفت معه فى مجلس الأستاذ زين العابدين [1] لا زالتْ مطارح أعماله سعيدة ، ومطامحُ آماله قريبة والأكدارُ عنها بعيدة .

كما تألّف الأرْىُ مع القَنْد [2] ، ونيطت الكفُّ إلى الزَّنْد .

ورَوَيْتُ غُلَلَ الشوقِ من تلك الرّاح ، بما لم يكن فى قُدرةِ الماء القَرَاح .

وكتبتُ إليه لمّا دخل القاهرة :

أهلاً بمولًى للثناء أهـــــلُ ... يَفْدِيه منى القومُ والأهـــلُ

من جَـلَّ عن مِثْلٍ ومَن مِثْلُه ... هيهات أن يُلْفَى له مِثْـلُ [3]

---

(١) تأتى ترجمته فى الباب السابع ، برقم ٣٢٥ . (٢) الأرى : العسل . والقند : عسل قصب السكر إذا جمد . (٣) فى ب : « عن مثل وعن مثل » ، وفى ب : « عن مثل وعن مثله » ، والمثبت فى : ج .

فضلُ البرايا فيـــه مُستجمِعٌ ... فـكأنَّه إن تختبرْ فضـــلُ (١)

إن ذكرتْ آياتِه فتيـــةٌ ... راح فمُ الدهرِ لهـــا يتلو (٢)

كم طالَ شوقى وغرامى له ... والدهرُ من عاداته المَطْلُ

حتى قضى اللهُ لنـــا باللِّقا ... فتمَّ لى من قُرْبِه السُّؤْلُ

وكان لى فى فضـــلِ عِرْفانِه ... عن كل شغلٍ فى الورى شُغْلُ

مولاى الذى سار فى بُروجِ الفضلِ مَسيرَ الشمس ، وقامت فضائلُه فى جسمِ العالَمِ مقامَ الحواسِّ الخمس .

لا زال (٣) فى السكون والحركة ، موافق (٤) اليُمْن والبركة .

يفرح به كلُّ قُطرٍ ينازلُه ، كأنه البدر والدنيا مَنازلُه .

ومن شايَعَه مسعودٌ يومُه وغدُه ، وله من العيش أهْنَاه وأرْغدُه .

كتبتُ هذه الخدمةَ ولى قلبٌ على شوقكَ يتقلَّب ، وما عهدتُه انقلب إلى غيرِك ولو يـكون له ألفُ لَوْلَب .

كيف وأنا شُعبةٌ (٥) من دَوْحتِك ، وغُصْنٌ من سَرْحتِك .

بل نَبْتٌ سقَتْه أياديك ، وزهرٌ تفتح بما أفاضَتْه غَواديك .

وكنت قبل أن يُسوِّد الدهرُ منشورَ (٦) عِذارى ، ويكلِّفنى وقد رأى كَلالى إلى بَسْطِ أعْذارى .

ومَشْرب العيش لم يَخْشَ غُصَّةَ لَوْمِه (٧) يشرَق بها من مَسْمعِ الصبِّ ناهِلُه ، وموردُ الأُنس قد صفا عذبُه ولـكن تـكدَّر من خوف (٨) الوُشاة مَناهِلُه .

---

(١) فى ب : « فيه تجتمع » .   (٢) فى ب : « إن ذكرت آياته فتنة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « تزال » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٤) فى ا : « مرافق » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) فى ب : « شعب » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٦) فى ب : « منثور » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٧) فى ا : « لون » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٨) فى ب ، ج : « حوض » ، والمثبت فى : ا .

وشرفُ الشام بك[١] شرفُ الجِنان[٢] بالرَّوح ، وانتعاشها بأنفاسك انتعاشُ الغصنِ بالنسيم المُرَوِّح .

أستغني بطُرَفك عن الثلاث المُذهِبات[٣] ، وأستكفي بتحائفك التي علَّقتُها بأذن سَمْعي عن السَّبع المُذْهَبات[٤] .

إلى ما تناولته من دقائق حقائق ، يحمرُّ لها خجلاً في روض مَذْهب النُّعمان شقائق .

وقد ربطتُ بك جملتي فما أعُدُّ سواك وكيف لا ، وإني ما أتيتُك إلا فريضة وآتى جميعَ الناس [٥] إلا تنفُّلا[٥] .

ونظمتُ من مَدحك في جِيد الدهر قلائد ، يقول البحرُ من[٦] أين أخذ مثل[٧] هذه الفوائد .

وكنت أتمنّى أساهِمك العمرَ وأشاطرك على شَرطِ ألا أتصوّر ما يُنفِّر خاطرَك .

وأبى الدهر إلّا تشتيتي عنك[٧] في البلاد ، ولولا هَيبتُك[٨] لقابلتُك لقلتُ جرَّعني صابَ الفُرقة من ساعة الميلاد .

لكني أحمَد الله تعالى على أن تدارَكني مُدّة غَيْبتك ، بحضور معنًى من شَخْصك يُسليني في الجملة عن رُؤيتك[٩] .

ثم أرْدَفَ ذلك ولو بعد تراخٍ في المُدّة ، باجتماعٍ كان النعمةَ[١٠] الغيرَ المترقَّبةَ والفرجَ بعد الشِّدّة .

---

(١) ساقط من : أ ، وهو في : ب ، ج . (٢) في ب : « الجسمان » ، والمثبت في : أ ، ج .

(٣) يعني : الخضرة ، والماء ، والوجه الحسن . (٤) يعني القصائد السبع الطوال الجاهليات ، أي المعلقات .

(٥) ساقط من : أ ، وهو في : ب ، ج . (٦) ساقط من : ب ، وهو في : أ ، ج . (٧) ساقط من : أ ، وهو في : ب ، ج . (٨) في أ : « هيبة » ، والمثبت في : ب ، ج . (٩) في ب : « [illegible]تيك » ، والمثبت في : أ ، ج . (١٠) في ب : « كالنعمة » ، والمثبت في : أ ، ج .

حيثُ يُحمَد المَغْدَى والمَراح ، ولو اقترح على الزمان مطلبٌ كان هو الاقتراح .

فأمتعنى الله فيه[١] بمَقْدمِك ، وأسعدنى بأغْلى[٢] موطىء[٣] قدمك .

فسَقْيا لوقتٍ جمع بيْننا ، ورَعْيا لدهرٍ أزاح بَيْننا[٤] .

ولله بلدٌ موطِن[٥] مُنَى ، وطلَّاعة أقْمارٍ سَنَا .

ومُترنَّمُ نعيمٍ وحظّ ، ومتمتَّعُ قلبٍ ولَحْظ .

وأحسبها الآن نافستْ بفضل الكمال ، وكال الفضل ، وستصدّر بالأمانى والآمال ،

مُوفَّاة بالثناء الجزْل ، والقول الفصْل .

ولها عندى على هذا الجميل ثناء الرَّوْض على الغمام ، والزَّهْر على الأكْمام ، والسَّارى

على القمر التَّمام .

ولئن نَسِيتُ جميلَ مصرٍ بعدَها طولَ الزمان فلا بلغتُ الشَّامَا

***

ثم فارق مصر مُوفَّر الآمال ، ودخل الحجاز مختوما له بصالح الأعمال .

فالله سبحانه وتعالى يقرِن التوفيق بسكونه وحركته ، ويُنْهِضنا إلى ما عرفناه من

يُمْنه وبركته .

***

وقد اخترتُ من شعره الرائع التَّطْريز ، ونثْره الخالص الإبْريز .

ما يرُوق كما راقتْ ناجمةُ الحَباب ، ويشُوق[٦] كما تشُوق[٦] أحاديثُ الأحْباب .

---

(١) ساقط من : ا ، وفى ج : « فيك » ، والمثبت فى : ب . (٢) فى ا : « فيه علا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : « مواطىء » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) البين : البعد .
(٥) فى ب : « موطى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ب : « كما شاقت وتشوق » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فمن قوله في الغزل [١] :

دَبَّ العِــذارُ بخدِّه فتضرَّجا ... رَشأٌ أبانَ على الشقيقِ بنفسجا

وأماله سكرُ الدلالِ فعربدتْ ... لحظاتُه هيهاتَ ما أحـــدٌ نجا

رَخْصُ البنانِ أغنُّ أوطفُ أحورٌ ... كالبدرِ أبهى من رأيتُ وأبهجا [٢]

لم يكفِه دَعَجُ العيونِ ملاحــةً ... حتى تشرْبَشَ بالبَها وتتوَّجا [٣]

وتفضّضتْ وجناتُه وتذهّبتْ ... والحسنُ دمّجَ سالفيه ودبّجا [٤]

يختالُ كالغصنِ الرَّطيبِ بمعطفٍ ... لَدْنٍ أرانا السَّمهريَّ معوَّجا

ويظلُّ يكسِرُ مقلتيْهِ تدلُّلاً ... أينَ النجاةُ لعاشقٍ أينَ النَّجا [٥]

ومُعَرْبِدِ اللَّحظاتِ أطلقَ حسنُه ... فتقيَّدتْ بشهودِه مُقَلُ الرَّجا

صَلْتُ الجبينِ بَدَا كبدرٍ زاهرٍ ... يا صاحبيَّ قفا هنـــا وتفرَّجا

قد ذاب قلبي في هــواه صبابةً ... ولحُسنِه لكمينِ شوقي هيَّجا

وفنى اصطباري في الهوى وتجلّدي ... والدمعُ أمطرَ في الجفونِ وأثلجا [٦]

يا أيها القمرُ الذي القمرُ الذي ... من صُدْغِه مَن صُدْغُه ليلٌ سجا

حتّى مَ يلحاني عليــك سفاهةً ... مَن ليس يدري ما الهوى وتبهرجا

جُدْ بالوصالِ فإنَّ لي بك مدخلاً ... لم يُبقِ لي عن حسنِ وجهك مخرجا [٧]

مَن لي بمَن فضحَ البدورَ ملاحةً ... وبطرْفِه فتنَ الغزالَ الأدعجا

---

(١) القصيدة في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٠ ، ٧١ . (٢) في تراجم بعض أعيان دمشق : « أحوى أوطف » . (٣) والقاموس : « التشربش : هدب الثوب . مولد » . (٤) دمج سالفيه : أدخلهما في بعض . وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « دماج سالفيه » . ودبجه : نقشه .

(٥) في ب : « يكسر مقلتيه تذللا » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٦) في ب : « أمطر في العيون » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٧) في تراجم بعض أعيان دمشق : « فإن لي بك منزلا » .

فاضتْ مِياهُ الحُسْنِ في أعطافِهِ ... والجِسمُ أزْبَدَ فوقَ رِدْفٍ مَوَّجا[1]

* * *

وقوله :

يا قَدَّه ما أرْشَقَكْ ... يا خَدَّه ما أشْرَقَكْ

وأنتَ يا ناظِرَه ... جلَّ الذي قد خلَقَكْ

تُرْسِلُ نحوي أسْهُماً ... هل كان قلبي دَرَقَكْ[2]

يا أيها العاذلُ في ... هواه ماذا أطْرَقَكْ

أفْحَشْتَ في لَوْمِكَ لي ... أكْثَرتَ فينا حَنَقَكْ

تَحُومُ حولَ حُسْنِه ... ما تَختشي أن يَحْرِقَكْ

باللهِ قِفْ يا أمَلي ... إنَّ فؤادي عَلِقَكْ

ومِلْ أيا معطافه ... سبحانَ من قد مَشَقَكْ

لكَمْ أنادي الدمعَ يا ... دمعي أقِفْ مُغْرَوْرَقَكْ[3]

وأنْذِرُ القلبَ الهوى ... يا قلبُ هذا سرَقَكْ

صَبْرِي قضَى وما قضَى ... منكَ المُنَى مَن عشِقَكْ

دعْ عنكَ ذا الهجرَ وجُدْ ... بحقِّ مَن قد خلَقَكْ

* * *

وقوله :

يا قمراً يُزْرِي بشمسِ الفلَكْ ... كلُّ جمالٍ وبهاءٍ فلَكْ

---

(١) في ب : « والردف أزبد فوق جسم موجا » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « والجسم أزبد فوق جسم موجا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) الدرق : جمع الدرقة ، وهو الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب . (٣) كذا « أقف » في الأصول كلها .

مالَكْتَ قلبي فترفَّقْ به ... ما أنت في حسنك إلا مَلَكْ
اللهَ اللهَ بنـــــا يا رَشَا ... فإن قلبي في الهوى قد سلكْ
أرسلْتَ لي طَيْفَكَ تحت الدُّجى ... يا طَيْفُ حيَّى اللهُ مَن أرسلَكْ
مَولايَ ما ذنْبي إليك اتَّئِدْ ... في قتْلتي مِقْدارَ أن أسألَكْ
إن كنت لي أضمرتَ غَدْراً بلا ... ذنبٍ وحقِّ الله ما حلَّ لَكْ
اعطِفْ علينـــــا وترفَّقْ بنا ... وافعلْ جميلاً بالذي جمَّلَكْ[1]
قد ذُبْتَ يا قلبي عليه جَوًى ... وَيْحَكَ يا قلبُ أما قلتُ لَكْ[2]
وأنت يا ناظر عَيْني اتَّئِدْ ... إيَّاكَ أن تَهْلِكَ فيمَن هلَكْ[3]

* * *

ومن نُتَفه قوله[4] :

وروضٍ بَدا فيه الشقيقُ مُنَمَّقاً ... يُشاكله خدُّ الحبيب المُوَرَّدُ
فقال له المعشوقُ يوماً وقد سَرَتْ ... عليه الصَّبا حتَّى غدا يَتَبغْدَدُ[5]
سرقْتَ خُدودي ثم زَوَّرْتَ شامَتي ... وما ذاكَ إلا أن قَلْبَكَ أسْوَدُ

* * *

وقوله في بركة ماء[6] :

وبركةٍ تذْهَـــــلُ العقولُ بها ... تَحارُ في بعض وصفِها الفِكَرْ

---

(١) في ا : « أو ترفق بنا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) سقطت « قد » من : ب ، وفيها : « ذبت أيا قلبي . . . ويحك ياقلبي » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ب : « ياناظر قلبي » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) الأبيات في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٨ . (٥) التبغدد : التدله والتنعم . انظر المحكم في أصول الكلمات العامية ٣٧ . وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « حتى غدا يتبغدد » .
(٦) الأبيات في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٧ .

كأنها مُقْلَةٌ محدِّقَةٌ عَبْرَى من الوجد نالَها السهر(١)

تبكي وما فارقتْ لهــا وطناً يوماً ولا فات أهْلَها وطَرُ

يا حُسْنَ أنْبُوبِهــا لِصِحَّتِهِ والماء يعلو به وينْحدِرُ(٢)

كصَوْلَجانٍ من فضة شُبِكتْ فواقعُ الماء تحتها أُكَرُ(٣)

والبيتان الأخيران مُضمَّنان .

❊ ❊ ❊

ووقع لابن ظافر(٤) ، أنه دخل في أصحاب له يعُودون صاحباً لهم ، وبين يديه بِرْكةٌ رَقَّ(٥) ماؤُها ، وصحت سماؤُها .

وقد رُصَّ(٦) تحت دساتيرِهــا نارَنْج (٧ فضح الخضار ٧) ، وملأ بالمحاسن عيونَ النُّظَّار ، فكأنما(٨) رُفعت(٩) صوالجُ فضة على كُراتٍ من النُّضار .

فأشار الحاضرون إلى وصفها ، فقال(١٠) :

أبْدعْتَ يا ابنَ هلال في فَسْقِيَّةٍ جاءَتْ محاسنُها بما لم يُعْهَدِ

عجباً لأمْواهِ الدَّســاتِيرِ التي فاضت على نارَنْجِهـا المتوقِّدِ

فكأنهنَّ صوالجٌ من فضةٍ رُفعتْ لضَرْبِ كراةِ خالصِ عسْجَدِ

❊ ❊ ❊

وله :

كتب الجمالُ بطِرْسِ وَجْنتهِ لنا سطراً به مُحيَ الجمالُ المشرِقُ

---

(١) في ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « عين من الوجد » . (٢) في تراجم بعض أعيان دمشق : « والماء يعلو بها » . (٣) هكذا جمع فقاعة ، على فواقع ، والمعهود فقاعات .

(٤) في كتابه بدائع البدائه ٢ / ٥٤ ، ٥٥ . (٥) في البدائع : « راق » . (٦) في ب : « دس » ، والمثبت في : ا ، ج ، والبدائع . (٧) في البدائع : « فتن قلوب النظار » . (٨) في ب : « فكأنه » ، والمثبت في : ا ، ج ، والبدائع . (٩) في ج : « وقفت » ، والمثبت في : ا ، ب ، والبدائع .

(١٠) أي على بن ظافر .

فكأنما ذا آمرٌ سلطانَ البها　　وأتى لمن يهوى ومن هو يعشقُ
نَمَّ العيونُ على القلوبِ رسومَه　　فقوَّمنا خرجَ الوطاقِ تفرَّقوا[١]

* * *

وله[٢] :

وصديقــةٍ وافيتُها متنزَّهاً　　ورءوسُ نرجسِها طوارقُ حولَكْ
والأقحوانُ يظلُّ يركعُ بالصبا　　فكأنما هو عابدٌ متنسِّكُ
فجلستُ بينهما كأنِّي سُخرةٌ　　هذاك يغمزُ ذا وهذا يضحكُ[٣]

* * *

ومن مقطَّعاته قوله[٤] :

خاطبتُ معسولَ الرُّضابِ وقلتُ هل　　من رشفةٍ تشفي الحشا بشفائِها[٥]
فأجابَني والثغرُ منــه باسمٌ　　ما كلُّ بارقةٍ تجــودُ بمائِها

* * *

ومن رُباعيّاته قوله[٦] :

خُذْ حِذرَكَ من عيونه يا قلبُ　　لمّا يرنو فإنَّ هذا حربُ
والعشقُ على النفوسِ سهلٌ صعبُ　　لا يعرفُ كيفَ الحالُ إلا الرَّبُّ

* * *

وله[٧] :

---

(١) الوطاق : الخيمة .　　(٢) الأبيات في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٧ .
(٣) في ح : « وجلست بينهما » ، والمثبت في : ا ، ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق .
وفي ب ، ح : « كأني صخرة » ، والمثبت في : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق .
(٤) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٦ .　　(٥) في ا : « معسول الرياض » ، والمثبت في : ب ، ح ، وتراجم بعض أعيان دمشق .　　(٦) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٨ .　　(٧) البيتان في سلك الدرر ٢ / ١٧٩ .

لا تحسَبُوا شامةً في خدِّه طُبِعتْ ... هاتيك حبّةُ قلبٍ زادَه حبّا

فدبَّ يَنقُلها نَمْلُ العـــذارِ له ... والنملُ من شأنِه أن يَنقُل الحَبّ

* * *

أخذَه من قول بعضهم :

عوارضُه تَسْبي العقولَ بحُسْنِها ... وتنقُل حبّاتِ القـــلوب نِمالُها

وأنشدني [١] السيد سليمان الحَمَوِيّ [٢] ، من لفظه لنفسه في هـذا المعنى ، وقد أحسن :

وأغيدٍ أفرطَ في تِيهِه ... حتى رأينا منه شيئًا عُجابْ

فأطْلَعَ اللهُ له عارضًا ... أمْطَرَ خدَّيْه أليمَ العذابْ

كأنَّملٍ في التشبيهِ لكنَّه ... نملٌ بدا ينقُل حبَّ الشبابْ [٣]

* * *

وله [٤] :

يا قلبُ صَـــبْرًا في هوى ... من لم تَرَعْه صَبْوتُكْ [٥]

وأنت يا ناظِـــرَه ... إنْ هي إلّا فِتْنَتُكْ [٦]

* * *

وله :

---

(١) هذه المقدمة والأبيات بعدها مما زاد في ج على ما في : ا ، ب .

(٢) تقدمت ترجمته ، في الجزء الأول ، صفحة ٥١٠ ، برقم ٤٩ . (٣) كذا « كأنمل » ، ولعل الأولى : « كالنمل » . (٤) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٧ ، وذكر ابن شاشو أنه قالها مقتبسا .

(٥) في ج : « من لم تدعه صبوتك » .

(٦) من قوله تعالى ، في سورة الأعراف ١٥٥ : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ .

[وذى] خَدٍّ تعلَّق فيه قلبى ... فأحرق خدُّه قلبى بنارِ[1]

وخافَ على الجمال يفرُّ منه ... فقيَّده بسِلْسِلة العِذارِ

* * *

أحسنُ منه قولُ ابن سعيد الغَرْناطِىّ[2] ، فى الخال :

كأن خالًا لاح فى خَــدِّه ... للعين فى سِلْسِلةٍ من عِذارْ

أسيرُ زِنْجٍ يَخْدِمُ فى جَنَّــةٍ ... قيَّده مولاه خوفَ الفِرارْ[3]

* * *

ومن قوله : « وخاف على الجمال » إلخ ، تذكَّرت قولَ أحمد بن شاهين[4] ، فى مناقضته :

مذ نبَت العارضُ فى خـــدِّه ... بُدِّلت الحمرةُ بالاصْفِرارْ[5]

كأنما العـــارضُ لمَّا بدا ... قد صار للحسنِ جَناحًا فطارْ

* * *

وبلغه أنه عيب عليه استعمالُ التَّـكْرار فى شعره ، فقال :

---

(١) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى ا ، ج ، دون : «وذى» ولا يستقيم وزن صدر البيت فيهما ، كما ترى مع المقطوعة.   (٢) أبو الحسن على بن موسى بن محمد ، المعروف بابن سعيد الأندلسى .

صاحب « المغرب » ، و « المشرق » ، و « عنوان المرقصات والمطربات » .

شاعر ، أديب ، مؤرخ .

ولد ونشأ قرب غرناطة ، ورحل إلى مصر والعراق والشام .

توفى سنة خمس وثمانين وستمائة .

بغية الوعاة ٢/٢٠٩ ، فوات الوفيات ٢/١٧٨ ، نفح الطيب ٣/٢٩ ــ ١٣٥ .

ولم أجد هذين البيتين فى مصادر ترجمته .

(٣) فى ا : « يخدم فى وجنته » ، وفى ب : « يخدم فى جنته » ، والمثبت فى : ج .

(٤) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٩٦ ، برقم ٦ .   (٥) فى ا : « تبدلت الحمرة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

أعِيبَ تَكْرارُ لفظِ نظْمى   والنظمُ من ذاكَ ما تضرَّرْ [1]
وأطْربُ النَّغْمةِ المَثانِى   وأحسنُ الشُّكْرِ المُكرَّرْ

* * *

وله :

قد أبحْتُ الخدودَ منه ودادِى   فرَمتْنى الخدودُ فى نارِ يأسِى [2]
وبَقِى ذلكَ العذارُ حَماه اللَّـ   ـهُ حتى انتصفتُ من وَسْواسِى
صدق الناسُ ليس للوردِ وُدٌّ   إنما الوُدُّ كلُّه للْآسِ

* * *

نِسْبتُه عدمَ الودِّ للورد بسبب قلَّة مُكْثه ، ونسبةُ الود للآس بسبب دوام لُبْثه .

وهذا مستعْمَل فى الأشعار كثيراً ، كقول ابن زَيْدون [3] :

لا يكُنْ وُدُّكَ ورْداً   إن وُدِّى لكَ آسْ [4]

* * *

وله [5] :

شبَّهْتُه بالغُصْنِ بين الرُّبَى   ووجهه بالزَّهْرِ مُنْقضًا [6]

---

(١) فى ب : « أعبت تكرر » ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى ا : « واللفظ من ذاك » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « فى نار باس » ، وفى ج : « فى ناريأس » ، والمثبت فى : ب .

(٣) ديوانه ٣ .

(٤) فى الديوان :

لا يكنْ عهدُكَ ورداً   إن عهدى لكَ آسْ

(٥) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ٧٧ . (٦) فى ب : « بالزهر من فضه » ، وفى تراجم بعض أعيان دمشق : « بالزهر منقضا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فأصبح الغصنُ له مُطْرِقاً والزهرُ من فَرْطِ الحيا غضّا

* * *

وله في زهر البَلَسان[1] :

وأشجارِ بَلَسانٍ بها لعب الصَّبا فبهجتُها بين الحدائق مُفْرِطَهْ
كأنّ بياضَ الزَّهرِ فوق غُصونِها كُفوفُ لُجَيْنٍ بالنُّضارِ مُنَقَّطه[2]

* * *

وله[3] :

لمّا تكاملَ حسنُه وجمالُه وزهى كغصنٍ بالدّلالِ رشيقِ
نزل العِذارُ على الخدودِ كأنّه طَلّ الزَّبرْجدِ في رياضِ عَقيقِ[4]

* * *

وله[5] :

شكا لي نسيمُ الروضِ ضَعْفاً أجبتُه وقلبي بأثقالِ الغرامِ كَليلُ[6]
أعَلّكَ غصنٌ عَلّني صَدُّ مثلِه إذاً فكلانا يا نسيمُ عَليلُ

* * *

---

(١) في ب : « البيان » ، والمثبت في : ا ، ج .
وزهر البلسان أبيض صغير ، بهيئة العناقيد ، يستخرج منه دهن عطر الرائحة .
والبيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٨ .
(٢) في ا : « كأن بياض الثغر » ، والمثبت في : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .
(٣) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٨٠ . (٤) في تراجم بعض أعيان دمشق : « ترك العذار » .
(٥) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٧ .
(٦) في ب : « شكا لي نسيم الروض » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

وله مضمّناً [١] :

أدار علينا الكأسَ ظَبْىٌ مُهَفْهَفٌ قطعْنا الدُّجى وَصْلاً به نتنعّمُ
وغنّى على النّايِ الرّخيمِ مُشبّباً فنحن سكوتٌ والهوى يتكلّمُ

* * *

مثله [٢] للشهاب الخفاجيّ [٣] :

لنا مجلسٌ فيه من اللهوِ مُطْربٌ وآدابُنا ما بينه تترنّمُ [٤]
ونايٌ يُناجينا بأسْرارِ ربِّنا ونحن سكوتٌ والهوى يتكلّمُ [٥]

* * *

وله في أرْمَد [٦] :

يا قومِ لا تحسَبوا في عينه رمداً لقد ألمّ بنا من قولكمْ ألمُ
ماذا سوى أنه مذ رام يقتلنى رنَا إلىّ فأغْضى والسيوفُ دَمُ [٧]

مثله للصّلاح الصّفَدِيّ :

أيقظْتُه من كَراه بعد ما رَمِدَتْ عيناه لا مَسّها من بعدها ألَمُ [٨]
قد زُرْتُه وسيوفُ الهند مُغْمدةٌ وقد نظرتُ إليه والسيوفُ دَمُ

* * *

وله ، في مليح اسمه عثمان ، وفي يده شمعة [٩] :

---

(١) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٦ . (٢) هذه المقدمة والبيتان بعدها مما زاد في : ب ، على ما في : ا ، ج . (٣) البيتان في ريحانة الألبا ٢ / ١٢٦ ، ١٢٧ . (٤) في ب : « وآدابنا فيما بينه تترنم » ، والمثبت في نسخة من الريحانة ، وفي أصلها : « ما بيننا » . (٥) في ب : « ونادى يناجينا » ، والمثبت في ريحانة الألبا ، وفي نسخة منها : « بأسرار به » . (٦) البيتان في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٧ . (٧) في ب : « من رام يقتلني » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٨) في ا : « بعد ما بهرت » ، والمثبت في : ب ، ج . (٩) البيتان له ، في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٨ .

بأبِي مليحٌ لاح يحمِـلُ شمعــةً ‏ في كفِّه ليــــلاً فَراقَ لعيْنِي
لمَّــــا بدا وأضاء نورُ جمالِه ‏ قلت انْظرُوا عثمانَ ذا النُّورَيْنِ

* * *

ولابن المُعْتزّ في مثله ، بيده شمعتان [١] :

وافَى إليَّ بشمْعتيْن ووجْهُه ‏ بضيائِه يزْهُو على القمريْنِ
نادَيْتُه ما الإسمُ يا كلَّ المُنَى ‏ فأجابَنِي: عثمان ذو النورَيْنِ [٢]

* * *

وكان السيد عبد الرحمن بن النَّقِيب [٣] أطْلَعه على دُعابة لبعض الأندلسيِّين ، فعمل على أسلوبِها مَقامةً ، وهي هذه [٤] :

وأنا الذي أهْــدَى أقلَّ بَهارِه ‏ حُسْنًا لأحسنِ روضةٍ مِئْنافِ [٥]

إن أحْلَى ما تمزَج [٦] به كؤوسُ المودَّة ، وأعْطَر ما تستنْشِقه مَشامُّ الخواطرِ المستعِدَّة .
خبرٌ له الطَّربُ مُبتدا ، وحديثٌ ترويه عن القريحة مُسْنَدا .
وذلك حين اشْتفرَّت هوامِلُ السرور ، وتغنَّى في دَوْحة الأنس كلُّ بُلبل وشُحْرور .

وتنبَّهتْ ذاتُ الجناح بسُحْرةٍ ‏ في الواديَيْن فنبَّهتْ أشواقِي [٧]
وأنا الذي أمْلِي الهوَى من خاطِرِي ‏ وهي التي تُمْلِي من الأوراقِ

حتى خرجت أسوق مَطايا الأسى ، لأبيـع كافورةَ الصَّبَح وأشترِيَ عنبرَ المسا .

---

(١) ليس في ديوان ابن المعتز . (٢) في ب : « ذي النورين » ، وفي ج : « ذا النورين » ، والمثبت في : ا . (٣) يعني السيد عبد الرحمن بن محمد ، من بيت حمزة ، وقد تقدمت ترجمته ، في هذا الجزء ، صفحة ٣٤ برقم ٦٤ .

(٤) ذكر ابن شاشو هذه الدعابة أيضا ، في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٤ — ٧٦ .

(٥) في ب ، ج : « أقل بهارة » ، والمثبت في : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

والمئناف : الراعي ماله أُنُفَ الـكلأْ ، أي ما لم يرع منه . وقد جعله هنا وصفا للروضة .

(٦) في ب : « يمتزج » ، وفي ج : « تمتزج » ، والمثبت في : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٧) البيتان في ريحانة الألبا ٢/١٢٣ ، ١٢٤ ، من أبيات لابن لؤلؤ الذهبي .

والصبحُ قد أهْدَى لنا كافورَهُ   لَمّا استردَّ الليلُ منّا العنْبَرَا [١]

قاصداً أدّراعَ [٢] حُلَلِ اللهو ، إلى حَوْمة الطرب والزَّهْو .

ومتحرِّشا بأذْيال البُكور والأصائل ، ومُعْتبِراً بقول القائل :

باكِرْ إلى اللذاتِ واركبْ لهـا   سوابقَ اللهوِ ذواتِ المِراحْ [٣]

من قبل أن ترْشِفَ شمسُ الضُّحَى   رِيقَ الغَوادى من ثُغور الأقاح [٤]

فبينما أنا كذلك وإذا بشقيق شفيق ، ورفيقٍ هو بى فى سائر الأمور رفيق .

فأقبل علىَّ إقبالَ الكرام ، وقد لمعت بالبِشرِ صفحاتُ وجهه بعد أن حيّا بالسلام .

تشربُه الرّاح وهو يشربُهـا   يطربُ من حسنِ وجهه الطَّربُ [٥]

فسألتُه فى المُسايرة والمُنادمة ، وحَثَثْتُه على المسامرة والمكالمة .

فأسْفَر وجهُه عن شموسِ الفرح ، ونال [٦] ابتهالاً وابتهاجاً بنسمات المسرّة والمرَح .

وقال : مرحبا بقولك المسموع ، ورأيك الذى اتّفقتْ عليه الجموع .

لِدَواعِى الهوى وحكمِ الخلاعَـهْ   ألفُ سمـعٍ لا للوقارِ وطاعَهْ

فسِرْنا حتى أتينا مُنْتزها رَحْبَ الأكْناف ، متناسِق النعوتِ والأوْصاف .

نسيمُه يعـثُر فى ذَيْلِهِ   وزهرُه يضحكُ فى كُمِّه

فوجدْناه ذَا ظِلّ ظليل ، وماء أعْذبَ من السّلْسبِيل .

---

(١) فى ب : « أهدى لنا كافورة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) فى ب : « أدرع » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٣) فى ب : « سوابق اللهو ذات الجناح » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٤) هذا البيت فى ريحانة الألبا ١/٣ .

(٥) فى ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « تشربه الكاس حين يشربها » ، والمثبت فى : ا .

(٦) ساقط من : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق ؛ وهو فى : ا .

أشجاره ثابتة ، وأغصانه نابتة .

نَهْرُه مسرعٌ جرى وتمشَّتْ في رُباهُ الصَّبــــا قليلاً قليلاً (١)

تصْدَح (٢) حمائمُه ، (٣ وتسرح نسائمُه ٣) ، وتنفَح (٤) كمائمُه .

ولي من الوُرْق في أوْراقِها طَرَبٌ كأنَّهن على العيــــدانِ قَيْناتُ

قصدنا منه إلى (٥) قصرٍ مَشِيد ، مُتزخْرف الجوانب بألوان الأطْلِيــة

وأنواع الشِّيد .

فيه الغُرَف الرفيعة ذاتُ التزيين ، والمقاصير المصنوعةُ لقاصرات الطَّرْف عِين .

وإيوانٌ يقول لمن يراه على قَدْرِي وفوق الكُلِّ أشْرفْ (٦)

ألمْ ترَ أن طيرَ العِـــزِّ أضحى يَحُومُ بساحتِي وعلىَّ رَفْرَفْ

وقد طَلَّتْ (٧) شَبابِيكُه (٨) على تلك الأرْجاء المُونِقَة ، والجداول المتدفِّقة .

وأرضُه مفروشة بأنْخرِ الوَشْي والدِّيباج ، وقد أطلقتْ فيه مباخرُ الطِّيب فزاد

في (٩) الابتهاج .

حوَى عجبًا لم يَحْوِه قطُّ مجلسٌ على أنه في الحسنِ أعجوبةُ الدهرِ (١٠)

فجلستُ أنا وصاحبي على تلك الأرِيكة (١١) المَنْوعة ، والفُرُش المَرفوعة .

نتناشد الأشعار ، ونتشبَّث (١٢) بأذيال الأفكار .

---

(١) في ا : «نهره مسرعا» ، وفي ب : «نهره واسم» ، والمثبت في : ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) في ب : «تصدح» ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٣) ساقط من : ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، وهو في : ا ، ب . (٤) في ب : «وتنفتح» ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٥) في ا : «على» ، والمثبت في : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٦) في ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق : «لمن رآه» ، والمثبت في : ا ، ج . (٧) استعمل «على» بمعنى «أعلى» .

(٨) ذكر الخفاجي في شفاء الغليل ١٢٩ ، أن الشباك مولد ، وقال هو كوة مشبكة بالحديد .

(٩) ساقط من تراجم بعض أعيان دمشق . (١٠) في ا : «حكى مجلسا» ، والصواب في : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (١١) في تراجم بعض أعيان دمشق : «الأرائك» .

(١٢) في ب : «ونتشبب» ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

وحــديثه السحرُ الحلالُ لو أنَّه ... لم يَجْنِ قتلَ المسلمِ المتحرِّزِ (١)

إن طال لم يُمْلَلْ وإن هى أَوْجزتْ ... وَدَّ المحدَّثُ أنهــا لم توجزِ

ولم نزَلْ رافلين فى غلائل المسرَّة ، ومتنعِّمين بلطائف الأُنْس على أوج (٢) هاتيك الأسرَّة .

حتى عُدْنا وقد شمَّرت الشمسُ لمغيبها الذيل ، واصفرَّ وجهها خوفاً من هَجْمة عساكرِ الليل .

الشمسُ هاربةٌ للغَرْب دارعــةٌ ... بالنِّيل مصفرَّةٌ من هَجْمة الغَسَقِ (٣)

وقد ظهر الهلالُ فى حمرة الشَّفق ، كحاجبِ الشائبِ أو زَوْرق الوَرِق .

لا تظنَّ الظلامَ قد أخــذ الشَّمْـ ... ـسَ وأعطى النهارَ هــذا الهلالا (٤)

إنمــا الشرقُ أقرضَ الغربَ دِينا ... راً فأعطاه رَهْنَــــه خَلْخالا

وبينا أنا راجعٌ مع صاحبى فى أخريات الطريق ، وإذا برفيقٍ لى وهو على الحقيقة رفيق .

فاعترضنى وقال لى : أين كُنتَ ، ومن أين توجهت .

فقلت له : (٥ كنت مع صاحبى ، الذى ٥) هو هذا اليوم مصاحبى (٦) .

فى مُنتزه هو فضاء الأرض ، ذات الطُّول والعَرْض .

وصدَّقتُهُ فى كل ماحاولتُــه ... مما تقدَّم فى الــكلامِ الأوَّلِ

---

(١) البيتان لابن الرومى ، وهما فى ديوانه ٩٠٤ ، وقد سقط البيت الثانى من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

وفى ا : « وحديثه السحر الحلال » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق ، والديوان .

(٢) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « أرج » . (٣) فى ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « بالنيل مصفرة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى تراجم بعض أعيان دمشق :

لا تظنَّ النهارَ قد أخــذ الشمـ ... ـسَ وأعطى الظلامَ هذا الهلالا

(٥) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « كنت وصاحبى » . (٦) ساقط من تراجم بعض أعيان دمشق .

وغَيْمُ ذلك الفَضا هو الظلُّ الظَّلِيل ، وغَيْثه المُنْهمِر هو [١] الأعْذَب من [٢] السَّلسبيل .

وأشجارُه هي حبالُ الأمطار ، وحمائمُه الصادحةُ أصواتُ الرعدِ في جوانب الأقْطار .

وكمائمُه حَبُّ البَرَد ، ونسائمُه المعلومة فيها [٣] ورد .

وما ذلك القصرُ الموصوف ، سوى جُبَّتي هذه وثوبي هذا الصُّوف .

والشَّبابيك جُيوبُه وأطواقُه ، ولا عجب [٤] أن نفحت [٥] فيه مباخرُ [٦] الطِّيب فإنها قراطيسُه وأوْراقُه .

وبالقياس على هذا تأويلُ ماىقى من العبارات [٧] السابقة ، والإشارات المتلاحقة .

وبذلك انتهى الكلام ، وتم ماقصدناه [٨] من الدُّعابة والسلام .

* * *

والدُّعابة التي أطلعه عليها هي هذه [٩] :

لابُدّ للنفس أحياناً إذا سئمت ... أن تستريحَ إلى الآدابِ والمُلَحِ

فَخُصَّ بها من أحاديث النِدام إذا ... أعْيَتْ مذاهبُها في كلِّ مُقْتَرَحِ [١٠]

وهاهنا نزْعَة [١١] يختلف إليها [١١] النَّديم ، ويعتلق [١٢] بها الطبعُ [١٣] السَّليم .

وذلك أني طُفْت الجِنان ، وبَوَّت القروحَ والأغصان .

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٢) ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٣) في ب : « في ما » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٤) في ب : « عجيب » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٥) في ب ، ج : « نفخت » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق « نفحت » ، والمثبت في : ا . (٦) في ب : « مفاخر » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٧) في ب : « العبرات » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٨) في ب : « قصدنا » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « أورده » ، والمثبت في : ا ، ج . (٩) أورد ابن شاشو أيضا هذه الدعابة ، في تراجم بعض أعيان دمشق ٧٢ — ٧٤ . (١٠) في تراجم بعض أعيان دمشق : « من أحاديث الكرام » . (١١) في تراجم بعض أعيان دمشق : « يألفها » . (١٢) في ب : « ويتعلق » ، والمثبت في : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (١٣) في تراجم بعض أعيان دمشق : « القلب » .

فلم أرَ مثلَ نَبْعَة ، فى خيرِ بُقعة .

حَسَنة البِزّة ، يانعة الهِزّة .

دَوْحُها مُغَنٍّ ، وطَيْرها مُرِنّ .

يُطارِحنى مَــــن بينهن ابنُ أيكةٍ هتوفُ الضُّحى بعد العشيّةِ مِرْنانُ[١]

أُجاذِبُه هُدْبَ الغــــرامِ وفى الحشا نَزُوعٌ إلى ذِكْرِ الأحبّــــة حنّانُ

فأسْمعنى خطابَه ، وفرّغ لِى[٢] وِطابَه[٣] .

فقلت : ماهذا[٤] الفَنَن ، وعلى مَ هذا الشَّجَن .

فقال : أما الفَنَن فمِنصّة ، وأما الشجن فعن غُصّة .

فتلكّأتُ عنه تلكُّأَ الشّاك ، وقلت :[٥] مَن وَشاك .

فقال لبستُ مُلاءةَ[٦] الربيع ، وكتمتُ الغرامَ لو أستطيع .

فقلت : لأمرٍ ماخطبتْك[٧] الغِيد ، وأعارتْك حُلَى[٨] الجِيدِ .

فقال : بل مَوّهْتُ النُّحول ، وأخفَيْتُ عنوانَ الذُّبول .

وأما ما أحاط بالمُقلّد[٩] فوَثاق ، وقد تطرّف[١٠] مَن طبَع[١١] أغلال الهوى على[١٢] قوالب[١٣] الإطباق .

---

(١) فى ب : « يطارحنى منهن ابنة أيكة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٢) فى ا : « لها » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٣) الوطاب : جمع الوطب ، وهو سقاء اللبن .

(٤) فى ب : « هــذه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٥) فى تراجم بعض أعيان دمشق بعد هذا زيادة : « له » .

(٦) فى ا : « ملاءات » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٧) فى ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « خضبتك » ، والمثبت فى : ا .

(٨) فى ا : « على » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

(٩) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « بالمقلة » .

(١٠) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « تطرق » .

(١١) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « اطباع » .

(١٢) ساقط من تراجم بعض أعيان دمشق .

(١٣) فى ا : « قالب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

فلما تمَّمتُ مُطارحته ، وتيمَّمتُ بُغْيَتَه .

سايرْتُه بأرْسانه [١] ، وقاوَلْتُه بلسانه .

وقلت : إيه ، فيما [٢] نحن فيه .

غصْنٌ نضير ، ووادٍ عطير .

روضُه حَزْن ، ونسيمه لَدْن .

وماؤه صاف ، ونديمه وَصّاف .

فزِدْني من نِدامك ، [٣] وأوضِحْ لتَرْنامك [٣] .

فني أي الحالتين [٤] تُفيض ، فلا بعدك [٥] مَعْبَد [٦] ولا دونك غَرِيض [٧] .

فقَهْقَه ورجَّع ، ثم أنْشد فأسْمع :

خُذْ بنا في محـــاسنِ الأوصاف	فهي نَقْلٌ ما بين أيدي الظِّراف [٨]
وانْتخِبْ للمُدام كلَّ حـــديثٍ	من قِصارِ الفصول داني القطاف
يتمنَّى الجليسُ عمرَ مُعيـــدٍ	لتلقِّي مُعـــادِه الشفَّاف [٩]
واقْتحِمْ لُجَّـــةَ القَرِيض بفِـكْرٍ	يلتقي الدُّرَّ في حَشَا الأصْدافِ
وتنقَّلْ من الدُّعابةِ للجِـــدِّ	وخَيِّمْ حيث المعاني اللِّطـــافِ

---

(١) الأرسان : جمع الرسن ، وهو الحبل في رأس الدابة . (٢) في ب : « فما » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « بما » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ب : « وأوضح لي ترنامك » ، والمثبت في : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٤) في ا : « الحالين » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « الحلتين » ، والمثبت في : ب ، ج . (٥) في تراجم بعض أعيان دمشق : « بعد » . (٦) تقدم التعريف به ، في هذا الجزء ، صفحة ١٢٦ . (٧) هو عبد الملك ، المغني .

من مولدي البربر ، أتقن صناعة الغناء ، وسكن مكة .

لقب الغريض لجماله ونضارة وجهه .

توفي نحو سنة خمس وتسعين .

الأغاني ٢ / ٣٥٩ .

(٨) في تراجم بعض أعيان دمشق : « الأوصاف * تتعاطى ما بين أيدي الظراف » . (٩) في تراجم بعض أعيان دمشق : « لتلقي معاده الشفاف » .

فلما أتى بِنَقْل [١] قَرِيضِهِ ، وألمع إلىَّ بتعْرِيضِهِ .
ندب إلى أن أمْتخِض [٢] الفِكر ، وأُكشِف [٣] قناعَ البِكْر .

فأبرزتُها عذراءَ فى زِىِّ غادةٍ ... تُزَفُّ على وجهِ الدُّعابةِ والهزْلِ
وما ثَمَّ إلَّا نَبْعةُ الشعرِ نَبْعةً ... يَرِنُّ بها طيرُ الفصاحةِ والنُّبْلِ



---

(١) فى ب : « بقل » ، وفى ج : « بنقل » ، والمثبت فى : ا ، وتراجم بعض أعيان دمشق .
(٢) فى ب : « امتحض » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .
(٣) فى ب : « وكشف » والمثبت فى : ا ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق . وفى الأخير بعد هذا زيادة : « عن » .

بيت الغفور

بيتٌ فضله موفور ، وذنبُ الزمان بأهله مغفور .

وقد خرج منه جماعة أجِلّا ، فضلُهم أبْهر من النجوم السيّارة وأجْلى .

فمنهم :



٧٣

أحمد بن ولي الدين *

الأديب الأريب، واحد الخِبْرة والتَّجْريب.

نظم الشُّهب في الكتب، ورفع النُّقْب عن أسرار الحِقَب.

وهو من كل المشارب شارب، وفي كل المسارب سارِب.

فطوراً له طورُ لِجِــدٍّ مُدافعٍ ... ووقتاً له سَمْتٌ لهزْلٍ مُجانِبُ

ولله منــــه جانبٌ لا يُضيعُه ... وللَّهو منه والخلاعةِ جانبُ [1]

واتَّفق أن ضرب الدهر على صِماخَيْــه بِصمام من الصَّمَم، فزاده ثِقَل تلك الحاسَّــة خفَّة تُنْشِط الرِّمم.

فما برح يشرب صِرْف الصفا من أدْنانه، ويهصر غصنَ المُنَى في أفنانه.

(*) أحمد بن محمد بن محمد المعروف بابن الفرفوري، الدمشقي.

أديب، فقيه.

ولد بدمشق، سنة أربع وثمانين وتسعمائة.

وقرأ بدمشق، على عبد الحق الحجازي، وعلى غيره.

وكانت له مشاركة جيدة في الفقه وغيره، ودرس بالقصاعية الشافعية.

وأصابه صمم، فعتزل الناس، إلا عن إخوان ألفهم وألفوه، وكان له مايقوم به من وقف أجداده.

كان صاحب نظم جيد، وله اليد الطولى في الأحاجي وحلها.

توفي سنة سبع وثلاثين بعد الألف، بدمشق، ودفن بمقابر أسرته.

يقول المحبي: «والفرفوري، بضم الفاءين، كما نقله البوريني، من خط الشمس بن طولون المؤرخ، ولا أدري هذه النسبة لماذا».

خلاصة الأثر ١/ ٢٩٩–٣٠١، وله ترجمة على طريقة النفحة، في تراجم بعض أعيان دمشق ٥٩، ٦٠.

(١) هذا البيت في العقد الفريد ٣/ ١٢٣، غير منسوب، وروايته فيه:

فلِلنُّسْك مني جانبٌ لا أضيعُه ... وللَّهْو مني والبطالةِ جانبُ

وانظر ريحانة الألبا ٢/ ٣٩، ١٨٦.

حتى أثرت في ذوائبه أفاويف الشيب ، ودعاه الناعي الذي لا يعترض إجابته الريب .

* * *

وهو شاعر لشعره حظٌّ من الحسن ، كأنما تغازله الجفون الوسن .

أثبتُّ له ما يهيج الطرب ، ويحلو في الأفواه كما يحلو الضَّرَب .

فمن ذلك قوله في مراجعة العمادي المفتي [1] ، وقد كتب إليه قصيدة ، لم أر منها إلا قوله [2] :

فتن لي بظبي كحلت ... أجفانه بالسقم

يفتر عن ثغر بدا ... عذب الثنايا شبم

أجرى دموعي في الهوى ... كمفرقات الديم [3]

وسل سيف لحظه ... وهو قد لهذم [4]

واختال في ثوب الصبا ... يسحب كل معلم

مصائب ما جمعت ... إلا لقتل مغرم [5]

يا قاتل الله الهوى ... بذل دمعي بدمي

فكم له في خلدي ... سرائر لم تعلم [6]

***

---

(١) عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد العمادي ، الحنفي ، الدمشقي .

تقدم التعريف به ، في الجزء الأول ، صفحة ٧٨ .

(٢) الأبيات في : خلاصة الأثر ١ / ٣٠٠ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٩٥ . (٣) في ب : « كمدمون الديم » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . (٤) في ا : « وسل قد لهذم » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « وقد سيف لهذم » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

واللهذم : الحاد القاطع من السيوف والرماح .

(٥) في تراجم بعض أعيان دمشق : « لقتل مغرم » . (٦) في خلاصة الأثر : « سرائر لم تعلم » .

وهذا مارأيته فى جوابه [1] :

دُرٌّ سَمَتْ فى القِيَمْ ... وسُمِّيتْ بالكَلِمِ [2]

أم روضـــةٌ دامتْ عليـ ... ـها هاطـــلاتُ الدِّيَمِ

فلاح منهـــا نَوْرُ ثَغْـ ... ـرٍ نَوْرُها المُبتسِمِ

أم غادةٌ قلبى كليـ ... ـمُ لَحْظِها المُكلِّمِ

من بِيْضِها وسُمْرِها ... فى الطِّرْسِ قَتّـالُ المُغرَمِ

حيَّتْ فأحْيَتْ باللقـــا ... قلبـــا إليها قد ظَمِى

لِمْ لا ومُهْدِيهـــا كريـ ... ـمٌ للكِرامِ ينتمِى [3]

أَلفاظُه كالسِّحرِ إلّا ... أنّهـــا لم تَحْرُمِ [4]

مُهـــذَّبٌ أخلاقُه ... بحُسْنِ تلك الشِّيَمِ [5]

كنَشْرِ روضٍ قد سرى ... غِبَّ حَيًا مُنْسجِمِ [6]

* * *

وكان بينه وبين أحمد بن شاهين [7] صحبة وُدُّها شَرْعٌ لا يُنسَخ ، وعهدُها عَقدٌ لا يُفسَخ .

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ١ / ٣٩٩ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٦٠ .

(٢) فى خلاصة الأثر : « درسمت بالقيم » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « للكرام ينتمى » .

(٤) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « ألفاظه كالدُّر » .

(٥) رواية عجز هذا البيت فى تراجم بعض أعيان دمشق :

* تفوح بين الأُمَمِ *

وهى تتفق مع رواية خلاصة الأثر ، فرواية البيت فيه :

مهذَّبٌ آدابُه ... تفوح بين الأممِ

(٦) فى ب ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « كنشر روض » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٧) تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ، صفحة ٩٦ ، برقم ٦ .

وكلاهما من أول مَرْباه ، كالغصن يترنح فى رُباه .

متعاكفان[١] على تعاطُف وائْتلاف ، ومتعارفان عن تهارُج واختلاف .

فعلِقا فتى أَحْكم بينهما بسِحْرِه[٢] الأُلفة ، وأماط فيما بينهما حجاب الكُلفة .

وبقيا سِنين مُتلازميْن تلازمَ الدليل بالمدلول ، والعلةِ بالمعلول .

ومتّصليْن اتّصال الأرواح بالأشْباح ، والمساء بالصباح .

حتى اكْتسى خدُّ الفتى بالعِذار ، وطام الشيبُ فى عوارضِهما مُتْهِما بالإنْذار .

هنالك تيقّظ الفُرْفوريّ من سِناته ، وعَدّى عما[٣] كان فيه من هَناتِه .

وكتب إلى الشّاهِينيّ[٤] :

ولَمّا أن بدا شَيبٌ بفَوْدِى　　خلُصتُ من الصبابةِ باحْتيالِ

وصرّفتُ المحبة كيف شاءتْ　　كأن الحبّ لم يخطُر ببالِى[٥]

فأحسنُ ما يُقال بأن قلبى　　سلَا يسلُو سُلُوًّا فهْو سالِى

* * *

فكتب إليه قصيدة هزّ بها إلى رَعْىِ حقوقه ، واستدْفاع عقوقه .

وموافقته فيما إليه جَنح ، متيمِّنا بما إليه طيرُ رَشادِه سَنَح .

سيَّما وقد تبيّن الرشدُ من الغيّ ، وصار النشرُ إلى الطّيّ .

والقصيدةُ المذكورة ، من أحاسن أشعاره المشهورة .

إلا أنها طويلة جدّاً ، فاقتصرت من وابِلها على الطّلّ ، واكتفيتُ عن أكثرِها بالأقلّ .

---

(١) فى ا : « معتكفا » ، والمثبت فى ب ، ج . (٢) فى ا : « شجرة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ب : « كا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) القصيدة فى تراجم بعض أعيان دمشق ٥٩ .

(٥) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « كأن الشوق » .

ومطلعها :

أقصيدتى مُورِى بجَهْدِك مُورِى ... وتيمَّمى خِدْنَ العُلى الفُرْفُورِى

يا ألْفَ مولاىَ ولستُ بقائلٍ ... غيرَ الصوابِ لصاحبى وسميرِى

مالى أراكَ مُفرِّطا فى صُحْبتى ... فكأننى عِقْد بكفِّ صغيرِ

خفِّضْ عليكَ فلستَ أوّلَ قاذفٍ ... من جوِّ شاهقةٍ لجوْفِ شفيرِ

أوَ قد زعمتَ بأننى متبالكٌ ... فى إثْرِ روض ليس بالممْطورِ

ما الروضُ فيما قد حويْتَ مُخيِّمٌ ... كلّا ولا للغيْرِ فضلُ خضيرِ[1]

هىَ دِمْنةٌ خضراء لم يأنَسْ بها ... ريم وليس ترابُها بعبيرِ

أنّى تقول ولا أخالُكَ قائلا ... العيْرُ عيْرى والنَّفيرُ نفيرِى

صدقتْ بناتُ الفكرِ فيما ألفتْ ... إن العَباءةَ عندكم كحبيرِ[2]

ما للفِراسةِ لم تُصدِّق فيكمُ ... والألمعيّةِ لم تعُنْ بنصيرِ[3]

* * *

ومنها ، وهو محلّ الشاهد :

فوَحقِّ سَلْوتِىَ التى قد أصبحتْ ... برْداً على كبدى لكل عَسيرِ[4]

هذا فؤادى مِلْءُ صدرى حزْنُه ... وأنا بجَفْنٍ فى السُّلُوِّ قريرِ

ومناكبى أمستْ تلائمُ مضجعى ... ثم ارْعويتُ فما استمعتُ زفيرِى

وغدوتُ أضحك مِلْءَ فِىَّ تعجّباً ... حين استمرَّ على البِعاد مَرِيرِى[5]

---

(١) فى ب : « كلا ولا للروض » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « إن العبادة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

والحبير : البرد الموشى .

(٣) فى ب : « لا تصدق فيكم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ب : « فوحق سلوانى » ، والمثبت فى : ا ، ج (٥) المرير من الحبال : ما اشتد فتله ، واستمر : اشتد وقوى .

وتصافحتْ يُمْناىَ باليَسْرَ التى ... قد كانتا فى غِلِّ خيرِ خبيرِ [١]

وتبدَّلتْ عيْناىَ أحسن مَنظراً ... وهى الصحائفُ فى دُجى وبُكورِ [٢]

للهِ أنتَ وما صنعتَ فإنّما ... أنقذْتنى من هُوَّةٍ وسعيرِ

وكذاك ينجُو ذو الصداقةِ فى الهوى ... وكذا بذنبٍ يذْنبِي مغفورِ [٣]



---

(١) سقط من ب من قوله : « باليسر . . » إلى قوله : « وتبدلت عيناى » فى البيت الثانى ، وهو فى : ا ، ج . (٢) فى ج : « وتبدلت عيناى » ، والمثبت فى : ا . (٣) فى ا : « وكذاك ينجى ذو الصبابة فى الهوى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٧٤

ولده عبد الوهاب *

المفتى بحق ، والسامى على رتبةٍ هو بها أحق .

فقيهُ المذهب النُّعْمانِى ، ومن توفَّرتْ له فى الشهرة الأمانِى .

فأشير إليه بالجلال ، وأُثْنِيَ عليه بكرَم الخِلال .

لم يزَل يصِلُ فى الجدِّ الليلةَ باليوم ، ويعْتاض فى الاشتغال السهرَ من النوم .

ويُنفق من الزّاد ، فيخْزِن فى الفؤاد .

والعلم كما عرَفتَ بعيدُ المَرام ، لا يُرى فى المنام ، ولا يُورَث عن الآباء والأعمام .

حتى بلغ مَبْلَغًا يقصُر عنه أملُ المتطلِّع ، وحلَّ محلًّا تنقطع دونه رغبة المتطمّع [(١)] .

(*) عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الفرفورى ، الدمشقى ، الحنفى .

ولد سنة اثنتى عشرة بعد الألف .

واشتغل على : عبد اللطيف الجالق ، والشريف الدمشقى ، وأخذ الحديث عن عمر القارى .

ثم لزم العمادى المفتى ، ومال إليه العمادى بكليته ، فصيره معيد درسه ، فى « صحيح البخارى » .

فرغ له أحمد بن شاهين عن تدريس الجقمقية ، ودرس ، وأفاد ، وتولى النيابة الكبرى مرات متعددة ، ونال رتبة الداخل .

ولما ولى الوزارة أحمد باشا الفاضل ، صيره مفتيا بالشام .

توفى سنة ثلاث وسبعين وألف ، ودفن بمقبرة أسرته ، بجانب مزار الشيخ أرسلان .

خلاصة الأثر ٣ / ١٠٠ ، ١٠١ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٦٠ — ٦٣ .

(١) فى ب : « المتطاع » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ونَزَل من القلوب بمَنْزلةٍ هى الْمُصافاة بين الماء والرَّاح ، وأَوْرد العيونَ الرياضَ وأورد القرائحَ القَراح .

فالنَّواظِر فيه مَرْتَع ، وللخواطر منه[1] مُتمتَّع[2] .

وله الأيادِى البيض ، والطَّوْلُ الطويل العريض .

بارَتْ يداه السُّحْبَ فارْتجعتْ   عنها ووابلَ وَدْقِها وَشَلُ

فالرعْـــــد فى أحْشائِها قَلِقٌ   والبرقُ فى حافاتِها خَجِلُ

ثم وَلِىَ الإفتـاء فأَدَّيَتْ أمانةٌ إلى أهلها ، وجاءَتْه النِّعَمُ تـتْرَى ولـكن على مَبلِها .

فلم يلبث حتى تضمَّنه ضريحُه ، وسَفَتْ عليه رِيحُه .

فلا زالت السحائبُ الحوامل ، تضَع مَشْهد قبره كلَّ طَلٍّ ووابِل .

وله شعر ليس مثله عليه بمستنكَر ، فالإتيان به غيرُ مُستكثَر .

فمنه قوله :

قد يَلْبِس الشعرَ شوقى تارةً حُلَلاً   كوشْىِ صَنْعاءَ يزهو فوق حَسْناء[3]

وتارةً ليس تَمْلِى فيــه مجتمِعاً   فيعْتريه فتــورٌ عند إلقائِى[4]

* * *

وقوله[5] :

دَعِ الحبَّ إن الحبَّ للعقلِ سالبُ   وعِشْ خالياً فالحب فيه النَّوائبُ[6]

---

(١) فى ج : « فيه » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ب : « مسمع » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) هذا البيت ساقط من : ب ، ج . (٤) فى ا : « عند الالقاء » ، وفى ب : « عند لقياء » ، والمثبت فى : ج . (٥) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/١٠١ . (٦) فى ا : « فالحب فيه نوائب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

فلا يصْلُحَنْ إلَّا لمثْلى فإننى ... فتًى دون نَعْلَيْه السُّها والكواكبُ
فمَن كان مثْلى كان بالحبِّ لائقاً ... وإلَّا فصَبٌّ بالصبابةِ لاعبُ

* * *

وقوله[1] :

إنْ غِبْتَ عن ناظرِي يامَن كلِفتُ به ... فما أراكَ عَقيبَ الآن فى عمرِى
لأنّ عينىَ تجرى بعد فُرْقتِكمْ ... دماً ويتْبعُه ماطَلَّ من بَصَرِى[2]

* * *

وقوله من الرباعيات :

واللهِ وحقِّ مُحكَمَاتِ السُّوَر ... ما غِبْتَ عن الفؤادِ بل عن بَصَرِى
من منذ غَدوْتُ فى هواكم دَنِفاً ... أيامُ نَواكَ لم تكنْ من عمرى

* * *

وكتب إلى جدِّى محبِّ الله[3] :

يامَن أيادِيهِ سحابٌ ممطِرُ ... ولديْه حاتمُ فى السَّخا لا يذكَرُ
وعليه من سِيَما الكرام دلالةٌ ... وشواهدٌ تبدُو عليه وتظهرُ[4]
طوَّقْتنى من راحتَيْك بمِنَّةٍ ... أضْحتْ على طُول الليالى تُنْشَرُ[5]

---

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/١٠١ .

(٢) فى ب : « ما ظل من بصرى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) ستأتى ترجمته ، فى هذا الباب ، برقم ٨٠ .

والأبيات فى خلاصة الأثر ٣/١٠١ .

وهى أيضا فى تراجم بعض أعيان دمشق ٦١ ، وذكر ابن شاشو أن الفرفورى كتبها للمولى عبد الرحمن العمادى .

(٤) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « وشواهد تبدى لديه وتظهر » . (٥) فى ب : « على طول الليالى تنثر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

لم أقضِ حقَّ ثنائِهـا لو أنَّ لى في كلِّ جارحةٍ لسانًا يشكرُ [١]

* * *

وله :

أنا واللهِ ما الجفـاءُ غرامى لا ولا الهجرُ والصدودُ مرامِى

ولئِنْ غبتُ عنكمُ ففؤادِى مثلُ ماتعهدون بل هو نامى

* * *

وله [٢] :

للهِ بدرٌ قد حكى بخدودِهِ وردَ الرُّبى وشقائقَ النُّعمانِ

وبثغرِه زهرَ الأقاحِ مُنضَّدًا وبقدِّه المَيّاسِ غصنَ البانِ

وبطيبِه طِيبَ الرياضِ ونشرَها وبصُدغه للآسِ والرَّيحانِ

وإذا محاسنُه بدَتْ لعيونِنا تُجْلَى فلا نحتاجُ للبُستانِ [٣]

* * *

هذا فيه سِماتٌ [٤] من قول جَحْظَةَ البَرْمَكِيّ [٥] :

---

(١) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو في سائر الأصول ، والمراجع المتقدمة ، وفي ا ، ج : « لسان يشكر » ، وفي تراجم بعض أعيان دمشق : « لسانا يذكر » ، والمثبت في خلاصة الأثر . (٢) الأبيات في خلاصة الأثر ٣/١٠١ . (٣) في ب : « فلا تحتاج للبستان » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) في ا : « شمات » ، وفي ب : « شمامة » ، والمثبت في : ج . (٥) أبو الحسن أحمد بن جعفر ابن موسى البرمكي ، المعروف بجحظة .

راوية ، شاعر مليح الشعر ، يعرف الموسيقى ، ويجيد الغناء .

نادم ابن المعتز ، والمعتمد .

وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة .

تاريخ بغداد ٤/٦٥ ، معجم الأدباء ٢/٢٤١ ، وفيات الأعيان ١/١٢٦ ، ترجمة رقم ٤٤ .

خِلْتُه فى المُعصْفَراتِ القَوانِى ... وردةً فى شقائقِ النُّعمانِ

أنتِ تُفّاحتى وفيكِ مع التُّفّا ... ح رُمّانتانِ فى غُصْنِ بانِ

لا أرى فى سِواكِ مافيكِ من طِيـ ... ـبٍ ومن بهجةٍ ومن رَيْحانِ (١)

وإذا كنتِ لى وفيكِ الذى فيـ ... ـكِ فما حاجتى إلى البستانِ (٢)



(١) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٢) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وفى : ا : « فلا حاجتى » .

بيت القاري

من البيوت التي تقلّد نحرَها جيدَ الدهر ، واكتسب النسيمُ بعَرْف ثراها [(١)] أرَجَ الزَّهْر .

مدائحهم كصحائف المحسنين بياضاً ونقا ، وذِكْراهم كعهد المُوقنين وفاءً وتقى .

فمنهم :



(١) في ب : « ثناها » ، والمثبت في : ا ، ج .

٧٥

عمر بن محمد *

علَمَ فضل وإنْصاف ، وشرَف نُعوت وأوصاف .

افْتخَر به [١] الآباء والبَنُون ، وتجمّلتْ بفضائله الشهورُ والسّنون .

شهرتُه من العلم شُهرةُ القمر ليلةَ بَدْرِه ، ومحلُّه من الكمال حيثُ يستمِدُّ كلُّ ذي قدرٍ قدرَه .

عمرَ اللهُ به دارَ ابنِ عامر [٢] ، وجاد نافعٌ [٣] نَوالِه فهو لمستنْجِد

(*) زين الدين عمر بن محمد بن أحمد ، وقيل عبد القادر ، القارى ، الشافعى ، الدمشقى .

ولد سنة ثمان وخمسين وتسعمائة .

وقرأ على كثيرين ، منهم : العماد الحنفى ، والنور النسفى ، ومحمد التنورى الميدانى ، وعبد الملك البغدادى ، والبدر الغزى ، والشهاب أحمد بن أحمد الطيبى .

وبرع فى فنون كثيرة ، حتى صار من أجلاء الشيوخ بالشام ، وكبير العلماء ، وصدر الشيوخ ، وانتفع به كثيرون ، منهم : أحمد بن شاهين ، وعبد الوهاب الفرفورى . والسيد محمد بن حمزة النقيب .

ودرس بالمدرسة الشامية الجوانية ، وكانت له بقعة تدريس فى الجامع الأموى .

ونال جاها وثروة ؛ بسبب أوقاف انتقلت إليه ، وانحصرت فيه .

توفى سنة ست وأربعين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

تراجم الأعيان ٢ / ٣٣٠ ، خلاصة الأثر ٣/٢٢٣ – ٢٢٥ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٨٣ ، ٨٤ .

(١) فى ب : « فيه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) أبو عمران عبدالله بن عامر بن يزيد اليحصبى .

أحد القراء السبعة ، تولى قضاء دمشق .

وتوفى سنة ثمانى عشرة ومائة .

تهذيب التهذيب ٥/٢٤٧ ، طبقات القراء ١/٤٢٣ ، ميزان الاعتدال ٢/٤٤٩ .

(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

وهو نافع بن عبد الرحمن الليثى المدنى .

أحد القراء السبعة ، أقرأ الناس نيفا وسبعين سنة .

توفى بالمدينة ، سنة تسع وستين ومائة .

طبقات القراء ٢/٣٣٠ ، وفيات الأعيان ٥/٥ .

عاصِم [١] ولمجتديه غامر .

وبالجود تحُوز المدحَ الأفاضل ؛ كما أن الرياضَ تمدح فيها البلابل .

تحلَّتْ بفضائله العلوم نُحور ، وتجلَّت له منها وِلْدان وحُور .

سطور سُبِّح نُظِّمت لآليها [٢] من الدُّرّ النَّثِير ، إذا رأتها الأنام اشتغلتْ بالتَّسْبيح والتكبير .

* * *

وله أدب توشَّمتْ [٣] بصنعةِ السحبِ وشائمه ، وبلغ كلا الخافقَيْن مشهورُه وشائعه [٤] .

وهو في القَرِيض قليلُ الكلام ، إلا أن كلامَه يُكتَب لتشريف الصحفِ والأقلام .
فمن شعره قوله [٥] :

لولا ثلاثٌ هُنَّ أقصى [illegible] ما اخترتُ أن أبقى بدار النَّفادْ
تهذيبُ نفسي بالعلوم التي [illegible] نِلتُ جميعَ المُرادْ
وطاعةٌ أرجو [illegible] به تُشرقُ أرضُ الفؤادْ
كذاك عِرفانُ الإلهِ الذي لأجلِه كان وجودُ العبادْ
فأسألُ الرحمنَ بالمصطفى وآلِه التَّوفيقَ فهْوَ الجوادْ [٦]

* * *

---

(١) أبو بكر عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي الأسدي .
أحد القراء السبعة ، تابعي ، محدث .
توفي سنة سبع وعشرين ومائة .
تهذيب التهذيب ٥/٣٨ ، طبقات القراء ١/٣٤٦ ، ميزان الاعتدال ٢/٣٥٧ ، وفيات الأعيان ٢/٢٢٤ .

(٢) في ا : « لياليها » ، وفي ب : « لآليها » ، والمثبت في : ج .

(٣) توشمت : تحسنت . (٤) الوشائع : جمع الوشيعة والوشيع ، وهو علم الثوب ، أي زينته .

(٥) الأبيات في خلاصة الأثر ٣/٢٢٤ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٨٣ ، ٨٤ ، وذكر ابن شاشو أنه قالها في أواخر أمره .

(٦) في ب : « فأسأل الرحمن من فضله * وله التوفيق . . . » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

هذه الثُّلاثيَّات نظَم فيها كثير من المتقدِّمين والمتأخِّرين .

فمنهم ابن صابر القَيْسِيّ ، قال :

لولا ثلاثٌ هُنَّ واللهِ من ... أكبرِ آمالى من الدنيا

حجٌّ لبيْتِ اللهِ أرجُـــو به ... أن يقبـــلَ النِّيَّةَ والسَّعْيا

والعلمُ تحصيلاً ونشراً إذا ... رَوَيْتُ أوسعْتُ الورى رأْيا

وأهـــلُ وُدٍّ أسألُ اللهَ أن ... يُمتِّع بالبُقيا إلى اللُّقْيا

ما كنتُ أخْشَى الموتَ أنَّى أتى ... بل لمْ أكنْ ألتـــذُّ بالمَحْيا

* * *

ومثله لأبي حيَّان :

أما إنه لولا ثلاثٌ أحبهـــا ... تمنَّيْتُ أنِّى لا أعَـــدُّ من الأحْيا

فمنهـــا رجائى أن أفوزَ بتوبة ... تُكفِّر لى ذَنْبا وتُنْجِح لى سَعْيا

ومنهنّ صَوْنُ النفسِ عن كلِّ جاهلٍ ... لئيم فلا أمْشى إلى بابه مَشْيا (١)

ومنهنّ أخْـذِى بالحديث إذا الورى ... نسوْا سُنَّةَ المختارِ واتَّبعوا الرأْيا (٢)

أأتْرُكُ نصًّا للرسولِ وأقْتَـــدى ... بشخصٍ لقـــد بُدِّلتُ بالرُّشْدِ الغَيَّا

* * *

وكتب مقرِّظا على نظم (٣) :

تأمَّلتُ ذا النظمِ البديعِ وما حَوَتْ ... معانيه من حسنِ الصياغةِ والسَّبْكِ

فشاهدتُ رَوْضًا بالفضائلِ مُزهِراً ... وعاينْتُ دُرًّا قد تنظَّم فى سِلْكِ (٤)

---

(١) فى ب : «ومنهمجصرف السمم» ، وفى ج : «ومنهن صون السمع» ، والمثبت فى : ا ، والديوان .

(٢) فى ب : « إذا الروا » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٣) البيتان فى تراجم بعض أعيان دمشق ٨٤ .

(٤) فى ا : « وعاينت روضا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وتراجم بعض أعيان دمشق .

٧٦

حفيده محمد بن على *

هو من بحْره خَليج ، ولرَوْضه عَرْف وأرِيج .

بأنواره تُحاسَنُ الأقمار ، وبأمْداحه تُعطَّر الأنْدية والأسمار .

فهو شِربٌ سائغٌ بلا كَدَر ، وسَمَرٌ مُمْتع بلا سَهَر .

وصِحَّةٌ فى نعمةٍ عَقِيب [1] مَرَض ، وفَرْحةُ رَامٍ أُصِيب بسهْمه غرَض .

***

وله شعر كالزُّلال النَّمير ، إذا صافح الأسماعَ تَبسم له القلبُ والضَّمير .

فمنه قوله [2] :

خلتُ العيونَ الرَّاميات بأسهمٍ ... يَجْرحْنَ قلباً بالبِعادِ مُعذَّبَا [3]

فاعْجَبْ لِلَحْظٍ قاتلٍ عشاقَه ... فى حالتَيْـه إذا مضَى وإذا نَبَا

***

(*) محمد بن على بن عمر القارى ، الدمشقى ، الحنفى .

ولد سنة إحدى عشرة وألف .

وقرأ على جده ، وعلى المفتى فضل الله بن عيسى البوسنوى ، وتلقى على كثيرين ؛ منهم : الشرف الدمشقى ، وعبد اللطيف الجالقى ، وأبى العباس المقرى ، والمولى عبدالله بن محمود العباسى .

فرغ له جده عن المدرسة الشامية الجوانية ، فدرس بها برتبة الداخل .

وولى قضاء الحج ، سنة إحدى وخمسين وألف ، وسافر إلى الروم ، ونال جاها وحرمة بين أقرانه .

وقد سقط تاريخ وفاته من خلاصة الأثر ، وذكر المحبى أنه دفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٤/٥٤ ، ٥٥ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٨٤–٨٦ .

(١) فى ج : « عقب » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) البيتان فى : خلاصة الأثر ٤/٥٥ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٨٤ . (٣) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « يجرحن قلبا بالفراق معذبا » ، وفى خلاصة الأثر : « بالبعاد معذبا » .

وهذا معنى جيّد جدا ، وهو ينظر من طَرْفٍ إلى قول ابن الرُّومِيّ [١] :

نَظَرَتْ فأَقْصَدَتِ الفُؤادَ بسهمِها ... ثم انْثَنَتْ عنه فكاد يَهِيمُ [٢]

وَيْلاىَ إن نَظَرَتْ وإن هى أعْرَضتْ ... وَقْعُ السهامِ ونَزْعُهُنَّ أليمُ [٣]

وقد لطُفَ [٤] الخَفاجِيّ ، وأجاد كل الإجادة فى قوله :

سِهامُ جُفونِه أعْرَضْنَ عَنِّى ... فأسْرَعَ فَتْكُها ونَما جَواهَا

فيالَكِ أسْهُمًا تُصْمِى الرَّمايَا ... إذا قصَدتْ إلى شىءٍ سِواهَا



(١) البيتان فى : التمثيل والمحاضرة ٢٩ ، ٢٩٥ ، خلاصة الأثر ٤/٥٥ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٨٤ ، دون نسبة فى الأخير.
(٢) فى التمثيل والمحاضرة ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « فأقصدت الفؤاد بأسهم » ، وفى التمثيل والمحاضرة : « فظل يهيم ».
(٣) فى الأصول : « وإن هى أقصدت » ، والمثبت فى المراجع السابقة.
(٤) فى ب : « تلطف » ، والمثبت فى : ا ، ج .

٧٧

حسين بن محمد *

فَرع طاب منه جَنَى ومهتَصر ، فلو طلبت ماء الحياة لوجدته من صَباحته يُعتصَر .

خَلقه الله نوراً مصوَّرا ، وأطلع غصنَ كمالِه غضًّا منوَّرا .

بوجه يتْبَعه التهليل والتكبير عند شُروقه ، وحسنِ أداء يشْرب به السمعُ فتدبُّ نشوة الحميَا فى عروقه .

فى كل نادٍ منـــه روضُ ثَناء وبكل خدّ منه جدولُ ماء [(١)]

ووجْهُه المشرق بالجمال ، يصف مافيه من أنواع الـكمال .

وقد عشق الأدبَ وزهرةُ [(٢)] حسنه فى أول ما انفتقت عنها الـكِمامة ، فما ناهز العشرين إلا وتسامت لوائحُ فكره من أن تساجلها الغمامة .

فهنالك [(٣)] ماتشاء من نوادر تجنيها ، وآثار بأحْسن القول متصِفة .

إن خطّ فنَقْشُ العيد ، على مَعاصم الحسان الغِيد .

وإن لَفَظ فجوهر العقود ، وعصير الخمر من [(٤)] العنقود .

إلا أنه لم تُلْحِه المُقَل ، حتى اختار الملأ الأعلى فانْتقَل .

(*) حسين بن محمد بن على القارى ، الحنفى ، الدمشقى .

أديب فاضل ، صاحب نوادر .

نشأ فى كنف أخيه أحمد ، وتلقى عن إبراهيم بن منصور الفتال ، وغيره .

ودرس بالمدرسة الجهاركسية ، بصالحية دمشق .

توفى سنة سبع وسبعين وألف ، عن سبع وعشرين سنة ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ٢ / ١١٣ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٨٦ ــ ٨٩ .

(١) فى ا : « روض نما » ، وفى ج : « روض نمى » ، والمثبت فى : ب .

(٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « فهنالك » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ب : « عن » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فقامت النَّواعِي يَنْدُبْنَ بدرا فى أول كَمَاله خَسَف ، ويبكين غصناً فى ابتداء نَضْرته قَصَف .

فحيَّتْ تُرابا ضَمَّه سُحْبُ رحمةٍ ... ليَخْضلَّ روضٌ جسْمه فيه موضعُ

❊ ❊ ❊

فمما اخترته من شعره قوله [١] :

أَفْديه ظَبياً بالشراب مُولَّعا ... يترشَّف الأَقْداحَ وهْو الأَكْيسُ

فكأنه البدرُ المنير إذا بدَا ... من نُور طَلْعته أضاء المجلسُ

❊ ❊ ❊

وقوله مضمنا [٢] :

بالله سَلْ طَرْفِيَ السهرانَ هل هَجَعا ... وما به الوجدُ والتبْريحُ قد صنَعا [٣]

قد حدَّث الناسُ عن مُضْنَى الهوى دَنِفا ... وما أصابُوا ولكن شنَّعوا شَنَعا

يا ابنَ الكرام ألا تدْنو فتُبصرَ ما ... قد حدَّثوك فما راءٍ كمن سمِعا

❊ ❊ ❊

هذا البيت مما أُكثر تضْمينه قديما وحديثا ، ولا أدرى لمن هو [٤] . وفيه عَكْس التشبيه : إذ ليس السامع أرْق حالا من الرائى ، وبه يتم غرَض الشاعر الذى استدلَّ لأجله .

❊ ❊ ❊

ومن شعره قوله [٥] :

زار وَهْنا مُرنَّحَ الأَعْطافِ ... بعد أن كان مائلا لُلخلافِ

---

(١) البيتان فى : خلاصة الأثر ٢/١١٣ ، تراجم بعض أعيان دمشق ٨٧ . (٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/١١٣ . (٣) فى خلاصة الأثر : « وما به العشق والتبريح » . (٤) لم يذكر العينى أيضا فى شرح الشواهد لمن هذا البيت . انظر حاشية الصبان ٣/٣٠٢ . (٥) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٢/١١٣ ، تراجم بعض أعيان دمشق ٨٦ .

كم على صُـــدْغِهِ وراحِ لَماهُ ‏ ‏ رُحْتُ سكرانَ سالِفٍ وسُلافِ [(١)]

صَـــدَّ ظُلما ولم يكن لىَ ذنْبٌ ‏ ‏ غـــيرُ دمعٍ أذاعَ ماهو خافِ

أيهـــا العاذِلُ الجهولُ تأمَّلْ ‏ ‏ فى مُحيَّاه ثم قُلْ بخلافِ [(٢)]

❋ ❋ ❋

ومما رأيته منسوبا إليه ، ولا [(٣)] أتحقَّقه [(٤)] :

أُنادى إذا نام الهجيع تأسُّفاً ‏ ‏ وقلبىَ من بين الضلوعِ كَليمُ [(٥)]

هنيئاً لِطَرْفٍ فيك لا يعرِفُ الكرَى ‏ ‏ وتبًّا لقلبٍ ليس فيك يَهيمُ [(٦)]

❋ ❋ ❋

ومن رباعياته قوله [(٧)] :

إن جُزْتَ بحىِّ مُنيتى حبيـــبه ‏ ‏ وأخْبِرْهُ من المحبِّ مايُرْضيـــهِ [(٨)]

إن زار فقـــد حَييتُ فى زَوْرتِه ‏ ‏ أو صَـــدَّ فإن مُهجتى تَفْديهِ [(٩)]

---

(١) فى خلاصة الأثر :

كم بأصداغِه وراحِ لَماهُ ‏ ‏ رحتُ نَشْوانَ سالفٍ وسُلافِ

وفى ب : « سكران سالفا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « ثم قل بخلاق » . ‏ ‏ (٣) فى ب : « ولم » ، والمثبت فى : ا ، ج . ‏ ‏ (٤) البيتان فى : خلاصة الأثر ٢/١١٣ ، وفيه : « وأنشدنى قوله أيضا : » ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٨٧ . ‏ ‏ (٥) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « أنادى إذا نام الملى تأسفا » .

وفى ا : « أناديك إذا نام الهجيع » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « لقلب فيك ليس يهيم » . ‏ ‏ (٧) خلاصة الأثر ٢/١١٣ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٨٧ . ‏ ‏ (٨) فى خلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق : « عن المحب » .

(٩) فى تراجم بعض أعيان دمشق : « فقد حييت من زورته » .

بيت الحسبي

بيت أبي وجَدِّي ، ومَنْبِت عِرق مَحتِدى ومجدى .

ارتضعتُ درّه واغتذيْت ، وإلى فضلِه انتسبتُ واعتزيت.

والمجدُ ما افتخرت به [1] العرب من القدم .

وإنِّي من العرب الأقدمين وقد مات من قبل خَلْقِي الكَرَمْ [2]

وفى كرَم العِرْق بالمَنْبِت الطيِّب ، عَوْن على أثمار تروّتْ بالعارِض الصَّيِّب .

فأنا إذا افتخرت هزّتني أريحيّة الطّرَب ، ونافستُ بآباء تملكني عند ذِكْرِهم حَمِيَّةُ العرب .

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتْنا ياجريرُ المَجامعُ [3]

---

(١) فى ب : « فيه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) البيت فى ريحانة الألبا ١/٤ ، ٢/٧ ، وروايته فيه :

فإنِّي من العرب الأكرمين وفى أوّلِ الدهر ضاع الكرمْ

(٣) البيت للفرزدق . ديوانه ٥١٧ .

فأول من سكَن منهم الشام ، وشَام من بارِق إقبالها ماشام :

٧٨

القاضي محب الدين*

فضاهَى بغزارة علومه أنهارَها ، وأخجل بمنثوره ومنظومه أزهارَها .

بماذا أصِفه وأُحلّيه ، وأي منقَبة من الجلالة أوليه .

وأطرافُ القلم بنعوته لاتحيط ، حتى ينزَح بمناقير العصافير البحرُ المحيط .

إمام أئمة الفنون ، المستخرج من بحار البلاغة دُرَّها المكنون .

فكان بالشام علَمها الذى يهتدى به المبتدى ، ومُقتفاها الذى يقتدِى به المُقتدِى .

فتدانت[1] به القلوب المتباعدة ، وتلاقت الآمال المتواعدة .

فما ولَدت أرحام الأرض من حُفال[2] الأزهار والنبات ، التى أرضعتْها الخضراء بدَرِّ أخلاف الأمطار وهى فى حِجْر الصَّبا وحضانة النَّسمات .

ألطفَ من شمائله التى عطَّرت أردان الصَّبا ، وأعادت للقلب نَشْوة الصِّبا فصَبا .

ولم يزل يَحْلِي الليالى العواطِل ، وتدين تسقيه السحبُ الهواطِل .

ويُبدع فى آثاره صُدورا وأعجازا ، ويُطلع رسائله مملوءة بلاغة وإعجازا .

حتى ردَّاه[3] الرَّدَى ، وعدَّاه الحِمام من ذلك المدَى .

(*) محمد محب الدين بن أبى بكر تقى الدين بن داود الحموى .
جد والد المؤلف .

(١) فى ا : «فدانت» ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) الحفال : الكثير المجتمع . وفى ب : «طفال» ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٣) فى ا : « راده » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فأثار الله مَثْواه ، وجعل الجنة مَأْواه .

* * *

تخلّفه ثلاثة فتيان ألِفَ المجد بينهم ، فإن قلت أين الحسن فانظُر أيّهم .
فالأوسط من مَرَض الشِّعر في عافية ، لكنه قعد[1] على طريق[2] القافية .
وأما الكبير ، وهو :



(١) في ا : « قدر » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ا : « الطريق » ، والمثبت في : ب ، ج .

٧٩

عبد اللطيف*

فعظيم الأرُومة ، ورَوْنق المَزيّة المَرُومة .

أنبت خَطِّيّها[1] وَشيجه ، وقوّم أغصانها تخريجُه .

يفترع الهضاب ببُعْد همّه ، ويُصيب الأغراض بمُسدَّد سَهْمه .

أصيل الرأى والحزْم ، مَلِيّ[2] التدبير والعزم .

ضاعف الله له نِعَما يتقبلها ، مازال يُوفى على ماضيها مستقبلها .

بهمّة ترى الدنيا هبات مقسومة ، ونُقطة من نُقط الدائرة مَوْهومة .

وفكر يغرِف من بحر ، وعنده يصغر عمرو بن بحر[3] .

فوصْفه واسع المجال ، ومثْله قليل فى الرجال .

(*) عبد اللطيف بن محمد محب الدين بن أبى بكر تقى الدين الحنفى ، القاضى .

ولد سنة ست وستين وتسعمائة .

وقدم مع والده إلى الشام، فحضر عند البدر الغزى، وأخذ عنه، وله رحلات كثيرة سافر إلى الروم ، ومكة بنية المجاورة ، وهناك صحب السلطان مسعود بن حسن بن أبى نمى ، وصار له حظوة عندهم ، ومدحهم بقصائد .

ثم عاد إلى دمشق ، وسافر إلى الروم ، ثم تولى قضاء حماة ، وأخيرا استقر بدمشق يدرس بالشامية ، والظاهرية .

وله مؤلفات ؛ منها : تفسير على سورة الفتح ، وكتاب جمعه فى خمسة علوم (التفسير والحديث ، والفقه ، والتصوف ، والأدب) .

توفى سنة ثلاث وعشرين بعد الألف .

تراجم الأعيان ٢/٥٤٣ ، خلاصة الأثر ٣/١٩ ، ٢٠ .

(١) فى ا ، ب : « خطها » ، والمثبت فى : ج .

والرمح الخطى : منسوب إلى الخط مرفأ للسفن بالبحرين ، تجلب إليه الرماح . معجم البلدان ٢/٤٥٣ .

(٢) فى ب : « ملئ » ، وفى ج : « على » ، والمثبت فى : ا .   (٣) يعنى أبا عثمان الجاحظ .

أسَّس وبَنَى ، وعطَف أعِنَّة المِدَح وثَنَى .

***

وله أشعار كما اتَّسقت اللآلى ، وسفَرت وجوهُ الحسان عن ضوئها المُتلالى .
أثبتُ منها ما تُكتَب بدائعه على الأحْداق ، وتتنافس كَلِمَهُ الأطواقُ فى الأعناق .

فمنه قوله من قصيدة مستهلها :

هى الدار حتَّى عهدَها مدمعِى الجارِى ... عفَتْ غير سُحْمٍ ماثلاتٍ وأحْجارِ

رسومٌ محاها كلُّ سافٍ وهاطلٍ ... فهُنَّ كجسمى أو غوامضِ أسرارِى[1]

أقَمْنا حَيارَى سائرين فلم نجِدْ ... مجيباً سوى دمعٍ من البَيْن مِدْرارِ

ولا عجبٌ لو أصبح الدمعُ حائراً ... كقلبك فى تلك المعاهد ياجارِى[2]

معاهدُ لاأدرى أمِن طِيبِ تُربها ... نسيمُ الصَّباحيَّتْ أم العنبرُ الدَّارِى[3]

وقفْنا بها حتى لِطُول وُقوفنا ... تخيَّلتُ أنَّا قد خُلِقْنا من الدَّارِ

أذَلْنا مَصُونات الدموع بربْعِها ... ولَمَّا نجِدْ من سكبْنا الدمعَ من زَارِ[4]

خَلَتْ بعد ما كانت مَناخاً لراكبٍ ... وملْعَبَ أتْرابٍ ومَجْمَعَ سُمَّارِ

ومَرْتعَ غِزْلانٍ ترى الصَّيد صَيْدَها ... فقُل فى غزالٍ يَصرعُ الأسَدَ الضارِى

---

(١) فى ب : « كل ساق وهاطل » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « لو أصبح الدير » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ب : « لو أصبح الدمع جاريا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ا : « فى تلك المعاهد يا حزر » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) بين هذا البيت ، والذى بعده تقديم وتأخير فى : ب ، والمثبت فى : ا ، ج .

والعنبر الدارى : نسبة إلى دارين ، وهى فرضة بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند . معجم البلدان ٢/٥٣٧ .

(٤) فى ا : « من سكبنا الدمع من زارى » ، وفى ج : « من سكبنا الدمع من نار » ، والمثبت فى : ب .
وأذال مصونات الدمع : ابتذلها .

وعصرِ تَصابٍ قد فُجعتُ بفَقْدِهِ ... وماضي شبابٍ رحتُ من حَيْنه عارِي (١)

لئن قصُرتْ أيامُــــه فلَشدَّ ما ... تولَّتْ وأبقتْ طولَ بَثٍّ وتَذْكارِ (٢)

ألا في أمانِ الله عصرٌ لفَقْـــدِهِ ... من العيش واللَّذاتِ قمتُ أظفارِي

وقلتُ لِداعِي الغيِّ نَكِّبْ فطالَما ... لغيرِ رِضَى الرحمن أشغلتُ أفكارِي

* * *

وقوله ، من قصيدة أخرى (٣) ، يمتدح بها أستاذه محمد بن محمد بن إلياس ، المعروف بابن جوى ، مفتي السلطنة :

عوَّضتَ معروفاً عن اليأسِ ... يا خادماً بابَ ابنِ إلياسِ (٤)

فاصْغَ لما أشرحُ من حالةٍ ... أسمُو بهـــا ما بين أجناسِي

خدمتُ مفتي العصر وهْو الحيا ... فلم يدَعْ بِرِّي وإيناسِي

وصرتُ في خدمته ناعمـــاً ... في نعمةٍ تُسدَى بلا باسِ (٥)

لا أعرف الهـــمَّ ولا أشتكي ... خطباً يلِي قلبي بوَسْواسِ (٦)

فسَيْبُه سيلٌ إذا رُمتَــــه ... ومجـدُه كالشامخ الراسِي (٧)

إن كسَر الدهرُ فؤادَ امرئٍ ... تراه بالجَـــبْرِ هو الآسِي

إن رُمْتَ تدرِي بالنَّدَى سَحَّهُ ... فصَوْبُه مَـــعْ مَرِّ أنفاسِي

أما ترى رِقَّةَ مدحِي له ... تُغنيك عن دَنٍّ وعن طاسِ

قد أمرَ الفتـــيحُ بأمرٍ عَلِي ... أجبتُه طوعاً على راسِي

(١) ترك نصب « عاريا » لضرورة القافية . (٢) في ب : « فاشدما » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٣) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٤) في الأصول: «بابه بني الياس» ، ولعل الأولى ما أثبته .
(٥) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٦) في ا : « قلبا يلى قلبي » ، والمثبت في : ب ، ج . (٧) في ب : « فسيبه سيب » ، والمثبت في : ا ، ج .

قـــــال لابنِ الدنيا ألا هكذا　　فليصْنَعِ النـاسُ مع الناسِ

***

البيت الأخير مُضمَّن ، من ثلاثة أبيات للفتح بن أبي حُصَيْنة[١] .

ولهـا قصة[٢] ، وذلك ما ذكر أنه امتـدح نصر بن صالح[٣] بحلب ؛ فقال له : تمنَّ .

فقال له : أتمنى أن أكون أميرا بحلب .

فجعله أميراً ، [٤] وخوطب بالأمير ، وقرَّبه نصر ، وصار يحضر في مجلسـه في جملة الأمراء[٤] .

ثم وهبه أرضا بحلب ، قِبْلِيّ حمّام الواساني[٥] ، فعمرها دارا ، وزخرفها ، وقرنصها ، وأتمَّ بناءها ، وكمَّل زخارفها ، ونقش على دائر الدَّرابزين قوله :

---

(١) أبو الفتح الحسن بن عبدالله بن أحمد بن أبي حصينة السلمي .
أمير ، شاعر ، من أبناء معرة النعمان .
انقطع إلى بني مرداس ، ومدحهم بقصائده ، فأثرى ، وارتفع شأنه .
توفي سنة سبع وخمسين وأربعمائة .
فوات الوفيات ١/٢٣٩ ، معجم الأدباء ١٠/٩٠ .

(٢) القصة والشعر في : ديوان ابن أبي حصينة ١/٣٦٠ ، ٣٦١ ، وزبدة الحلب ١/٢٧١ ، ٢٧٢ ، وفوات الوفيات ١/٢٤٠ ، ٢٤١ ، ومعجم الأدباء ١٠/٩٩ ، ١٠٠ .
ولعل المحبي نقل القصة والشعر عن ابن شاكر ، فبينهما تقارب كبير في الرواية .

(٣) في فوات الوفيات : « نصر بن أبي صالح » ، وفي معجم الأدباء أنه محمود بن صالح .
وهو شبل الدولة نصر بن صالح ابن مرداس الكلابي ، صاحب حلب .
قتل في معركته ضد الجيش الفاطمي ، سنة تسع وعشرين وأربعمائة .
الكامل لابن الأثير ، حوادث سنة ٤٢٩ هـ .

(٤) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

(٥) في ا ، ج : « الواشاني » ، وفي ب : « الوشاني » ، والمثبت في المصادر السابقة .
وذكر محقق ديوانه ، أن حمام الواساني معروفة ، كانت جارية في وقف الحاج موسى الأميري ، قرب خان الوزير ، وقد درست اليوم . راجع حاشية الديوان .

دارٌ بنيْناها وعشْنا بها   فى نعمةٍ من آلِ مِرْداسِ (١)

قومٌ مَحَوْا بُؤْسى ولم يتركوا   علىَّ للأيام من باسِ (٢)

قل لبنى الدنيا ألا هكذا   فليصْنع الناسُ مع الناسِ (٣)

فلما انتهى العمل بالدار عمل دعوة وأحضر نصرَ بن صالح .

فلما أكل الطعام ، ورأى الدار ، وحسنها ، وحسن بنائها ونقوشها ، وقرأ الأبيات ؛ فقال : يا أمير ، كم خسرت على هذه ؟

فقال : والله يامولانا ما للملوك علم ، بل هذا الرجل وَلِىَ عمارتها .

فلما حضر المِعْمار ، قال له : كم لحقكم غرامة على (٤) هذا البناء ؟

فقال له المعمار : غرمنا عليها ألفى دينار مصرية .

فأحضر من ساعتــه ألفى دينار مصرية ، وثوبَ أطلَس ، وعمامةً مُذهَّبة (٥) ، وحصانا أبْلَق ، بطَوْق ذهب ، وسَرْج ذهب ، ودفع ذلك إلى الأمير الفتح ، وقال له :

قُلْ لبنى الدنيا ألا هكذا   فليصْنع الناس مع الناس (٦)

* * *

وقد ضمَّن هذا البيت القاضى شهاب الدين بن حَجَر ، فى مدح البدر الدَّمامينى ، فأحسن جدا حيث قال (٧ :

---

(١) هذه الرواية توافق ما فى زبدة الحلب ، وفى فوات الوفيات ، ومعجم الأدباء : « فى دعة من آل مرداس » . (٢) هذه الرواية أيضا رواية زبدة الحلب ، وفى الفوات والمعجم : « على فى الأيام من باس » .

(٣) فى الفوات : « فليفعل الناس بالناس » ، وفى معجم الأدباء :

* فليُحْسِنِ الناسُ إلى الناسِ *

(٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٥) فى ب : « مدهنة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) أعاد ابن شاكر ، وياقوت هنا روايتهما السابقة لعجز هذا البيت . (٧) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

نسيتُ أن أمدح بدرَ العُلَى ... فلم يدعْ برِّى وإيناسِى
قُلْ لبنى الدنيا ألا هكذا ... فليصنعِ الناسُ مع الناسِ (١)

* * *

وله يصف منتزهاً فى الروم ، بالقرب من آق بابا :

حللت بالرُّوم دَوْحاً هاجَ أشجانى ... حَنَى علىَّ بخيْراتٍ وإحسانِ (٢)
حوَى مع الأُنْس ما يُسْلِى اللبيبَ به ... عن ادِّكارِ شآمٍ أو خُراسانِ (٣)
مجامرُ الزَّهرِ فى أرجائه نفَحْت ... والوُرْقُ قد صدَحتْ فيه بأفْنانِ (٤)
أشجارُه بسَقتْ أغصانُه اتَّسقتْ ... خِيامَ ظِلٍّ ولكن ذاتُ أفْنانِ (٥)
والسَّرْوُ تختالُ فى أزْهَى ملابسها ... كأنها الغِيدُ فى قَدٍّ ومَيلانِ
تُميلها الريحُ إذْ تَثْنِى معاطفَها ... فتنهبُ اللُّبَّ من أحشاءِ وَلْهانِ
وقد رأى بَصَرِى من حسنِ رَوْنقه ... أضعافَ ما وصَفُوا فى شِعْب بوَّانِ (٦)
فدامَ يسْقيه فى الأسْحارِ فيضُ ندًى ... وصوْبُ غيثٍ غزيرِ الهطْلِ هتَّانِ (٧)

(١) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) فى ا : «حللت فى الروم» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : «ما يسلى الحبيب به» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ب : «والأرق قد صدحت» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) سقط هذا البيت من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٦) شعب بوان بأرض فارس ، بين أرجان والنوبندجان ، وهو أحد متنزهات الدنيا ، وقد أورد ياقوت طرفا من أبيات الشعراء فيه ، وغرة ذلك قصيدة المتنبى ، التى بدأها بقوله :

مغانِى الشعبِ طِيباً فى المغانى ... بمنزلة الربيع من الزمانِ

معجم البلدان ١/٧٥١ ، وديوان أبى الطيب ٥٥٧ .

(٧) فى ا : «غزير الظل» ، والمثبت فى : ب ، ج .

٨٠

أخوه محب الله *

هذا أصغرُهم الذى أنار الحَلَك ، والسعدُ الأكبر بين كواكب هذا الفَلَك .

وهو جدّى الذى وصل خيرُه إلىّ ، وفرض الله تعالى حقَّه علىّ .

فأنا القائم بآثاره ، وأحمَدَ الله على ما خصَّنى به من إيثاره .

صاحبُ النَّسَب الوضّاح ، المتقلِّد تلك المفاخر والأوضاح .

بنور وجهه جلَى خَيْطَ الظلام بخَيْطه[1] ، ومحاسن مجد بيَّنَ بما كَسْبِه[2] من حِبَرِ المديح ورَيْطِهِ .

أهَّله الله لعظيم ما استوفاه ، وهيَّأه للاستقلال بما استكفاه .

فأطلق عِنان الاعتنا ، وتفنَّن فى غرائب الاقتنا .

فلم تضِق له ساحة[3] ، ولا قصرت له راحة .

(*) محب الله بن محمد محب الدين بن أبى بكر تقى الدين بن داود الحنفى .

جد الأمين المؤلف .

ولد سنة إحدى وألف .

وقرأ على تلامذة والده ؛ منهم : عبد الرحمن العمادى ، وغيره .

وأقبلت عليه الدنيا ، وتوفرت له دواعى المعالى ، وملك من الذخائر والتحف مالا يضبط بالإحصاء .

وولى نيابة الشام ، وقسمتها العسكرية ، واشتغل بالتدريس بالمدرسة الناصرية البرانية ، والمدرسة الدرويشية برتبة الداخل ، كما أعطى رتبة قضاء القدس .

وسافر إلى الروم ، فلازم شيخ الإسلام يحيى بن زكريا ، وحظى عنده .

توفى سنة سبع وأربعين وألف ، بمدفن أسرته ، قرب جامع جراح .

خلاصة الأثر ٣ / ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، والفكر تراجم بعض أعيان دمشق ٩٨ .

(١) فى ب : « بخيطه » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) فى ا : « كسبته » ، وفى ب : « كسينه » ، وفى : ج : « كسته » ، ولعل الأولى ما أثبته .   (٣) فى ب : « مساحه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

والمجدُ يُرشِفه رُضابَه ، والشرفُ يُرقيه هضابَه .

في حَوْزة محوطة ، وسعادة بالأماني منوطة .

وبه الكفاية في الخطب إذا عمّ ، والملمّ إذا ألمّ [١] .

إلا أنه لم تطُل مُدّته ، ولم تتوسّع في مُتصرّفاتها عِدّته .

فقُبِض في سنّ الكهولة ، واستوحشت [٢] لفقده المنازل المأهولة .

فالله يُحيِّيه في فسيح الرّضوان ورَحْبه ، ويجعلُ الرحمات المتواليات من حزبه وصحبه .

* * *

وله نظم أثير ، ودُرّ نثير .

أثبتُ منها ما أحكم نسقًا ورصْفًا ، وتناهى في الحسن تحليةً ووصْفًا .

فمن ذلك قوله :

أفديك يا مَن حاز قلبي مستأثرًا بجميع لُبِّي [٣]
قل لي بحقّ أبيك من أغراك في تَلَفي وسَلْبي
هل كان من ذنبٍ فإنّي تائبٌ منه لربّي [٤]
أو عن دَلالٍ فالذي تختاره حظّ المحبّ [٥]

* * *

وله :

في سبيل الغرام قلبي مُعنًّى أثخنته نَبْلُ العيون جِراحا
قيّدته فليس يرجو خَلاصًا من هواها ولا يَرُوم بَراحا

(١) في ب ، ج : « غم » ، والمثبت في : ا . (٢) في ا : « واستوحش » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٣) في ب ، ج : « مستأثر بجميع لبي » ، والمثبت في : ا . (٤) في ب : « من ذنب » ، والمثبت في : ا ، ج . (٥) في ا : « خطب المحب » ، والمثبت في : ب ، ج .
والشاعر هنا يشير إلى نسبته « المحبي » .

يشتكى حُرْقة التبـــاعُد حتى   علَّمَ الوُرْقَ فى الرِّياض النُّواحا[1]
وإذا ما أراد كَتْمَ هَـــواه   زادَه دَمْعُ ناظِـــرِيْه افْتضاحا

* * *

وقوله :

تظنُّ العِدى والظَّنُّ مُرْدٍ ومتْلِفُ   بأنّى أخْشَى من عظيمٍ وأفْرَقُ
وهيهات بل عفْو وحِلم وعفَّــةٌ   وما كُنْت من شيء سوى العارِ أُشْفِقُ
ويبْغون أن أُعْطِى قِيـــاداً ودونه   تسيلُ دماء من رجال وتُهْرَقُ

* * *

وكتب لبعض أحبابه :

لو وصفتُ أشـواقى لأعربتُ عن حَصَر ، ماء البيان فى إحْصَائه[2] حَصِر[3] .
وطولُ الباع فى البراعة عند استقصائه قَصِر .

ولتكلَّفتُ ماليس فى الوُسْع والطاقة ، ولاعْترفتُ مع الوُجْد والغنى فى البلاغة بالعُدْم والفاقة .

ولأقْررْتُ مع القُدرة بالعجز ، ولنَبا غربُ عَضْبِي وإن كان لَدْنَ المهز .

ولستُ أشرح وَجْداً لايشرح ، وحنيناً مُبرّحا لا يَبْرح .

ولا أصِف دمعا يَـكِفُ ولا يقف ، ولا مقلةً تجافتْ عن الـكرى ولا تجف .

ولا أُعرِب عن شوق[4] بنار الصَّبابة يتلهَّب ، وقلبٍ على فراش الضَّنَى يتقلَّب .

وكيف لى بِعدِّ مالا يُعَدّ ، وقد غلَب الوجد .

---

(١) فى ب : « فى الرياض النياحا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « إحصائه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : « حصر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ا : « لشوق » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وغاضَ الجَلَدُ[1] ، وفاضَ الكَمَد .

وخلَبَ الخلبَ وسَلَب ، وتغلَّب الوجد على القلب فغلَب[1] .

وجفا[2] الجفنَ[3] الكرى فما كرّ ، وخانه الصبرُ فما ثبت ولا استقرّ .

ولو أغرقتُ في البيان خضتُ في غِماره ، وغرقتُ في تيّاره ، وعثَرت في مِضماره وكبوْتُ ونبوْتُ ، وضللت وزللت .

لكنّي حين عجزتُ أوجزْتُ ، ولمّا قصَّرت اقتصرت .

فأضربْتُ عن ضُروبه ، وأعرضتُ عن عُروضه .

واكتفيتُ عن ذِكرِ كلِّه ، بإبداء بعضِه .

وأشفقت على الكتاب من الاحتراق ، إذا درجتُـه[4] على نِيران الأشواق ، وطويتُه على لواقِح الفِراق .

---

(١) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

(٢) في ب : « وجنى » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٣) في ا : « جفن » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٤) في ا : « أدرجته » ، والمثبت في : ب ، ج .

٨١

محمد بن عبد اللطيف الشهير بالخَلْوَتِىّ *

هذا الفرعُ نتيجة ذلك الأصل ، فلهذا هو فى حِدّة الذكاء أمْضَى من النَّصْل .

تحقَّق بالعلم الحديث والقديم ، وتصرّف فى طريقه الواضح القويم .

وزهد زُهْدَ ابن أدْهَمَ (١) ، ورغب عن أن يقبض على درهم .

فتنازعته الحُظْوة بين الأمانى والأمان ، ولم تدعْ له أيامه مقترحا على الزمان .

وكان له أخٌ أكبر منه ، إلا أنه فى ناحية ، ولا أرى (٢) ذلك إلا الشمسَ المنكسِفة وهذا الشمس الضّاحية .

(*) محمد بن عبد اللطيف بن محمد محب الدين بن أبى بكر تقى الدين الحنفى ، الخلوتى ، الدمشقى ، الحنفى ، المعروف بشقير .

ولد سنة ثمان عشرة وألف .

وقرأ على : عبد اللطيف الجالق ، وفضل الله بن عيسى البوسنوى المفتى ، ويوسف بن أبى الفتح .

وأخذ عن جماعة كثيرين ؛ منهم : العمادى المفتى ، والنجم الغزى ، والفتح البيلونى ، وعلى القبردى الصالحى .

وأخذ طريق الخلوتية عن الشيخ أحمد العسالى .

سافر إلى القدس ، والقاهرة ، وحج من طريق مصر .

وكان فاضلا ، بارعا ، كثير العبادة ، والمطالعة لكتب التفسير والتصوف .

وله رسائل وتحريرات على مواطن من التفسير لطيفة .

توفى سنة اثنتين وسبعين وألف ، ودفن بمقبرة أسرته بالقرب من جامع جراح .

خلاصة الأثر ٤ / ١٥ — ١٨ .

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمى ، البلخى .

عرف بالزهد ، والانصراف عن الدنيا ، مع غنى أبيه وسعة ملكه .

توفى سنة إحدى وستين ومائة .

البداية والنهاية ١٠ / ١٣٥ ، حلية الأولياء ٧ / ٣٦٧ ، ٨ / ٣ .

(٢) فى ا : « أدرى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وله فى المحاضرة محاسنُ غلبت على الأقمار التمائم ، فهى [1] زُهْرٌ لها المحاسن بُروج وزهَرات لها القلوب كمائم .

فأين حلَّ فالمحلُّ به أنيس ، وهو إذا فارقه عليه حبيس .

* * *

وله شعر أزهى من الزَّهْر ، وأبهى من الحَباب على النَّهْر .

فمنه قوله :

ذا ربـــعُ دَعْـدٍ بالأجارعِ فاربَعِ	إن كنت مَن يرعى حقوقَ الأربُعِ
لى مقـــالةٌ تسقِى الطلولَ ومَسْمَعٌ	يدعو حمائمَهنَّ قولِى أسمـــــعِ
فأنا المُجيبُ لهنَّ عـــن شجْنٍ وهُنَّ	سَجعْن عن طربٍ وفَرْطِ توجُّعِ [2]
ما الصادحُ الجذْلانُ مثلَ النَّادبِ الْـ	ـولْهـــانِ ذا داعٍ وذلك مُدَّعِ
ولقـــد حبسْتُ على الديار ركائبى	والرَّكبُ بين مُودِّعٍ ومُودَّعِ
وكلاهما يرضى بأن يقْضى أسًى	ويـكونَ غـــيرَ مُشيَّعٍ ومُشيِّعِ
فلكم جَرعْنا الوجـدَ مرًّا طعمه	لمـــا تزايلْنا غـداةَ الأجْرَعِ [3]
هى وقفةٌ فى الدار لابلّتْ صَـــدَى	قلبى ولا أرقيْتُ فيهـــا أدْمُعِى
ماذا الذى يُجْديك نَدْبُ معاهـــدٍ	أسَدتْ بهـا هُوجَ الرياحِ الأربَعِ [4]
سكانُهـــا نقضوا العهـودَ وضيَّعوا	ياحافظاً للعهـد غـــيرَ مُضيِّعِ
فاشمَخْ بأنفِكَ عـــن أناسٍ خلَّفوا	ما أوْعـدوك وحبـــلَ وُدِّهمُ دعِ
واشكرْ لأغْـــربةٍ نَعَبْن بِبَيْنِهم	من أســـودٍ يدعو الزِّيالَ وأبقعِ [5]

(١) فى ا : « فهو » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « فأنا الخبيطهن عن شجو » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : « مرطعمه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) أسد بالشىء : أغرى به.
(٥) فى ا ، ب : « نعبن بينهم » ، والمثبت فى : ج .
والأبقع : الذى فيه سواد وبياض .

وَاصدِفْ عن البَرْقِ اللَّمُوعِ بأرضِهِمْ ... وارقُدْ قريرَ الجَفْنِ غيرَ مُرَوَّعِ (١)

مَنْ شــاقه ريحُ الشَّمالِ فإنّنى ... لم أُعْطِــــهِ وجهًا ولم أتطلَّعِ

لاســاعَدَ الرحمنُ قلبــًا ذاكرًا ... أيامَ مَنْ خان العهــودَ ولا رُعِى

النــاسُ بين مُجاهِرٍ لك فى الأذى ... ومُـوارِبٍ تغْــلِى ضمائرُه فَعِ (٢)

أغفلتَ رأيهم ورُمْتَ رشــادَهم ... أنت المَلومُ فذُقْ أذاهم واجْـرَعِ (٣)

قابلتَ جهلَهم بحِلْمٍ واســعٍ ... قل للقَوادحِ عنــد ذاك توسَّعِى (٤)

الفَتاكَ عينُ الرأىِ فى تدْبيرهم ... لو لم تــكنْ لله لم تتــورّعِ (٥)

خُلِقوا من الشرِّ الصريحِ وصُوِّروا ... شَرَّ الورى سكنوا بشرِّ الموضعِ

ما للزمانِ جــرى على عاداتِهِ ... فى رِفعــةِ الأدْنَى وخفضِ الأرْفَـعِ

وبنُوه قد جُبِــلوا على أفعــالِه ... فالحرُّ بيْنهم بحالٍ أشْنَعِ

دهرٌ قضى أن لا يطيبَ لماجدٍ ... قُل للَّيــالى ما بدا لكِ فاصْنعِى

فاعْرِض عن الدهرِ الخَؤُونِ وأهلِه ... وافْزَعْ إلى ربِّ البرايا وارْجِعِ

* * *

وقوله من أخرى ، كتب بها إلى محمد الكَرِيمِىّ (٦) :

نُراجِع إلى الفضلِ أهلَ الكلامْ ... ونأخذُ عن كلِّ حَبْرٍ هُمامْ (٧)

ونسألُ مِن ساحةِ الأكرمين ... ونخضَــعُ للمجد لا للأنامْ

فنتْبَع مَن رفعتْه النفوسُ ... ونترُكُ من قدَّمتْه اللئــامْ

---

(١) فى ا : « قرير العين » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ا : « وموارى تغلى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ا ، ج : « تغلى ضمائره فعى » ، والمثبت فى : ب . (٣) فى ا : « فذق أذاهم وارجع » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ب : « قل للقوادح » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ب : « ألفتك عين الرأى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ١٦٧ ، برقم ٩ .

والقصيدة فى خلاصة الأثر ٤/١٦ ، ١٧ .

(٧) فى خلاصة الأثر : « نراجع فى الفضل » ، وهى رواية أفضل .

فأختـارُ طوراً زوايا الخمولِ   وطوراً أحبُّ الأمورَ العظامْ

تراني على كلِّ حالٍ أرى   أسيرَ الهوى ومليكَ الغرامْ

وما جرعةُ الحب إلا المَنونُ   وما لوعةُ الهجرِ إلا الهُيامْ

وما راحـةُ العشقِ إلا العَنا   ولا صحةُ الصَّبِّ إلا السَّقامْ

ولى حَسرةٌ بعد أخرى لهـا   زفـيرٌ وليس له انْحسامْ

يُذيب الحشا ويُثير الشُّجونَ   بنارٍ غدا وَقْدُها كالضِّرامْ[(١)]

وهل للهوى غيرُ مَن ذاقه   فَنشكُو له مُرّ سَمْع المَلامْ[(٢)]

ولا كلُّ مَن غاص بحرَ الهوى   حوَى مِن جواهِره باغْتنامْ

ولا كلُّ مَن قد سما للعـلومِ   يقرِّر مُشكِلَها عن إمامْ

فذاكَ هو النَّدْبُ بدرُ العـلومِ   ومن لم يزل نورُه فى التَّمامْ[(٣)]

كخِلِّى الكَرِيمىِّ مَن فضلُه   تلفَّعـه يافعاً باهْتمامْ

مُهذَّبُ أخـلاقِ أهلِ الوفا   حفيظٌ لعهدِ التقى والذِّمامْ[(٤)]

(١) فى ب : « يذيب الحشا بزير الشجون » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى ب : « مر سمع الكلام » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) فى ا : « بحر العلوم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .
وفى خلاصة الأثر : « ومن نوره لم يزل فى التمام » .

(٤) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر بعد هذا تمام القصيدة ، وهو ثمانية عشر بيتا ، وذكر إجابة الكريمى لها .

٨٢

السيد أبو الأَمْداد فضل الله بن محبّ الله *

والدى الذى هو سببُ حياتى الفانية ، تتْبعها حياتى الباقية .

فإنى مِن صُلبه خرجتُ ، وعليه تخرّجتُ .

ولا أعُدّ من الفضل ، ما كثُر لدَىّ أو قلّ . إلا منه ابتداؤه ، وإليه انتهاؤه .

وكنتُ أطْوعَ له من قلمِه لِكَلِمه ، وأوْفق من(١) بنانِه لبيانه .

ما مِلْت عن نَهْجه ولا تنحيّت ، من حين دَبّيْت إلى حين التحيْت .

أرجو على يديه حسنَ التحلّى(٢) ، والاطّلاعَ على أسرار التّجلّى .

حتى أسعدَ فى آخرتى ودنياى ، وأفوزَ بالحسنى فى مماتى ومَحْياى .

وكان هو حريصاً على فائدةٍ يلقيها علىّ ، وعائدة يجرّ نفعها إلىّ .

(*) فضل الله بن محب الله بن محمد محب الدين بن أبى بكر تقى الدين المحبى ، الدمشقى .

والد المؤلف .

ولد سنة إحدى وثلاثين وألف .

واستكثر فى أوائله من القراءة على أحمد بن شمس الدين الصفورى ، واتصل بخدمة عبد الرحمن العمادى المفتى ، وأخذ عن الشهاب الخفاجى ، فى مصر ، كما أخذ بها عن النور على الأجهورى ، والنور على الشبراملسى ، والشهاب الشوبرى .

رحل إلى حلب ، والروم ، ومصر ، وبيروت ، ودرس بالدرويشية ، والأمينية ، ومدرسة الأربعين وناب فى محكمة الصالحية ، وتولى قضاء آمد ، وبيروت .

وله مؤلفات ؛ منها « شرحه على الآجرومية » ، وهو طويل ، وجمع كتابا من مفردات الأبيات ، يحتاجها المنشىء فى ترسلاته ، ورتبها على أبواب ، وله كتاب التاريخ ، الذى ذيل به على تاريخ الحسن البورينى .

توفى فضل الله سنة اثنتين وثمانين وألف ، ودفن بمقبرة أسرته ، قبالة جامع جراح .

خلاصة الأثر ٣ / ٢٧٧ ــ ٢٨٦ ، وله ترجمة على طريقة النفحة ، فى تراجم بعض أعيان دمشق ٩٨ ، ٩٩ .

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .   (٢) فى ب : « التحلى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

حتى خصّنى بتعليم ما تفرّد به من صنْعة الإنشاء ، وذلك فضـــل الله يؤتيه مَن يشاء[١] .

وأنا فيما ذكرتُه واصفٌ نفسى ، وأما وَصْفُه فممّا لا يقوم باستيفائه[٢] رَمْيى ولا نقْسى[٣] .

إن قلتُ : فاضل . فقد ساواه فى الفضل مَن[٤] سواه ، أو قلتُ : ماجد. فقد شاركه فى المجد مَن عَدَاه ، وهو تعدّاه .

وأنا لا أرضى له إلا التوحّد ، ولا أقبل له إلا التفرُّد .

فإنه من[٥] منذ وُجِد ، إلى أن فُقِد .

لم يزلْ ربيب نعْمة ، غَذِىّ حِشْمة .

والجاهُ فى زمن أبيه ، يخشى من أنفته وتأبِّيه .

والأمْداد فضلُ الله ، لأبى الأمداد فضل الله .

وله عَزْمة تلين قسْوة الدهر الأبىّ ، ويتْلى حديثُها كما يُتْلى الحديثُ عن النبىّ .

إلى بِشْر يترقرق ماؤه فى غُرّته ، وينفتِق[٦] نُور الشرف بين أسِرّته .

وله كلماتٌ كحديث الصديق ، أو عتيق الرّحيق ، يجمع لذّة حلوِ الحديث إلى نَشْوة المزّ العتيق .

بخطٍّ ينطق من[٧] غير لسان ، ويُفصِح من غير بيَان[٨] .

وشِعرٌ إذا رأيتَه ، رَوَيْتَه .

ونثْرٌ تحفظُه ، حين تلحظُه .

---

(١) ذكر المحبى هذا أيضا ، فى خلاصة الأثر ٣/ ٢٧٨ . (٢) فى ا : «به» ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) النقس : المداد . (٤) زيادة من : ا على ما فى : ب ، ج . (٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .
(٦) فى ب : « وتنفتق » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ب : « عن » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٨) فى ا : « بنان » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وله تآليفُ ضرَبت من الإجادة بسَهْم ، وأقرَّ لها أهلُ البلاغة من كلِّ شَهْم . هي لعِقْد الفضل واسطةُ النِّظام ، ولمطْلَع المجد بيتُ القصيد وحسنُ الختام .

* * *

فمن شعره قوله ، من قصيدة مطلعها [١] :

حديثُ غرامي في هواكَ صحيحُ ... وقلبي كأقوال الوُشاة جريحُ

وشوقي إلى لُقياكَ شوقُ حمامةٍ ... لها فوق أفْنان الغصون صُدوحُ [٢]

فتندُبُ أطْلالا لهـا ومعاهداً ... وتظهِر أشْجانا لها وتصيحُ [٣]

فلا مؤنسٌ في الدار لي غير صوتِها ... إذا هاج وَجْدي والدموع تسيحُ

كلانا غريبٌ يشْتكي الهجرَ والنَّوى ... فيبكي على إلْفٍ له وينُوحُ

فقلبي وجَفْني ذا يذوبُ صَبابةً ... حَزيناً وهـذا بالدموع قَرِيحُ

ومُهجـةِ صَبٍّ مُسْتَهامٍ مُتيَّمٍ ... بها صار من داء الغرامِ قُروحُ

أهيمُ غراماً حين أذكُرُ جِلَّقاً ... ودمعي بسفْح القاسيُون سَفوحُ [٤]

ولو كان طَرْفي في يدَيَّ عِنانُه ... سعَيْتُ ولٰكن عن مُناي جَمُوحُ

* * *

وقوله من أخرى ، مستهلها [٥] :

رعى اللهُ أيام الشَّبيبة من عَصْرِ ... وهزَّ نسيمُ العيش رَيْحانةَ العمرِ

وحَيَّى بِقاعاً تُنْبت الحسنَ تُرْبُهـا ... وتُبْدي لنا الأقمارَ من فلك الخِدْرِ

حلَلْتُ بهـا والدهرُ أبيضُ مُقبِلٌ ... وعَيْشِي مقيم في خمائله الخُضْرِ

---

(١) القصيدة في : خلاصة الأثر ٣/٢٨٢ ، تراجم بعض أعيان دمشق ٩٩ . (٢) في تراجم بعض أعيان دمشق : « لها فوق أغصان الفنون صدوح » . (٣) عجز هذا البيت وصدر الذي يليه ساقطان من : ا ، وهما في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وتراجم بعض أعيان دمشق . وفي ج ، وخلاصة الأثر : « وتظهر أشجانا بها » . (٤) قسيون : هو الجبل المشرف على مدينة دمشق . معجم البلدان ٤/١٣ . (٥) الأبيات في خلاصة الأثر ٣/٢٨١ .

تُحِيطُ بِيَ الغِيدُ الحِسانُ أوانِساً كما اشْتبكَتْ زُهْرُ النجومِ على البدرِ [١]

* * *

هذا نَقْلٌ من قول ابن خَفاجة في النسيب [٢] :

غَزاليَّةُ الألحاظِ رِيمِيَّـــةُ الطُّلَى مُداميَّةُ الألمَى حَبابيَّةُ الثغرِ [٣]

تَرَنَّحُ فى موشِيَّةٍ ذهبيَّةٍ كما اشتبكتْ زُهْرُ النجومِ على البدْرِ [٤]

وفى المَقامة الحُلْوانية [٥] : وقد أحاطتْ به أخلاطُ الزُّمَرِ ، إحاطةَ الهالةِ بالقمرِ ، والأكْمامِ [٦] بالثَّمَرِ .

* * *

وله من أخرى مستهلها [٧] :

ضَيفٌ يُمَثِّـــلُه الغرامُ بفكرِهِ ورَجاً يَحارُ بطَيِّـــهِ ونَشْرِهِ

منها فى الغزل :

ومُهَفْهَفٍ نَشْوانُ من خمرِ الصِّبا لعبتْ بنـــا قَهْراً سُلافةُ خمرِهِ

يرْنُو إلىَّ بساحرٍ من طَرْفِهِ عنه روَى هاروتُ قصةَ سِحْرِهِ

بدرٌ تكامَلَ فى المحاسنِ خَلْقُهُ لَمَّا غـــدا منه المَحاقُ بخصْرِهِ

* * *

هذا معنى أرقُّ من خَصْرٍ مليح ، وفيه مع هذه المقابلة تنْشيط وتمْليح .

وأظنه رأى بيت المُطَّوِّعى [٨] فاسْتجاد مَعناه ، وشيَّد بوصْف الكمال مَغْناه .

---

(١) فى ا : « على البدر » ، وفى ج : « على البدر » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

(٢) البيتان فى ديوانه ٥٠ ، وانظر ريحانة الألبا ٢ / ٧١ . (٣) فى ب : « رومية الطلى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان ، وريحانة الألبا . (٤) فى الديوان ، وريحانة الألبا : « ترجح فى موشية » . (٥) ليس هذا فى المقامة الحلوانية ، وإنما هو فى المقامة الصنعانية . انظر مقامات الحريرى ٩ .

(٦) فى ب : « والكمام » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والمقامات . (٧) مستهل هذه القصيدة والبيت الأخير منها ، فى خلاصة الأثر ٣ / ٢٨٠ ، وذكر أنه مدح بهذه القصيدة الوزير أحمد باشا الفاضل .

(٨) تقدم التعريف بأبى حفص عمر بن على المطوعى ، فى الجزء الأول ، صفحة ٥٧٨ .

وبيت المُطَّوِّعِيّ :

قضيبٌ ولكنْ مَبْسِمُ النَّورِ ثغرُه ... وبدرٌ ولكن المحاقَ بخَصْرِه

ولقد مرّ بى أبيات فى هـــذا المعنى لابن مَخْلَد ، لعبتْ بى نُعَبَ الشُّمول ، بخرْة العقول .

وهى :

لعبتْ به نُجْلُ المحاجرْ ... لَعِبَ الخناجرِ بالحناجرْ

بأبى رواقـــدُ فى سُوَيْـ ... ـداء القلوبِ وفى النَّواظرْ

هُنَّ البـــدورُ ولا مَحا ... قَ لهنَّ إلا فى الخـــواطرْ (١)

* * *

تتمّة الأبيات من القصيدة :

قد بات يَسْقِينا مُدامـــةَ ثغرِه ... وتُضيء مجالسَنا لآلئُ دُرِّه

طَرْفى بجنّـــة حسنه متنعّمٌ ... والقلبُ فى نارِ الجحيم بهجْرِه

قد لامنى فيه العذولُ جهـــالةً ... لم يدرِ ماصَحْوُ الهوى من سُكْرِه

بَحْرُ المحبّـةِ ليس يبلغ غَـــوْرَه ... لم يُلْفِ ساحلَ برِّه من بحرِه (٢)

ياقلبُ رِفْقًا كم تُحمّلنى الأسى ... أوَما ترى جَـوْرَ الزمان بجَوْرِه

مَهْلًا لقد حمّلتنى عِبْئًا لقد ... أعيى الجبالَ الشُّمَّ شَمّةُ نَزْرِه

وألِفتُ صَرْفَ الدهر حتى إنه ... سِيّانِ عندى عُسْرُه مع يُسْرِه (٣)

* * *

من أحاسن محاسنه قوله (٤) :

---

(١) فى ب : « إلا فى الخواطر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « ليس يدرك غوره » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « من يسره » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣ / ٢٨٢ .

ومَصُونٍ عليه غَيْرةُ حُسْنٍ حَجَبَتْه عن أعْيُنِ الأوهامِ [١]

حُبُّه فى القلوبِ سِرٌّ خَفِيٌّ كخَفاء الأرْواحِ فى الأجسامِ

مِلِكٌ لم يَدَعْ من الحسنِ شَيْئاً لِسواهُ يَراه فى الأحْلامِ

***

وقوله :

ألا يابنَ الأُلَى سادُوا أراك تَفوقُهمْ وتَبلغُ إنْ شاء الإلهُ العَلِى حَتْماً

فأنت هلالٌ والهلالُ نُمُوُّه دليلٌ له أن يَغتدِى قمراً تَمَّ

***

هذا من قول الآخر [٢] :

إنّ الهلالَ إذا رأيتَ نُمُوَّه أيْقَنْتَ أن سيصيرُ بدراً كاملاً

قلت : عامّةُ أهل الأدب وغيرِهم على أن نَجاح الأمور وسعادتَها ، ونُحوستَها وخَيْبتَها ، بأوائلها .

وفى أمثال العامة :

« ليلة العيد من العصر ما تخفَى [٣] » .

« والليلة المُضيَّه تبان من عشيَّة » .

« واليوم المبارك من أوّله يبين [٣] » .

ويقولون : « لو أراد يسعدنى أيْش كان يقعدنى » .

كما قيل [٤] :

إذا بلغ الفتى عشرين عاماً ولم يَفْخَرْ فليس له افْتخارُ [٥]

---

(١) فى خلاصة الأثر : « عبرة حسن » .

(٢) البيت لأبى تمام ، وهو فى ديوانه ٣٨٠ ، والتمثيل والمحاضرة ٢٣٠ . (٣) انظر ريحانة الألبا ٢/٣٣٨ . (٤) فى ج : « وقد قيل » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والبيت فى ريحانة الألبا ٢/٣٣٨ ، ونسبه الخفاجى إلى بهلل . (٥) فى ا : « فليس له فخار » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وريحانة الألبا .

وقال [1] :

وإذا الفتى مرّتْ له في عمرِه خمسونَ عاما لَلتّقى لايجْنحُ [2]

عكَفتْ عليه المُخزِياتُ فما لَهُ مُتحوّلٌ عنها ولا مُتزحْزِحُ

وإذا رأى إبْليسُ غُرّةَ وجهِه حَيّى وقال فَدَيْتُ مَن لا يُفلِحُ

والمنجِّمون على خلافه ؛ فإنهم يقولون : هذا بحسَب الطالِع ، فقد يكون في أول العمر ، وقد يكون في أوْسطه ، وفي آخره .

وكذا في الشرع ، قد [3] يُولد المرء مؤمنا أو كافرا في أول أمره ، وفي أوسطه ، وآخره ، ثم يعرِض له خلافُه .

وما ذهبوا إليه أوهام . انتهى باختصار .

ومن كتاب اللآلي [4] قال الشِّهاب : قلت : الواهم ابنُ أخت خالته ؛ فإن الأول في وادٍ وهذا في آخر ، بعيد عنه بمراحل ؛ لأن الجمهور أرادوا [5] أن الله خلق في كل أحدٍ استعداداً للسعد وغيره ، تظهر علاماته [6] عليه في أول أمره [7] .

كما قال :

في المهدِ ينطِق عن سعادةِ جَدِّه أثرُ النّجابةِ ساطِعُ البرهانِ

وأما برُوزه من القوّة ، فقد يُسرِع وقد يُبْطِي ، كما لا يخفى .

* * *

وله :

أنا ما بين زُمْــرةِ الأقرانِ خَصّ حَظّي الزمانُ بالحِرْمانِ [8]

---

(١) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج . (٢) في ا : « للتقى لايجنح » ، وفي ب : «لم يجنح» ، والمثبت في : ج . (٣) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

(٤) في ب : « الأولى » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٥) في ا ، ب : « أراد » ، والمثبت في : ج . (٦) في ب : « علامته » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٧) في ا : « عمره » ، والمثبت في : ب ، ج . (٨) في ا : «أنا من بين» ، والمثبت في : ب ، ج.

فالعُلالاتُ لى سحائبُ يَبْــدُو ... بَرْقُها خُلَّبـاً مكانَ الأمانى [1]

* * *

هذا من قَوْل بعضهم : بَرْقٌ خُلَّب ، وعُلالات [2] للنفس وخُدَعٌ لها .

قال كعب [3] :

فلا يُغرَّنْكَ ما منَّتْ وما وعدتْ ... إن الأمانىَّ والأحـلامَ تضْليـلُ

وقد استحسنوا قول بعض الحكماء : الأمانىُّ أحلامُ المستيقظ .

ونظَمه القاضى محمد بن هبة الله الحُسَيْنِيّ الأنْدَلُسيّ ، فقال :

كم ضيَّعتْ منك المُنَى حاصلاً ... كان من الواجبِ أن يُحْفَظَا

فإن تعلَّلتَ بأطْماعِها ... فإنَّمـا تحْـلُم مُستيقِظا [4]

ومن النوادر :

أحاديثُ نفسٍ كاذباتٌ وما لَها ... فوائدُ إلا أن تَسُرَّ الفتى العانى [5]

وأكثرُ ما تُمْليه يظهرُ ضِدُّه ... فكلُّ أمانِى القلبِ أحلامُ يقْظانِ

وأحسن منه :

إنما هــذه الحياةُ مَنامٌ ... والأمانىُّ حُلْمٌ بها المرءُ صَبُّ

فلهــذا تأْتى على العَكْسِ مِمَّا ... كرِه الناسُ دائمـاً وأحبُّوا

* * *

وشعره كثير مجموع [6] فى ديوان ، والطِّرْس يُستدَلّ على مافيه من العُنوان .

* * *

(١) فى ا : « فالعلامات لى سحائب يبدو » ، والمثبت فى ب ، ج . (٢) فى ا : « وعلامات » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) ديوانه ٩ . (٤) فى ا : « فإن تعللت بأسماعها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) فى ب : « أحاديث نفسى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٦) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

ومن مُنشآته ، التي أعدَّها من بدائع مَقُولاته .

ما كتبه على لسان فرسٍ إلى [1] مفتى الرُّوم [1] ، وجرى فيها على طريقة الوَهْرانيّ [2] ، في [3] رُقعته التي كتبها [4] على لسان بَغْلته [4] ، وعلّقها في عنقها، وسيّبها في دار الأمير عِزّ الدين مُوسَك [5] .

* * *

فأما رُقعة أبي ، رحمه الله تعالى ، فهي :

الهمام [6] المقدام في حَلْبة الرِّهان ، والإمام المُصلِّي به يقتدي المجلِّي والثاني في ميدان البيان .

غُرَّةُ جبهة دُهْم الليالي ، مَن شُبِّب أيّامه ربيعُ الفَخار والمعالي .

جعل اللهُ مُجمل سعادته غنيًّا عن الإفصاح ، وجيادَ أوصافه الحسنة متبارية [7] في ميدان المُدّاح .

بجاه سيدنا محمد الذي علا على البُراق ، وتشرّفت به الآفاق .

---

(١) في ب : « مفتى الروم » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراني .
ظريف ، أديب ، منشئ .
قدم إلى مصر من وهران ، أيام صلاح الدين الأيوبي ، فلقي بها أئمة الإنشاء ، كالقاضي الفاضل ، والعماد الأصفهاني ، وسلك في كتابته مسلك الهزل ، فأقبل الناس عليه .
توفي بداريا ، سنة خمس وسبعين وخمسمائة .
وفيات الأعيان ٤/١٩ .

(٣) في ب بعد هذا زيادة : « قوله و » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

(٥) الأمير عز الدين موسك بن جكو ، ابن خال صلاح الدين .
كان حافظا للقرآن ، سامعا الحديث ، محسنا إلى الناس ، ملازما للسلطان في غزواته .
توفي بدمشق ، سنة ست وثمانين وخمسمائة .
النجوم الزاهرة ٦/٧٨ ، ١١٠ .

(٦) في ا : « الإمام » ، والمثبت في : ب ، ج . (٧) في ا : « مبارية » ، وفي ب : « تباريه » ، والمثبت في : ج .

أُنهي إلى عالي حضرته ، بعد [(١)] تقبيل سامي سُدَّته .

أنه لا يخفَى ماورَد عن النبيِّ النَّبيه ، أهْدى الله إليه صَلاته وسلامَه [(٢)] : « الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وإنّى [(٣)] تلك الفرسُ الأصيلة الطَّرفَيْن ، والحُجْر [(٤)] العريقة الجانبين .

فأبي من العِتاق المُعنقيَّة [(٥)] ، وأمّي من الصَّافِنات الجياد السَّقلاويَّة [(٦)] .

نشأتُ بأراضي [(٧)] الشام ، وشَمَمْتُ ذلك العَرار والبَشام .

وقد كان شرَّفني المولى بالرُّكوب ، وأمّلْت منه المطلوب .

وفزت بالمراد ، وسَبقتُ الجياد .

وتقدَّمتِ الجاويشيةُ أمامي ، وحُمِلت الغاشيةُ [(٨)] قُدَّامي .

ومشيتُ بالأدب والوَقار ، ولم يصدُر مني عثار ولا نِفار .

وقد طَرق سمعي أن المولى صار فارسَ الميدان ، وسابقَ يوم الرِّهان .

واقتضَى الصدارةَ صَهْوةُ الإقبال ، وسُحِب له جَنيبُ [(٩)] العزِّ والإجلال .

---

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (باب الخيل معقود في نواصيها الخير ، وباب الجهاد ماض مع البر والفاجر ، من كتاب الجهاد ، وباب قول النبي صلى الله عليه وسلم : أحلت لكم الغنائم ، من باب فرض الخمس ، من كتاب الجهاد ، وباب حدثني محمد بن المثنى ، من كتاب المناقب) ٤/ ٣٣ ، ٣٤ ، ١٠٤ ، ٢٥٢ .

وأخرجه مسلم أيضا ، في صحيحه (باب الخيل في نواصيها الخير ، من كتاب الإمارة) ٣/ ١٤٩٣ .

(٣) في ب : « وأنت » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٤) في الأصول : « والحجرة » .

وفي القاموس (ح ج ر) : « الحجر . . . الأنثى من الخيل ، وبالهاء لحن » .

(٥) في ج : « المعنقية » ، والمثبت في : ا ، ج .

ولعله نسبة إلى أعنق ، فحل من خيل العرب ، ينسب إليه ، والمعناق الفرس الجيد العنق . القاموس (ع ن ق) .

(٦) في ا : « السقلافية » ، وفي ب : « الصقلاوية » ، والمثبت في : ج .

والسقلاوي والصقلاوي ، كسكاكي : الفلو الليل المعجمة من الخيل ، أو الفلو الذي خلف الثنايا . القاموس (س ق ل ، ص ق ل) .

(٧) في ا : « بأرض » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٨) الغاشية : غطاء السرج . المعجم في اللغة الفارسية ٢٢٧ .

(٩) في ا ، ب : « جنب » ، والمثبت في : ج .

ومَلَكَ زمام الأمور ، وشدَّ حِزام العزم فى مصالح الجمهور .

فحصَل لى كمالُ السرور والنشاط ، وكدت أن أفكَّ نفسى من الرِّباط .

وأجِدَّ [١] فى المَسِير ، إلى تهنئة جَنابِه الخَطِير .

لكن أقعدتْنى الأيامُ عن ذلك ، ومنعتْنى عن سُلوك هذه المسالك .

لِما حلَّ بى من مُواصلة الصِّيام ، والركوع والسجود عند القِيام .

وتقدَّمنى فى المَسِير الرفيق ، الذى اجتمعتُ أنا وإيّاه فى طريق .

إن العوائقَ عُقْنَ عنك رِكابِى   فلهُنَّ من طربٍ إليك هَدِيلُ

وكان بلغنى أنه ركَضَ فى مَيدان حضرتك بعضُ اللئام ، ووضع قدمَه قوله حيث شاء من المَلام .

ونسَبنى إلى البَطَر والجُموح ، وسلوكِ طريقٍ من قلة الأدب مَطْروح .

وأن البحرَ علىَّ [٢] تعكَّر ، والوِرْدَ الصافىَ تكدَّر .

فوالله ليس لما قيل ، أصلٌ أصيل .

وكنت أوَدُّ أن أتوصَّل إلى بِرِّه ، وأكْرَعَ من فائض بحْره .

وأُورِد مواردَ إحسانه ، وأفوزَ بلُطْفه وامتنانه .

فلا خيرَ فى حُبٍّ [٣] لا يُحمل أقذاؤه [٤] ، ولا يُشرَب على الكدَر ماؤه .

وقد علم أن البهائمَ لا تعلم [٥] شعرَ أبى تمّام ، ولا تعرف شعر أبى الطيِّب الهمام .

ولا تطرَب الخيلُ ، إلا بسماع الصَّهِيل .

والعَلّافُ [٦] ، لا يعرف مسائل الخلاف .

---

(١) فى ب بعد هذا زيادة : « نفسى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) بعد هذا فى ب زيادة : « ماء » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٣) الحب : الجرة الكبيرة ، أو الخابية .   (٤) فى ا : « اقتاؤه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) فى ا : « تعرف » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٦) يشير إلى أبى الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف ، المتكلم المعتزلى ، المتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين . انظر وفيات الأعيان ٣ / ٣٩٦ .

وصاحبي وإن كان هو الأصيل العريق ، لكنه مُقتّر للضيف (١) في العَليق .

كثير الشِّعر قليل الشَّعير ، يُنشِد بلسان التقصير :

وما لى صنعةٌ إلا القوافى وشعرٌ لا يُباع ولا يُعارُ

فالشعيرُ أبعد من الشِّعرَى العَبور (٢) ، ولا وُصولَ إليه ولا عُبور .

فالبطنِ ضامرٍ لا يشَدُّ عليه حِزام ، والفم خالٍ ليس فيه إلا اللّجام .

وقد بُليت بعد الهزال بالخرس ، وأصبحت كما قيل : الجُلُّ (٣) خيرٌ من الفرس .

وغيرى ممّن ليس له أصل ولا فصل ، ولا أدب عنده ولا فضْل .

يرتع فى رياض الإنعام ، ويجهل أنه من الأنعام .

حمارٌ يُسيَّبُ فى روضةٍ وطِرْفٌ بلا عَلَفٍ يُربَطُ

فإن أنعم المولى بحَلِّ وَثاقى من يد الحرمان ، وأحلّنى من ربيع فضله فى رَبْوة الإحسان .

فأكرمُ الخيل أشدُّها حنينًا إلى وطنه ، وأعتق الإبل أكثرها نِزاعا إلى عَطَنِه .

فلينتهزْ فُرَص الاقتدار ، ويغتنم التَّجاوُز عن عثرات (٤) الأحرار .

فالدابة تضرَب على النِّفار ، لا على العثار .

فليس لى سواه أعوِّل عليه ، وأرفع قصّتى إليه .

وهيهات أن يُثنَى إلى غيرِ بابه عِنانُ المطايا أو يُشَدَّ حِزامُ

* * *

---

(١) فى ا : « الضيق » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) الشعرى العبور والغميصاء : أختا سهيل . القاموس (ش ع ر) . (٣) الجل للفرس ، كالثوب للانسان . وانظر التمثيل والمحاضرة ٣٤٠ .

(٤) فى ب ، ج : « ثمرات » ، والمثبت فى : ا .

وهذه رُقْعة الوَهْرانيّ ، وهى من لطائف نَزَعاته ، ومحاسن مخترعاته :

المملوكة ريحانة بَغْلة الوَهْرانيّ ، تقبِّل الأرض بين يدى الأمير عزّ الدين ، حُسام أمير المؤمنين .

نجّاه الله من حَرّ السّعير ، وعظّم بداره قوافل العِير .

ورزقه من التِّبن والشّعير ، وَسْق مائة ألف بعير .

واستجاب فيه أدْعية الجَمّ الغفير ، من الخيل والبِغال والحمير .

وتُنْهى إليه ماتُقاسيه من مواصلة الصِّيام ، والتعب فى الليل والدّوابُّ نيام .

قد أشرفَتْ مملوكتُه على التَّلَف ، وصاحبها لايحمل الكَلَف ، ولا يُوقِن بالخَلَف ، ولا يقول بالعَلَف .

وإنّما يحلّ به البلاء العظيم ، فى وقت حاجتى إلى القَضيم .

والشّعير فى بيته مثلُ المسك والعبير ، والأطريفل الكبير .

أقلُّ من الأمانة فى النصارى الأقباط ، والعقل فى رأس قاضى سُنْباط [(١)] .

فشعيرُه أبْعد من الشِّعْرَى العَبور ، ولا وصول إليه ولا عبور .

وقرْطُه أعزُّ من قُرْطَى مارِية [(٢)] ، لا يخرجه صدقة ولا هبة ولا عارية .

والتِّبن ، أحبُّ إليه من الابن .

والجُلُبَّان [(٣)] ، أعز عنده من دُهْن البَان [(٤)] .

---

(١) سنباط : بلدة من أعمال المحلة بمصر . القاموس (س ن ب ط) ، وفى الخطط التوفيقية ١٢ : ٢٥ أنها قرية من مديرية الغربية بمركز زفتا ، فى غربى ترعة الساحل . (٢) هى مارية بنت ظالم بن وهب ابن الحارث بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندى . يقال إنها أهدت إلى الكعبة قرطيها ، وعليهما درتان كبيضتى نعام ، لم ير الناس مثلهما ، ولم يدروا ماقيمتهما . وفى المثل : « خذه ولو بقرطى مارية » . يضرب فى الشىء الثمين ، أى لا يفوتنك بأى ثمن يكون .

ثمار القلوب ٦٢٩ ، مجمع الأمثال ١ : ١٥٦ .

(٣) الجلبان : نبت . القاموس (ج ل ب) . (٤) فى ب : « اللبان » ، والمثبت فى : ا ، ج . والبان : شجر ، ولحب ثمره دهن طيب . القاموس (ب و ن) .

والقَضِيم ، بمنزلة الدُّرِّ النَّظِيم .

والفِصَّة ، أجلُّ من سبائك الفِضَّة .

والفُول ، دونه ألفُ باب مقْفول .

وما يهُون عليه يعلف الدوابّ ، إلا بفنون الآداب ، والفِقه الأُلباب ، والسؤال والجواب ، وما عند الله من الثواب .

ومن المعلوم أن الدوابَّ لا تُوصَف بالحلوم ، ولا تعيش بسماع العلوم .

ولا تطرَب إلى شعر أبي تمّام ، ولا تعرف الحارثَ بن همّام [1] .

ولا سيمّا البغال ، التي تُستعمل في جميع الأشغال .

مَسْكَبة [2] قَصِيل ، أحب إليها من كتاب التَّحصيل .

وقُفّة دَرِيس ، أشهى إليها من فقه محمد بن إدريس [3] .

ولو أكل البغل كتاب المقامات ، لمات .

ولو لم يجد كتاب الرَّضاع ، لضاع .

ولو قيل له : أنت هالك ، لم يأكل موطأ مالك .

وكذلك الجَمَل ، لا يتغذّى [4] بشرح أبيات الجُمَل .

ووقوفه في الكلاَ ، أحبُّ إليه من شعر أبي العَلا .

وليس عنده طيِّب ، شعرُ أبي الطيِّب .

وأما الخيل ، فلا تطرَب إلا إلى استماع الكَيْل ، وإن أكلت كتاب الذَّيْل ، ماتت بالنهار [5] قبل الليل ، والوَيْل لها ثُمّ الوَيْل .

---

(١) الحارث بن همام ، شخصية اعتمدها الحريري واخترعها ، وبنى عليها الرواية في كتابه « المقامات » .

(٢) المسكبة : محل السكب . (٣) الإمام الشافعي ، رضي الله عنه . (٤) في ب : « يقتدي » ، والمثبت في : ا ج .

(٥) في ب : « في النهار » ، والمثبت في : ا ، ج .

ولا تستغنى الأكاديش [١] ، عن أكل الحشيش ، بكل مافى الحماسة من شعر أبى الخريش .

وإذا أطعمت الحمار ، شعر ابن عمّار [٢] ، حلّ به الدمار .

وأصبح منْفوخا كالطبل ، على [٣] باب الإسْطَبل .

وبعد هذا كله فقد راح صاحبُها إلى العَلاّف ، وعرض عليه مسائلَ الخلاف ، وطاب من بيته عشر قِفاف ، فقام إلى رأسه بالخفاف [٤] .

تخاطبه بالتقْصير ، وفسّر له آيَةَ العير [٥] ، وطلب منه قُفّة شعير ، حَمل على [٦] عِياله ألفَ بَعير .

فانصرف الشيخُ منكسِر القلب ، مغتاظا من الثّلْب ، وهو أخسُّ [٧] من ابن بنت الكلب .

فالتفت إلى المسكينة ، وقد سلبه الغيظُ ثوبَ السَّكينة .

وقال لها : إن شئتِ أن تَكَدّى فَكدّى [٨] ، لا ذُقتِ شعيرة ما دمتِ عندى .

فبقيت المملوكة حائرة ، لا قائمة ولا سائرة .

فقال لها العلّاف : لا تجزعى من خَيالِه ، ولا تلتفتى إلى [٩] سِبالِه [١٠] .

---

(١) كذا ، ولم أجده . (٢) تقدم ذكر ابن عمار ، فى الجزء الأول ، صفحة ٤٣٥ .

(٣) فى ب : «فى» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) جمع خف .

(٥) لم يرد لفظ « العير » فى القرآن إلا فى سورة يوسف ، ولعله يريد قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ . سورة يوسف ٧٠ .

(٦) فى ب : « إلى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ا : « أخسر » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٨) تكدى من كدى وتكدى ، بالتشديد ، بمعنى سأل وتسول ، وكدى ، من الكد ، وهو الجد فى العمل .

(٩) فى ا : « على » ، والمثبت فى : ب ، ج . (١٠) السبال : جمع السبلة ، وهى مقدم اللحية .

ولا [١] تنظرى إلى [١] نفقته ، ولا يكنْ عندك أخسّ من عَنفقتِه [٢] .

هذا الأمير عز الدين ، سيف المجاهدين .

أندَى من الغَمام ، وأمْضَى من الحسام ، وأبهى من البدر ليلة التّمام .

لا يردُّ سائلا ، ولا يخيِّب آملا .

فلما سمعت المملوكة الكلام ، جذَبت اللّجام ، ورفست الغلام ، وقطعت الزّمام ، وشقت الزّحام ، حتى طرَحت خدّها على الأقدام ، ورأيك العالى والسلام .

* * *

وله من [٣] رسالة [٤] كتبها إلى منصور الطبيب الغزوانى [٥] ، يشكو إليه علة لزمتْه ، وبرداً وقع فى ذلك العام ، خارجا عن مُعتاد الشام :

أنا أصبحتُ لا أُطيق حَراكاً كيف أصبحت أنت يا منصورُ

قد طالت العِلّة ، وطابت العُزلة .

فليس فى الحركة ، هذا الأوان بركة .

والانْقطاع ، أرْبحُ مَتاع ، والاجتماع جالبُ الصُّداع .

والاخْتلاط ، محرِّك الأخلاط .

والوحشة استئناس ، وأجْمع للحَواسّ .

فهو [٦] زمان السكوت ، وملازمة البيوت ، وأوان القَناعة بالقُوت ، وذلك قُوت من لا يموت .

---

(١) فى ا : « تنطوى على » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٢) العنفقة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن .
(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .
(٤) بعض هذه الرسالة فى خلاصة الأثر ٣/٢٨٥ ، ٢٨٦ .
(٥) فى ا ، ج : « القزوانى » ، والمثبت فى : ب ، وجاء اسمه فى خلاصة الأثر : «منصور الطبيب العيسوى» ، ولم يترجم فيها .
(٦) فى ا : « فهذا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

والحرّ حرٌّ ، وإن مسّه الضرّ .

فوَطْؤُه خفيف ، وضالتهُ رغيف .

لُزوم البيت أرْوَحُ في زمانٍ عَدِمْنا فيه فائدةَ البُروزِ[1]

فلا السلطانُ يرفَع من محَلِّى ولستُ على الرعيّـة بالعزيزِ

ولستُ بواجدٍ حُرًّا كريمًا أكون لديْه في حِرْزٍ حَرِيزِ

وإنى لأشكو من تسَحُّب هذا السحاب ، وتسلُّط هذا الرَّباب .

ولم أرَ قطُّ والله[2] كالغمام ، الكثير الإنعام .

الذى مَن تورَّط فيه غرِق ، ومن تنشَّط فيه[3] عام .

سحابٌ مجنون ، يُصِم الآذان برعْده وبرقُهُ يغشّى العيون .

وغمامٌ شديد الإيلام ، كأن صوْبَه صوْبُ مَلام ، أو عرَق حَمام .

ومطرٌ كأفواه القِرَب ، وصوتُ رعدٍ يُميت الطَّرَب .

حتى كأن صوتَه صوتُ عذابٍ ، أو سطوةُ ليُوثٍ غِضاب .

أو أنّهُ مهجور مرْتاب ، من تصرُّم أسباب[4] وِداد الأحباب .

أو كأنه نعْرَة فِيل ، أو نفْخة إسْرافيل .

أو شقَّ السماء بشدَّةٍ فانشقَّتْ ، ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾[5] .

ولمَع برقٌ خفّاق جلّاب ، مُشرق كالشمس إلا أنه شديدُ الاضطراب ، سريع الاحْتجاب ، لمّاع ، دفّاع ، يُختار دونه لَمْعُ السَّراب ، ومنْع الشَّراب[6] .

حتى قال قائلنا : ليت بذى الغمام جَهام[7] ، وليت ذا البرق المتألّق خُلَّب وسيفَه المسْلول الصارمَ كَهام[8] .

---

(١) في ب ، وخلاصة الأثر : « أروح في زمانٍ » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٢) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج . (٣) زيادة من : ب ، على ما في : ا ، ج .

(٤) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج . (٥) سورة الانشقاق ٢ . (٦) في ب : « التشراب » ، والمثبت في : ا ، ج . (٧) سحاب جهام : لا ماء فيه . (٨) سيف كهام : لا يقطع .

وليته كان كاذبَ المَخِيلة [1] ، وليت لَقْحة نَوْئِه هذا شحيحةً بخيلة .

ولم أرَ حالَ هذا السحاب الغَيْداق ، إلا كحال مُولَهٍ [2] مُشتاق ، شديدِ الأشواق ، وَكَّاف [3] الآماق .

مشتعِلِ الزَّفَرات ، متقاطِرِ العَبَرات .

فسبحان من أرسل السماء مِدْرارا ، وجعل القِطار [4] في هذه الأقطار بحارا .

ألا يُرى كيف مَنّ اللهُ سبحانه بالوقوف ، على السُّقوف .

وبالثبوت ، على البيوت .

ولم يعلم هل [5] هذا السحاب ، أصبح يجود لسُقْيا رحمةٍ أم سُقْيا عذاب .

وأما الثلوج فإنها شيَّبتْ نواصِيَ الجبال ، مع شدة الاحتمال ، فما الظنُّ بنواصِي الرجال ، مع تزاحُم الأهوال ، وتراكُم الأثقال .

اللهم إنا نستعيذُ بك [6] أن تقلب الأعيان [7] ، فتجعلها سببَ [8] لمَوَتان ، في الحيوان ، أو أن [9] تُعيد الطوفان ، في آخر الزمان ، وبالله المُستعان ، وعليه التُّكلان .

* * *

وأبق له عبدٌ وهو بالقاهرة ، فكتب إلى دمشق ، يُخبر بإباقته :

وأما ياقوت الممقوت ، سوَّد الله وجهَه ، وعامله بالنَّكال أينما توجَّه .

قد أبَق في هذه الأيام ، كما هو دأبُ جنسه الخسيس الخبيث فما عليه مَلام .

---

(١) المَخِيلة : التي تحسبها ماطرة .
(٢) في ا : « متوله » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٣) في ب : « وكاف » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٤) القطار : السحاب الكثير القطر .
(٥) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .
(٦) في ب : « نستعيذك بك » ، والمثبت في : ا ، ج .
(٧) في ب ، ج : « العيان » ، والمثبت في : ا .
(٨) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .
(٩) في ا : « وأن » ، وفي ب : « أو أن لا » ، والمثبت في : ج .

والَلومُ للحـــــرِّ مقيمٌ رادعٌ   والعبد لا يردعُه إلا العصا (١)

ولما بلغَنا ذهابه من اليمّ ، تباشرْنا بزوال الهمّ .

وأنشدنا :

* إلى حيثُ ألقتْ (٢) رَحلَها أمُّ قَشْعمِ *

ولو طلبَ منا الإجازةَ أجزْناه (٣) ، والمكاتبة كاتبْناه ودَبَّرْناه ، وعن خِدْمتنا أبعدْناه .

ولو أردْناه تطلَّبْناه ، وبما يَليق عاملْناه .

وإذا رأيتَ العبـدَ يهربُ ثم لم   يُطْلَبْ فمولى العبد منه هاربُ (٤)

ولو لم يكن لى فى هـذه السَّفْرة من الرِّبح الذى ليس به خفَا ، إلا ذَهاب هذه الغُمّة (٥) السوداء لكفَى .

وفى الحديث الشريف (٦) : « اطْلُبوا الخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ » ، ومن أمثالهم : قَبحَ الأَلْـكَع ومَن يرجُوه .

وقد كنَّا قديمًا نسمع ، أن الخادم بمنزلة النعل يلبس ويخلَع .

والعبد لو كانت ذُؤابة رأسه ذهبا ، لـكان رصاصةَ (٧) رِجْلاه .

---

(١) هذا البيت لابن دريد ، من مقصورته ، شرح المقصورة للتبريزى ١٩١ .

(٢) عجز بيت لزهير بن أبى سلمى ، ورواية الديوان للبيت :

فَشدَّ ولم يُفْزِعْ بيوتا كثيرة   لَدَى حيث ألقتْ رحلَها أم قَشْعمِ

شرح ديوان زهير ٢٢ .

وأم قشعم : هى المنية ، والحرب ، والداهية الـكبيرة ، والحرب أراد زهير .

ثمار القلوب ٢٦٠ .

(٣) فى ب : « لأجزناه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) البيت لناصح الدين الأرجانى ، وهو فى ديوانه ٥٣ ، وانظر ريحانة الألبا ١/٣٣٠ . (٥) فى ا : « النعمة » ، وفى ب : « النقمة » ، والمثبت فى : ج . (٦) يقول ابن الديبع بعد أن ذكر هـذا الحديث : « له طرق ، عن أنس وجابر وعائشة وابن عباس وابن عمر ، وأبى بكرة وأبى هريرة ، وكلها ضعيفة ، وبعضها أشد فى ذلك من بعض » . تمييز الطيب من الخبيث ٢٦ ، ٣٥ .

(٧) فى ب : « رصاصه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ومن أبَقَ عن الخدمة ، فقد يعدُّ بُعْدُه نعمة ، وقُربُه نِقْمة .

فقد يفرُّ المُهْر من عَلِيقه ، ويطير الفَرَاش إلى حريقه .

فما كل شجرة تحْلُو لذائقِها ، ولا كل دار تُرحِّب بطارِقها .

ومَن أبَقَ عن مَولاه مُغاضِبا ، وجانَب إحسانَه الذى لم يكن له مُجانبا .

يجدُ من مفارقةِ [1] معاهد الإحسان ، مايجدُه من مفارقة معاهد الأوطان .

ويكون ذنبُ عقابِه فيه ، وكم عبدٍ أبَقَ من مَواليه .

وقد رُوِى مرفوعا عن سيِّد الأمة [2] : « أَيُّمَا عَبْـدٍ أَبَقَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْـهُ الذِّمَّةُ » .

وبالجملة فقد حصل لنا بذَهابه غايةُ المَسارّ ، و

إذا ذهب الحمــــارُ بأم عمرو ... فلا رجعتْ ولا رجع الحمار [3]

وله يصف فتى :

حسنُه يملأُ القلوب والصدور ، وليس البدرَ إلا أن فيه حسنا تلاشَتْ فى دقائقه البدور .

رِيمٌ من الروم ، خادم مخدوم .

قد كساه الزمان [4] ملابس جمالِه ، ووهبَه الأوان محاسنَ كمالِه .

بديعُ جمالٍ كل مازاد ناظرى ... به نَظَراً زادتْ محاسنُه حسنَا [5]

جرى فيه ماء النعيم والهَيَف ، وتحكَّم فيه تِيهُ الحسن والصَّلَف .

---

(١) فى ب : « مفارقته » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (باب تسمية العبد الآبق كافرا ، من كتاب الإيمان) ١/٨٣ .

(٣) الواو قبل البيت ، وصدره ، ساقطان من : ب ، ج ، وهو فى : ا .

والبيت فى التمثيل والمحاضرة ٣٤٥ :

(٤) فى ا : « الجمال » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) فى ا : « كلما زار ناظرى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

باهٍ بقدِّه، زاهٍ بوَرْدِيّ خدِّه .

ألصق بالقلب ، من علائق الحبّ[1] .

كلّما لاح وجهــــه بمكانٍ كثرتْ زحمةُ العيون عليهِ

ذو قدٍّ ميّاد[2] ميّال ، يُبدِى الملال والدّلال[3] .

يتمايل من خمر الصِّبا ، تمايل الغصن [4]إذا أمالته[4] الصَّبا .

ويتصرّف مع القلوب ، كتصرّف السحاب مع الجَنوب .

فهو ألطفُ من نسيم الشّمال ، على أديم الماء الزّلال .

كأن حــــديثَه خُلَسُ التّشاكِى مع الأحباب أو قُبَلُ الوَداعِ

قد حلّ بالشام ، فازدهرتْ به ازْدهار الخدّ بالوِشام[5] .

وغرّدتْ أطيارُها ، وتمايلتْ طرباً أشجارُها .

وتدانتْ ولا تَدانِى المُحبّين ، وتعانقت ولا تعانُق العاشقين .

وأحداقُ الحدائق باهتْ فى رياضِ جمالِه ، والأغصانُ تاهت فى لين قدِّه واعتدالِه .

أسفَر فرأيت البدر طالعا من أطْواقه ، وأقْبل بحاقة كأنما صُبغتْ من دَم عُشّاقه .

فالشمسُ طالعة من أزْرارِه ، والبدرُ من مَشارق أنواره .

له مَبْسَم لو تبسَّم فى الليل صيَّر الظلام نهارا ، ولو استعار الرّاحُ منه الحَبَب لقال :

* شَمَلَ الحلْقَ أهلُه أن يُعارا[6] *

شكل ظهر فى طريق الحسن بالبَياض ، وصحّح حديثه الحَسَنَ أجْفانَ المِرَض .

---

(١) فى ا : « القلب » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) زيادة من : ب ، على ما فى : ا ، ج .

(٣) بين « الملال والدلال » تقــديم وتأخير فى : ب ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٤) فى ا : « من خمر » ، والمثبت فى : ب ج .   (٥) الوشام : جمع الوشم .   (٦) هذا مثل ، يضربه المسئول شيئا هو أحوج إليه من السائل . مجمع الأمثال ١/٣٥٣ .

أَوْقد نارِى، وأمات اصْطبارِى .

وكم فى الناس من حسَنٍ ولكن عليه لِشقْوتى وقع اخْتيارِى[١]

فكلِف به بعضُ سُكَّانِها ، وهَام فيه بعضُ أعْيانِها .

وقد تزايَدَ فيه الغرام[٢] ، ومَن يعشَق يلَذّ له الغرام .

وقد هاجت بلابلُ بَلْباله ، وقصد أن يرفع لِحَضْرتِه[٣] بعض خِصاله ، فى عَرْض حالِه .

فاللّحظُ ، يُعرِب عن اللفظ .

فما كانت إلا نَظْرة ، أعقبتْ حسرة .

أتعبت الخاطر ، وسمرّت الناظر .

وقد قيل : إن الحُسْن عليه زكاةٌ كزكاة المال ، وليست زكاتُه عند علماء المَحبّة إلا عبارةً عن الوِصال .

ولما دعاه داعى الهوى أخذ يُبْدِى له الالتفات ، ويُرِيه الصَّدّ تارات .

قد جرى بينهما فى مَيْدان الصُّحبة بدهم الليالى والأيام ، طِراد خيل اللهو فى حَلْبة المَحبّة والغرام .

وهو قانع منه[٤] بالقليل[٥] ، راضٍ بالنظر إلى وجهه الجميل .

ومضتْ معه أوقاتٌ من مواسِم العمر محْسوبة ، والسُّعود إلى طوالِعِها مَنْسوبة .

حيث الزمانُ ربيع ، والروضُ مَرِيع .

والنسيم عليل ، والوقتُ سَحَر وأصِيل .

ألطف من عِدَة الحبيب ، وألذُّ من غفْلة الرقيب .

---

(١) رواية عجز هذا البيت فى ا :

* عليك من الورَى وقع اخْتيارِى *

والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) لعل الأولى هنا : « الملام » . (٣) زيادة من : ب ، على ما فى : ا ، ج .

(٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٥) فى ب : « بالقليل » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ومَا تفضُلُ الأوقاتُ أخرى لِذاتِها ولكنَّ أوقاتَ الحسانِ حِسانُ

فقد كانت أطيبَ من نَيْلِ المراد ، ولكنها أقصرُ من ساعات الأعياد .

فلو كان دهرى عِقْداً لكانت واسطتَه ، أو كان عمرى جِيداً لكانت قِلادتَه .

فهيهات أن تُنْسَى ، وعسى أن تعود عسى ، ربما أحسن الزمان وإن كان قد أسا .

هذا ، فبينما هما على هذا الحال ، في أرْغَدِ عيش وأنْعَمِ بال .

إذ دَنَتْ شمسُ النَّوَى بالطلوع ، وفضَح التطبُّعُ شِيمَةَ المطبوع .

وحارَبنى فيه رَيْبُ الزمانِ كأنَّ الزمانَ له عاشقُ

فعلمت من مقدار الفِراق ما كنت جهلتُه ، ووجدت من شخصه ما كنت ضَلَلتُه .

وقد أظهر دمعى ما أضمرتُه ، وأبان من وَجْدى ما أخفيتُه .

عجباً لقلبى يوم رَاعَنِى النوى ودَنَا التفرّق كيف لا يتفطّرُ[1]

أكَفْكِفُ بالأكُفِّ الدموع ، وأحْنُو على نار الغضا الضلوع .

وقد جزِعتُ ساعة وَداعِه ، حتى خفتُ على تفطُّرِ كبدى بانصداعه .

وما خُلِق الفِراق ، إلا لتعذيب قلوب العشاق .

فتكلّمَ الحبُ عن[2] لسانى ، وبرّح الشوقُ بكِتْمانى .

لو كنتُ أعلمُ أنَّ آخرَ عهدِه يومُ الفِراقِ فعلتُ ما لم أفعلِ[3]

كأنَّ قائلَ ذلك كان حاضراً معنا ، أو كأنه قال ذلك لنا .

وقد انثنيتُ بجسمٍ ناحِلٍ ، أو بتُّ من صَبْرى على مَراحِلِ .

---

(١) في ا : « عجبا لقلبي حين راعني النوى » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ب ، ج : « على » ، والمثبت في : ا . (٣) البيت لجرير ، في ديوانه ٣ ٤ ٤ ، وفيه : « أن آخر عهدكم * يوم الرحيل .. » .

ما إن تركتُ وداعَه عن جَفْوةٍ ... لكن جزِعتُ لبَيْنِه وفراقِه[1]

وما خلوتُ ساعة مذ تفارقنا من نَفَسٍ تتقيَّد له الأضْلُع ، وذِكْرٍ تفيضُ له الأدمُع .

وتشكِّي الفِراق ، وتذكُّر أيام التَّلاق .

وسهَّل التوديعَ يوم النوى ... ما كان قد عوَّده الهجْرُ

فالنظر إلى عين الشمس[2] أسهل عليّ و[/2] أهْوَن على عيْني من أن أنظُرَ إلى ذلك الصَّدْر ، وقد خلاَ من ذلك البدْر .

كفى حزَنًا بالهائمِ الصَّبِّ أن يرى ... منازلَ مَن يهوَى مُعطَّلةً قفرَا[3]

ما أُعوِّل إلا على العَوِيل لو كان يُغْني ، ولا أستنصر غيرَ الوَجْد لو كان يُجْدِي .

والله سبحانه يقدِّر التلاق ، ويضم مشتاقًا إلى مُشتاق .

فكم من حبيبَيْن ، فرّق بينهما البين .

وأليفَيْن ، عادا بعد الفِراق للوصل حليفَيْن .

وقد يجمعُ الله الشتيتَيْن بَعْدما ... يظُنَّان كلَّ الظنِّ أن لا تلاقِيا[4]

⁂

(١) في ا : « من جفوة » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

(٣) ورد عجز هذا البيت في ا هكذا :

* منازلَ مَن يهوَى على غيرِ مايهوَى *

وفي ب : « منازل من يهواه معطلة قفرا » ، والمثبت في : ج .

(٤) البيت لمجنون بني عامر ، من قصيدته المؤنسة ، في تزيين الأسواق ٦٨ ، وهو غير منسوب ، في اللسان (ش ت ت) ٢/٤٨ .

وهنا أنهيت الكلام على هـذه الفِضْية . وختمت بهم عصابةً أحرزوا في مجال القصَبة .

وقد عَنَّ لى أن أذكر قصيدة جماعها جُبْهَةِ دمشق إكليلا ، ووصفتُ بها من محاسنها روضا أريضاً وظلاًّ ظليلا .

فلتـكُن مُنَوِّهة بمحاسن فضائل هـذا الجَمْع ، وخاتمة لأوصافهم التى هى آخرُ مايقرع السَّمع .

والقصيدة هى قولى :

سَقَى دمشقَ موطنَ الأوطارِ دمعى وصَوْبُ العارضِ الزَّخَّارِ

حتى يُرَوِّيَا بهـا كلَّ رُبىً تصوَّرتْ فى صُورةِ الأنوارِ [1]

يسافرُ الطَّرْفُ بهـا إلى مَدَى يُغْنِى بهـا الخُبْرُ عن الأخبارِ

وباكرتْ نَيْرَبَهـا نسيمةٌ عابقةٌ فى رَوْضِهِ المِعْطارِ [2]

من قبلِ أن تصدَّى بأنفاسِ الورَى بَلِيلةَ الأذيالِ فى الأسحارِ

فنبَّهتْ أطفالَ نبْتٍ نُوَّماً ترضعُ ثَدْىَ الدِّيمةِ المِعْطارِ

والرِّياضُ طِيبُ أنفاسٍ بهـا تُبدِى الثناءَ الجَمَّ للأمطارِ

يتلو خطيبُها بصوتٍ شاكرٍ مِدْحتَه فى منبرِ الأشجارِ

وينثُرُ الزَّهرَ فينظِمُ النَّدَى يُحسِنُ ذاكَ النظمِ والنِّثارِ

لَوَى القضيبُ ثم جِيداً غَنِمَتْ تقبيلَـه مباسمُ الأنوارِ

والمـاءُ فى خَرِيرِه مُنْهمِكٌ والطيرُ عاكفٌ على التَّهْدارِ

إن ردَّه اللحنُ أنشدتْ غصونُها تسمعُ منـه رنَّةَ الأوتارِ

---

(١) فى ب : « كل الربى » . والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) تقدم التعريف بالنيرب والنيربين ، فى الجزء الأول ، صفحة ٧٣ .

وربّما أنحتْ لتقرا أسطراً ... فى النهرِ خطّها النسيمُ السّارى

والنَّوْرُ قد فتّح عن أكمامه ... وفكّكَ الوردُ عن الأزرارِ

والرَّبوةُ الغنّاء حيّاها الصَّبا ... فنفحتْ عن جَوْنةِ العطّارِ

أُعيذُ بالسّبعِ المثانى دَوْحَها ... على احتواء السَّبْعةِ الأنهارِ

ودَيْرُ مُرّانَ القديم لا عدَتْ ... سُحْبُ الحيا ما فيه من آثارِ (١)

فيه حديثُ البَبَّغا وعهدُه ... حَلْيٌ لجيدِ سالفِ الأعْصارِ (٢)

والمَرْجةُ الفيْحاء والوادى الذى ... مَنْظرُه الباهى جلاءُ الأبْصارِ (٣)

معاهدٌ فيها النّدامى أغصُنٌ ... مُثْمرةٌ فواكهَ الأسمارِ

من كلِّ وضّاحِ الجبينِ مُسْفِرٍ ... عن طلعةٍ تهزأُ بالأقمارِ

فالنجمُ سارَ طالباً لقيتَه ... لذاك قد لُقِّبَ بالسيّارِ (٤)

وشابَ حُزْناً طرْفُه وما رأى ... شبيهَهُ فى الفلكِ الدّوّارِ

يعرَقُ وجهُ الكأسِ بالحبابِ إنْ ... فاهَ وخدُّ الرّوْضِ بالقُطارِ

مُنْتقِبٌ بالوردِ من خجلتِه ... جوداً ومُرْتدٍ حُلى الوقارِ

وكلُّ مختارِ المعانى حسنُه ... قيدُ النّهى وعقْلةُ الأفكارِ

تلميذُه هاروتُ يروى فنَّه ... عن لفظِه عن طَرْفِه السَّحّارِ

أهدتْ لى السُّقمَ عيونُه لذا ... وهبتُها النومَ عن اضطرارِ (٥)

خطَّ الجمالُ فوق طِرْسِ خدِّه ... سطراً برأسِ القلمِ الغُبارى (٦)

---

(١) تقدم التعريف بدير مران ، فى صفحة ٩٦ ، من هذا الجزء . (٢) تقدم ذكر حديث الببغاء ، فى المكان السابق . (٣) يذكر البدرى أن المرجة كانت عامرة آهلة ، وأنها من المحاسن التى لا تدرك . نزهة الأنام ٧٣ ، ٧٤ .

(٤) فى ب : « طالبا نفسه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) فى ب : «أهدت لى السقم عيونها إذا» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) قلم الغبارى : قلم ضئيل ، مولد من الرقع والنسخ ، مفتح العقد من غير ترويس ، وقد سمى بذلك لدقته ، لأن النظر يضعف عن رؤيته لدقته كما يضعف عن رؤية الشئ عند ثوران الغبار ، وتغطيته له .

وبالقلم الغبارى تكتب بطائق الحمام ، التى تحمل على أجنحتها فى ورق الطير .

صبح الأعشى ٣ / ١٢٨ .

أرَى على وَجْنتِـــــه دائرةً ⁂ حرّرها الجمـــالُ بالبركارِ [١]

فالخالُ فى كُرسيِّهـا قد استوى ⁂ كمركزٍ لذلك المدارِ [٢]

قد كاد موجُ رِدْفِهِ يُغـــرقُه ⁂ لولا اعتلاقُ الخصرِ بالزُّنّارِ

وكاد أن يسيـــلَ لولا أنه ⁂ جاذبه تشبُّثُ الإزارِ [٣]

أذكرُ عهـــدَه فمن تأوُّهى ⁂ فمُ الدجى مُحترقٌ بالنـــارِ

وإن تقاعَسْتُ لمـاضى عهـــدِه ⁂ فإنّ عُذرى سيدُ الأعـذارِ [٤]

ولى إلى الجامعِ شوقٌ واللهْ ⁂ لايفتُرُ الدهرَ عن التّذكارِ

للهِ أقوامٌ به أعزّةٌ ⁂ من خُلّصِ الأخيار والأبرارِ

فى جُنحِ ليلاتِهم أذكارُهم ⁂ تعرفُهـــا بلابلُ الأسحارِ

كم دعوةٍ فى المحْلِ أضحتْ لهمْ ⁂ تفرِى جفونَ السحْبِ باستعبارِ

فارقتُهم لاعن رضًى وإنمـا ⁂ عِنـــانُ عزْمى فى يد الأقدارِ

نَشوانُ خمرِ السُّهدِ طرْفى نومُه ⁂ أغرقه البـــكاءُ فى تيّارِ

وما بكائى غيرَ رشْحِ أدمعٍ ⁂ يُوقظ من نوْمتِه اصطبـارى

لعلّ مـــن لُطفِ الإله مددا ⁂ يوصِلنى بهم إلى ديارى [٥]

فأكسِبُ الفوزَ بفضْـلِ قُربِهمْ ⁂ فربّما يُجَرُّ بالجوارِ

لازال ريْحـانُ تحيّاتى لهمْ ⁂ يرِفُّ فى روضِ الثّنا المِعطارِ

واللطفُ مازال يُحيِّى أرضَهمْ ⁂ تحيـــةَ النسيمِ للأزهارِ

* * *

(١) فى ا : « حررها الجمال بالفرجار » ، والمثبت فى : ب ، ج . وفى شفاء الغليل ٤٦ : « بركار ، آلة معروفة لم يسمع فى شعر قديم ، والذى فى الجوهرى أنه فرجار ، بالفاء ، معرب بركار » .

(٢) فى الأصول : « فالعار فى كرسيها » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٣) فى ب ، ج : « لا أنه » ، والمثبت فى : ا ، وفى ب : « تثبت الإزار » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ج : « وإن تقاعست لماضى عهده » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) فى ب : « يوصلنى بهم إلى الديار » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وهذه فصول جمعتها لشعراء خِطّة الشام من وُجوه قُطّانها ، المُنيخين فى أعطانها ، المقيمين بأوطانها .

ابتدأتُ منها بأهل المسجد الأقصى ، وانتهيتُ إلى أهل حماة على الوجه المستقصى .

***

فصل

فى شعراء القُدْس

التى كانت قِبلة القِبَل ، وروضة الشرف التى أنبتتْ غصونَ الكرامة مثمرة بالقُبَل .

وناهيك بتربة عُجنت بماء الوَحْى ، وتوفّر لقصْدها[1] الوَخْد والوَحْى[2] .

وأهلها أصحابُ الذوات القدسيّة ، والبلاغة القُسّية .

والآراء السّديدة ، والنفوس الشّديدة .

عصابةٌ فى رءوسِ المجدِ إن ذُكِروا   يفُوح مسكُ ثناء البدوِ والحَضَرِ[3]
ليت المكارمَ لم تعشقْ شمائلَهمْ   فلِلْكمالِ رقيبٌ عائنُ النّظَرِ

---

(١) فى ا : « لقصده » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) الوخد : الإسراع ، والوحى : القصد .
(٣) فى ا : « فى نفوس المجد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فمن مشاهير بيوتها :

بيت العلي

سلسلته لا يستقل بذكرها قلم ، ولا يقطع علَمٌ من وصفها إلا ويبدو علَم .
ما منهم إلّا مَن شدّ مئزره للأمر ، وروى ظمأ الآمال بنائله الغَمْر .
عفُّ الإزار ، خفيفٌ من الأوزار .
ازدادتْ به قبيلُه وعشيرُه ، وظهرتْ فيه مخائلُ الرشد وتباشيرُه .
وأشهرهم :



٨٣

محمد بن عمر الصُّوفِيّ (*)

إن كان أسرتُه بين الورَى علَما ... فإنه علَمٌ فى ذلك العلَمِ

ملَاكُ التصرُّف فى التصوف ، وأبْدَعُ التفرُّع فى التعرُّف .

وطريقتُه فى القوم ، مُبرّأةٌ من المحْذور واللَّوْم .

تحَلَّى [1] فى إماطة الشُّبَه بالاتقاء ، وترقَّى فى ذِرْوة المعارف حدَّ الارْتقاء .

وهو على ودائع الأسرار مأمونٌ ثِقَة ، والقلوبُ كلها على جَلالتِه مُتَّفِقَة .

ففَمُه قُفْل إجابة ، ويدُه مفتاح إجابة .

وكلماتُه تدلُّ على تمكُّنه فى علم الأخْيار ، وتُعرِّف أن [2] نظَرَه بمرآة الخيال [3] مُجلاة من [4] غُبار الأغْيار .

* * *

ولم يبلغْنى من شعره إلا تائيَّة ابن حَبيب ، ومطلعها [5] :

بسم الإله ابْتدائى فى مُهمَّاتِى ... فذاك حِصْنِىَ فى كلِّ المُلِمَّاتِ

(*) محمد بن عمر بن محمد ، العلمى ، القدسى .

كان من أصلح صلحاء زمانه ، وأعرفهم بالله تعالى ، وللناس فيه اعتقاد كبير ، ويروون عنه كرامات مشهورة .

وكان فى أول أمره يسكن دمشق ، بخانقاه تقى الدين عمر الكردى ، ثم حج وجاور ، واستقر آخرا بالقدس .

وكانت وفاته سنة ثمان وثلاثين وألف ، ودفن بجبل الطور ، ظاهر القدس .

خلاصة الأثر ٤/٧٨ ، ٧٩ .

(١) فى ا : « تجلى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٣) فى ب : « الخيار » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « عن » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) يعنى تائيته فى السلوك ، التى افتتحها بقوله الآتى ، تبعا لابن حبيب فى تائيته ، وقد ذكر المحبى منها ستة أبيات ، فى خلاصة الأثر ٤/٧٩ .

بيت أبي اللطف

ثَنِيَّةُ العلم والفُتُوَّة ، وهضبة الحِلم والمُرُوَّة .

ما منهم إلا من حَذَا [1] برياسة ، وتروّى من نفاسة وكياسة .

وأضاء بدراً وشمسا ، وأفاض عشراً وخمسا :

ألطافُهم لا تزال سابغـــــةً سائغةً حُجِبتْ عن الرَّنْقِ
تطيبُ آثارُهم لأنَّهُمُ من طَيِّب العودِ طيِّب الوَرَقِ

* * *



(١) في ا : « حذى » ، والمثبت في : ب ، ج .

وأقربهم عهداً :

٨٤

على بن جار الله *

أحدُ أمجادهم ، ومتقلّد نجادِهم .

فاتَهم فضلا وكرما ، وأضحى لزُوّار المكارم مُناخا وحَرَما .

لا يرتجع وفدُ الآمال عن ساحتِه ، ولا يزول لَقَبُ النَّدى عن راحتِه .

وهو رئيس الحرَم ومُفتِيه ، ومُلتمَس الفضل ومُؤتيه .

وله القدرُ العلِيّ ، والفضل الجلِيّ ، وكلماتُه على صدور الغانيات من الحُلِيّ .

إلا أنه فسيحُ مَدى الافتنان ، ممدود حِبال الامتنان .

لم يزل في شِعاب الفَتّاك يتوغّل ، وفي طريق الانتهاك يتغلغَل .

وظفر آخراً ظَفْرةَ النِّظّام ، فتفرّقت آراؤه في أمور أعْيَت على الانتظام .

وكان أمير غَزّة ابن رِضْوان[1] ممن كثرت عليه عيونُه ، وساءت فيه ظُنونُه .

(*) على بن جار الله بن أبي بكر بن محمد ، ابن أبي اللطف ، القدسي ، الحنفي .

كان فاضلا ، محققا ، قوي الحافظة ، أديبا .

سافر إلى الروم مرارا ، وولي إفتاء الحنفية بالقدس ، وخطابة المسجد الأقصى .

توفي بغزة هاشم ، في سنة سبعين وألف ، قتله حاكمها الأمير حسين بن حسن ، قيل : عدوانا ، وقيل : ورد فيه أمر شريف بقتله ، وذلك لأمور منكرة كانت صدرت منه ، يرجع أكثرها إلى حب الدنيا والرئاسة .

خلاصة الأثر ٣/١٥١ ، ١٥٢ .

(١) حسين باشا بن حسن بن أحمد بن رضوان ، الغزي .

ولي إمارة غزة ، بعد وفاة أبيه ، سنة ثلاث وخمسين وألف .

وفي آخر عمره ، وشي به إلى السلطنة ، فسجن بقلعة دمشق ، وضبطت أمواله ، وأخذ إلى الباب العالي ، وقتل في سجنه هناك ، سنة ثلاث وسبعين وألف .

خلاصة الأثر ٢/٨٨ ، ٨٩ .

فاحْتال عليه ، في اسْتدنائه إليه .

حتى إذا حصَل على تلك الأغراض ، فتك فيه على غِرّة فَتْكة البَرّاض [١] .

وذهب كأمسِ الذّاهب ، والدهر هكذا واهِب ناهِب .

فالله يُسهِم له مع أهل الثواب ، ويلهِمُه عند السؤال الجواب .

***

وقد أثبتُّ له من أشعاره ماتودُّ الشمس سَناه ، والنسيمُ اللّدْن رِقّةَ معناه .

فمنه قوله ، من قصيدة مطلعها [٢] :

خليليَّ هذا الدهرُ دانتْ عجائبُه ... فطَمِّن فؤادا إن نَشِبْنَ مخالبُه [٣]

ولا تَعْتَبنْه إن تأخّر ذو حِجًا ... فذا الدهرُ لم يُحْرِز سِباقًا مُعاتِبُه

سكِرتُ بهذا الدهرِ لامن عُقارِه ... ولـكن لِما أبْدتْه عندي عجائبُه

فما مُحرِم الإنسان إلا عمومُه ... وما ذائِقوه السُّمَّ إلا أقاربُه [٤]

***

وهذا فيه إيماء إلى قول ابن العميد [٥] :

---

(١) هو البراض بن قيس الكنانى ، أحد فتاك العرب .

وكان من خبر فتكته ، أنه كان وهو فى حيه عيارا ، يجنى الجنايات على قومه ، فخلعه قومه وتبرأوا من صنعه ، فتنقل فى أحياء العرب ، وقدم على النعمان بن المنذر ، فعرض عليه النعمان أن يجيز لطيمته إلى عكاظ على حي قيس وكنانة ، فقال البراض أنا مجيزها على كنانة .

وكان عروة بن عتبة ، الذى يقال له الرحال حاضرا ، فقال للنعمان : أهذا العيار الخليع يكمل أن يجيز لطيمة الملك !

فدفعها إليـه النعمان ، فرحل عروة بها ، وتبع البراض أثره ، حتى إذا صار بين ظهرانى قومه وثب إليه البراض بسيفه ، فضربه ضربة خرمتها ، واستاق العير ، فصارت فتكته مثلا .

ثمار القلوب ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/١٥٢ . (٣) فى الأصول : « فطمن فؤادى » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر . (٤) فى ج : « فما يحرم الإنسان » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . وفى ا : «إلا عيونه» ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر. وفى ا : «وما ذائقوه السهم» ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) البيتان فى : التمثيل والمحاضرة ١٢٢ ، خاص الخاص ١٢٦ ، خلاصة الأثر ٢/١٥٢ ، وفيات الأعيان ٤/١٩٤ ، يتيمة الدهر ٣/١٨٣ ، ١٨٤ .

آحِ ارجانَ مــــن الأبا عــدِ والأقاربَ لا تُقارِبْ
إنَّ الأقاربَ كالعقــــا ربِ بل أضرُّ من العقاربْ

وفى المثل : ظلم الأقارب أشدُّ مَضَضا من وَقْع السيف .

وقيل : إنما أخْشَى سَيْل تَلْعَتِي .

والتَّلْعة : مَسِيل الوادى ، من السَّنَد [1] إلى بطن الوادى .

ومعنى المثل ، إنما أخاف شرَّ أقاربى [2] ، [3] ويضرب به مَن يخاف أن يُؤتَى من مأمَنِه ، ومن جهة خاصَّته وأقربائه .

وأما قولهم فى مثل آخر : ما أقْوم بسَيْل تَلْعتِك .

فمعناه : ما أطيق هِجاك وشَتْمك الذى تشتمنى به ، ولا أثبُت له [3] .

ولبعضهم :

جانِبْ إذا أرشدت أهْلَ القُدسِ من أباعــــدِ تودّ أو أقاربِ
فالقُـــــدسُ طَشتُ ذهبٍ لكنه ممتلىء يقال بالعقاربِ

* * *

وله من قصيدة مستهلها :

عِدْ فمضْناكَ يُعادْ وابْقَ فالفانِى يُبادْ
وتلافَى مُهجةً أتْ لفَها منك البِعادْ
وأبْقِ أحْشاءً لها منك جُرحٌ وضِمادْ
أوْ فعوِّضْنِىَ طَيْـ فاً منك قد أعْيَى السُّهادْ
مِحْنتى فيك وهِجْرا نُك قَدْحٌ وزِنادْ

---

(١) فى خلاصة الأثر : ٢ : ١٥٢ : « النجد » . والسند : ما قابلك من الجبل ، وعلا عن السفح .

(٢) فى ا : « أقربائى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) هذا كله ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

قاتِلى والقتلُ لى ... فى جَدَدِ الحُبِّ مُرادْ (1)

كلُّ صَبٍّ لا يَرى الـ ... ـهُتْكَ تعدُّهُ الرَّشادْ

كدَّرَ العشقُ لنا ... من صفاءٍ وصِفادْ

سَلْوتى عزَّتْ فهل ... شَيْءٌ عزيزٌ لا يُرادْ

صادَنى لَحْظُكَ يا ... أهْيَفُ والأُسْدُ تُصادْ

كنتُ قبلَ العشقِ لا ... يَجْذِبُ آمالى عِنادْ

مُمْتَطٍ صَبوةَ أوْ ... راحٍ والدهرُ انقيادْ

لفظَتْنى شَفَةُ الدَّ ... هرِ تخافَتْنى البلادْ

وكذا مما يَمضُغُ الأ ... بخرُ تعفوه الجيادْ

سامَنى الدهرُ فمآ ... لىَ عكسٌ واطِّرادْ

يمنعُنى وَصلاً إذْ ... غَمى ومثلى لا يُكادْ

لا تضِقْ ياقلبُ فالإعـ ... ـسارُ لليُسرى نِجادْ

وتَرَى الصبرَ لأيـ ... ـسنَ بالفحالِ حِدادْ

إنْ تبرَّأنى فِناءُ الأ ... حزانِ يثنى فى الوِهادْ (2)

لىَ من قومى وقوْ ... لى ركنُ عزٍّ واعتمادْ

نحنُ آلَ الأعلافِ أوْ ... لادُ أسْوِرَةٍ شِدادْ (3)

حَلْيُنا اليقظةُ إذْ ما الـ ... غيرُ حَلْياهُ الرُّقادْ (4)

---

(1) جَدَد : الأرض الغليظة المستوية .

(2) فى ا ، ج : « يتبنانى الوهاد » ، والمثبت فى : ب .

(3) فى ا : « أساوات شداد » ، وفى ج : « وسادات شداد » ، والمثبت فى : ب .

(4) ورد البيت فى ب هكذا :

حليُنا اليقظةُ إذْ ما ... حليةُ الغيرِ رُقادْ

والمثبت فى : ا ، ج .

كلَّ عصرٍ حضرةُ القدْ　سِ لنـا منهـا عمـادْ

شيخُنا الفـاروق فى قرْ　طاسِ إنْشـاها المـدادْ

عمـرُ الليث إذا صاَ　لَ وإن طال جَـوادْ

هادىء الخلْق إذا ما　عن طريق الحقِّ حادْ [1]

كعبةُ الطـائفِ والرَّا　جى وللعافِين زادْ [2]

مـن نُشورِ غيثُ نُعـ　ماهُ وناديه مَعـادْ

جمرةُ الـكونِ ولـكن　ليس يعلوها رَمادْ [3]

وأخـو المجدِ أبو اللطْ　فِ سَما الحمدِ المُـرادْ

مُدرِكُ الغـاية إن آ　يسَ فى السبقِ الجوادْ [4]

***

وله (٥ من أخرى ٥) يمتدح بها [5] الأمير حسين ، أمير غزَّة :

احْفظ فؤادَك يا مُقـيـدى　نارُ الهوى تمتـار جدَّا

هـذا سهامُك فى الحشا　حمرا شواكلُهـا ومَردا [6]

إن شئتَهـا أبدَيتَها　من مُقلتى دمعاً وسُهدا

نعَم اهْتزازُ قوامِك الـ　معْسولِ لا يختـار ردَّا

فاعمِـلْه فى حركاتِه　إن رمتَ أن لا تُبقِ فردا

أمُعذِّبى بئس الهـوى　إن لم يـكن قرباً وبُعدا

فامنَحْ فـؤادىَ نظرةً　إن شئت للتعذيب مَـدَّا

---

(١) فى ب : « عن طريق الحد حاد » ، والمثبت فى : ا ، ج .　(٢) فى ا : « والرا * جى وإن طال جواد » ، والمثبت فى : ب ، ج .　(٣) فى ب : « ليس يعلوه رماد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ج : « مدرك الغايات إن » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .　(٦) فى ج : « جرد شواكلها » ، والمثبت فى : ا ، ب .

نِعْمَ الشهادةُ مُنجِدًا ... لو سوَّغتْ للوصلِ شُهدا

لو أن فعلَك للزما ... نِ ردَدْتَه كلأً ووِرْدا

فلكمْ أتى بمبرِّحٍ ... منه اصطباري كان سَدَّا

ولكم أبان مخالبًا ... خَلَّيْنَ للأهدابِ نِدَّا

يا جاعلاً أحداقَنا ... قُرطًا ومِنطقةً وغِمدا

شخَصتْ لناظِرك المُكحَّـ ... ـلِ أنفُسٌ صيدًا وأُسْدا(١)

في موقفٍ يدعُ النفو ... سَ ذوائبًا والدمعَ جَعْدا

ويقسِّم الأكبادَ حسْبَ الْـ ... ـوَصفِ سوسانًا ووردا(٢)

فكأنَّ سيفَ حسينَ يُو ... ضِحُ للورى حدًّا وحدَّا(٣)

ويُرِى لكلِّ منابذٍ ... إفرِنْدَه بالرَّقْمِ خدَّا

فكأنما إدريسُ أوْ ... دعَ فيه ما أخفى وأبدى

بطلٌ يُسير لُهاه ... نفعًا وللمُجْدين رِفْدا

السابقُ الشُّمَّ الأنو ... فَ أبًا وأبناءً وجَدَّا(٤)

حامي قِبابِ المجد ما ... بذلوا لها شرفًا ومجدا

أمظلِّلَ الأبطالِ عِقْـ ... ـبانًا وكاسِيَ الفقرِ وُجْدا(٥)

أيسرتَ غُرَّةَ غُرَّةٍ ... ومنحتَها للفخرِ عِقْدا

حتَّى سبَتْ بنظامِها ... عجمًا وأترا كا وهندا

---

(١) في ب : « شخصت لناظري » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « ويقسم الأكباد حب الأ* نفس . . » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) في ا : « يوضح الورد جدا وحدا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ا : « السابق الشيم » ، والمثبت في : ب ، ج . (٥) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج ، وفي ب : « عق * بتا وكاس الفقر » ، والمثبت في : ج .

تِيهاً أعَزَّهْ إنَّمــــا أزْباكَ عِزٌّ ليس يَصْدَا

***

وله من أخرى ، أولها[1] :

مِن دياجِى البعد هــال لقرب وَمْضُ ... أم بِمِضْمارِ التهــانى ثَمَّ رَكْضُ

لا أُمَــنِّى النفس ما لى والْمُنى ... عاقَـــنِى من أدْهُمِ الأيام رَكْضُ

كان تَسْآلى مُخِــلاً بالعَطــا ... يومَ لا نَأْىٌ دنا والعيشُ غَضُّ

يومَ كان الشُّرْبُ سَمْــا وأنا ... بِنُبْلٍ ثم سَمــا والكلُّ أرضُ

صاحِ عاطِينى ولا تســأَلْ لما ... جَفْنُ كأسِى وجفونى لا تُغَضُّ

إن تقــلْ جُرحُ زمانى كاتمٌ ... منهمُ فى القلب جُرْحٌ لا يُمَضُّ

عَلِق القلبُ بلَحْـــظٍ إنْ رَنا ... قاتلٌ أو كَفَّ ظَنَّ الكفَّ غَمْضُ[2]

مَن مُجِيرِى من هوى مَن لَيْثُه ... فى عَرين القلب زَفْراتٌ ورَبْضُ[3]

كنت لا أعرفُ تمزيقَ الكرى ... فرأى كيف غَضْبَ الجفن يفضُو

ورأى طُغْيــانَ قلبى فرَنا ... لِيُرِيه شُهُبَ الطاغِى تُقَضُّ[4]

فتناسيْتُ بــأمْعٍ بَرْقِه ... مذ بدا لى منه بَسْطٌ ثم قَبْضُ

قال لى والصَّحْــو ما خَمْرَه ... واستملَّ قَدَّه طولٌ وعرضُ[5]

---

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣ / ١٥١ .

(٢) رفع « غمض » لضرورة القافية .

(٣) فى خلاصة الأثر :

من مجيرى من هوى من ليثه ... فى عرين القلب قرّات وربضُ

(٤) فى ا : « وأرى طعان قلبى . . . شهب الطاق » ، وفى ب : « وأرى طغيان قلبى » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر . (٥) عجز هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

هـــل تخمّرتْ بنُور طُرَّتى   أم جفون الشّعر دَانَاهُنّ غُمْضُ(١)

قالتُ شَيْبِى مِنْ سعيرِ مُهْجَتى   أبْرَزَتْه زفراتُ القلب ومْضُ(٢)

أو سِنانٌ طاعِنٌ قابَ الصَّفَا   أو شهابٌ إذ خَتْمِ العيشِ فَضُّ(٣)

ودموعى ماء قلبى نــــارُه   أخرجتْها من قُرُوحِ الجَفْنِ بَضُّ(٤)

قال لى والغصنُ يثْنيه الهـــــوى   قد أتى من سائل الأجْفان عَرْضُ(٥)

فارْجِـعِ الدمــــعَ لتطفِئ نارَه   حيث لى فى منزل الأشواقِ عَرْضُ

حِلْيــــةُ العاشق قربٌ وقِلَى   أىُّ وجـدٍ لفؤادٍ لا يُرَضُّ(٦)

* * *

قلت : هذا شعر مقدارُه خطير ، إلا أنه فَطِير .



(١) فى ب : «هل تخمرت» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى ا : « أنهاهن غمض » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٢) فى ج : « قال شيبى . . . زفرات القلب رمض » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (٣) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفيها : « أو ختم العين فض » . (٤) بض يبض : سال قليلا قليلا . (٥) فى ب : « من وابل الأجفان » ، وفى خلاصة الأثر : « من سائر الأجفان » ، والمثبت فى : ا ، ج .

والعرض هنا : الغزير من الدمع .

(٦) يعنى بقوله : « لا يرض » لا يؤثر فيه الوجد ، من الرض ، وهو الدق والجرش .

٨٥

حافظ الدين العَجَمِى *

فارسُ مَجال ، وربُّ رَوِيّة وارْتِجال .

تُؤخذ الفصاحةُ عن لفظه ، وتُسْتملَى فنونُ البلاغة من (١) حفظه .

وله حظٌّ من الأدب عظيم ، واختصاص بنَثِير ونَظِيم .

إلا أن شعرَه أملُ الكثرة ، وهى كما عرفت متواخِيةٌ مع العَثْرة .

وكان نَبَا به فى حَداثته وطنُه ، وضاق ببعض الحوادث عَطَنُه .

فطار كلَّ (٢) مَطار ، ولم يُعرِّج على أوطانٍ وأوطار .

ومع أنه يُراقبه من الجلالة حافظ ، وهو له فى كلِّ شؤونه مُطالع مُلاحظ .

كان كَلِفًا بالغِلمان ، مُغْرًى بهم فى كل الزمان .

وعشق بدمشق فتًى (٣) اتخذه للخدمة ، وهام به هَيمان ذى الرُّمَّة (٤) .

(*) حافظ الدين محمد بن جمال الدين أحمد العجمى ، القدسى ، الحنفى ، القاضى .

أديب فاضل ، كثير الإحاطة باللغة

قرأ وحصل ببلده ، وتفوق فسافر إلى الروم مرارا ، ولازم شيخ الإسلام محمد بن سعد الدين .

كانت له الرحلة إلى مصر ، وولى القضاء بها فى أماكن عدة ، ثم عاد إلى الشام ، وأعطى قضاء طرابلس الشام ، ثم سافر إلى دار الخلافة ، سنة أربع وأربعين وألف ، وولى القضاء ببوسنه وصوفيه .

وقد اشتغل بالإفتاء ، والتدريس بالمدرسة العثمانية بالقدس ، حين عاد إليها من مصر .

توفى سنة خمس وخمسين وألف .

خلاصة الأثر ٣/٤١٢ ـ ٤١٤ .

(١) فى ا : « عن » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ب بعد هذا زيادة على ما فى ا ، ج : « يوم » . (٣) ذكر المحبى فى الخلاصة ٣/٤١٢ أنه كان يدعى بخنداش . (٤) غيلان بن عقبة ، شاعر أموى ، عشق مى المنقرية ، واشتهر بها .

توفى سنة سبع عشرة ومائة .

تزيين الأسواق ٧٨ ، شرح المقامات للشريشى ٣/٤٠ ، الشعر والشعراء ١/٥٢٤ ، وفيات الأعيان ٣/١٨٤ .

وتحمَّل فيه أنواع المشاق ، وشهد حتى مصارعَ العشاق .

وشرب بالفتى ، ولم يقل السُّلوُّ متى .

وكان قد فضح النهارُ ليلَه ، وأقْعم [1] الهرَمُ فى لهاته سَيْلَه .

فمضَغَتْه أفواهُ التشْنيع ، وعضَّتْه أضراسُ النَّدامة على هذا الصَّنيع [2] .

ثم خرج عنه الفتى مُجانبا ، وخَلَّاه هو وكمده جانبا .

واتّفق له أنه كان فى جمعٍ من الأعيان ، مُمّن يضيق عن وصف تيقُّظهم نِطاقُ البيـان .

إذ سقط الفتى سقوطَ النَّدى ، وحالَ حلولَ الأمل فى ذلك المُنتدى .

فلم يتمالك الشيخ أن وقع مَغْشيًّا عليه ، وفمُه على ظاهر قدمَيه .

فاغتنم تلك الفرصة ، وأطْفأ بتقْبيلهما تلك [3] الغُصَّة .

والفتى يُظهِر امتناعَه ، والحياء حطَّ عليه قِناعه .

حتى زايَل مكانَ زَلَّة القدم ، هنالك قرَع الشيخ سِنَّ الندم .

وشرع يطلب العفو ، وينسُب ماوقع منه إلى الغَفْو .

ثم لم يقَرَّ به القَرار ، دون أن عزم على الفَرار .

وخرج إلى الروم حاملَ أثْقال ، وهو [4] بريدُ ترَحُّل [4] وانتقال .

وانتهى أمرُه إلى أن صار قاضياً بصُوفيه ، وبها انتقل من ظلِّ العافية ، إلى ظل الرحمة الوافرة الوافية .

* * *

---

(١) فى ج : « وأقحم » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ب : « المضيع » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٤) فى الأصول : « يريد ترحل » ، ولعل الصواب ما أثبتـه .

وقد أثبتُ من شعره ماله فى إصابة شاكلة الصواب اشتهار ، فإنه إن [1] كان حاطبَ ليل فأنا فى انتخاب أحاسنه [2] قاطفُ نهار .

فمن ذلك قوله :

رأى ماحـــلّ من فَرْط التَّهابى ... ومن مَيْل الجفون إلى انتهابى
فمال إلى انعطاف العِطْف نحوى ... وأحْيَى القلب من رَشْف الرُّضاب [3]
وقام لنشر بُرْدِ الوصل يطوى ... بأيدى اللُّطف أرْدِيَةَ العتابِ
غزالٌ كالغزالة قــد غزانى ... بأجفانٍ أصابتْ كلَّ صابِ
صَبا قلبى إليــــه فكلُّ صَبٍّ ... سليمُ الطبع مأسورُ التَّصابى
جرحتُ بنظرتى خــدَّيْه وَهْماً ... فقابلنى بأنواع العقـــــاب
أرى تعذيبَه للقلبِ عَـــذْباً ... لأشْقَى من مَراشفِه العِذاب [4]
متى حسَر النِّقابَ عن المحيَّا ... سَبَى العقلا وشِيْبِي فى النِّقابِ [5]
بكأسِ الثغرِ منـــه عِقْدُ دُرٍّ ... تكلّل مثلَ حبَّات الحَبابِ
إذا أتبعتُه فى المشْيِ طَرْفى ... فلا أدْرِى الضلالَ من الصواب
أدار على صباحِ الجِيــد شعراً ... كلَيْلٍ جلَّ حسناً عن خِضابِ [6]
وسَيَّبه على الأرْدافِ يسْعَى ... كأفعى فى الْتِفاتٍ وانْسيابِ
قسا قلبا ولـكن لان عِطْفا ... أما هـــذا من العجَب العُجابِ
قضى بالقتْــــلِ للعشّاق قطعاً ... بحُـكْمٍ منه قَطْعِىِّ الجوابِ [7]

---

(١) فى ا : « وإن » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « إحسانه » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) فى ب : « إلى انعطاف الوطف » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ا : «لأشقى من مراشفه» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) ورد عجز البيت فى ا هكذا :

* سبَى العقلاء فى سَبْىِ النقابِ *

والمثبت فى : ب ، ج .
(٦) فى ا : « حــل حسنا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٧) فى ا : « للعشاق عمرا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وذلك حين أدْمَوْا منـــه خَدًّا بنَظْرتِهم له خلفَ الحجابِ
ولم يُقِمِ الشهادةَ حالَ قتْلٍ لكىْ يحتاج فيهـــا النِّصابِ
يُصيب إذا رمى فى القلبِ سهما وكم بالجَفْن منه مِن مُصابِ
قد اسْتَلَبَ النُّهَى باللطفِ منّى وبالَغ فى فُنون الإسْتلابِ
فنارُ القلب منّى فى التهابٍ وطَرْفى الصَّبُّ منـه فى انْصبابِ

* * *

وقوله فى الغزل :

أيامَن يُحيِّى الحسنَ منـــه بدورُ وقد جذبتْه للخُدورِ بدورُ
أراك تجُوز الحىَّ بالقلب خائفاً رقيباً ومِن شأن المحبِّ يَزورُ (١)
أمالَكَ أن تَدْنِى العِنـــانَ لحىِّ من يُزار فمحبوبُ القـــلوبِ مَزُورُ
فكن مُصْغِياً سمعـــا فإن لسانَه يقول لأرْباب المحبَّـــةِ زُورُوا
إذا زرتَ أحْياء الأحبَّـــه زُرْهُمُ وإلّا فدَعْواكَ المحبَّـــةَ زُورُ

* * *

وقوله :

وأهْيَفٍ زارنى والليــــلُ مُعتكِرٌ فأشْرقتْ من سَنا لألائه دورُ
قالت عقاربُ صُدْغَيْه ندُور على لَسْعِ الحشا قلتُ ها كُنّ الحشا دُورُوا

* * *

وهذا فى باب التَّورية مُستظرَف .

ومثله قولُ بعضهم (٢) :

هَوِيتُ غصناً لأطْيـــارِ القلوب على قَوامِـه فى رياض الوجـدِ تغْرِيدُ (٣)

---

(١) فى ب : « تجوز الحى والقلب خائفا » ، وفى ا : « تجوز الحى بالقلب خائفا » ، والمثبت فى : ج .

(٢) بعد هذا فى ب زيادة على ما فى : ا ، ج : « والبيت الثانى لابن حجة » .   (٣) فى ا : « فى رياض المجد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

قالتْ لواحظُـــــه إنا نَسُودُ على   بِيضِ الظُّبا قلتُ أنتم أعينٌ سُودُوا (١)

***

وقوله من قصيدة ، مطلعها :

هو الوجدُ في روضِ القلوبِ منازلُهْ   يترجمُ عنه أينَ حَـــلَّ مُنازِلُهْ

وأينَ خَـلِيُّ السرِّ من عارفِ الهـوى   فَذَا عالمٌ فيــه وذلك جاهلُهْ

ولولا الهوى ما مالَ قلبٌ إلى الهوى   ولا غرّدتْ من فوقِ غصنٍ بلابلُهْ (٢)

فهل حافظٌ فيه حـديثًا مُعَنْعَنًا   يُسائلني عنــه وعنه أسائلُهْ (٣)

فمالي وللأطلالِ لا طالَ ظِلُّهـا   أُناشدُها عمَّن ترُوح رواحلُهْ (٤)

ومالي وذِكْرِي للتشبيبِ سَفاهةً   وقد فعــلَ التَّشْبيبُ ماهو فاعلُهْ

ومالي وللبيــداء أقطعُ مَتْنَها   على ظهرِ يَعْبُوبٍ تناءتْ مَراحلُهْ (٥)

ومالي ورَسْمِ الدارِ والرسمُ قد عفَا   وماذا عسى يومًا يُجابُ مُسائلُهْ

ومالي ووصفِ الشيبِ لابانَ صُبْحُه   ولا ظهرتْ في العارضَيْنِ مَخائلُهْ

ولا انفكَّ طِرْفُ اللهوِ يجري على الصِّبا   بمِضمارِ شوقٍ لا تـكِلُّ جحافلُهْ (٦)

ولا قصُرتْ يومًا خُطاه ولا انثنتْ   قوائمُه في السَّبْقِ عمَّا يُحاولُهْ

ولا زِلْتُ في ليـلِ الشَّبيبةِ والصِّبا   تُضيءُ عليــنا بالسرورِ مَشاعلُهْ

ولا عُطِّلتْ أوقاتُ صَفْوٍ ولا خلَتْ   من الأُنسِ ساحاتُ الهوى ومنازلُهْ (٧)

وما زالَ غصنُ العمرِ بالعزِّ مُورِقًا   ومَنْشؤُه صافِي المَناهــلِ آهلُهْ

---

(١) سودوا : من السيادة ، و « سود » ، من السواد . (٢) في ب : « ما مال قلبي إلى الهوى » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في الأصول : « حديثا معنفا » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٤) في ج : « ومالي وللأطلال » ، والمثبت في : ا ، ب ، وفي ا : « لا طال ظلها » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٥) اليعبوب : الفرس السريع الطويل . (٦) في ب : « لا تنثني جحافله » ، وفي ج : « لا تكن جحافله » ، والمثبت في : ا . (٧) في ا : « عن الأنس » ، والمثبت في : ب ، ج ، وفي ب : « ساعات الهوى » ، والمثبت في : ا ، ج .

ولا برحت فى الدهر مرآةُ عيشِنا ... صقيلةَ وجهٍ لا تراه نوازِلُه [١]

ولا هجرتْ ذاتُ السِّوارِ مُتيَّماً ... يقابلُها يوم اللقا وتقابِلُه

ولا صدَّ خالى العارضَيْن ولا ثنَى ... ولا مالَ عنِّى مائلُ القدِّ مائلُهْ

غزالٌ متى ما رُمْتُ أفْهِمُه الجوى ... يغازلنى من جَفْنِه وأغازِلُهْ

منها [٢] :

عواملُه فى القلبِ قَدٌّ وحاجبٌ ... وجَفْنٌ وكم فى الخلقِ صالتْ عوامِلُهْ [٣]

فذاك رُمْحٌ والحواجبُ قوسُه ... وذلك سيفٌ قد حمَتْه حمائلُهْ [٤]

به صِرْتُ أوْهَى من خيالٍ إذا سَرَى ... لذلك جسمى زائدُ السُّقْمِ ناحِلُهْ

* * *

ورأى بدار الخلافة سِرْبا من الظِّباء الغِيد ، قد اعتلَوْا النَّواعير فى أيام العيد .

فدارت تلك الأفلاك ، بهاتيك النجوم الممثَّلة بالأمْلاك .

فقال يصفهم :

ماشاهدتْ مُقلتى فى غُرْبتى حسَنَاً ... إلَّا بُدورا بدارِ الرُّومِ قد سُلِبُوا

كأنَّ ناعورةً دارتْ بهم طَرَبَاً ... قلبى فيهم كيف ماشاءوا به انقلبُوا

* * *

وقال أيضا :

ويومِ عيدٍ كساه الأُنسُ حُلَّتَهُ ... كم من جميلٍ به فى صُورةِ المَلَكِ

بُدورُ تِمٍّ بأفْقِ الحسنِ قد طلَعوا ... فزال ما كان فى الأكْوانِ من حَلَكِ [٥]

---

(١) فى ب : « ولا برحت بالعمر » ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى ا : « لاتراه منازله » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب . (٣) فى ب : « وكم فى القلب صالت عوامله » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « والحواجب قيسه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وفى ج : « بأفق الأنس » .

كأنهم في نَواعيرٍ تدُورُ بهم نُجومُ أُفْقِ السَّما في دَارَةِ الفَلَكِ

***

ووقفتُ على « ديوان » جمعه لنفسه ، وكتب على ظهره من نظمه ، قولَه :

ستفنى الليالي واللآلِي بحالِهـــا وماهي إلا النظمُ من حافظ الوُدِّ [1]

فإن عشتُ أنْشَتُ الزمانَ وإن أمُتْ فلي شاهدٌ بالنظمِ والنثرِ من بعـدِي



(١) في ا : « من طالب الود » ، والمثبت في : ب ، ج .

٨٦

مَرْعِيّ بن يوسف الـكَرْمِيّ *

مُقدَّم في العلوم الشرعية ، غيرُ متأخِّر في العلوم الأدبيَّة المَرْعِية .

فهو من الفضل في مُنتهاه ، ومن الأدب في محل سُهاه .

وله جَودة إتقان ، وتمسُّك بالهُدى وإيقان .

مع زهد يحُول [1] بين القلوب ولَذّاتها ، وتبتُّل لا يرغَب في العبادة إلا لِذاتها .

نقِيٌّ مما يُصْدِئ مرآة نُهاه ، فما صَبا لطَبْي ولا اعْتلق بمَهاة .

يَهِيم في صلاح وسَداد ، إذا هامت الشعراء في كلّ واد .

وهو أوحدُ من ألَّف وصنَّف ، وأعظم من قرَّظ وشنَّف .

* * *

وله أشعار ومنشَآت جلاَ [2] أُفُقَها ، وجلَّى طُرَفَها وطُرُقَها ، وأطْلَع من تحت غصون الأقلام كالرياض ورقَها .

(*) مرعى بن يوسف بن أبي بكر الكرمي المقدسي .

الإمام ، المحدث ، الفقيه ، أحد أكابر علماء الحنابلة .

أخذ عن محمد المرداوي ، والقاضي يحيى الحجاوي .

ودخل مصر ، وتوطنها ، فأخذ بها عن الإمام محمد حجازي الواعظ ، وأحمد الغنيمي ، وكثير من المشايخ المصريين .

وتصدر للإقراء والتدريس بالجامع الأزهر ، وتولى المشيخة بجامع السلطان حسن .

وانقطع الكرمي إلى العلم ، فظل ملازما للإفتاء ، والتدريس ، والتحقيق والتصنيف طيلة حياته .

وقد ذكر له المحبي كثرة كاثرة من المصنفات ، منها في فقه الحنابلة : « غاية المنتهى » ، و « دليل الطالب » .

توفي بمصر ، سنة ثلاث وثلاثين وألف .

خلاصة الأثر ٤/٣٥٨ ـ ٣٦١ ، وانظر الأعلام ٨/٨٨ .

(١) في ب : « يجول » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « حلا » ، والمثبت في : ا ، ج .

فمن شعره قوله :

لمـــــا رأيْتك مقبلاً متبسّما   والحسنُ عمّك والبَها والسُّؤدَدُ

والمِسكُ خالُكَ فاحَ عطراً نَشْرُه   والوردُ خـــدُّك جمرُه يتوقّدُ

قلت ارْتجالا بيتَ شعرٍ مفرداً   أنت المرادُ وفى المحاسنِ مُفْرَدُ[(١)]

ياواحـــداً فى حُسْنِه وجمالِه   إنّى وحقّك فى هواكَ مُوحّـدُ

***

وقوله :

أيامَن حَــلا لى ثغرُه ورحيقه   رُوَيْدَكَ إن القلبَ زاد حريقُهُ

ويامن تجــــلّى بالدّلالِ ومَلّنى   ومن لَحْظِه سَيْف يلوح بريقُهُ[(٢)]

ويامن حَكاه الغصنُ وهْو وَريقُه   وورْدٌ وشُهــد وَجْنَتاه وريقُهُ

تُعلِّق آمالى بذاكَ وتَنثنى   وهل يَنْثنى عمّن يحبُّ مَشُوقُهُ

وصيّرتَ لى ذنبًا ولم ألْفِ مُذنِباً   وحَمّلْتنى بالهجرِ مالا أُطِيقُهُ

صبرتُ ومُرّ الصبرِ فَتّتَ مُهجتى   وإن كنتَ فى شكٍّ فسَلْ من يذوقُهُ

***

وقوله :

مُذ غاب عن عينى وأعرض عامداً   مَن كنت أهواه تغـــيّر حالِى

وأتى العـــذولُ مُوبِّخاً ومعاتِباً   مامَن يُقاسِى مثلَ من هو خالِى

***

ومن أمثالهم فى هذا الباب :

الراكبُ لا يعرف حال الماشى .

(١) فى ب : « بيت شعر مفرد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ب : «ويا من تجنى بالدلال» ، وهى رواية حسنة ، والمثبت فى : ا ، ج .

والشبعان يفَتُّ للجوعان فتًّا بطِيًّا .

مَن نام لا يشعُر بشَجْو[1] الأرِق .

* * *

وله[2] :

بِرُوحِي مَن لى فى لِقاه وَلائِمُ ... وكم فى هواه لى عذولٌ ولائِمُ

على وَجْنتَيْه وَرْدتان وخالُه ... كمسكٍ لطيفِ الوصف والثغرُ باسمُ

ذوائبُه ليلٌ وطلعةُ وجهِه ... نهارٌ تبدَّى والثنايا كمائِمُ[3]

بديعُ التثنِّى مرسِلٌ فوق خدِّه ... عِذاراً هوى العُذْرِى لديه مُلازِمُ[4]

ومِن عَجَبٍ أنِّى حفظتُ وِدادَه ... وذلك عندى فى المحبةِ لازِمُ

وبَيْنِى وبين الوصل منه تبايُنٌ ... وبينى وبين الفصْل منه تلازُمُ

* * *

وله[5] :

ليت فى الدهر لو حظِيتُ بيومٍ ... فيه أخلو من الهوى والغرامِ

خالِىَ القلبِ من تَبارِيحِ وجدٍ ... وصدودٍ وحرقةٍ وهيامِ

كى يُراحَ الفؤادُ من طولِ شوقٍ ... قد سَقاه الهوى بكأسِ الحِمامِ

* * *

---

(١) فى ا : « بشجون » ، وفى ب : « بحال » ، والمثبت فى : ج . (٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٤/٣٦٠ ، ٣٦١ . (٣) فى خلاصة الأثر : « والثنايا بواسم » . (٤) فى الأصول : « عذار هوى » ، والمثبت فى خلاصة الأثر . وفى ا : « هوى العذرا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٣٦١ .

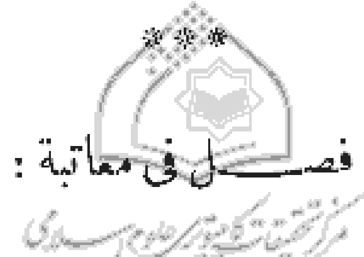
﴿ ومن مُنشَـآته ﴾

فصـــــل فى مُعاتبةٍ بتصديق الوُشاة :

المولى يعلم أن الواشىَ لا يخلو من أحد أمرين ؛ إمَّا أن يكون محبا ودوداً ، أو عدوًّا حسودا .

فإن كان الأول فيستحيل أن يقصِد المحبُّ[1] لحبيبه ضَرَرا ، ويحمِّله من الإثمِ وِزْرا .

وإن كان الثانى فمعلوم أنه يجتهد فى أذِيَّته بكل طريق ، ويحرِص أن يُغْرِىَ عليه كلَّ عدو وصديق .



فصـــــل فى معاتبة :

الصديقُ لفظ على الألسنة موجود ، ومعناه فى الحقيقة مفقود .

فهو كالكِبْرِيت الأحمر ، يُذكَر ولا يُبصَر .

أو كالعنْقاء والغُول ، لفظ يُوجَد بلا مَدْلول .

وما أحسن قول القائل :

صادُ الصديق وكافُ الكيمياء معاً   لا يُوجَدان فدَعْ عن نفسِك الطَّمَعا

وقول الآخر :

لمـــــا رأيتُ بنى الزمانِ وما بهم   خِلٌّ وَفِىٌّ للصـــــداقةِ أصْطفى

أيقنتُ أن المستحيـــــلَ ثلاثةٌ   الغُول والعنْقاء والخِـــــلُّ الوَفِى

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

وسئل بعض الحكماء عن الصديق فقال : اسم لامعنى له .

وهذه شيم غالب أبناء هذا الزمان ، من الأخلاء والإخوان [١] .

فمثلهم كمثل العرض لا يبقى زمانين ، ويستحيل فى أسرع من طرفة عين .

أو كلمع السراب ، المستحيل فيه الشراب .

أو كالخيال الذى يبدو فى المنام ، وهو فى الحقيقة أضغاث أحلام .

ومن كان بهذه الصفة ، فلا ينبغى الوثوق به ، ولا التأسف [٢] على فقده ، ولا التألم على فرقته ، ولا الحزن على غيبته .

* * *

فصـــــل فى تهنئة بفتح :

بعد تهنئة بتأييد عزائمه ، وسفك دماء العدى على ألسنة صوارمه .

ظهرت فى سماء السعد مطالعه ، وشرفت أقلام سطرت بها وقائعه .

فهو الفتح ، الذى قضى على دم العدى بالسفك ودموعهم بالسفح ، وتلت لديه آيات التهانى [٣] : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ .

وسيوفه وإن كانت باكية دماً فمواضيها بهذا الفتح ضاحكة ، وجنوده [٤] منصورة كيف لا ! ومن أنصاره الملائكة .

* * *

فصـــــل فى الحث على المواعيد :

مثله من يتبع قوله بفعله ، ويأنف من [٥] تكرير عداته بمطله .

---

(١) فى ب : « والخلان » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) فى ب بعد هذا زيادة عن ما فى ا ، ج : « عليه و » .   (٣) سورة النصر ١ .   (٤) فى ب : « وجيوشه » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

فإن مرارة المَطْل تذهب حلاوة الإعطا ، وتكرير الطلب يشرب ماء الحيا .

والمرجوّ تحقيق رجاء العبد [١] بالإنجاز ، وتبليغه ما أمّله وأمّ له إنْ جاز .

* * *

فصل فى شكوى حال غريب :

وينْهى أن غَيْن الغُربة قد أوقعتْه فى هاء الهواء ، وكافَ الكُربة رمتْه فى ألف الأشجان .

وأصبح صادُ صبره مفقودا ، ونون نَوالِه مطرودا .

فعسى لَحْظَةٌ منك تخلّصه من غَيْن غوائل الدهر ، وتُنقِذه من قاف القهرْ .

* * *



فصـــل فى مخاطبة محدّث :

سلامٌ يتّصل به سَنَدُ المحبّة والشوق ، ويتسلسل معه حديثُ الغرام والتّوْق .

وقد صحّت من الضَّعف آثارُه ، وحسُنت من طريق [٢] المحبّة أخبارُه .

من عَنْعِنتْ [٣] بالسَّنَد العالى [٤] أحاديثُ كمالِه ، من غير إبْهام ولا انقطاع ولا إنكار لمسانيد فضلِه وأفضاله .

* * *

فصـــل فى مخاطبة مَنْطِقىّ :

سلامٌ تنْطبق كُلّيّاته وجزئيّاته على قضايا الأشواق ، وتُنْتِجُ [٥] مَقاماتُه من

---

(١) فى ا : «الصبر» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : «طرائق» ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : «تعنعنت» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ا بعد هذا زيادة على ما فى ب ، ج : «من» .

(٥) فى ا : «وتبهج» ، وفى ب : «وتنتج» ، والمثبت فى : ج .

الأشكال مايعجز عن وصف خاصّة الرّسْم والحدّ من الاشتياق .

***

فصـــــل في مخاطبة نحوى

سـلام تبرُز ضمائر الشوق من « تَوْضيح » « مسالِك » معانِيـه ، وتظهَر عواملُ الغرام من مُعْرَبات مَبانيه .

يُهْـديه مُحبٌّ انتصبَتْ محبته على التّمييز ، وارتفعت مودّتُه بماضِي عهدكم لأنه يرى أن العهدَ عزيز .

محبٌّ مُبتدأُ أحواله لايُعرب عنه الخبر ، وأفعالُ أشواقِه لا يحْـكيها إلّا من له [1] خبر .



---

(١) في ب : « عنده » ، والمثبت في : ا ، ج .

٨٧

بَشِير الخَلِيلِيّ *

أديب بلُطْف الطبع مذكور ، وفضلُه غيرُ مجْحود ولا منكور .

له ذهن يكشِف الغامض ، ويسبِق البارِق والوامِض .

ومذهبُه ينشرُه (١) الأدب ويبسُطه ، وطبعه يمرح به الزَّهْوُ ويُنْشِطه .

أقرَّ عينَ الخليلِ (٢) بالعَرُوض ، واتَّخذ نَقْد القريض في (٣ ذِمَّته من الفروض ٣) .

وهو ممن (٤ نُظِمت كلماتُه نَظْم اللآلِ ٤) ، إلا أنه غرَّتْه مطامعُه في المدائح غِرَّة الآل .

يتكثَّر من العِدَة ، ويتقلَّل من الجِدَة .

فما أخْصب له وادٍ ولا نما ، فكأنَّه العَروض بَحْرٌ بلا ما .

* * *

وأنا لم أقِف من شعره إلا على قصيدة لاميَّة ، راجع بها الإمام خيرَ الدين الرَّمْلِي (٥) عن قصيدة على وَزْنِها .

مطلعها (٦) :

(*) بشير بن محمد الخليلي ، القدسي .

أحد من تفرد بالشعر والأدب في القدس .

توفي سنة ستين وألف .

خلاصة الأثر ١/٤٥٢ ، ٤٥٣ .

(١) في ا : « ينشر » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٢) يعني الخليل بن أحمد الفراهيدي ، مخترع علم العروض ومقننه .

(٣) في ا : « ذمة الفروض » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٤) في ا : « ممن نظم اللآلى » ، وفي ج : « ممن نظم كلماته نظم اللآلى » ، والمثبت في : ب .

(٥) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج

وخير الدين الرملي ، هو صاحب الترجمة التالية .

(٦) مطلع قصيدة خير الدين ، وقصيدة الخليلي في الرد عليها ، في خلاصة الأثر ١/٤٥٢ ، ٤٥٣ .

ما كان مَرْمَى فؤادى حيث هُيِّئَ لِى فيه البناء بهندٍ بعـــد مُرْتَحَلِى (١)

وقصيدته هى قوله :

صَوْبٌ من الغيث وافَى زائدَ الهَطَلِ أحْيَى رُبَى القُدس بعد الجَدْب والمَحَلِ (٢)

أم شمسُ فضلٍ ترقَّتْ فى مطالعِهــــا أَوْجَ الفَخارِ فحلَّتْ ذِروةَ الحَمَـلِ

أم بدرُ أُفقِ المعالى قد تنقَّـــــلَ فى بُرُوجِه وكمالُ البـدر فى التَّنَقُّـــلِ

لا بل هو الجامعُ العَرْفَ الذى ملكتْ أوصافُه الغُرُّ رَحْبَ السهلِ والجبلِ

أراد ربُّك فى تحريـــكِه حِـكَماً وربَّمــــا صحَّت الأجسامُ بالعِلَلِ

فزيَّن المسجدَ الأقصى بحِلْيتــــه وشَوَّه الرَّمـــلةَ الرَّمْلاء بالعَطَلِ

فاهتزَّ من طَرَبٍ هـــذا لِزَوْرتِه وارتجَّ من حَرَبٍ هـذا لمُرْتَحَلِ (٣)

فكم على الساحل البَحْرِيّ من حَزَنٍ وكم على المسجد القُدسِيّ من جَذَلِ (٤)

وكيف لا وهو خيرٌ إن أقام على أرضٍ تسامتْ وإن يرحَلْ فلا تَسَلِ

تجمَّعتْ فيـــه أوصافُ الكمال كما تجمَّعت قِسمةُ التَّفْصيلِ والجُمَـلِ (٥)

أحْيَى الدُّروسَ وقد أحْيَى الدُّروسَ بها وجد وابلُها الظمآنَ بالنَّهَلِ (٦)

معالمٌ لو رأى الرَّازِى حقائقَهـــا لَبات بالرِّىِّ يشكو أبْرَحَ الغُلَلِ (٧)

بجُودِ كفٍّ لو الطائىُّ شاهــــدَه لقــال لا ناقتى فيها ولا جمـــــلِى

---

(١) فى ب : « ما كان مرمى فؤادى حيثما هى لى » ، والمثبت فى ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى خلاصة الأثر : « عند الجدب والمحل » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « واهتز من طرب هذا لزائره » .

(٤) ورد البيت فى خلاصة الأثر هكذا :

وكم على المسجدِ القدسىِّ من فرحٍ وكم على الساحل البحرى من خَبَلِ

(٥) فى خلاصة الأثر : « قسم التفصيل فى الجمل » . (٦) فى ب : « وجاد وابلها الظمآن بالمطل » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٧) يعنى بالرازى ، الإمام فخر الدين محمد بن عمر ، والرى ، بالكسر : ضد العطش ، وبالفتح : قصبة بلاد الجبال .

وفى خلاصة الأثر : « يشكو برح الغلل » .

ومنطقٍ يترُكُ الألبـــابَ حائرةً ... والـكاملَ العقلِ مثلَ الشاربِ الثَّملِ (١)

كم أنْشَدتْ لذوِي الفتوى براعتُه ... أصالةُ الرأيِ صانتْني عن الخَطَلِ (٢)

قلَّدت جِيدَ أهــالى القدسِ عِقْدَ ثَنَا ... من دُرِّ ألفاظِك الخالى عن الخَلَلِ

قصيدةً مالهــــا مِثْلٌ يُناظِرُها ... سارتْ بلاغتُها فى الـكونِ كالمَثَلِ

لو أنْصفُوا لم يكن موجودُهم بَدَلاً ... عنها وهل ليتيمِ الدُّرِّ من بَدَلِ

مِن أعجبِ الأمرِ تقريظِى لهـا هَذَراً ... ولو سترتْ عوارِى كان أصلحَ لِى (٣)

فما نِظامىَ لَمَّا أن يُقاس بهـا ... إلا نظـيرُ قياسِ الشمسِ مَعْ زُحَلِ

لكنْ رأيتُ انتظارى مع قُصورِ يدِى ... فى سِلْكِ مَدْحِـكُمُ عفْواً من الزَّلَلِ

فرُمْتُه فأتَى يسعَى على عَجَـــلٍ ... فاعجَبْ له من بَسيطٍ جاء فى رَمَلِ

ولَذَّ لى وصفُكَ الزَّاهِى فأذْهــلنِى ... عن البَداهةِ بالتَّشْبيبِ والغزَلِ (٤)

أنا البشيرُ وكلٌّ اسمٌ لصاحبِه ... منه نصيبٌ بِنُجْحِ القَصْدِ والأملِ (٥)

فدُمْ فما زلتَ نوراً يُستضاءُ به ... إلى الهدى وبعوْنِ اللهِ لم تزَلِ

تحْمِى حِمَى مِلَّةِ الإسلامِ أشرفَ مَن ... نال الفَخارَ من الأمْلاكِ والرُّسُلِ (٦)

صلَّى عليه إلٰهِى دائمـــاً أبداً ... والآلِ والصحبِ أهلِ العلمِ والعملِ

ما أنْشدت فاسْتمالتْ عقلَ صاحبِها ... ما كان مَرْمَى فؤادِى حيثُ هِيَ لِى (٧)

---

(١) فى خلاصة الأثر : « يترك الألباب ذاهلة » .

(٢) فى ا : « لذوى القضا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

وعجز هذا البيت افتتاحية لامية الطغرائى ، التى يقال لها لامية العجم .

(٣) فى ا : « تقريض لها هذرا » ، وفى ب : « تقريضى لها هذرا » ، وفى ج : « تقريضى لها هذرا » ، وفى خلاصة الأثر : « تعريضى لها هذرا » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٤) فى خلاصة الأثر : « وصفك الزاكى » ، وفى ا : « من البداهة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) فى ب : « فكل اسم لصاحبها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) فى خلاصة الأثر : « تحمى حمى ملة المختار » ، وسياق البيت يؤيد هذه الرواية . (٧) رواية ب أيضا كما جاء فى أول القصيدة : « ما كان مرمى فؤادى حيثما هى لى » .

وفى خلاصة الأثر : « فاستمالت قلب سامعها » .

أدباء الرملة

٨٨

خير الدين بن أحمد الحنفى *

بقيةُ السلف ، وخيرُ الخلَف .

ذاتُه كاسْمه ، والفضل كلُّه برَسْمه .

(*) سقط اسم المترجم ، والعنوان قبله « أدباء الرملة » من : ج ، وهما فى : ا ، ب .

وهو :

خير الدين بن أحمد بن على الأيوبى ، العليمى ، الفاروقى ، الرملى ، الحنفى .

ولد سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ، بالرملة .

وبها نشأ ، وقرأ القرآن ، ثم جوده على موسى بن حسن اللبى الشافعى الرملى ، كما قرأ عليه شيئا فى فقه الشافعية .

ورحل إلى مصر ، سنة سبع بعد الألف ، والتحق بالجامع الأزهر ، فلازم به عبدالله بن محمد النحريرى الحنفى ، وأخذ عن محمد بن محمد الحانوتى سراج الدين ، وأجازه ، وقرأ على محمد بن بنت الشلبى ، وأبى النجا سالم السنهورى ، وعبد الرحمن اليمنى ، وأبى بكر الشنوانى ، وسليمان بن عبد الدائم البابلى ، وإبراهيم اللقانى .

ثم قدم إلى بلدته الرملة ، سنة ثلاث عشرة وألف ، وأقام بها يفتى ، ويدرس ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وكان يأكل من كسب يده ، من كروم غرسها ، وعقارات بناها ، ولم يتعرض من الجهات والأوقاف لشىء .

ولخير الدين مؤلفات كثيرة نافعة ، أكثرها فى فقه الحنفية ؛ منها : « فتاويه » ، و « حواشيه على منح الغفار » ، و « حواشيه على شرح العينى للكنز » ، وله « ديوان » جمله على حروف المعجم .

توفى سنة إحدى وثمانين وألف .

خلاصة الأثر ٢/١٣٤ – ١٣٩ .

وقد ضبط المحبى فى الخلاصة أنسابه ، فقال : « والعليمى ، بضم العين المهملة وفتح اللام وسكون الياء وكسر الميم ، هذه النسبة إلى سيدى على بن عليم ، الولى المشهور .

والفاروقى ، نسبة إلى الفاروق ، أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ؛ فإنه صح نسبة ابن عليم إليه .

والأيوبى ، نسبة إلى بعض أجداده ، دون ابن عليم » .

وعلمُه كلمةُ إجماع ، ومدحُه عطر أفْواه وحَلْىُ أسماع .

فهو فى الفقه عالمُ الشرع ، ومحرِّر الأصل والفرع .

وعلمٌ[1] الشُّهرة المنْشور ، إلى يوم البَعْث والنُّشور .

وأما فى الفرائض فله السهم والنَّصيب ، وإذا اقتُسِمت فريضةُ[2] الشكر فله الحظُّ والتَّعْصيب .

إلى علوم غيرها أخذ جُلّ[3] خيرِها ، وسار فيها سِيرةً اقتدَى الجهابذةُ بسَيْرِها .

فهو من منذ حلَّ فى الكون ، مَدَدُه التوفيق والعَوْن .

رمَقتْه عينُ العناية ، فدلت عليه كلمةُ الفضل بالصَّريح والكناية .

فسمتْ هِمَمُه ، وكَرُمت ذِمَمُه ، وانتعشتْ به من الفضل رِمَمُه .

وشغْله علمٌ يفيده ، وفخرٌ يشيده .

ورياسة يتفيَّأ وارفها ، وطهارة يلتحف مطارفَها .

إلى وَقار ترزُن به الأرض ، ومقدار له النافلةُ من الحظوة والفرْض .

فطار صِيتُه فى الأقطار ، وتغنَّى به راكبُ الفلْك وحادى القِطار .

وصُرِفت[4] الأعِنَّةُ إلى الْتماس خيره ، وطارت القلوب بجَناح العزيمة تيمُّنًا بطَيْره .

وكان على اعْتنائه بعلوم الشريعة ، واختصاصِه منها بالمرتبة الرفيعة .

يُعنَى بالآداب فيُصيِّرها[5] رَوْنقًا متَّسِقا ، وينْظِم لآلى نِكاتِها فى أسْلاك الإجادة نَسَقا .

---

(١) فى ب : « وعلم » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « جلها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ا : «وصرف» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ا : «فيعيرها» ، والمثبت فى : ب ، ج .

ويقول الشعر فى المرتبة العالية ، ولا يختار من الثناء إلا القيم الغالية .

***

وقد أوقفنى صاحبنا إبراهيم بن عبد العزيز الجينينى[١] على « ديوان » نظمه ، جرَّدت منه أشياء خطَّها الإصابة ونصيبها ، وسهم الانتقاد لا يُصيبها .

فمن مُطوَّلاتها قوله فى الغزل[٢] :

أمِن ذِكْرِ جارٍ بذات السَّلَمْ	أرقْتَ دموعاً جرت كالدِّيَمْ
وأم هاجتِ الرِّيحُ من جانبٍ	به شـادنٌ أهيفٌ قد أَلَمّ
أتحسَب أن الهوى مختفٍ	ودمعُك منه جرى وانسجَمْ[٣]
عجبتُ لخصرٍ له ناحِـلٍ	على حَمْل رِدْفَيْه أنّى التَأَمْ
إذا ما رَنا باهـتزازٍ فقد	رَبا عنده هَيَجـانُ الألمْ
فلا عجبٌ إن نأى مُعرِضاً	لأن الظِّبا لم تزلْ فيه [illegible]
وأُدْعَى فصيحاً لدى عاشقٍ	وأُدْعَى لديه بداء البَكَمْ[٤]
ترفّق بقلبٍ غـدا فى يديْكَ	رقيقاً وفوّق بتلك الشِّيَمْ

---

(١) هكذا جاء اسمه فى النفحة « إبراهيم بن عبد العزيز » ، وفى خلاصة الأثر ١٣٥/٢ : « إبراهيم ابن سليمان » ، ويؤيده ما فى سلك الدرر ١/٧-٩ ، فقد ترجم المرادى بهذا الاسم .

وهو إبراهيم بن سليمان بن محمد الجينينى ، الحنفى ، نزيل دمشق .

ولد فى حدود الأربعين بعد الألف ، وأخذ عن شيخه خير الدين هذا ، ولازمه . وكتب الأسئلة الفقهية له ، وهو الذى رتب فتاويه .

ورحل إبراهيم إلى مصر ، فأخذ عن علمائها ، كما أخذ عن علماء دمشق .

وله بعض رسائل تاريخية ، كما أكمل تاريخ ابن عزم .

توفى الجينينى سنة ثمان ومائة وألف ، بدمشق ، ودفن بتربة باب الصغير .

والجينينى ، نسبة إلى جينين ، بلدة من بلاد حارثة ، من أراضى الشام ، مولده بها ، حسب سلك الدرر ١/٨ .

وفى معجم البلدان ١٨٠/٢ : « جينين : بلدة حسنة بين نابلس وبيسان ، من أرض الأردن ، بها عيون ومياه » .

(٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ١٣٥/٢ .

(٣) انسجم الدمع : [illegible] .

(٤) فى خلاصة الأثر : « لدى عترتى » .

وضاهيْتُ خَصْرًا له ناحلاً ... ولازَمَنى فى هواه السَّقَمْ

فذُبْ يا فؤادى بنارِ الجوَى ... فكم ذا نهيْتُك عن ذا فلَمْ[1]

أما آن أن ينْقضى ذا القِلَى ... وما آن منك أوَانُ الكرَمْ

***

وكتب إليه بَشِير الخليلى[2] ، يسأله عن بيْتيْن للمتنبِّى ، بقوله :

أيا مَن غـدا فى البَرايا فريدا ... وفى العلم رُكْنا مَنِيعاً مَشِيدا[3]

ومَن صار قُسُّ الذَّكا باقِلاً ... لديْه وأضحى لَبيدٌ بَليدا

يقول أبو الطيِّب المُجتبَى ... وأعنى الإمامَ المَجيدَ المُجيدَا

طلَبْنا رِضاه بتَرْك الذى ... رَضِينا له فترَكْنا السجودَا[4]

ومنها له آخر بعده ... وجدْناه صعبا لدينا عَنِيدَا

كأن نَوالَكَ بعضُ القضاء ... فما نُعْطَ منه نَجِدْه جُدودَا[5]

فأوضِح لنا وجه معناهما ... بَقِيتَ على الدهر صَدْرا مُفِيدَا

ولا زلتَ تُوضِح لمُشكِلاتِ ... ما نظَم الناظمون القَصِيدَا

***

فأجابه بقوله :

رِضاهُ السجودَ لممدوحِـه ... وممدوحُه ليس يرضَى السجودَا

ومعنى السجودِ الخضوعُ كما ... أتَى لغـةً مستفيضا وُرودَا

فمِن حُسْنِ أخلاقِ ممدوحِه ... خضوعَ الأنام له أن يُرِيدَا

---

(١) فى خلاصة الأثر : « فكم قد نهيتك » .

(٢) صاحب الترجمة السابقة .

(٣) فى ا : « ركنا منيفا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) ديوان أبى الطيب ١٢٣ ، من قصيدة له يمدح بها بدر ابن عمار بن إسماعيل الأسدى .

(٥) ديوانه أيضا ١٢٤ ، وروايته : « فما تعط منه » .

وعِزُّ مَقـــــام له مقتضٍ ... يكون الخضوعُ وجوبا أكيدَا[1]

ولـكن أرى تركَه للرِّضـــا ... به لابذاك صوابا ســـديدَا

وبيتُ النوالِ جـديرٌ بأن ... تميل إليـــه فؤادا وفودَا

فمعْنى الْجدود الْحظوظ التى ... تسىء نحوتا ويعنى السُّعودَا

فمـــا يُعْطَ ليس بحقٍّ له ... ولـكن يراه اعتقادًا جُدودَا

وإن القضاء لـكل الورى ... على مقتضَى تلك فضلا وجُودَا

وقبـــل العطاء بلا مُوجِب ... هو الفضلُ إن تبْغِ منه الورُودَا

فشابَهَ نفسَ القضا فمـــاله ... وهــذا بليغٌ فخذْه مُفيدَا

* * *

وله من قصيدة مدح بها مفتى الروم يحيى بن زكريا[2] :

أفَيحيَى لِمَن الخطابُ تَنبُّهِى ... وتنبَّهِى فى القول لاتتبلَّهِى

هو للذى الأكبادُ تضربُ نحوه ... من كل فجٍّ تنْتهى إذ تنْتهِى

وبه استوى صُنْبُ الشريعة قائما ... فى كلِّ إقليمٍ وصُقْعٍ فهْىَ هِىَ[3]

مهلاً رُويدًا رائدَ الروم اتَّئِدْ ... وبِهِ بِهِ لك إذْ تراه بِهِ بِهِ

واحملْ ثنائى إنَّ وَهْنِى عاقنِى ... عن أن أكون أبا المَضا بتوجُّهِى

مع أننى مع ذاك لاأدعُ الذى ... يُرْضِى الإلَهَ وفيه عينُ تفكُّهِى

فحديثه المَرْوِىُّ فيه وإن نأى ... ما أكْتفِى ماأشْتفِى ماأشْتهِى[4]

* * *

(١) فى ا ، ج : «وعن مقام» ، والمثبت فى : ب . (٢) تأتى ترجمته فى الباب الثالث ، برقم ٤١٠ .

(٣) فى ب ، ج : « فى كل إقليم وصقع فهو هى » ، ولا يستقيم مع الشرح الآتى . والمثبت فى : ا .

(٤) فى ا : « ما اكتفى ما أنثنى ما أشتهى » ، وفى ب : « ما أكتفى ما أشتفى ما أنتهى » ، والمثبت فى : ج .

قوله : « فهى هى » ، أى عينُ الشريعة .

وهذا الأسلوب ؛ إما يختلف فيه الضمير فيرجع[1] الثانى إلى المذكور سابقا كما هنا ، وإما أن يُعاد بعينه .

قال الشَّرِيشىّ[2] : الأسباط إخوة يوسف عليه السلام ، وهم هم .

أي ، وهم أنبياءلم يتغيّروا عن مراتبهم .

ويقال : « هو هو » أى كما عهدتَه لم يتغيّر . انتهى .

وقوله : « فحديثه » إلخ . فى هذا البيت أسلوب لطيف ، وهو أن تذكر لفظاً بعده ألفاظ يتعلّق كلٌّ منها به ، مع اختلاف المعنى ، فالتقدير[3] فيه : ما أكتفى فيه ، ماأشتفى[4] فيه ، ما أشتهى فيه ، وهو من البدائع[5] .

والأصل فيه قول الصاحب ابن مَطْروح[6] :

لا أرْعَوِى لا أنثنى لا أنتهى عن حبّه فلْيَهْذِ فيه من هَذَى[7]

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) فى شرحه على المقامات ٢ / ١٢٠ ، معلقا وشارحا قول الحريرى :

قد باعتِ الأسْباطُ قبْ لى يوسفا وهمُ همُ

(٣) فى ب : « والتقدير » ، وفى ج : « فالعذر » ، والمثبت فى : ا . (٤) فى ا : « أنثنى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ب : « البديع » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٦) جمال الدين يحيى بن عيسى المصرى ، ابن مطروح .
شاعر ، كان ناظر الخزانة بمصر أيام الصالح أيوب .
توفى بمصر ، سنة تسع وأربعين وستمائة .
شذرات الذهب ٥ / ٢٤٧ ، النجوم الزاهرة ٧ / ٢٧ — ٢٩ .
والبيت فى ديوانه ٢٠٤ .

(٧) رواية الديوان :

لا أنتهِى لا أرعوِى عن حبّه لا أنثنِى فلْيهذِ فيه مَن هَذَى

ومن مقتطعاته قوله فى تشبيه الزَّنبق الذى يوجد فى ساحل البحر الشامىّ ، ونُوّارُه أبيض ، قطعة واحدة ليس متفرقا[1] :

وزَنبقةٍ قد أشبهتْ كأسَ فضةٍ　　برأسِ قضيبٍ من زُمُرُّدةٍ عَجَبْ
سُداسِىُّ شكلٍ كلُّ زاويةٍ به　　على رأسِها الأعلى هلالٌ من الذهب[2]

* * *

وقوله متغزلا فى الخال[3] :

بالخدِّ منه شَقِيقٌ جلَّ واضِعُهُ　　أعْيَى الورى فيه شاماتٌ بحُمْرتِهِ[4]
أقولُ هذا ولا عِىٌّ ولا عجَبٌ　　قلبُ الشَّقيق الذى فى وسْط وَجْنته

* * *

هذا معنى استعمله الشعراء كثيرا ، ومن أجوده قول الحاجِرىّ[5] :

لاتُنكروا الخالَ الذى فى خدِّه　　كلُّ الشَّقيق بنُقطةٍ سوداء

* * *

وقوله فى العذار[6] :

عندما جَدَّ بالحبيبِ عِذارٌ　　أظهرتْ لأمّه لفتكِ البَرِيّه

---

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/١٣٤ .　(٢) فى ا ، ج : « هلال من ذهب » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .　(٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/١٣٤ ، وذكر المحبى هناك أنه ذكره فى مجموعته التى سماها بـ « مطالب الأدب وغاية الأرب » .　(٤) فى ا : « جل خالقه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) حسام الدين عيسى بن سنجر بن بهرام الحاجرى .
أكثر من ذكر حاجر فى شعره ، فنسب إليها .
يتميز شعره بالرقة ، وجمال المعانى .
قتل بإربل ، سنة اثنتين وثلاثين وستمائة .
وفيات الأعيان ٣/١٦٩ .
والبيت ليس فى ديوانه المطبوع

(٦) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/١٣٥ .

قالتِ الناسُ عند ذلك فيه ... قمرٌ تلك لأمِّه القمريّة[1]

* * *

وله[2] :

مُهَفْهفُ القدِّ مذ كَوانِي ... بحُمْرةِ الخدِّ منه في الحَيّ[3]

فقلتُ بي أنت داوِنِي قا ... ل آخرُ الطبِّ عندنا الكَيّ[4]

* * *

وقوله[5] :

مَن شاركَ الإنسانَ في اسمِهِ ... فحقُّه قطعاً عليه وَجَبْ

لذاكَ مَن سُمِّيَ مِن خلقِه ... محمداً فاز بهذا السَّبَبْ

* * *

ولقد أجاد الأبُوصِيرِيّ[6] ، حيث قال :

فإنَّ لي ذِمَّةً منه بتسْميتِي ... محمَّداً وهْوأوْفَى الخلقِ بالذِّمَمِ[7]

* * *

وسمع قولَ القائل :

مُحِبُّكَ يرعَى هواكَ فهلْ ... تعود ليالٍ بضدِّ الأمَلْ

فمَنْقُوطها قد بدا نحْسُه ... ومُهمَلُها فهو سعدٌ حصَلْ

---

(١) في ا : « لامه قريه » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) خلاصة الأثر ٢/٢٣٥ . (٣) في ب : «بجمرة الخد» ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) في ب : « داوني قفا * ل ... » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٥) البيتان في خلاصة الأثر ٢/١٣٤ . (٦) أبو عبدالله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري المصري .
الشاعر المشهور ، عرف بالبردة والهمزية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .
توفي سنة ست وتسعين وستمائة .
فوات الوفيات ٢/٤١٢ ، الوافي بالوفيات ٣/١٠٥ .

(٧) في ب : « وإن لي » ، والمثبت في : ا ، ج .

فقال منشئاً :

من الشهرِ حاذِرْ ثالثاً ثم خامساً وثالثَ عَشْرٍ ثم سادسَ عَشْرِهِ
كذا واحدٌ من بعد عشرين رابعٌ يليها وتاليه تنَلْ مَحْضَ يُسْرِهِ

* * *

وكتب إلى آل[1] العماد بدمشق ، فى صدر رسالة :

أيا مَن عَجَّ من لَغَبٍ فلم تظهرْ له نيَّةْ
نصَحْتُك فاعتمِدْ أبداً مُراجعةَ العِمادِيَّةْ

فراجَعوه بقولهم :

أمولاىَ خيرَ الدين ياشيخَ عصرِنا ومَن فيه لا زلتَ الزمانَ اعتمادُنَا[2]
فأنت عمادُ الدين بالحقِّ قائماً فشاد إلٰهى مِن دُعاكَ عِمادَنا

فكتب إليهم :

ياربِّ خيرُ الدين يدعو ضارعاً متذلِّلاً لك خاضعاً متواضعاً
بِصفا فؤادٍ للعمادِ وآلِهِ فهمُ الكرام سوابقاً وتوابعاً

فكتبوا إليه :

سألت إلٰهى خاضعاً متواضعاً ولا شكَّ مَن يدعوه يلْقاه سامعاً
بقاءك خيرَ الدين للناسِ عُمدةً ومكثَك يامولاىَ فى الأرض نافعاً[3]

* * *

وفيهم يقول أيضا :

يامَنْ همُ أعمِدَةٌ كلُّ عمادٍ وحدَهْ

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « لازال الزمان » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى ب : « ومثلك يامولاى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

إن نزلتْ نائبــةٌ   بنا قصــدْنا قصْــدَهُ

***

والجيقيني[1] المذكور ، هو ببركاته[2] اعْتدّ ، وبأسباب فوائده اشتد .
فتقلّد به من الأدب ماتقلّد ، وبقِيَ له مادام ذكرُه وتخلّد .
وهو الآن غُرّة الزمن البهيم ، تــكلّف الألبابُ بخِصاله الحميدة وتهيم .
كما قلت فيه :

لابن عبــــد العزيز إبراهيمَا   خُصَلٌ كم بِهِنّ أبرا هِيمَا[3]
أدبٌ يُخجِل الرياضَ ولفظٌ   هِمْتُ فيه وحُقّ لى أن أهيمَا
وكمالٌ يهفو له كل فهمٍ   طَبْع منه يطلب التّفهيمَا
رأيُه الصبحُ والصباحُ إذا لا   ح جَلا بالضّياء ليلاً بهيمَا[4]

---

(١) انظر ما تقدم فى صفحة ٢٥٦ ، وخلاصة الأثر ٢/٢٣٥ . (٢) فى ا : « ببركته » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) هكذا ذكر أن أباه عبد العزيز ، وانظر ما تقدم فى صفحة ٢٥٦ .
وخصل : جمع خصلة ، بالضم ، وهو يريد جمع خصلة بالفتح .
وأبراهيما كلمتان : « أبرا » ، و « هيما » جمع الهائم .
(٤) سقط « الصباح » من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

٨٩

نجم الدين بن خير الدين

هو من حين نَجَمَ ، تهلَّل عارِضُهُ وانْسَجَم .

ولم يَرْضَ بالأرض دارا ، فاتَّخذ مافوق فلك [١] الأفلاكِ مَدارا .

حتى النجومُ غدَت تقول تعجُّباً   جاوزْتَنا شرفاً فأين تُرِيدُ

فأجابهنَّ أُمِرتُ أن أرْقَى العُلى   مادام لى فى الارتقاء مَزِيدُ

حتى تَرَيْنى والسماءُ قواعِدِى   والشمسُ أرضٌ لى وأنتِ صَعِيدُ

أطْلعه الله الطلوعَ المُطَهَّر ، وألبسَه أثوابَ النباهة العلم [٢] المشهَّر .

فقام على مَيْعةِ شبابِهِ مقامَ أبيه فى حَوْزَته ، ورَازَ [٣] الأمرَ بتوْفيقِ الله مثلَ رَوْزَته .

وبَنَى مثلَ مابَنَى ، ومالَوَى يداً عن مَكرُمةٍ ولا ثَنَى .

تلافَى أبوه العُلَى بالعُلى   فبثَّ نَداه ووالَى جَداهْ

فلمَّا مضى وقضَى نَحْبَه   تلافَى تَلافِى المَعالِى أباهْ

وكان [٤] بينى وبينه مودة على الغيب ، مأمونة بعَوْن الله من الشَّائبة والرَّيْب .

وكنت لا أفكر فى مُستحسَن سواه إلا أعرضْتُ دونه ، ولا أرجو لقاء غائبٍ إلا رجَوْتُ أن يكونَه .

---

(١) فى ا : « ذلك » والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) فى ا : « العلم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ب : « ورزا » ، وفى ج : « ودان » ، والمثبت فى : ا .

وراز الأمر : أقام عليه وأصلحه .

(٤) فى ب : « وكانت » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فلما مرَرْتُ على الرَّمْلة عند رحلتي إلى القاهرة، كان أوّلَ طالعٍ عليّ من آفاقِها الزاهرة.

فَفاتَحْتُه بهذين البيتين:

لقد كنتَ في قلبي ولم يحصلِ اللِّقا ... وأنت به أحْلَى من المَبسمِ العَذْبِ

فقرّتْ بحمدِ الله عيني بنظرةٍ ... فلم أرَ أحْلَى منك في العينِ والقلبِ

وكان في صُحبته أمين الدين[1] القُدْسِيّ وأبو الهدى الرَّمْليّ، وهُما ماهِا، جاد صَوْبُ فضلِهما وهمَى.

وبينه وبينهما مُصافاة تقتضي حقًّا يُوَفَّى، وفرضًا يُؤدَّى، ووَصْفًا يُصَفَّى.

فقلت أخاطب أمين الدين:

يا أمينًا ذاتُه دُرٌّ ثمينُ ... أنت للعلياء عينٌ ويمينُ

إن وُدًّا صادقًا أوْدَعْتني ... أنا عنه عُمْرَ دهري لا أمِينُ[2]

حاضرًا أحْبُوك أصنافَ الثَّنا ... وعلى غَيْبِك أنّي لا أمِينُ[3]

وقلت في أبي الهدى:

هَداني النجمُ إلى مِدْحَةِ مَن ... تلفَّع المجدَ وبالفضلِ ارْتدَى

وكيف لا يُهْدَى إلى الرشادِ مَن ... دليلُه النجمُ إلى أبي الهُدَى

وهو الآن في تلك الخِطّة رئيسُ الحَفْل، وإمام الفرض فيها والنَّفْل.

زَنْد مجدِه قادح، وما فيه طاعن ولا قادح.

فالله يجعل نتائجَ حياته، تابعةً لأحْسن مُقدّماته.

* * *

---

(١) ساقط من: ب، وهو في: ا، ج.

(٢) يقال: فلان مَيّان الود، إذا كان غير صادق الخلة. اللسان (م ى ن) ٤٢٦/١٣.

(٣) لا أمين: لا أكذب.

وكان صدر بيني وبينه محاورات ، بأرق معان وألطف عبارات .

تلاحظ بها أقمارُ المنى فتُشرق ، وتنظر إلى أكناف الحِمى فتراها[1] بصَيِّبها تُورِق .

فمما كتبته إليه هذه النونية :

رُدُّوا المسرَّة والكرى لجفوني ... وهو القرارُ لقلبيَ المحزونِ

لم أدرِ قبل هواكمُ أن النوى ... يُبْدِي من الأشجان كلَّ دفينِ[2]

أو أن سلطانَ المحبة يقتضي ... أن الأسودَ تبيتُ أسرى العينِ

أما النفوسُ فلم يدعْ منها الجوى ... إلّا بقايا زفرةٍ وأنينِ[3]

لما رأى الطيفُ رقّ ترحُّما ... وبكى عليَّ بلؤلؤ مكنونِ

وسرى وأيقن أنه لو زارني ... أخرى لأخطأني فلا يعدُوني

آهٍ وهل يشفي العليلَ تأوُّه ... شوقًا لعهدٍ بالوفاء قمينِ

أيامَ يحدُوني الصِّبا ويسوقني ... قسراً إلى اللذاتِ غير غَبينِ[4]

لا أختشي مسَّ الحوادث آمنا ... وأخو النُّهى من بات غيرَ أمينِ

والآن أبكي إن أصبتُ بنعمةٍ ... قبل الزَّوالِ لفطنتي ويقيني

ولقد سبرتُ بني الزمان فلم أجدْ ... خِلًّا إذا أرضيتُه يُرضيني

فتركتُ من كنت الضنينَ عليه من ... فرْط الهوى وأراه غيرَ ضنينِ[5]

وغدوْتُ فيهم كالحسام مجرَّدا ... من غمْدِه فرداً بغير معينِ

نا ءٍ عن اللذاتِ إن بخل الحيا ... أغنيتها عنه بغيثِ جفوني[6]

---

(١) في ب ، ج : « فتراها » ، والمثبت في : ا . (٢) في ب : « لم أدر أن هواكم قبل النوى » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في ا : « فلم يدع منها الهوى » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٤) الغبين : المغبون .

(٥) في ب : « من كنت الظنين عليه » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) في ا : « أغنيته عنه » ، والمثبت في : ب ، ج .

لا أرتضى شمس النهارِ قرينةً ... وأعافُ ظلّى أن يكون قرينى

أستصغرُ العظماءَ حيث وجدتُهم ... وأرى مقاتلَ والثريّا دُونى (١)

ليس احتقارى للأنام تهاوُنا ... بهمُ ولا خطر الورى بظنونى

لكن أعدُّ من البهائمِ مَن خلا ... عن فضلِ فردِ العصرِ نجمِ الدّينِ

مَولًى سواه هلالُ شكٍّ فى العلى ... وجنابُه المحروس شمسُ يقينِ

قد كوّن الرحمنُ جوهرَ ذاتِه ... لِيُرِى العبادَ عجائبَ التّكوينِ

وأظنُّه من فَرْطِ طاعتِه أتى ... للكونِ بعد الكافِ قبلَ النونِ (٢)

بحرٌ بحارُ الأرض تغرَق فى ندَى ... كَفّيْه لستَ تُحيطُه بسَفينِ

لا يبلُغ المِكْثارُ عُشْرَ صفاتِه ... لو حُفَّ بالتأييد من جِبْرِينِ (٣)

هو نجلُ خيرِ الدين شيخِ العصرِ مَن ... غنيتْ مآثرُه عن التّدْوينِ

فسقَى ضريحًا ضمَّه صَوبُ الحيا ... يَهْمِى عليه من الرّضا بهتُونِ

أمعلِّمَ الشعراءِ وصفَ ذوى العلى ... فتراه يهديهم إلى المَضْمونِ

أنا مَن عرفتَ ودادَه وجهلتَه ... ولسوف تغنَم منه خيرَ خدينِ

فبقيتَ فى حفظِ الإلٰه ممتَّعا ... بالعزِّ والإسعاف والتّمكينِ

فعُلاكَ فخرٌ للزمان وأهلِه ... وبقاك أكبرُ نعمــــةٍ للدّينِ

ولذاك لم أنطِق بمدحِك داعيًا ... إلا أجاب الناسُ بالتّأمينِ

* * *

(١) فى ا : « أستصغر العلماء » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ب : « لتكون بعد الكاف » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « لوحف بالتأييد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وجبرين ، لغة فى جبريل .

فكتب إلىَّ [1] جوابها رسالةً ، وشحنها من نفائس أنفاسه نثرا وشعراً ، ولم يُهْدِ النجم فى مطالع البدائع إلا النَّثْرَةَ والشِّعْرَى [2] :

أهلاً بطيفٍ من حبيبٍ زارَا ... أهدى حياةً شافهتْ أوطارَا [3]

أفديه من طيفٍ ألمَّ بمضجعى ... فأثار فى أحشاء قلبىَ نارَا

شوقا إلى خِلٍّ تذكُّرُ عهدِه ... لم يُبْقِ فى قلبى الخفوقِ قرارَا [4]

أصْبُو إليـــه إذا تألَّق بارقٌ ... وأحِنُّ إن رَكْبٌ إليه سارَا

وإذا ترنَّم صادحٌ فى أيْـكةٌ ... من نحْوِه اختطف الفؤادَ وطارَا

إن أبْهَى ما أفصح به اليَراع بيدْ أنه رضيع ثُدِىِّ المحابر ، وأسْمَى ما خطب به القلمُ وهو على منابر الدفاتر .

سلامٌ أحْلَى من رحيقِ الأفواه لدى الصَّباح ، وهيامٌ أجْلَى عن عَتِيق الشِّفاه من الصَّباح ، وأعْبق من عَبِير وردِ الخدود والتفاح ، وأنْشَق من عبير شَقِيقها وقد فاح ، وأنسق [5] من المُزْن فى فم الأقاح .

وبَثُّ أشْواق يقف لسانُ القــلم عن إحْصائها ، وتجِفُّ أفْواه المحابر عن [6] إرادة استقْصائها .

إلى مَن أجْمع أهلُ الفضل على توحُّده فى الدهر ، واتَّفق أهلُ [7] الحَلِّ والعقد [7] على تفرُّده بالفخر .

---

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٢) النثرة : كوكبان بينهما قدر شبر ، وفيهما لطخ بياض كأنه قطعة سحاب . القاموس (ن ث ر) . (٣) فى ب : « أهدى حديث شفاهة أوطارا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ا : « تذكر عهده ٭ شوقا فى قلبى .. » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ب : « وأنشق » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٦) فى ب : « عند » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ب : « العقد والحل » ، تقديم وتأخير .

وظهرتْ مَعاليه ظهورَ الشمس فى الإشْراق ، وعَمَّتْ أضواء إفاداتِه عمومَ ضِياء البدرِ فى الآفاق .

وهيْهات تَخْفى فى الظلام مشاعل ، أو تُستر على الأيامِ هذه الفضائل .

وقد هبَّتْ الشَّمال بنَشْرها ، وسارت الرُّكبان بذِكْرها .

لا برِحت أنوارُها مشرقةً على الأنام ، وآثارُها جِلاء لقلوب الإخوان من غُصَص الأيام .

وقد وردتْ القصيدة التى هى شَرفُ الزمان ، ونخر البراعة والبيان .

فلا زالتْ أيادى مولانا مشكورةً مقبولة ، ومَبَرّاتُه وصِلاتُه واصلةً[1] موصولة .

ولا برحَت الأسماع تتحلَّى بدُرِّه الثمين ، آمين آمين ، وبالنبيِّ الأمين .

***

[2] فكتبت إليه[2] بهذه القصيدة ، وهى :

أما المَشُـــــوق فلا يُطيق قَرارَا	وأراه يقْضِى عمرَه تَذْكارَا
يُضْنِيهِ مُعترِض البُروقِ إذا هفَا	فيُحِسُّ منهـــا فى الحُشاشةِ نارَا
وَجْدٌ لقد قصُرتْ مُناه على الظِّبَا	أترُوم منه على الهوى إقْصارَا[3]
وأبِيكَ ما اخْترتُ السُّلُوَّ ولو جفَا	مَن كنت أهواه وشَطَّ مَزارَا
بأبِى من النَّفَر القواتِلِ جُؤْذَرٌ	ترك الأسودَ بناظريْه أسارَى
رَقَم الجمالُ على صحيفةِ خـــدِّه	سطراً فظنَّتْــه الوُشاة عِـــذارَا
يرْنو بأكحلَ مُرْسِلٍ من لَحْظِه	لِمنيَّـــة المُضنَى شَباً بتّارَا
يامُهلِكَ العشاقِ مهـــلاً فى شَجٍ	تخِذَ التَّهتُّكَ فى هواكَ شِعارَا

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) فى الأصول : « فكتب إلى » ، والقصيدة للمحبى كما جاء فى أثنائها . (٣) فى ا : « أتروم منه عن الهوى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

لولاكَ لم يَهْوَ الحسانَ ولم يكنْ ممّن يَذلُّ لغيرِك استكبارَا
يا أُنْسَ عهدِك والزمانُ بحالِه والعيشُ يَمْنحُه المُنَى ما اختارَا
أيامَ نأخُذها كُمَيْتاً سَلْسَلاً لا مُرّةً كلاّ ولا مُصْطارَا (١)
في روضةٍ فُرِشتْ بِساطاً أطْلَعتْ نُوّارُه عِوَضَ النِّثارِ نِثارَا
غَنّاء نَمْنَمها الربيعُ فأظهرتْ حِكَماً لنا قد أبدعتْ أسرارَا (٢)
طابتْ فكادتْ أن تُشابِه خُلْقَ مَن ساد الأنامَ فضائلاً وفَخارَا
مولايَ نجمُ الدينِ أفضلُ ماجدٍ قد طاب فَرْعاً حيث طاب نِجارَا (٣)
شَهْمٌ إذا بَخِل الغمامُ أفاض مِن كفّيه بحراً بالعطا زَخّارَا
لو صادفتْ صُمُّ الصخورِ رَذاذةً منه لأنبتَها الربيعُ بَهارَا (٤)
طَلْقُ المُحيّا لو يلوح شُعاعُه في وَجْه حظّي لحظةً لأنارَا
أهْدَى إليَّ رسالةً في ضِمْنها أهْدَى إليَّ العمرَ والأوطارَا
من كلِّ لفظٍ شائقٍ يبدو به معنًى يُدير على العقول عُقارَا
لا زلتَ تُولِيني ودادَك مُنعِماً وبقيتَ تعلُو في الورى مقدارَا
وإليك روض قد تفتّح زهرُه فصدحتُ في عالى ذُراه هَزارَا
من كل قافيةٍ غدتْ من حسنِها نَجْماً كذاتِك في العلى سيّارَا (٥)
كالرّاحِ تلعب بالعقول وإن تشا كالسحرِ في حَدَقِ الحسان توارَى
وأعْذُرْ إذا أخّرتُ فيك مدائحي فلأنتَ ممّن يقبلُ الأعذارَا
لولاكَ ما نَظّمتُ عِقْداً دُرُّه ينحلُّ فيه عَسْجَداً ونُضارَا
فالسُّقْمُ قد أفنَى رُواءَ قريحتي بَغْياً كأنّ له عليها ثارَا

---

(١) المصطار : الخمر . (٢) في ا : « ينعمها الربيع » ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) في ب : « حيث طاب نجارا » ، والمثبت في : ا ، ج . والنجار : الأصل . (٤) البهار : نبت طيب الرائحة .
(٥) في ب : « غدت في حسنها » ، والمثبت في : ا ، ج .

أنا مَن عرفتَ محــلَّه من وُدِّه وسيغتدى لثَرى نِعالِكَ جارَا
واسلمْ لنا ولسُؤْدَدٍ أصبحتَ فى سامِى حِمـــــاه تزَيِّن الأقْطارَا

* * *

وكتب إلىَّ من تَوالِيد طبعه المطبوع ، قوله :

أحِبَّاىَ إن شَطَّ الحبيبُ عن الحِبِّ وفارقَه يحتاج طِبًّا على طِبِّ [1]
فإن غابَ عن عيْنِى خيالُ أحبَّتِى فَحُبُّهمُ استولَى على حَبَّةِ القلبِ
وما عنــدكم من شِــدَّة الشوقِ فهو فى فؤادىَ فاسألْ إن شككْتَ عن الركبِ [2]
أتاح إلٰهى قُربَكم ولِقــاكمُ ليلْتئِمَ الشَّملُ المشتَّت بالقُرْبِ
فذالِكَ اختيـارى ثم قصْدى وبُغْيتى ألا إنَّمـــا الدنيـا اجتماعُك بالحِبِّ
فلا خيرَ فى عيشٍ بغير أفاضلٍ ولا خــيرَ فيمن مالَه صاحبٌ يُذْبِى
فعندىَ طِيبُ العيش صُحبةُ عالِمٍ بصحْبتِه يَنْزاح عن خاطرى كربِى
فيا أخاصَ الإخوانِ قــد جاء منكمُ رشاقةُ قولٍ رائقٍ رَيِّقٍ يَسْبِى
لقـــد كنتُ فى ضِيقٍ وهمٍّ وكُربةٍ فلما أتَى المكتوبُ طار به لُبِّى
ففَاحَ لنا مِن نَشْرِه طِيبُ عَنْبَرٍ به انتعشتْ رُوحى وجسمِى مع القلبِ

---

(١) فى ب : « إن شط المحب » ، وفى ج : « أحب وإن شط الحبيب » ، والمثبت فى : ا .
(٢) فى ب : « من الركب » ، والمثبت فى : ا ، ج .

أدباء صفد وصيدا

٩٠

أحمد الخالديّ الصَّفَديّ (*)

هو من الفضل في ثَنِيَّة ، لا تتعدّاها إلى غيرها أُمْنِيَّة .

معشوق الشِّيَم ، فائضُ فَيْض الدِّيَم .

وآباؤه لهم ذكر بالجميل خالد ، ومجدٌ تناولوه ولَداً عن والد .

وهو قد جمَع مافيهم من المناقب ، وأرْبَى في توقُّد ذكائه على النجوم الثواقِب .

وله تآليف فائقة ، وأشعارٌ رائقة .

فمما أستحسن من شعره ، قوله في تخميس الهمزية :

كنتَ نُوراً وكان ثَمّ عَماءُ وَنبِيّاً وليس طِينٌ وماءُ

(*) أحمد بن محمد بن يوسف الخالدي ، الصفدي ، الحنفي .

ولد بصفد ، وبها نشأ .

ثم ارتحل إلى القاهرة ، وأخذبها عن كثيرين ، منهم : محمد بن محمد بن عبد الرحمن البهنسي ، وأحمد ابن محمد بن شعبان العمري ، وعلى بن حسن الشرنبلالي ، ومحمد بن محي الدين التحريري ، وعلى بن محمد ابن على ، ابن غانم الخزرجي ، وأجازه هؤلاء وكثير غيرهم .

ورجع إلى صفد ، ودرس ، وأفتى ، وناب في القضاء ، وألف .

ومن مؤلفاته : « شرح على ألفية ابن مالك » ، و « كتاب في العروض » .

توفي بصفد ، سنة أربع وثلاثين وألف ، ودفن بمصلى العيدين .

والخالدى : نسبة إلى خالد بن الوليد ، رضي الله عنه .

خلاصة الأثر ١/٢٩٧ ، ٢٩٨ .

فإذا كان من عُلاكَ العَلاءُ كيف تَرْقَى رُقِيَّكَ الأنبياءُ

ياسماءً ماطاولتْها سماءُ

* * *

وله من قصيدة طويلة ، مطلعها [١] :

مَن لى بهيْفاءَ لا أسْطيعُ سُلوانَا عنها وفى دمعِ عينى عَيْن سُلوانَا [٢]

أجَـلْ ومن حبِّهـا قد هِمْتُ ذا قَلَقٍ فَسَلْ حنيناً وسَلْ بدراً وسل آنَا

وقد حوتْ رقَّةً منها شهدتُ فلم أقدرْ على النفسِ لولا لطفُها جانَا

مذ أقبلتْ ناهزتْنى فى مُداعبـــةٍ فصرتُ منها عليـــلَ القلب حَيْرانَا



---

(١) مطلع القصيدة فقط فى خلاصة الأثر ١/٢٩٨ . (٢) سلوان : محلة فى ربض مدينة بيت المقدس، تحتها عين عذبة ، تسقى جنانا عظيمة .

انظر معجم البلدان ٣/٧٦٢ .

٩١

حسن الدَّرْزِىّ العَيْلَبُونِىّ (*)

القول فى عقيدته مُتَشَعِّب ، والأمر فى تبرئته وعدمِها متصَعِّب (١) .

وأنا لا أشكّ فى إيمانه ، وأعتقد فيه ما يعتقدُه أهلُ زمانه .

وأقول إذا وصفْتُ شانَه : إن إطلاق الدَّرْزِىّ عليه مما شانَه .

كيف وتوْبةُ هـذا الحِزب ردَّها الشرع ، والحاكمُ بقَبُولها مُخالفٌ لأمْر الله فى الأصل والفرع .

وقد جمعنِى وإيَّاه القضاء والقدر ، فى أوقاتٍ كنت لا أعرف فيها الغَمّ والكدَر .

فرأيتُ رجلا ذا لسان فصيح ، جاريًا من (٢) هَواه فى مَيْدان لَهْوٍ فَسيح .

لا يُصَدّ إذا صَمَّم ، ولا يُرَدّ عما تَمَّم (٣) .

وهو يُغالى (٤) فى شِعره ، ويَشْكى كَساد سِعره .

(*) حسن الصفدى العيلبونى الدرزى .

شاعر حسن المطارحة ، طيب العشرة .

رحل إلى مصر ، وأخذ بها عن الشمس البابلى ، والشيخ سلطان ، والنور الشبراملسى ، وغيرهم .

ودخل دمشق ، وجاور بها مدة ، بالخانقاه السميساطية ، ثم ارتحل منها إلى عكا ، فأقام بها مدة .

توفى بعكا ، سنة خمس وثمانين وألف .

والعيلبونى ، بفتح العين ثم ياء مثناة من تحت ساكنة فلام فوحدة مضمومة بعدها واو ثم نون : نسبة إلى عيلبون ، قرية من أعمال صفد .

خلاصة الأثر ٢ / ٧٩ ، ٨٠ .

(١) فى ا : « متعصب » ، وفى ب : « مستصعب » ، والمثبت فى : ج .

وقد ذكر المحبى ، فى الخلاصة ، فى ترجمته ، أن له قصيدة نونية هجابها الدروز ، وهى طويلة تبلغ ثلاثمائة بيت .

(٢) فى ب : « فى » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٣) فى ب : « نهم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ا : « بشعره ويشتكى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ويزعُم قومٌ أنه يتنسّك في مَلَئِه[1] فتكا ، ويتهتّك في وَحْدته هَتْكا .
ويَخْبِط في الأعمال ويَتَبَر ، وهو يهلّل ويكبّر .
ويحسّن ويقبّح ، وهو[2] يستغفر ويسبّح .
وكنت عزمتُ على أن لا أُطرِيَ له ذكرا ، وأخاص من أن آتى شيئا نُكراً .
ثم عَنّ لى الإتيانُ به ، لمكان فضلِه وأدبِه .
ولم أقصِد بذكْر هذه العيوب ، التى يعلم حقيقتَها علّام الغيوب .
بُغْض شخصٍ فات ، واقْتفَته يدُ الآفات .
وحاشا الله أن أكون ممّن يصدُر ذلك من فِيه ، ولكن عمَلًا بما سمعتُه من الناس فيه .

والله يَحْبُوه منه لطفاً خفيّاً ، ويُنيله عفوًا يكون به حَفيّاً .

* * *

فمن شعره ، وهو معنى لطيف[3] :

حكى دخاناً سَما من فوق وَجْنَةِ من ... قد مَصَّ غَلْيونَه إذ هزّه الطربُ[4]
غَيمٌ على بدرِ تِمٍّ قد تقطّع من ... أيْدى النسيمِ فولّى وهْو ينسحبُ
فقلتُ والنارُ فى قلبى لها لهبٌ ... لقد حكَيْتَ ولكن فاتك الشَّنَبُ

* * *

---

(١) فى ا : « ملابه » ، وفى ب : « ملابه » ، وفى ج : «ملائه» ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) فى ا : «وبه» ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٧٩ ، ٨٠ .
(٤) رواية خلاصة الأثر رفع « دخان » على أنه فاعل « حكى » ، ونصب « غيم » فى البيت التالى ، على أنه مفعوله .
وهى رواية أفضل .

والبيت الثانى ، منه قولى[1] :

ما كان إعطاؤه الغالِينَ عن مَلَلٍ ... منَّا وحاشا بهــذا قَطُّ ماعَرَفا

لكن أراد يُرينا من بدائِعــه ... بدرًا تقطَّع عنــه الغيمُ فانْكشفا

* * *

وكتب إلى علىّ بن نُجَع[2] البَعْلِىّ[3] ، وكان أعاره مجموعا ، فردّه عليه[4] :

أرسلتَ مجْموعى وقــد أمْسكتَ ما ... هو قلبىَ المَوْدُوع بين ضلوعِى[5]

فبكيتُ من شَوْقٍ إليــه مَدامعًا ... حمرا وليْست غــير صِرْفِ نَجِيعِى

فجرتْ على هــذى البطاقةِ أحْرُفًا ... مجمــوعُها يُومِى بِسلْب جميعى[6]

* * *

---

(١) فى ب : « قوله » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) هذا الضبط من : ب ، ضبط قلم .

(٣) على بن أحمد بن محمد البعلى ، الدمشقى ، الشافعى ، المعروف بابن نجع .

ولد سنة سبع وثلاثين وألف .

وقرأ على علماء عصره ؛ منهم : خير الدين الرملى ، وأحمد القشاشى ، وإبراهيم بن حسن الكورانى ، وعبد السلام اللقانى .

وكانت له الرحلة إلى الرملة ، والمدينة ، حين حج ، ومصر .

توفى سنة أربع وثمانين وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس .

خلاصة الأثر ١٤٦/٣ ، ١٤٧ .

(٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ١٤٧/٣ ، وفيــه أيضا أن على بن نجع أرسل إليــه مع الكتاب هذين البيتين :

جاءتْ من المولى الأجلِّ بطاقةٌ ... ترجو مَرامًا ليس بالممنوعِ

فالقلبُ عندكَ رَهنُ وُدٍّ صادقٍ ... والآن قد أرسلتُ بالمجموعِ

(٥) فى خلاصة الأثر :

* هو قلبىَ الّذْ كان بين ضلوعِى *

(٦) فى الخلاصة ١٤٧/٣ ، أن على بن نجع كتب إليه بعد هذا :

لا تَبْكِ عينُك واتَّئِدْ فلربما ... أودعتَه والله غيرَ مُضيعِ

وارحمْ أسيرَ هوًى طليقَ مَدامعٍ ... لم يقْضِ فى شرع الهوى برجوعِ

تذكّرت بالبيت الأول ، ما يُروى أن بعضَ الأدباء استْعار من آخر مجموعا ، ومطَله به ، ثم اجتمعا فى مجلس بعد[1] تَراخ ، فقال المستعير : إنِّى متشوِّق إليك ، وقلبى عندك .

فقال الآخر : وأنا متشوِّق إليك ، ومجموعى عندك .



(١) فى الأصول بعد هذا زيادة : « أن » .

٩٢

محمد بن محيي الدين المعروف بالحادِي الصَّيْدَاوِيّ (*)

هو مع قلة أنْداده ، واحدٌ فى تهيئة مواد القبول وإعداده .

فاخْتلف إليه السعىُ رائحًا وغاديا ، وأطْرب بذكْره الثناء شاديا وحاديا .

إلا أنه تَرامَى فى بَحْبُوحة التصلُّف [1] ، وتكلَّف [2] والعلى لاتُنال بالتكلُّف .

ففوَّقتْ إليه سهامَها لَواحظُ الظنون ، وقِدْمًا [3] قيل أرضُ صَيْدا تُذِيب العيون .

وهو صاحب فكر حَدِيد ، وأدبٍ وافرٍ مَدِيد .

فاضلٌ ملءُ إهابِه ، عارفٌ بإيجاز الأدب وإسْهابِه .

* * *

وله كتاب « ألحان الحادى ، فى المراجع والمبادى » [4] .

استحسنتُ من شعره فيه قطعة ، رأيتها فى مفازة وحدها منقطعة .

(*) فى ب : « محمد بن عبد القادر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وهو :

شمس الدين محمد بن عبد القادر الحادى ، الصيداوى ، الشافعى .

مفتى صيدا ، وأحد الأدباء الفضلاء .

أخذ عن الشمس بن المنقار ، ومحب الدين جد المؤلف ، والملا أسد الدين بن معين الدين التبريزى ، والشمس محمد الداودى ، والشهاب العيثاوى ، والشمس الميدانى .

كان لطيف المحاضرة ، فمال رؤساء الشام إلى منادمته ، وله اليد الطولى فى حل الألغاز .

وهو صاحب كتاب «ألحان الحادى بين المراجع والبادى» ، وضعه على أسلوب « ألحان السواجع » للصلاح الصفدى .

توفى بصيدا ، سنة اثنتين وأربعين وألف .

إيضاح المكنون ١/١١٧ ، ١١٨ ، خلاصة الأثر ٤/١١ ــ ١٤ .

(١) فى ب بعدهذا زيادة : «والتكلف» ،والمثبت فى:ا ،ج .   (٢) ساقط من : ب،وهو فى:ا،ج.

(٣) فى ب : « وقد » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٤) فى ا : « فى المرابع والمبادى » ، والمثبت فى : ا ، ج . وقد جاء اسمه فى إيضاح المكنون ، وخلاصة الأثر : « بين المراجع والبادى » .

وهى قولى [١] من قصيدة [٢] :

إذا أنكرتْ دعوَى المحبّ شهودُهُ ... فحسبىَ أنّى فى الغـرامِ شهيدُهُ

فلله شَوْقٌ لا يقرُّ قرارُهُ ... من البُعدِ حتى مالَه من يعودُه [٣]

وقد مَلَّه عُوّادُه وهْو مُدنَفٌ ... حليفُ جوًى صَبُّ الفؤادِ عَميدُهُ

رعى اللهُ أياماً تقضّتْ بقُربِهم ... ومَن لى بذاك القُرب مَن ذا يُعيدُهُ

أيا عاذِلى عمّن نَعيمِىَ وَعْـدُهُ ... ونارُ جحيمى بُعْـدُه ووعيدُهُ [٤]

ولم يتعطّفْ بالوِصال لمُغْـرمٍ ... وقد طال منـه هَجرُه وصُدودُهُ

فهـذا مَلامِى مُسْمَعِى لا أريدُه ... وهـذا غرامى لا أزال أرُودُهُ

وإن كادنى دهـرى بجَوْر زمانِهِ ... تخلّصتُ منـه بالذى عمّ جُـودُهُ [٥]

* * *

قولى : « وقِدْماً [٦] قيل : أرضُ صَيْدا تُنبت العيون » ، إشارة إلى قول [٧] ابن السّاعاتى [٨] ، وقد هرب غلام [٩] ، فأمر أن يمرّ فى نَرْجِس صَيْداً :

للهِ صَيْـداهُ مِن بلادٍ ... لم تُبقِ عندى هَمّاً دَفِينَا

نَرْجِسُها حِليةُ الفَيافِى ... قد طبّقَ السهلَ والحُزونَا [١٠]

(١) يعنى قول الصيداوى ، فهو ينقل عنه . (٢) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ٤/١٢ هذه الأبيات ، وقدم لها بقوله فى ذكر ألحان الحادى : « وقد استوعبت شعره الذى ذكره فيه ، فلم أر له أجود من قوله ، من قصيدة راسل بها الشيخ الإمام حسن جمال الدين الصيداوى ، مستهلا : » . (٣) فى خلاصة الأثر : « فلله شوقى » ، وفى ب : « حتى ماله من يعوده » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى خلاصة الأثر : « وحر جحيمى » .

(٥) صدر البيت فى خلاصة الأثر :

* وإن كاد دهرى قد يجورُ زمانُه *

وقد ذكر المحبى ، فى الخلاصة بعد هذا ، قصيدة حسن الصيداوى ، التى راجعه بها .

(٦) فى ب : « وقد » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ٣٨٧ .

(٨) الأبيات فى ديوانه ١ / ١٦٨ . (٩) فى ب : « غلامه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(١٠) فى ا : « حلة الفيافى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان .

وكيف ينجُو بهـا هَزِيمٌ وأرضُهـا تُنبتُ العيـونَا

***

ومما يهزُّنى إلى الطرب فصلٌ لابن شاهين (١) ، فى وصف صَيْدا ، قال فيه :
وأما صَيْدا ، فإنها بين البلاد أَسْدُ البَيْدا .
وما أدرى كيف يذمُّها بعضُ الناس ، وأهلها يُعوِّذونها من شرِّ الوَسْواس الخنَّاس
ولعَمْرى إنها بلدة لولا حرارةُ مائها وهوائها ، وبُرودة أوْضاعها وأبنائِها .
لـكانت جنَّةَ المـأْوى ، فى الدنيا والآخرى .
اللهم إنا نسألك الإنصاف ، ونعوذ بك من التعصُّب والاعْتِساف .
وكيف يشتُم (٢) الإنسان بلدةً إذا جُلِب إليها الماء يكتسب حرارة ، وإذا استُجلب إليها العذبُ السائغ ينْقَلب إلى عُفوصة ومَرارة .
وهى كما قال أبو الحسن الباخَرْزِىّ ، فى مَدْح محـاسن الرَّىِّ ، ولُطْف هوائها ومائها :

صادفتُ فيهـا كلَّ شىْء جائزاً أقْصى حدودِ البردِ غيرَ الماء (٣)

وكيف لا يُمْدح الماء الحارّ ، وهو الذى يجلب المَسارّ ، ويدفع المَضارّ .
وينفع فى الحَمّام ، للاغْتسال والاستحمام ، ويحلِّل الأورام ، وإن شئت فقل يجلب البِرْسام (٤) ، والسلام .

*

(١) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٩٦ ، برقم ٦ .
(٢) فى ب : « يسأم » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى ب : « كل شىء حائزا » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٤) البرسام : علة يهذى فيها . القاموس (ب ر س م) .

شعراء جبل عاملة

٩٣

حسين بن عبد الصمد الحارثى *

هو فى الإشراق مستمدُّ [1] الشمس ، وله مَزِيَّة اليوم على الأمس .

نبيه المقدار والمكانة ، مُتحلٍّ بالتصلُّف والاستكانة .

رَكَض [2] فى مَيْدان الطلب مَطايا الأشواق ، وضرب آباطَها بعصا المشارب والأذواق .

حادِيه أملُه ، ودليلُه عملُه [3] ، والراحلة عملُه [3] .

وهو فى الإسْآد [4] والإعْناق [5] ، مُهْدِى تُحَف القبول لجواهر الأعناق .

حطَّ رَحْلَه ببلاد فارس ، فطابت بِها منه مَجانٍ [6] ومَغارِس .

ووجد مَشْربا عَذْبا من الشُّهْرة فوَرَد ، وقصَّرت النُّظراء عن مَداه فانْفَرَد .

بطابعٍ ألْطفَ من نسيم السَّحَر ، يمْسَح عن عيون الأكام [7] ويعانق قُدود الشَّجَر

(*) حسين بن عبد الصمد بن محمد العاملى ، الحارثى .
ولد سنة ثمان عشرة وتسعمائة .
وقرأ على شيوخ عصره ، وتنقل بين أصفهان ، وقزوين ، وهراة ، وحج ، ثم استقر فى البحرين .
كان إماما فى فقه الإمامية ، أديبا ، ذا نظم حسن .
ألف وصنف ، ومن مؤلفاته : « دراية الحديث » ، و « شرح ألفية الشهيد » ، وله « ديوان » من شعره .
توفى بالبحرين ، سنة أربع وثمانين وتسعمائة .
أعيان الشيعة ٢٦ / ٢٢٦ — ٢٧٠ ، روضات الجنات ٢ / ٢٥ .

(١) فى ا بعد هذا زيادة : « من » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ب : « أركض » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) كذا فى الأصول ، ولم أعرف وجهه .

(٤) الإسآد : سير الليل كله .

(٥) الإعناق : السير السريع .

(٦) فى ا : « مجاز » ، وفى ج : « مجاد » ، والمثبت فى : ب .

(٧) فى ا : « الآكام » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وأدبٍ يجرى فى ميدانه طَلْق العِنان ، ويمضى فى معركته ماضِىَ الظُّبَة والسِّنان .

ولم يزل يتردَّد من بلدةٍ إلى أخرى ، وتتعاقب عليه مراتبُ لم تجدْ أحقَّ منه ولا أحْرَى .

حتى اختَرمه الأجَل ، ومضى لما عند الله عزَّ وجلّ .

***

وقد أثبتُّ من نَظْمه ما يُزْرِى ائْتِلافُه بلُؤلؤ العقود ، ومن نَثْره مايَزين نقدُه النقود .

فمن ذلك قوله [١] :

فاح نَشْرُ الصَّبا وصاح الديكْ ... وانْثنى البانُ يشتكى التحريكْ [٢]

قُمْ بنا نجْتلِى مُشَعْشَعَةً ... تاه من وجْدِه بها النَّسِيكْ

لو رآها المجوسُ عاكفةً ... وحَّدُوها وجانبوا التَّشْرِيكْ

إن تَسِرْ نحونا تُسَرَّ وإن ... متَّ فى السيْر دوننا نُحْيِيكْ [٣]

***

وهو أول من اخترع هذا الوزن والقافية ، واقتفَى أثره ابنه البهاء ، فى قوله [٤] :

---

(١) البيت الأول والرابع ، فى الكشكول ١/١٠٨ ، ١٠٩ ، فى قصيدة طويلة ، والأبيات فى خلاصة الأثر ٣/٤٤٩ .

(٢) جاء هذا البيت فى الكشكول هكذا :

فاح ريح الصَّبا وصاح الديكْ ... فانتبهْ وانْفِ عنك ما يفْنِيكْ

(٣) فى ب : « نسر وإن . . . نحونا نحييك » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى خلاصة الأثر : « نسر وإن . . » .

ورواية الكشكول لصدر البيت :

* إن تَسِرْ صَوْبنا تُسَرَّ وإنْ *

(٤) انظر : ريحانة الألبا ١/٢٠٩ ، خلاصة الأثر ٣/٤٤٩ ، الكشكول ١/١٠٩ .

يانَدِيمِي بمُهجتي أفْدِيكْ قُمْ وهاتِ الكؤوسَ من هاتِيكْ

ثم تداول الأدباء هـذا الوزن والقافية ، ولولا خوف الملل لذكرتُ من ذلك الجملة الكافية .

***

ومن شعره قوله (١) :

ماشمَمْتُ الوردَ إلا زادنى شوقاً إليكَ
وإذا ما مال غصنٌ خِلتُه يحنو عليكَ
لستَ تدرى ما الذى قد حلَّ بى من مُقْلتيْكَ
إن يكنْ جسمى تناءى فالحشا باقٍ لديْكَ
كلُّ حسنٍ فى البرايا هو منسوبٌ إليكَ (٢)
رُشِق القلبُ بسهمٍ قوسُه من حاجبيْكَ
إنّ ذاتى وذَواتى يامُناتى فى يديكَ (٣)
آهِ لو أُسقَى لأشفَى خمرةً من شفتيْكَ (٤)

***

ورأى قول الوزير أبى الفضل الدّارِمىّ (٥) :

أنبت ورداً ناضِراً ناظرى فى وجْنتِه كالقمرِ الطالعِ (٦)

---

(١) الأبيات فى الكشكول ١/١٢٥ . (٢) فى الكشكول : « فهو منسوب إليك » .

(٣) فى الكشكول : « يا منايا فى يديك » . (٤) فى ب : « لو أسقى فأشفى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والكشكول .

(٥) أبو الفضل محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز الدارمى .

شاعر من أهل بغداد ، تنقل فى البلاد ، وسفر بين القائم بأمر الله العباسى ، والمعز بن باديس صاحب أفريقية .

توفى سنة خمس وخمسين وأربعمائة .

جذوة المقتبس ٦٨ ، الذخيرة ، القسم الرابع ، الجزء الأول ٦٧ — ٩٢ .

والبيتان فى : الذخيرة ، القسم الرابع ، الجزء الأول ٧٤ ، الكشكول ١/١٠٦ ، بدون نسبة .

(٦) فى الذخيرة : « نفرس وردا » ، وفى الذخيرة ، والكشكول : « فى وجنة » .

فَلِمْ منعتمُ شَفَتَى لَثْمِهُ   والحقُّ أن الزرعَ للزارعِ [1]

فكتب [2] :

لأنَّ أهلَ الحبِّ فى حَيِّنا   عبيدُنا فى شرعنا الواسعِ [3]

والعبدُ لامِلْكَ له عندنا   فزرعُه للسيد المانعِ

* * *

وقد أجاب عنه بعض المغاربة بقوله :

سلَّمتُ أن الحكمَ ما قلتمُ   وهو الذى نُصَّ عن الشارعِ

فكيف تبْغى شَفَةً قَطْفَه   وغيرُها المدعوُّ بالزارعِ

وردَّه الحافظ أبو عبد الله التِّنِّيسى [4] التِّلِمْسانى :

فى ذا الذى قد قلتُمُ مَبْحَثٌ   إذْ فيه إيهامٌ على السَّامعِ [5]

سلمتُمُ الحكمَ له مطلقاً   وغيرُ ذا نُصَّ عن الشارعِ

يعنى أنه يلزم على قول المحب أن يُباح له النظرُ مطلقا ، والشرع خلافُه .

وأجاب بعضُ أئمتنا الحنفية بقوله :

* لأن أهل الحب فى حكمنا *

البيتين اللذين أجاب بهما المترجَم .

وهو جواب حسن .

ولبعض المغاربة ، مخاطبا أبا الفضل المذكور :

قل لأبى الفضل الوزير الذى   باهَى به مَغربُنا الشرقُ

---

(١) فى ا : « فلم منعتم شفة لثمه » ، وفى الذخيرة : « شفتى قطفه * والحكم أن الزرع » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والكشكول .   (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

والبيتان فى الكشكول ١٠٦/١ .

(٣) فى ب : «لأن أهل الحب فى حبنا» ، وفى ج : « . . فى حكمنا» ، والمثبت فى : ا ، والكشكول.

(٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .   (٥) فى ب : «إيهام على السامع» ، والمثبت فى : ا ، ج.

غرسْتَ ظالمًا وأردت الجَنَى   وما لِعِرْقٍ ظالمٍ حقٌّ

قلت قوله : « وما لعرق ظالم حق » ، هـذا بعض حديث رواه التِّرْمِذِيّ[١] ، وحسّنه ، فى باب إحياء الموات : « مَنْ أَحْيَى أرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ » .

رُوِى بالإضافة والتنوين .

والعرق : البناء ، والأشجار ، والبئر ، والنهر . انتهى .

* * *

وكتب إلى ولده البهاء ، هذا اللغز ، وهو أغرب الألغاز وأصعبها :

أيها الولد المؤيَّد بالإعْزاز ، الموفَّق فى حلّ المعمَّيات والألغاز .

أخبرْنى عن اسمٍ آخرُ أوله آخرُ الحروف ، وآخر ثانيه بهذا الاسم معروف .

قَلْبا آخريه يتوافقان ، وقلْبا أوَّليه متعلقان .

لولا ثالثهُ لصار الاسم حرفًا ، ولولا ثانيه لصار الفعل ظرفًا .

ولولا رأسُه لصارت الرَّجل من النَّجاسات ، ولولا رابعُه لما يتحقق رابع القياسات .

بعضه قاتل ، وبعضه الآخر نصف قاتل[٢] .

طَرَفا أوله فعلُ أمرٍ بحرفين ، وطرفا ثانيه ما نُهِيت عن قوله للأبوَيْن .

وإن نقص رُبعه من رُبعه بقِىَ ربعه ، وإن زِيد رُبعه على ربعه حصل رُبعه .

صدرُه علامةُ قلب العاشق ، وثانيه علامة الرقيب المنافق .

ولولا رُبعه لم تتميز القبلية عن القابليّة ، ولم تفترق المعانى عن علة الفاعلية .

بعضه يمين ، والبعض فى اليسار كمين .

---

(١) سنن الترمذى (بشرح ابن العربى) ٦/١٤٦ .

(٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

وبطرف آخره[1] يبتدئ المَقام ، وبطرفه الآخر ينتهى الكلام .

* * *

فأجابه :

ياسيّدى وأبى وأستاذى ، ومن إليه فى العلوم استنادى .

هذا اسم رباعىّ الأعضا ، ثلاثىّ الأجزا .

اثنا عشرىّ الأصول ، عديم الحرف المفصول .

من الأسماء معدود ، وإلى الأفعال مردود .

لولا ثلث أوله لصار السّخيف بالكرم موصوفا ، ولكان كل فقير بسواد الوجه معروفا .

ولولا رابعه[2] لاتحدت الماهيّة بالوجود ، ولم يتميّز الحاسد من المحسود .

[3]ولو عُدم ثانيه لم يكن جمع الثمر ثمارا ، ولصارت قرية بالرّىّ حمارا[3] .

ولو عُدِم رُبعه لم يكن القلب فى الجسد ، وتبدّلت السكينة بالغلّ والحسد .

ولصارت الهِرّة بعض الأزهار ، ولم تتميّز الحِنْطة عن بعض الثّمار .

أوله بالعراق وآخره بالشام ، وبثلثا رُبعه يتمّ الإيمان والإسلام .

وبثلث ثالثه يبتدئ السؤال ، وبثانى ثانيه ينتهى القِيل والقال .

* * *

وقد شرح السيد محمد المعروف بكبْريت[4] ألفاظ السؤال والجواب ، وتكفل بهما فأصاب شاكِلة الصواب .

---

(١) فى ا : « آخر » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٢) فى ا : « ربعه » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . ، وفى ب : « ولم عدم » .
(٤) ستأتى ترجمته ، فى الباب السادس ، برقم ٣١٤ .

قال فى شرح ألفاظ السؤال :

هى فى اسم قاسم .

قوله : « آخر أوله » ، أول الاسم قاف ، وآخره بالنظر إلى بَسْطه مسمّى الفاء ، وهو آخر حروف الحلق ، كما ترى ، و « آخر ثانيه » وهو الألف كذلك الفاء ، وهو موصوف بهذا الوصف ؛ لأنه هو هو .

قوله : « قلبا آخريه » ، وهما السين والميم ، « يتوافقان » لأن حقيقتهما الياء ، « وقلبا أوليه » [1]وهما الألف واللام من قاف ، ولا حرفان « متعانقان[2] » ، لولا ثالثه »[1] وهى[3] مسمَّى السين « لصار الاسم حرف » عطف وهى أم ، أى بعد حذْف السين من الاسم .

« ولولا ثانيه » ، وهو الألف « لضارت الرجل » القدم « من النجاسات » .

« ولولا ربعه » وهو الميم ، « لم يتحقق » القياس التمثيلىّ ، وهو « رابع القياسات » .

« بعضه قاتل » ، وهو سَمّ ، « وبعضه » ، وهو : قا « نصف قاتل » .

« طرفا أوله » ، وهما القاف والفاء « أمر بحرفَيْن ، وطرفا ثانيه » الذى هو ألف أُفّ .

قوله : « وإن نقص ربعه » ، الذى هو السين « من ربعه » ، الذى هو القاف ، « بقى ربعه » وهو الميم ؛ لأن الباقى بعد طرح ستّين من مائة أربعون .

« وإن زيد ربعه » عكس القضيّة .

قوله : « صدره علامة قلب العاشق » ، أى ثانى حروفه ، وهو الألف ، والمراد منه

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « متفقان » ، والمثبت فى : ج .
(٣) فى ب : « وهو » ، والمثبت فى : ا ، ج .

جوهر لفظه ، هو فعل من الألفة ، ولم يزل قلب العاشق يألف قلب[1] المعشوق ، وكذا « الرقيب المنافق » .

قوله : « لولا ربعه » ، الذى هو الألف ، « لم تتميز القبلية من القابلية » ؛ لأن به[2] الفرق فى هذين اللفظين ، ومثله الفعلية[3] والمفعولية[4] .

قوله : « بعضه يمين » ، يعنى الميم ؛ لأنه يقال[5] : مُ اللهِ . فى أيمن الله ، أو المراد : ما عدا القاف ، وهو اسم ، « وبعضه » ، وهو السين فى لفظ[6] « اليسار كامن » .

قوله : « وبطرف آخره » ، الأول أو الآخر « يبتدئ المقام » ، بل ويختم ، « وبطرف آخره »[7] كذلك « ينتهى الكلام » ؛ لأن الميم نهاية لفظ الكلام .

* * *

وهذا شرح ألفاظ الجواب :

قوله : « رباعى الأعضاء » ، أى حروف قاسم أربعة .

« ثلاثى الأجزاء » ، أى جملته تنقسم ثلاثة ، من غير عكس .

« اثنا عشرى الأصول » ؛ لأن كل حرف يشتمل على ثلاثة أحرف .

قوله : « عديم الحرف المفصول » ؛ لأنه مركب من حرفين فحرفين .

وهو معدود من الأسماء ؛ لأنه اسم وضع لمسمى بعينه ، ومردود إلى الأفعال ؛ باعتبار أنه مشتق من القسم .

قوله : « لولا ثلث أوله » ، الذى هو القاف ، والمراد الفاء « لصار لفظ السخيف » بعد حذف الفاء : سخى ، والسخى موصوف بالكرم .

---

(١) زيادة من : ب ، على ما ف : ا ، ج . (٢) ساقط من : ا ، وهو ف : ب ، ج .
(٣) ف ا : « الفاعلية » ، والمثبت ف : ب ، ج . (٤) ساقط من : ب ، وهو ف : ا ، ج .
(٥) ساقط من : ا ، وهو ف: ب ، ج . (٦) ف ا : « الالفاظ » ، وف ب : « لفظ آخره كذلك » ، والمثبت ف : ج . (٧) ف ب : « آخر » ، والمثبت ف : ا ، ج . والذى تقدم ف السؤال : « وبطرفه الآخر » .

قوله : وإذ حذف الفاء من لفظ فقير ، بَقِيَ قِير ، وهو أسوَد الظاهر والباطن .

قوله : « ولولا رابعه » الذى هو الميم « لاتحدت الماهية بالموجود » ؛ لأن وجود الشيء هيئتُه[١] ، فكأنه قال : لاتحدت الهيئة بالماهية .

وفيه تسامُح ؛ لأن المراد من الميم مُسمَّاها ، وهو مفرد ، فكيف يُطلق على المركَّب من الميم والألف .

ويُمكن أن يقال : تعدُّد المراد فى هذا الباب كثير ، وهو أدخل فى الإلغاز .

قوله : « ولم يتميَّز الحاسد عن المحسود » ، كالأول؛ لأنه لافرقَ بين المحسودوالحاسد فى أصل المعنى .

قوله : « لوعدم ثانيه » الذى هو الألف ، من لفظ الثمار ، بقى : ثمر ، فلم يَبْقَ الجمع.

قوله : « قرية بالرَّىّ » أى وهى خار ، وإذا لم تكن الألف فيه بقى : خر . وهو بالفارسية اسم الحمار .

قوله : « ولو عدم ربعه » ، الذى هو السين « لم يكن » ذلك الربع « قلب الجسد » [٢] ؛ لسُقوطه[٣] ، « وتبدلت السكينة » ، فكانت كينة ، من قوله تعالى[٤] : ﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُوا ﴾ .

وفى الصِّحاح [٥] : « وباتَ فلانٌ بِكَيْنَةَ سَوْء بالكسر ، أى بحالةِ سوء » .

والاستكانة : الخضوع .

قوله : « الهرة » ، المراد منه سِنَّوْر ؛ بعَمل الترادف ، وإذا لم تكن فيه السين كان نوراً .

---

(١) فى ب : « هيئة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى أصل الجواب المتقدم : « القلب فى الجسد » . (٣) ساقطة من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٤) سورة المؤمنون ٧٦ . (٥) الصحاح (ك ى ن) ٦/٢١٩١ .

قوله : « الحنطة »[١] ، المراد منه : سلت. على التسامح .

قوله : « أوله بالعراق » ، يعنى القاف ، فى لفظ العراق ، « وآخره » ، وهو[١] الميم فى لفظ « الشام »[٢] .

قوله : « وثلثا ربعه » ، وهما السين والنون ، من بَسْط الرابع[٣] [٤] وهو السين[٤] ، « يتمّ به الإيمان » ؛ لأنه تمّ[٥] بالنون ، « والإسلام » ؛ لأن[٦] تمامه بالسين ، ولا يلزم أن يكون آخرا[٤] .

قوله : « وثلث ثالثه » ، الذى هو السين ، وهو المراد من بَسْطِه « يبتدئ السؤال » حقيقةً ، كما ترى ، « وبثانى ثانيه » ، وهو اللام من الألف ، « ينتهى القيل والقال » .

⁂



(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .
(٢) فى أصل الجواب المتقدم : « بالشام » .
(٣) فى ا ، ب : « الربع » ، والمثبت فى : ج .
(٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .
(٥) فى ب : « يتم » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٦) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

٩٤

ولده بهاء الدين *

الذى استرق النُّهَى ، وأشرق بدراً فى فلك الازْدِها .

الهمام الفَذّ البَذّ ، من تَطْرب بذكره الأسماع وتَلْتذّ .

تحلَّى من الفوائد العلمية بما تحلَّى ، واشتهر اشْتِهار الصبح إذا تجلَّى .

وازدادتْ به الدنيا ازْدِيادَ العاطِل بالحَلْى ، والمُشكل بالجَلْى .

والمَفرِق بالتاج ، والمقدمة بالإنْتاج .

وحصل بينه وبين الفضل فى الاتّحاد التساوِى ، فأنْتج مطلبُه من الشكل الأوّل هذا اللازم المَساوِى .

وأنا أذكر لك خبرَه على جليَّته فاعتمد عليه ، وإياك تُلْفى [١] مالَفَّقه الشهاب [٢] من [٣] ذكر حالِه ولا [٤] تجنَحْ إليه .

(*) محمد بن حسين بن عبد الصمد ، الملقب بهاء الدين بن عز الدين الحارثى ، العاملى .

ولد ببعلبك ، سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة .

وانتقل به أبوه إلى بلاد العجم ، وتنقلت به الأسفار إلى أن وصل أصفهان ، وأقام بمصر مدة ، ثم انتقل إلى القدس ، ونزل دمشق .

كان أمة وحده فى الأخذ بأطراف العلوم ، والتضلع بدقائق الفنون .

طارت شهرة مؤلفاته فى الآفاق ، وهو صاحب « الكشكول » ، و « المخلاة » ، وله شعر جيد .

توفى بأصبهان ، سنة إحدى وثلاثين وألف .

خبايا الزوايا ، لوحة ١٥٨ ا ، خلاصة الأثر ٣/٤٤٠ ، الذريعة ٢/٢٩ ، ٦/٢٤٠ ، روضات الجنات ٥٣٢ ، ريحانة الألبا ١/٢٠٧ ، سلافة العصر ٢٨٩ ، نزهة الجليس ١/٢٤٩ .

(١) فى ا : « تلقى » ، وفى ب : « تلق » ، والمثبت فى : ج .   (٢) فى ترجمته فى الريحانة ، وخبايا الزوايا .   (٣) فى ب : « فى » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٤) فى ب : « فلا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وذلك أنه كان بالشام تكوُّن خِلْقته ، وبها بان رُشْده وأحسَبه من حين لَقَّته قابِلَته

فى خِرْقته .

ثم انتقل به أبوه إلى قزْوِين وهلاله آخذٌ فى تدْويره ، وذهْنه فى مَبادِى ملاحظته

للدقائق وتصْويره .

فاستكمل ثَمَّةَ فضائلَه المعجِبة ، وصيَّر عندها فضائلَ الأُوَل كالمتحجِّبة [(١)] .

ولما طَمَّتْ حَصاتُه فى العراق ، وتجاوزت فيه المدائح من الغُلُوّ [(٢)] إلى الإغْراق .

استدعاه الشَّاه فصيَّره رئيسَ العلماء فى تَخْت مُلْكه ، وحَلَّى جِيدَ مملكته منه بجوهر

عِقد كلُّ جَهابِذَته شذراتٌ فى سِلْكه .

ثم رغب فى الفقر والسياحة ، واستهبَّ [(٣)] من مَهابِّ [(٤)] القبول رياحَه .

فطلع طلوعَ الشارِد ، يرِد البلادَ كالطَّيْف الوارد .

وهو يقْترِى المسالك ، ويقتحم المهالك ، ويُعانى الممالك .

فحجَّ البيت الحرام ، ودخل مصر أمَّ الأهرام .

ثم ورد دمشق فنَمَّ عليه فضله كما نمَّ ريحُ الورد على الورد ، ومنها ظهر بحلب الشهباء

كما ظهر العلَم الفَرْد .

فلم يُمْكنه إلا أن شدَّ للعجَم نطاقَ التَّسْيار ، ولما وصلها حطَّ بها [(٥)] رَحْلَ الاخْتيار ،

فصنَّف وألَّف ، وأبدع حَدَّ الإبداع وما تكلَّف .

وابتسمت به دولةُ الشاه عباس ، وأماطتْ أقوالُه فيها حَنادِسَ الشُّبَه والالْتباس .

مع عزم ينْفلق دونه الصخر الأصمّ ، وحِلم يقصُر عنه الطَّودُ الأشَمّ .

ورأيٍ عليه المُعوَّل ، وفكرٍ هو المعقول الأوَّل .

---

(١) فى ا : « كالمحتجبة » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) فى ا : « الغلول » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ب : « واستهب » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٤) فى ب : « مهب » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

وهنـاك ماشئْت من رقة ألفاظ (١) ، ولطافةِ مَعانٍ تتعـلَّمُ منهـا السحرَ غَمزَاتٌ وألحاظ .

وتفنُّن فى العبارات يتحيَّر له اللاحِظ ، وغرائبُ آدابٍ تَـكِلُّ فى استخراج دقائقها عيونُ الجاحظ .

إذا طلعت أغصانُ أقلامِه فى رياض أدبِه الجَنِيَّة الغُروس،سجدتْ لها الأقلام سجدةَ الشكر فى محاريب الطُّرُوس .

وأقلام إفادتِه لا تُنْسَب بإعياء قَطّ ، وصحائف مجده لم تُشَنْ من حسودٍ بنَقْط .

وهو فى اللِّسانين فارسٌ بطَل ، فالعربىُّ من بعده تعجَّم والفارسىُّ بطَل .

* * *

وله من عقائل اللسانين كلُّ فائقة الطَّرْف ، استوفتْ فى مدى البلاغـة اللطفَ والظَّرْف .

فمن بدائعه قوله (٢) :

وأهْيفِ القَدِّ لَدنِ العِطْفِ معتـدلٍ	بالطَّرْف والطَّرْف لا ينفكُّ قتَّالا (٣)
إن جال أهْـدى لنا الآجالَ ناظِرُهُ	أو صال قطَّع بالهِجْران أوْصالَا
وإن نظرتُ إلى مرآة وَجْنتِـــــه	حسبتُ إنسانَ عينى فوقهـــا خالَا
كأن عارِضَــــــه بالمِسك عارَضَنى	أو ليـلَ طُرَّتِه فى خَـــدِّه سالَا
أو طاف من نورِ خَـدَّيْه على بصَرِى	فخَطَّ بالليلِ فوق الصبح أشْكالَا (٤)

* * *

(١) فى ب : « الألفاظ » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/٤٥٢ .

(٣) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى ا : « أوطار نورخديه » ، وفى ب ، ج : « أوطاف نور خديه » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

وكتب إلى والده وهو بالهَراة ، فى سنة تسع وسبعين وتسعمائة [1] :

يا ساكنى أرضَ الهَراةِ أما كَفَى ... هــذا الفِراقُ بلَى وحقِّ المصطفَى

عودُوا علىَّ فرَبْعُ صبرِى قد عفَا ... والجَفْنُ من بعـد التَّباعُد ماغفَا [2]

وخيالُكم فى بالِى ... والقلبُ فى بَلْبالِ [3]

إن أقبلتْ من نحْوِكم ريحُ الصَّبا ... قلنا لهـا أهلاً وسهلاً مَرحبَا

وإليكمُ قلْبُ المُتيَّم قد صَبا ... وفِراقُكم للرّوحِ منـه قد سبَا

والقلبُ ليس بخالِى ... من حبِّ ذاتِ الخالِ

ياحبّـذَا رَبْعُ الحِمَى من مَرْبَعِ ... فغزالُه شبَّ الغضـا فى أضلُعِى

لم أنْسَه يوم الفـراقِ مُودِّعِى ... بمَدامعٍ تجرِى وقلبٍ مُوجَعِ

والصبُّ ليس بِسالِى ... عن ثغْرِه السَّلْسالِ

* * *

وله ، وهى من غُرَرِه [4] :

خلّيـانى ولَوْعَتِى وغَرامِى ... ياخليلَىَّ واذْهبـا بسَلامِ [5]

قد دعاه الهـوى فلبّاه قلبِى ... فدَعانى ولا تُطيلا مَلامِى [6]

---

(١) خلاصة الأثر ٣/٤٤٩ ، ٤٥٠ ، وسلافة العصر ٢٩٥، ٢٩٦ ، والكشكول ١/٢٤ ، وفيه : « وهو فى هراة ، سنة ٩٨٩ » . (٢) فى الأصول : « عودى على » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، والكشكول ، وسلافة العصر . (٣) فى الكشكول : « خيالكم فى بالى » .

(٤) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٤٥٠ ، ٤٥١ ، والكشكول ١/١٢٩ ، ١٣٠ ، وسلافة العصر ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وذكر المحبى والعاملى ، وابن معصوم أنه طلب من بهاء الدين أن يعارض قصيدة رثى بها والده ، مطلعها :

جارتى كيف تُحسنين مَلامِى ... أيُداوَى كَلْمُ الحشا بكلامِ

فقال هذه القصيدة .

(٥) فى ب : «ولوعتى وهيامى» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول ، وسلافة العصر .

(٦) فى ب : « ولا تطيل ملامى » ، والصواب فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول ، وسلافة العصر ، وفيها : « قد دعانى الهوى » .

إن مَن ذاقَ نَشْوَةَ الحبِّ يوماً لا يُبالى بِكَثْرَةِ اللُّوّامِ

خامَرتْ خمرةُ المحبَّةِ قلبي وجرَتْ فى مفاصِلي وعظامِي (١)

فعلى العلمِ والوقارِ صلاةٌ وعلى العقلِ ألفُ ألفِ سلامِ (٢)

هل سبيلٌ إلى وقوفٍ بوادى الـ ـجزْعِ ياصاحبىَّ أو إلمامِ (٣)

أيها السائرُ المُلِحُّ إذ ما جئتَ نجداً فَعُجْ بوادى الخزامِ (٤)

وتجاوزْ عن ذِي المجازِ وعرِّج عادِلاً عن يمين ذاك المقامِ (٥)

وإذا مابلغتَ حُزْوَى فبلِّغْ جيرةَ الحىِّ يا أخىَّ سلامِي (٦)

وانْشُدَنْ قلبِيَ المُعَنَّى لديهِمْ فلقد ضاع بين تلك الخيامِ

وإذا ما رَثَوْا لحالِي فَسَلْهمْ أن يَمُنُّوا ولو بطيفِ مَنامِ (٧)

يا نُزولاً بذِي الأراكِ إلى كَمْ تنقضى فى فِراقكمْ أعوامِي

ماسرَتْ نَسْمةٌ ولا ناح فى الدَّوْ حِ حمامٌ إلا وحانَ حِمامِي

أين أيّامُنا بشَرْقىّ نَجْدٍ يارعاها الإلهُ مِن أيامِ

حيثُ غُصْنُ الشبابِ غضٌّ ورَوْضُ الْـ ـعَيْشِ قد طرَّزَتْه أيدِي الغَمامِ

وزَمانى مُساعِدٌ وأيادِي الْـ ـلَهْوِ نحو المُنى تجرُّ زِمامِي

أيهـا المرتقِي ذُرَا المجد فرداً والمرجَّى للفادحاتِ العِظامِ

ياحليفَ النَّدَى الذى جُمِّعت فيـ ـهِ مَزايا تفرَّقتْ فى الأنامِ (٨)

(١) فى سلافة العصر : « خامرت خمرة المحبة عقلى » . (٢) فى الكشكول : « فعلى الحلم والوقار » . وكذلك فى السلافة . (٣) فى ب ، ج : « هل سبيل إلى الوقوف » ، وفى الكشكول ، والسلافة : « إلى وقوف » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر . (٤) فى الكشكول : « أيها السائل الملح » .

(٥) ذو المجاز : موضع سوق بعرفة ، على ناحية كبكب . معجم البلدان ٤/٤١٦ .

(٦) حزوى : موضع بنجد فى ديار تميم ، وحزواء ، بالفتح والمد ، ويقصر : موضع ، قيل باليمن . معجم البلدان ٢/٢٩٢ .

وفى ا : « جيرة الجن » ، وفى ب : « جيرتى الحى » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول ، والسلافة . (٧) فى ا : « وإذا مارسوا » ، وفى ب ، والسلافة : « وإذا مارقوا » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول . (٨) فى الكشكول : « ياحليف العلى » .

نِلْتَ فى ذِرْوةِ الفَخارِ مَحَلاًّ ... عَسِرَ المُرتقَى عزيزَ المَرامِ

نسبٌ طاهر ومجدٌ أثيلٌ ... وفَخارٌ عالٍ وفضلٌ سامِى

قد قَرَنَّا مَقالَكم بمَقالٍ ... وشَفَعْنا كلامَكم بكَلامِ [1]

ونَظَمْنا لها مع الدُّرِّ فى سِمْطٍ ... وقُلنا العبيرُ مثلُ الرَّغامِ [2]

لم أكُنْ مُقْدِماً على ذا ولكنْ ... كان طَوْعاً لأمْرِكم إقْدامِى [3]

عَمْرَكَ اللهُ يانديمِىَ أنْشِدْ ... جارَتا كيف تُحسنين مَلامِى

* * *

وله [4]:

أسِحرُ بابِلَ فى جَفْنَيْكِ أم سَقَمِى ... أم السيوفُ لقتْلِ العُرْبِ والعجمِ [5]

والخالُ مَرْكَزُ دَوْرِ للعِذار بدا ... أم ذاكَ نَضْحُ عِثارِ الخطِّ بالقلمِ

أم حبَّةٌ وُضِعَتْ كيما تصيدَ بها ... حَبَّ القلوبِ فصادتْ كلَّ مُلْتثِمِ

أم الفَراشُ هوَى طيرُ الفُؤادِ على ... نارٍ بخدِّكَ حتى صار كالفحمِ [6]

* * *

قوله: «والخال»، البيت، من قول الرَّامِينِيِّ الإسْترابَاذِىِّ [7]:

---

(١) فى ب: «قد قرانا»، والمثبت فى: ا، ج، والخلاصة، والكشكول، وسلافة العصر.

(٢) فى سلافة العصر: «ونظمنا الحصى مع الدر»، وفى ا: «مع الدر سمطا»، وفى ب: «مع الدر فى السمط»، والمثبت فى: ج، وخلاصة الأثر، والكشكول.

(٣) البيت فى الكشكول:

لم أكُن مقدِما على ذا ولكنَّ ... امْتثالا لأمرِكمْ إقدامِى

(٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/٤٥٢، ٤٥٣.   (٥) فى ب، ج: «أم سقم»، وفى خلاصة الأثر: «مع سقم»، والمثبت فى: ا.   (٦) فى خلاصة الأثر: «أم كالفراش»، وهى رواية حسنة.

(٧) هو الحسن بن الحسين بن محمد بن الحسين بن رامين الإستراباذى.

فقيه شافعى، متكلم أشعرى، متصوف.

توفى سنة اثنتى عشرة وأربعمائة.

تاريخ بغداد ٧/٣٠٠، طبقات الشافعية الكبرى ٤/٣٠٤، معجم البلدان ١/٢٤٢.

والبيتان فى وخلاصة الأثر ٣/٤٥٢.

هل نَضَحتْ أقلامُ خَطِّ العِـذارْ ... فى مَشْقِها فالخالُ نَضْحُ العِثارْ [(١)]
أم اسْتدارَ الخدُّ لمَّا غدَتْ ... نُقْطتُه مَركزَ ذاكَ المَدارْ [(٢)]

* * *

قوله : « أم حبَّة » ، هذا كثير ، وقد تقدَّم فى ترجمة السَّفَرْجلانىّ [(٣)] .

* * *

وقوله : « أم الفراش » ، هذا من قول عَوْن الدِّين العَجَمِىّ ، وفيه زيادة [(٤)] :

لَهيبُ الخدِّ حين بدا لعيْنى ... هوَى قلبى عليـه كالفَراشِ
فأحْرقه فصار عليه خالاً ... وها أثرُ الدُّخان على الحَواشِى

* * *

وله يرثى والده ، وقد توفِّىَ بالمُصلَّى من قُرى البَحْرين ، لثمان خلَوْن من شهر ربيع الأول ، سنة أربع وثمانين وتسعمائة ، عن ستّ وستين سنة وشهرين وسبعة أيام [(٥)] :

قِفْ بالطُّلولِ وسَلْها أين سَلْماهَا ... ورَوِّ من جُرَعِ الأجْفانِ جَرْعاهَا
وردِّد الطَّرف فى أطرافِ ساحتِها ... وأرِّجِ الوصلَ من أرْواحِ أرْجاهَا [(٦)]
فإن يَفُتْكَ من الأطْلالِ مُخبِرُها ... فلا يفوتَنْكَ مَرْآها وريَّاها [(٧)]

---

(١) فى خلاصة الأثر : « هل عثرت أقلام خط العذار » ، وهى اللائقة بالمعنى .

(٢) فى ا : « أم استدار الخال » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) تقدمت ترجمة إبراهيم بن محمد السفرجلانى ، فى الجزء الأول ، صفحة ٤٧٩ ، برقم ٤٦ .
والمحبى يعنى قول السفرجلانى :

لا يخدعنَّك تحت عَطْفة صُدغِه ... خالٌ فذاكَ الخالُ حَبَّةُ فَخِّهِ

انظر الصفحة ١/٤٨٣ ، وخلاصة الأثر ٣/٤٥٣ .

(٤) خلاصة الأثر ٣/٤٥٣ .

(٥) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٤٥١، ٤٥٢ ، والكشكول ١/٢٦٨، ٢٦٩ ، وسلافة العصر ٢٩٥ .

(٦) سلافة العصر : « وأرج الروح » ، وفى الكشكول :

* وروِّحِ الرُّوحَ من أرواحِ أرْجاهَا *

(٧) فى ا ، ج : « مرآها ورؤياها » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر ، والكشكول ، وسلافة العصر .

رُبوعُ فضلٍ يُضاهِي التِّبْرَ تُربتُها ودارُ أُنْسٍ يُحاكي الدُّرَّ حَصْباها (١)

عدا على جِيرةٍ حَلُّوا بساحتِها صَرْفُ الزمانِ فأبلاهم وأبلاها

بدورُ تِمٍّ غمامُ الموتِ جَلَّلها شموسُ فضلٍ سحابُ التُّرْبِ غَشَّاها (٢)

فالمجدُ يبكي عليها جازِعاً أسِفاً والدِّينُ يَنْدُبها والفضلُ يَنعاها

ياحَبَّذا أزْمُنٌ في ظِلِّهم سَلَفَتْ ما كان أقصرَها عُمراً وأحلاها (٣)

أوقاتُ أُنْسٍ قضيْناها فما ذُكِرتْ إلا وقطَّع قلبَ الصَّبِّ ذِكْراها

ياجِيرةً هجروا واستوطَنُوا هَجَراً واهاً لقلبِ المُعَنَّى بعدكم واهاً (٤)

رَعْياً لِلَيْلاتِ وَصْلٍ بالحِمَى سَلَفَتْ سَقْياً لأيَّامِنا بالخَيْفِ سُقْياها

لفَقْدِكم شُقَّ جَيْبُ المجدِ وانْصدعتْ أركانُه وبكم ما كان أقْواها

وخَرَّ من شامخاتِ العلمِ أرْفعُها وأنْهدَّ من باذِخاتِ الفضلِ أرْساها (٥)

ياثاوِياً بالمُصَلَّى من قُرى هَجَرٍ كُسِيتَ من حُلَلِ الرِّضْوانِ أصْفاها (٦)

أقمتَ يابحرُ بالبحرينِ فاجتمعتْ ثلاثةٌ كُنَّ أمثالاً وأشباها

ثلاثةٌ أنت أنْداها وأغزرُها جوداً وأعذبُها طعماً وأصْفاها (٧)

---

(١) في ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر : «تباهى القبر» ، والمثبت في : ا ، والكشكول ، وفي السلافة : « تخال الدر حصباها » . (٢) في ب : «سحاب القرب غشاها» ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول ، وسلافة العصر . (٣) في ب ، وخلاصة الأثر : « يا حبذا زمن » ، والمثبت في : ا ، ج ، والكشكول ، وسلافة العصر . (٤) في الكشكول : « يا سادة هجروا » .

وهجر : قصبة البحرين . انظر معجم البلدان ٤/٩٥٣ .

(٥) الخيف : بطحاء مكة ، أو مبتدأ الأبطح . معجم البلدان ٢/٥٠٨ .

(٦) في خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « من باذخات العلم أرساها » ، وفي الكشكول : « من باذخات الحلم أرساها » . (٧) في ب ، خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « كسيت من حلل الرضوان أصفاها » ، وفي الكشكول : « أرضاها » .

(٨) رواية الكشكول :

ثلاثةٌ أنت أسْداها وأغزرُها جودًا وأعذبُها طعماً وأحْلاها

حَوَيْتَ من دُرَرِ العلْياء ماحَوَيا ... لـكِنَّ دُرَّكَ أعْلاها وأغْلاها (١)

ياأعْظَما وَطِئتْ هامَ السُّها شرَفاً ... سَقاكِ من دِيَمِ الوَسْمِىِّ أسْماها (٢)

وياضريحاً علَا فوق السِّماكِ عُلاً ... عليْك من صَلَوات الله أزْكاها (٣)

فيك انْطَوى من شموسِ الفضلِ أضْوَءُها ... ومن مَعالمِ دينِ الله أسْناها (٤)

ومِن شوامِخِ أطْوادِ الفتوَّةِ أرْ ... ساها وأرفعُها قدراً وأبْهـاها (٥)

فاسْحَبْ على الفَلَكِ الأعْلَى ذيولَ عُلاً ... فقد حوَيْتَ من العَلْياء عَلْياها (٦)

عليك مِنَّا صلاةُ اللهِ ما صدَحتْ ... على غصونِ أراكِ الدَّوْحِ وَرْقاها (٧)

* * *

ومن مقطَّعاته قوله (٨) :

لعينيْك فضلٌ كثيرٌ علىَّ ... وذاكَ لأنِّىَ ياقاتِـــلِى (٩)

تعلَّمتُ من سحرِها فعقدتُ ... لسان الرَّقيبِ مع العاذلِ

* * *

وكتب من قَزْوِين إلى والده ، وهو بالهَراة (١٠) :

---

(١) فى الـكشكول : « من درر العلياء » ، وفى ب : « لـكن ذكرك » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، والـكشكول ، وسلافة العصر .

(٢) فى الـكشكول : « يا أعظما وطئت » ، وفى الأصول : «هام السرى» ، والصواب فى : خلاصة الأثر ، والـكشكول ، وسلافة العصر .

والوسمى : أول مطر الربيع .

(٣) السماكان : الأعزل والرامح : نجمان نيران .

(٤) رواية الـكشكول لصدر البيت :

* بك انْطوَى من شموسِ الفضل آخِرُها *

(٥) فى الـكشكول : « وأرفعها قدرا وأبهاها » .

(٦) فى الـكشكول ، وسلافة العصر : « من العلياء أعلاها » . (٧) فى ب ، والـكشكول : « عليك منى صلاة الله » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٨) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣ / ٤٥٣ ، والـكشكول ١ / ٥١ . (٩) فى الـكشكول : « فضل جزيل » ، وفى خلاصة الأثر : « وذاك لأنك يا قاتلى » . (١٠) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣ / ٤٥٠ ، الـكشكول ١ / ٤٣ ، وذكر أنه كتب ذلك إليه ، سنة إحدى وثمانين وتسعمائة ، سلافة العصر ٣٠٠ .

بِقَزْوِينَ جِسْمِي وَرُوحِي ثَوَتْ ... بِأَرْضِ الْهَرَاةِ وَسُكَّانِهَا
فَهَذَا تَغَرَّبَ عَنْ أَهْلِهِ ... وَتِلْكَ أَقَامَتْ بِأَوْطَانِهَا[1]

* * *

وله[2] :

إِنَّ هَذَا الْمَوْتَ يَكْرَهُهُ ... كُلُّ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْغَبْرَا
وَبِعَيْنِ الْعَقْلِ لَوْ نَظَرُوا ... لَرَأَوْهُ الرَّاحَةَ الْكُبْرَى

* * *

اقتفى فى هذا أثرَ ابن الرُّومِيّ ، فى مَدْح الموت ، حيث قال[3] :

قَدْ قُلْتُ إِذْ مَدَحُوا الْحَيَاةَ وَأَسْرَفُوا ... فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَا تُعْرَفُ
مِنْهَا أَمَانُ لِقَائِهِ بِلِقَائِهِ ... وَفِرَاقُ كُلِّ مُعَاشِرٍ لَا يُنْصِفُ

* * *

ومن رُباعيّاته ، ما كتبه لبعض أحبابه ، وهو فى المشهد الأقدس الرَّضَوِيّ[4] :

يَا رِيحُ إِذَا أَتَيْتَ أَرْضَ الْجَمْعِ ... أَعْنِي طُوساً فَقُلْ لِأَهْلِ الرَّبْعِ[5]
مَا حَلَّ بِرَوْضَةٍ بَهَائِيُّكُمُ ... إِلَّا وَسَقَى رِيَاضَهَا بِالدَّمْعِ[6]

* * *

وكتب إلى بعض[7] أحبابه[8] بالنجف الأشرف[9] :

---

(١) فى الأصول : « فهذا تغرب عن أهلها » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، والكشكول ، وسلافة العصر .   (٢) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٤٥٤ ، الكشكول ١/٢٤ ، سلافة العصر ٢٩٦ .
(٣) البيتان ليسا لابن الرومى ، وهما لمنصور الفقيه فى : التمثيل والمحاضرة ٤٠٦ ، طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٤٧٨ ، ٤٨٣ .   (٤) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣ / ٤٥٤ ، الكشكول ١ / ٢٣ .
(٥) فى الكشكول : « أعنى طبنا » .   (٦) فى ب : « ما حل بروضة بهاؤكم » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول . وفى الكشكول : « إلا سقى » .   (٧) فى ا : « لبعض » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٨) فى ب : « إخوانه » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٩) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٤٥٤ ، والكشكول ١/٢٣ .

يا ريحُ إذا أتيتَ أرضَ النَّجَفِ فالْثِم عَنِّى تُرابَها ثم قِفِ[1]
واذْكُرْ خبرِى لدى عُرَيب نزلوا وادِيَه وقُصَّ قصَّتى وانصرِفِ

***

وله[2] :

ياعاذلُ كم تطيــــلُ فى إتْعابِى دَعْ لَوْمَكَ وانصرفْ كفانِى مابِى[3]
لاَلَوْمَ إذا هِمْتُ من الشوقِ على قلبٍ ماذاق فُرْقَةَ الأحْبابِ[4]

***

وله[5] :

يابدرَ دُجًى بوَصْلِهِ أحْيانِى إذْ زار وكمْ بهجْرِه أفنانِى
باللهِ عليكَ مجِّلَنْ سفْكَ دمى لاطــاقةَ لى بلَيْلةِ الهِجرانِ

---

(١) فى الكشكول : « إذا أتيت أهل النجف » . وفى ا : « فالثم عن ترابها » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول .

(٢) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٤٥٣ ، الكشكول ١/٤٣ ، سلافة العصر ٣٠٠ .

(٣) فى ا : «يا عاذلا كم » ، وفى ب : « يا عاذل لا » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر ، والكشكول ، وسلافة العصر .

وفى خلاصة الأثر : « كم تطيل فى إعتابى » ، وفى سلافة العصر : « كم تطيل فى عتابى » .

(٤) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والمصادر السابقة .

وفى خلاصة الأثر : « من الشوق فلى » ، والبيت فى الكشكول جاء هكذا :

لا لومَ إذا أهيمُ بالشوق فلى قلبٌ ما ذاق فرقةَ الأحبابِ

(٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

والبيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٤٥٤ ، الكشكول ١/١٤٥ ، سلافة العصر ٣٠١ .

٩٥

حسن بن زين الدين الشّهِيد*

رُكنُ مجدٍ رَكِين ، مكانه فى ذِرْوة الرياسة مَكِين .

رسَا فى بُحْبُوحة البسالة ورسَخ ، ونسَخ خطَّة الجهل بما خطَّ ونسَخ .

وهو من قومٍ تنُوس ذوائبُهم على هام الجبال ، وتستمِدُّ الشموس من سَناهم فلذا ترخِي عند المغيب الحبال .

تَقطَع إليهم الوُعور فتُلْقَى بشوقهم صعيدا ، وتَستبعد لغيرهم السَّماوة[1] ولا يُرى السماء بقصْدهم بعيدا .

وأبوه زَيْن الدين ممن كان له صِيتٌ يَفلِق الصّخر ، وتقدُّم فيما بينهم ينْفلق عنه فجرُ الفخْر .

إلا أن الأيام غالته بطوارِقها ، ونازلته برواعدِها وبوارِقها .

على جَهْد فى قتالٍ جَهِيد ، حتى ألْقَى السمع وهو شَهِيد .

(*) فى الأصول : « حسين » ، والمثبت فى المصادر التالية .

وهو :

حسن بن زين الدين الشهيد ، العاملى ، الشهير بالشامى .

نزيل مصر .

ولد سنة أربع وخمسين وتسعمائة تقريبا .

كان أديبا ، عالما بقواعد الشرع ، قام مقام والده فى التدريس والتصنيف .

ومن مصنفاته : «منتقى الجمان فى الأحاديث الصحاح والحسان» ، و «المعالم» ، و «الاثناعشرية» ، و « مناسك الحج » .

توفى سنة إحدى عشرة بعد الألف .

خبايا الزوايا لوحة ١٣٩ ا ، خلاصة الأثر ٢/٢١ — ٢٣ ، ريحانة الألبا ٢/١٥١ ، سلافة العصر ٣٠٤ — ٣٠٨ .

(١) السماوة : الأرض المستوية لا حجر بها ، والسماوة ماء بالبادية . انظر معجم البلدان ٣/١٣١ .

تخلفه ابنُه حسن ، ومن حديثُ فضلِه صحيحٌ حسَن .

فقام مَقام الوَبْل فى البلد المَحْل ، وكان أنْدَى من الصَّبا وأشْهى من جَنَى النحل .

يَبْتدِر ويروِى[1] ، وينْقع بزُلال أدبِه ويَرْوِى[2] .

ويُمتِّع[3] بأحاسن الأخبار ، ويقطع منها جانبَ الاعتبار .

مع فكرٍ ماؤه يسِيح ، وطبعٍ بُستانه فسِيح .

وله مؤلفات أحسَن فيها كلَّ الإحسان ، أجلُّها « منتقى الجمان فى الأحاديث الصحاح والحسان » .

***

وأما شعره فلبنانٍ مَنْبت زهرِه الفوّاح ، ونسيمه الطَّلْق راوِى حديث نفْحتِه للأرْواح .

وقد أثبتُّ منها مايردِّد محاسنَه الدهرُ ويرْويها ، وينشر فضائله على كواهل الأدب ويطْويها .

فمنه قوله[4] :

فؤادِى ظاعنٌ إثرَ النِّياقِ ... وجسمى قاطنٌ أرضَ العراقِ[5]

ومن عجَبِ الزمانِ حياةُ شخصٍ ... ترحَّل بعضُه والبعض باقِ

وحلَّ السُّقْمُ فى بدَنى وأمسى ... له ليلُ النَّوَى ليلَ المَحاقِ[6]

وصبْرِى راحلٌ عنَّا قليلٍ ... لشدة لَوْعتى ولَظَى اشْتياقِ

وفَرْطُ الوَجْدِ أصبح بى خليقًا ... ولمَّا ينْوِ فى الدنيا فِراقِى[7]

وتعبثُ نارُه فى الرُّوح حينًا ... فيوشك أن تُبلِّغها التراقِى[8]

---

(١) من الرواية . (٢) من الرى . (٣) فى ب : « ويتمتع » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٢/٢٣ ، الكشكول ١/١١٥ ، سلافة العصر ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(٥) فى ب : « أسر النياق » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والمراجع السابقة . (٦) فى سلافة العصر : « فى بدنى فأمسى » . (٧) فى ا : « أصبح بى خليقا » ، وفى الكشكول : « أصبح لى حليفا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٨) فى ا ، ج : « وتبعث ناره » ، والمثبت فى : ب ، والمراجع السابقة .

وأظمأني النّوى وأراق دمعي ... ولا أروَى ولا دمعي براقِ[1]

وقيّدني على حالٍ شديدٍ ... فما حِرْزُ الرُّقَى منه بوَاقِ

أبَى اللهُ المهيمنُ أن تراني ... عيونُ الخلقِ محلولَ الوَثاقِ

أبيتُ مَدى الزمانِ لنارِ وَجْدِي ... على جمرٍ يزيد به احْتراقِي[2]

وما عيشُ أمْرِىءٍ في بحرِ غَمٍّ ... يُضاهِي كربُه كَرْبَ السِّياقِ

يوَدُّ من الزمانِ صفاءَ يومٍ ... يلوذُ بظلِّه ممّا يُلاقِي[3]

سقتْنِي نائباتُ الدهرِ كأساً ... مَريرًا من أباريقِ الفِراقِ

ولم يخطُرْ ببالِي قبلَ هذا ... لفَرْطِ الجهلِ أن الدهرَ ساقِ

وفاضَ الكأسُ بعد البيْنِ حتى ... لَعمْرِي قد جرتْ منه سَواقِ

فليس لِداءِ ما ألقَى دواءٌ ... يُؤمَّل نفعُه إلّا التّلاقِي

***

وقوله، وهو[4] من أبدع ما هزَّ به الشوق، بعصا السَّوْق.

يتشوّق إلى مَحلِّه، ويندُب بُعدَ تَرحُّلِه[5] عنه ومُرتَحلِه[6]:

طولُ اغترابِي بفَرْطِ الشوقِ أضْنانِي ... والبَيْنُ في غمَراتِ الوَجْدِ ألقانِي[7]

يا بارِقاً من نواحِي الحيِّ عارَضَنِي ... إليك عنِّي فقد هيَّجْتَ أشجانِي[8]

فما رأيتُك في الآفاقِ مُعترِضاً ... إلا وذكّرْتَنِي أهلِي وأوْطانِي

ولا سمعتُ شَجا الوَرْقاءِ نائحةً ... في الأيكِ إلا وشَبَّتْ منه نيرانِي

كم ليلةٍ من ليالِ البَيْنِ بِتُّ بها ... أرْعَى النجومَ بطَرْفِي وهْي ترْعانِي

كأن أيْدِي خُطوبِ الدهرِ منذ نأوْا ... عن ناظرِي كحَّلَتْ بالسُّهْدِ أجْفانِي

---

(١) في خلاصة الأثر، والكشكول، وسلافة العصر: «فلا أروى». وفي السلافة: «ولا دمعي براق».

(٢) في خلاصة الأثر: «بنار وجدي»، وفي الكشكول: «ونار وجدي».

(٣) في ا: «مما يلاقي»، والمثبت في: ب، ج، والمراجع السابقة.

(٤) في ا: «وهي»، والمثبت في: ب، ج.

(٥) في ب، ج: «تحوله»، والمثبت في: ا.

(٦) القصيدة في: خلاصة الأثر ٢ / ٢٢، سلافة العصر ٣٠٥، ٣٠٦.

(٧) في ب: «طول اشتياقي بفرط الحب أضناني»، والمثبت في: ا، ج، وخلاصة الأثر، وسلافة العصر.

(٨) بين هذا البيت والذي بعده تقديم وتأخير في: ا، والمثبت في: ب، ج، والخلاصة، والسلافة.

ويانسيماً سرى من حيّهم سحراً … فى طيّه نَشْرُ ذاك الرَّنْدِ والْبانِ

أَحْيَيْتَ مَيْتاً بأرضِ الشام مُهجتُهُ … وفى العراق له تَخْييلُ جُثمانِ (١)

وكم حييتُ وكم قد مِتُّ من شَجَنِ … ماذاك أوّلُ إحياء ولا الثانى (٢)

يالائمى كم بهذا اللَّوْمِ تُزعجنى … دَعْنى فلَوْمُك قد واللهِ أغرانى (٣)

لايسكُن الوجدُ مادام الشَّبابُ ولا … تصْفُو المشاربُ لى إلاّ بلُبْنانِ (٤)

فى رَبْعِ أُنْسِى الذى حلَّ الشبابُ به … تمائمى وبه صَحْبِى وخِلانى

كم قد عهدتُ بهاتيك المعاهدِ مِن … إخْوانِ صِدْقٍ لعَمْرى أىُّ إخوانِ

وكم تقضّتْ لنا بالحىّ آونةٌ … على المسرّة فى كَرْمٍ وبستانِ

لم أدْرِ حالَ النَّوَى حتى علقْتُ به … فغَمْرتى من وقوعِى قبل عِرْفانِ

حتّى مَ دهرى على ذا الهَوْنِ تُمسكنى … هلا جنحتَ لتسريحٍ بإحْسانِ (٥)

أقسمتُ لولا رجاء القرْبِ يُسعفنى … فكلّما مُتُّ بالأشواق أحْيانى

لكدتُ أقضِى بها نحْبِى ولا عجبٌ … كم أهلكَ الوجدُ من شِيبٍ وشُبّانِ

ياجيرةَ الحىّ قلبى بعد بُعدِكُمُ … فى حَيْرةٍ بين أوْصابٍ وأحْزانِ (٦)

يمضى الزمانُ عليه وهو ملتزمٌ … بحبِّكمْ لم يُدَنِّسْه بسُلوانِ

باقٍ على العهدِ راعٍ للذِّمامِ فما … يَسُوم عهدَكمُ يوماً بنِسيانِ (٧)

فإن برانى سَقامِى أو نأى رَشَدِى … فلاعِجُ الشوقِ أوْهانِى وألْهانِى

وإن بكتْ مقلتى بعد الفراقِ دماً … فمن تذكّركم ياخيرَ جيرانِ (٨)

---

(١) فى خلاصة الأثر: «تخييل جثمان». (٢) فى ا: «أول إحيائى ولا الثانى»، والمثبت فى: ب، ج، وخلاصة الأثر، وسلافة العصر. (٣) فى سلافة العصر: «يا لائمى وبهذا اللوم تزعجنى».

(٤) فى ا: «ما دام الثبات»، وفى سلافة العصر: «ما دام الشتات»، والمثبت فى: ب، ج، وخلاصة الأثر.

(٥) فى ب: «على ذى الهون»، والمثبت فى: ا، ج، وخلاصة الأثر، وسلافة العصر.

(٦) فى ا: «بين أوصاب وأشجانى»، والمثبت فى: ب، ج، وخلاصة الأثر، وسلافة العصر.

(٧) فى خلاصة الأثر: «يشوب عهدكم». (٨) فى سلافة العصر: «يا خير جيرانى».

٩٦

سِبْطه زَيْن الدين بن محمد *

هو السِّبْط ، ذو البَنان السَّبْط ، حازم[1] الرأى فى الحَلّ والربْط .

مجده نَسَقَ الحديثَ مع القديم ، وخُلاه تسوغ بها المُدامة إذا تكرّرها النديم .

إلى ذاتٍ كاملة مكمّلة ، ونفسٍ بفعْل الجميل مُجمِّلة .

ملازِم كِنّ وعُزْلة ، مُتعاطٍ سهْلَ العيش وجَزْلَه .

ثم سمتْ هِمّتُه إلى أن طار عن أهلِه ، وخرج يتتبّع عجائب الأقطار على مَهْلِه .

يرْتاد غيرَ أرضِه أرضا ، ليقضىَ من أمرِ الرحلة سُنَّة وفرضا .

حتى كان البيتُ الحرام آخرَ مَطافه ، انتقل إلى عفو الله وخفِىّ ألطافِه .

* * *

وقد رأيتُ له شعراً يتجــلى فى أبْراد الإجـادة ، ويتحلّى من الـكلمات بالصّقيلة المُستجادَة .

فأثبتُّ منها ما ترقُص بسماعه معاطفُ وذوائب ، وتُمسى قلوب العشاق من نار غرامه وهى ذوائب .

(*) فى ب، وسلافة العصر ٣٠٨ : « سبط زين الدين » ، والمثبت فى : ا، ج، وخلاصة الأثر ٢/١٩١ .

وهو :

زين الدين بن محمد بن حسن بن زين الدين الشهيد ، العاملى .

شاعر حسن السبك ، عالم تقى .

ذهب إلى مكة مجاورا ، والتقى بها ابن معصوم ، صاحب السلافة .

توفى بمكة ، سنة اثنتين وستين وألف .

خلاصة الأثر ٢/١٩١ ، ١٩٢ ، سلافة العصر ٣٠٨ ــ ٣١٠ .

(١) فى ب : « عازم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فمن ذلك قوله ، يشكو طول نَواه ، ويندُب أوقاته بمحلّ ثُواه[1] :

سئمتْ لفَرْط تنقُّلِي البَيْداء ... وشكتْ لعِظْم ترحُّلى الأنْضاء

ما إن أُرى فى الدهرِ غير مُوَدِّع ... خِلًّا وتوديعُ الخليل عَناء[2]

أبْلَى النَّوى جلَدِى وأوْقد فى الحشَا ... نِيرانَ وجدٍ مالها إطفاء

فقدتْ لطُول البَيْن عينى ماءَها ... فبكاؤُها بدل الدموع دماء

فارقتُ أوطانى وأهلَ مودَّتى ... وحبائباً غِيداً لهنّ وفاء

من كلّ مائسةِ القَوامِ إذا بدتْ ... لجمالِ بهجتِها تغارُ ذُكاء[3]

ما أسْفرتْ والليلُ مُرْخٍ سِتْره ... إلا تهتّكتْ دونها الظلماء

ترْمِي القلوبَ بأسهُمٍ تُصْمِي وما ... لجِراحهنّ سوى الوِصالِ دواء

شمسٌ تَغارُ لها الشموسُ مُضيئةً ... ولها قلوبُ العاشقين سَماء

هيفاء تختلس العقولَ إذا رنتْ ... فكأنما لَحَظاتُها الصَّهْباء

ومَعاشرٍ ما شَانَ صدقَ وفائهمْ ... نقضُ العهودِ ولا الودادَ مِراء

ما كنتُ أحسَبُ قبل يوم فِراقهمْ ... أن سوف يَقْضَى بعد ذاك بقاء

فسقَى رُبَى وادى دمشقَ وجادَها ... من هاطِلِ المزْنِ المُلِثّ حَياء[4]

فيها أُهَيْلُ مودّتى وبتُرْبِها ... لجَليلِ وجدى والسَّقام شِفاء

ورعى ليالِينا التى فى ظِلِّها ... سلَفتْ ومُقْلةُ دهْرنا عَمْياء

أترى الزمان يعود لى بإيابها ... ويباح لى بعد البعاد لقاء

---

(١) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٢/١٩٢ ، سلافة العصر ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٢) فى الأصول : « ما إن رأى » ، والمثبت فى الخلاصة ، والسلافة .

(٣) ذكاء : هى الشمس .

(٤) فى سلافة العصر : « فسق ثرى وادى دمشق » .

والملث : الذى يدوم أياما .

فإلى متى يا دهرُ تصدعُ بالنّوَى ... أعشارَ قلبٍ ما لهنّ قواء[1]

وتسُومني فيك المُقامَ بذلّةٍ ... ولهمّتى عمّا تسُـــوم إباء

فأجابنى لولا التّغرب ما ارتقى ... رتبَ العـــلا من قبلك الآباء

فاصــبرْ على مُرّ الخطوب فإنما ... مِن دون كلّ مسرّةٍ ضرّاء

وأراكَ تذكُرُك الشآمَ فإنما ... دون الشآمِ وأهلِهـــا بيْداء

* * *

وقوله من قصيدة فى المدح ، مستهلها[2] :

شامَ برْقاً لاح بالأبْرقِ وَهْنا ... فصبا شوقا إلى الجزْع وحنّا

وجرى ذكْرُ أثيلاتِ النّقا ... فشكا من لاعجِ الشوقِ وأنّا

دَنِفٌ قد عاقه صَرْفُ الرّدَى ... وخُطوبُ الدهرِ عمّا يتمنّى

شفّه الشوقُ إلى بانِ اللّوى ... فغدا مُنْهمِلَ الدمعِ مُعنّى[3]

أسلمتْهُ للرّدَى أيْدِى الأسى ... عندما أحْسنَ بالأيام ظنّا[4]

طالما أمّلَ إلمامَ الكرَى ... طمَعا فى زَوْرةِ الطّيْفِ وأنّى

كلّما جَنّ الدجى حَنّ إلى ... زمنِ الوصلِ فأبْدَى ما أجنّا

وإذا هبّ نسيمٌ من رُبَى ... حاجِرٍ أهْدَى له سُقْما وحُزْنا

يا عريبـــا بالحِمَى لولا كُمُ ... ما صبا قلبى إلى رَبْعٍ ومَغْنَى

كان لى صَبْرٌ فأوْهاه النّوى ... بعدَكم يا جِيرةَ الحىّ وأفْنَى[5]

---

(١) مد « قوى » المقصور للقافية . (٢) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٢/١٩١ ، ١٩٢ ، وسلافة العصر ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، والقصيدة فى مدح والد صاحب السلافة .

(٣) فى الأصول : « منهمل الدهر معنى » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٤) فى ب : « أيدى النوى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٥) فى ب ، ج : « فأوهاه الأسى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة ، والسلافة .

قاتَلَ اللهُ النَّوى كم قرَّحتْ ... كَبِداً من ألمِ الشوق وجَفْنَا

كدَّرتْ موردَ لَذَّاتي وما ... تركتْ لي من جميلِ الصبرِ رُكْنَا

قطعت أفلاذ قلبي والحشا ... وكستني من جليل السقم وَهْنَا

فإلى كم أشتكي جَوْرَ الهوى ... وأُقاسِي من هوى ليلى ولُبْنَى [1]

قد صَحَا قلبيَ من سُكْرِ الهوى ... بعد ما أزْعجه السكرُ وعَنَّى

ونَهاني عن هوى الغِيدِ النُّهى ... وحَبانِي الشَّيبُ إحساناً وحُسْنَا

وتفرّغْتُ إلى مَدْحِ فتًى ... سُنَّةَ المعروفِ والأفْضالِ سَنَّا [2]



(١) في سلافة العصر : «جور النوى» ، وفي ب : « من هوى قيس ولبنى» ، والمثبت في : ا،ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٢) في ب ، ج : « سنة المعروف والإحسان سنا » ، والمثبت في : ا ، والخلاصة والسلافة ، وقد ذكر ابن معصوم بعد هذا تمام القصيدة ، وهو تسعة عشر بيتا .

٩٧

السيد نور الدين [بن] أبي الحسن الحُسَيْنِيّ *

هو نورٌ للمُجتلِي القابِس ، وابتسامٌ في فم الزمان العابِس .

سما قدرُه بين فضلاء الأنام ، وحلَّ من الأدب بين الذِّرْوة والسَّنام .

وصِيتُه في الحجاز أشهر من يوم بدر ، وأنْوَر من ليلة القدر .

مع نَزاهة عن الدنيا ، ورفعة نِيطتْ بالثُّريّا ، ولهجةٍ ترقْرق فيها ماء الحيا ، فأحْيِي وحَيِّي .

وكرمُ طبعه مع حسن صمته ، دليلٌ للرواة على حسن [1] سَمْته .

فإذا حَبا أنَّى تُوازَن به الغيوثُ السَّواكب ، وإذا احْتبَى هيهات أن تُشْبِهه الجبالُ الرواسب .

* * *

وله فوائد تأنَّق فيها ، وأشعارٌ أصبح جوهرُه [2] سلكُ مُقتنِيها .

وقد أثبتُّ له ما يعجِب إحسانُه ، ولا يُجحَد حسنه أو يُنكَر استحسانُه .

فمنه قوله ، من قصيدة طويلة في المدح ، مطلعها [3] :

(*) نور الدين علي بن أبي الحسن الحسيني ، العاملي ، الشامي .

إمام همام ، عالم ، منطيق .

اشتهر أمره بالشام ، ثم انتقل إلى مكة المكرمة ، وجاور بها .

لقيه ابن معصوم فيها ، وقد أناف على التسعين .

وتوفي بها ، سنة ثمان وستين وألف .

خلاصة الأثر ٣/١٣٢ ـ ١٣٤ ، سلافة العصر ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(١) في ب : « طهارة » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : «جوهرة» ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) القصيدة في : خلاصة الأثر ٣/١٣٣ ، ١٣٤ ، سلافة العصر ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، وفيه أنه مدح بها بعض الأمراء .

لك الفخرُ بالعَلْيا لك السَّعدُ راتبُ ... لك العزُّ والإقبال والنصر غالبُ

سَمَوْتَ على قبِّ السَّراحِين صائلا ... فكانت بكفّيك القَنا والقواضبُ (١)

وحُزْتَ رِهانَ السَّبق فى حَلْبة العلى ... فأنت لهــا دون البريّة صاحبُ (٢)

وجُلْتَ بحَوْماتِ الوغى جَوْل باسلٍ ... فرُدَّت على أعقابهن الكتائبُ (٣)

فلا الدّارعاتُ المُعْلَماتِ تكنُّها ... ملابسها لما تحِقُّ المضاربُ (٤)

ولا كثرةُ الأعداء تغنى جموعُها ... إذا لمعتْ منك النجومُ الثواقبُ

خُضِ الحَتْفَ لا تخشَ الورى واقْهرِ العدى ... فليس سوى الإقدام فى الرأىِ صائبُ

وشمِّر ذيولَ الحزْمِ عن ساقِ عزْمِها ... فما ازدحمتْ إلا عليك المراتبُ

إذا صدَقت للناظرين دلائلٌ ... فدَعْ عنك ما تُبدِى الظنونُ الكواذبُ

ببِيضِ المَواضى يُدرِك المرء شأوَهُ ... وبالسُّمْر إن ضاقتْ تهون المصاعبُ

لِأسْلافك الغُرِّ الكرام قواعدٌ ... على مثلها تُبنَى العلى والمناصبُ

زَكَوْتَ وحُزْتَ الفضل مجدًا ومحتدًا ... فآباؤك الصِّيد الكرام الأطايبُ

ومن يَزْكُ أصلًا فى المعالى سمتْ به ... ذُرا المجد وانقادتْ إليه الرَّغائبُ (٥)

بَنُو عمِّكم لمَّا أضاءتْ مشارقٌ ... بكم أشرقتْ منهم علينا مغاربُ

وفيكم لنا بدرٌ من الغرب طالعٌ ... فلا غرْوَ أن كانت لديه العجائبُ

هو الفخر مدَّ الله فى الأرض ظلَّه ... ولا زال تُجْلَى من سَناه الغياهِبُ (٦)

---

(١) القب : الفحل ، والرئيس . والسراحين : جمع السرحان ، وهو الذئب أو الأسد ، وقبل هذا البيت فى خلاصة الأثر : « منها » ، وبين هذا البيت والذى قبله زيادة أربعة أبيات فى السلافة .

(٢) فى ب : « دون السرية » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٣) فى الأصول : « بحومات الهوى » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

(٤) فى السلافة : « فلا الدارعات المعلمات . . . لما تحن المضارب » .

(٥) فى ا : « فانقادت إليه الرغائب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٦) فى الأصول : « ولا زال تجلى » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة .

إلى حلبَ الشّهباءِ منّى بِشارةٌ ... تعطِّرها حتى تفوحَ الجوانبُ(١)

إذا مامضى من بعد عشرٍ ثلاثةٌ ... من الدَّوْر فيها تُستتمُّ المآربُ

لقد حدَّثتْ عنها أولو العلمِ مثلما ... جَرى وانقضت تلكَ السّنونَ الجوادِبُ(٢)

بدا سعدُها لمَّا عليٌّ بدا بها ... وياطالما قد أنحستْ وهْو غاربُ

وفَوْزُ عليٍّ بالمعالى فوزُها به ... فكلٌّ إلى كلٍّ مضافٌ مُناسبُ

كأنِّى بسيفِ الدولةِ الآن وارِدًا ... إليها يُلاقى ماجنتْه الثَّعالبُ(٣)

لقد جادَها صَوْبُ الحيا بعد مَحْلِها ... وشرَّفها مَن أحكمتْه التَّجارِبُ

كريمٌ إذا ماأمحلَ الغيثُ أمطرتْ ... أيادِيه جُودًا منه تصفُو المشاربُ

أديبٌ أريبٌ لوتجسَّم لفظُه ... أصابتْه عِقْدًا للنُّحور الكواعبُ(٤)

فيا أيها المنصورُ بُشْراكَ رتبةٌ ... بها السعدُ حقا والسرورُ مُواظبُ

مدحْتكُمُ والمدحُ فيه تجارةٌ ... بها تثمِر النُّعمَى وتغْلو المكاسبُ(٥)

إلى بابِ عَلْيا كم شدَدْتُ رواحِلى ... وياطالما شُدَّت إليه الرّكائبُ

بها الفضلُ منشورٌ بها الجودُ وافرٌ ... بها فتحُ من سُدَّتْ عليه المذاهبُ

وماذا عسى أن يبلُغَ الوصفُ فيكمُ ... إلى غايةٍ هل ينْقص البحرَ شاربُ

فلا زلتمُ فى أكْملِ السعدِ والهنا ... مدَى الدهرِ مامالتْ وماسَتْ ذوائبُ

* * *

---

(١) عجز هذا البيت فى خلاصة الأثر :

* تعطَّر حتى تَستطِيبَ الجوانبُ *

(٢) فى الأصول : « أولى العلم » ، والتصويب عن : الخلاصة ، والسلافة .

(٣) فى ا : « ما جنته الثعالب » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) عجز هذا البيت فى السلافة :

* أصابتْه عقدا محور للكواعب *

وهو خطأ .

(٥) فى ا : « بها تغمر النعما وتعلو المكاسب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

وله يتغزل[1] :

يامَن مَضَوْا بفؤادى عندما رحلُوا ... من بعد ما فى سُوَيْدا القلبِ قد نزلوا[2]

جارُوا على مُهْجتى ظلما بلا سببٍ ... فليت شعرِى إلى مَن فى الهوى عَدَلوا[3]

وأطلقوا عَبْرتى من بعد بُعدهمُ ... والعينُ أجفانَها بالسُّهد قد كحَلُوا

يامن تعذَّب من تسْويفهم كبدى ... ما آنَ يوما لقطْع الحبل أن تصِلوا[4]

جادُوا على غيْرنا بالوَصْل مُتَّصِلًا ... وفى الزمانِ علينا مرَّةً بَخِلُوا

كيف السبيلُ إلى من فى هواه مضَى ... عُمْرى وما صدَّنى عن ذكرِه شُغُلُ

وَاحَيْرتى ضاع ماأوليْتُ من زمنٍ ... إذْ خاب فى وَصْل مَن أهواهمُ الأملُ[5]

فى أىّ شَرْعٍ دماء العاشقين غدَتْ ... هَدْرًى وليس لهاثارٌ إذا قُتِلُوا[6]

يالَلرِّجال من البِيضِ الرِّشاق أما ... كفاهمُ ما الذى بالناس قد فعلُوا[7]

مَن مُنصِفى من غزَالٍ ماله شُغُلٌ ... عنِّى ولا عاقنى عن حبِّه عملُ[8]

نصبتُ أشراكَ صَيْدى فى مَراتعِه ... والصَّيد فنِّى ولى فى طُرْقه حِيَلُ[9]

فصاح بى صائحٌ خفِّضْ عليك فقد ... صِيدَ الغزالُ الذى تبْغيه يارجلُ[10]

فصرتُ كالوالِهِ السَّاهى وفارقنى ... عقلى وضاق علىَّ الأرضُ والسُّبُلُ

وقلتُ باللهِ قل لى أين ساربُه ... مَن صادَه علَّهم فى السَّيْرِ ماعجِلُوا[11]

فقال لى كيف تلقاهم وقد رحلُوا ... مِن وقتهم واستجدَّتْ سيْرَها الإبلُ

(١) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/١٣٣ ، ١٣٤ ، سلافة العصر ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٢) فى ا ، وسلافة العصر : « سويد القلب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(٣) فى سلافة العصر : « إلى من فى الهوى عذلوا » .

(٤) فى ا : « يا من نفديه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٥) فى ب : « ما أوليت من نعم » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٦) فى ج : « هدرا وليس » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة ، والسلافة .

(٧) فى ب : « فى الناس قد فعلوا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٨) هذا البيت ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٩) فى السلافة : « الصيد فى » .

(١٠) فى السلافه : « صادوا الغزال » .

(١١) فى ب : « علهم بالسير » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

٩٨

ولده السيد جمال الدين

هذا السيد كنت أسمع خبَرَه مُجمَلا ، ولا أرى لوصفه على غير الكمال مَحْمَلا .

حتى عاشرت أخاه السيد عليًا بمكة ففصَّل ذلك الإجمال، [١] وعرَّفنى أنه أُوتى [٢] الغايةَ من [٣] وصْف الكمال والجمال [١] .

وأوقفنى على ماله من النظم [٤] الرَّصين فى اللفظ الرَّصيف ، [٥] فتناولت منه ماهو أشهى من كأس الُحَميَّا طاف بها الساقى الوَصيف [٥] .

وذكر لى أنه بعد ما أقام بالحرم المكِّىّ مدة ، وأعدَّ للتفرُّد فى طريق المُنادمة أحسنَ عُدَّة .

دخل حَيْدَر اباد بقصْد ملكها أبى الحسن ، فنشِط لمُلاقاته نشاطَ الجَفْن للوَسَن .

وأحلَّه كنَفا وسهلا ، وأراه جيرة لمدح أهلا [٦] .

فبقىَ فى سَرابيل إنعامه رافِلا ، وبثَّ مدائحه على رؤوس الأشهاد حافِلا .

(*) السيد جمال الدين بن نور الدين على بن أبى الحسن الحسينى ، الدمشقى .

قرأ بدمشق ، وحضر مجالس العلامة السيد محمد بن حمزة نقيب الأشراف .

ثم هاجر إلى مكة، فجاور بها ، ودخل اليمن أيام الإمام أحمد بن الحسن، وعلت منزلته عنده ، وفارق اليمن ودخل الهند ، ووصل إلى حيدر آباد ، وأصبح نديم صاحبها الملك أبى الحسن ، فأقام عنده مكرما ممتعا ، وحين نكب سلطان الهند الأعظم محى الدين محمد ، الشهير بأورنك زيب الملك أبا الحسن ، انقلب الدهر على السيد جمال الدين ، فذهب أنسه ، وتبدلت حاله .

وبقى فى حيدر آباد حتى توفى بها سنة ثمان وتسعين وألف .

خلاصة الأثر ١/٤٩٤ ، ٤٩٥ .

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٢) فى ب : « أرق » ، والمثبت فى : ا

(٣) فى ب : « فى » ، والمثبت فى : ا .

(٤) فى ا : « الوصف » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٦) فى ا : « وأهلا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ثم طرأتْ على أبي الحسن طارئة دَهْياء دَهْما ، وفجَأته من تقلُّب أورنك زيب عليه فاجئة عَمْياء صَمّا .

فتقلّب[1] في العجائب[2] العُقْم ، وتخامر[3] في النوائب الدُّهْم .

واقتطفت السيّد جمال الدين في أثر ذلك المَنيَّـــة ، دون أن ينال من مواهبه كلَّ الأمنيَّة .

فما وصل إلى قبضة المُلمّات ، حتى حصل في غُصَّة[4] الممات .

***

وقد ذكرتُ له ما تعجبك طرائقُه ، ويبعث طَرَبَك شائقُه ورائقُه .

فمن ذلك قوله ، من قصيدة يمدح بها الإمام أحمد بن الحسن ، أحد أئمة اليمن[5] :

خليليَّ عُودا لي فيـــا حبّذا المَطْـــلُ ... إذا كان يُرجَى في عواقبــه الوصلُ

خليـــــــليَّ عودا واسْعِداني فإنّما ... أحقُّ من الأهْلِين بل أنتما الأهلُ[6]

فقد طال سَيْرِي واضْمحلّت جوارحي ... وقد سئمتْ فَرْطَ السُّرَى العِيسُ والإبْلُ

فعادا وقالا صَحَّ ما بك من جَـــوًى ... وفي بعض مالاقيتَه شاهدٌ عَـــدْلُ

ولــكنَّ طولَ السير ليس بضائر ... وغايتُه كنزُ النَّدَى أحمدُ الشّبْلُ[7]

منها[8] :

أبانتْ به الأيامُ كلَّ عجيبــــــةٍ ... يسير بهـــا الركبُ اليمانيُّ والقَفْلُ[9]

فنيرانُ بأسٍ في بحارِ مكارمٍ ... ومِن فِعْله وصلٌ وفي قوله فَصلُ[10]

أرانا عيَانًا ضِعفَ أضْعافِ سمْعِنـــا ... وعن جـــوده قد صحَّ بالنظر النقـلُ

---

(١) في ب : « فتقلب » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) في ب : « عجائب » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) في ا : « وتخامر » ، والمثبت في : ب ، ج . (٤) في ب : « عضد » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٥) القصيدة في خلاصة الأثر ١/٤٩٥ . (٦) في ب ، ج : « بل أنتم الأهل » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر . (٧) في ا : « ليس بضائرى » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٨) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٩) القفل ، بالتحريك : القافلة ، والقفل : الرجوع . (١٠) في ب : « ومن قوله فصل » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

منها [1] :

أقولُ وقد طفتُ البلادَ وأهلَها	بلوتُهمُ قولا يصدّقه الفِعْلُ
إذا ماجرى ذكرُ البلادِ وحسنِها	فتلكَ فروعٌ والغِراسُ هي الأصلُ [2]
وإن عُدَّ ذُو فضلٍ ومجدٍ مُؤثَّلٍ	فأحمدُ من دون الأنامِ له الفضلُ [3]
فلا غَرْوَ أن قصّرتُ طولَ مدائحي	ففي البعدِ قَصْرُ الفرضِ جاء به النَّقْلُ
إليكَ صَفِيَّ الدين مني خَريدةً	فريدةَ حسنٍ لايُصابُ لها مِثْلُ [4]
وأعظمُ ماترجو القبولَ فإنما	قبولُ الثَّنا بابٌ يتمُّ به السُّوْلُ
فحقّقْ رجاها واحْلِ عاطلَ جِيدِها	بما أنتَ يانَجْلَ الكرامِ له أهلُ

* * *

ومن مقطَّعاته قوله معمّيا باسم رجب :

قلتُ مذ حلَّ منزلي وصفا لِي	كأسُ وقتي من شَوْبِ واشٍ مُريبِ [5]
حبّذا منزلٌ به منتهى السُّوْلِ	غدا نازلاً بغيرِ رقيبِ

* * *

وقوله باسم هشام :

سَقْيًا لأيامٍ لنا مع جيرةٍ	كانت إذا عزَّ النَّصيرُ مَلاذَا
مرّت على عجَلٍ فلا واللهِ ما	نظَرَ المتيَّمُ بعدها اسْتِلْذاذَا

* * *

وقوله في اسم سِنان :

---

(١) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٢) في ب : « ذكر البلاد وأهلها » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٣) في خلاصة الأثر : « من بين الأنام » .
(٤) في ا : « إلى صفي الدين . . . فريدة حسن لا يصار لها مثل » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٥) سقطت « من » من : ا ، وهي في : ب ، ج .

لله مجلسُ أُنْسٍ قد قضيتُ به يوماً يعادل عندى مدة العمرِ [1]
تضاعف الحسنُ فيه حين لاح لنا بدرُ الدجى من زوايا روضِهِ النَّضِرِ

* * *

وقوله فى اسم إبراهيم :

ظبيٌ من التُّرْك قاسٍ رُحْتُ أسأله وصلاً فقال مُجيبا مُذْ بهِ بَخِلا [2]
صُنْ ماءَ وجهك عن ذلِّ السؤال تجِد طريقَ عزٍّ ببحرِ المجد متصلا



(١) فى ب : « لذة العمر » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٢) فى ج : « ظبي من الفرس » ، والمثبت فى : ا ، ب .

٩٩

أخوه السيد على

قيمتُه وقدرُه كاسمه علىّ ، وفضله من الأُفق الحجازىّ واضح جَلِىّ .

وهو أديبٌ مجاله فسيح ، وشاعر بديع الشعر فصيح .

يسحر ببيَانه العقول ، ويبهر الألباب بما يقول .

توخَّى سَمْتَ [١] أخيه ، فشُدَّت به أواخيه .

فلَكم تقلَّد منه دُرَّة فِكر ، فصيَّرها زينةَ إطْراء وذِكْر .

حتى حكاه طبعا ووصْفا ، وجاراه إتْقانا ورَصْفا .

فلئن كان الأول اختار لأشعاره الشِّعْرَى مِرْطا ، فقد صيَّر الثانى الثُّرَيَّا لآثاره قُرْطا .

* * *

وقد أثبتُّ له ما [٢] يرُوق ويشُوق [٢] ، ويُغْنى العاشقَ عن النظر فى وجه المعشوق .

فمن ذلك قوله ، من قصيدة ، مستهلها :

ماستْ كخُوط البان قدًّا وزهَتْ بجِيد زان عِقدا [٣]

حسرتْ عن البدر التَّما مِ دُجى اللِّثام فهِمتُ وَجْدا

---

(١) فى ا : « سمه » ، وفى ج : « صمت » ، والمثبت فى : ب . (٢) فى ب : « يشوق ويروق » ، تقديم وتأخير ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « كغصن البان » ، والمثبت فى : ب ، ج . والخوط الغصن الناعم .

وجلتْ لنا من ثغرِها ... دُرًّا وياقوتًا وشُهْدَا (١)
ونضَتْ عن البلّورِ بُرْ ... داً أكسب الأحشاء بَرْدَا
هيفاء كم من مغرمٍ ... في عشقِها قد مات صَدَّا
مشغوفة بالخُلْفِ لم ... تحفظْ لذِي الميثاقِ عهدَا (٢)
ملّكتها رِقّي على ... حُكْمِ الغرامِ وصرتُ عبدَا
عَذُبَ العذابُ بحبِّها ... والغيُّ فيه أراه رُشْدَا
كم قد خصَمتُ مُعنِّفا ... في حبها وقهرتُ ضِدَّا (٣)
وجعلتُ بين مَسامِعي ... ومقالةِ العُذّالِ سَدَّا
حتى غدتْ عينُ الرّقيـ ... ـبِ ليأْسِه ياصاحِ رَمْدَا
ما الوردُ يُعجبني وقد ... قبّلتُ من أسماء خدَّا
كلاّ ولا الرّمان يُشْـ ... ـجيني وقد ضمّيْت نَهْدا
واهاً لزَنْدٍ منه أوْ ... رَتْ في الحشا والقلبِ زَنْدَا
ولِمِعْصَمٍ بَرَدَ السّوا ... رُ عليه لما ازْدَدْتُ وَقْدَا
سَلْ لحظَها الوَسْنانَ كم ... قد أورثَ الأجفان سُهدَا
أوَ ما كفاه فلِمْ ترى ... بالسُّقْمِ جسمَ الصَّبِّ أعْدَى
وجَبينُها الفتّان كيْـ ... ـفَ لمُهجتي الأشجانَ أهْدَى (٤)
يانظرةً قادتْ لقلْـ ... ـبِي الوَجْدَ ليس لها مَرَدَّا (٥)

---

(١) في ا : « عن ثغرها » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٢) في ا : « لذي المشتاق » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٣) خصمه : غلبه في الخصومة .
(٤) في ا :

وجبينها الفتاكُ كيْـ ... ـفَ لمهجةِ الأشجان أهْدَى

(٥) الصواب : « ليس لها مرد » ، ولكنه نصب للقافية .

أيحلُّ فى شرعِ الهـوى أن تهجُرِين الصبَّ عمـداَ
ياغادةً تستـلُّ من ألحاظهـا عضْبا فرِنْدا
عجَبا لطرْفك وهْو سكـ رانٌ يقيمُ علىَّ حدَّا

* * *

وقوله :

أياقلبُ بُحْ مُستَهْتِراً بهوى دَعْـدِ وخُضْ جاسِراً لُجَّ الصبابةِ والوجدِ (١)
ولا تَعْدِلَنْ عن حبهـا ولَوَ انّها صَلَتْك بنيرانِ الصـدودِ أو البُعْدِ
عليك بهـا عذراءَ مَعسولةَ اللَّمَى مُعقرَبةَ الصُّدْغين ممشوقةَ القدِّ
مُدَمْلجةَ الساقَين مهضومةَ الحَشا مُورَّدةَ الخدَّين فاحمـةَ الجَعْدِ
إذا ماغدتْ تختال فى حُلَلِ البَهـا فياخَجْلةَ السُّمْرِ المُثقَّفـةِ المُلْدِ
عجبتُ لجسمٍ كالحرير منعَّمٍ يضُمُّ فؤاداً قُدَّ من حجَرٍ صَلْدِ (٢)
لهـا اللهُ من رُعْبوبةٍ سفكتْ دمى بمُرْهَفِ ماضِى اللَّحْظِ قتلا على عَمْدِ (٣)
تعشّقتُها أختَ المهـاةِ خريدةً ثوَى حبُّها فى القلب مُذ كنتُ فى المهدِ
فعنِّى إليك اليومَ ياعاذلِى اتَّئِدْ أتحسَبُ أن النصحَ فى حبِّهـا يُجْدِى
أتعـذلنى فى حبِّ دَعْدٍ جهالةً وتزعُم يامغرورُ أنك فى رُشْدِ (٤)
أيقبَل فيهـا اللومَ سمعِى وقد سرتْ محبّتُهـا فى الجسم بالعكْسِ والطَّرْدِ
وأُقسِم بالمَنْوَدِّ من مِسْك خالهـا وبالشَّفَقِ المُحمرِّ من صفحةِ الخدِّ (٥)
وبالمُقْلة النّجْـلاءِ والمَبْسِمِ الذى تستَّرَ بالياقوت والرَّشْفِ الشُّهْدِ

---

(١) فى ا : « أيا قلب بح مستهترا » ، والمثبت فى ب ، ج . (٢) فى ب : « من حجر الصلد » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) الرعبوبة : الناعمة . (٤) فى ا : « فى حب دعد ضلالة » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ا : « من شفق الخد » ، والمثبت فى ب ، ج .

لَوَ انَّكَ تشكو مابقلبي عذرتني ... وما لُمتَ لكن ليس عندكَ ماعندي

* * *

وله من قصيدة ، أولها :

صَبٌّ لأجلِ ظبيةِ حاجِرْ ... صَبَّ الدموعَ من المحاجِرْ

وغدا أسيراً عندما ... ملكَتْ جوارحَه الجآذِرْ

حكمتْ عليه الغانيا ... تُ وأمرُهنّ على النّواظرْ

أن لايزالَ معذَّباً ... وَلْهانَ طولَ الليلِ ساهِرْ

من كلِّ هيفاءِ القوا ... مِ تميسُ في حُلَلٍ نواضِرْ

دقّتْ حشاً فتمنطقتْ ... فوق الغلائلِ بالأساوِرْ

خَوْدٌ بعاملِ قدِّها الـ ... عسّالِ كم كسرتْ أكاسِرْ

عجبًا لمرهفِ لحظِها الـ ... وَسْنانِ يفتك وهْو فاترْ[1]

عذراءُ تعتذرُ البدو ... رُ لها إذا رامتْ تُناظِرْ

مادَعْدُ ماذاتُ الوِشا ... حِ وما سعادُ وما تماضِرْ

إن أسفرتْ عن منظرٍ ... زاهٍ يفوق الشمسَ زاهِرْ

ياحبّذا ذاكَ المحيّـ ... ـيا والمكحّلةِ السّواحرْ

والمَبْسمِ العذبِ الشهيِّ ... وما حواه من الجواهرْ

واطُولَ شوقي للّتي ... قد أرسلتْ تلك الضّفائرْ

ملّكتُها رقّي وسلـ ... ـطانُ الغرامِ عليّ جائرْ[2]

وطفقتُ بالنفسِ النفيـ ... ـسةِ في محبّتها أُتاجِرْ

ومنحتُها زوجي على ... أنّي أكونُ لها مُسامِرْ

---

(١) في ب : « لمرهف طرفها » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٢) في ب : « وسلطان الغرام على جر » ، والمثبت في : ا ، ج .

فأبت وسوّفت اللقــا ء وأعرضت كالظبي نافر
واستعجبت منّى وقا لت مَهْ تروحت لا تخاطر
هيهـات لا تطمع فوا ذك بالوصال فلست قادر
فرجعت أعثر في ذيو ل مدامعي والقلب حائر
وأيست من قرب الحبيـ ـب وصرت فيه كقيس عامر

* * *

وله مُشجّرا :

الحسنُ لفظٌ وأنت معناهُ ومنتهى اللطفِ منك مبتداهُ
بفاترِ اللحظِ منك رقّ وصلٌ حبًّا تصبُّ الدموعَ عيناهُ (1)
رفقًا فكثرُ الصدودِ أنحله جسمًا وفرطُ البعادِ أضناهُ
أنت الذي حزتَ كلَّ منقبةٍ في الحسنِ أهلُ الهوى به تاهوا
هذا محيّاك لاح بدرَ دجى والحقُّ ما الشمسُ غيرَ مرآهُ
يحقُّ للقلبِ أن يهيم به وجــدًا وللمستهامِ يهواهُ
مَن ذا يلــومُ المحبَّ في رشأ تفترُّ عن لؤلؤٍ ثناياهُ
خشفٌ بلينِ الكلامِ يسحرني كأنّ هاروتَ ساكنٌ فاهُ
أفديه ظبيًا أغنَّ قد جمعتْ كلُّ المسرّاتِ في محيّــاهُ
نواه والهجرُ أوهنا جلَدي إي والذي لا إله إلّا هو

---

(1) سقطت: « رق » من: ب، وهو في: ا، ج.

١٠٠

نجيب الدين بن محمد بن مَكّى *

نجيب دعا الأمانى فكان الكمالُ له أولَ مجيب ، وتفرّد على كثرة النُّظَراء وليس ذلك بعجيب من نجيب .

فإن[1] الليالى مع أمها وَلُود بمثله لم تُنجب ، والدهر على أنه أبو العَجَب إلا أنه بأعْجب منه لم يُعجِب .

كان مقيما بقرية[2] جُبَع[3] من جبل عامِلة ، يركُض جواد طبعه فى ميدان الفضل ويهزُّ عامِلَه[4] .

حتى طوى على طَىّ شُقّة الأرض ، واستأذن من طِرْف[5] الخضر فى ذَرْع مساحتها من الطول والعرض[6] .

فخرج يركض النّجائب ، ويتبع فى سيره العجائب .

ويحِنّ ويئِنّ ، وما له قلبٌ مطمئن .

وهو سالم المُهجة مع مَسّ الضُّر ، معاقَى الحشاشة مع الفقر المُرّ .

فلم يُفِدْه البعد عن أحبابه ، إلا تبييض مُسَوَّد شبابه .

فاعْتاض عن السواد بالبياض ، وبئس والله هذا الاعْتياض .

(*) ترجمه ابن معصوم ، فى السلافة ٣١٠ — ٣١٥ ، وذكر أن اسمه على ، وأنه دخل الحجاز واليمن والهند والعجم والعراق ، ونظم ذلك فى « رحلة » ، حذا فيها حذو « الصادح والباغم » .

(١) فى الأصول : « قام » ولعل الصواب ما أثبته . (٢) فى ا : « بقريته » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) هذا الضبط من : ب ، ضبط قلم . (٤) عامل الرمح : صدره ، وهو ما يلى السنان .

(٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٦) فى ب : « إلى العرض » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ثم رجع إلى وطنه شاكيا وَعْثاء السفر ، ومنشداً عند خيْبة المسْعَى وتخلُّف الظفَر :

نجيبُ أبنـــاء الزمان مَن به　　　نَضارةُ الدهر ورَيْعانُ المُنَى

طوَّف آفاقَ البــــلاد ليرى　　　له نظيراً فى الذَّكا فما رأى[1]

فعاد بعــد طول عمر نَأْيه　　　بصفْقة المغْبون يُبدى المشتكى

وأصبحتْ عينُ البلاد بعده　　　لبُعده مملوءةً من القَذَى[2]

ونظم رحلة تتلاشَى عندها الرِّحَل ، وأودعها من أبـكار أشعاره ما ليس بالدَّخيل ولا المُنتحَل .

* * *

وهو فى النظم مُقدَّم غير مؤخَّر ، وكأنما القلمُ لإطاعته مُسخَّر .

وقد أوردت له ما تبتهج به الأزمان ، وتتنادم عليه فى مجالس أنسها الندمان .

فمنه قوله[3] :

عِزَّة النفس وانقطاع النصيب　　　أوجبا ذِلَّتى وهجر الحبيبِ

فتعوَّضت عن مَرامى وقصدى　　　بِبِعادى عنه وقربِ الرَّقيبِ

وانقضى العمر فى الأمانى وما كنْـ　　　ـتُ إلى الله راجعاً من قريبِ[4]

هو دائى إذا يشاَ ودوائى　　　فهْو ما زال عِلّتى وطبيبى

* * *

وقوله يمدح السيد مُبارك بن مُطَّلب حاكم الحُوَيْزة[5] :

يا سائلى عن أرَبى　　　فى سفرِى ومَطْلبى

---

(١) فى ب : « له نظير » ، والمثبت فى : ا . (٢) فى ا : «مملوءة بالقذى» ، والمثبت فى : ب، ج .

(٣) الأبيات فى سلافة العصر ٣١٢ . (٤) فى ب : «وانقضى العمر بالأمانى» ، والمثبت فى : ا، ج، والسلافة . (٥) الحويزة : موضع بين واسط والبصرة وخوزستان ، فى وسط البطائح ، حازه دبيس ابن عفيف الأسدى، فى أيام الطائع لله ، ونزل فيه بحلته ، وبنى فيه أبنية . معجم البلدان ٢/ ٣٧١، ٣٧٢ . والقصيدة فى سلافة العصر ٣١٢ .

لى مطالبٌ مباركٌ | مُباركُ بنُ مطالبِ
نجلُ عليٍّ المرتضَى | سِبْطُ النبيِّ العربى
الطَّيِّب بن الطيبِ بْـ | ـنِ الطيب بن الطيبِ
أمانُ كلِّ خائفٍ | غِياثُ كلِّ مُجدِبِ
مُنيلُ كلِّ نعمــــةٍ | من فضــةٍ وذهبِ
فى فضلِهِ وجودِهِ | تسمعُ كلَّ العجَبِ (١)
الأسدُ الكاسرُ لا | يخْشاه فَرْخُ الثعلبِ
كما السِّخالُ جملةً | ترعى وجُرْدُ الأذْؤبِ (٢)
والفُرْسُ والتُّرْكُ له | دانتْ وكلُّ العربِ
إذا حلَلْتُ أرضَـــه | نسِيتُ أمى وأبِى
وأسرتى وولدِى | بِنتاً يكون أو صبى
ومن يكن حَيْدرةٌ | أباه والجدُّ النبى (٣)
فكلَّمــا تصِفُه | مِن دون أدنى الرُّتَبِ

* * *

وله من قصيدة ، مطلعها :

ألا هل لِمُضْنًى هجرُكم من يعودُه | فيخضرَّ بعد الهجر بالعَوْدِ عُودُه
وهلاَّ وعدتُم إذ بخلتم بوصْلِه | فقد تجبُر القلبَ الكسيرَ وعُودُه
وتُحْـيِي نفوسٌ صوَّح الدهرُ نَبْتَها | وتُجنى رياحينُ اللقا ووُرودُه (٤)

---

(١) فى سلافة العصر :

فى عدله وجودِه | تسمعُ كلَّ عجبِ

(٢) السخلة : ولد الشاة . والبيت مضطرب فى السلافة . (٣) يعنى بحيدرة عليا كرم الله وجهه .

(٤) فى ب : « وتحيي نفوس » وفى ج : « وتحى نفوس » ، والمثبت فى : ا .

فقد هجرتْه لذةُ النوم بعــدكم ومَشْرَب صافى الودّ عزّ ورودُه

دنوْتم فأحييْتم قلوباً بوصلكمْ وقلبي بِحرّ النأي مات وجودُه

بخِلْتم على مُضناكمُ وهْو عبدكمْ وما حاتم إن عُدّ يوماً وَجودُه

* * *

وكتب إلى الحريريّ الحرْفوشيّ (١) :

سعِدتَ بلثْم كفّ يا كتابي لمولًى عالم عَــــلَمٍ مُمجّدْ

فتًى فى الفضل ليس له نظيرٌ عويصُ المشكلات له تمهّدْ

بنى رَبْعَ العلى بعد انْهدامٍ وجــدّد ما وَهَى منه وشيّدْ

له قــلمٌ إذا ما جال يوماً فما الخطّىُّ والعضْب المهنّدْ

فخُصّ من السلام مدى الليالى بتسْليمٍ جزيلٍ ليس ينْفدْ

اغْتناما للفرصة ، وحذَرًا من فوت ماليس فى تركه مَنْدوحة ولا رُخْصة .

وجّهت هذه العجالة ، معتمداً على الاختصار مضربا عن الإطالة .

إلى من أشرقتْ شموسُ فضائله فأزاحت من الجهل ظُلَمَ الغياهب ، وأنارت بدورُ فواضله فأخجلت نَيّرات الكواكب .

واستولَى على مدائن الفضل وحصونه،فظفر من ذخائره وكنوزه بمَصُونه ومخزونه.

بوسيلة إرْسال تسليمات يُحيي ذكرُها ميّتَ النفوس ، وتتزيّن بتسْطيرها (٢) متلحّظات (٣) الطُّروس .

* * *

---

(١) محمد بن على الحريرى الحرفوشي ، سبقت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ١٨٩ ، برقم ١١ .

(٢) فى ب : « بتسطيره » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « ملحظات » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ومن بدائعه قوله [1] :

ألا هل يُرى من عِلّةِ الصدّ دافعُ	سوى الوصلِ أو من غُلّةِ الوجد ناقعُ
وهل بعد شَتّ الشّمْل للجمعِ أوْبةٌ	فتجمعنا من بعـــدُ تلك المجامعُ
سقى اللهُ أياما مضتْ فى غصونهـــا	هصَرْنا غصونا ما أقلّتـــه يانعُ
ولى طمعٌ فى القربِ واللهُ قادرٌ	وماذا عسى تُدْنِى البعيدَ المطامعُ
وفى كل حينٍ شارقُ المجـــدِ هابطٌ	وغاربُ سوءِ الحظِّ فى الناس طالعُ [2]
ولى من أذى من أرْتجيه عظائمٌ	مدَى الدهر عمّا أصْطفيـــه قواطعُ
مضى العمرُ لا الدنيا حَظِيتُ بخيرها	ولا أنا عمّا يُسخِط اللهَ راجعُ [3]
ولله لا للناسِ شكْواىَ كلّهـــا	من الدهرِ والأمرِ الذى هو واقعُ
تولّى خِصامَ الحسنِ قهْراً بنفسه	فليس له منـــه حُماةٌ تُدافعُ [4]
ولا سيّما مَن ظَنّـه عن تخيّبٍ نجيبا	فبالبلوى إليـــه يُسارعُ
فغايةُ مَن يرجوه أوْحَـــد دهرِه	به تركُهُ فى حالِه وهـــو تابعُ
إذا كان ريحُ المسكِ يُنكَر عندما	بأرضٍ فذاك المسكُ لا شك ضائعُ [5]
وقد يُترك المجروحُ فى تركِ شمّهِ	ففى البيْن داءٌ ذلك الداء مانعُ [6]
ولله صَبٌّ فى الزمانِ تقـــدّمتْ	مَقالتُـــه فى مثـــل ما أنا واقعُ
ألا فاخْشَ مايُرجَى وجَـــدُّك هابطٌ	ولا تخْشَ مايُخشَى وجـدُّك رافعُ [7]

---

(١) البيتان الثانى عشر والثالث عشر ، فى سلافة العصر ٣١٥ ، قال ابن معصوم : « وهو مما ليس فى رحلته » .

(٢) سقطت « سوء » من ا ، وهى فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : « عما يصطفى الله راجع » ، والتصويب من : ب ، ج .

(٤) فى ج : « فليس لى منه حماة » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) رواية السلافة لعجز البيت :

* لدى بلدٍ فالمسكُ لا شكّ ضائعُ *

(٦) فى السلافة : « وقد يعذر المجروح » ، وفى ا : « فى ترك شمه » ، وفى ب : « فى ترك شمة » ، والمثبت فى : ج ، والسلافة .

(٧) فى ب ، ج : « ولا تخش ما يخشى وجدك واقع » ، والمثبت فى : ا .

فلا نافعٌ إلّا مع النَّحْسِ ضائرٌ ... ولا ضائرٌ إلّا مع السعدِ نافعُ

* * *

وقوله (١) :

يا من يُحاول ما أمّلتَ بالحِيَلِ ... دَعْ ما تُحاولُ فهو أوّلُ الخَلَلِ

واركَبْ متونَ خيولِ السَّبْقِ واسْرِ بها ... في جُنْحِ ليلِ الهُدى من غيرِ ما كَسَلِ (٢)

وجانبِ الجانبَ الأدْنَى فما ظفِرتْ ... بالقُرْبِ منه ذوو الآمالِ بالأمَلِ (٣)

واقطعْ رَجاكَ من الدنيا فما صدَقَتْ ... في وعدِها أحداً من سالفِ الأزَلِ

وصِلْ حِبالَكَ بالحبلِ المَتينِ فما ... تُعطي وتمنعُ إلا علّةُ العِلَلِ

واسلكْ سبيلَ رِضاهُ غيرَ مُتَّئِدٍ ... فإنه لَعَمْري أوضحُ السُّبُلِ (٤)

وازْدَدْ على الهجرِ حُبًّا لا تَمَلَّ فما ... في مِلّةِ الحبِّ آذى من أذى المَلَلِ

* * *

وقوله على طريقة المِهْيار (٥) :

يميناً بهم صادقاً لن يَمينا ... لقد خانوا وصاروا يَمينا (٦)

مقيماً على عهدِهم لا أحولُ ... ولو أنّهم أصبحوا ظاعنينا

مَشُوقاً إلى شِعرِ أوصافِهمْ ... فوصفُهمُ تُطرِبُ السامعينا

---

(١) القصيدة في سلافة العصر ٣١٢ .   (٢) في ا : « خيول العزم » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة.

(٣) في ب ، ج : « بالضرب منه » ، والمثبت في : ا ، والسلافة .

(٤) في ب : « واسأل سبيل رضاه » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة .

(٥) وذلك قوله في ديوانه ٤/٧٧ :

ترحَّلَ من وَجْرَةَ الظاعنونا ... فكادَ الذي ساءني أن يكونا

يميناً لَعَزَّ مَرامُ السلوّ ... أن تتركوا حبَّ خَمْلَتِ يمينا

(٦) في ا : « وصاروا يمينا » ، والمثبت في ب ، ج .

و « يمينا » الأولى ، من القسم ، والثانية من المَين ، وهو الكذب ، والثالثة من اليمين ضد الشمال.

عيونٌ تفيض لتذكارهم ... فتحكي إذا ما ذكرت العيونا [1]

وقلبي يحِنُّ لأخبارهم ... فتلقَى له حين يُتلَى حنينا

وعيشيَ من بعدِهم لا يطيبُ ... على أيّ حالٍ عسى أن يكونا

ونَوْحِي ولو عِشتُ ماعاش نُوحٌ ... يزيد على جملةِ النَّائحينا

وأعظمُ من بُعدِهم حسرةً ... شماتةُ من أصبحوا شامتينا

* * *

وقوله [2] :

عزيزٌ علينا أن تهُون نفوسُنا ... لذلك بالصبرِ الجميل أهنَّاها [3]

وكنّا نرى أنْ لو أتانا مُفاجِئاً ... مُعزٍّ لها فيها بذلك هنَّاها [4]

لنَرْعى نفوساً من نفوسٍ زكيَّةٍ ... بأرْواحنا لو تُفتَدَى لفديْناها

* * *

وقوله [5] :

لي نفسٌ أشكو إلى الله منها ... هي أصلٌ لكلِّ ما أنا فيهِ [6]

لجميلُ الخلالِ لا يرتضيني ... وقبيحُ الخلالِ لا أرتضيهِ [7]

فالبَرايا لذاك أو ذا جميعاً ... لي خُصوم من عاقلٍ أو سفيهِ [8]

* * *

---

(١) في ا : « إذا ما ذكرت العيونا » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) البيت الأول والثاني في سلافة العصر ٣١٢ . (٣) في السلافة : « يعز علينا . . بالصبر الجميل أهنانا » .

(٤) في ب : « لو أتانا مناجيا » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة ، وفيها : « بذلك هنانا » .

(٥) الأبيات في سلافة العصر ٣١٣ . (٦) في ا : «من الله منها» ، والمثبت في : ب ، ج ،والسلافة.

(٧) في ب : « لجميل الخيال » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة . (٨) في ب : « فالبرايا من ذاك . . . من عاقل وسفيه » ، والمثبت في : ا ، ج ، وفي السلافة : « فالبرايا لذا وذاك جميعا . . . من عاقل وسفيه » .

ومن مقطَّعاته قوله (١) :

عـلَّةُ شَيْبي قبـل إبَّانِهِ ... هجرُ حبيبي في المقال الفَصيح (٢)

ويجعل العـلَّةَ في هجْرِه ... شَيْبي وفي ذاك دَوْرٌ صحيحْ

* * *

هذا الدَّوْر دار على الألسنة قديما وحديثا ، ومن مشهوره (٣) قول بعضهم (٤) :

مسألةُ الدَّوْرِ جَـرَتْ ... بيني وبين مَن أُحِبّ

لولا مَشِيبي ماجفـا ... لولا جَفـاه لم أَشِبْ

ومثله لأبي العباس خطيب جامع دمشق :

مسائلُ دَوْرٍ شيبُ رأسي وهجرُها ... وكلٌّ على كلٍّ له سبَبٌ يُبْدِي

فأُقسِم لولا الهجر ماشاب مَفْرِقي ... وتُقسِم لولا الشَّيب ما كرهتْ قُرْبِي

* * *

وله (٥) :

واعجبًا منَّا ومن حبِّنا المالَ ماذلك إلا بَوارْ (٦)

فآخِرُ الدرهمِ هَمٌّ يُرَى ... وآخرُ الدنيـا ولا شكَّ نارْ

* * *

البيت الثاني من الأول (٧) :

النارُ آخرُ دينارٍ نطقْتَ به ... والهمُّ آخر هذا الدرهم الجاري

والمرءُ مادام مشغوفا بحبِّهما ... معذَّبُ القلب بين الهمِّ والنارِ

* * *

(١) البيتان في سلافة العصر ٣١٠ . (٢) في السلافة : « في المقال الصحيح » .

(٣) في ب : « مشهور » ، والمثبت في : ا ، ج . (٤) البيتان في سلافة العصر ٣١١ .

(٥) البيتان في سلافة العصر ٣١٤ . (٦) في ب ، ج : « ما ذاك إلا بوار » ، والمثبت في : ا ، والسلافة . (٧) في ا : « الآخر » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة ، والبيتان فيها ٣١٤ .

وله [1] :

المرء لا يسلَمَ من حاسدٍ أو شامتٍ في العسر واليُسرِ [2]

فهو على الحالَين لابدَّ أن يَلحقَـــه نوعٌ من الشرِّ

* * *

وله :

وإذا كانت الحياةُ إلى المو تِ فقَصْرُ الآمالِ أولَى وأحرَى

فالخطايا تزْداد والعيشُ ضَنْكٌ فهو أولَى لا شكَّ أولَى وأحرَى

* * *

وله [3] :

كلُّ امرئٍ دون أمرَيْـ نِ من الأنامِ مُقصِّرُ [4]

إمّا امْــرؤٌ متوكِّلٌ أو آخرٌ مَتهوِّرُ [5]

* * *

وله :

ماصفا الدهـرُ لامرئٍ قَطُّ يوماً من البشَرْ

فإذا مَشْربٌ صفَا عاقَهُ الدهرُ في أُخَـرْ [6]

* * *

وله [7] :

مالى على هَجْرِكَ من طاقةٍ ولا إلى وَصْلِكَ من مَقْدِرَه [8]

---

(١) البيتان في سلافة العصر ٣١٤ . (٢) في السلافة : « أو شامت في اليسر والعسر » .

(٣) البيتان في سلافة العصر ٣١٤ . (٤) في ج : « كل أمر دون أمرين مقصر » ، والمثبت في ا ، ب ، وسلافة العصر . (٥) في ب : « أو آخر متقهر » ، وفي ج : « أو آخر مقهور » . والمثبت في : ا ، والسلافة . (٦) في ب : « فإذا شربه صفا » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٧) البيتان في سلافة العصر ٣١٥ . (٨) في سلافة العصر : « ولا إلى وصلك لى مقدرة » .

لكنَّنى مابين هــذا وذا   فرِحْتُ فى دُنياىَ والآخرَه(1)

* * *

وله فى السيد خلف بن مُطَّلبْ ، وأجاد فى التورية (2) :

إذا جرى ذِكْرُ ذى فضلٍ ومَكْرُمةٍ   ممّن مضى قالتْ خَلُّوا ذِكْرَ من سلفَا

الحمدُ لله أهلِ الحمد إنّ لنا   عن كلِّ ذى كَرَمٍ ممــن مضَى خلفَــا

* * *

وله فى مِداد أحمر على ورق أصفر (3) :

مَدمعى مثلُ مِدادى والورقْ   لونه لونى ولــكنّى أرَقّ (4)

ضاقَ النومُ جفونى فإذا   عُوِّضتُ عنه بتزويجِ الأرَقْ (5)

* * *

ولبعضهم ، وقد أعطى بعضَ الشعراء جائزةً فى كاغدٍ أحمر :

جائزتى فى كاغدٍ أحـ   ـمرَ واردٍ عليكْ

أُشْرِبَ بعضَ خجلتى من   قدرِ مــا أهــدَى إليكْ

ويُستظرَف قول الحسن البورينى (6) ، وقد كتب يستدعى بعض خِــلّانه

---

(1) فى ا : « فرحت فى الدنيا وفى الآخرة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(2) البيتان فى سلافة العصر ٣١ .

(3) البيتان فى سلافة العصر ٣١٥ ، فى أبيات . (4) فى سلافة العصر : « فمدمعى ... لونه لونى » ، وفى ا : « ولكن أرق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (5) فى السلافة : « عوضت عنه بزويج الأرق » . (6) بدر الدين حسن بن محمد بن محمد البورينى ، الشافعى .

ولد فى قرية صفورية ، سنة ثلاث وستين وتسعمائة ، وهاجر مع أبيه إلى دمشق ، ثم ارتحل معه إلى بيت المقدس .

واشتغل بالتدريس والوعظ ، بمدارس الشام ومساجدها .

كان عالما محققا ، ذكى الطبع ، فصيح العبارة ، طليق اللسان ، متين الحفظ ، حسن الفهم ، عذب الفكاهة ، وقد جمع لنفسه من شعره « ديوانا » .

توفى بدمشق ، سنة أربع وعشرين وألف .

خبايا الزوايا لوحة ٤١ ا ، خلاصة الأثر ٢/٥١ ، ديوان الإسلام ، لوحة ٢١ ب ، ريحانة الألبا ١/٢٠٤ .

بفرْصاد [١] لكونه لم يجد حبراً [٢] :

يا طائرَ البـان خُـذ منّى مكاتبةً ضَعْها لدى منزلِ الظّبْىِ الذى سَنَحا [٣]

هى الشكايةُ من داء الغـرام وقد كتبْتُها بدمِ القلب الذى جرحَا [٤]

＊＊＊

وللمجيب الدين [٥] :

جُبْتُ البلاد فما وجدْ تُ بهـا صديقا صادقَا

ياقلبُ فاحـذَرْ لا تكن منها بِخِلٍّ واثقَا [٦]

＊＊＊

وله [٧] :

هو الدهرُ ربُّ الجاهِ فيه أخو الفضلِ ولو أنه عارٍ من الدين والعقلِ

وربُّ الحِجى والفضلِ والعلمِ والتقى إذا ماخَلا منه فذاك أبو جهـلِ

＊＊＊

وقال [٨] فى رحلته ، عند ذكر أمير المؤمنين ، كرّم الله وجهه [٩] :

وقلتُ فيه بيت شعرٍ وَصْفـا يحصُل منـه أربعون ألفَ [١٠]

تلْحقها ثلاثةٌ مِئينا كاملةً مضافةً عشرينَا

أبيـاتُ شِعْـرٍ عدُّها كما ذُكِرْ والبيتُ هـذا فتـأمّل واختبِرْ

---

(١) الفرصاد : التوت ، وصبغ أحمر .

(٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٥٩ ، وذكر المحبى أنه كان سار إلى بعض غياض دمشق ، وأراد استدعاء بعض أحبابه ، فلم يجد قلمـا ولا دواة ، وكان أيام التوت الأسود ، فكتب بمائه بديهـا هذين البيتين . (٣) فى ب : « يا طائر الباز » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى خلاصة الأثر : « من داء الفراق » . (٥) البيتان فى سلافة العصر ٣١٥ .

(٦) فى ب : « منها بجد واثقا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وسلافة العصر .

(٧) البيتان فى سلافة العصر ٣١٢ .

(٨) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٩) ذكر ابن معصوم أيضا فى السلافة ٣١٢ ، ٣١٣ ، هذه الأبيات ، والشرح بعدها نقلا عن رحلته . (١٠) فى السلافة : « بيت شعر ماصفا » .

عليٌّ رضيٌّ بهيٌّ وفيٌّ صفيٌّ وفيٌّ سخيٌّ عليٌّ (1)

يشتمل هذا البيت على أربعين ألفا (2) وثلاثمائة وعشرين بيتا .

وبيان ذلك أن البيت ثمانية أجزاء يمكن أن ينطبق (3) كلُّ جزء من أجزائه مع الآخر ، فتنتقل كل كلمة ثمانية انتقالات .

فالجزآن الأولان (4) « علي رضي » يتصوّر فيهما صورتان : التقديم ، والتأخير .

ثم خُذ الجزء الثالث ، فتحدث منه مع الأول ستّ صُوَر : لأنه ثلاثة أحوال : تقدُّمه ، وتوسُّطه ، وتأخُّره ، وهما حالان ، فاضرب أحواله في الحالين تكن ستة .

ثم خُذ الجزء الرابع ، وله أربعة أحوال ، فاضربها في الستة التي لما قبله ، تكنْ أربعة وعشرين .

ثم خُذ الخامسَ ، تجدْ له خمسة أحوال ، فاضربها في الصُّوَر المتقدمة ، وهي أربعة وعشرون ، تكن مائة وعشرين .

ثم خذ السادسَ تجدْ له ستة أحوال ، فاضربها في مائة وعشرين تكن سبعمائة وعشرين .

ثم خذ السابعَ ، تجد له سبعةَ أحوال ، فاضربْها في سبعمائة وعشرين ، تكنْ خمسة آلاف وأربعين .

ثم خذ الثامن ، تجدْ له ثمانيـة أحوال ، فاضربْها في خمسة آلاف وأربعين ، تكنْ أربعين ألفا وثلاثمائة وعشرين بيتا .

* * *

---

(1) في أ : « رضي بهي وفي ... سخي تقي » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة .
(2) في السلافة بعد هذا زيادة : « بيت » .
(3) في أ بعد هذا زيادة : « على » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة .
(4) في السلافة : « فالجزء الأول » .

ومن فوائده فيها ، عند ذكر الغِيبة ، قوله [١] :

وجوَّزُوا الغِيبةَ في مواضـعِ ... لكنها قليـلـةُ المواقعِ
كرَدْعِ شخصٍ يفعلُ القبائحـا ... أو كان للشَّاهدِ أيضـا جارحا
أو وصْفِه بما به يمتـازُ ... بفعلِه كي يحصُلَ احتْرازُ
ففي الحديث الفاسقَ اذْكروهُ ... يعرفْه الناس فيحذروهُ [٢]
وكلُّ ذا مع عـدَمِ التَّقيَّـةِ ... والخوفِ من ذي الشِّيَمِ الرَّدِيَّةِ

* * *

ومما يُستحسَن له قوله [٣] :

مدَّت حبائلَهـا عيونُ العِينِ ... فاحفظْ فؤادَكَ يانجيبَ الدينِ
في هجْرِها الدنيا تضيعُ ووصْلُها ... فيـه إذا وصَلتْ ضَيـاعُ الدينِ

* * *

وهو من قول الآخر [٤] :

يقلبُ دَعْ عنك الهوى واسترِحْ ... فلستَ فيـه حامداً أمْرَا [٥]
أضعتَ دنيـاكَ بهجرٍ وإن ... نلْتَ وِصالاً ضاعتِ الأخرى

ومثله للبابِيِّ [٦] :

طريقَ القضـا لا بل طريقَ جهنَّمٍ ... ركبتُ فأضحى حلوُ عيشي به مُرَّا
أمانٍ بها دنيايَ ضاعتْ فلم أنَلْ ... على أنني إن نِلْتُها ضاعتِ الأخرى [٧]

* * *

---

(١) الأبيات في سلافة العصر ٣١٣ . (٢) في السلافة : « الفاجر اذكروه » . (٣) البيتان في سلافة العصر ٣١٤ . (٤) البيتان أيضا في السلافة ٣١٤ . (٥) سقطت : « يا قلب » من : ب ، ومن في : ا ، ج ، والسلافة ، وفي ا : « دع عنك الهوى قسرا » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة .

(٦) مصطفى بن عثمان البابي ، تأتي ترجمته في الباب الثاني ، برقم ١١٠ .

(٧) في ب : « أمانا بها دنياي » ، والمثبت في : ا ، ج .

ولهُ[1] :

لكَ اللهُ من دهرٍ توالتْ صروفُهُ ... علينا فأوْلَى ضدَّ ما نتمنّاهُ

فقرّبنا ممَّن نوَدُّ بِعـادَهُ ... وأبْعدنا عمَّن نُحبُّ ونهْواهُ[2]

* * *

وهو من قوْلِ المتنَبِّي[3] :

أما تغلَطُ الأيامُ فيَّ بأن أرى ... بغيضاً تُنائي أو حبيبا تُقرِّبُ[4]



---

(١) البيتان في سلافة العصر ٣١٣ ، ٣١٤ . (٢) في ا : « وأبعدنا ممن » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة . (٣) ديوان أبي الطيب ٤٦٤ . (٤) في الأصول : « أوحبيبا يقرب » .

١٠١

محمد بن حسن بن علي بن محمد ، المعروف بالحُرّ(*)

أغرّ ، له الكلِم الغُرّ ، حُرّ ، له النظم الحُرّ .

إنّي أرى ألفــاظَه الغُرَّا عطلتِ اليــاقوتَ والدُّرّا

له الكلامُ الحُرُّ وهو الذي ألفــاظه تستعبدُ الحُرّا

وهو أحد هداة الجِبال ، وأجلّ من انعجن بالأدب وانْجبَل .

* * *

وله الشعر الذي جمّل به الأدب وزانه ، وزيّن مقاطيع[1] الشعر وأوزانه .

أطلعه أرقّ من خَصرِ أهيفَ يتلفت ، وأشهى من مُقبّل شادنٍ[2] عليه القلوب تتفتّت .

وقد أثبتُّ له منه مايطرب بنَشيده المطربة المُطربة ، ويُرقص الأعطاف بأغاريده المُغربة المعربة .

فمن ذلك قوله[3] :

لاح وجهٌ من ربْع ليلى جميلُ ورقابُ الرِّكاب والرَّكْبِ مِيلُ

(*) محمد بن حسن بن علي بن محمد ، المعروف بالحر ، العاملي ، الشامي .

أديب مشهور ، وشاعر له شعر مستعذب .

قدم مكة في سنة سبع أو ثمان وثمانين وألف ، وفي السنة التالية لها اتهم جماعة من العجم ، أو الرافضة بتلويث البيت الشريف ، فقتلهم الأتراك ، وخاف على نفسه ، فالتجأ إلى السيد موسى بن سليمان ، أحد أشراف مكة الحسنيين ، وسأله أن يخرجه من مكة إلى نواحي اليمن ، فأخرجه مع أحد رجاله إليها ، وقيل إنه رجع بعد ذلك إلى العجم .

توفي الحر سنة تسع وتسعين وألف ، باليمن أو العجم .

خلاصة الأثر ٣/٤٣٢ – ٤٣٥ ، سلافة العصر ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، وانظر مقدمة كتابه فصول المهمة .

(١) في ا : « مقاتله » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) في ب : « شاد » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) القصيدة في خلاصة الأثر ٣/٤٣٤ ، وذكر المحبي أن فيها لزوم مالا يلزم .

بعد ما كاد أن يلمّ بنا اليأ ... سُ فقد الرجاء والتأميل[1]

فظننّا الحبيبَ لاح وقلنا ... ذلك ما تشتهي القلوبُ فميلوا[2]

ذلك السُّؤْلُ والهوى والأماني ... للبرايا والقصـد والمأمولُ

حدّثونا فذا حديثٌ صحيحٌ ... حسنٌ مُجْمَلٌ رواه جميلُ[3]

كل دَمعٍ فرضٌ على كل عينٍ ... وعلى العيس وخْدُها والذَّميلُ[4]

ثم مِلْنا إلى ربيعٍ رَبُوعٍ ... نحوه أنفسٌ بجدٍّ تميـلُ[5]

وكأنّ السُّهادَ للقوم كُحْلٌ ... وكأنّ الطريق نحوه ميلُ[6]

بين نقصٍ من الكمال ومنهم ... للمحبِّ التتميمُ والتكميلُ

كل حيٍّ في ذلك الحيّ نشوا ... نُ هوًى وهو ثاملٌ معمولُ

عمّهم يا ابنَ عمّ من ألم الحبّ ... همومٌ من هوى وشُمولُ[7]

كل شخصٍ منهم بدا قلت هذا ... مستميلٌ في حبٍّ بل يستميلُ[8]

كل مَن مات في الهوى أكسبوه ... شهرةً ليس يعتريها خمولُ

مَن رآهم في النوم أو يقظةٍ ها ... م وأضحى ودمعُه مهمولُ

جنّةٌ قد تجمّعت في هَواها ... شهواتُ النفوس والمأمولُ[9]

كم بتلك المَحامل استأسروا قلْـ ... ـبًا غدا وهو في حبالٍ كبيلُ[10]

حمّلوه وحمّلوه البَلايا ... في الهوى فهو حاملٌ محمولُ[11]

---

(١) في الأصول: «بعد ما كان»، والمثبت في خلاصة الأثر. (٢) في خلاصة الأثر: «وظننا الحبيب».

(٣) في الخلاصة: «فذا حديث عجيب». (٤) الوخد: الإسراع. والذميل: السير اللين.

(٥) في ب: «ثم مات»، والمثبت في: ا، ج، والخلاصة. وفي ب، ج: «أنفس الخيل». والمثبت في: ا، والخلاصة. وربع الربيع ربوعا: دخل. (٦) في خلاصة الأثر: «وكأن الطريق للقوم ميل». (٧) في خلاصة الأثر: «يا ابن عمي». (٨) في خلاصة الأثر: «بل مستميل». (٩) في خلاصة الأثر: «قد تجمعت في جنحها». (١٠) في ا: «استأسروا قلبا»، والمثبت في: ب، ج، والخلاصة. وفي ب: «وهو في الحبال حبيل»، والمثبت في: ا، ج، والخلاصة.

(١١) في ب: «وهو حامل محمول»، والمثبت في: ا، ج، والخلاصة.

بَعُدوا بالحُمُول عنَّا فلم تَبْـ ـقَ احتمالاً للقُرْب تلك الحُمولُ

* * *

وقوله ، وهو من أجْود شعره :

رأيتُ غريبَ الحسن قد حُفَّ بالقَنا فلاحتْ أماراتُ السعادةِ والشُّومِ

وكلَّمني غِيدُ الحِمى وحُماتُه بقسمين مظنونٍ لدينا ومعلومِ [1]

فيا قوم رِفْقاً بالفتى وهو ضيفكُم وما ضيفُ أمثالِ الكرام بمحرومِ [2]

ويا ابْنةَ عمِّ الحورِ وابنةَ عمِّةِ الْـ ـبدورِ أُختَ النورِ بنتَ أخي الرِّيمِ [3]

كلامُك كَلْمٌ للفؤادِ ولذَّةٌ فرِفقاً بصبٍّ من كلامِك مكْلومِ

* * *

هذه أبيات تستحق أن تكتب بالنُّور ، على صحائف وَجَنات الحور .

لولا لفظة الشُّوم في ضربها ، فكان الأحْرى أن تُعزل من دَرْبها .

* * *

وله [4] :

وغانيةٍ شكلِ العروس بوجهها يقيم عليه لَحْظُها كلَّ برهانِ

يبيِّن خدَّاها لنا بإشارةٍ إلى رابعِ الأشْكال أوضحَ تِبيانِ

بسالفِها معْ حاجبَيْها بدتْ لنا براهينُ أشكالٍ تُشير إلى الثاني

وحاجبُها للحسنِ شكلٌ مُتمِّمٌ فيالَيْته مقرونُ حُسْنٍ بإحْسانِ

* * *

---

(١) في ا : « عند الحمى » ، والمثبت في : ب ، ج . وفي ب : « غيد الحمى وحامه » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٢) في ج : « فهو ضيفكم » ، والمثبت في : ا ، ب .   (٣) في ا : « وابنة عم البدر » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٤) الأبيات في خلاصة الأثر ٣/٢٣٥ .

وأنشدنى لنفسه ، السيد محمد بن حَيْدر المَكِّىّ [1] ، فى مثل هذا التوجيه :

تبدَّى نقِىُّ الخـدِّ يزهو بحُمْرةٍ ... مُقارِنةٍ فيه البياضَ بإتقانِ [2]

فقلتُ انْبساطًا إذْ غدا القبْضُ خارجًا ... فذلك من أشْكالنا كلُّ لِحْيانِى [3]

***

وأكثر مايتداولون فيه هذه الأبيات :

تعلَّمتُ خطَّ الرملِ لمَّـا هجرتُمُ ... لعلِّى أرى فيه دليلا على الوصلِ

فأعجبنى فيه بياضٌ وحمرةٌ ... رأيتُهما فى وَجْنةٍ سلبتْ عقلِى

وقالوا طريقٌ قلت يربُ لِقَـا ... وقالوا اجتماعٌ قلت ياربِّ لِلشَّمْلِ

وقد صِرتُ فيكم مثلَ مجنونِ عامرٍ ... فلا تعجبوا أنِّى أخطُّ على الرملِ

***

ومن جيِّد شعره قوله [4] :

فضلُ الفتى بالبذْلِ والإحسانِ ... والجودُ خيرُ الوصفِ للإنسانِ

أَوَليس إبراهيمُ لمَّـا أصبحتْ ... أمواله وَقْفًا على الضِّيفـانِ

حتى إذا أفْنَى اللُّهَى أخَذَ ابْنَه ... فسخا به للذَّبْحِ والقُرْبانِ [5]

ثم ابْتغى النُّمْرود إحْراقًا له ... فسخا بمُهْجته على النِّيرانِ [6]

بالمالِ جادَ وبابْنِه وبنفسِه ... وبقلبه للواحدِ الدَّيَّانِ [7]

أضْحى خليلَ اللهِ جلَّ جلالُه ... ناهيك فضلا خُلَّةُ الرحمنِ

---

(١) تأتى ترجمته ، فى الباب السادس ، برقم ٣٠٣ .

(٢) فى ا : «مقارنة فيها البياض» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : «من أشكال لنا كل لحيانى» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣/٣٣٤ ، وسلافة العصر ٣٦٨ .

(٥) فى ب : «فسخا به لذبح» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٦) فى السلافة : «فبوى بمهجته» . (٧) فى ب : «بالمال جاد وابنه» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

صحَّ الحديثُ به فيالَكَ رُتبةً تعلو بأخمَصِها على التِّيجانِ (1)

* * *

أصلُ هذا حديثٌ قُدْسِيّ، رواه أبو الحسن المسعودِيّ (2) في « أخبار الزمان ».

قال: إن الله أوحَى إلى إبراهيم عليه السلام: « إنك لما سلَّمتَ مالَك للضِّيفان، وولدَك للقُرْبان، ونفسَك للنِّيران، وقلبَك للرّحمن، اتَّخذْناك خليلا ».

* * *

وقوله (3):

قد كنتُ أستنشِقُ من وَصْلِكم ... عَرْفَ شَذَا خَيْبةِ آمالِي

فالآن قد بانَ بتصريحكم ... أنّي لِنِيرانِ الجفَا صالِي

إنّي رأيتُ اليأسَ عِزًّا وفِي ... كلِّ رجاءٍ نوعُ إذلالِ (4)

رجاؤكم غُلٌّ وها أنتمُ ... أطلقتمُ عنّيَ أغلالِي

ونالُ خلقٍ هؤلا نَيْلُكم ... لا درَّ درُّ الجامعِ المالِ

في مذهب المجدِ ودينِ العُلَى ... سِيّان إكثاري وإقلالِي

* * *

وقوله:

حجبوا عنّيَ الحبيبَ وحالوا ... دونه واستمرَّ ذاك الحِجابُ

ضربوا بيننا بسُورٍ منيعٍ ... محكَمٍ ما لذلك السورِ بابُ

---

(1) في الأصول: « صح الحبيب »، والمثبت في: الخلاصة، والسلافة.

(2) ذكر المحبي ذلك أيضا في الخلاصة ٣/٤٣٣، وابن معصوم في السلافة ٣٦٨.

وأبو الحسن المسعودي، هو علي بن الحسين، صاحب مروج الذهب، المتوفى سنة ست وأربعين وثلاثمائة.

طبقات الشافعية الكبرى ٣/٤٥٦، ٤٥٧، فوات الوفيات ٢/٩٤.

(3) الأبيات في خلاصة الأثر ٣/٤٣٥. (4) في ا، ب: « عزا وفي »، والمثبت في: ج، والخلاصة.

باطنٌ فيه رحمةٌ لـكن الظا ... هرُ لى منه نِقْمةٌ وعذابُ

***

ومن مقطّعاته قوله:

قد ظننتُ النجاةَ والفوزَ فى الحبّ ... بأن أَلْثِمَ الثَّنايا العِـــذابا [1]

فبِتَرْكى والاحْتيـــاط وتَعْويـ ... لِى على الظنّ ذقتُ هــذا العذابا [2]

***

وقوله مورّيا بلقبه [3]:

قلتُ لـــا لَجَأْتُ فى هَجْوِ دهرٍ ... بذَلَ الجهدَ فى احتفاظِ الجَهُولِ [4]

كيف لا أشتكِى صُروفَ زمانٍ ... تركَ الحرَّ فى زَوايا الْخُمولِ

***

قلت: للشعراء المتقدِّمين أشعارٌ كثيرة، تتعلَّق بأسمائهم وألقابهم، من ذلك قول السَّراج الورّاق [5]:

بُنَيَّ اقْتَــدَى بالـكتاب العزيزِ ... فزاد سروراً وزدتُ ابْتهاجاَ [6]

فـــا قال لى أُفٍّ فى عمرِه ... لكوْنى أبًا ولكوْنى سِراجاَ

***

---

(١) فى ب: «والفوز بالحب»، والمثبت فى: ا، ج. (٢) سقطت «هذا» من: ا، وهى فى: ب، ج.

(٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/٤٣٣. (٤) فى ب: «قلت لما جئت»، والمثبت فى: ا، ج، والخلاصة، ورسم «لجأت» فيهم: «لجئت»، ولعلها بالبناء للمجهول. (٥) البيتان فى: خلاصة الأثر ٣/٤٣٤، ريحانة الألبا ١/٤٢٩، ٤٣٠، فوات الوفيات ٢/٢١٤.

(٦) عجز هذا البيت فى فوات الوفيات:

* وراح لِبِرِّىَ سَعْيا وراحَا *

والذى أكثر من هذا حدَّ الإكثار الشهابُ الخفاجِىّ ، فمن ذلك قوله [١] :

قالوا تراك سقطْتَ من رُتَبٍ ... أترى الزمانَ بمثْـــل ذا غلِطا
قلتُ الشياطينُ اللئامُ عَـــلَوْا ... ولذا الشهابُ من العُلى سقطا [٢]

* * *

وله [٣] :

يراكمْ بعيْنِ الشوقِ قلبى على النَّوى ... فيحسدُه طَرْفى فتنهلُّ أدمعِى [٤]
ويحسد قلبى مسْمَعِى عنـــد ذكركمْ ... فتذكو حراراتُ الجوى بين أضْلُعِى [٥]

* * *

ومن معمَّياته قوله ، فى اسم عليّ :

أفْدِيه وافِى المحاسنِ بارِعٌ ... يعْلو عن الإنْشادِ والإنْشاءِ [٦]
بِمُحَيّى فتقدَّ تعرَّضتْ لخُطِّه ... وعِذارُه من قبلها لشَقائِى [٧]

* * *

وقوله فيه أيضا :

بفؤادى أفْدِى حبيبى وإن عَنَّى ... فؤادى بالوجْـــدِ والتعذيبِ
من مُحَيّاه يدعِ النورُ يا من ... لام هلاَّ شاهدتَ نورَ الحبيبِ [٨]

* * *

---

(١) البيتان فى : خلاصة الأثر ٣/٤٣٥ ، وريحانة الألبا ٤/٣٠ ، ٤٣ . (٢) فى ب : « الشياطين اللئام علوا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والريحانة . (٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/٣٣٤ .

(٤) فى الخلاصة : « فيحسده طرفى » . (٥) فى ج : « فتذكوا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة ، وفى ا : « فى أضلعى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(٦) فى الأصول : « وافى المحاسن بارع » ، بالرفع .

(٧) فى ا : « من قبلها الشفاء » ، وفى ب : « من قبلها الشفاء » ، والمثبت فى : ج .

(٨) فى ا : « هلا شهدت » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وقوله في اسم خالد :

أضحكني يومَ اللقـــا في أنسٍ ... ثم انثنى بالصـــدّ والاجتنابْ

ولاح في وجنتيـــه حمرةٌ ... حسبتُها ما قبلتُ شرابْ

※ ※ ※

وقوله في اسم عثمان :

وظبيٍ صال في العشاقِ يسطُو ... بألحاظٍ أثارتْ نارَ حربي

أصاب بعينـــه قلبي بسهمٍ ... هنالك بعدَها ودّعتُ قلبي

※ ※ ※

وقوله في اسم أحمد :

أفديه فرداً مالَه من مُشبِهِ ... يسطُو علىَّ بحسنِهِ وبعُجْبِهِ

زاد السقامِ أضرَّ بي في حبّــه ... هل من مُجرّدِ رأفةٍ من قلبِهِ(1)

※ ※ ※

وقوله في اسم عمر :

زار الحبيبُ وكان شطَّ م على النوى منه المزارْ

قرُبتْ محبتـــــه يدُ اللقا ... كاللّيـــــل أعقبَه النهارْ

※ ※ ※

وقوله في اسم علي :

لا تلمني إن هِمتُ وَجْداً بمن ... فاق الورى في جمالِه والكمالِ

جاء فرداً في كلِّ وصفٍ بديعٍ ... وترقّى ففاق أوجَ المعالي(2)

※ ※ ※

---

(1) في ا : «مجرد رحمة» ، والمثبت في : ب ، ج . (2) سقط «كل» من : ا ، وهو في : ب ، ج .

وقوله فى اسم حسن :

طَالَ اشْتِياقى إلى ظَبْيٍ فُتِنْتُ به ... وزاد فى حبّه وَجْدى و بَلْبالى

حبٌّ بلا آخرٍ ضِمْنَ الفؤادِ رَقَى ... ورَاحَ يَنْهَى عن الإفراطِ عُذّالى

***

وله أُحْجِية فى شَرَاريف[1] :

يا واحداً فى فضْلِهِ يا من يُلا ... ذُ بظلّه عند اشْتباه الأجْوِبَهْ[2]

بيِّنْ لنا أحجيةً قد أشكلتْ ... ما مثل قولى ابْتاعِ أرْضاً مُخْصِبَهْ

***

وله فى بانياس[3] :

يا مَن عُلُوُّ الورى لديْهِ ... فى درجاتِ العلى هُبوطُ

أبِنْ جوابى فَدَتْكَ نفسى ... ما مثلُ قولى بدَا قُنوطُ

***

وله فى برغال[4] :

أيا مَن عَلاَ فوق أوْجِ العُلى ... وفاق الأنامَ بفضلٍ مُبينْ

أبِنْ لى جوابى فأنت الإما ... مُ ما مثلُ قولى طعامٌ ثمينْ

***

---

(١) شراريف : كلمتان : « شرى » بمعنى باع ، و « ريف » ضد الحضر . (٢) فى ب : « عند اشتكال الأجوبة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) بانياس : النهر المعروف ، وهو أيضا كلمتان : « بان » بمعنى ظهر ، و « ياس » أى يأس . (٤) برغال ، كلمتان : « بر » ، وهو القمح ، و « غال » أى مرتفع القيمة .

١٠٢

محمد بن على بن محمود الحشرىّ *

شاعر ملئٌ فيه ، ومُبرِّز فى الفن لايُبارَى فيه .

فللأقلام قصَبات سَبْقٍ أخذَها يوم الفخر لدى الرِّهان ، فلم يُلْحَق غُبارُه بعيون الرّائين ولم تلحق به خطرات الأذهان .

تَشِيم بارِقة السحر من نَفَثاته ، وتُشْتَم[1] عابِقة الشِّحْر[2] من تنفُّساته .

يملأ الآذان بجواهر كلامه اللوامع ، فلذلك تضيق عند استماع نقده المسامع .

بألفاظ أحسَن من فُتور ألْحاظ[3] الغوانى ، ومَعانٍ أوقع من ترجيع أصوات الأغانى .

* * *

لا تَمَلُّ شعرَه الرقيق الخواطر ، حتى تَمَلَّ نسيمَ السَّحَر الرياضُ المواطر .

(*) فى ب : « أحمد بن على » ، والصواب فى : ا ، ج .

وهو :

محمد بن على بن محمود الشامى ، العاملى ، الشهير بالحشرى .

أديب ، شاعر ، بليغ .

انتقل من الشام إلى ديار العجم ، وهناك ذاع صيته ، فاستدعاه كبير وزراء سلطان الهند ، ولقى هناك من بهجة العيش ونضرته ما أعز مكانه ، واتصل بابن معصوم أحمد نظام الدين ، والد صاحب السلافة ، وحج فأقام بمكة سنتين ، وفى عودته التقى بصاحب السلافة ببندر مخا ، وأخذ عنه صاحب السلافة الفقه ، وعلوم اللسان ، وعليه تخرج فى النثر ، وفنون الأدب .

توفى سنة نيف وتسعين وألف .

خلاصة الأثر ٤/٦٥ ــ ٧٣ ، سلافة العصر ٣٢٣ ــ ٣٥٥ .

(١) فى ا : « وتشم » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) يعنى العنبر الشحرى ، وتقدم ذكره كثيرا . وانظر فهرس البلدان . (٣) فى ب : « لحاظ » ، والمثبت فى : ا ، ج .

إلى أدب كزهر البستان، مُتَرقٍّ [1] بالتّشبيب [2] الفتّان.

وأنا بشعره مفتون فتنةَ مسحور، ولى منه كلَّ آنٍ ابتهاجٌ وإدمان حبور.

وقد أثبتُّ له ما يُطيل خُطَى [3] الحظِّ ويبعث الانشراح، ويمحو الهمومَ عن القلوب ويُثبِتُ [4] الأفراح.

فمن ذلك قوله [5]:

مَدَدْتُ إلى الطّبيب يدى فولّى ... يروّح راحتيه من الصّـــلاء

فقلتُ أصابنى عينٌ فهوّى ... إلىّ وقال لى أثرُ الهـــواء [6]

* * *

وقوله [7]:

شرِّقْ على حكم النّوى أو غرِّبِ ... ما أنت أوّلُ ناشبٍ فى مِخلَبِ [8]

فى كل يومٍ أنت نَهْبُ محاسنٍ ... أو ذاهبٌ فى إثرِ برقٍ خُلَّبِ [9]

متألّقٍ فى الجوّ بين مُشرِّقٍ ... غصَّ الفضاءُ به وبين مُغرِّبِ

يبكى ويضحك والرياضُ بواسمٌ ... ضحِكَ المشيبِ على العِذار الأشيبِ [10]

أزعمتَ أن الدلَّ ضربةُ لازبٍ ... فنشِبْتَ فى مِخلاب بازٍ أشهبِ

لعبتْ بلُبِّك كيف شاءتْ الهوى ... فمقالُ متى تجدِ النواظرَ تلعبِ [11]

---

(١) فى ج: «مترد»، والمثبت فى: ا، ب. (٢) فى ا: «بالشبيب»، وفى ج: «بالصيب»، والمثبت فى: ب. (٣) فى ا: «خطا»، والمثبت فى: ب، ج. (٤) فى ا: «ويبث»، والمثبت فى: ب، ج. (٥) البيتان فى سلافة العصر ٣٥١. (٦) فى ا: «أصابنى عينى»، والمثبت فى: ب، ج، والسلافة. (٧) القصيدة فى: خلاصة الأثر ٤/٦٧، سلافة العصر ٣٤٢، ٣٤٣. (٨) فى ا: «على حكم الهوى»، والمثبت فى: ب، ج، والخلاصة، والسلافة.

(٩) فى خلاصة الأثر: «نهب مخالب». (١٠) فى الخلاصة: «والروض نواسم ... على عذارى الأشيب»، وفى السلافة: «على عذار الأشيب». (١١) فى سلافة العصر: «متى جهد النواظر تلعب».

زعمتْ عُتَيْمَةُ أنْ قلبَكَ قد صَبا ... من لى بقلبٍ مثل قلبك قُلَّبِ (1)

قد كنت آمُل أن تموت صبابتى ... حتى نظرتُ إليكِ يا ابْنةَ يَعْرُبِ

فطربتُ ما لم تطْربى ورغبتُ ما ... لم ترغبى ورهِبْتُ ما لم ترْهبى

ولقد دَلَفْتُ إليهم فى فِتْيَةٍ ... ركبوا من الأخْطار أصْعبَ مَرْكَبِ

جعلوا العيونَ على القلوب طليعةً ... ورَمُوا القِفارَ بكل حَرْفٍ ذِعْلِبِ (2)

ترمى الفِجاجَ وقلبُها متصوِّبٌ ... فى البِيد إثْرَ البارقِ المُتصوِّبِ

هوجاءُ ما نفَضت يداً من سَبْسَبٍ ... إلا وقد غمَستْ يداً فى سَبْسَبِ

تسْرِى وقلبُ البرق يخفِق غيرةً ... منها وعينُ الشمسِ لم تتنقَّبِ

تطفُو وترسُب فى السَّراب كأنها ... فُلْكٌ يشقُّ عُبابَ بحرٍ زَغْرَبِ (3)

تفْلِى بنا فى البِيد ناصيةَ الفَلا ... حتى دُفِعتُ إلى عقيلة رَبْرَبِ

وافتْكَ تخالِط نفسَها بدلالها ... والحسنُ يُظهرها ظهورَ الكوكبِ (4)

كفريدةٍ فى غَيْهبٍ أو شادنٍ ... فى رَبْرَبٍ أو فارسٍ فى موكبِ (5)

تمْشِى فتعثُر فى فضول ردائها ... بحياءِ بكرٍ لا بشَكْلةِ ثيِّبِ

* * *

وقوله (6) :

أين من أودعُوا هواهم بقلبى ... وصلَوْا نارَهم على كلِّ هَضْبِ

كلما فوَّقُوا إلى الرَّكْبِ سهماً ... طاش عن صاحبى وحلَّ بجَنْبى (7)

---

(1) فى الأصول : « زعمت عتيبة » ، والمثبت فى : الخلاصة ، والسلافة ، وسيأتى ذكر محبوبته هذه فى شعره .   (2) الحرف : الناقة الضامرة ، والذعلب : الناقة السريعة .   (3) فى ا ، ج ، والخلاصة : « بحر زعرب » ، وفى ب ، والسلافة : « بحر زعزب » ، والصواب ما أثبته .
والزغرب : الكثير الماء .

(4) فى السلافة : « وافتك تخاط نفسها » .   (5) فى ب : « كفريدة فى غبغة » ، وفى السلافة : « كفريدة فى غبغب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .   (6) الأبيات فى سلافة العصر ٣٤٥ .
(٧) قبل هذا البيت فى السلافة : « ومنها » .

يشتكي ما اشتكيتُ من لَوْعةِ البَيْـ ... ـنِ كلانا دامِي فؤادٍ وقلبِ (١)

***

وقوله (٢) :

لله ما فعــــلَ المشيـ ... ـبُ على فراقِكَ في شبابِي (٣)

أقْذَى عيونَ الغانيـــا ... تِ وفَتَّ في عَضُدِ الصِّحابِ

ظَلَمَ كَسَفْنَ مطــالبي ... وتَفَلْنَ في وجـــهِ التَّصابي

غَبَّرْنَ في وجـــهِ النَّديـ ... ـمِ ورنَّقتْ صَفْوَ الشرابِ

اللهُ لي من أبْقَعٍ ... صبغتْ حُلوكتُه ثيابي (٤)

أقْوَى وأبلغُ في القطيـ ... ـعةِ من دعاءٍ مستجابِ

وافاكَ في بُرْدِ الغرا ... بِ نَعَى الصِّبا نَعْيَ الغُرابِ (٥)

ألبستُه ثوبَ الشبا ... بِ فكانَ أكْذَبَ من سَرَابِ

وإذا خضَبْتُ بياضَـــه ... ضحِكَ المشيبُ على خِضابي

***

وقوله (٦) :

كل شَمْلٍ وإن تجمَّعَ يوماً ... سوف يُمْنَى بفُرقةٍ وشَتاتِ (٧)

لا ألومُ النَّوى فرُبَّ اجتماعٍ ... كان أدْنَى إلى نَوًى وثباتِ (٨)

مثلما زِيدتِ السهـــامُ عُلوًّا ... في صُدورِ العِدى بقُرْبِ الرُّماةِ (٩)

***

(١) في السلافة : « كلانا دامي الحشا والقلب » . (٢) القصيدة في سلافة العصر ٣٥٤ ، ٣٥٥ .
(٣) في ب : « من شبابي » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة . (٤) الأبقع : الذي اختلف لونه .
(٥) في السلافة : « ينعى الصبا نعى الغراب » . (٦) الأبيات في سلافة العصر ٣٤٩ .
(٧) في ب : «سوف يبلى» ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة . (٨) في ا : «إلى النوى وثبات» ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة . (٩) في السلافة : «مثلما زيدت السهام غلواء» ، وهي رواية حسنة.

وقوله [1] :

بانجلاء الظلام في الأقداح | وبرد في وجهك الوضاح
لا تذرني على مرارة عيشي | أكل واشٍ ولا فريسة لاحي [2]
صاح كأني في المدام ودعني | ولميني تجول جول القداح [3]
لا تخف جور حادثات الليالي | نحن في ذمة الظبا والرماح
حول أيدي الخطوب رهن مدام | تتخطى بها إلى صفاحي [4]
قربتني من المشيب خطوب | كيف رأيي شكيمة عن جماحي [5]
صاح إن الزمان قصر عمراً | من بكاء بدمعة ونواح [6]
رق عند ملاحف الجو فاصبح | برقيق من طلعات الرياح [7]
بمحياك يا ملاح إن زماناً | أنت فيه زمان روح وراح
طاب وقت الزمان فاشرب عشياً | بصبحي بطيب وقت الصباح
واسقنيها سقيت في فم الفجـ | ـر على نغمة الطيور الفصاح

وقوله [8] :

خلعت ثوبها على القدح | ورمت على خدود الملاح
كل ريحانة أرق من الرا | ح جلا لي شقيقة الأرواح
وردة فوق خده وقروحه | بين جفني داميات الجراح [9]

---

(١) القصيدة في : خلاصة الأثر ٤ : ٦٧ ، ٦٨ ، سلافة العصر ٣٣٢ .
(٢) في أ : « على مرارة عيش » . والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .
(٣) في الأصول : « حول القداح » . والمثبت في : الخلاصة ، والسلافة . (٤) في الأصول : « إلى صفاح » ، وفي السلافة : « في صفاح » . والمثبت في الخلاصة . (٥) في الأصول ، والخلاصة : « كيف رأى شكيمة » . والمثبت في السلافة . (٦) في أ : « من بكاه ودمعة ونواح » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٧) في ج : « برقيق من طلعات » . والمثبت في : أ ، ب ، والخلاصة ، والسلافة . (٨) هكذا في الأصول على أنها قصيدة أخرى . وفي السلافة ٣٤١ أورد الأبيات على أنها من القصيدة السابقة ، ولم يذكر المحبي هذه الأبيات في الخلاصة . (٩) في ب : « وردة فوق خدها » . والمثبت في : أ ، ج ، والسلافة .

حَبّذا مَيْعةُ الشبابِ وعيشٌ ... قد قطعْناه في ظِلالِ الرِّماحِ (١)

زارني زَوْرةَ الخيالِ وولّى ... في كَرَى النومِ مُزعِجًا بالصَّباحِ (٢)

لستُ أقوى على الجفونِ المَواضي ... وَيْحَ نفسي من المِراضِ الصِّحاحِ (٣)

سامحَ اللهُ من دَمِي وَجْنتَيْهِ ... وعفا عن بَنانِهِ الوَضّاحِ

لا تُؤاخِذْ جفونَه بفؤادي ... يا إلهي كلاهما غيرُ صاحِ

* * *

وقوله (٤) :

قُمْ هاتِها وضميرُ الليلِ منشرحُ ... والبدرُ في لُجّةِ الظَّلْماءِ مُسْتَبِحُ

عجِّلْ بها وحجابُ الليلِ مُنْسدِلٌ ... من قبلِ يبدو لنا في ذِكْرِه الصُّبُحُ (٥)

واستضحكِ الدهرَ قد طال العُبوسُ به ... لا يضحكُ الدهرُ حتى يضحكَ القَدَحُ

فقام والسُّكْرُ يَعْطو في مفاصلِه ... يكاد يقطُرُ في أعطافِهِ المَرَحُ (٦)

يطوف والليلُ بالجوزاءِ مُنْتطِقٌ ... بها علينا رَشًا بالحسنِ مُتّشِحُ

في أسرةٍ كنجومِ الليلِ زاهرةٍ ... لا يستخفُّهمُ في مَحْفِلٍ فرَحُ (٧)

ورِقْبَةٍ من عَذولٍ طار طائرُه ... لا الجِدُّ يَثْنيه عن لَوْمي ولا المَزَحُ (٨)

قَسَمْتُه قِسْمةً ضِيزَى مواهبُها ... لِيَ الهَنا وله من دُونِيَ التَّرَحُ (٩)

---

(١) في ا : « في خلال الرماح » ، والمثبت في : ب ا ، ج ، والسلافة .

(٢) في ب ، ج : « مزعجا بالصياح » ، والمثبت في : ا ، والسلافة .

(٣) في السلافة : « على الجفون المراضى » ، وفي ا : « من المواضي الصحاح » ، وفي ج : « من المواض الصحاح » ، والمثبت في : ب ، والسلافة .

(٤) القصيدة في سلافة العصر ٣٤٧، ٣٤٨ .

(٥) في ب ، ج : « وظلام الليل » ، والمثبت في : ا ، والسلافة ، وفي ا : « في ذكره الصبح » ، وفي ج : « من ذكره الصبح » ، والمثبت في : ب ، والسلافة ، وفيها : « من قبل يعدى بنا في وكره الصبح » .

(٦) في ب : « يعطو في معاطفه » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة .

(٧) مكان : « في محفل » بياض في : ا .

(٨) في ا : « ورقبة من عذول » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة . وفي ب : « يثنيه عن ميلي » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة ، وفي ب ، ج : « ولا المرح » ، والمثبت في : ا ، والسلافة .

(٩) قسمة ضيزى : ناقصة جائرة .

وذى دَلالٍ كأنَّ اللهَ صوَّره ... من جوهرِ الحسن إلّا أنه شَبَحُ

أُسُوسُه وهو غضبانٌ وأَبْسُطه ... والسكرُ يخفِض من صوتى فينشرحُ [1]

بِتْنا على غِرَّةِ الواشى وغُرّتِه ... أغتاظ منه بلا غَيْظٍ وأصطلحُ

جعلتُ عَتْبِي إلى تقبيله سبباً ... والسكرُ يفتح باباً ليس ينفتحُ

حتى إذا صيَّرتْه الراحُ طوْعَ يدى ... صدفتُ من بعض ما يأتى به النَّشَحُ [2]

فما تبسَّمَ فى وجه الصَّبا قدَحٌ ... حتى تنفَّس من جَيْب الدجى وَضَحُ [3]

ودَّعْتُه وجَبين الصبح مُنْزلِقٌ ... وللظلام لسانٌ ليس يَجْتَرحُ [4]

ولا يطيبُ الهوى يوماً لمغتبِقٍ ... حتى يكون له فى اليوم مُصْطَبَحُ

❊ ❊ ❊

وقوله [5] :

غادرتمونى للخُطوب دريئةً ... تغدو على صروفها وتروحُ [6]

ما حركتْ قلبى النّوىٰ إليكمُ ... إلا كما يتحرّك المذبوحُ

❊ ❊ ❊

وقوله [7] :

وكنتُ إذا نزعْتُ إلى هَنَاتٍ ... جريْتُ مع الصِّبا طَلَقَ الرياحِ

---

(١) فى ا : « أسوسه وهو نشوان » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

(٢) فى ب : « ما يأتى به النشج » ، وفى السلافة : « عن بعض ما يأتى به النسج » ، والمثبت فى : ا ، ج .

والنشح : الشرب حتى الامتلاء ، والشرب دون الامتلاء .

(٣) فى ا : « من وجه الصبا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

والوضح : بياض الصبح .

(٤) فى السلافة : « وجبين الصبح منفلق » .

(٥) البيتان فى سلافة العصر ٣٥٤ .

(٦) فى ا ، ج : « للخطوب درية » ، وفى السلافة : « للخطوب رذيئة » ، والمثبت فى : ب .

والدريئة : ما يستتر به الصائد ليخدع الصيد .

(٧) الأبيات فى سلافة العصر ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

فقدنى المشيبُ على عِذارى ... لجاماً كفَّ رأسى عن جِماحى (1)

وقالتْ عاذلى إيه فإنّى ... وهبتُ اليومَ سمعِى للَّواحى

هو القدرُ المتاحُ على الغوانى ... فقلْ ما شئتَ فى القدرِ المُتاحِ

وما حُسْنُ العيونِ بلا بياضٍ ... وما ليلُ التّمامِ بلا صباحِ

وما ضيفٌ أتاكَ بلا احتشامٍ ... وأنتَ من الرحيلِ على جَناحِ

***

وقوله (2) :

أيا ريحَ الصَّبا إن جئتَ نجداً ... فجدِّد بالظِّباءِ العِينِ عهداً

فقد أرضعتنى ثَدْىَ الأمانى ... وشِبْتُ وما بلغتُ به أشُدَّا (3)

وكم زُفَّتْ على ظُلَمِ ليلٍ ... ذوائبُ ذلك الرَّشَأ المُفدَّى (4)

وما نجدٌ وأين ظباءُ نجدٍ ... سقى الرحمنُ ماءَ الحسنِ نجدا

***

وقوله من قصيدة ، يمدح بها النظام ابن مَعصوم (5) ، يقول فيها (6) :

وإن فى الثَّمَرات البِيضِ لو علموا ... نُوراً لعينى ونُوَّاراً على عُودِى (7)

بيضٌ وسُودٌ إذا ما استجمعا حَسُنا ... حُسْنَ البياض على أحْداقِها السودِ

كم للزمانِ ولا أخْشَى بوائقَه ... من ضِنَّةٍ ولعيْنِ المُلْك من جُودِ

عفُّ الشَّبيبة مَيمون النَّقيبة مَنْـ ... ـصورُ الكتيبة مأمونُ المواعيدِ

---

(1) فى الأصول: «على عذار» ، والمثبت فى السلافة .

(2) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٤ : ٦٨ ، سلافة العصر ٣٥٤ . (3) فى السلافة : «فقد أرضعتنى ثدى الأمانى» ، وفى ا : «وما بلغت به رشدا» ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(4) فى ا : «وكم زفت على» ، وفى خلاصة الأثر : «وكم زفت إلى» ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

(5) نظام الدين أحمد بن محمد ، ابن معصوم ، والد صاحب السلافة ، تأتى ترجمته فى الباب السادس ، برقم ٢٨٨ . (6) الأبيات فى سلافة العصر ٣٥٢ . (7) فى ا ، والسلافة : «ونورا على عودى» ، والمثبت فى : ب ، ج .

أخلاقُ أحمدَ في تقوى أبي حسنٍ ... وحسنُ يوسفَ في مُلْكِ ابنِ داودِ

لا يحسنُ الشعرُ إلا في مدائحِهِ ... كالدُّرِّ أحسنُ ما يبدو على الجيدِ

* * *

وقوله[1] :

أنتَ يا شُغْلَ المحبِّ الواجدِ ... قِبلةُ الداعي ووجهُ القاصدِ

فُقْتَ آرامَ الفلا حسنًا فما ... قابلَتْ إلا بطَرْفٍ جامدِ

شأنُ قلبينا إذا صحَّ الهوى ... يحيى شأنَ قلبٍ واحدِ

أكثرَ الواشون فينا قولَهم ... معنّفًا مِن مقالِ الحاسدِ

لستُ أُصغي لأراجيفِ العِدى ... مَن يُغالي في متاعِ الكاسدِ

* * *

وقوله[2] :

زارني والبرقُ يرمي بالشَّرَرْ ... وعيوني شاخصاتٌ في القمرْ[3]

ذو دلالٍ كلّما مرَّ حلا ... آهِ ما أحلى هواه وأمرّْ

بينما نحن على وَفْقِ الهوى ... نتشكّى ما لقلبي ونفرْ

وانثنى يعدو وأعدو خلفَهُ ... وهو يرميني بأطرافِ النظرْ

ويكَ يا شامي لا تطمعْ على ... ضعفِ عينيه بأحداقِ الخزرْ[4]

* * *

(١) الأبيات في سلافة العصر ٣٢٥ . (٢) الأبيات في سلافة العصر ٣٤٨ .

(٣) في الأصول : « وعيون شاخصات » ، والمثبت في السلافة .

(٤) الخزر : اسم جيل خزر العيون ، والخزر في العين : كسر بصرها خلقة أو ضيقها وصغرها . القاموس (خ ز ر) .

وقوله من قصيدة [١] :

وقـد جعلتْ نفسي تحنّ إلى الهوى   حلا فيه عيشي من بثينة أو مرّا

وأرسلتُ قلبي نحو تيماء رائداً   إلى الخفرات البيض والشدن العفرا [٢]

تعرّف منها كلّ لمياء خاذلٍ   هي الريم لولا أن في طرفها فترا [٣]

من الظبيات الرودِ لو أنّ حسنهـا   يكلّمه أبدتْ على حسنها كبرا [٤]

وآخر إن عرّفته الشوقَ راعني   بصدٍّ كأنّي قد أبنتُ له وترا [٥]

أناشدُ فيـه البدرَ والبدرُ غائرٌ   وأسأل عنه الريمَ وهو به مُغرى [٦]

فما ركبَ البيداء لو لم يكن رشاً   ولا صدعَ الديجورَ لو لم يكن بدرا

لِحاظٌ كأن السحرَ فيهـا علامةٌ   تعلِّمُ هاروتَ الكهانةَ والسحرا

وقدٌّ هو الغصنُ الرطيب كأنّمـا   كسته تلابيبُ الصبا ورقاً خضرا [٧]

رتقتُ على الواشين فيها مسامعاً   طريقُ الردى منها إلى كبدي وعرا [٨]

أعاذلتي واللومُ لؤمٌ أما ترى   كأنّ بهـا من كل لائمةٍ وقرا [٩]

بفيكِ الثرى ما أنت والنصحُ إنمـا   رأيتِ بعينيك الخيانةَ والغدرا [١٠]

وما للصبا يا ويحَ نفسي من الصبا   تبيتُ تناجي طولَ ليلتها البدرا

---

(١) القصيدة في: خلاصة الأثر ٤/٦٨ ، ٦٩ ، سلافة العصر ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(٢) في ب: «وأرسلت طرفي . . . والشدن العفرا» ، والمثبت في: ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة.

(٣) الخاذل من الظباء: التي تتخلف عن صواحبها وتنفرد عن القطيع . (٤) في السلافة: «من الظبيات الرود» .

(٥) في ا: «وآخر لو عرفته» ، والمثبت في: ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، وفي ا ، والخلاصة: «قد أبنت له وترا» ، وفي ب: «قد أبنت له وتراه» ، والمثبت في: ج ، والسلافة .

(٦) في ب: «والبدر غائب» ، والمثبت في: ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٧) في ب: «تلابيب الهوى» ، والمثبت في: ا ، ج ، والخلاصة والسلافة . وفي الخلاصة ، والسلافة: «ورقا نضرا» . (٨) بعد هذا البيت في ب زيادة: «منها» ، والشعر متصل في: ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٩) في الخلاصة ، والسلافة: «ألم ترى . . . عن كل لائمة» .

(١٠) في ا: «رأيت بعينيك الجناية والغدرا» ، والمثبت في: ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

تطارحُـــه والقولُ حقٌّ وباطلٌ ... أحاديثَ لا تُبقِي لمستودَعٍ سِرَّا

وتُلقِي على النَّمّامِ فضلَ ردائِهـا ... فيعرفُ للأشواقِ في طيِّهـا نَشْرا

يعانقها خوفَ النَّوَى ثم تنثني ... تمزِّق من غيظٍ على قدِّك الأُزْرا (١)

ألَمَّا ترَىْ بانَ النَّقا كيف هـذه ... تميلُ بِعطفَيْها حُنُوًّا على الأخرَى (٢)

وكيف وشَى غصنٌ إلى غصنٍ هوًى ... ومن رشَأً يُوحِي إلى رشأٍ ذِكْرا (٣)

هما عذلاني في الهوى غيرَ أنني ... عذرْتُ الصَّبا لو تقبلينَ لها عُذْرا (٤)

هبيهـا فدتكِ النفسُ راحت تُسِرُّه ... إليه فقد أبدَتْه وهْي به سَكْرَى (٥)

على أنهـا لو شايعتْ كُثُبَ النَّقا ... وشيحَ الخزامَى إنما حملتْ عِطْرا

* * *

وقوله من قصيدة (٦) :

أعفِياني من وقفـةٍ في الديارِ ... تمترِي دِرَّةَ الجفونِ الغِزارِ

ما انتفاعي بنظرةٍ تطرِفُ العيْـ ... ـنَ بتلك الطُّلولِ والآثارِ

ماترى البارقَ الذي صدَعَ الجوْ ... وَ سنـاه على رسومِ الديارِ

خَطِفاتٌ كأنهن خيولٌ ... تجرحُ العينَ بالسيوف الهَوارِي

أذكرتْني مَباسِمًا وثغوراً ... حالياتٍ تغصُّ بالأنوارِ (٧)

وكؤوساً كأنما حنَّكوها ... في صِباها بريقةِ الخَمّارِ

خلَعتْ بيننا العِذارَ ووافتْ ... في قميصٍ مُفكَّكِ الأزرارِ

---

(١) في ب : « على قبابك الأزرا » ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٢) في الخلاصة ، والسلافة : « حنوا إلى الأخرى » . (٣) في ا : « وكيف رضي غصن » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، وفي الأصول : « ومن رشأ يوى » ، والمثبت في : الخلاصة ، والسلافة . (٤) في الأصول : « لو تقبلين له عذرا » ، وسياق الأبيات بعضد رواية الخلاصة والسلافة . (٥) في ا : « راحت بشره » ، وفي ج : « راحت بسره » ، والمثبت في : ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٦) القصيدة في سلافة العصر ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

(٧) في ا : « ذكرني مباسما » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة .

لو رآها العَذُول صُمَّ صَداهُ ... قال مالى وللعجوزِ النَّوارِ [1]

لا تَرُوعا بِكْرَ الزمان بقتْلٍ ... إن ذَوْبَ اللُّجَيْن غِشُّ النُّضارِ

فى سَنا الشمسِ ما علمتَ غَناء ... عن ضياء النجوم والأقمارِ

طال عمرُ الدجى علىَّ وعهدِى ... باللَّيالى قصيرةَ الأعمارِ

ما احْتَسيْتُ المُدامَ إلا وغَصَّتْ ... لَهَواتُ الدجى بضوء النهارِ

حبَّذا طَلْعةُ الربيع وأهْلاً ... بتَجالى عرائس الأزهارِ

وزمانُ البَهارِ لو عاد فيه ... غَشَيانُ الشباب عَوْد البَهارِ [2]

ومَبيتى إذا نَبَا بى مَبِيتى ... فى ظِلال العريشِ والنُّوَّارِ [3]

كم تفيَّأْتُها فحنَّتْ علينا ... حَنَّةَ الأمهاتِ والأطْيارِ [4]

مرحباً بالمَشِيب لولا زمانٌ ... غَضَّ منى وحطَّ من مقدارِى

لو وفَى لى الصِّبا ولو عُمْرَ حِينٍ ... بزمانى أخذتُ منك بثارِى

* * *

وقوله [5] :

حَيَّتْ فأحْيَتْ بالمُدام معاشراً ... حضَرُوا وما أَلْبابُهم بحُضورِ

فى حَيِّهم صَرْعَى وما شهدوا الوغَى ... نَشْوَى وما مزجُوا الهوى بخُمورِ [6]

* * *

---

(١) صم صداه : هلك . والنوار : المرأة النفور من الريبة . (٢) فى ا : « وزمان الربيع » . والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة ، وفى ب : « غشيان الشبابه » ، وفى السلافة : « غيسان الشباب » . والمثبت فى : ا ، ج .
والبهار : نبت طيب الرائحة .

(٣) صدر هذا البيت مضطرب فى السلافة . (٤) فى ب : « وحنت عينا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٥) البيتان فى سلافة العصر ٣٥٤ .

(٦) فى السلافة : « فى حيهم صرعى وما استهدوا وغى » .

وقوله[1] :

إيهٍ بذِكْرِ معاهدٍ وأُنسٍ ... طابتْ بذِكْرِ حديثِهم أنفاسِي

أذْكرتني حيثُ الأحبّةُ جيرةٌ ... حالي بهم حالٍ وكأسِيَ كاسِ[2]

هلّا وقفتَ على منازلهم معي ... وبكيْتَ ناساً بأهلِهم من ناسِ

قالت عُتَيْبةُ والخطوبُ تنوشُني ... والشَّيْبُ يضحكُ من بكاءِ الآسي[3]

شابتْ شَواتُكَ والزمانُ مُراهِقٌ ... والشيْبُ ياشامِيُّ تاجُ الراسِ[4]

* * *

وقوله[5] :

أمّا الطلولُ فإنّهـــا خُرسُ ... تبدُو لعينَيْك ثم تَلتبسُ[6]

يامَرْبعاً عبثَ البِلَـــى به ... عهدي بِرَبْعِك وهْوَ مُكتنَسُ

رقَمتْ عليه يدُ الصَّبا صُحُفاً ... تبدو لقارئِهـــا وتنطمسُ

وقفَ الهوى والدمعُ منطلِقٌ ... في جَوِّه والقلبُ مُنحبِسُ[7]

للطيرِ جَرْسٌ في مَعـــاهِدِها ... فكأنّمـــا بحُلوقِها جَرَسُ

والوُرْقُ تخطُبُ في منابِرِها ... فوقَ الغصونِ كأنّها خُنُسُ

فارْشِفْ حَصاه فإنّه شَنَبٌ ... والْثَمْ ثَراه فإنّه لَعَسُ[8]

كم ليـــلةٍ قضّيتُها خُلَساً ... خوفَ العواذِلِ والهوى خُلَسُ

---

(١) الأبيات في سلافة العصر ٣٣١ . (٢) في ا : « حالي بهم حالي » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة ، وفي ب : « وكأسي كاسي » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة . (٣) في ب : « قالت عتيبة » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة ، وتقدم ذكر عتيبة . (٤) في ب : « شابت شؤونك » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة .

والشواة : جلدة الرأس وجمعه .

(٥) القصيدة في سلافة العصر ٣٥٠ ، ٣٥١ . (٦) في السلافة : « ثم تلتبس » .

(٧) في ب : « في جوه والقلب منحبس » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة . (٨) الشنب : الريق البرد . وفي السلافة : « فارشف حصاه » .

قصُرت عن الشكوى غَياهِبُنا ... فـكأنَّها من قِصَرِها نَفَسُ[1]

بِتْنا وشَمْلُ الميـلِ مجتمـعٌ ... وبِدُ النوى فى شملنا تَطِسُ[2]

فى فتيـــةٍ رقَّت شمائلُهم ... فـكأنها فى أُفْقِـــه شمُسُ[3]

بِيضُ الوجوه وجوهُهم سُرُجٌ ... تحت الدجى ومُدامُهم قَبَسُ

مالوا إلى اللّذات من أَمَمٍ ... حتى إذا ضحك الطِّلا عَبَسُوا[4]

والبدرُ يرفُلُ فى غـــلائله ... بين النجوم وللدُّجى عُرُسُ

والمـــاء بين مُصفَّقٍ طرباً ... فيه وآخر مُنْقَشٍ بَجِسُ[5]

حتى إذا نطقتْ مَزاهِرُنا ... خرِس العذولُ ومابه خَرَسُ

غاب الرَّقيبُ ونام حاسدُنا ... فوشَى علينا الطِّيبُ والنَّفَسُ

* * *

وقوله[6] :

ماقى التَّصابى على مَن شاب من باسِ ... أما ترى جَـلْوَةَ الصَّهباءِ فى الـكاسِ

الناسُ بالناسِ والدنيا بجمتهـــا ... فى دُرَّةٍ تَعطِف الساقِ على الحـــاسِى

يئسْتُ واليأسُ إحـدى الراحتَيْن وكم ... جلَوْتُ منّى صدَى الأطماعِ باليأسِ

منها :

فى كل غانيـــةٍ من أختها بَدَلٌ ... إن لم تـكن بنتَ رأسٍ فابنةَ الراسِ[7]

---

(١) فى ا : «من الشكوى» ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٢) وطسه : كسره ودقه .

(٣) فى ب : «مع فتية» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . وفى السلافة : «فـكأنهم فى أفقه شمس» .

(٤) فى ب : «إذا ضحك الهوى» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٥) فى ا : «وآخر منقش نجس» ، وكلمة «نجس» فى ج بدون نقط ، وفى السلافة : «وآخر منقش بجس» ، والمثبت فى : ب .

والبجس : المنبجس المتفجر .

(٦) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٤ / ٦٩ ، ٧٠ ، سلافة العصر ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

(٧) فى ب : «إن لم يكن بنت رس» ، وفى السلافة : «فابنة الكراس» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

أودعتُ عقلي إلى الساقي فبدّده — في كَسْرِ جفنيه أو في ثَنْيةِ الكاسِ

لا أوحشَ اللهُ من غضبانَ أوحشني — ما كان أبعدَه عن بِرّي وإيناسي

سمحتُ يومَ النوى منه وأسلمني — إلى عذولين تَذْكارٍ ووسواسِ (1)

ذكرتُه وهو لاهٍ في محاسنه — عهودَ لا ذاكرٍ عهدي ولا ناسِ

وددتُ أن بعتُه روحي بلا ثمنٍ — لو كنتُ أضربُ أخماسًا لأسداسِ (2)

يا ويحَ من أنتِ يا ألمياءُ بُغيتُه — ما كان أغناه عن فكرٍ ووسواسِ

قامتْ تغنّي بشعرٍ وهي حاليةٌ — به ألا حبّذا السُّكرُ والكاسي (3)

تقولُ والسُّكرُ يطويها وينشرُها — أيُّ الشرابين أحلى فيَّ فو الكاسِ (4)

يا حبّذا أنتِ يا ألمياءُ من سكنٍ — وحبّذا ما كان البُعدُ من ناسِ

ما إن ذكرتُك إلا زاد بي طربي — وطاب ريحُ الصَّبا من طيب أنفاسي (5)

ولا ذكرتُ الصِّبا إلا وذكّرني — لياليًا أرجعتني دَرّةَ الكاسِ (6)

وجيرةٍ لعبتْ أيدي الزمانِ بهم — أنكرتُ من بعدهم نفسي وجُلّاسي

أيامَ أختالُ في ثوبَيْ بُلَهْنِيَةٍ — ومَيْعةٍ من شبابٍ ناعمٍ غاسِ (7)

عارٍ من العار حالٍ بالصِّبا كاسٍ — كأنني والصِّبا في بُرْدِ أخماسِ (8)

أفنيتُ فيه مطايا الجهلِ والباسِ — عَرِيتُ منه وما عرّيتُ أفراسي

في صِبْيَةٍ كنجوم الليلِ أكياسٍ — كأنّ أيديهم أيدي الأقراسِ (9)

---

(1) في ب: «فسلمني»، والمثبت في: ا، ج، والخلاصة، والسلافة.

(2) في السلافة: «وددت إذ بعته». (3) في السلافة: «قامت تغنى بشعري».

(4) في ب: «في في الكاس»، والمثبت في: ا، ج، والخلاصة، والسلافة. وفي هامش ج: «لعله الخامس»، وهو احتمال طيب. (5) في السلافة: «إلا طار بي طربي ... من طيب أنفاس».

(6) في الخلاصة، والسلافة: «إلا وأذكرني». (7) هكذا في ا، ج، غسا وغيس: ... ونعتا: «غاس» من الغيسان، وهو حدة الشباب. انظر القاموس (غ ي س، غ ي س).

(8) ثوب خموس وخميس: طوله خمس أذرع. القاموس (خ م س). (9) في ا: «كأن أوجههم»، والمثبت في: ب، ج، والخلاصة، والسلافة.

أسمُو إليهم سُمُوَّ النَّـــومِ للرَّاسِ ‏ ‏ ‏ أَدِبُّ فيهم دبيبَ السُّكرِ في الحاسِي [١]

يأتوا بمَيْثاء صَرْعَى لاحَراكَ بهم ‏ ‏ ‏ وإنَّمـا صرعتهم صَدمةُ الـكاسِ [٢]

ياعاذلي أنت أَوْلَى بي فخُذ بيدي ‏ ‏ ‏ فأنت أوقعتني فيهم على راسِي

وياحمامَ اللِّوَى هلا بـــكيْتَ معي ‏ ‏ ‏ على زمانٍ تقضَّى أو على ناسِ

* * *

وقوله [٣] :

يانسيمَ الصَّبـــا وياعذبَ الرَّيْـ ‏ ‏ ‏ ـحانِ هُبِّي على وانتفِضِي [٤]

خبِّرِيني عن اللِّوَى خَـــبراً ‏ ‏ ‏ إنَّ ذِكرَ الرياضِ من غَرضِي [٥]

لأَقَضِّي من اللوى وَطَراً ‏ ‏ ‏ ليس يدرى الوُشاة كيف قُضِي

مالبرقٍ تجـــاه كاظمةٍ ‏ ‏ ‏ لم تُضِي في العَقيقِ أين تُضِي [٦]

لست أرضَى بصاحبٍ بدلاً ‏ ‏ ‏ فاسألا من صحبتُ كيف رضِي

صدَّقوا ليس عنهم عوضٌ ‏ ‏ ‏ وجميعُ الورى لهم عِوَضِي

وقوله من قصيدة [٧] :

---

(١) في ا : « سمو النوم في الراس » ، وفي الخلاصة: « سمو النوم الراسي » ، والمثبت في: ب، ج، والسلافة.

(٢) هذا البيت ساقط من: ب ، وهو في : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، وفي السلافة : « يأتوا بميثاء » ، وفي ج : « وإنما صدمتهم » ، والمثبت في : ا ، والخلاصة ، والسلافة.

وأرض ميثاء : لينة سهلة من غير رمل .

(٣) الأبيات في سلافة العصر ٣٤١ . (٤) في ج : « ويا عذبات الريحان » ، والمثبت في : ا ، ب ، والسلافة ، وفي ب : «هبي على وانتفضى» ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة . (٥) في السلافة : « إن ذكر الديار » .

(٦) هذا البيت ملفق من بيتين ، وردا في السلافة هكذا :

ما لبرقٍ تجاه كاظمةٍ ‏ ‏ ‏ هبَّ من نحوهم ولم يَمْضِ

وبدورٍ طلَعْنَ من إضَمٍ ‏ ‏ ‏ لم تُضى في العقيق أين تُضى

(٧) الأبيات في : خلاصة الأثر ٤/ ٧٠ ، سلافة العصر ٣٣٠ .

أتراكَ تهفو للبروقِ اللُّمَّـعِ ... وتظنُّ رامـةَ كلَّ دارٍ بلقعِ

لولا تذكُّرُ من ذكرْتَ برامةٍ ... ماحَنَّ قلبي للّوَى والأجْرَعِ

رِيمٌ بأجْوِبةِ العراقِ تركْتُه ... قَلِقَ الوسادِ قريرَ عينِ المَضْجَعِ (١)

في السِّرِّ من سعدٍ وسعدٌ هامةٌ ... دَعْناه لم تُصدَعْ ولم تتضَعْضَعِ (٢)

منها (٣) :

قالتْ وقد طار المَشيبُ بِلُبِّها ... أنشبْتَ في حَلَقِ الغرابِ الأبقعِ (٤)

وتلفَّتتْ والسحرُ رائدُ طَرْفِها ... نحوَ الديارِ بمُقْـلةٍ لم تخشعِ

ولكَمْ بعثْتُ إلى الديارِ بمقلةٍ ... رجعتْ تَعَـثَّرُ في ذيولِ الأدْمُعِ

عرفتْ رسومَ الدارِ بالمتربَّعِ ... فبكتْ ولولا الدارُ لم تتقشَّعِ (٥)

أمَّلتُ لو يتلوّم الحـادي وما ... أمَّلْتُ إلا أنْ أقولَ وتسمعي (٦)

وقوله (٧) :

لم أنْسَ لا أنسى خيالاً سرى ... يسترشدُ الشوقَ إلى مَضْجِعي

حسِبتُ بدرَ التِّمِّ قد زارني ... فبِتُّ لا أقفو سِوى المطلعِ

أسأل عنه الشوقَ لا يرْعوِي ... وأنشُدُ البَيْنَ به لو يَعِي (٨)

آليتُ والدارُ لهـا حرمةٌ ... لا أسألُ الدارَ وصبري معِي

كأنّ دمي حَجْراً على حاجـرٍ ... فلمْ أباحتْه مَها الأجْرَعِ

---

(١) في الخلاصة : « بأجوبة العراق » ، وفي السلافة : « بأجرعِ العراق » . (٢) في ا : « في سر من سعده » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٣) ساقط من : ب ، وفي ج : « قال منها » ، وفي السلافة : « وقال منها » ، والمثبت في : ا ، والخلاصة . (٤) في السلافة : « في خلق الغراب » .
(٥) في السلافة : « ولولا الدار لم تتقشم » . (٦) في ب ، ج : « إلا أن تقول » ، والمثبت في : ا ، والخلاصة ، والسلافة ، وفي ب ، والسلافة : « وتسمع » ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة .
(٧) الأبيات في سلافة العصر ١ : ٣٤ . (٨) في السلافة : « لو يرعوى » .

عُلالَةً كانَ وُقوفُ بِهـــا   أبْغِي شِفَا القلبِ من أَوْجِعِ [١]

* * *

وقوله [٢] :

يالَهْفَ نفسي على شبـــابِ   أفنيتُ في عصرِه هُجوعِي [٣]

كان شَفيعي إلى الغـــواني   فمَـــنْ شفيعي إلى شَفِيعِي

إنَّ الدَّرارِيَ على نَواها   أدْنَى من الغـادةِ الشَّمُوعِ [٤]

* * *

وقوله [٥] :

لاتجْزعِي يابانةَ الأجْـــرعِ   حُوشِيتِ من همٍّ ومن ضَيْثَمِي [٦]

كأنَّ قلبي بين شِقَّيْ عَصَـــا   في حبِّ من شَقُّوا عصا الْمَجْمَعِ

حلُّوا من القلبِ بوادي الغَضا   ودارُهم في مُنحنَى الأضْلُعِ

* * *

وقوله [٧] :

ياعَــذُولي وما أظنُّ عـــذولي   يطمعُ اليـومَ في مَلامِي وقَذْعِي

هَبْكَ ثقَّلتَ بالمَلامـــةِ سَمْعِي   أخْتَشِي اليومَ أن تُثقِّـــلَ طَبْعِي

* * *

---

(١) في ب : « غلالة كان وقوف » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة .   (٢) سلافة العصر ٣٥٤ .

(٣) في ب : « على شبابي » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة .   (٤) في ا ، ج : « من الغادة السموع » ، والمثبت في : ب ، والسلافة .

والشموع : الضحاكة اللعوب .

(٥) الأبيات في سلافة العصر ٣٥٢ ، ٣٥٣ .   (٦) في ا : « حويت من غمي » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة . و « ضيثمي » كذا ، ولم أعرفه .

(٧) البيتان في سلافة العصر ٣٥٣ .

وقوله [١] :

أجِدَّكَ شِمْتَ حَنِينَ مُرَجَّعَا ... وغازَلْتَ غِزْلانًا على الخَيْفِ رُتَّعَا [٢]

وطالَعْتَ أقمارًا على وَجْرَةِ النَّقَا ... وقد كنتُ أنْهَى العينَ أن تتطلَّعَا

ولم أرَ مثلَ الغِيدِ أعْصَى على الهوى ... ولا مثلَ قلبي للصبابةِ أطْوَعَا

ومن شِيَمِي والصبرُ مِنِّي شِيمةٌ ... متى رُمْتُ أطلالاً بعيْنٍ تدمَّعَا [٣]

وقورٌ على بأسِ الهوى ورجائِه ... فما أتحسَّى الهمَّ إلا تجرُّعَا [٤]

خليليَّ حتّى كم أهبُّ ببرقٍ ... تكاد حَصاةُ القلبِ أن تتصدَّعَا

طوى الهجرُ أسبابَ المودّةِ بيننا ... فلم يبقَ في قوسِ التصبُّرِ منزَعَا [٥]

إلى الله كم أُغْضِي الجفونَ على القَذَى ... وأطْوِي على القلبِ الضلوعَ توجُّعَا [٦]

ألا حبَّذا الطَّيْفُ الذي قصرَ الدُّجى ... وإن كان لا يأتيك إلا مُودِّعَا [٧]

ألمَّ كحَسْوِ الطيرِ ... فزجَّه داعي الصَّباحِ فأسرعَا

ولم ينتبه باللحظِ حتى ... بسطْتُ له حبلَ الهوى فتورَّعَا

قسمتُ صفايا الوُدِّ بيني وبينه ... سواءً ولكنّي حفظتُ وضيَّعَا [٨]

وحلَّتْ نياطَ القلبِ أسبابُ بينِه ... فيا قلبي ما أرَقَّ وأجْزَعَا

* * *

وقوله [٩] :

سرى والليلُ ممدودُ الرِّواقِ ... وساقُ الفجرِ يحجلُ في وَثاقِ [١٠]

---

(١) القصيدة في سلافة العصر ٣٣١ ، عدا البيتين الأولين .

(٢) في ب : « شيمت ... على الخيف رتعا » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) في السلافة : « من أرم أطلالا » . (٤) في ب : « على رأس الهوى » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة .

(٥) في ا : « أسباب المودة » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة . (٦) في ب : « عن القذى » ، والمثبت في : ا ، ج ، والسلافة . (٧) في الأصول : « إلا توجعا » ، والمثبت في السلافة .

(٨) الصفايا : جمع الصفي ، وهو الخالص من كل شيء ، والصفي أيضا : ما اختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة . القاموس (ص ف ا) . (٩) القصيدة في سلافة العصر ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(١٠) في الأصول : « يحجل في وثاق » ، والمثبت في السلافة .

خيالٌ من عُتَيْبة أو لُبَيْنَى ... أو الشَّمء أُخْتِ بنى البُراقِ [١]

يُطوِّف فى الشَّآم وفى عراقٍ ... وَيَبْعُدَ الشَّآمِ من العراقِ [٢]

أقول لها وقد خطرَتْ رياحٌ ... من الزَّوْراء فى حال رِقاقِ [٣]

وقد برَد السِّوارُ على يديْها ... فَحَمَّيْتُ القلائدَ بالعِناقِ

* * *

بَرْد السِّوار ، وبَرْد الحَلْي ، يكني به الشاعر عن الصَّباح .

فى البديع :

قامت وقد برَد الحَلْيُ تميسُ فى تَنَى الوشح

ابن الزَّقَّاق [٤] :

بَرْدُ الحَلْيِ تنافرت عَضُدى وقد ... هبَّ الصباحُ ونامتِ الجوزاءُ

ابن حَمْديس [٥] :

وبتُّ أحمى بأنفاسى حصا دُرَرٍ ... يبردها فى التَّلاقى تعرف القَلَقِ

وللشريف الرَّضِيّ ، رضى الله عنه ، وهو مأخذ المترجم [٦] :

حتى إذا هبتْ ريا ... حُ الفجرِ تُؤذِن بالفِراقِ [٧]

---

(١) فى ب : « خيال من عتيبة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٢) فى ا : « وفى العراق » ، وفى السلافة خطأ : « وهى عراق » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : « فى حال الرقاق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

والزوراء : بغداد .

(٤) على بن عطيه بن مطرف البلنسى اللخمى الأندلسى ، ابن الزقاق .
شاعر غزل ، توفى سنه ثمان وعشرين وخمسمائة .
مقدمه ديوانه ، والبيت فى ديوانه ٦٣ ، وفيه : « تنافرت عضدى » .

(٥) تقدم التعريف بابن حمديس ، فى الجزء الأول ، صفحة ٣٦ .
والبيت فى ديوانه ٣٣٧ وفيه فى التلاقى

(٦) ديوان الشريف الرضى ٢/٥٧٣ .

(٧) رواية الديوان :

حتى إذا نسمتْ ريا ... حُ الصبحِ تُؤذِن بالفراقِ

بَرْدُ السِّوارِ لهـــا فأَحْـ ـمَيْتُ القلائدَ بالعنـــاقِ

[1] وأحسن أبو الجوائز الواسطِىّ [2] فى قوله [3] :

كَمَا نَمَّ للفُضُــــولِ سِوارٌ كَذَّبَتْــــه قلائدٌ وعُقودُ [4]

وبَرْدُ المَضْجعِ ، وبَرْدُ الفراشِ ، كناية عن الراحة والترفُّه ، وعن زيادة القدرة ، بحيث لا يقدر أحدٌ على إزْعاجه ، ويلزمه الشجاعة وعلُوُّ المقام .

قال :

* أبيض بسّام بَرُودٌ مَضْجَعُهْ *

* * *

وأَعْجَلَنا النوَى حتى لَــكِدْنا نُوَدِّع بعضَنــا قبل التلاقِى

ولم يكُ غــيرَ موقفِنــا ونادَى مُنادِي الحىِّ حَىَّ على الفِراقِ [5]

أَبِيتُ فى نَظْرَةِ الأضْنَيْن بنائِله ولا تَرِفُ الخِفاقِ [6]

يَرى شبحاً بلا ظِلٍّ ونفساً يُرَدِّدُها التنفُّس فى التَّراقِى

بعثتُ الشوقَ تفحصُ فى فؤادى وطِفْلُ الدمعِ يَعبَثُ بالمآقِى [7]

وأنت جعلتنى جَزْرَ الأعادِى ولو أحببْتَ ما أكلوا عُراقِى [8]

---

(1) من هنا إلى نهاية قوله : « كأن واش دب فيهم وسلك » ، من القصيدة الكافية الواردة فيما بعد ، ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(2) أبو الجوائز الحسن بن على بن محمد الواسطى .

من شعراء دمية القصر ، سكن بغداد دهرا طويلا .

وكان أديبا شاعرا ، حسن الشعر فى المديح والأوصاف والغزل .

توفى بعد الستين وأربعمائة .

تاريخ بغداد ٧/٣٩٣ ، دمية القصر (الطباخ) ٨١ ، فوات الوفيات ١/٢٥٣ .

(3) البيت فى دمية القصر ٨٢ .

(4) فى الدمية : « وكمّا نم بالصباح سوار » .

(5) فى السلافة : « ولم يك غير موقفنا » .

(6) فى ب : « ولا ترق الخناق » ، ولعلها : « ترق الخناق » ، والمثبت فى : ا ، وفى السلافة : « أبيت فى نظر . . . ولا ترف الخفاق » .

(7) فى ب : « يعبث بالآماق » ، والمثبت فى : ا ، والسلافة .

(8) فى ب ، والسلافة : « حرز الأعادى » ، والمثبت فى : ا .

والعراق : العظم أكل لحمه .

تُوَكِّبُنى الخطوبُ على هُزالِى ... ويَحْلُو لى لها طعمُ الزُّعاقِ
ولو عقَل الزمانُ دَرَى بأنّى ... على مَن رامَنِى مُرُّ المَذاقِ
ولم تَتْرُكْ صُروفُ الدهرِ منّى ... ومن عَضْبِى الجُرازِ سوى رَماقِ (1)
أما والرّاقصاتِ على لآلٍ ... ومَن حَلُوا على الكُومِ العِتاقِ (2)
لقد أضْلَلْتُ فى ليلِ التَّصابى ... فؤاداً غيرَ مشْدودِ الوَثاقِ
ألا يا صاحِبَىْ نَجْواىَ سِيرا ... فقد قعد الهوى بى عن رِفاقِى (3)
قِفا عنّى بأقْرِيَةِ الفِتاقِ ... فَواقاً أو أقلَّ من الفَواقِ (4)
سقى اللهُ العراقَ وساكنيهِ ... وجادَ مراتِعَ الشُّدْنِ الطِّلاقِ (5)
إلى أهلِ العراقِ يَحِنُّ قلبى ... فواشَوْقى إلى أهلِ العراقِ

وقوله (6) :

أرأيتَ ما صنعتْ يدُ التفريقِ ... أعلمتَ مَن قتلتْ بسَعْىِ النُّوقِ
رحلَ الخليطُ وما قضيْتُ حقوقَهم ... بمِنَى النفوسِ وما قضَيْنَ حقوقى
عَلِقوا بأذيالِ الرياحِ ووكَّلُوا ... لِلْبَيْنِ كلَّ مُعرَّجٍ بفريقِ

---

(١) فى ب : « ومن غضى الجراز » ، وفى السلافة : « ومن عضى الجراز » ، والمثبت فى : ا .
والجراز : السيف القطاع . والرماق : القليل .
(٢) فى ا ، والسلافة : « على الآل » ، والمثبت فى : ب .
والكوم : جمع الأكوم ، وهو البعير الضخم السنام .
(٣) فى ا : « فقد شغل الهوى » ، والمثبت فى : ب ، والسلافة .
(٤) الأقرية : جمع القرى ، بالياء المشددة ، وهو مسيل الماء من الربوة إلى الروضة ، أو المجرى الصغير من الماء ، والفتاق : جمع الفتق ، وهو الموضع الذى لم يمطر ، وقد مطر ما حوله . انظر معجم البلدان ٣ / ٨٥٠ .
والفواق : وقت ما بين الحلبتين .
(٥) فى ا : « مواطن الشدن » ، والمثبت فى : ب ، والسلافة .
(٦) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٤ / ٧٠ ، ٧١ ، سلافة العصر ٣٢٨ .

وغدوْتُ أصرفُ ناجِذَيَّ على النوَى ... وأغَصُّ من غَيْظِ الوُشاة بريقِي

هجروا وما صبغَ الشبــابُ عوارِضِي ... عَجْلان ماعلِقَ المشيبُ بزيقِي [(1)]

فكأنني والشيبُ أقربُ غايةٍ ... يومَ الفِراق شربْتُ من رَاوُوقِ [(2)]

لا راقَ بعـــدهم الخيالُ لناظرِي ... إن حَنَّ قلبي بعدهم لرحيقِ [(3)]

لعب الفِراقُ بنا فشرَّدَ من يدي ... رَيْحانتيّ صـــــديقتي وصديقِي

لله ليلتُنـــــا وقد علِقتْ يدي ... منه بِعِطْفٍ كالقنـــاةِ رشيقِ

عاطَيْتُه حلْبَ العصيرِ وصــدّنا ... عن وجهِ حاجِبِنا يدُ التعويقِ [(4)]

ما كان أسْرَعَ مادحَتَه وإنمــا ... دُهِشَ السقاةُ به عن التّرْويقِ [(5)]

أيقظْتُه والليـــلُ ينفضُ صِبْغَه ... والسكرُ يخلِط شائقًا بمَشُوقِ

والنومُ يعبثُ بالجفونِ وكلَّمــا ... رقَّ النسيمُ قسَتْ قلوبُ النُّوقِ [(6)]

والبرق يعثُر بالرِّحال والصبـا ... وقفاتُ مُصْغٍ للحديث رفيقِ

باتتْ تحرِّش والقنـــا متأوِّدٌ ... بين الغصونِ وقَدِّه المَمْشوقِ

فأجابني والسكرُ يُعجِمُ صوتَه ... والكأسُ تضحك للثنايا الرُّوقِ

---

(١) في الخلاصة : « وما صنع الشباب » ، والزيق من الثوب : ما أحاط منه بالعنق أو ما كف من جانب الجيب . (٢) في الخلاصة ، والسلافة : « كرعت من راووق » . (٣) في ا ، ب : « بعدهم الفراق لناظري » ، والمثبت في : الخلاصة ، والسلافة ، وفي ا ، والسلافة : « لا رق » . والمثبت في : ب ، والخلاصة .

(٤) في ب : « يد التفريق » ، والمثبت في : ا ، والخلاصة ، ورواية السلافة :

* عن وجهِ حاجتِنا يدُ التفريقِ *

وهي أقرب إلى الصواب .

(٥) في ب : « عن الترويق » ، والمثبت في : ا ، والخلاصة ، والسلافة ، وفي الخلاصة : « ما كان أسرع ما وحته وإنما » . (٦) في السلافة : « رقت النسيم » .

لولا الرقيبُ هَرَقْتُ مَضْمَضةَ الكرى ‌ ‌ ‌ وغصَصْتُ صافيةَ الدِّنانِ بريقِي [1]

ثم انثنيْتُ وزَلْفُه بيد الصَّبا ‌ ‌ ‌ وشَمِيمُه في جَيْبِيَ المفتوقِ

* * *

وقوله [2] :

أرِقْتُ لبرقٍ في جوِّ رأسي ‌ ‌ ‌ جَرِضْتُ لصَوْبِ عارضِه بريقِي [3]

هدَتْه الثابتاتُ وأيُّ ضيفٍ ‌ ‌ ‌ هدَتْ يومَ الفِراق إلى فروقِ [4]

رفعْتُ له بجُنْحٍ ليس ندري ‌ ‌ ‌ مخاضَ الليلِ يعسِفُ في الطريقِ

وددْتُ ولو بضَرْبِ الهامِ أنِّي ‌ ‌ ‌ رعَيْتُ له ولو بعضَ الحقوقِ [5]

* * *

وقوله :

رُبَّ ساقٍ هزَزْتُه فتغنَّى ‌ ‌ ‌ ثم أوْمى بناظرٍ لا يُطاقْ

قال لي والخمارُ يُرْعِشُ كفَّيْه ‌ ‌ ‌ ورُوحي على يديْه تُراقْ

أنتَ لا شكَّ هالكٌ بجفوني ‌ ‌ ‌ قلتُ زِدْني فإنهـا دِرْياقْ

فانْتضَى الكأسَ من يدَيَّ وأهْوَى ‌ ‌ ‌ نحو فِيه بالكأس وهْي دِهاقُ [6]

قال لي هاكَهـا شراباً طَهوراً ‌ ‌ ‌ خلَّصتْها من حِنْثِهـا الأرْياقُ

* * *

(١) في ا : « صافية الزمن » ، والمثبت في : ب ، والخلاصة ، والسلافة . (٢) الأبيات في سلافة العصر ٥٤٣ . (٣) في ا : « جرت لصوبه عارضه » ، وفي ب : « جرت لوصوب عارضه » ، والمثبت في السلافة .

وجرض بريقه : ابتلعه بمشقة على هم وحزن .

(٤) في ب : « إلى فروق » ، والمثبت في : ا ، والسلافة ، ولعلها من الفرق ، وهو الخوف .

(٥) في السلافة : « وددت ولو بضرب الهام » ، وفي ا : « وعيت له » ، والمثبت في : ب ، والسلافة .

(٦) في ب : « وهو دهاق » ، والمثبت في : ا . والدهاق : الممتلئة .

وقوله (١) :

آهِ ياغُصْنَ النَّقـــا ما أمْيَلَكْ ... جُـــنَّ ياغُصْنَ النقا مَنْ عدَّلَكْ

قــد قضى لى بتَباريحِ الجوَى ... مَنْ قضى بالحُبِّ لى وحَسَّنَكْ

أكَلَ الحبُّ فؤادى بعدما ... لاكَ مـــنّى مُهجتى وعَلَكْ

هالكَ الشامىُّ وَجْداً وأسًى ... ما يُبالى بحيـــاتى لو هلَكْ

قَلَّ لى فيكَ غراماً وجَوًى ... قاتَلَ اللهُ عَذولاً قتلَكْ (٢)

حكمَ اللهُ لفَوْدَىَّ على ... نُسْخةِ الشَّيْبِ وتسويدِ حَلَكْ

أتُراهم قــد رأَوا أىَّ دمٍ ... هرَقَ الواشى على تلك الفِتَكْ (٣)

ياغُرابَ البَيْنِ لا كنتَ ولا ... كانَ واشٍ دَبَّ فيهم وسَلَكْ (٤)

أخــذوا منّا وأعطَوْا ما اشْتَهَوْا ... هــكذا يحكُمُ فينــا مَنْ مَلَكْ

جُرْتَ فى الحُــكْمِ على أهلِ الهوى ... لا تخَفْ فالأمرُ بِيَدْ ولَكْ

ليتَ شِعْرِى أمَليكٌ فى الورى ... أنتَ يا إنسانَ عينى أم مَلَكْ (٥)

حكَمَ الدهرُ علينــا بالنَّوَى ... هكذا تفعــلُ أدوارُ الفَلَكْ

* * *

وقوله :

سيدى لا مِثْــلَ مِثْلِكْ ... صُوِّرَ البَــدْرُ بشكلِكْ

ماحَــكاكَ البدرُ لــكنْ ... رامَ يحكى شِسْعَ نَعْلِكْ

إنّمـــا الحُسْنُ قميصٌ ... هو قد حِيكَ لأجلِكْ

---

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٤/٧١ ، سلافة العصر ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٢) فى هامش ب عن نسخة : « قال لى فيك » ، وهى رواية السلافة . (٣) هذا البيت جاء فى السلافة فى آخر القصيدة . (٤) هذا آخر السقط فى ج ، الذى سبقت الإشارة إليه .

(٥) ب : « أملوك فى الورى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

خُلِقَ العشقُ لمثْـــــلِى   وحـــلَا الحُسْنُ لمثلِكْ

* * *

وقوله[1] :

آهِ من داءَيْن بادٍ ودخيلِ   وخَصِيمَيْنِ مَشِيبٍ وعَـذُولِ

ما على مَن طال لَيْلِي بعدَهم   لو أعانونى على لَيلِى الطويلِ[2]

عاجلَ القلبُ إليهم ناظِرِى   ما أضرَّ الحسنَ بالقلبِ العَجُولِ

نادمَتْ منهم بَنانِى ناجِذِى   واسْتشاطَ الوجـدُ فى إثْرِ الحُمولِ

وبأكْنافِ المُصَـــلَّى غادةٌ   سنَحتْ لى مَسْنَحَ الظبيِ الخَذُولِ[3]

عرضَتْ شرطَ النَّدَى فى مِنًى   يتعثَّرْنَ بأطْرافِ الذيولِ

قد عرَفْنا وَقْفةَ الرَّكْبِ دُجًى   فى سنَا الجوِّ وأنْفاسِ القَبُولِ[4]

إذْ شفيعِى عند لَمْياءَ الصِّبا   ورسولِى خُلْسَةُ اللَّحْظِ الكَليلِ

نظَرتْ نَحْوِى ورَقْراقُ السَّنَا   يخطَفُ الأبْصارَ عن طَرْفٍ كَحيلِ[5]

حـــكَم اللهُ لقلْبَيْنـــا على   قَلَقِ القُرْطِ ووَسْواسِ الحُجولِ

زاد شوقِى يا حَماماتِ اللِّوَى   عَلِّينــــا بِبُــكاءٍ وعويلِ

أنا أوْلَى بنُواحٍ وبُــكا   لأبْلِيَنَّ بوجْـدِى وغَليلِى[6]

ليت شِعْرِى والأمانِي ضَلّةٌ   هل صَبا نَجْدٍ إلى الغِيدِ رسولِى

---

(١) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٤ / ٧١ ، ٧٢ ، سلافة العصر ٣٥٣ ، ٣٥٤ . (٢) مكان : « بعدهم لو أعانونى على ليلى » بياض فى السلافة . (٣) فى الخلاصة : « الظبى الجذول » .
وخذلت الظبية : نفرت وتخلفت عن صواحبها .

(٤) فى ب : « فى سنا الجود » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٥) فى السلافة : « عن طرف عليل » . (٦) فى ب : « لأبكين بوجدى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة ، وفى الخلاصة :

* لا يزالانِ كوجدى وغليلِ *

يا صَبا نجدٍ ومن لى لو وعَتْ ... رَجْعَ قَوْلى أو أصاخت لِسُؤلِى

أنْتِ أدْرَى ياهَناتِى بالجَوَى ... خَبِّريهم يالكِ الخيرُ وقُولِى

لو رأى وجهَ سُلَيْمَى عاذلِى ... لتفارقْنا على وجهٍ جميــلِ

بشَّرتْ سلمى عَذولِى بالنَّوَى ... آهِ مما أوْدعتْ سَمْعَ العَذُولِ

* * *

وقوله[1]:

ياأخا البــدرِ رَوْنقاً وسناء ... وشقيق المَها وتِرْبَ الغزالهْ

ساعَد الخيرُ يومَ يقتُلُ رُوحى ... لا وعينيْك لستُ أبغِى إقالهْ

يا عليلَ الجفون عللتَ قلبى ... زاد عينيك عِلَّةً وذَبالَهْ[2]

ما لِمَيْنىَّ كلَّمــا عنَّ ذِكْرا ... كَ تداعتْ جفونُها الهَطَّالَهْ

جُنَّ طَرْفِى مذ غاب عنه مُحيَّا ... كَ جُنونِى فلا تسَلْ ماجرَى لَهْ[3]

كنتُ قبلَ الهوى ضَنِينا بقلبى ... خدعتْنى لِحاظُك الختَّالَهْ[4]

لك قَدُّ القَنا وثغر الأقاحِى ... وجفونُ المَها وجيدُ الغزالَهْ

مَن تنامَى بالرقمتين ودادِى ... فبمعنيــــى غصونُه الميَّالَهْ

رُبَّ ليــلٍ قصرْتُه بغَرِيرٍ ... حلَّ من عقد زُلْفه فأطالَهْ

مَن عَذِيرى فى حبِّ طفلٍ لَعُوبٍ ... عوَّدُوه سفكَ الدِّما فحلالَهْ[5]

كلَّما صدَّ عن سوايَ دلالاً ... صَـــدَّ عنِّى تبرُّماً ومَلالَهْ

لستُ أنْسَى يومَ الفِراق وقد أذْ ... رَكَ من شملنا النوَى آمالَهْ

---

(١) القصيدة فى سلافة العصر ٣٢٨ ، ٣٢٩ .
(٢) فى ا : « رقة وذباله » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة ، وفى ج ، والسلافة : « زاد جفنيك » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٣) فى الأصول : « جفونى فلا تسل » ، والمثبت فى : السلافة .
(٤) فى ا : « خدعتنى جفونك الختالة » ، وفى ب : « لحاظك المختالة » ، والمثبت فى : ج ، والسلافة .
(٥) الطفل : الناعم .

غَصَبَ البَيْنُ من يدِى كلَّ غُصْنٍ ... سرَقَ الغصنُ لِينَه واعْتدالَهْ

فَرَّ نَشْوانَ من يدِى يتكَفَّى ... ثَقَّلَ الوردُ غُصْنَه فأمالَهْ

لم تدعْ لَوْعةُ الجوى من حَشاهُ ... من حَصاةِ الفُؤادِ غيرَ ذُبالَهْ

يا لُواةَ الدُّيُونِ نَفْثةُ مَصْدو ... رٍ أذابتْ أنفاسُه أوْصالَهْ[1]

إن ذَوْبَ الجفونِ فى أثَرِ الغا ... دِينَ أوْلَى لناظرِى أوْلَى لَهْ[2]

فلْيَلُمْنِى العذولُ ما شاء إنِّى ... لستُ لى فى هوى الحِسانِ وَلَا لَهْ[3]

* * *

وقوله[4] :

كِلِينِى لِهَمٍّ لا ينامُ ونامِى ... فما الشامُ إن ضاقتْ علىَّ بشامِ

وما بى سوى أمِّ رءومٍ وجيرةٍ ... عِزازٍ علينا يا عُشَيْمُ كِرامِ

وقد كنتُ قبلَ البَيْنِ جَلْداً على النَّوَى ... تُطالبنِى نفسِى بكلِّ مَرامِ[5]

لَصُوقاً بأكْبادِ الحسانِ مُحَبَّباً ... إلى الغِيدِ يَحْلُو لى لَهُنَّ كلامِى

يقودُوننِى قَوْدَ الجَنِيبِ إلى الهوَى ... فمالِى مَنْبُوذٌ إلىَّ زِمامِى

وفى الركْبِ مَدْلُولُ اللَّحاظِ على الحَشا ... يُدافِع عن أترابِه ويُحامِى[6]

لقد كمَنَتْ أمُّ المنايا بلَحْظِه ... كُمُونَ المنايا فى شِفارِ حُسامِ[7]

يُشايِعُه من آلِ كِسرى ضَراغِمٌ ... براثِنُهم عند اللقاءِ دَوامِى

يرُوحون والتِّيجانُ فوقَ رءوسِهم ... ألا رُبَّ تِيجانٍ زَهَيْنَ بِهامِ

---

(١) اللاوى بالدين : الماطل به . وفى ب : «يالدات الديون» ، وفى ج : « يا لواذ الديون » ، والمثبت فى : ا ، والسلافة . (٢) فى السلافة : « فى أثر الغادين » . (٣) سقطت « لى » من : ج ، وهى فى : ا ، ب ، والسلافة . (٤) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٤/ ٧٢ ، سلافة العصر ٣٤٧ .

(٥) فى الخلاصة ، والسلافة : « جلدا على الأسى » . (٦) فى الخلاصة : « إلى الحشا » .

(٧) فى الخلاصة : « فى شفير حسام » ، وفى السلافة : « لقد كمنت أم المنايا . . . يكون المنايا » .

بَرَزْتُ لهم والحتفُ منّى على شَفًا ... أرى الموتَ خلفى تارةً وأمامى [1]

أُوارِبُ عن صَحْبِى وأعلمُ أنّنى ... لَأوّلُ مقتولٍ بأوّلِ رامِ [2]

فناضَلْتُه والرَّكْبُ بين مُفوَّقٍ ... وآخَرَ مقْرُوحِ الجوانحِ دَامى [3]

أصابتْ وكانت لا تُصِيبُ سِهامُه ... وطاشَتْ وكانت لا تَطِيشُ سِهامى

كذا العيدُ يا عَمّاهُ إمَّا مُباجِرٌ ... وإما خَتُولٌ لا يَفِى بذِمامِ

***

وقوله [4] :

لمن العِيسُ جُفَّلًا كالنعـــامِ ... يترجَّحْن خِلْفَـــةَ الآرامِ

يرْتقصْنَ الخطى ارْتقاصَ بَناتِ الشَّـ ... ـوقِ تحت الحشَى على الآكامِ

ووراء السُّجوف كلُّ أناةِ الـ ... ـخَطْوِ حَىُّ الحياءِ مَيْتُ الكلامِ

كدُمَى العاجِ فى المحاريبِ أو كالـ ... ـهِرْغِبِّ القِطَـــارِ فى الأكمامِ

قد تقنَّعْنَ فى الشُّفوفِ كما قنَّـ ... ـعَ بدرُ الدجى بذيلِ الغمامِ [5]

ما عهِدْنا الظِّباءَ ترفُلُ فى الوَشْـ ... ـىِ ولا الوَحْشَ فى البُرى والخِزامِ [6]

قُسِّمَ الحسْنُ بين قاصِرةِ الطَّـ ... ـرفِ وأخرى مقصورةٍ فى الخيامِ [7]

منها :

كلُّ هَيْفاءَ حيث يُعتقَدُ الحبُّ ... سريعِ الخُطَى بطىءِ القيامِ [8]

كلّما أقصَـــدتْ فؤادَ كَمِىٍّ ... بَسَمتْ لى عن مثل حَبِّ الغَمامِ [9]

---

(١) فى الخلاصة : « أرى الحتف خلفى » . (٢) فى الخلاصة ، والسلافة : « لأول رام » .

(٣) فى السلافة : « وآخر مجروح الجوانح دامى » .

(٤) القصيدة فى سلافة العصر ٣٣١ ، ٣٣٢ . (٥) فى السلافة : « قد تقنعن بالشفوف » .

(٦) فى ب ، والسلافة : « فى البرى والخدام » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ا : « بين قاصرات الطرف » ، والمثبت فى : ج ، والسلافة . (٨) فى السلافة : « تعتقد الحب » .

(٩) فى الأصول : « بسمت له » ، والمثبت فى السلافة .

رفعتْ طرْفَهـــا إلىّ وقالتْ ... بأبى ما أرقَّ قلبَ الشـــامى

طالعتْ صاحبى ومالتْ إلى السِّرْ ... بِ بطرْفٍ ولا كطرفى دامِى (1)

وسبتْنِى وما أبحْتُ حِماهـــا ... بقوامٍ آهاً له من قوامِ

وعيونٍ أعاذَها اللهُ منهـــا ... لعبتْ بالعقول لعبَ المُدامِ

وأسيلٍ يُطيـــلُ دَهشةَ ذى اللَّيْـ ... ـلِ وناهيكُما بليلِ التَّمامِ (2)

ورمتْنى والمنيَّـــةُ أسبا ... بٌ فللّه ما أخفَّ الرامى

حدَّثينى وفى الحديث شفاءٌ ... ما لعينيكِ مُحملاتٌ سقامى (3)

فلتطُلْ لوعتى عليكِ ووجْدى ... إنَّ قلبى يصحُّ بالأسقامِ

يانديمىَّ بالجـــواءِ كلانا ... لهَنَاتٍ حسَرتُ عنها لثامى (4)

أعْفِيانى من هَجْعةٍ تملأُ العيـ ... ـنَ غُروراً بطارقٍ فى المنامِ

زارنى والهـــوى يُخيِّلُ نُعْمـا ... نَ سعادا والليلُ مُرْخَى الزِّمامِ

فوفَى لى بكلِّ ما تشتهى النفـ ... ـسُ وولَّى والرَّكْبُ صَرْعَى غَرامِ (5)

زارنى فى ذرا الشآمِ وداري ... بالمُنقَّى ودارُهـــا بالرِّجامِ (6)

طافَ والهولُ مطبِقٌ بعُراهُ ... يستقيلُ الكرَى من الإلمامِ

---

(١) فى ا : « ولا كطرف دامى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

(٢) فى ب : « وناهيك ما بليل التمام » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٣) فى السلافة : « وفى الحديث شفائى . . . بجملان سقامى » . (٤) فى السلافة : « يا نديمى بالجواى كلانى » .

والجواء : من قرقرى . من نواحى اليمامة ، أو هو واد فى ديار عبس أو أسد فى أسافل عدنة . معجم البلدان ٢ / ١٣٥ .

(٥) فى ب : « صرعى غرى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٦) فى ا : « فى ثرى الشآم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

والمنقى : طريق العرب إلى الشام ، كان فى الجاهلية يسلكه أهل تهامة ، وهو أيضا بين أحد والمدينة . معجم البلدان ٤ / ٦٦٩ .

والرجام : جبل طويل أحمر ، نزل به جيش أبى بكر رضى الله عنه ، يريدون عمان ، أيام الردة . معجم البلدان ٢ / ٧٥٤ .

قلتُ لطارقِ الذي طرقَ الجوَّ   وشبّتْ له فروعُ الظلامِ (1)

كَبُرتْ يا ظلومُ همةُ عينٍ   طمعتْ أن تراكَ في الأحلامِ

* * *

وقوله (2) :

رقّتْ شمائلُه فقلتُ نسيمُ   وزكتْ خلائقُه فقلتُ شميمُ (3)

قصرَ الكلامَ على الملامِ وإنما   لِلَحْظِهِ في وجنتيه تكليمُ (4)

شرِقتْ معاطفُه بأمواه الصِّبا   وجرى عليه بَضاضةٌ ونعيمُ (5)

قد كاد تشربُه العيونُ لطافةً   لكنَّ سيفَ لحاظِه مسمومُ (6)

* * *

وقوله (7) :

رشقتْ صروفُ الدهرِ ماءَ نضارتي   عجلانَ ما أدنى الفؤادَ وما رمى

إن الذي صبغَ الحيـــاءُ بياضَه   لم يدرِ كيف شرقتُ من خجلٍ دما (8)

إن الذي فارقتموه ولم يمتْ   [illegible] كان أحقَّ منكِ وأظلمـــا (9)

* * *

وقوله (10) :

يا خليليَّ دعاني والهـــوى   إنني عبدُ الهوى لا تعذلـــانِ

عرِّجا نقضي لُباناتِ الهوى   في ربوعٍ أقفرتْ منذ زمانِ

---

(1) في سلافة العصر : « الذي صدع الجو » . (2) الأبيات في سلافة العصر ٣٤٨ .

(3) في أ : « رقت شمائله فقلت شمول » ، وفي السلافة : « وزكت خلائقه » ، والمثبت في : ب ، ج .

(4) في السلافة : « للحظ في وجناته تكليم » . (5) في السلافة : « شرقت معاطفه » .

(6) في السلافة : « تشربه العيون بضاضة » .

(7) الأبيات في سلافة العصر ٣٤٨ . (8) في السلافة : « من خجلي دما » .

(9) في أ : « كان أحق منك » ، وفي السلافة : « كان أعز منك » ، والمثبت في : ب ، ج .

(10) الأبيات في سلافة العصر ٣٣٠ .

مَرْبَعٌ أولع عيني بالبـكا   أَمَرَ العينَ به ثم نَهَـانِي [1]

وقفارَى الخِلِّ وجدٌ وبكا   فابْكيانى قبل أن لا تبكيانِي [2]

يا عُرَيباً مَنَحناهم أضلُعى   وغضاهم نارُ شوقٍ فى جَنانِي

سوَّدوا ما بين عيني والفضا   ومحَوْا عنها سوادَ الدَّيْدَبانِ [3]

إن قلبًا أنتمُ سُكَّانُه   ضاع منى بين شِعْبٍ والقَنانِ [4]

❊ ❊ ❊

وقوله من خمرية [5] :

هاتِها هاتِها سَبِيَّـةَ حَوْلٍ   قد توانتْ ولاتَ حينَ توانِ

كسقيط الندى على وجَنات الـ   ـوردِ أو كالدموع فى الأجفانِ [6]

فى يدَىْ شادِنٍ رقيقِ الحواشى   فوق خدَّيْه وردةٌ كالدِّهانِ [7]

هى فى خـدِّه سَبِيكُ نُضارٍ   وبِفيهِ عصارةُ العِقْيانِ [8]

❊ ❊ ❊

منها [9] :

نسختْ سحرَ بابلٍ مُقلتاه   فتنتى فى فَتْرة الأجفـانِ

❊ ❊ ❊

(١) فى السلافة : « مربع أولع عيني بالبـكا » . وفى ا : « أمر العين به » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٢) فى ب ، ج : « وجدا وبكا » ، والمثبت فى : ا ، والسلافة ، وفى ا : « قبل أن لا تبكيان » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٣) الديدبان : الرقيب والطليعة . القاموس (د ى د ب) .

(٤) شعب : ماء بين العقبة والقاع ، فى طريق مكة . معجم البلدان ٣/٢٩٦ .

والقنان : جبل ، فيه ماء يدعى العسيلة ، وهو لبنى أسد . معجم البلدان ٤/١٨١ .

(٥) القصيدة فى سلافة العصر ٣٤٣ ، ٣٤٤ . (٦) فى ا : « وجنات الورود » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٧) فى الأصول : « رفيق الحواشى » ، والمثبت فى السلافة .

(٨) فى ا : « عصارة العصيان » والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٩) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والسلافة .

أحسن منه قول التنيسى [1] الأندلسى :

لولا تحديه بآية سحره ... ما كنت ممتثلا شريعة أمره
رشأ أصدقه وكاذب وعده ... يبدى لعاشقه أدلة عذره
ظهرت نبوة حسنه فى فترة ... من جفنه وضلالة من شعره

＊＊＊

فى ربوع كأنهن جنان ... عطفت حورها على الولدان
ورياض كأنهن سماء ... أطلعت أنجما من الأقحوان
بين ورق كأنهن قيان ... ركبت فى حلوقهن مثانى
وغصون كأنهن نشاوى ... يترقصن عن قدود الغوانى
وأقاح كأنهن ثغور ... يتبسمن فى وجوه الحسان
ونسيم الصبا يصح ويعتل ... على برده وحر جنان [2]
كلما غنت البلابل فيها ... رقص الدمع بالبكا أجفانى
عطفتنى على الرياض قدود ... خلعت لينها على الأغصان
يتلقانى الأقاح ببشر ... وغصون النقا على حوان [3]

＊＊＊

منها [4] :

أين قلبى لا أين إلا طلولا ... أذهبتها الرياح منذ زمان

---

(١) مكان هذه الكلمة بياض فى : ا ، وهى ساقطة من : ب ، ومثبتة فى : ج .

(٢) فى ا : « وحرجنان » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . (٣) فى السلافة : « ببشر . . . على حران » . (٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وقد ترك المحبى من القصيدة بيتا واحدا ، أورده ابن معصوم ، وهو :

قال لعتب وما أظن نوالا ... عند عتب لواجد سيان

أذكرتني معاهداً وربوعاً   كدت يدمى لذكرهن بناني
حيث غصني من الشباب رطيب   وعيون المها إلى رواني (١)
أطرد النوم عن جفون نشاوى   بحديث أرق من جثماني (٢)
وقواف لو ساعد الجد نيطت   موضع الدر من رقاب الغواني
سائرات بيوتهن على الأل   سن سير الأمثال في البلدان
قصد كالفرند في صفحات الد   هر أو كالشنوف في الآذان
عاصيات على الطباع ذلول   تتغنى بهن في الركبان
ساقطت والندى يطل عليها   من عيون المها حصى المرجان

* * *

وقوله (٣) :

لا يتهمني العاذلون على البكـ   ـى عبرة موهتهـــا ببناني
يامن يفنـــدني على ابنة و[illegible]   عني إليك فغـــير شانك شاني (٤)
آليت لا فتق العذول مسامعي   يوماً ولا خاط الـكرى أجفاني
قالت عثيمة قد كبرت عن الصبـا   ما للكبير وصبوة الشبان
ما الشيب إلا كالقـــذاة لناظري   فقليـــله وكثيره سيان
سلبت أساليب الصبابة من يدي   صبري وأغرت ناجذي ببناني (٥)

* * *

وقوله (٦) :

إذا أبصرت شخصك قلت بدر   يلوح وأنت إنسان العيون

---

(١) في ا ، ب : « حين غصني » ، والمثبت في : ج ، والسلافة . (٢) في ا : « عن جفوني نشاوى » ، والمثبت في : ب ، ج ، والسلافة . (٣) الأبيات في : خلاصة الأثر ٤ / ٧٢ ، ٧٣ ، سلافة العصر ٣٢٥ ، ٣٢٦ . (٤) في الأصول : « مني إليك » ، والمثبت في : الخلاصة ، والسلافة .
(٥) في ا ، ج والخلاصة : « ببناني » ، والمثبت في : ب ، والسلافة . (٦) البيتان في سلافة العصر ٣٤٨ .

جرى ماء الحيـــاة بفيك حتى   أمنتُ عليك من رَيْبِ المَنونِ

* * *

وقوله (1) :

هل في القضيّةِ أن يُشيبكَ العِـدَى   في ليلةٍ ناجيتُ فيك سُهاها (2)

هَبْ أنْ تشمي فيها بالشمـا   تةَ فأين هي وبدرُ دُجاها

ليت التي بعثَتْ إليَّ خيالَـها   أذِنتْ لعيني أن تذُوق كَراهَا

* * *

وقوله (3) :

طرقتْ تخفَّى رِقبةَ الواشين بي   وعيونُهم مَطْروفةٌ بكَراها

وأتتْ وموّار اليـــدين تنوءُ في   سُجُفِ الخيامِ كأنما طُنْباها (4)

* * *

قلتُ : هذا متوصل من ... ومتحلى به عليّ .

وقد قيل : من أحيى قلب صديق ، بكلام رقيق ، أمِن من كلّ حريق ، وسلم في (5) كلّ مَضيق .

ولو استزدْتُ لزدْتُ ، ولو قلتُ عسيتُ (6) أو كِدتُ .

---

(1) الأبيات في : خلاصة الأثر ٤ / ٧٣ ، سلافة العصر ٣٥٥ . (2) في السلافة : « ناجيت فيك سماها » .

(3) البيتان في : خلاصة الأثر ٤ / ٧٣ ، سلافة العصر ٣٥٥ . (4) في ب : « وأتاه موار اليدين » ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . وفي السلافة : « سجف الخيام » . والطنب : حبل طويل يشد به سرادق البيت . (5) في ا : « من » ، والمثبت في : ب ، ج .

(6) في ب : « عييت » ، والمثبت في : ا ، ج .

١٠٣

حسين بن شهاب الدين بن حسين بن محمد بن يحيى
ابن جانْدَار البِقاعِيّ الكَرَكِيّ (*)

باقِعةُ البِقاع ، المُخجِل بغُزْرِه وجوهَ الرِّقاع .

طلعت محاسنُه طلوعَ النجوم الزواهِر ، وسعِدتْ تلك البقاعُ بآدابه المعجِبة البواهر .

وإذا تأمَّلتَ البِقاعَ وجدْتَها تشْقَى كما تشْقَى الرجالُ وتَسْعَدُ

وهو وحيدٌ في كرم ضرائبه ، متفرِّد بكثرة عجائبه وغرائبه .

تستوعِب محفوظاتُه المقروءَ والمسموع ، وتجمع معلوماته ما هو في الحقيقة منتهى المجموع .

وله أدب جَزْل ، وجِدٌّ مقرون إلى هزْل .

* * *

وأما نظمه فبابِلُ منشأ كلامِه ، وما أُنزِل على المَلَكَيْن في ضِمْن أقلامه .

* * *

(*) حسين بن شهاب الدين بن حسين بن جاندار البقاعي ، الكركي ، العاملي .

أديب ، شاعر مطبوع ، حسن الإبداع للمعاني .

وكان له اشتغال بالطب .

رحل ابن جاندار ، وتنقل في البلاد حتى حل على النظام ابن معصوم ، والد صاحب السلافة ، سنة أربع وسبعين وألف ، وطابت له الحياة في كنفه .

وله مصنفات ؛ منها : شرح نهج البلاغة ، ومختصر الأغاني .

توفي سنة ست وسبعين وألف ، عن أربع وستين سنة .

خلاصة الأثر ٢ / ٩٠ — ٩٤ ، سلافة العصر ٣٥٥ — ٣٦٧ .

وكان فى أخريات أمره ، حين لم يَبْقَ إلا قَذًى فى كأس عمره .

اشتغل بالطب فأتقن [1] قواعده وأحكمه ، ولعب بالأرواح والأجسام كلاعبٍ وتحكّم .

ولكنه طاشت سهامُ رأيه عن أغراضها ، وصَوّبت فى أخطاءات النفوس فى تخليصها من آلامِ [2] أمراضها .

فكم عليلٍ دبّ فيه علاجه ثم درج . فأنشد :

أنا القتيلُ بلا إثمٍ ولا حرجِ

وتلاعبت به الظنون فى مهاوى الغربة ، إلى أن دخل الهند وهو سفيرُ الفقر والكربة .

فاستقبله النظام ابن مَعْصوم بمزيد [3] كرمه ، وأنزله حيث استردّ شبابه بعد هَرَمه ، إلا أنه لم تطل مدته ، حتى أخلقت حوادثُ الموت جِدّته .

* * *

وقد أوردت من محاسنه التى بهر نقدها ، وبعد عن مظانّ أولى النباهة انتقادها .

ما تستهدى منه شمال الرُّقَى آذنت [4] لصحة الأجسام بالتكفّل ، ونسيم الصَّبا جاءت بعَرْف [5] الصندل وريّا [5] القرنفل .

فمنه قوله ، من قصيدة ، مستهلها :

هو الحبّ لا يُبْقِى على الشَّجْىِ بارحا ... فصبرًا وأنّى يردع الصبرُ جامحا

حليفَ غرامٍ مُدْنَفٍ فتكت به ... جوارحُ ألحاظٍ تذيب الجوارحا

وهل يُرتجى بُرْءُ السقيم الذى غدت ... عليه أماراتُ الهلاكِ روائحا

---

(1) فى ا : « فأتى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (2) فى ا : « الآلام » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(3) فى ا : « بريد » ، والمثبت فى : ب ، ج . (4) فى ا : « أدنت » ، وفى ج : « أذنت » ، والمثبت فى : ا .

(5) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

أراقت دمى بالسَّفْح غرّاء ناهدٌ ... على مثلها أمست دموعى سوافِحا

مضتْ غيرَ ما أبقتْ من الوجدِ والأسَى ... ليالٍ بنا نلنا المُنَى والمنائحا

برَغْمِى حلَلْت الدمعَ بين طلولِهم ... فلم أرَ مُرًّا يُرجِع القلبَ فارِحا

خَلاَ مَلْعب أوْدَى بأرجائِه البِلَى ... تلاعبُه هُوجُ الرياض روائحا[1]

وعهدِى به بالأمسِ للعينِ مألفٌ ... فعُوِّضَ عنهنّ ابنُ دَاية نائحا

* * *

ابن داية : الغراب ، وهو علَم جنس ممنوع من الصرف ، سُمّىَ به لأن أنثاه إذا طارت (من بيضها[2]) حضنها الذكرُ ، فيكون كالداية الأنثى .

* * *

وكان جَلاء الناظرَيْن من القَذَى ... فأضحى يردُّ الطَّرف بالدمع سافحا[3]

فيا مُمْتطِى كَوْماء كالهِقْل جَسْرةٍ ... عَرَنْدية تطوِى الرُّبَى والأباطِحا

* * *

الكوماء : الناقة الطويلة السَّنام .

والهقل : الفتِىّ من النعام .

والجسرة : الناقة القوية ، ويقال هى : الجرية .

والعرندية : الناقة القوية .

* * *

إذا عاينَتْ عيناك كُثْبانَ رَامةٍ ... وجازتْ بكَ الوَجْناء تلك الصَّحاصِحا[4]

أنِخْها بربْعٍ يَنْفح الرِّيحُ رائحا ... تجاهَك من رَيّا شَذاه الرَّوائحا

وبلِّغ رعاكَ اللهُ منى أهَيْلَه ... سلاما كنَشْر المَنْدَل الرَّطْب نافحا

---

(١) فى ا : « خلى ملعب » ، وفى ج : « خلا مربع » ، والمثبت فى : ب .

(٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٣) فى ا : « يرد الطرد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) ناقة وجناء : شديدة . والصحصح : ما استوى من الأرض وكان أجرد .

وقل لهمُ خلّفتُ بالشام مُدْنفــا صريعَ اشتياقٍ نائىَ الدارِ نازحا
يئنُّ ويشكو بانتحابٍ ولوعةٍ نَواكُم إذا أرخَى الظلامُ لَنسائحا
عسى أوبةٌ تطفِى لهيبَ جوانحِى إذا كنتَ لى فيما تحملّتَ ناصحا
فبِى ظمأٌ لو كان بالتُّرْبِ ما غدَتْ على صفحةِ الأرضِ المياهُ سوائحا [1]
ولو أن أنفاسِى أصابَ سعيرُها رياحَ الفضا ما كُنَّ يوماً لواقحا
فيا قلبُ صبراً إن يكُ الصبرُ نافعاً فمن حارب الأيامَ لم يُلْفَ رابحا [2]
رُوَيْداً هى الأيامُ لاتَرحُ سُقْمَها فما كان منها غادياً كان رائحا [3]
وما كان منها دانياً كان نائياً وما كان منها سانحاً كان بارحا [4]

***

وقوله من أخرى ، أولها [5] :

هو الحبُّ لاقُرْبٌ يدوم ولا بُعْدُ وقد دقّ معنى أن يُحيطَ به حَــدُّ
يَحارُ أولو الألبابِ في كُنْهِ ذاتِه فمن جدّه هزلٌ ومن هزلِه جِــدُّ
لك اللهُ قلبى كم تُجِنُّ لواعجاً يذوب لأدنَى حرِّها الحجرُ الصَّلْدُ
نصَحْتُك جُهْدِى لاقبلتَ نصيحتى فعدلُ الهوى جوْرٌ وحُرُّ الهوى عبدُ [6]
لقد عالجَ الحبَّ المحبُّون قبلَنا فما نالهم إلا القطيعةُ والصدُّ
فإن قال قومٌ إن فى العشقِ لذّةً فما أنصفوا هذا خلافُ الذى يبدو [7]
نعيمٌ هو البَلْوَى ورِىٌّ هو الظَّمَا وذاك فَناءُ الجسمِ يحسبه الوَجْدُ

---

(١) فى ب : « على صفحة المياه سوائحا » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٢) فى ا : « لم يلف رائحا » ، وفى ج : « لم يكن رائحا » ، والمثبت فى : ب .
(٣) فى ا : « لا برح سقمها » ، والمثبت فى : ب ، ج . وفى ج : « فهو رائحا » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٤) فى ج : « فهو بارحا » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢ / ٩٠ ، ٩١ .
(٦) فى ب ، وخلاصة الأثر : « لو قبلت نصيحتى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى خلاصة الأثر : « إن فى الحب لذة » .

على أنني جرَّبْتُهُ وبلَوْتُه ... إذا أنه كالصَّابِ ذِيفَ به الشُّهْدُ [١]

وما قلتُ جهلاً بالغرام وإنما ... يُصدِّق قولى من له بالهوى عهدُ [٢]

* * *

وقوله من أخرى ، أولها[٣] :

مالاح بَرْقٌ بِرُبَى حاجِرِ ... إلَّا اسْتهلَّ الدمعُ من ناظِرِى [٤]

ولا تذكَّرتُ عهودَ الحِمى ... إلا وسار القلبُ عن سائرِى [٥]

أوَّاهُ كم أحمل جَوْرَ الهوى ... ماأشْبــــهَ الأولَ بالآخرِ

ياهل ترى يدرِى نَؤُومُ الضحى ... بحالِ ساهٍ فى الدجى ســاهرِ

تَهُبُّ إن هبَّتْ يمانيَّــةٌ ... أشواقُه للرَّشَـــــأ النافرِ

يضربُ فى الآفاقِ لايأْتلِى ... فى جَوْبِها كالمثلِ السائرِ [٦]

طورًا تِهاميًّـــا وطورًا له ... شوقٌ إلى من حلَّ فى الحائرِ [٧]

كأنَّ مِمَّا رابَهُ قلبَــــهُ ... عُلِّق فى قادِمَتَىْ طــائرِ

* * *

أصل[٨] هذا المعنى لعُروة بن حِزام[٩] ، قال[١٠] :

كأنَّ قطاةً عُلِّقتْ بجناحِها ... على كبدِى من شِدَّةِ الخفقانِ

* * *

---

(١) الذيفان : السم القاتل . وفى خلاصة الأثر : « ديف به الشهد » ، والدوف : الخلط والبل بماء ونحوه .

(٢) بعد هذا فى الخلاصة تمام القصيدة ، وهو أربعة أبيات . (٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٩٢ .

(٤) فى خلاصة الأثر : « من ربا حاجر » . (٥) فى ا : « من سائرى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٦) فى ب ، ج : « فى جوها » ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة . (٧) الحائر : قبر الحسين بن على رضى الله عنهما . معجم البلدان ٢/١٨٨ ، ١٨٩ . (٨) هذه المقدمة ، وبيت عروة بن حزام بعدها مما سقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٩) عروة بن حزام بن مهاجر .

شاعر عذرى ، عرف بصاحبته عفراء ، التى حرم الزواج منها ، فضنى عشقا ، وتوفى نحو سنة ثلاثين للهجرة .

تزيين الأسواق ٧٠ ، فوات الوفيات ١/٧٠ .

(١٠) البيت فى : تزيين الأسواق ٧٤ ، فوات الوفيات ١/٧٤ .

وقوله ، من أخرى[1] :

لكَ الخيرُ لا زيدٌ يدوم ولا عمرُو ... ولا ماءَ يبقَى في الدِّنانِ ولا خمرُ

فبادِرْ إلى اللَّذّاتِ غيرَ مُراقبٍ ... فمالكَ إنْ قصَّرتَ في نَيْلِها عذرُ

فإنْ قيل في الشَّيْبِ الوَقارُ لأهلِهِ ... فذاكَ كلامٌ منه في مَسْمعِي وَقْرُ[2]

وقالوا نَذِيرُ الشيبِ جاء كما ترى ... فقلتُ لهم هيهات أن تُغْنِيَ النُّذْرُ

لئِنْ كان رأسِي غيَّرَ الشيبُ لونَه ... فرِقَّةُ طبعِي لا يغيِّرها الدهرُ

يقولون دَعْ عنكَ الغوانِي فإنّما ... قُصاراكَ لَحْظُ العينِ والنَّظرُ الشَّزْرُ

وهل فيكَ للغِيدِ الحِسانِ بقيَّةٌ ... وقد ظهر المكنونُ وارتفع السِّتْرُ[3]

وما للغواني وابنِ سبعين حِجَّةً ... وحِلْمُ الهوى جهلٌ ومعروفُه نُكْرُ

فقلتُ دعوني والهوى ذلكَ الهوى ... وما العمرُ إلّا العامُ واليومُ والشهرُ

نشأتُ أحِبُّ الغِيدَ طفلاً ويافعاً ... وكهلاً ولو أوفَى على المائة العُمْرُ

وهُنَّ وإنْ أعرضْنَ عني حبائبٌ ... لهُنَّ عليَّ الحُكْمُ والنَّهْيُ والأمرُ[4]

أحاشِيكَ بي منهنَّ مَن لو تعرَّضتْ ... لنَوْءِ الثُّريَّا لاستهلّ لها القَطْرُ

ترقرق ماءُ الحسنِ في نارِ خدِّها ... فماءٌ ولا ماءٌ وجمرٌ ولا جمرُ

فيا بُعْدَ ما بين الحِسانِ وبينها ... لهُنَّ جميعاً شَطْرُه ولها الشَّطرُ[5]

بَرَهْرَهَةٌ صِفْرُ الوِشاحِ إذا مشَتْ ... تجاذَبَ منها الرِّدْفُ والعِطْفُ والخَصرُ[6]

من البِيضِ لم تغْمِس يداً في لَطيمةٍ ... وقد ملأ الآفاقَ من طِيبها نَشْرُ[7]

---

(١) القصيدة في خلاصة الأثر ٢/٩٣ ، ٩٤، سلافة العصر ٣٥٩، ٣٦٠ .   (٢) في الخلاصة ، والسلافة: « عنه في مسمعي وقر » .   (٣) في ب ، ج : « وارتفع السر » ، والمثبت في : ا ، والخلاصة ، والسلافة .   (٤) في ب ، والخلاصة: « وإن أعرضن عني حبائبي » ، والمثبت في : ا، ج ، والسلافة .

(٥) في ج : « ما بين الحسان وبعدها » ، والمثبت في : ا ، ب ، والخلاصة ، والسلافة . وفي ب : « ولها شطر » ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .   (٦) البرهرهة : المرأة البيضاء الشابة الناعمة ، أو التي ترعد رطوبة ونعومة . القاموس (ب ر ه) .   (٧) في السلافة: « من طيها نشر » . واللطيمة : المسك ، أو نافجته .

تَخِرُّ لها زُهْرُ الكواكبِ سُجَّدًا ... وتَعْنو لها الشمسُ المنيرةُ والبدرُ

تخالُ بجَفنيها من النومِ لَوْثةً ... وتحسَبُها سكرَى وليس بها سُكْرُ[1]

وقالوا إلى هاروتَ يُنسَبُ سحرُها ... أبى اللهُ بل من لحظِها يُؤخَذ السحرُ

تخالَفَ حالى فى الغرامِ وحالُها ... لها مَحْضُ وُدِّى فى الهوى ولىَ الهجرُ[2]

* * *

وقوله من أخرى ، أولها[3] :

أرَبْعَ الندى لازال نجمُك مشرقَا ... وسَحَّ سحابُ العزِّ فيك وأغْدقَا

ولا برِحتْ فيكَ السُّعودُ سوانحًا ... لتجمعَ من مكنونها ما تفرَّقَا

سقاكَ رُضابُ الغانياتِ إذا أبَتْ ... عيونُ الغوادِى فيك أن تترقرقَا

تغدُو رُباكَ الساميات كأنما ... كستْها يدُ الأنواءِ وَشْيًا مُنمَّقَا

إذا ما ذوَى نبتُ الرِّياضِ فنورُه ... نضارتُه تبقَى إذا الدهرُ أخلَقَا

فكم قد نهَبْنا فيك أوقاتَ لذَّةٍ ... رقَمْنا بها فى الدهرِ رَسْمًا مُحقَّقَا

يدير علينا اللهوُ فى طَىِّ نَشْرِها ... كؤوسَ الصِّبا لا البابلىَّ المُعتَّقَا

* * *

وقوله من أخرى ، أولها[4] :

أشمسُ الضحى لابل مُحيَّاكَ أجملُ ... وخُوط النَّقا لابل قَوامُك أعْدلُ[5]

---

(١) فى ا : « من اللوم لوثة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة ، وفى السلافة : « وهى بها سكر » . (٢) فى ب : « لها الحسن ودى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة والسلافة.
وتمام القصيدة ، وهو تسعة عشر بيتا ، فى السلافة .

(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ج ، وهذه المقدمة ، والأبيات بعدها مما سقط من: ب ، وهو فى: ا، ج.

(٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .
والقصيدة فى سلافة العصر ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، وصدرها ، بقوله : « وقال يمدح بعض أكابر عصره » .

(٥) فى سلافة العصر : « وغصن النقا » . والخوط : الغصن الناعم .

سفرن لنا حيثُ النجومُ كأنها   كواعبُ فى سُود المطارف ترفُلُ

وحيث الهزيعُ الآبنوسىُّ حالكٌ   كأن الدجى سِترٌ على الأرضِ مُسبَلُ

كأن غرابَ البَيْن قُصَّ جناحُه   فليس له مَنـــأى ولا مُتحوَّلُ[1]

كأن رياضًا من أقاحٍ ونرجسٍ   سقاهنَّ من نهرِ المجرَّةِ جدولُ[2]

كأن الثريَّا إذ تراءتْ لنـــاظرى   وِشاحٌ على زَنْدِ الزَّمان مُفصَّـــلُ[3]

كأن سُهيلًا والنجـــومُ تؤمُّه   نوافِرُ وُرْقٍ خلفهنَّ قد لاحَ أجْدَلُ

كأن السُّها ذو صَبْوةٍ غالَه النوى   فأنحــــلَه والبَيْن ناصبٌ يُنحِلُ

كأنَّا رأينـــا بالنَّعائمِ إذ بدتْ   نعائمَ تجتابُ الفلا وهْىَ هُمَّلُ[4]

كأن السِّماكَيْن اشتطارا لغارةٍ   فهذا له رُمْحٌ وذاك أعزَلُ[5]

فلما بدا مرْآكَ شابتْ فروعُـــه   وقد كان مُسوَدَّ الغدائرِ أليَلُ[6]

نزَحْتَ فلا غصنُ المَسرَّةِ يانـــعٌ   ولا الماء سَلْسالٌ ولا الروضُ مُخضَلُ[7]

كأنى غَداةَ البَيْن حاسى سُلافةٍ   إذا شُدَّ منـــه مَفْصِلٌ هاضَ مَفصِلُ

تناولهـــا صِرْفًا ليحيى فقرَّبتْ   إليه الرَّدى ممـــا يُعَلُّ ويُنْهَلُ

إذا رفعوه خرَّ مُلْقى كأنه   نقًا وكِلا أرجائه يتهيَّـــلُ[8]

يُعـــاوده طورًا جنونٌ وتارةً   لِما شربتْ من عقله الراحُ أخْبَـــلُ

---

(١) هذا البيت والذى بعده لم يردا فى السلافة .   (٢) فى ا : « من زهر المجرة » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٣) فى ب : « إذ تناءت لناظرى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . وفى ب ، والسلافة : « على جيد الزمان » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٤) هذا البيت والذى بعده لم يردا أيضا فى السلافة .

والنعائم من منازل القمر .

(٥) السماكان : نجمان نيران ، وهما الأعزل ، والرامح .

(٦) كذا فى الأصول : « أليل » بإقواء ، والقياس نصبها ، وفى السلافة : « وكان مسود الغدائر أليل » .   (٧) من أول هذا البيت إلى ما قبل قوله : « لما تعذارى » لم يرد فى السلافة .

(٨) فى ا : « يتهلل » ، وفى ج : « يتميل » ، والمثبت فى : ب .

وأشكى جوى يعتادنى لوم لائم ... وهل يرعوى ذو جنة ليس يعقل

أأسلو وبى مالو يلم بيذبل ... لدك لما لاقى من الوجد يذبل [1]

يرومون قتلى بالملام تعمداً ... وما أكثروا التأنيب إلا ليفعلوا

لك الحكم يادهرى بما شئت فارمنى ... أيجزع من حر الضرام السمندل [2]

* * *

السمندل : طائر هندى .

قال بعضهم : هو نارى يعيش فى النار كما يعيش طائر [3] الماء فى الماء .

وقال آخرون : هو طائر إذا هرم دخل نار الأتون أو نارا جاحمة [4] غيرها ، فيمكث فيها ساعات فيعود شابا .

وإياه عنى الزهرانى [5] بقوله [6] :

وطائر يسبح فى جاحم ... كماهر يسبح فى غمر

قال الجاحظ [7] : [و] [8] فى السمندل آية غريبة ، وصنعة [9] عجيبة ، وداعية للتفكر [10] ، وسبب للتعجب [11] ، وذلك أنه يدخل [فى] [8] أتون النار فلا تحترق [12] له ريشة .

* * *

(١) فى ا : « مالم يلم » ، والمثبت فى : ب ، ج .
ويذبل : جبل مشهور الذكر بنجد . معجم البلدان ٤/١٠١٤ .
(٢) فى ا : «من حر الدرام» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : «طير» ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٤) فى ب : « متأججة » ، وفى ج : « أحاجه » ، والمثبت فى : ا . (٥) فى ا : «البحرانى» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) البيت فى الحيوان ٦/٤٣٤ ، ٤٣٥ .
(٧) الحيوان ٢/١١١ ، ٦/٤٣٤ . (٨) من الحيوان . (٩) فى الحيوان : « وصفة » .
(١٠) فى ب : « التفكير » ، وفى الحيوان : « إلى التفكر » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(١١) فى الحيوان : « إلى التعجب » . (١٢) فى الحيوان : « ويخرج ولا تحترق . . » .

لَعًا لِعِثارى كيف لا أبلغ المُنى ۞ وأُدرِكُ شأْواً نَيْلُه لا يُؤمَّلُ [١]

وقد شمِلَتْنى من أبى الجود نظرةٌ ۞ فأشرق نجمى بعدما كاد يأفُلُ [٢]

***

لَعًا : كلمة يُدعَى بها للعاثر ، معناها الارتفاع .

قال ابن السِّيد : هى اسم فعل مبنىّ على السكون ، والتنوين فيه علامة التنكير ، كهو فى صَهٍ ومَهٍ .

وقد بين القزّاز [٣] الفعلَ الذى لعًا اسمُه ، فقال : يقال لَعاكَ [٤] اللهُ أى نعشك الله ورفعك ، فلعا اسم النعش ، وتُكتب بالألف ؛ لأن لامَها منقلبة عن واو .

***

وله من أخرى ، أولها :

هل طالبٌ بدم القتيـــل ۞ بين المعاهـــد والطُّلولِ

ساب الجمـــال فؤادَه ۞ ونأى عن الصبر الجميلِ

عبثتْ به أيدى الهوى ۞ فهوَى بواديه المَهولِ [٥]

قسمًا بأجْيـــاد الظِّبا ۞ وتحيَّةِ الظَّبْىِ الكحيلِ

مامِلتُ عن نَهْج الغرا ۞ مِ إلى مُلاحاةِ العَــذُولِ

وَيْلاه كم أَطْوِى الضلو ۞ عَ أسًى على الداء الدَّخيلِ

ما آن أن تُقضَى لُبا ۞ نَاتى وأن يُشفَى غليلى

---

(١) فى ا : « وأدرك شأو ليله لا يؤمل » ، وفى السلافة : « وأدرك شأو نيله ليس يؤمل » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى السلافة : « وقد أدركتنى من أبى الجود نظرة » .

(٣) أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمى القزاز .
لغوى ، أديب ، توفى سنة اثنتى عشرة وأربعمائة .
معجم الأدباء ١٨/١٠٥ ، وفيات الأعيان ٤/٩ .

(٤) فى ا ، ج : « لعالك » ، والمثبت فى : ب .

(٥) فى ب : « أيدى النوى ۞ فهوى بعاديه . . » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وبمُهجتي ظَبْيٌ شما ئله أرقُّ من الشَّمولِ
فَعَمُ المُخلْخَلِ ساحرُ اللَّحظاتِ كالرشأ الخَدُولِ[1]

* * *

الفَعَم : الملآن .

والمُخَلْخَل : موضع الخلخال من الساق ، ومثله المسوَّر موضع السِّوار من الذراع ، والمُقلَّد : موضع القلادة من العنق ، والمُقرَّط : موضع القُرط من الأذن .

والخَدُول : الممتلئ الأعضاء الدقيق العظام .

* * *

يصْطاد أفئــدةَ الورى بحبائلِ الشَّعرِ الرَّسيلِ
قمرٌ يجلُّ عن المحا قِ ضياؤه وعن الأفولِ
أرتاعُ عنــد نهوضه جزَعاً على الخصْرِ النحيلِ

* * *

أحسن منه قول : ديك الجن[2] :

وتمايلتْ فضحكتُ من أردافهـا عجبًا ولكنّى بكيتُ لخصْرِها

* * *

ومما يُستجاد له قوله ، من أبيات :

لمن طَلَلٌ عافِى الرُّبوعِ بذى الضّالِ ذكرتُ به ما مرَّ من عيشىَ الخالِى
حبستُ به طَرْفى وأرسلتُ مُقلتى وبُدِّلت إرشادى لديه بإضْلالِى
أسائله والدمعُ ينهــلُّ وَدْقُهُ غراماً فلم ينجَع بكائى وتَسْآلِى

* * *

(١) فى الأصول هنا وفيما يأتى : « المذول » ، ولا يتفق هذا مع الشرح الآتى .

(٢) أبو محمد عبد السلام بن رغبان ، الشاعر المشهور ؛ سمى بديك الجن لخضرة كانت فى عينيه . توفى سنة خمس أو ست وثلاثين ومائتين .
وفيات الأعيان ٢/٣٥٦ .

وله من قصيدة ، مطلعها :

تلكَ الديارُ وهــذه أعْلامُها ... فسَلِ المَدامعَ أن يجودَ سِجامُها

واُطلُب لها من طَرْفك السُّقيا إذا ... أبَتِ الثُّريَّا أن يَصُوب غَمامُها

واْحبِسْ بعَقْوتِها المَطِيَّ مُسائلا ... في مَ اسْتِباحِ دِماءنا آرامُها[١]

فلعلَّ سُعْدَى أن تُساعد باللقا ... وعسى سُلَيمى أن يَزورَ سلامُها

للهِ مسرحُ لَهوِها ومَراحُــه ... ومحلُّها حيث الهوى ومُقامُها

إذ كان بالبِيض الأوانِسِ جِيدُها ... حالٍ وظِلّكَ أثْلُها وثُمامُها[٢]

ومرادُ طَرْفك كلُّ من فضَح القَنا ... وجَلا الظلامَ جَبِينُها وقَوامُها

لو أنها عرَضتْ لِذِمِّ كنيسةٍ ... سجدُوا وهانتْ عندهم أصْنامُها[٣]

أو خاطبَتْ مَيْتا تقادَم عهدُه ... لأذاقَه طعمَ الحياةِ كلامُها

لَفَّاءُ هيفاءُ القَوامِ سِبَحْلَةٌ ... يُصْبِي الحليمَ جلوسُها وقيامُها[٤]

أثْرَتْ رَوادِفُها وأمْلَق خَصْرُها ... فتكاملتْ قَصْدًا وتمَّ تمامُها

كيف التخلُّصُ من هوى فتَّاكةٍ ... يقْتادُ آســادَ العَرِينِ غرامُها

رفَع الجمــالُ حِجابَها لكنها ... كالشمسِ أعْيَى الطالبين مَرامُها

ياقلبُ دَعْ ذِكرَ الصبابةِ للذى ... يحلُو بفِيــه زُعافُها وسِمامُها

***

وله من أخرى ، مستهلها[٥] :

ماصاح صاحِى الوُرْقِ فى ألحانهِ ... إلا وأذْكره بديعُ بيـــانهِ[٦]

وإذا تنازَعــه اللوائمُ فى الهوى ... ذكرَ العَقِيقَ فسحَّ من أجْفـــانهِ

---

(١) فى ا : « فيها استباح » ، والمثبت فى : ب ، ج .
والعقوة : ما حول الدار ، والساحة .

(٢) ظلك ، بمعنى أظلك . (٣) الذم ، بالكسر : القوم المعاهدون . القاموس (ذ م م) .

(٤) اللفاء : الملتفة القوام ، والسبحلة الضخمة . (٥) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٩١ ، ٩٢ .

(٦) فى الخلاصة : « إلا وأسكره » .

كَلِفٌ إذا هبّت به نجديّةٌ ... يذكو بها ماسَحّ من أجفانِهِ[1]

مُغرًى بذكر العامريّةِ مغرمٌ ... ظامٍ إلى عذب العُذَيْبِ وبانِهِ

يُخفي جوًى لو حلّ يذبلَ بعضُه ... دُكّت هضابُ الشمّ من أركانِهِ[2]

ويرُوم إغضاءَ الجفونِ على القذى ... فَرَقًا فيعرب شأنُه عن شانِهِ[3]

يالأمي في حبّ أهيفَ لو بدا ... للبدرِ لم يَعْدُدْه من أقرانِهِ[4]

مُتمنّعٍ يرنُو بناظرِ جُؤذُرٍ ... ويلاى من وَسْنانِهِ وسِنانِهِ

أأُذاد عن مِضمارِ حَلْبة حبّه ... وأنا المُجلّي وَيْكَ خيلَ رِهانِهِ

أتلومُ من أردَى بمُهجته الهوى ... لا كان إن يكُ همّ في سُلوانِهِ[5]

حسْبي بما ألقاه من ألم الجوى ... ماقد ترى والعمرُ في رَيْعانِهِ

لو أنّ بالفلك المُحيط ذُبالةً ... من حُرقتي ألهتْه عن دَوَرانِهِ

أو حاز وَجْدي بالكواكب لانبرى ... بَهْرامُها يشكو إلى كيوانِهِ

أو نال رَضْوَى بعضُ ماقد نالني ... لرأيتَه كالعِهنِ قبل أوانِهِ[6]

أو كان يُسعِدني على قدْر الهوى ... دمعي لَعمَّ الأرضَ من طوفانِهِ[7]

ولقد سلكْتُ الحبّ لاغرًا به ... وعرفتُ كُنْهَ خفيّه وعيانِهِ[8]

وعلمتُ إذ ذُقتُ الغرامَ بأنّني ... حاسٍ بكأسِ جميلِهِ وأبانِهِ[9]

---

(١) فى ا ، ج : «يذكو بها ماباح من أشجانه» ، وفى الخلاصة : «... باح من أجفانه» ، والمثبت فى : ب .

(٢) تقدم ذكر يذبل ، فى صفحة ٣٨٩ .

وفى الخلاصة : «لو مس يذبل بعضه» .

(٣) فى ب ، ج : «على قذى» ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة .

(٤) فى ج : «لم تقدره من أقرانه» ، وفى ب ، والخلاصة : «لم تعدده» ، والمثبت فى : ا .

(٥) رواية الخلاصة للبيت :

أيلوم من أودَى بمهجته الهوى ... من لم يذُق فى الدهر طعمَ طعانِهِ

(٦) يشير إلى قوله تعالى فى وصف يوم القيامة : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ ، سورة القارعة ٥ .

(٧) فى ا : «لظلم الأرض» ، وفى ب ، ج : «لعم الأرض» ، والمثبت فى الخلاصة .

(٨) فى ا : «لا أغرابه» ، وفى ب : «لا أغرى به» ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة .

(٩) فى الخلاصة : «جماله وحسانه» .

١٠٤

عبد اللطيف البَهائيّ البَعْليّ *

فاضلٌ مِلْءُ أبْرادِه ، جَمُّ الفوائد فى تحْرِيره وإيراده .

أدبه غَضٌّ ، ومذهبه مُبْيَضٌّ .

ولُطف طبعه معتدل بين الإفراط والتفريط ، وله نثر ونظم حَلّيا الأجْياد والآذان بالتنْظِيم والتقْرِيط .

هو وإن كان بَعْليَّ الطِّينة ، فهو دمشقيُّ المدينة .

ورَدها وعُنْفوانه زَاه وشَرْخُه ، وفارقها وقد استمجد فى البراعة عَفَــارُه ومَرْخُه (١) .

وبها كان تلْيِين خُشونته ، وتسهيل صعوبته وحُزونته .

إلا أنه نازَل همًّا مُمِضًّا ، وسامَر أسفًا للمَضاجع مُقِضًّا .

وكان مُشارا إليه بالنباهة ، مرموقا أن يقنبِّه حظُّه بعضَ انتباهَة .

(*) عبد اللطيف بن بهاء الدين بن عبد الباقى البعلى ، الحنفى ، البهائى .

قرأ ببعلبك على جده لأمه محمــد البهائى ، ثم قدم دمشق ، وعمره ست وعشرون سنة ، ولزم بها الشرف الدمشقى ، ويوسف الفتحى ، ثم سافر إلى الروم ، وهناك انحاز إلى المفتى يحيى بن عمر المنقارى . اشتغل بالقضاء فى طرابلس الشام ، ثم ببغداد ، ثم حلب .

وله مصنفات ؛ منها : شرحه على فصوص ابن عربى ، وشرحه لديوان أبى فراس الحمدانى .

توفى بحلب ، وهو قاض بها ، سنة اثنتين وثمانين وألف .

خلاصة الأثر ٣/١٤ ــ ١٦ .

(١) العفار : شجر يتخذ منه الزناد . والمرخ : شجر سريع الورى . والعرب تضرب بهما المثل فى الشرف العالى ، فتقول : فى كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار . أى كثرت فيهما على ما فى سائر الشجر ، واستمجد : استكثر ، وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا ، وزنادهما أسرع الزناد وريا . اللسان (ع ف ر) ٤ /٥٨٩ .

ثم دخل الرُّوم فأسرع البَخْتَ إلى إمْداده [١] ، وتمنَّتْ سُود الحدَق لو كانت عِوَض مِدادِه .

فبقِيَ في ذلك الأُفق وهو مُلْتاح ، وكل قلب إلى تودُّده مُرتاح .

ثم ترامَى في وُسْع الفضا ، فأصبح فيه كُرةً لصَوْلجان [٢] القضا .

وما زال حتى نال من حظِّه أتمَّه ، واستوفَى أجلَه المحتومَ ثمَّة .

فطواه الدهر طَيَّ السِّجِلّ ، ومحا آثارَه التي تسمُو وتجِلّ .

* * *

ولقد أوردتُ له من شعره مايقْضِي بجَودته المُتخيِّر ، ويبْهر حسنُه الفكرَ فيغدو عليه كالواقف المتحيِّر .

فمن ذلك قوله من فَتْحيّة للسلطان محمد [٣] ، لما أرسل وزيره الفاضل [٤] ففتح إيوار [٥] ، وزَند الدولة إذ ذاك وَارٍ ، وشخصُ تلاشيها مُتوار . ونافذُ أمرِها لمِعْصَم الامْتثال سِوار .

لحَلَّ في ناحيتها بجيشٍ ضاق بهم فضاؤها ، وتضَعْضعت من رَحْبتهم أعْضاؤها .

ودارت بينه وبين الكفَّار للحرب كؤوس ، ترامتْ منهم بسببها نحو الهُلْك أنفسٌ ورءوس .

فحامت المَنايا عليهم ، وغدت ألسنةُ البِيض تتلمَّظ عليهم .

---

(١) في ب : « مداده » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٢) في ب : « صولجان » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) السلطان محمد خان الرابع ابن السلطان إبراهيم خان . انظر مقدمة التحقيق ، صفحة ٤ .

(٤) أحمد باشا بن محمد باشا ، الوزير الأعظم ، المعروف بالفاضل أحمد باشا الكوبرى الأصل ، القسطنطيني المولد ، المتوفى سنة سبع وثمانين وألف . خلاصة الأثر ١/٣٥٢ ـ ٣٥٦ .

(٥) كان فتح قلعة إيوار سنة أربع وسبعين وألف ، انظر في هذه الواقعة : حقائق الأخبار ١/٥٩٦ ـ ٥٩٧ ، خلاصة الأثر ١/٣٥٤ .

فكأنهم هشيمٌ حصدتْه ظُبا السيوف ، وقضتْ دُيونَ أنفسهم غرماءُ الحتوف .

ثم افتتح القلعة ، وسهّل تلك الصعوبة والمَنعة .

وتواردت البشائر بأن الله وهب الظفرَ ، وأحاق سُوء العذاب بمن كفر .

فعمل البهائىّ قصيدتَه هذه وسيّرها ، وهى قصيدة معمورة ومطلعها :

بالفتح زاد الدِّينُ عزّاً واعتلاَ ... واللهُ أعظمَ مِنّــةً وتفضَّلاَ (١)

بالنَّصر أنجز وعــــدَه سبحانه ... وأعزّ جنــدَ المسلمين أولى الولاَ

هبُّوا كما هبّ النسيمُ إذا سرى ... يقتصُّ عُرضُ الأرض منهم والفلاَ

فى جحفلٍ ستروا البسيطةَ كثرةً ... لم تُلْفِ مثلَهم النواظرُ جحفلاَ

أرْبَوْا على التَّعداد حصراً واعتلَوْا ... من حيث لا أدرِى أواخرَهم ولاَ (٢)

فكأنّ وجهَ الأرض حَلْقةُ خاتمٍ ... [illegible]همُ وماء البحر قطْرٌ أسبلاَ (٣)

ثبتوا ثَبــاتَ الرّاسياتِ تَصَبُّراً ... [illegible]ن يلتقيهم يَلْقَ منهم أجْبُلاَ

شاكى السّلاحِ بكلِّ أبيضَ مِخْذَمٍ ... [illegible]إلا قد أصاب المقتــلاَ (٤)

حتى إذا حَمِيَ الوَطيس لدى الوغى ... لم تَلْقَ إلا باســـلاً مُستبسِلاَ

أنِفتْ سيوفُهمُ الغُمودَ فلا ترى ... إلا صَقيلاً فى نجيعٍ أُنهِــلاَ

سالتْ به البَطْحــاء حتى لا ترى ... طِرْفاً بغيرِ دمِ الرّقاب محجّلاَ

من كلّ عِلْجٍ ذاهلٍ عن نفسه ... إذ لا يرى مَنْأًى ولا مُتحوَّلاَ

مُلِئَ اللعينُ مخافةً لمّا رأى ... فى الحربِ شدّتَهم وزاد تزلزلاَ

فغدا يُنادِى حسرةً وتأسّفــاً ... ياوَيْلتاه العمرُ ضاع سَبَهْلَلاَ (٥)

---

(١) فى ب ، ج : « عزا واعتلى » ، والمثبت فى : ا . (٢) فى ب : « من حيث لا يدرى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « وماء البحر قطرا أسبلا » ، وفى ب ، ج : « قطر سبلا » ، ولعل الصواب ما أثبته . (٤) المخذم : القاطع .

(٥) ضاع سبهللا : أى فى غير شىء . القاموس (س ب هـ ل) .

من بعد ماقد شبّ نيرانَ الوغى ... بغُروره تعسًا له ماأشعلا

عدَّ الهزيمةَ والفرارَ غنيمةً ... أنِفَ الإقامة خوفَ أن يُستأصلا (١)

أوَ مايحقّ له الفرارُ وقد رأى ... مالا يُطيق من الغُزاة تحمُّلا

جلَبَ الغزاةُ بخيلهم وبرَجْلهم ... جلبًا عليهم ماأشدّ وأقتلا

فعلوجُهم جَزَرُ الظُّبا ونساؤهم ... أسرى تئِنّ تذلّلا وتهوّلا

تبكى عليهنّ البطارقُ حسرةً ... كالوُرْق فى جُنْح الدجى وتململا

وبقيّةُ الأسياف منهم شُذّبوا ... أيدى سبا تخِذوا الهزيمة معقلا

ماضرّهم لو سالموا من قبلُ أو ... أدّوا كما شرع الخراجُ تبذّلا

ما كان قيصرُ أو هرقلُ وتُبّعٌ ... أو سيفُ ذى يزنٍ وكسرى أوّلا

وهلمّ جرّا مثلَ أدنى خادمٍ ... لخليفةِ الله المعظَّم ذى العُلى

ملِكُ الورى أسدُ الشّرى سامى الذرى ... حامى حِمَى الدينِ القويم المؤثَّلا (٢)

شمسُ المعالى ابن نجدتها الذى ... قد حلّ فى أوج السعادة واعتلى

ملكٌ علا فى المجد أعلى رتبةٍ ... أنِفت تكون له الثريّا منزلا (٣)

تعنو ملوكُ الأرض قاطبةً له ... أبدًا وتسعى خيفةً وتذلّلا

تخشى سطاهُ الأُسْدُ فى آجامها ... فتذوبُ منه تضاؤلا وتقلقلا (٤)

قسمًا بطلعته أليّةَ صادقٍ ... فى حَلْفه برِّ اليمين إذا ائتلى

لم تسمحِ الأيامُ قطُّ بمثلِه ... ملِكٍ تعمّم بالتقى وتسربلا

لم يُحصِ مادحُه جميلَ صفاته ... كلاّ ولو أفنى القريضَ تسلسلا (٥)

---

(١) فى ب : « أنف الشامة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « أسد الشرى حامى الذرى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : « أنفت تكون لها الثريا منزلا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ا : « فتذوب منى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٥) فى ا : « ولا أفنى القريض تسلسلا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

لم يألُ جهدًا في الجهاد ولم يزلْ   يسعَى بإرســـالِ الجيوش مُـكمّلا
في نُصْرة الدين المُبين مجاهدًا   برًّا وبحرًا للعساكر مُرسِلا
عن حَوْمة الإســـلام ذَبَّ عِداتِه   وأباد عُبَّادَ الصليبِ وزَيَّلا[1]
مازال يضْرَع في الدعاء لربِّه   سِرًّا وجَهْرًا مُجْمِـــلًا ومفصِّلا
مُتوجِّها بخُلوص قلبٍ صادقٍ   فيما انتحـــاه تضرُّعًا وتبتُّلا
فأتتْه بُشْرى الفتح وهو مُلفَّعٌ   ثوبَ السعادة بالجـــلال مُسَربَلا
مُسْتيقِنـــًا بحُصوله ومؤمِّلا   من ربِّه إتمـــامَه متوكِّلا[2]
لازال تأتيــــه البشائرُ دائمًا   أبدًا وتخـــدمه المفاخرُ والعُلَى
وأدامه عَوْنـًا وغَوْثًا للورى   وحَبــــاه ربُّ العرشِ عمرًا أطْولا
بسَمِيِّه خـــيرِ الأنام محمدٍ   والآلِ والصحبِ الكرام ذوِي الوِلا
مالاح نجمٌ في السماء لنـــاظرٍ   وأضاء بدرٌ في الدجى وتهلَّلا

* * *

وله في المدح[3]:

إليك دون الورَى انْتهى الكرمُ   ومن أيادِيك تهْطِـــل النِّعَمُ[4]
لن يبلُغ المـــدحُ فيك غايتَه   بل دون مَعْنـــاك تنفَدُ الكلِمُ
أنت الذي تُرْتجَى مكارمُـــه   وكم أناسٍ وجودُهم عَـــدَمُ
أنت الذي الدهرُ دون هِمَّتِـــه   وفوق هامِ السَّما له قدَمُ[5]
مَن ذا يُضـــاهيك هِمَّةً وعُلا   وهل تَساوَى الأنوارُ والظُّلَمُ[6]
طَوْدُ وَقارٍ بالحِـــلْم مُشتمِلٌ   بحرُ نَوالٍ بالجود مُلتطِمُ

---

(١) زيله : فرقه . (٢) في ا : «متيقنا بحصوله» ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) القصيدة في خلاصة الأثر ٣/١٤، ١٥ . (٤) في الخلاصة : « تكسب النعم » . (٥) في الخلاصة : « وفوق هام السما له قدم » . (٦) لم يرد هذا البيت في السلافة .

يُخجِــــل صَوْبَ الغمام نائلُه   بل دون هَتّان كفِّه الدِّيَمُ
أعتــابُه مَأمَنٌ لداخلِهــا   من كلِّ هَوْلٍ كأنهــا حَرَمُ

***

وله أيضا [1] :

بأىِّ لسانٍ يَحصُر العبدُ شكرَ من   دَمِى من أياديه ولحمِى وأعْظُمِى [2]
ومَن عشتُ دهراً تحت أكْنافِ ظِلِّه   أروح بأفضالٍ وأغْدُو بأنعُمِ
وفُزْت بعلمٍ منـــه عزَّ اكْتسابُه   وذاك لَعَمْرِى حسرةُ المتعـــلِّمِ
ينزِّهني فى ظاهرِى وسَرائرِى   بإرْشادِه عن كل رَيْبٍ ومأْثَمِ
ويَمْنَحني مَحْضَ النصيحةِ جاهداً   يُعلِّمنى طُرْقَ العُلى والتَّكرُّمِ
ولولاه مَن عبدُ اللطيف ومَن له   ومن يخدِم الأمجادَ يشْرُفْ ويكرُمِ
وحسبِيَ من شكرِى اعْترافى بفضلِه   وتصديقُ قلبى والجوارحِ والفمِ

***

وله أيضا [3] :

مَعاذَ الوَفا أن يُصبح العبدُ خالياً   عن الشكرِ للمولى الذى قد وفَا ليَا
وأنعمَ حـــتَّى لم يدعْ لىَ مَطلباً   وأنْــكى بما أسْدَى إلىَّ الأعاديَا [4]
وكلُّ الذى أمَّلْتــه من نَوالِه   حَظِيتُ به بل فوق ما كنتُ راجيَا
وفرَّغ عن قلبى سوى حُبِّـــه الذى   تمكَّن فى قلبى وأنعَم باليَا
فغايةُ سُؤْلِى فى الزمان رِضاؤه   فأقصى المُنى أن كان عنِّى راضيَا [5]

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/١٥، ١٦، ويمدح بها المفتى يحيى بن عمر المنقارى. (٢) فى ا : «يحصر القلب شكر من» ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/١٥ ، فى مدح المفتى السابق ذكره . (٤) فى ب: «وأنعم حق» ، والمثبت فى: ا ، ج ، والخلاصة .
(٥) فى الخلاصة : «وأقصى المنى» .

ولى نفسُ حُرٍّ قد أبتْ غيرَ حُبِّه   وحاشا لمثلى أن يُرَى عنه ساليا

وقلبٌ إذا ما البرقُ أومَض مَوْهِناً   قدحتُ به زَنداً من الشوق واريا [(١)]

تحكَّم فيه حُبُّه واشتياقُه   له الحكمُ فليَقْضِ الذى كان قاضيا

فلله عيشٌ مرَّ لى بظِلاله   أجُرُّ به ذيلَ المآربِ ضافيا [(٢)]

أروح بأفضالٍ وأغدو بأنعُمٍ   ويمنحنى وِرْدَ المحبّة صافيا

وفزتُ بعلمٍ منه عزَّ اكتسابُه   وأصبحتُ من حَلْى الفضائل حاليا [(٣)]

إذا ما دجَى بحثٌ وأظلم مُشْكِلٌ   أضاء بنور الفكر منه الدياجيا

يجول على نُجْبِ الذَّكاء بفكرةٍ   أبَتْ فى الذى تُبديه إلا التَّناهيا

يُغادر قدماً ذا الذكاء دقيقها   ولا عجبٌ فالشمسُ تخفِى الدَّراريا [(٤)]

يفوق على البحر الخِضَمّ بعلمه   ويرجح فى الحلم الجبالَ الرَّواسيا [(٥)]

يُسابق أجنادَ الرياحِ إلى الندى   ويفضحُ جدْوَى راحتيه الغواديا

نظمتُ له عِقْدَ المديحِ منضَّداً   جعلتُ مكان الدُّرّ فيه القوافيا

فلا زال ملحوظاً بعينِ عنايةٍ   من الله فى أوْج المفاخر راقيا [(٦)]

مدى الدهر ما لاحت بُروق لناظرٍ   ودام على كرّ الجديدين باقيا

---

(١) الموهن من الليل : نحو منتصفه .   (٢) فى ب : « فى ظلاله » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٣) كرر المترجم هنا فى صدر البيت صدر البيت الثالث فى القصيدة السابقة .   (٤) هذا البيت ساقط من : ب ، ولم يرد فى الخلاصة ، وهو فى : ا ، ج .   (٥) فى ب : « ويرجح فى العلم » ، وفى ج : « ويرجح فى الحكم » ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة .

(٦) هذا البيت والذى يليه لم يردا فى الخلاصة .

١٠٥

حسن بن درويش الكاتب الطَّرابُلُسِيّ

شاعر مادح ، طيرُ فصاحته صادِح ، وزَنْد براعته قادح .

ومُنْشٍ كاتب يجلُو دُمًى كواعِب ، بألباب الرجال لَواعِب .

خطُّه حسَن كاسْمِه ، وله القيام على رَسْم الأدب ووَسْمِه .

فكأن مِدادَه مركَّب من أجزاء القلوب ، ففى كل قلبٍ من خطِّه شَهوة تدعُو إلى المطلوب .

وكان خرَج من [١] بلده حَماة [١] وهو كَهل ، ورحل بطَرابُلُس بين كنَف رَحْب ، ومسرحٍ سَهل .

فاسترجع بها شبابَه ، واستمْطر وَبْلَه ورَبابَه .

فزهَتْ به أرجاؤُها وباهتْ ، وفخرَتْ به سكانُها وتاهتْ [٢] .

فعكَف فى نَديِّها الخَضْر ، يتقلَّب فى العيش النَّضْر .

ويأتى من النظم بما هو أعطرُ من السَّحِيق ، ومن النثر بما هو أبهر من درّ الحَباب على خدّ الرحِيق .

* * *

وقد أثبتُّ له [٣] من شعره قصيدتَين لكل منهما من الحسن علامة ، فإحداهما كافيَّة كافيَة والأخرى لاميَّة عليها من النُّضار لامَة .

---

(١) فى ا : « بلده » فقط ، وفى ب : « بلاد حماة » ، والمثبت فى : ج . (٢) فى ا ، ج : « وباهت » ، والمثبت فى : ب . (٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

فالأولى قوله ، وقد مدح بها الأمير مَنْجَك [1]

مالِــكتي تملَّكِي ... النفسُ لن تَملَّــكِ [2]

وهْيَ لكِ أطوعُ من ... رَعيَّـــةِ المَلِكِ

إن تأمرِي تُطِعْ وإن ... تدْعِي بهـــا تُلبِّكِ

لِم تستَرين طَلْعـــةً ... فيهـــا حَلاَ تهتُّكِي [3]

مَهْلَكِ بي يا مَطْلبِي ... دونَك ألفُ مَهْلَكِ

فإن بعُـــدْتِ تحْرِقِي ... وإن دنَوْتِ تفتِــكي

وإن صبرتُ لم أُطِقْ ... وإن خضعتُ تزْمُكي [4]

وإن طرقتُ خِفْيــةً ... أهلَكُ بين أهلِكِ

أين لِطـــيْرِ مهجتِي الْ ... خلاصُ من ذا الشَّرَكِ [5]

عيشُ الخَلِيِّ قد صفَـــا ... ياقلبُ فاسْـــلُ واترُكِ [6]

واُقصِد بنـــا سبيلَ من ... راح خليًا واسلُكِ

مامَن يبيتُ شاكراً ... كمَن يبيتُ يشْتَـكي

فاخْلَــعْ على العشــاقِ ثوْ ... بَ جسمِكَ المُنْهتِكِ

وانتهزِ الفرصةَ قبـــ ... ل فَوْتِهـــا واستدْرِكِ

هذا الربيـــعُ مقبِــلٌ ... يصحبُ آلَ برْمَكِ

يكسُو لأعطافِ الرُّبَى ... غـــلائلاً لم تُحكِ [7]

---

(١) فى ا : « المنجكى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وتقدمت ترجمة الأمير منجك ، فى الجزء الأول ، صفحة ١٣٦ ، برقم ٧ .

(٢) تملكى ، الأولى : من التملك ، والثانية : من الملل .

(٣) فى ا : « لن تسترين . . . فلا حلا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) الزمك : السكوت ، أو الغضب الشديد . (٥) فى ا : « يعير مهجتى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى ج : « فاسأل واترك » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٧) فى ا : « غلائلا لم تحسك » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وحـــلَّ فى نُحورِها ... عقـودَ دُرِّ الحُبُكِ (1)

حتى كأنما بهـــا ... مجالسُنا فى الفلكِ

والنَّرجِس اصطفَّ وما ... أحسنَ صفَّ الملكِ (2)

زَبرْجدٌ فى فضـــةٍ ... فى ذهبٍ لم يُسبَكِ

يرنو بلحظِ عاشـــقٍ ... بمدمعِ الطَّلِّ بُكِي

والوردُ من سَكْرتِهِ ... على الغصونِ مُتّكي

تُمسك أذيالُ الصَّبا ... بـــكفِّه المُمسَّكِ

كوَجْنةِ العذْراء إنْ ... قلت لها هَيْتُ لكِ

والنَّهر فى يد النَّسيـ ... ـم كالقبـــا المُفرَّكِ (3)

***

من قول القَيْسَرانيّ فى وصف غدير (4):

وإذا الصَّبا هبَّتْ عليْـ ... ـه أتاكَ فى ثوبٍ مُفرَّكْ

***

وللغصُون حـــولَه ... دلائـلُ المُنْهمِكِ

ألقتْ شِباكَ الطَّلِّ فاصْـ ... ـطادتْ خيالَ السَّمكِ

والأقحُوان ضــاحِكٌ ... بمَبْسِمٍ لم يضحكِ

والياسَمينُ عَرْفه الْـ ... ـغَضُّ له عَرْفٌ زَكي

---

(1) فى ب : « عقود ذات الحبك » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(2) فى ا : « وصف الملك » ، والمثبت فى : ب ، ج . (3) يعنى تكسر صفحة مائه .

(4) أبو عبد الله محمد بن نصر ابن القيسرانى .

من شعراء الخريدة ، شاعر مجيد ، أصله من حلب ، ومنسوب إلى قيسارية بسوريا .

توفى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

خريدة القصر ، قسم الشام ١/٩٦ ، معجم الأدباء ١٩/٦٤ ، وفيات الأعيان ٤/٨٢ .

والبيت فى الخريدة ١/١٣٧ .

والطيرُ فى مُغرِّدٍ ووَالِهٍ مُرتبِكِ

فى روضةٍ كأنها وصفُ الأميرِ مَنْجَكِ

مَن حار فى أوصافِه كلُّ لبيبٍ وذكِى

بحرٌ وفيه بالثَّنا ألسُنُنا كالفُلكِ

ترى العيونُ عنده الأ بحارَ مثلَ البِرَكِ

له أكفٌّ مُمْسِكتْ سُنَّةَ غيرِ مُمْسِكِ [1]

تفتِكُ فى أموالِهِ فَتْكَ المَهَا فى نُسُكِ [2]

وفِكرُه أهْدَى لنا وَشْىَ بلادِ التُّرْكِ

من كلِّ بيت يحتوِى ابْنَةَ كسرى الملِكِ

مَشَتْ به لاهِيةً عن عِقْدِها المُفكَّكِ

فالدُّرُّ مِلْءُ مِسمعِى منه ومِلْءُ الحَنَكِ

ملكتَ رِقِّى سيِّدى أفدِيك من مُمَلِّكِ

أدركتَ كلَّ فائتٍ وفتَّ كلَّ مُدْرِكِ

لك المعالِى وعلى الأ فضلِ ضمانُ الدَّرَكِ [3]

* * *

هذا من قول ابن النَّبيه [4] :

واللهِ لازلتُمْ ملوكَ الورى شرقاً وغرباً وعلىَّ الضمانْ

وللهُرمُزِى [5] :

بِنحسِ أعادِيك دار الفلَكْ ومادار يوماً بسعدٍ فلَكْ [6]

(١) فى ا : « له أكف أمسكت » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « فتك النهى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : « لك المعالى وعلاء » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) البيت فى ديوانه ٢٣ .

(٥) ساقط من : ا ، وفى ج : « وللهرمذى » ، والمثبت فى : ب . (٦) فى ب : « بنحس أعدائك » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وإن همَّ دهرٌ بمــالا أقول   فنفْسِي الفِدا وعليَّ الدَّرَكْ

***

وهذه القصيدة الثانية ، وهى فى مدح الأمير أيضا :

غُصنٌ أينعتْ قطُوفُ دَلالِهْ   يجْتَني الحبُّ من رياض جمالِهْ

ورَشًا فى مَرابضِ الأسْد تحميـ   ـهِ وتُدْعَى بعمِّـــه وبخالِهْ

فاتِكٌ يحْـــذَر الفؤادُ تمنِّيـ   ـهِ ويخْشَى الضميرُ فكرَ وِصالِهْ

أوْقف السُّهدَ فى طريق رقادِي   غَـيْرةً أن يزورنى بخيالِهْ[1]

وتردُّ العيونَ عنـــه عيونٌ   قتلتْ مَن رآه قبل قتالِهْ[2]

أعجز الشمسَ وهْي تنصُب فى الأرْ   ض حبالًا وقوعُ صَيْدِ ظلالِهْ[3]

بل على وَصْلِهِ يُحِيل بوعْدٍ   وأراه مُخادعًا بمِحــالِهْ[4]

كم كَساني بالوعدِ ثوبَ حياةٍ   وغــدا باليًا بطُول مِطالِهْ

واحدُ الحسنِ كان من قبلُ لكنْ   قد ترقَّى مُذ شِمْتُ نقطةَ خالِهْ

***

يريد أنه[5] بالترقِّى صار عشرة جَرْيًا على أن الحسَنة بعشر أمثالها .

وأفصح السيد محمد العُرْضِى[6] عنها ، فى قوله[7] :

ألِفُ القَدِّ زانَهــا نُقطةُ الخا   لِ فصارتْ وواحدُ الحسنِ عَشْرَهْ

---

(١) فى ا : « فى طريق فؤادى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « عنه عيونا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : « خيالا وقوع » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) المحال : الكيد وروم الأمر بالحيل . (٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٦) محمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضى الحلبى .

فاضل ، أديب ، ولى القضاء مدة ، ثم اشتغل بالتدريس ، وولى إفتاء الحنفية بحلب سنتين ، ثم سافر إلى الروم ، وحين مات أخوه أبو الوفاء ، أخذ مكانه فى إفتاء الشافعية بحلب ، والوعظ بجامعها .

توفى سنة إحدى وسبعين وألف ، عن نحو ستين سنة .

إعلام النبلاء ٦/٣١٨ ، خبايا الزوايا لوحة ٦٧ ا ، خلاصة الأثر ٤/٨٩ ، ريحانة الألبا ١/٢٧٤ .

(٧) البيت فى : خلاصة الأثر ٤/٩٢ ، ريحانة الألبا ١/٢٧٨ .

وفى « شفاء الغليل »[1] للشهاب : حسَنة بمعنى الشامة والخال ، مولدة مشهورة . قال :

بخَدِّه شِمْتُ شامةً حُرِقتْ ... فقلتُ للقلبِ إذْ شكا شجَنَه[2]

لاتشْتَكِى مِن نارِ مُهجتِى حُرَقًا ... فإنَّ فى الخالِ أُسْوةً حسنَه[3]

* * *

لِىَ هُزْءٌ إذا تنفَّس بالمِسْـ ... ـكِ وهُزْءٌ إذا رنا بغَزالِهْ

وأرى البدرَ عنده لايُساوِى ... دِرهمًا والهلالَ إحدَى نِعالِهْ

هالَكَ من ظُفْرِه هلالًا وإن شِئْـ ... ـتَ نُجومًا هالَكَ من خَلْخالِهْ

واستلِمْ من يمينِه الكأسَ شمسًا ... مثلها من إنائها فى شمالِهْ

وتأمَّلْ إذا تبسَّم دُرًّا ... وحَبابًا طفَى على جِرْيالِه[4]

مالِكُ كلِّ مُهْجة من رعايا ... هُ وكلُّ الغرامِ من عمَّالِهْ

أنا والناسُ من هواه ومن صُدْ ... غَيْه فى سِجْنِه وفى أغْلالِهْ

يسترِقُّ القلوب بالحسن لكن ... مَنْجكٌ يسترِقُّها بكمالِهْ

هو بحرٌ تموَّج الفضلُ فيه ... وبدا الدُّرُّ من فصيح مَقالِهْ

وهو غَيْثٌ مَن استغاث يديْهِ ... أمْطرتْ بالغِنَى رُبا آمالِه[5]

وهو للمجد دَوْحةٌ حيث أغْنا ... قُ رَجانا مُطوَّقاتُ نوالِهْ

كلُّ أيامنا ربيعٌ بلُقْيا ... هُ ومن لُطْفه نسيمُ اعتدالِهْ

كلُّ روضٍ فمُخْصِبٌ بسجايا ... هُ وغصنٍ فمُثمِرٌ بخصالِهْ

لبِس الفخرَ فالمكارمُ فى أطْ ... واقِه والعفافُ فى أذْيالِهْ

كلَّ وقتٍ بجُوده فى يديه ... غارةٌ شَنَّها على أمْوالِهْ

لم يدعْ درهما ولا دينارًا ... غيرَ شاكٍ نُقوشه عرضَ حالِهْ

(١) شفاء الغليل ٨٤ ، ٨٥ . (٢) فى الأصول : « إذا شكا » ، والمثبت فى شفاء الغليل .

(٣) فى الأصول : « لا تشك » ، والمثبت فى شفاء الغليل . (٤) الجريال : الخمر . (٥) فى ا : « وهو غوث » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ب : « من استغاث لديه » ، والمثبت فى : ا ، م .

فترى الدهرَ مُسْتجيشاً عليـــه ... وترى الدهرَ لايمرُّ ببـــالِهْ

شغلته هِباتُه والمعـــــالى ... ما رضـاه الزمان من أشغالِهْ

شِيَمٌ لم تـكنْ لغيرِ أبيـــهِ ... وأخيـــه وأقرباهُ وآلِهْ

أشرقتْ شمسُه وغابُوا نجوماً ... ونجومُ الباقين حول هـــلالِهْ

منه أبْقَى الزمان واسِطَة العِقْـ ... ـدِ الذى بَدَّدتْه أيدى اغتيالِهْ

هو دُرٌّ فمَن رآه يتيماً ... عرف الدهرَ ماجنَى بفِعالِهْ

يا مُعيـــدًا زمان آبائه الما ... ضِى بإقبـــالِه إلى استقبالِهْ

أنت للجودِ والفضائلِ ظلٌّ ... لاأرانا الإلهُ وقتَ زوالِهْ

***

وله فى التضمين :

قالت أنـــا قهوةُ المنقودِ حين رأتْ ... لقهوة البُنِّ قدرًا فى الأنام علِى

لئِن عـــلانِىَ مَن دونِى فلا عجبٌ ... لى أسْوةٌ بانْحطاطِ الشمسِ عن زُحَلِ

***

وقد سبقه مَاماى الرُّومِىّ[1] ، إلى هذا التضمين فى قوله[2] :

قد قالت القهوةُ الحمراء وافتخرتْ ... كم قد ملـكتْ ملوكَ الأعصُرِ الأُوَلِ

وقهوة القِدْرِ إن قَدْرًا علىَّ علَتْ ... لى أُسْوةٌ بانْحطاطِ الشمسِ عن زُحَلِ[3]

(١) فى ب ، ج : « مامية الرومى » ، والمثبت فى : ا ، ويقال له : ما ماى ، ومامية .

وهو :

محمد بن أحمد بن عبدالله ، المعروف بمامية (ماماى) الشاعر المشهور .

أصله من الروم ، وقدم إلى دمشق فى حال صغره ، وكان فى أول أمره ينكرجيا ، ثم عزل ، فاهتم بالأدب وقول الشعر .

ثم تولى الترجمة بمحكمة الصالحية ، ثم بالـكبرى وعزل منها ، ثم تولى القسمة فأثرى .

كان إليه المنتهى فى الزجل والموال والموشحات .

توفى سنة سبع وثمانين وتسعمائة .

خبايا الزوايا ، لوحة ٤٦ ب ، ديوان الإسلام ، لوحة ١٧٥ ا ، ريحانة الألبا ١/٥٨ ، شذرات الذهب ٨/٤١٣ ، الـكواكب السائرة ٣/٥٠ .

(٢) البيتان فى ريحانة الألبا ١/١٥٩ . (٣) فى ا : « وقهوة البن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والريحانة .

١٠٦

عبد الجليل بن محمد الطَرَابُلُسِيّ

لقِيتُه بمكةَ مُجاورَ عزلةٍ وسكون ، ومُعاهِد تبتُّلٍ إلى الله ورُكون .

وفيه سَجايا لِطاف ، وانْجِذاب نحو القلوب وانْعطاف .

وبيني وبينه مُصافاة؛ أكَّدتْها بالقاهرة مُراعاة ومُوافاة .

***

وقد أنشدني أبياتا من نتائج فكره ، لم أرَ لاستحساني لها بُدًّا من ذِكْره .

وهي :

متى خَفَقانُ قلبِ يستكِنُّ ... وقلبُ حبيبيَ القاسِي يحِنُّ (1)

ويُنعم باللِّقـــا كالبدرِ لبلاً ... ويَبْسِم عن رِضاً لي منه سِنُّ (2)

أقول له ألا يا أيُّهـــــا الـ ... غزالُ الأغْيَدُ الرَّشأُ الأغَنُّ (3)

لقــد أبلَيْتَ بالإعراضِ صَبًّا ... إذا لم تُولِهِ وُدًّا يُجَنُّ

إذا عرف الحبيبُ له وِدادِي ... فذلك منــه إحْسانٌ ومَنُّ (4)

(١) سقطت « متى » من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وفى ا : « خفقات قلب » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) سقط صدر هذا البيت من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

وفى ج : « ويبسم بالرضا » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) فى ا ، ب : « أقول لها » ، والمثبت فى : ج .

(٤) فى ا : « إذا عرض الحبيب » ، والمثبت فى : ب ، ج .

١٠٧

رجب بن حجازى المعروف بالحريرى الحِمْصِى(*)

هذا رجب ، الذى فيه العجب ، شاعر ذَيِّق ، إلَّا أن خُلقه ضَيِّق .

وعلى قدر ماتوسَّع سَعْيا ، حُرِم مَبَرَّةً ورَعْيا .

لبذاءة فى لسانه ، ووَحْشة ذهبتْ برَوْنق إنسانه .

يتلذَّذ بالعيْش الضَّنْك ، تلذُّذ الأجرب بالحَكّ .

ولا يُرى إلا على جناح طائر ، فليس يقَرُّ له قرار إلا وله عزيمة سائر .

كأنه الخبر الشَّرُود ، أو الوحش المطْرود .

وهو باقِعة مُحاجاة ، وبائقة[1] مُهاجاة .

يتلفَّت إلى الهجا ، تلفُّت القلوب إلى الرَّجا .

وله فى المجون فنون ، عُدَّ فيها من أهل الأهواء والفتون .

(*) رجب بن حجازى الحمصى الأصل ، الدمشقى المولد ، المعروف بالحريرى .

كان جيد النقد فى الشعر ، مع أنه لا يعرف العربية ، وزانًا بالطبع وإن عرف شيئا من العروض .

وكان صحيح التخيل ، يغلب على شعره الهجاء ، والإزراء حتى بنفسه .

وله كثير من الأزجال ، والرباعيات ، والمواليا ، والموشحات ، والتواريخ ، والأحاجى ، ينظم ذلك كله فى سرعة مواتية ، من غير تكلف .

وكان قليل الحظ ، كثير السياحة ، لم يسعه مكان ، ولم يقر له قرار .

وكان يجول بين حلب ومصر ، ودائرة الشام .

وحج وجاور بالحرمين سنتين .

وكان كثير الشكوى من دهره ، لما لاقى من عنت وسوء جد .

توفى بحلب ، سنة إحدى وتسعين وألف .

خلاصة الأثر ٢/١٦٠ ، ١٦١ .

(١) فى ا : « وباقية » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وأما غيرُها من الأشعارِ والأزْجال ، فهو فيها كثيرُ التردِّى قليلُ المجال .

***

وقد أثبتُّ له مالا أراه مُخِلاّ ، بل تبوّأ للإحسان منزلا ومحِلاّ .

فمنه قوله ، من قصيدة طويلة [1] مستهلها [2] :

أبَى القلبُ إلا غراما ووجـــدَا ‎ ‎ ‎ وطَرْفِى إلا بُكاءً وسُهْدَا

فلم يبرحِ الصبَّ تبريحُـه ‎ ‎ ‎ ولا الدمعُ راق ولم يُطْفِ وَقْدَا

فلولا النَّوَى ما ألِفْتُ البكا ‎ ‎ ‎ ولا كان بالسُّقم جسمى تردَّى

ولا أبْتُ أرعَى نجومَ الدجى ‎ ‎ ‎ ولا كان عنى مَنامِى تَمـــدَّى

فأوَّاه صبرى مضَى لم يعـــدْ ‎ ‎ ‎ وأما اشْتياقى فلم يُحْصَ عَدَّا

ومالى مُعِين سوى أدمعى ‎ ‎ ‎ وقلبٍ لصَدِّ الهوى ماتصـــدَّى

فلو بالكواكب مابى هوَتْ ‎ ‎ ‎ وإلا على يَذْبُلٍ كان هَدَّا [3]

تُذكِّرنى ساجعاتُ الرِّياض ‎ ‎ ‎ حبيباً ورَبْعـــا رَبيعا ووُدَّا

وما كنتُ أنسى ولكن تزيد ‎ ‎ ‎ ولوعِى قُرْبا وصـــبرىَ بُعْدَا

رعى اللهُ رَبْعـــا نعِمْنـا به ‎ ‎ ‎ وعهداً ألِفْنـاه حيَّاه عهـدَا [4]

فما راقنى غـــيرُه منزِلا ‎ ‎ ‎ ولاطاب عيشا ولاراق وِرْدَا [5]

فلله أيامُ ظَـــبْيِ اللِّوَى ‎ ‎ ‎ فما كان أحْلَى جَناها وأجْدَى [6]

فيامُنشدِى دِرْ مُدامَ الهـــوى ‎ ‎ ‎ ودَعْ ذِكْرَهندٍودعْ ذِكرسُعدَى [7]

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢ / ١٦١ .

(٣) تقدم ذكر يذبل ، فى صفحة ٣٨٩ . (٤) فى ب : « رعى الله صبرا » والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٥) فى الخلاصة : « فما راقنى بعده منزل » .

وهذا آخر بيت أورده المحبى فى الخلاصة ، من هذه القصيدة .

(٦) فى ب : « أحلى جناه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ج : « فيا منجدى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وما لى وما لِلْغـــوانى فكم ... تناسيتُ منهنّ صَدْراً ونَهْداً (١)

وكرِّر حديثَك عن أغْيَدٍ ... هو الظبىُ والغصنُ لحظاً وقدّا

وكالبدر فى سِنِّه والسَّنـــا ... له ناظرٌ مُرهف جاز حَـــدّا

فما رقّ لى كالصَّفا قلبُـــه ... وقد لان عِطفا رقيقاً وخَدّا (٢)

إذا قام يُقعِـــده رِدْفُه ... فلولاه ماقلتُ حُيِّيتَ نجْدا

غزالٌ رَبَى فى رُبا جِلّقٍ ... إذا مارنا لحظُه صاد أُسْدا

سقى اللهُ وادى دمشق الحيا ... ولا زال دَهْـــراً أقاحاً ووَرْدا

ترى نهَراً ساكنا صارماً ... وإن هبّ ريحٌ فقد هبّ سَرْدا

فلله مُزْجِى المطـــايا إذا ... قطعت الفيافى وَجيفاً ووَخْدا (٣)

إذا جئت جِلّقَ وادى المُنى ... بها فاز من حَـــلّ ضيْفا ووَفْدا

فسلِّم بُعَيـــد استلام اليمين ... على من تسامَى مَقاما ووجْدا (٤)

***

وقوله من أخرى ، أولها :

هل عند ذاك الحبيبِ ما عندى ... من الهوى والحنين والوَدّ

وهل على العهدِ من وثِقتُ به ... كما عهِدْنا بذلك العهـــدِ

وهل درَى ما أصاب مُغرَمَه ... وما لقِى من وقائـــعِ البُعْدِ

عدِمتُ صبْرى والشوقُ لازمنى ... لزومَ خالِ المليحِ فى الخدّ

وروضـــةٍ قد حرستُها زمناً ... يا هل ترى كيف غصنُها بعدِى

ونَضْرةُ الورد بعدنا بقيتْ ... أم لا بقـــاءَ لدولةِ الوردِ

---

(١) فى ب : « تناسيت منهن » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ا : « فما راق لى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) الوجيف : السير السريع ، ووخد البعير : أسرع وصار يرمى بقوائمه كالنعام . (٤) فى ا : « على من تسامى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

بِتْنا ولا ثالثٌ يراقبنا　　غيرَ ابنةِ الشُّهْدِ وابنةَ الزَّنْدِ
كصَعْدةٍ للظلام طاعنةٍ　　سِنانُها كوكبٌ لنا يَهْدِي[1]
ومن نعيمى بحُسن طلعتهِ　　ظننتُ أنى بجنةِ الخُلْدِ
ثملتُ من دُرِّ لفظِه وحَلَا　　لِسَمعى كالسُّلاف والشُّهْدِ[2]
إن قلتُ مولاىَ قال مبتسماً　　لَبَّيك ماذا تريد يا عَبْدِى
أشكو سهامَ الجفونِ لى قصَدتْ　　وكدتُ أقضى بقولِ ذا قصْدِى
كأن بالسحرِ خمرةً مُزِجتْ　　سُقِيتُ منها فغبتُ عن رُشْدِى
ما كان إلا كبارقٍ ومضَى　　صَفْوِى وجاء النهارُ بالضِّدِّ[3]
فراع قلبى الصباحُ صارمُه　　ياليته كان دام فى الغِمْدِ
والدهرُ إن راق للأديب فمن　　سَهْوٍ وجاْبُ الهموم عن عَمْدِ

* * *

وقوله من أخرى، مطلعها:

لَعمرُكَ شرحُ أشواقى يطولُ　　وأشجانى وأفكارى تجولُ
وعن صبرى الجميلِ سألتُ قلبى　　فقال وأين يا هذا الجميلُ
وها أنا بعده مالى مُقامٌ　　وليس إلى تلاقينا سبيلُ
وبى ظمأٌ إلى وِرْدِ التَّلاقى　　ومن جَفْنى دماً دمْعى يسيلُ
سُقِى زمنُ التَّدانى حيث كُنَّا　　ولا كان الرَّقيبُ ولا العَذُولُ
وغصنُ البان أجْنِى منه ورداً　　بأحْداقى وفى عقلى يميلُ
ويُسكرنى بدُرٍّ من عقيقٍ　　فتخجل من شمائله الشَّمُولُ

---

(١) فى ب: «كصعدة للظلوم»، وفى ج: «كصعدة الظلام»، والمثبت فى: ا.

(٢) فى ا: «من در لفظه»، والمثبت فى: ب، ج.　　(٣) فى ب: «كبارق ومضا»، وهى رواية حسنة، والمثبت فى: ا، ج.

رقيقٌ لان عِطْفا رَقّ خَصْراً ... وجار عليَّ ناظرهُ الكحيلُ

يذكّرنى البروق له ابتسامٌ ... ويُشْجِينى من الوُرْقِ الهَدِيلُ

وشِمْت البرقَ فى الظلماء سيفاً ... على ضعف الكرى ماضٍ يصولُ

تُرى الأيام تنظِمنا بمصرٍ ... ويَحْظَى فى بُثَينته جميلُ

تُرَى ما حالُ ذاك البدر بعدى ... أزاهٍ أم كما عنه يقولوا[(١)]

وليلٍ زارنى منه خيالٌ ... سُرِرت به وقد رَقّ الملولُ

فأرشفنى مُداما من أقاحٍ ... وجاد بوردِه الخدُّ الأسِيلُ

وقد أنكرتُ فيه بنتَ آسٍ ... فقلتُ الآسُ يَهْواه العليلُ

وعهدى فيه كالمرآة صافٍ ... صَقيلٍ كم به فُتِنَتْ عقولُ

وكالروضِ النَّضير فقال هذا ... سِياجٌ قلتُ كيف لنا دخولُ

فقال الوردُ ليس له بقاءٌ ... وعهد الآسِ باقٍ لا يحُولُ[(٢)]

فقلتُ الآسُ بغية أهل مصرٍ ... وراعِبُه بِحَلْقتِنا قليلُ[(٣)]

رفَقتُ فلم أجدْ للوصلِ أصْلاً ... وبان الروضُ والظلُّ الظليلُ[(٤)]

* * *

وكان له بمصر رفيق خليع ، خطف لِصٌّ عمامتَه وشجّ رأسه ، فكتب إليه يُسلّيه :

إمامَ الفضل مَن حاز الكرامَهْ ... لرُزْئك قال طَرْفى للكرَى مَهْ

أقام وقوعُك الأحزانَ عندى ... وقد شاهدتُ أهوالَ القيامَهْ

فكيف وأنت لى خِلٌّ أنيسٌ ... ومِن دون الورى أهْوَى كلامَهْ

---

(١) فى ا : « كما عنه يقول » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « وعهدى الآس » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ا : « وراعبه بحلقتنا » ، وفى ب : « وراقبه بحلقتنا » ، والمثبت فى : ج .
(٤) فى ب : « وفقت فلم أجد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

لياليَنا بكم سبقتْ تُحاكي ... ليالٍ قد تقضّت في تِهامَهْ (١)

تُديرُ النظمَ ممزوجاً بنثرٍ ... فتُسكرُنا ولا صِرْفُ المُدامَهْ

يمينُ اللصِّ لا كانتْ وشَلَّتْ ... وعن قُرْبٍ يُرى من غير هامَهْ

على خطفِ العمامة قد تعدَّى ... ولكن سوف تُدرِكه النّدامَهْ

ويأكل لحمَه عضًّا ويبكي ... إذا ما الصبحُ قد أبدى ابتسامَهْ

على شيء إذا ما رام بيْعاً ... فأعلى قيمةً منه القُلامَهْ

ويقرَعُ سِنَّهُ أسفاً وغَبْناً ... وليس يُفيده قطعُ السَّلامَهْ (٢)

ويُدْمِي رأسَه قهراً قِصاصاً ... كما أدْماكَ لَطْماً في الدِّعامَهْ

كرامٍ رامَ أن يرْني ظَليماً ... فطاش السهمُ لم يبلُغْ مَرامَهْ (٣)

وكان غلامُه بالقُرْبِ منه ... فأرْماه ولم يُصِب النَّعامَهْ

فلا تأسفْ على نسجٍ ضعيفٍ ... كبيْتِ العنكبوت بلا إقامَهْ (٤)

وحقِّك ليس تنفعه بشيءٍ ... كما في الصيفِ لم تُجْدِ الغَمامَهْ

لقد طالت بحالِ الدَّهرِ عُمراً ... وقد شهدتْ هَوازِنَ واليمامَهْ

مُخَضْرَمةٌ فلو نطقتْ لقالتْ ... شهِدتُ مُهَلْهِلاً وأبا قُدامَهْ (٥)

كذا الرَّقَّا السَّرِيُّ صحِبتُ دهراً ... قدِمتُ عليه بعد أبي دُلامَهْ (٦)

وكان مع الحريريِّ الحادي ... ولولم يَقْضِ ألَّفَ بي مَقامَهْ

❊ ❊ ❊

---

(١) كذا في الأصول : « ليال قد تقضت » ، والقياس : « ليالي قد تقضت » .

(٢) في ا : « أسفا وخوفا » ، والمثبت في : ب ، ج ، وفي ب : « وليس يطيره قطع السلامة » ، والمثبت في : ا ، ج . (٣) الظليم : ذكر النعام . (٤) في ا : « على شيخ ضعيف » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٥) لعله يعني أبا قدامة الأنصاري . انظر أسد الغابة ٥/٢٧٥ .

(٦) أبو دلامة زند بن الجون الأسدي ، شاعر يعرف بظرفه ودعابته ، توفي سنة إحدى وستين ومائة . الأغاني ١٠/٢٣٥ ، وفيات الأعيان ٢/٧١ .

(فصل فى وصف عمامة)

عمامة ولعِتْ [1] بها أيدى الزمان ، ورفعت عنها من التمزيق الأمان . كفؤاد عُرْوة فى الرِّقَّة ، لو أحْصيْت نفقة رَفْوِها زادت على مال الرَّقَّة . ولِطُول تَرْدادها إلى الرَّفَّا لو أفلتتْ لعرَفت مكانَه ، وماجهِلت دُكَّانَه ، ولأمْكنتْ من قَطْع المسافة إمْكانَه .

فكأن الأيامَ إذْ أَلْبستْها ... نُسِجتْ فوق شَخْصِها العنكبوتُ

* * *

وللحرِيرىّ مُعمّىً [2] فى اسم أحمد :

أفْدِى المليحَ الذى أوصافُه كَمُلتْ ... كالظَّبْيِ لمَّا رنا والبدرِ حين بدَا

فى القلب أنزلْتُه لى راق مَبْسَمُه ... والغُصن لما تَثَنّى قدُّه سجَدَا

* * *

وله فى اسم يوسف :

ومَليحٍ عزيزِ حُسْنٍ بمصرٍ ... قَدَّ قلبى وزاد حزنى وأكْمَدْ

خَدُّه الشمسُ لاح والصدغُ بالخا ... لِ حَماهُ حُسامُ جَفْنٍ مُجرَّدْ

* * *

وله فى اسم رمضان :

وبدرِ كمالٍ لاح فى حُلَلِ البهَا ... تبسَّم عن دُرٍّ نَظِيمٍ وعن شُهْدِ

---

(١) فى ا : « لعبت » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

كخاتم دُرٍّ ثَغْرُه وبلحظه   حمى حُسنَه والخالُ في صفحة الخدّ

* * *

وله في اسم عثمان :

قد قلتُ يوماً للرّشا   سِرْ بي إلى روضِ الأزاهِرْ
فأجاب إن كان الرقيـ   ـبُ هناك طيبُ العيش نادِرْ

* * *

وله في اسم مصطفى :

يا عاذِلي في أغرِّ الوجه دعْ عذَلي   لأجلِهِ قد ألفتُ الوَجْدَ والحُرَقا
كم دُرتُ محْرابَه ظامي الفؤادِ كذا   درْ أنت ياعاذِلي واعْذُر فتًى عشِقا(١)

* * *

وله في حيدر :

سقَى ليلةً زار الحبيبُ وعندما   أقام وعن قلبي المَشُوقِ نفَى هَمَّهْ
لثمتُ مكانَ العِقْدِ من غير حاجبٍ   وقلتُ لقلبي قد كفاكَ بها نِعْمَهْ

* * *

---

(١) في ا : « كم درت بحرابه » ، والمثبت في : ب ، ج ، وفي ب : « وأنت يا عاذلي » ، وفي ج : « أدر أنت يا عاذلي » ، والمثبت في : ا .

١٠٨

عبد النافع بن عمر الحَمَوِىّ*

أَلْمَعِىٌّ مشهود له بقوّة إدراكه ، وفيه قابليّة لاختصاصِه ببعض العلوم واشتراكِه.
بلسان أحدّ من السيف إذا تجرّد من القِراب ، وفكرٍ إذا أراد البحر أن يحكيَه في غَوْره وقع فى الاضطِراب .

***

وله أدب كالروض تفتّقتْ نَسماتُه ، وشعرٍ كالصبح تألّقت[1] قَسماتُه .
لكنه نكّب عن المَطْبَع[2] الجزْل ، وذهب مذهبَ الهجْو والهزْل .
إلا فى النادر فربما جَدّ ، ثم أخْلق منه ما استجدّ .

***

وكان دخل طرابُلُس ، وبنو سيفا[3] فى الوجود ، والأمير محمد بينهم كالفضل[4] بين البرامكة فى الفضل والجود .

(*) عبد النافع بن عمر الحموى ، الحنفى ، الأديب .
نزيل طرابلس .
كان فى غاية الذكاء ، والفطنة والتضلع من أنواع الفنون .
اتصل بالقاضى محمد بن الأعوج ، وأقرأ أولاده القرآن ، فجعله كاتبا بمحكمة حماة ، ثم إنه ترقى إلى أن أفتى ، وانفرد بالفتوى من حمص إلى معرة النعمان .
كان مولعا بالهجاء ، حتى إنه هجا بنى الأعوج أصحاب نعمته .
ومن مؤلفاته : منظومة فى العقائد اسمها « الرسالة الهادية إلى اعتقاد الفرقة الناجية » ، و « تفسير سورة الإخلاص » .
توفى سنة عشرة وألف ، بأدلب الصغرى .
خلاصة الأثر ٣/٩٠ ـ ٩٣ ، ريحانة الألبا ٢/١٤٥ .

(١) فى ب : « تألفت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « المطبع » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) تقدم ذكر بنى سيفا ، فى الجزء الأول ، صفحة ٥٦ . (٤) يعنى الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى ، وزير هارون الرشيد ، المنكوب ، المتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائة .

مُنِيل الأمانى بلا مِنّة الحَقَب[1] ، مُتهلّل يضَع الهِناء موضع النُّقَب .

وهو مَقصِد يتزوّد ذِكرَه المسافر ، ويعمل إلى لقائه الخُفّ والحافر .

فحل عنده حاول النوم من[2] الأحداق والمُدام من الأقداح ، وبقِىَ عنده يتْحفه بدُرّ الأثنية ويجلب إليه غُرَر الأمْداح .

حتى دهمتْهم داهية ابن جانبُولاذ[3] ، وتضعضع منهم ركنٌ يُحتمَى به فى الدهر ويُلاذ .

عندها أقْلع إلى أداب فكأنما دعاه إليه الأجل ، ومضى إلى الله تعالى على وجه السرعة والعَجَل .

* * *

وقد جئتُ من شعره بما هو أحلى [4]فى الأفواه[4] من الشُّهْد ، وأشهى إلى العيون من النوم بعد السُّهْد .

فمن ذلك قوله ، من قصيدة :

أمُعذِّبى رِفقاً بصبٍّ مُغرَمٍ	أضحى كمثل ابن السبيلِ الغارمِ
فلقد جعلت الدمعَ وَقْفاً جارياً	يختار منه ذو البكاء الدائمِ
فاعجَبْ لدمعِى سائلاً متصدِّقا	واعجبْ لواقفة المُقيمِ الهائمِ[5]
هل أنت راحمُ ماترى يامُتلفِى	من حالتى أم أنت لستَ براحمِ
فلقد جرى ماقد كفى ولقد كفى	ماقد جرى من مَدْمعِى المتلاطمِ
يارُبَّ ليلٍ طـــائلٍ ماتحته	من طائلٍ غير العَناء اللازمِ
مَدّتْ به طُنُبُ الظلامِ فلا ترى	إلّا نجوماً فى سوادٍ فاحمِ

(١) الحقب : الحبس ، والمنع . (٢) فى ا : «فى» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) تقدم ذكر هذا الأمر فى الجزء الأول، صفحة ٥٦ . (٤) ساقط من : ب ،وهو فى : ا ، ج . (٥) فى ا : «فاعجب لدمع» ، والمثبت فى : ب ، ج .

فكأنها عطشى فتشرب ما بدا ... من فجره شُرْبَ النَّزِيفِ الحائمِ[1]

لو لم يكنْ فَرْعُ الحبيب مُشبِّهًا ... بسوادِه لغدَوْتُ أبلغَ شائمِ

قاسيتُ فيه كلَّ هَوْلٍ هائلٍ ... وركبتُ منه كل مَتْنٍ قائمِ

حتى بدا ضوء الصباح كأنه ... إشراقُ وجهِ محمّدِ بن القاسمِ

***

وقوله، وهو من بدائعه[2]:

كأنَّ الدجى طَرْفٌ على الصبح مُوكَأٌ ... ولكن لطُول الامتلا والبِلَى انفَلَقْ[3]

فسال فغطّى أنجمًا ما تعلّمتْ ... لقصْرِ المدى سَبْحًا فأدركها الغَرَقْ[4]

***

قلت: لقد أجاد، وإن كان تناوله من قول ابن تَمِيم[5]:

انظُر إلى الصبح البديع وقد بدا ... يَغْشَى الظلامَ بمائِه المتدفّقِ

غرقت به زُهْرُ النجوم وإنما ... سلِم الهلالُ لأنه كالزورقِ

والضِّدُّ أقرب خُطورًا[6] بالبال[7] عند ذكر ضِدِّه.

---

(١) في ا: «وكأنها»، والمثبت في: ب، ج.

والنزيف: من عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه.

(٢) البيتان في خلاصة الأثر ٣/٩٢. (٣) في ب: «وكأن الدجى»، والمثبت في: ا، ج، والخلاصة، وفي ج: «على الصبح موكلا»، والمثبت في: ا، ب، والخلاصة.

(٤) في ب: «أنجما ما تعلقت»، والمثبت في: ا، ج، والخلاصة، وفي ا: «لقصر الدجى»، والمثبت في ب، ج.

(٥) محمد بن يعقوب بن علي الإسعردي، مجير الدين بن تميم.

سكن حماة، وخدم الملك المنصور، وكان جنديا محتشما، شجاعا، مطبوعا، كريم الأخلاق، بديع النظم، رقيقه، لطيف التخيل.

توفي بحماة، سنة أربع وثمانين وستمائة.

فوات الوفيات ٢/٥٣٨ – ٥٤٦.

(٦) في ب: «حضورا»، والمثبت في: ا، ج. (٧) في ب: «بالجمال»، والمثبت في: ا، ج.

تذكرت هنا قول أبي على البَصِير ، وفى الثانى نظَر :

وجُفونُ عينِك قد نَثَرْنَ من البكا ... فوق المَــدامعِ لُؤلُؤًا وعَقِيقَا
لو لم يكُنْ إنسانُ عينِك سابِحًا ... فى بحرِ مُقْلتِــه لَمات غرِيقَا

ولابن العطار[1] فى غرق الليل :

صبحٌ يلُوحُ وشخصُ الليلِ مُنْغمِسٌ ... فيه كما غَرِقَ الزَّنْجِيُّ فى نَهَرِ

* * *

ومن أهاجى المترجم قوله فى قاض بحَماة[2] :

من شَرِّ بيتٍ شرُّ قاضٍ أتى ... حماته يا قُبحَ ما استحسنَتْ[3]
أبُوه مُحْتَـــالٌ دَنِيٌّ وكم ... فى رأْسِه من دَوْحةٍ أغْصَنَتْ
وأُمُّـــه مريم لكنها ... وعيشِكم ليس التى أحْصَنَتْ

(١) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن على الدنيسرى ، المعروف بابن العطار . اشتغل بالفقه قليلا ، ثم تولع بالأدب ونظم الشعر ، فأكثر وأجاد .
توفى سنة أربع وتسعين وسبعمائة .
الدرر الكامنة ١/٣٠٦ ـ ٣٠٨ ، النجوم الزاهرة ١٢/١٢٨ .

(٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٣/٩٢ .

(٣) فى ا : « حماة يا قبح » ،وفى ج : « حمامة يا قبح » ، والمثبت فى ب : ، والخلاصة .

١٠٩

الأمير حسن بن محمد ، المعروف بابن الأعوج *

حاكم حَماة صانها الله وحَماها ، ولا زالت حَوامِل المُزْن تحُطُّ أثقالها بحِماها .

أميرٌ وابن أمير ، وروض نضير ، أنشأه[١] ماء نمير .

تلقَّى رايةَ المجد بيمين عَرابةَ[٢] ، وما أتى أمراً قطُّ وفيه غَرابة .

وجلَا الإمارةَ فى رَفيفِ نضارةٍ   جلَتِ الدجى فى حُلَّةِ الأنْوارِ[٣]

فى حيثُ وَشَّح لَبَّه بقِلادةٍ   منها وحلَّى مِعْصَمًا بسِوارِ

فهو فارس مَيْدان اليَراع والصِّفاح ، وصاحب الرماح الخَطِّيَّة والأقلام الفِصاح .

فالسيفُ من جملة خَدَمِه ، والقلم يقوم فى خِدْمته على رأسه عِوَض قدمِه .

(*) الأمير أبو الفوارس حسن بن محمد ، المعروف بابن الأعوج .

ولد بحماة ، ونشأ بها ، وقرأ على علماء بلده علوم العربية ، والفنون الأدبية .

وسافر إلى الروم فى أيام السلطان مراد بن سليم شاه ، واجتمع بمعلمه المولى سعد الدين بن حسن جان ، فجمعه بالسلطان ، ومدحهما بعدة قصائد ، فولاه ولاية حماة ، ثم عزل ، ثم ولى إمارة معرة النعمان ، ثم عزل ، وتكرر توليته وعزله لحماة ومعرة النعمان .

وقد كان مجلسه منتدى للأدباء والشعراء من الأقطار ، واجتمع عنده منهم ما لم يجتمع عند أحد من أمراء عصره .

توفى الأمير حسن ، سنة تسع عشرة وألف ، ودفن أمام داره بجامع المرابد .

خلاصة الأثر ٢/٤٥ ـ ٥١ .

(١) فى ب : « إنشاؤه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) هو عرابة بن أوس الأوسى الأنصارى ، الصحابى الجليل ، المتوفى نحو سنة ستين للهجرة .

وهو يشير إلى قول الشماخ بن ضرار فيه :

إذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجدٍ   تلقَّــاها عَرابةُ باليمينِ

أسد الغابة ٣/٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ديوان الشماخ ٩٧ .

(٣) فى ب : « فى رقيق نضارة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

يكتب فيجعل للأقلام حُجّةً قاطعةً على السيوف ، وينتضى سيفَه فيقول القلمُ مالى بارقةٌ فى مَيْدان هذا الحُتوف .

وإن جرى[١] أدْهمُ قلمه فى حَوْمة البراعة فهو سبّاقُ الغايات ، وإن غرّدت حمائمُ نفثاته على غصون أقْلامه قيل جاء من الزّمْر ما غطّى على النّايات .

وهو جَواد مبسوط الكفّ ، ما أعرض يوماً عن مَكرُمة ولا كفّ .

فجُوده يُغنِى عن القَطْر إذا شِمّ الغَمام ، ونِعَمه هى الأطواق والناس الحَمام .

وكان عصرُه كابْتسام البرق إذا خفَق ، والصبحِ إذا تكشّف عن الشَّفَق .

لم يتعلّق أرَجُ الكرم بغير أثْوابِه ، ولم يتعشّق صَبُّ الثناء إلا تراب أبوابِه .

وأهل الأدب يروحون إليه على وَجْد ويغْدون على وُجْد ، ويتنافسون على[٢] مدائح[٣] أخلاق خُلِقنَ من مَحْض المجد .

وهو مع شُغْله بالمَنْصب ، وتشتُّت فكره بغرض[٤] المتعصّب .

لا يخلو من مُطارحات تدلّ على نُدماء مجلسه بإيرادها ، ومناظِم يَجْلو بها عليهم الحُورَ العِينَ فى أبْرادها .

* * *

وشعرُه مثقف المَبانى ، له اتّحاد بالمَثالث والمَثانى .

أبْرَزْت منه إلى العيان ، ما هو ألذّ من[٥] عَزْف القِيان[٥] .

فمنه قوله من قصيدة يشتكى فيها من الزمان[٦] :

حادىَ العِيسِ سِرْ بغير ارْتيابِ ... ففؤادى قد حَنّ للاغْترابِ

لا أُرِيد الأوطانَ والذلّ فيها ... واضِعاً طوقَه بأعلى الرّقابِ[٧]

(١) فى ب ، ج : « أجرى » ، والمثبت فى : ا .

(٢) فى ج : « فى » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) فى ب : « مديح » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ب : « يعرض » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ا : « عرق القنان » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٦) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/ ٤٦ ، ٤٧ . (٧) فى خلاصة الأثر : « والذل فيها * واضع ... » .

ولو أنّى قضّيتُ فيهـــا سروراً ... فى شبابى لم أكتئبْ لمُصـــابى[1]

بل تولّتْ نَضـــارةُ العمرِ منّى ... بين عَيْشٍ ضَنْكٍ وفَرْطِ اكْتئاب[2]

فالفرارَ الفرارَ من دار هُونٍ ... تركَتْنى أشكو زمانَ الشباب

وإذا الضَّـــيْمُ ما أقام فأخْبِبْ ... بجيـــادٍ تَمُرُّ مَرَّ السحاب

لم يكن فى مُقامِ ذَى اللُّبِّ فضلٌ ... قطَعَ السيفُ وهْو ضِمْنُ القِراب[3]

أدرَكَ المســـكُ بالتنقّل شأْواً ... وهْو فى أرضِـــه دُوَيْنَ التراب

فالفتى الشهمُ من إذا شام ضَيْماً ... لا يُبـــالِى بفُرْقَة الأحباب

منها[4] :

كيف مُكْثِى مابين أظْهُرِ قومٍ ... عهـــدُهم فى ثَباتِه كسَراب[5]

جارُهم إن غـــدا عزيزاً عليهمْ ... كان كالشّاةِ فى مَقِيلِ الذئاب[6]

هم إذا صادَرُوا أسودَ شَرَاهٍ ... وإذا حارَبوا فدون الـــكلاب

كم أناسٍ من دارِهم أخرجوهمْ ... ليسُومُوهم بسوءِ العـــذاب

إن فِرْعَوْن ثم نَمْرودَ كانا ... دونهم فى اخْتراع سوءِ العذاب[7]

ومَساوِيهمُ التى مِثْلُ هـــذا ... عَدَدُ الرملِ والحصا والتراب

ربِّ يامن أباد عاداً وأوْدَى ... بثَمُودٍ ذوِى النفوسِ الصِّعـاب

لا تذَرْ منهمُ على الأرضِ شخْصاً ... إنهم جاحـــدون نَصَّ الـــكتاب

---

(١) فى ب : « لمصاب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٢) فى خلاصة الأثر : « نضارة العزمى » . (٣) فى الخلاصة : « لو يكن فى مقام ذى اللب فضل » . (٤) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، والأبيات متصلة فى خلاصة الأثر . (٥) بعد هذا البيت فى ب زيادة « منها » على ما فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٦) فى ب ، ج : « فى مقيل الذبابه » ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة . (٧) رواية الخلاصة :

* دونهمْ فى اخْتراعِ شُؤْمِ العقابِ *

وانتقِمْ مُسرِعاً وعجِّلْ عليهمْ   ليس فينا صبرٌ ليوم الحسابِ

***

قوله : « قطع السيف » إلخ . من قول بعضهم :

السيفُ لايقطَع فى قِرابه ، والليثُ لا[1] يفترس فى غابِه .

وقوله : « أدرك المسك » ، من قولهم :

المَنْدَل الرَّطْب حطَب فى أوطانه ، والمِسك دمٌ فى سُرَر غِزْلانه .

***

وله من قصيدة أخرى ، أولها :

تبدَّتْ فأضحى البدرُ فى الأُفْق غائبا   وشامَتْ فولَّى الظَّبْىُ فى البِيد هاربا

رَبِيبةُ خِدْرٍ يحرس الحسنُ وجهَها   بسهم لِحاظٍ يجعل القوسَ حاجبا

إذا ابْتسمتْ عن صُبْحِ ثَغْرٍ مُنوَّرٍ   تُشاهد منها فى النهار كواكبا

وإن برزَتْ فى أسْود الشَّعْر ضَحْوةً   رأيتَ الدجى للصبح أضحى مُصاحبا[2]

فما دَوْحةٌ سَقى النَّدَى نَسْجَ بُرْدِها   وحاكتْ حِبالُ الشمس منه جَلائبا[3]

مُلوَّنةٌ من خَيْط ليلٍ وفجرِه   مُنوَّعةَ الألْوان تُبْدِى العجائبا

إذا سائلُ الغُدرانِ حَنَّ صَداؤه   وطائرُها المَيْمونُ غَنَّى مُجاوِبا

بأبْهجَ منها حُلَّةً وطَراوةً   وأخْصبَ مَرْعًى من حِماها وجانبا

لها لاِلعَزَّ حُقَّ وَصْفُ كُثَيِّرٍ   وتَوْبة فى لَيْلَى أعادتْه كاذبا

***

صِدْقُ[4] تَوْبَةَ ليلى[5] مشهورٌ ، وأصله ماروِىَ[6] أنه لمّا شُغِف بها ، واشْتهر أمره وأمرها به ، قال :

---

(١) فى ا : « لم » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : «فى أسود الثغر» ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) فى ج : « فما دوحة يبدى النـدى نسج بردها » ، وفى ا : « سقى الندمان نسيج بردها » ، والمثبت فى : ب . (٤) فى ب بعد هذا زيادة : « فى » على ما فى : ا ، ج . (٥) يعنى توبة بن الحمير العامرى ، وليلى الأخيلية ، على ما يأتى . (٦) الخبر فى الأغانى ١١ / ٢٤٤ ، وقد تصرف فيه المحبى .

ولو أنَّ ليلى الأخْيَلِيَّـةَ سلَّمتْ علىَّ ودونى جَنْـدَلٌ وصفائحُ
لسلَّمْتُ تسليمَ البَشاشةِ أوزَقا إليها صَدًى من جانب القبرِ صائحُ[1]

فيُقال : إنهـا مرَّت على قبره ، وهى راكبة على جمل ، ومعها زوجُها ، فقال لها زوجها : هذا قبر الكذَّاب ، سلِّمِى عليه ، حتى ننظر وعدَه .

فقالت له : خَلِّه ، فقد مات إلى رحمة الله تعالى .

فقال لها : لابُدَّ من ذلك .

فسلَّمت عليه ، فطار من جانب قبره[2] طائرٌ ، فهاج جملُها ، فوقعتْ اندقَّت عنقُها ، فدفنوها إلى جانبه .

أخرجه صاحب « الأغانى » عن المَدائنىّ .

* * *

وله فى النَّسِيب[3] :

آهِ مَن لى بِظَبْيـةٍ فَتَّانَهْ وهْىَ تلهو ومُهجتِى وَلْهانَهْ
ذاتُ ثَغرٍ كأنه اللُّؤلؤُ الرَّطْبُ حكى كَفُّها وحاكى بَنانَهْ[4]

* * *

قولهم[5] : « فى اللؤلؤ الرطب » كناية عما فيه من ماء الرَّوْنَق والبَها ، ونَعْمة البَشَرة وتمام النقا ؛ لأن الرطوبة [6] فصل مقدَّم [6] لذات الماء ، فهى[7] تنُوب عنه فى الذكْر ، وليس يعنى بالرطوبة [8] فيه المعنى [8] الذى هو نقيضُ اليُبوسة .

---

(١) فى ا : « أورقا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والأغانى . (٢) فى ا : « القبر » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٦ : ٤ . (٤) فى الخلاصة : « وحاكت بنانه » . (٥) هذا فصل منقول عن كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر ١٢٠ ، كما سيشير المؤلف فيما بعد.

(٦) فى الجماهر : « فصل يقوم » . (٧) فى الأصول : « وهو » ، والمثبت فى الجماهر .

(٨) ساقط من : ا ، والمثبت فى : ب ، ج ، وقد تصرف المحبى فى عبارة أبى الريحان .

قاله أبو الرَّيْحان فى كتابه « الجماهر » .

وقوله : « حكى كفها وحاكى بنانه » .

المراد بمُحاكاة كفِّها فى تناسُب أصابعه واستوائها ، وبمحاكاته[1] لبنانه فى حُمْرتها؛ فيكون قصَد تشْبيهين : تشبيه أسنانها ، وتشبيه شفتيْها .

هذا مايظهر من البيت .

* * *

هى فى القدِّ غصنُ بَانٍ ولكن   مَن رأى النَّهْد قال ذى رُمَّانَهْ[2]

ياعجيباً منها تظُن سُلُوًّا   من فؤادى وتشْتكى سُلْوانَهْ

ياعجيباً أنى أُرِيد رِضاها   وهْىَ فى حالةِ الرضا غَضْبانَهْ

لستُ أخْشَى بحبِّها من عَذُولٍ   فدَعُوه فينا يُطِيل لسانَهْ

حاصلُ الأمْرِ أن يقول فلان   طار صِيتاً بحُبِّه لفُلانَهْ[3]

أنا صَبٌّ بحبِّها مُستهامٌ   ملَكَ الحبُّ سِرَّه وعَيانَهْ

لستُ أنْسَى لَمَّا أتتْ ورَقِيبِي   عينُه من يد الكرَى مَلآنَهْ[4]

تتخطَّى العيونَ شرقاً وغربا   ضِمنَ عينٍ بشَرْقها غرْبانَهْ[5]

ضِمْنَ ثوبٍ من التقى مُستعارٍ   بعفافٍ قد طَيَّبتْ أرْدانَهْ

وقضيْنا الوِصَال رَشْفا وضَمًّا   بقلوبٍ هَيْمانةٍ حَرَّانَهْ

وأراد الجمُوحَ طِرْفُ التَّصابِي   فلوَيْنا عما أراد عِنانَهْ

وملَكْنا نفوسَنا برِضاها   وزجَرْنا بعِفَّةٍ شيطانَهْ

---

(١) فى ب : « ومحاكاته » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) فى الخلاصة : « من رأى القد » .

(٣) فى الخلاصة : « أن يقال فلان » ، وفى ب : « طار ميتا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٤) فى الخلاصة : « لما مضى ورقيبى » .   (٥) لم يرد هذا البيت والذى بابه فى الخلاصة .

فدعِ العاذلين ينقُلْنَ عنى آه مَن لى بظَبْيةٍ فتَّانَهْ

***

وكان ليلة ألَمَّ مجلسَ راح ، فى موسم أفراح .
يحسد اتِّساقَه الدُّرّ ، وتتمنَّى إشراقَهُ الزُّهْر .
فلما محى عَنْبرَ الظلام كافورُ الصباح ، نادى مؤذن القَصْف : حَيَّ على الاصْطِباح .
وردتْ عليه رُقعةٌ من أحد أحبَّائه ، الواقفين على سر حقيقة أنْبائه .
ومكتوب فيها [1] :

على الباب المُعظَّم عَبْدُ رِقٍّ بأنواعِ الحبا منكم يفُوزُ
يجُوز البابَ عن إذنٍ كريمٍ وإلَّا فهو شىءٌ لا يجوزُ

فلما قرأها تهلَّل كأنما مُنِح بعُمر مُعاد ، أو حصل من حبيب مُماطِل على ميعاد .
ثم كتب إليه :

يحيط بعلْمكم أنَّا نَشاوَى وقد جُليتْ لنا بِكْرٌ عجوز
فإن جوَّزْتمُ مانحن فيه وإلَّا فهو شىءٌ لا يجوزُ

***

وحكى بعض ندمائه ، قال [2] : دخلتُ عليه فى مرض [3] موته ، فصادفتُ بريداً جاء بتقليد حَماة ، بعد عَزْل وقع له ، فالتفَت ، وقال بصوت ضعيف : ﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [4] ، وحان من الحَيْن المُكتتَب ماحان .

فدعوتُ له بامتداد الأجل ، وسلَّيْتُه عن [5] ذلك الاضطراب والوَجَل .

---

(١) فى ب ، ج : « وفيها مكتوب » تقديم وتأخير ، والمثبت فى : ا .
والبيتان ، وجوابهما فى خلاصة الأثر ٢/٤٨ .
(٢) هذه الحكاية فى خلاصة الأثر ٢/٥٠ ، ٥١ عن إبراهيم راى . (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٤) سورة يوسف ٤١ . (٥) تكملة يقتضيها السياق، توافق ما ورد فى الخلاصة.

فرأيته قد تجمّع ، وبكى ملْءَ جفونه وتوجّع .

وقال : والله ما أبكى إلّا من يَسوءه الآن بُعْدِى ، وهو يتمنّى الأوِدّاء بَعْدِى .

ثم أنشد :

لا يحسَب الإنسانُ بعـــد ذَهابِه مُـكْثَ الأسَى فى عِشْرةٍ وقَرِينِ

فى الحالِ يتناضَون عنـــه بغيرِه ويعود ربُّ الحزنِ غـــيرَ حزينِ

العَنْدليبُ الوردُ كانَ أمامَه لمّـــا مضى غنَّى على النَّسْرِينِ

ثم فارقتُه ، ففى تلك الليلة تولّاه مولاه ، وفارق دنياه .

فبـكى عليه السيفُ والقلم ، وانفجع فيه العِلْمُ والعَلَم .



الباب الثاني

في نوادر أدباء حلب


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الثانى

فى نوادر الأبابده ، بحلب الشهباء

وهى البلدة الطيِّبة الماء والهوا ، التى توافقتْ على حُسن بنائها [١] و [٢] لُطْف أبنائها [٢] الأهْوا .

أحْياها اللهُ تحية تنْحطُّ بالخِصْب سُيولها ، وتُجَرُّ باللطف على سَرْحة الرياض ذيُولها .

فيها التَّرحيب مذْخور [٣] المقيم والظَّاعن ، ولا محلَّ فيها يُلْفَى للقادِح والطاعِن

ولها المَرْأى الذى يسافر فيه الطَّرْف فيأخذ بحَظِّه ، ويستولى عليه الفرحُ حتى يخاف على قلبه ولَحْظِه .

فبيْنا تحسَب الأرض نُضاراً تكتسِى بُرْدَ الضُّحى فتحسبها عَسْجَدَا ، وبينا ترى جنَّاتِها أنبتتْ دُرًّا إذا هى أطلعت [٤] زبرجدا .

وهناك الحصن الذى عانق السماك [٥] ، يكاد أهله يقتطفون نَرْجِسَ الكواكب من فلَك [٦] الأفلاك .

يزُرُّ عليه الجوُّ جَيْبَ غمامِـــه ويُلْبِسها من حَلْيِهِ الأنْجُمَ الزُّهْرَا

وقد أحاط به الخندق إحاطة الهالَة بالقمر ، والسُّوار بالمِعْصَم ، وحوله الأبْنية الشاخه تستنزِل بحُسن رَوْنقِها النَّسْر المحلِّق والغرابَ الأعْصَم .

ولأهلِها من عهد بنى حَمْدان أمراءِ الكلام ، وأجلِّ من استُعملت فى مدائحهم الدُّوِىّ واستُخدمت الأقلام .

---

(١) فى ا : « بنيانها » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .
(٣) فى ا : « موفور » ، وفى ب : « مدخور » ، والمثبت فى : ج . (٤) فى ب : « طلعت » ،
(٥) هما سماكان ، أعزل ورامح ، نجمان نيران . (٦) فى ا : « ذلك » ، والمثبت فى : ب ، ج .

اعْتلاق بالأدب وارْتباط ، وتفوّق فيه يدعو إلى حسَد واغْتباط .

ولشعرهم في القلوب مكانة ، كأنما شَيّدوا بأهواء القلوب أركانَه .

فصبُّوا على قوالب النجوم ، وغرائب المنثور المنظوم .

وباهوا غُرَر الضحى والأصائِل ، بعجائب الأشعار والرسائل .

وقد ظهر منهم قريبا جماعةٌ تنازعوا الفضل في غاياتِ مُستبِق ، وكلٌّ منهم وإن اختلفت حالُه فالقولُ في فضله متَّفِق .

إذا عنّ ذِكْراهم فتمْزيق مَلْبَسي   يُريح بناء الفكر من حلّة العرى

بمِحْراب صدر القلب مُعتكِف به   هواهُم تلا من ذكْرهم ما تيسّرا

✿



فنهم :

١١٠

مصطفى بن عثمان البابي *

اصطفيتُه مفتاحَ الباب ؛ لكونه منسوبا إليه ، وجعلت معرفة القشر من الالباب ، متميزًا به ومُحالا عليه .

وأحسَب أنى أتَيتُ بأمرٍ معقول ، وإذا أرسلت نفسى فى وصفِه ووصف بلدِه فأجدها تقول :

البلدةُ الشهباء مشحونةٌ بلُطْف أشعارٍ وآدابِ
ممنوعةٌ بالسُّور لا يُبْتَغَى دخولُها إلا من البابِ (١)

وهو شرفٌ لعصره ومَفْخَر ، وبحرٌ يهتاج عُبابه ويزْخَر .

(*) مصطفى بن عبد الملك ، وقيل عثمان ، البابى ، الحلبى .

نشأ بحلب ، وأخذ بها عن أبى الجود البترونى ، والنجم الحلفاوى ، وأبى الوفا العرضى ، والملا إبراهيم الكردى ، وجمال الدين البابولى .

ودخل دمشق سنة إحدى وخمسين وألف ، صحبة بن الحسام قاضى القضاة ، فأخذ بها عن عبد الرحمن العمادى والنجم الغزى ، كما رحل إلى الروم وانتفع بعلمائها .

تولى قضاء طرابلس الشام ، ثم مغنيسا ، ثم بغداد ، ثم المدينة المنورة سنة إحدى وتسعين ، وحج فى هذه السنة فتوفى بمكة ، ودفن بالمعلاة .

والبابى : نسبة إلى الباب ، قرية من قرى حلب ، لها واد مشهور بطيب الهواء ، وكثرة الرياض .

إعلام النبلاء ٦/٣٦٢ - ٣٧٣ ، خلاصة الأثر ٤/٣٧٧ - ٣٨٥ ، مقدمة العقود الدرية فى الدواوين الحلبية ٢٣ ، ٢٤ .

وذكر الطباخ أن ديوانه طبع فى بيروت سنة ١٨٧٢ ، وقال : « وهو الآن نادر » ، وقد ضم الطباخ ديوان البابى إلى ديوان ابن الجزرى والفتح بن النحاس فى العقود الدرية ، واعتمدت عمل الطباخ ، فلم أرجع إلى طبعة بيروت من الديوان ؛ لأنه راجع الديوان على نسخ خطية .

(١) فى ب : « لا ينبغى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

تمادَى فى مَيْدان الشهباء طَلْقُه ، واستوفَى الخَصْلة التى ناسب فيها خُلُقَه خَلْقُه .

وأصبح فى الفضل وَحِيدا ، ولم تجد عنه النَّباهة مَحِيدا .

وناهِيك بمحاسن قلَّدها ، ومناقب أثبتها وخلَّدها .

إذا تُلِيتْ فى المَجامع ، اهتزَّت الأعطافُ وتشنَّفت المَسامع .

وهكذا النَّسمات إذا هبت فى الأسْحار ، رفَّتْ لها أهدابُ النبات وطنَّت آذانُ الأشْجار .

تُروِّق بها الخَمْرةُ فى الكاس ، وتجْلُو رَوْنقات السَّحَر إذا صدَّتها البِشْرَ بالأنْفاس .

إذا وُصِفتْ عُلاه عكفتْ طيور المعانى على أوكار الفِكر ، وإذا تُلِيتْ حُلاه تنبَّهت عيونُ الرياض من نسمات الآصال والبُكَر .

***

وشعره ملَكه[1] الحسن رِقَّه ، فتكاد تشربُه الأسماع لُطفا ورِقة .

كلامٌ بل مُدامٌ بل نِظامٌ مِن المَرْجانِ أو حَبِّ الغَمامِ

يَروح كأنه رَوْحٌ وراحٌ ويجْرِى فى العُروق وفى العظامِ[2]

وقد وافيتُك منه بما يُغالَى فى مَدْحِه ، ويُعلَمُ منه وُفورُ قِسْمه من الأدب وفَوْزُ قِدْحِه .

فمنه قوله يتوسَّل[3] :

هوتِ المشاعرُ والمدا رِكُ عن معارجِ كبريائِكْ

ياحىُّ ياقيُّوم قد بهر العقولَ سَنا بهائِكْ

---

(١) فى ا : « ملكة » ، وفى ج : « ملك » ، والمثبت فى : ب. (٢) فى ا : « فى العروق أو العظام » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) القصيدة فى : ديوانه (العقود الدرية) ٥ ، ٦ ، إعلام النبلاء ٣٧١/٦ ، ٣٧٢ ، خلاصة الأثر ٣٨٤/٤ ، ٣٨٥ .

أثْنِي عليكَ بمـا علمْـ ... ـتُ وأين عِلْمِي من ثنائِكْ (١)

مُتحجِّبٌ في غَيْبِكَ الأ ... أحْمَى منيعٌ في عَلائِكْ

فظهرْتَ بالآثار والأ ... أفعالِ بادٍ في جَلائِكْ

عجبًا خَفاؤُكَ من ظهو ... رِكَ أم ظهورُكَ من خفائِكْ

ما الكون إلا ظلمةٌ ... قَبَسَ الأشعَّةَ من ضيائِكْ (٢)

وجميعُ ما في الكون فا ... نٍ مُستمِدٌّ من بقائِكْ (٣)

بل كلُّ ما فيه فقيـ ... ـرٌ مُستميحٌ من عطائِكْ

ما في العوالِمِ ذَرَّةٌ ... في جَنْبِ أرضِك أو سمائِكْ

إلَّا ووِجْهتُها إليـ ... ـكَ بالافتقارِ إلى غِنائِكْ

إنِّي سألتُك بالذي ... جمَعَ القلوبَ على وَلائِكْ

نورِ الوجودِ خُلاصةِ الأ ... كَوْنَيْنِ صفوةِ أوليائِكْ (٤)

إلَّا نظرتَ لمستغيـ ... ـثٍ عائذٍ بك من بَلائِكْ

قذفتْ به من شاهقٍ ... أيدي امْتحانِك وابْتلائِكْ

ورمتْه من ظُلَمِ العنا ... صرِ والطبائعِ في شَبائِكْ (٥)

وسطَتْ عليه لوازمُ الأ ... إمكانِ صَدًّا عن سنائِكْ (٦)

فإذا ارْعوَى أو كاد نا ... دتْهُ القيودُ إلى ورائِكْ

---

(١) في خلاصة الأثر : «فأين علمي» .

(٢) في ب : « من سنائك » ، والمثبت في : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٣) ساقط من الديوان . (٤) في إعلام النبلاء : « صفوة أنبيائك » . (٥) في ب : « ورمته في ظلم العناصر » ، والمثبت في : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر . (٦) في إعلام النبلاء ، والديوان : « صدا عن فنائك » ، وفي خلاصة الأثر : « صدا عن ثنائك » .

فالْطُفْ به فيما جـــرى ... في طيّ علمك من قضائِك[1]

***

وقوله من نبويّة، مستهلها[2]:

قَضَى عجبًا من دهرِه المتعجِّبُ ... يَجِدُّ اشتعالًا رأسُه وهْو يلعبُ

ألم يأْنِ أن يقْنِي الحياءَ مُؤنِّبُ ... بلى آن أن يقْنِي الحيـاءَ المؤنِّبُ

ومَن لم يدعْ شيْبُ المَفارِق غَيَّـه ... فلائِمُه باللوم أحْرَى وأنْسَبُ[3]

أبِنْ لي على ماذا حصُلتَ من الدُّنا ... فقد ذُقْتَ منها ما يمُرُّ ويعذُبُ[4]

أكان سِوى طَيْفٍ ألَمَّ وعارضٍ ... جَهامٍ وبَرْقٍ مخلِفِ النَّوْءِ خُلَّبُ

متَى أنت في العَمْياء غادٍ فرائحٌ ... تُصعِّدُ في بَهْمائِهـا وتُصوِّبُ

تُبارِئُ بالعِصْيان من هو قادرٌ ... عليـك وفي آلائه تتقلَّبُ[5]

أحُدِّثتَ أن المرءَ في الأرض مُعجِزٌ ... لقد كذَّبتْك النفسُ والنفسُ تكذِبُ

لقـد لزَّكَ التَّسْويفُ في مارِقٍ على ... شَفـا حُفْرةٍ سرعانَ ما تتصوَّبُ[6]

لعمرُ المنـايا إنهـا لقريبـةٌ ... على أنها من ساحةِ الشيبِ أقْرَبُ

وإنَّ مِراسَ الموتِ لادَرَّ دَرُّه ... وإن كان صَعْبًا فالذي بعدُ أصْعَبُ

تقلَّص ظِـلُّ العمرِ إلا صُبابـةً ... ألا فانْتَبِهْا قبل ما أنت تُنهَبُ

وبادِرْ فإن الوقتَ ضاق عن الوَنَى ... وصَمِّمْ فسُكَّيتُ الرِّهانِ المُذَبْذَبُ[7]

---

(١) في ب: «في قضائك»، والمثبت في: ا، ج، والديوان، وإعلام النبلاء، وخلاصة الأثر.
وبعد هذا البيت في الديوان، وإعلام النبلاء قوله:

واسلُكْ به سُنَنَ الهدا ... ية في مَعارِج أصْفيائِكْ

(٢) القصيدة في ديوانه (العقود الدرية) ٢ ـ ٥. (٣) في الديوان: «ومن لم يزع».

(٤) في ب: «ما يمر ويصعب»، والمثبت في: ا، ج، والديوان.

(٥) في ا: «من هو قاهر»، والمثبت في: ب، ج. وفي الديوان: «تبارز بالعصيان».

(٦) لزه في مارق: اضطره إليه، وفي الديوان: «لقد لزك التسويف في مازق على».

(٧) في ا: «عن الدنا»، وفي ج: «عن الوفا»، والمثبت في: ب، والديوان.
والونى: الفتور والضعف. والسكيت: آخر خيل الحلبة.

وخذْ للقاء اللهِ مااسْطعْتَ أُهْبـــةً ‏ فإن لقـــاءَ اللهِ ماعنه مَهْرَبُ (١)

وإن ضِقْتَ ذَرْعاً من تعـاظُم مامضى ‏ فلا تنْسَ عفوَ اللهِ فالعَفْوُ أرْحَبُ (٢)

ولُذْ بجَنابِ الفـاتحِ الخـاتمِ الذى ‏ به يطمئنُّ الخـائفُ المترقِّبُ

هو العاقِبُ الماحِى الذى بزَغَتْ به ‏ على الكون شمسٌ نورُها ليس يغرُبُ

تحُلُّ له الرُّسْلُ الكِرامُ حِبـاهُمُ ‏ وإنْ ذُكِروا فهْو العُذَيقُ المُرَجَّبُ (٣)

إذا الخَطْبُ أبْدَى ناجِذَيْه فنـادِهِ ‏ تجِـدْ خيرَ جارٍ فى المُلِمَّاتِ يُنْدَبُ

وإن لَذَعتْكَ المُوبِقـاتُ فداوِها ‏ به فهْوَ تِرْيَاقُ السمومِ المُجـرَّبُ

إليكَ رسولَ اللهِ قـد جاء ضارِعاً ‏ أخو عَـثْرةٍ يرجو الإقالةَ مُذنِبُ

فبابُكَ بابُ اللهِ ماعنـه مهرَبٌ ‏ وطالبُه من غـير بابِكَ يُحْجَبُ

فليس لنـا من منحةٍ بتفضُّلٍ ‏ من اللهِ إلا عن مَساعيك تُجلَبُ (٤)

ولا مَسَّنا من محنةٍ أو يَمَسُّنا ‏ بكسبٍ يدٍ إلا بيُمْنِكَ تذهبُ

منها :

إذا قُمْتَ فى وَعْدِ المَقـامِ فإننا ‏ على ثقةٍ أن ليس فينا مُخيَّبُ (٥)

ألَمْ يُرْضِكَ الرحمنُ فى سورةِ الضحى ‏ وحاشاكَ أن ترضَى وفينا معذَّبُ

أترضَى مع الجاهِ الوجيهِ ضياعَنا ‏ ونحن إلى أعْتابِ بابِكَ نُنْسَبُ

أترضَى مع العِرْضِ العريضِ بأن يُرى ‏ مَقامُكَ محموداً ونحن نُعذَّبُ (٦)

أتخذُلُ ياحامِى الذِّمارِ عِصابةً ‏ بهَدْيِكَ دانتْ مالها عنكَ مَذهبُ (٧)

---

(١) فى ا : « وخذ للقا ما اسطعت من أهبة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان ، وفيه : « ماعنه مذهب » . (٢) فى ا : « من تعاطى ما مضى » ، والمثبت فى : ب ، ج والديوان . (٣) ترجيب النخلة : ضم أعذاقها إلى سعفاتها ، وشدها بالخوص ؛ لئلا تنفضها الريح ، أو وضع الشوك حولها لئلا يصل إليها آكل . انظر القاموس (ر ج ب) . (٤) فى ب ، ج : « فليس بنا من منحة » ، والمثبت فى : ا والديوان . (٥) فى الديوان « إذا قمت موعود المقام » . (٦) فى ا ، والديوان : « بأن ترى » ، وفى ج : « بأن نرى » ، والمثبت فى : ب . (٧) فى الديوان : « مالها عنه مذهب » .

دعوْتَ فلبيّناكَ سمعًا وطاعةً ... وحاشاكَ أن ندعوكَ ثم تُخيِّبُ

منها :

عليكَ صلاةُ اللهِ تترَى مُسلّما ... مع الآلِ والأصحابِ ما انْهلّ صَيِّبُ

صلاةٌ تُوازِى قدرَ ذاتِك رفعةً ... بتَبْليغها عنّى إلى اللهِ أرْغَبُ

* * *

وقوله من قصيدة فى المدح ، أولها [1] :

هو الفضلُ حتى لا تُعَدَّ المناقبُ ... بل العزمُ حتى تطلُبَنْكَ المَطالبُ

وما قدرَ الإنسان إلّا اقتداره ... أجَلْ وعلى قدْرِ الرجال المراتبُ

منها :

وللمجدِ مثلُ الناس سُقْمٌ وصحةٌ ... وفيه كما فيهم صَدُوقٌ وكاذبُ

منها [2] :

ومن خسِر الرّاحات يكتسِب العُلَى ... وبعضُ خَساراتِ الرجالِ مكاسبُ [3]

فآبَ بما يُشجِى العِدى ويسرُّه ... فوائدُ قومٍ عند قومٍ مصائبُ [4]

إليك إمامَ الفضلِ منا توجّهتْ ... كتائبُ إلّا أنّهُنّ مواكبُ

مَعانٍ تُعير العينَ سحرَ عيونِها ... وتسخرُ منها بالعقودِ التّرائبُ

قد انْسدلتْ فوق الطُّروسِ سطورُها ... كما انسدلتْ فوق الصدورِ الذّوائبُ [5]

لها من بَراحِ الشوقِ حادٍ وقائدٌ ... إليك ومن أشْياكَ داعٍ وخاطبُ

* * *

---

(١) القصيدة فى : ديوانه (العقود الدرية) ١٦ ، ١٧ ، إعلام النبلاء ٦/٣٧٠ ، ٣٧١ ، خلاصة الأثر ٤/٣٨٣ ، ٣٨٤ . (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٣) فى الديوان ، وإعلام النبلاء : « ومن يخسر الراحات » . (٤) قلب معنى أبى الطيب ، حيث يقول :

بذا قضت الأيامُ ما بين أهلِها ... مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

ديوانه ٣١٣ .

(٥) فى الديوان ، و إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « بين الطروس » .

ومن بدائعه قوله[1] :

ليت شعري ماالذي سخَّر السَّمْـ ... ـع لصوت السنطير حتى أصاخَا[2]

ثم ماذا أشار به النَّا ... يُ لرَكْب الأرْواح حتى أناخَا

ثم ماذا الذي به اسْتشعر الحِسُّ ... بجَسِّ الأوْتارِ حتى تراخَى[3]

ذاكَ سِرٌّ يذوقه من ترقَّى ... عن ذُرَا عالم الهيولى انسلاخَا[4]

وترقَّى به إلى قاب قَوْ ... سَيْن فألْقَى العصا ورام المُناخَا[5]

* * *

وقوله من قصيدة ، أولها[6] :

أشاردْ ياغزال أم واجِـدْ ... وعابثْ فى النفوس أم عائدْ[7]

أعنـد عينيْك أنَّ أنفسَنا ... حَبْسٌ على سَبْيل نَبْلها الصاردْ[8]

بل كثرةُ العاشقين توُهِمه ... بأنَّ ماضى نفوسِهم عائدْ

مهلا أبا الحسْن قد فُجِعت به ... واستبْق منَّا داعٍ له حامدْ[9]

نحن بنو نَجْدة الهوى ولنــا ... فيه فَخارُ الطَّرِيف والتَّالِدْ[10]

وكم لنــا غارةٌ على ثَغرٍ ... يصدُر عنها المُفتَّر البارِدْ[11]

---

(١) الأبيات فى ديوانه (العقود الدرية) ٥٤ ، إعلام النبلاء ٦/٣٧٣. (٢) فى إعلام النبلاء ، والديوان : « لصوت المستطير » . (٣) فى ا : « بحس الأوتار » ، وفى إعلام النبلاء ، والديوان : « تشد الأرواح حتى تراخى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى الديوان ، و إعلام النبلاء :

ذاكَ معنًى يذوقه من ترقَّى ... عن ذرا عالم القيودِ انْسلاخَا

والهيولى : جوهر بسيط لا يتم وجود بالفعل دون وجود ما حل فيه . كليات أبى البقاء ٩٦٠ .
(٥) لم يرد هذا البيت فى الديوان ، وإعلام النبلاء . (٦) القصيدة فى ديوانه (العقود الدرية) ٢٦ ، ٢٧ ، قالها يمدح شيخ الإسلام يحيى . (٧) فى ا ، والديوان : « وعابس فى النفوس » ، وفى ب : « وعاتب فى النفوس » ، والمثبت فى : ج . (٨) الصادر : النافذ . (٩) فى الديوان : « لا فجعت به » ، وهى أولى من رواية النفحة . (١٠) فى الديوان : « نحن بنى نجدة » .
(١١) فى الديوان :

وكم لنــا غارة على ثَغرٍ ... نصدُر عنها بالمَغْنَمِ البارِدْ

تلك عهودٌ قد كان لابَعُدَتْ   طَرْفُ الليالى عنّا بها راقدْ
ومامَها الدهرُ عن تفرّقنـا   بل ظنّنا لالْتئامِنا واحـدْ

***

على هذا الالتئام والإتقان ، تأمَّل قولى فى الاتحادعند العناق :

ياطِيبَ ليلٍ حيِّي وقد غفَلَتْ   عنا عيونٌ تظَـلُّ ترمُقنا
بِتْنا كزَوجَيْن فى حشَا جسَدٍ   تحـيَّر النوم كيف يطرُقنا

ولعزّ الدين الضرير ماهو منه :

توهَّم واشِينا بليـلٍ مَزارَه   فهَمَّ ليسْعى بيننا بالتبـاعُدِ
فعانقْتُه حتى اتّحـدنا تعانُقاً   فلما أتانا مارأى غـيرَ واحدِ

ولخالد الكاتب[1] :

كأننى عانقتُ رَيْحـانةً   تنفستْ فى ليلها البـاردِ
فلو ترانا فى قميص الدُّجى   حسِبْتَنا فى جسدٍ واحـدِ

ولأحمد بن أبى العِصام :

ضمَمْتُه ضَمَّ مُفْرِط الضمِّ   لاكأبٍ مُشفِق ولا أمِّ
ولم نزَلْ والظلامُ حارسُنا   جسمَيْن مُستودَعَيْن فى جسمِ

ولابن سَناء الملك[2] :

وليلةَ بِتْنا بعد سُكْرِي وسُكرِهِ   نبَذْتُ وِسادِى ثم وسَّدتُه يدِى
وبتْنا كجسمٍ واحد من عناقنا   وكالحرْفِ فى لفظِ الـكلام المُشدَّدِ[3]

---

(١) تقدم التعريف به فى الجزء الأول ، صفحة ٣٦٣ .

(٢) ديوانه ١٨١ ، ١٨٢ .   (٣) فى ب ، ج : « فى عناقنا » ، والمثبت فى : ا ، والديوان . ورواية الديوان لعجز البيت :

* وإلّا كحرفٍ فى الـكلامِ مُشدَّدِ *

وأعتُرض عليه بأن العَرُوضيِّين يعدّون المشدد بحرفين ، فلو قال : فى الخط . لحصل مطلوبه .

* * *

ليت درَى القاطنون فى حلبٍ حالى وما حالُ من لهم فاقِدْ

يرقُب وفد الشَّآمِ ذا قَلَقٍ عسى يراهُم بناظرِ الوافِدْ[1]

فارقتُ مَثْوايَ فى رِضا زمنٍ على ذوى الفضل لم يَزلْ واجِدْ

خرجتُ منه مع البُزاةِ عسى تصفُو الليالى ويصلُح الفاسدْ

* * *

يشير إلى قوله :

إذا أنكرتْنى بلدةٌ أو نكِرْتُها خرجتُ مع البازِى علىّ سوادُ

* * *

ومن مديحها :

الحكَم العَدْلُ من عزائمه قامتْ على الدهر فاكْتفى القاعدْ

وأصبحتْ حَيْرةً حواسدُه كأنها العُمْىُ مالها قائدْ

* * *

هذا أحسن من قول المتنبّى[2] :

مابالُ هذى النجوم حائرةً كأنها العُمْىُ مالها قائدْ

وهو[3] أخذه من قول العباس بن الأحنَف[4] :

والنجمُ فى كبد السماء كأنه أعمَى تحيَّر ماله من قائدِ[5]

* * *

(١) فى الديوان : « بناظر الراقد » .

(٢) ديوان أبى الطيب ٥٦٨ .

(٣) فى ب : « وقد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) ديوانه ٨٢ .

(٥) فى الديوان :

والنجمُ فى أُفُقِ السماء كأنه أعمى تحيَّر ما لديْه قائدُ

رَبُّ القوافى التى لآلئُها تَوَدُّ لو قُلِّدت بها النَّاهِدْ
إذا تأمَّلْتَها وجدتَ فتًى شُهْبَ الدياجى بفكرِه صائِدْ

***

وقوله من أخرى ، أولها (١) :

هو الشوقُ حتى يستوى القربُ والبعدُ وصدقُ الوفا حتى كأن القِلَى وُدُّ
فلا رقَدتْ عينٌ يُؤرِّقها هوًى ولا خمَدت نارٌ يسعِّرها خَدُّ
ألا فى سبيل الأعْيُنِ النُّجْلِ ماجرى بمُنْعرَجِ الجَرْعاء حيث انطوى العهدُ
عشيَّةَ أدْناني وأقْصاهمُ الهوى برَغْمِي وأرضاهم وأسْخطَني البعدُ
تذكَّر عيشًا قد طوى نَشْرَه النوى وعُفْراً عَفَى من سِرْبها الأجْرَعُ الفَرْدُ (٢)
خليليَّ نجْدٌ تلك أم أنا حالِمٌ لقد كذَبتْنى العينُ ماهذه نجدُ
بلى هذه نجدٌ فأين ظِباؤُها أأحجبها عِزٌّ أم اغتالها فَقْدُ
وما صنعتْ من بعدنا تلكمُ الدُّمَى وكيف دَوَتْهاتيكمُ القضُبُ المُلْدُ (٣)
كأنْ قد أضَلَّ البَيْنُ فى عَرَصاتِها مُنًى أو عليها فى فؤاد النوى حِقْدُ
لقد خلَدتْ مِمَّا دَهاكِ جهنَّمٌ بأحْشائنا ياجنَّةً خانها الخُلْدُ (٤)
خليليَّ ماوُدًّا كما وُدَّ مخلصٍ أما فيكما هَزْلٌ إذا لم يكن جِدُّ (٥)
أفوق سوادِ الليل تبغى نجومُه غشاءً فلم لم تصْحُ أعيُنها الرُّمْدُ (٦)
كأن تعالى اللهُ ذا البدرِ فى السما مَليكٌ مُطاعٌ والنجومُ له جُنْدُ

---

(١) القصيدة فى ديوانه (العقود الدرية) ٢٨ — ٣١ ، قالها يمدح عبد الرحمن بن الحسام ، حين قدم من الشام . (٢) فى الأصول : « وعصر عفى » ، والمثبت فى الديوان . (٣) فى ب : « وما فعلت من بعدنا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان . (٤) فى الديوان : « فاتها الخلد » .
(٥) فى الديوان :

* خليليَّ ما أبديتما وُدَّ مخلصٍ *

(٦) فى ا : « غشات فلم لم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان .

كأن سماء الليـــلِ روضٌ مُنَمَّقٌ ... خمائلُه مِسْك أزاهِـــرُه نَدُّ (١)

كأن الدجى والبرقَ والزُّهْرَ ناهدٌ ... من الزَّنج يُزْهيهـا فيُضحكها العِقْدُ

كأن الثُّريَّا كفُّ نَقَّادٍ استوى ... على نَطْع سَبجٍ فوقه نَثْرَ العقدُ (٢)

كأن نجومَ الليـــلِ من حَيْرةٍ بهـا ... ركائبُ تسْرِى مالها فى السُّرَى قَصْدُ

كأن وَميضَ البرقِ فى حالِك الدجى ... صفاءٌ بقلبٍ قد توطَّنَـــه الحِقْدُ

كأن الـكرى سِرٌّ كأن الدجى حَشًا ... كأن المُنى طِفْل كأن الرَّجا مَهْدُ (٣)

كأن السُّهَا معنًى دقيقٌ بفِـكْرةٍ ... فآونةً يخْفى وآونة يبْدُو (٤)

كأن الدجى والفجرُ يفتِق زِيقَـــه ... مواطنُ غَيٍّ قد أناخ بها الرُّشْدُ (٥)

كأن الصَّبا رُسْلُ الصباح إلى الرُّبَى ... بسِرٍّ أذاع الشِّيحُ خافِيـــه والرَّنْدُ

كأن طِلابِى المجدَ والدهرُ دونه ... ترقُّب طَيْفٍ حال من دونه السُّهْدُ

كأن يَراعى غائصٌ بحرَ ظُلْمـــةٍ ... فيُلقَط لى من فِيه جوهرُه الفَرْدُ (٦)

كأن المعانى السانحاتِ لخاطرِى ... كواعبُ زارتْ مالزَوْرتهـــا وَعْدُ

* * *

منها فى المديح :

حديقةُ فضـــلٍ لا يُصَوِّح نَبْتُها ... ونهرُ عطاءٍ ما لسائله رَدُّ (٧)

---

(١) ق ا : « أزهاره ند » ، وفى ج : « إذا هزه ند » ، والمثبت فى : ب ، والديوان . (٢) يعنى بالسبج اللون الأسود ، وفى الديوان : « فوقه نثر النقد » . (٣) فى الأصول : « كأن الدجى مهد » ، والمثبت فى الديوان . (٤) تقدمت رواية المحبى لهذا البيت ، فى هذا الجزء ، صفحة ٦٢ ، وصدره هناك :

* كأن السُّها معنًى يجُول بفِـكْرةٍ *

(٥) فى الديوان : « يفتق رتقه » . والزيق من الثوب : ما أحاط منه بالعنق وما كف من جانب الجيب .

(٦) ق ا : « غائص بحر ظلمة » ، وفى الديوان : « خائض بطن ظلمة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٧) فى الديوان :

* وبحرُ عطاءٍ ما لساحله رَدُّ *

ورِقَّةُ أخلاقٍ يَسيرُ بِهــــا الصَّبا ... وبأسٌ له ترمِي فرائسَهــــا الأُسْدُ

***

وقوله من أخرى ، أولها [١] :

سرى عائدا حيثُ الضَّنى راع عُوَّدِي ... سُرَى البَدْرِ طَيْفٌ بالدُّجُنَّةِ مُرتدِ [٢]

وما رَقَّ لو لم يَرْعَ حَيْنى ولا سرَى ... على البعد فى ثوب الحدادِ لمَرقدِى [٣]

فأعجبَه شوقى إليــــه على النَّوى ... كذا كان حيث الشملُ لم يتبدَّدِ

وعاتَبْتُــــه والظنُّ أيْأس طامعٍ ... فجاوبَنى والقلبُ أطمعُ مجتدِ [٤]

ولاطَفْتُه حتى استملتُ فؤادَه ... فيالَك سَعْداً بعضُــه لِينُ جَلْمَدِ

وبِتُّ كأن الدهرَ ألقى زِمامَه ... إلىَّ وصافانى فأحرزْتُ مَقْصِدِى [٥]

وحَكَّمنى مِن جِيــده وهْو عاطِلٌ ... فحَــلاَّه دَمعى بالجُمان المُنضَّدِ

إلى أن نَعى بالبَيْن صُبْحٌ كأنه ... غرابُ النوى لكنه غــيرُ أسودِ

***

من مديحها [٦] :

به دَرَّ ضَرْعُ المَكرُماتِ وثُقِّفتْ ... قَنا الفضلِ وانهلَّتْ غوارِبُ للصَّدِى

يُساقِطُ من فِيه المعانى كأنهــــا ... فرائدُ دُرٍّ فى ترائبِ خُرَّدِ

---

(١) القصيدة فى ديوانه (العقود الدرية) ١٢ ، ١٣ ، إعلام النبلاء ٦/٣٦٢ — ٣٦٤ ، خلاصة الأثر ٤/٣٧٧ ، ٣٧٨ . (٢) فى الديوان : « بالدجنة مهتدى » . (٣) فى الأصول : « وما رق لو لم يرأ حينى » ، وفى الديوان : « لو لم يدر حينى » ، وفى إعلام النبلاء : « لو لم يدر وجدى » ، وفى خلاصة الأثر : « لو لم يرع وجدى » ، ولعل الأولى ما أثبته .

وفى ا ، والديوان : « فى ثوب الحداد المرقدى » ، وفى ب ، والخلاصة : « فى ثوب الحداد لمرقد » ، وفى إعلام النبلاء : « فى ثواب الحداد المرقدى » ، والمثبت فى : ج .

(٤) فى ب ، ج : « والظن أيأس مطمع » ، والمثبت فى : ا ، والديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر . (٥) فى ب : « إلى فصافانى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والإعلام ، والخلاصة .

(٦) لم ترد هذه الأبيات فى ديوانه ، كما لم ترد فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

ومن كلِّ سطرٍ فوق طِرْسٍ كأنه عِذارٌ تدلَّى فى عوارِض أَمْرَدِ

* * *

ومن مُقطَّعاته قوله مضمِّنا[1] :

قلتُ لما أن بدا فى خــدِّه زَرَدُ العارِض نَبْتًا وانتضَدْ

أنَبَاتٌ لاح فى خدَّيك أم نسجَ الرِّيحُ على الماء زَرَدْ

* * *

قلتُ : أجاد فى هذا التضمين ، ولطُف فى نقله .

وأصلُه ما قال صاحب بدائع البدائه[2] : رُوِى عن عبد الجبار بن حَمْدِيس الصِّقِّلِّىّ ، قال : صنع عبد الجليل بن وَهْبون المرْسِىّ الشاعر لنا نُزهة بوادى إشْبِيلِيَة ، فأقمنا فيه يومنا فلما دنت الشمسُ للغروب هبَّ نسيمٌ ضعيف غضَّن وجه الماء ، فقلت للجماعة : أجيزوا

* حاكتِ الرِّيحُ من الماء زَرَدْ *

فأجازه كلٌّ منهم بما تيسَّر له[3] .

فقال لى أبو تمَّام غالب بن رَباح الحجَّام[4] : كيف قلتَ يا أبا محمد ؟

فأعدت القَسيم له .

فقال :

* أىُّ دِرْعٍ لقتـالٍ لو جَمَدْ[5] *

ثم قال صاحب البدائع ، بعد ما سبَق : وقد نقله ابن حَمْدِيس إلى غير هذا الوصف ، فقال[6] :

---

(١) البيتان فى ديوانه (العقود الدرية) ٥٥ .

(٢) بدائع البدائه ١/٦٣ ـ ٦٥ وتصرف المحبى فى النقل . (٣) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا ، والبدائع . (٤) فى الأصول : « الحجاج » ، والمثبت فى البدائع . (٥) فى ب : « أى در » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والبدائع . (٦) ديوان ابن حديس ١١٧ .

نثرَ الجوُّ على التُّرْبِ بَرَدْ أيُّ دُرٍّ لنُحُــورٍ لو جمَدْ

فتناقض المعنى بذكر البَرْد لو جمَد ، إذ ليس البَرد إلا ما جمَّده البرد ، اللهم إلا أن يُريد بقوله : « لو جمد » لو دام جمودُه ؛ فيصح .

ومثل هذا قول المعتمِد بن عبَّاد ، يصف فوَّارة[1] :

ولرُبما سلّت لنا من مائهـــا سيفا وكان عن النواظر مُغْمَدَا

طبعتْ لجُيْناً ثم زانت صَفْحَةً منه ولو جمَدتْ لكان مُهنَّدَا[2]

وقد أخذ المقَّرِىّ[3] هذا المعنى ، فقال يصف روضا :

لو دام هذا النَّبْتُ كان زَبَرْجَداً ولو جمَدتْ أنهـارُه كُنَّ بَلُّورَا

وهذا المعنى مأخوذ من قول على التُّونُسِىّ الإيادىّ ، من قصيدته الطائية المشهورة :

ألُؤْلُؤٌ قَطْرُ هــذا الجوِّ أم نُقَطُ ما كان أحسنَه لو كان يُلْتقطُ

والمعنى كثير للقدماء ، قال ابن الرُّومىّ ، من قطعة فى العنب الرَّازِقىّ[4] :

لو أنه يبْقَى على الدهورِ قرَّط آذانَ الحسان الحُورِ

***

عوداً على بدء .

ومما يشبه ما حاوله فى التَّضمين قولُ عزِّ الدين المَوْصِلِىّ[5] :

كالزَّردِ المنظـــومِ أصْداغُه وخـــدُّه كالوردِ لمَّا وردْ

---

(١) البيتان فى ديوان المعتمد بن عباد ٢٩ . (٢) فى الديوان :

* طبعتْه لُجَيْناً فذابتْ صفحةً *

وفى البدائع : « طبعته لجيا فزانت صفحة » .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى البدائع : « وقد أخذت أنا هذا المعنى ، فقلت أصف روضا : » .

(٤) العنب الرازق : هو الملاحى . القاموس (رزق) .

والبيت فى ديوان ابن الرومى ١٩٥

(٥) عز الدين على بن الحسين بن على الموصلى ، الشاعر المشهور .

نزيل دمشق ، وصاحب البديعية التى عارض بها بديعية الصفى الحلى .

توفى سنة تسع وثمانين وسبعمائة .

الدرر الكامنة ٣/١١٢ ، ١١٣ .

بالغَتُ فى اللَّثْمِ وقبَّلتُه ... فى الخدّ تقبيلاً يفكُّ الزَّرَدْ

* * *

وللباخَرْزِىّ فى ذم مَن تعذَّر[١] :

قد كسا اللهُ صُبحَ خدَّيْه ليلاً ... وطَلى ذلك البياضَ سَوادَا[٢]

أصبحتْ ماه وَجْنتَيْه سَراباً ... وغدَت جمرةُ الجمال رَمادَا[٣]

* * *

وله أيضا[٤] :

نادى لوَ أن الفِدا يُجـــدِى ... قِفوا انْظروا ما أصاب خَدِّى

قد كان ورداً بغـــير شوكٍ ... فصار شوكاً بغـــير وردٍ[٥]

* * *

مثله لذى الوزارتين أبى الحسن بن الحاجّ :

أبا جعفرٍ مات فيك الـكمالُ ... فأظهر خدُّك لبسَ الحدادِ[٦]

وقد كان يُنبِت وردَ الرياض ... فأصبح ينبتُ شَــوْكَ القَتادِ

ولعرْقَلَة الـكَلْبِىّ[٧] :

إذا ما الأمْــرَدُ المصقول جاءتْ ... عوارضُه فنقْصٌ فى ازْديادِ

---

(١) ديوانه (العقود الدرية) ٥٥ .

(٢) رواية صدر البيت فى الديوان :

* قلبَ اللهُ صبحَ خدَّيْه ليلاً *

(٣) فى الديوان : « فغدا ماء وجنتيه . . . جمرة الجمال جمادا » . (٤) ديوانه (العقود الدرية) ٥٥ .

(٥) » ب : « قد كان وردا من غير شوك » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان .

(٦) فى ب : « أبى جعفر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٧) عرقلة ، هو : حسان بن نمير الـكلبي ، النديم ، أبو الندى ، الأعور .

شاعر ، من سكان دمشق ، وعده السلطان صلاح الدين حين كان من أمراء نور الدين أنه إن ملك مصر أعطاه ألف دينار ، فلما سير إليه الأموال بعد ملك مصر فجأه الموت ، فلم ينتفع بفجأة الغنى .

وكانت وفاته سنة سبع وستين وخمسمائة ، وقد قارب الثمانين .

شذرات الذهب ٤/٢٢٠ ، فوات الوفيات ١/٢٢٢ ـ ٢٢٧ .

وهل يَستحسِنُ الإنسانُ روضاً إذا ماحَـــلَّه شوكُ القَتـادِ

***

ومن بدائعه قوله من قصيدة ، قالها وهو بالرُّوم يتشوّق إلى ألْباب [1] :

تذكَّرَ بالْباب ظبياً غَرِيرَا وعيشـاً رقيقَ الحواشِي نَضِيرَا

وعهـــداً ترِفُّ أساريرُه قطفْنا به العيشَ غضّاً نضيرَا

مَساحِبُ أذيالِ لهوٍ بهـــا لبِسْنا الشبابَ طرِيّاً طَرِيرَا

وفى سَفْحِ تَيْماء وادٍ أغَنُّ ثَراه تراه يفُتُّ العَبِيرَا [2]

نسيماً عليلاً وظلاً ظليـــلا وماء نميرا وروضا مَطِيرَا

تُعانِقُ فيه الغصونُ الغصونَ ويلْطِم فيـه الغديرُ الغديرَا [3]

وللوُرْقِ صَدْحٌ بأفْنانِهـــا كألْحانِ داود يتلو الزَّبورَا

وأثَّر فَرْطُ اعتْلالِ النسيـم فى حركات الغصونِ فُتورَا [4]

وللرِّيح بالطـــيرِ فوقَ الغصو نِ عبَثٌ به يستخِفُّ الوَقورَا [5]

فبيْنا يـــكاد يَمَسُّ الثرى بهـا إذْ يـكاد يمَسُّ الأثيرَا [6]

وماء يسِـحُّ على وجهِــــه ويسرَح فى كل وادٍ مُغيرَا [7]

فـــلولا تشبُّثُ حَصْبائِه به كادمن خِفَّة أن يطيرَا [8]

---

(١) القصيدة فى ديوانه (العقود الدرية) ٣٥ ـ ٣٧ .

(٢) هذا البيت ملفق من بيتين ، جاءا فى الديوان هكذا :

وفى سَفْحِ تيْماء وادٍ أغنُّ يُنبتُ نَوْرًا ويُثمِرُ حُورَا

إذا مَسَّ فاضلُ ذيلِ الصَّبا ثَراه تراه يفُتُّ العَبِيرَا

(٣) فى ب : « تعانق فيه غصون الغصون » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان .

(٤) فى ب ، ج : « فى حركات غصون فتورا » . والمثبت فى : ا ، والديوان .

(٥) فى الديوان : « فوق الغصو * ن بها عبث يستخف الوقورا » .

(٦) فى الديوان : « بها أو يكاد » .

(٧) فى الديوان : « وماء يسيح » .

(٨) فى ب : « كاد من خفقه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان .

إذا ما استدار خلال الرياضِ تخال مَعاصِم ضمّت خُصورَا [1]

* * *

وقوله في الغزل [2] :

كأنمـــــا أوقفَ اللهُ العيونَ على رُؤيا محاسنِه لاصابهـــــا ضَرَرُ [3]

فلو بدا من وَرا المرآةِ لانحرفتْ عن أهلِها حيث دارتْ نحوهُ الصُّوَرُ [4]

* * *

وكثيرا مايُسأل عن معنى البيت الثاني ، وأحسن مايُوجَّه به ، أن قوله « من ورا » ، أي من خلف المرآة ، « لانحرفت » الصور حيث سارت محاسنه ؛ لأن الأبصار وَقفْ [5] على محاسنِه ، والمراد من الصور المنحرفة الداخلة المرآة .

وإنما أفردَ المرآة وجمَع الصُّوَر ، مع أن في المرآة صُورة واحدة ؛ لأن المرآة الواحدة يمكن أن يُرسم فيها صورٌ كثيرة ، على طريقة البَدليَّة ، ولا تتعدد المرآة .

والصُّوَر فاعل انحرفت ، وفاعل سارت ضميرٌ راجع إلى محاسنه .

* * *

وله [6] :

ولي نفسُ حُرٍ لا مُنَى تسترقُّها ولا مَطمَعٌ نحو الهَوانِ يُديرُها

متى استكبرتْ تصغُرْ وإن هي صُغِّرتْ تساوَى لديهـا عبدُها وأميـرُها

(١) هذا البيت ساقط من : ب . وهو في : ا ، ج ، والديوان . (٢) ديوانه (العقود الدرية) ٥٥ .

(٣) عجز البيت في الديوان :

* مرْأى محاسنِه لا شانَها نَظَرُ *

(٤) البيت في الديوان :

فلو تجلَّى وَرَا المرآةِ لانحرفَتْ إلى مُحيّاهُ عن أربابِها الصُّوَرُ

(٥) في ب : « وقفت » ، والمثبت في : ا ، ج . (٦) الأبيات في ديوانه (العقود الدرية) ٥٥ . (نفحة الريحانة ٢/٢٩)

إذا لمستها كفُّ عزٍّ تطامنتْ   وإنْ خفضتْها عن هونٍ تُطيرُها

* * *

وله ، وهى من غُرَره [١] :

كاد يسعى للتصابي أوسعى   ونهاه ما عنف حتى نزعا

الحبّ لاسامح اللهُ الصِّبـــا   نبّهتْ من غيّـــه ماهجعا

واستثارتْ من أقاحي لُبّـه   صَبْوةً كان رثاها ونعى [٢]

قد صبا ضَوْعَ هواه ماصبـــا   ورعى شُهْبَ الدياجي مارعى

هجرتْ سرّه ليلُ الصِّبا   غضّ عنها صُبحَ فودٍ طلعا [٣]

وعِذارٍ قــد أقلّته النُّهى   فإنْ استأنفت فيه لالَعَا [٤]

زعموا إنْ أسكتتْنى شقّةٌ   بالقوافي أن طبعي رجعـــا [٥]

ونسوا ذلك القطرَ الذي   زاد في الرِّقة حتى انقطعـــا

والمعـــانى اللاى أنّى أُنشِدتْ   تلبَس العقدَ الغوانى جزَعا [٦]

غيـــرهم منّى ســـكوتٌ كلّه   كلماتٌ تُسمِـــع الصُّمَّ الدُّعا

وخُمود تحته جَزْلُ الغضـــا   وسكونٌ تحتـــه الرأىُ سعى

في حريمِ الشِّعر مالى وله   خَلّةٌ سُدّتْ وعىٌّ أقلعا

* * *

---

(١) القصيدة في ديوانه (العقود الدرية) ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) هذا البيت والبيتان التاليان له مما سقط من : ج ، وهو في : ا ، ب ، والديوان .

(٣) في الديوان : « غض عنها صبح فود » . (٤) في الديوان : « وعذار قد أقاله النهى » .

(٥) في الأصول : « إن أسكتتنى ظنة » ، والمثبت في الديوان . (٦) في ا ، والديوان : « والمعانى اللائى » ، والمثبت في : ب ، ج .

قوله: «زاد في رقة» نقله من قول ابن مليك[1]، في الغزل[2]:

لين الأعطاف من خصره ... رق حتى كاد أن ينقطعا

* * *

وقوله: «تمس العقد الغوالي»، من قول المنازي[3]:

تروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

* * *

وله من قصيدة طويلة، مستهلها[4]:

حولت عهد عيشه الأهوال ... واستحالت من بعدها الأحوال[5]

سل رسوم الربوع عنها وما يجـ ... ـدي سؤال عنه الجواب السؤال

قد وقفنا نبكي الطلول بها حتى ... بكتـ ـت بدمعها الأطلال[6]

---

(١) علاء الدين بن مليك هو: علي بن محمد بن علي الحموي، الدمشقي، الفقاعي، الحنفي.

ولد بحماة، سنة أربعين وثمانمائة، ودرس الأدب والنحو والعروض، ثم قدم دمشق فتكسب ببيع الفقاع، وهو شراب يتخذ من الشعير، ثم ترك واشتغل بالعلم والأدب. وبرع في الشعر، وجمع لنفسه ديوانا.

توفي سنة سبع عشرة وتسعمائة.

خبايا الزوايا، لوحة ٥٣ ب، ديوان الإسلام، لوحة ٨١ ا، ريحانة الألبا ١/١٨٨، الكواكب السائرة ١/٢٦١.

(٢) ديوانه (النفحات الأدبية من الرياض الحموية) ٤٠.

(٣) أبو نصر أحمد بن يوسف المنازي.

من أعيان الفضلاء، وأماثل الشعراء.

وزر لأبي نصر أحمد بن مروان الكردي، صاحب ميافارقين وديار بكر.

وتوفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.

وفيات الأعيان ١/١٣٨ ـ ١٤٠، ترجمة رقم ٥٨.

والبيت في: معجم البلدان، ووفيات الأعيان ١/١٣٩، ونقل ريحانة الألبا ١/٢٦٨، ٢/٥١، ٩٧، ٤.

(٤) القصيدة في ديوانه (العقود الدرية) ١٧ ـ ٢٠، وفيها يمدح عبد الرحمن بن الحسام، لما ولي قضاء الشام.

(٥) في ب: «واستحالت من دونها». والمثبت في: ا، ج.

ورواية الديوان للبيت:

حولت عهد مية الأهوال ... واستحالت من بعدها الأحوال

(٦) في ا: «بكينا بدمعها»، والمثبت في: ب، ج، والديوان.

وعجِبنـــا لِرَبْعِها كيف أقْوَى مُطرقًا واسْتحال ذاكَ الجمالُ(١)
ساكِنٌ فى السكون منه اضْطرابٌ ساكتٌ فى السكوت منه مَقالُ
صرَفَتْ نَقْدَه صُروفُ الليــالى واستخفَّتْ به الخطوبُ الثِّقالُ
عَهِدْنا فى ذُراه يُستأنَسُ الأُنْـ ـسُ وتُستَرْوَح الصَّبا والشَّمالُ(٢)
غادَرَتْه الأغيـــارُ تُستوحَش الـ ـوَحْشةُ فيه وتُوجَل الأوْجالُ(٣)
ياأثيلاتِ مَسْرحٍ أقبـــل الإدْ بارُ فيه وأدبر الإقبـــالُ
با كَرَتْكُنَّ عن عيون الغوادِى إن عَرا كُنَّ من دموعى المَلالُ(٤)
طالمـــا بات للجمال مَقِيـــلٌ فى ذُرا كُنَّ والعِشارِ مقـــالُ
وزمانٍ ماطال بالوصـــلِ حتى قَصَّرتْه أيامُ هَجْرٍ طِوالُ(٥)
أخلقتْ جِـدَّةُ النَّوى ذلك العهْـ ـدَ وولَّى داعى النعيم الخيالُ(٦)
أى ذنبٍ نُعاتب الدهرَ فيـــه وعتـــابُ الأيام داءٌ عُضالُ(٧)
أنا مابين فُرقةٍ تجمع الشَّـ ـمْ وبُعْـــدٍ تدنُو به الآجالُ
وخُطوبٍ أَلِفْتُهـــا يستعيذُ الْـ ـخوفُ منهـــا وتذْعَر الأهوالُ
وأمانٍ تُجـــاذب الدهرَ ذيلَ الْـ ـحظِّ والدهرُ جاذبٌ جَـــدَّالُ
هِمَّـــةٌ أرَّقتْ جفونَ الأمانى بوُعودٍ للدهر فيهـــا مِطالُ
واشْتغالٍ فرَغتُ فيه عن اللهْـ ـوِ بأمرٍ للحظِّ عنـــه اشْتغالُ
أتمـــنَّى من الزمانِ وفاءً ووفاءُ الزمان أمرٌ مُحــــالُ

***

(١) فى الديوان : « واستحال ذاك الجمال » . (٢) فى ب : « يستأنس الأسد » ، وفى الديوان : « تستأنس الأ* س وتستروح الصبا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « غادرته الأغدار » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان . (٤) فى الديوان : « با كرتكن من عيونى الغوادى » ، وفى ج : « إن غرا كن » ، وفى الديوان : « من عيونى الملال » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) فى الديوان : « وزمان ما طاب » . (٦) فى ا ، ب : « ولى داعى النعيم الخيال » ، والمثبت فى : ج ، والديوان .
(٧) فى الديوان : « نعاتب الدهر فيه » .

وله من أخرى ، أولها[1] :

أَقَبُول تنفَّستْ أم قَبولُ ... أم شَمالٌ دارتْ بنا أم شَمُولُ

نشرتْ نَشْرها النَّدِيّ كأنّ الـ ... أُفْق بُرْدٌ من الكِبَا مَبْلولُ[2]

مَهْلاً يسْتَرِحْ سَنامُك من وَقْـ ... ـرِ الشَّدّ فالأَناةُ أمرٌ جميلُ[3]

واسْعِدينا بوَقْفةٍ نَسْمَةِ الشَّـ ... آمِ فقد يرحمُ العليلَ العليلُ

كيف خلَّفْت دارَ أُنْسٍ وما الأُنْـ ... ـسُ فَمَهْدى بالأُنس عهدٌ طويلُ

أيّ عصرٍ قطعتُ فيها وليلى ... سَحَرٌ كلُّه ويومى أصِيلُ[4]

بوُجوهٍ متى تبدّتْ تبدّى التَّـ ... ـكبيرُ من حولِهنّ والتَّهْليلُ

***

التكبير والتهليل للتعجُّب ، مما استعمله المُولَّدون .

قال المتنبى[5] :

كبّرتُ حول ديارهمْ لمّا بدتْ ... تلك الشموسُ وليس فيها المشرقُ[6]

ووقع[7] فى مجلس أبى بكر بن زُهْر[8] ، أن بعض أدباء الأندلس كان عنده ، فدخل فاضل من أهل خُراسان عليهم ، فأكرمه ابنُ زُهْر ، وأجلّه .

فقال الأندلسىّ : ماتقول فى علماء الأندلس وأدبائهم وشعرائهم ؟

---

(١) لم ترد هذه القصيدة فى ديوانه . (٢) الكباء : عود البخور ، أو ضرب منه . القاموس (ك ب و) .

(٣) فى ا : « يسترح سنامك من قر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ب ، ج : « الشذا فالأناة » ، والمثبت فى : ا . (٤) فى ا : « وليلى أصيل » ، وفى ب : « ونوى أصيل » ، والمثبت فى : ج .

(٥) ديوان أبى الطيب ٢١ . (٦) فى الديوان : « منها الشموس » . (٧) نقل المحبى هذا الفصل عن الريحانة ١/٤٥٥ ، ٤٥٦ . (٨) أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادى ، الأندلسى الإشبيلى .

لم يكن فى زمانه أحذق منه بصناعة الطب ، أخذها عن أبيه ، وله شعر رقيق ، وموشحات انفرد فى عصره بإجادة نظمها .

توفى سنة خمس وتسعين وخمسمائة .

معجم الأدباء ١٨/٢١٦ .

فقال : كَبُرَتْ .

فلم يفهم جوابَه ، واستبرده .

فلما فهم ابنُ زُهْر إنكارَه ، قال : قرأتَ شعر المتنبي ؟

قال : نعم ، وحفظته .

قال : أما سمعتَ قوله : . . . . وأنشــد البيت ، فعى نفسُت فتـكبّر ، وتفهمت التُّهَمْ وأنْـكر .

فخجل ، واعتذر .

* * *

ومثله[1] استعملوا « الصلاة على النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم » .

قال شيخُ الشيوخ بحَماة :

فَمَنْ رأى ذلك الوش[illegible]حَ الصائمَ صلَّى على محمدْ

ولبعضهم فى وصف خط[2] :

خطٌّ كما انفتحتْ أزاهيرُ الرُّبَى مُتنزَّه الألبابِ قَيْدُ الأعْيُنِ

وبلاغةٌ مِلْءُ العيونِ مَلاحةً نالَ النبىُّ بها صلاةَ الألسُنِ

وقد منعها النَّوَوِىُّ[3] فى مثل هذا شرعاً .

قال : والوارد فى مثله « سبحان الله » ، كذا ذكره فى أذكاره .

---

(١) نقل المحبي هذا الفصل أيضا عن ريحانة ١/٥٣، ٥٤ . (٢) لم يرد هذان البيتان في الريحانة .

(٣) أبو زكريا يحيى بن شرف النووى .

من كبار الشافعية ، ومن أعظم مصنفي الفقه .

توفى سنة ست وسبعين وستمائة .

طبقات الشافعية الكبرى (الطبقة السادسة) ٥/١٦٥ .

وقد صرح النووى بالمنع ، فى الأذكار ٤٠ ، كما سيأتى ، وانظر الأذكار ٦٨ ، ٦٩ .

وقال الحَلِيمِيّ[1] : إنه جائز بلا كَراهة .

وبيَّنوا[2] وجهَه فى فقههم .

※※※

وله من قصيدة ، أولها[3] :

عُوجا على رَسْمِ ذلك الطَّلَلِ ... نَقْضِى حقوقَ الليالِى الأُوَلِ

لعــلَّ نَثْنِى أعطافَه ثانيةً ... وقد ترجَّيْتُ غيرَ مُحتمَلِ[4]

فالدهرُ يأبَى إبقاءَ مُغتنَمٍ ... فكيف يُرْجَى لِرَدِّ مُرتحِلِ

لكلِّ ماضٍ من شِبْهِهِ بدَلٌ ... وما لعهدِ الشبابِ من بدَلِ

سقى لُوَيْلاتِنا بذى سَلَمٍ ... كلُّ مُلِثِّ الرَّبابِ مُنْهمِلِ[5]

معاهدٌ طال ما اقتطفتُ بهــا ... زَهْرَ الهنا من حدائقِ الجذَلِ

وأطْلَعَ السعدُ فى مَعالمِهـا ... بَدْرَ المُنَى فى غياهبِ الأمَلِ

حيث قُطوفُ اللَّذاتِ دانيــةٌ ... ومَورِدُ اللهوِ مُغدِقُ النَّهَلِ[6]

نعثُر فيهـا بذَيْلِ لَذَّتِنا ... فى هِضابِ العِناقِ والقُبَلِ[7]

---

(١) أبو عبدالله الحسين بن الحسن الحليمى .

أحد أئمة الدهر ، وشيخ الشافعيين بما وراء النهر ، كما يقول تاج الدين السبكى .

توفى سنة ثلاث وأربعمائة .

طبقات الشافعية الكبرى ٤/٣٣٣ .

(٢) أى الشافعية ، كما جاء فى الريحانة .

(٣) القصيدة فى ديوانه (العقود الدرية) ١٣ ــ ١٦ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٦٤ ــ ٣٦٦ ، وخلاصة الأثر ٤/٣٧٨ــ٣٨٠ ، قالها يمدح عبد الرحمن البتروني .

(٤) فى الديوان : « لعل تثنى أعطافه » ، وفى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « أعطاف ثانية » .

(٥) الملث : الدائم المتتابع .

(٦) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « ومورد الأنس » .

(٧) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر :

نعثُر تيهاً فى ذَيْلِ لَذَّتِها ... فى هِضَباتِ العِناقِ والقُبَلِ

بكلِّ مُستوقِفِ العيون سَنًا   يدعُو فراغَ القلوبِ لشُغْلِ [1]

***

الشغل فيه أربع لغات : شُغْل ، وشُغُل ، وشَغْل ، وشَغَل .

***

أثقَلَ أعطافَه بحَقْتِــــه   ألطفُ القَصبِ تخفُّ بالثِّقَلِ

وعُطِّلَتْ من حَلْيِ الثَّباتِ عِــذَا   رادُ تخلاه الحُسنُ بالعَطَلِ [2]

إذا رمتْنـــا من قوسِ حاجبِه   سهامُ جَفْنَيْه ما بنُو ثُعَلِ [3]

وارْحمتـــا العاشقين قد دهَمَتْ   بِهِمْ المنايا في صورةِ المُقَلِ [4]

وقد تفاءلْتُ من مَصارِعِهِمْ   أنْ تَلافِي بالأعيُنِ النُّجْـــلِ

أمَا لقــد جُرِّعَ الأسَى وهوَى   أهْوَيْتُ من أجلِه على أجَلِي [5]

فذا الذى حَجَبَتْ محاسنُه   عنّا مَساوِى الصدودِ والمَلَلِ

من كان عنّى قبل النَّوَى صلِفًا   أبْعدُ من مَسمعِى عن العَذَلِ [6]

مازدتُ عنه بُعداً بفُرقتِــــه   لا واخَذَ اللهُ البَيْنَ من قِبَلِي

***

---

(١) في ا ، والديوان : « فراغ القلب لشغل » .   (٢) في ا : « عذاره خلاه » ، وفي ج : « عذراه خلاه » ، والمثبت في : ب ، والديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر ، وفي الديوان : « خلاه الجمال بالعطل » .

وبعد هذا البيت في الديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر ، زيادة :

أَلْقَى عليـــه الجمالُ حُلَّتَه   وحــاكَهُ الحسنُ أحسنَ الحُلَلِ

(٣) بنو ثعل بن عمرو : قبيلة من طيء ، عرفوا بجودة الرمي ، ولامرئ القيس فيهم مدائح . انظر فهرس القبائل في ديوانه .   (٤) في الديوان : « وارحمة العاشقين » .

(٥) في إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « أمى لقد أزعج الأسى وهوى » .

(٦) في الديوان : « قبل الهوى صلفا » .

منه فى المدح :

أقام للفضـــــل دولةً حسُنتْ — والوصفُ بالفضل أفضلُ الدُّوَلِ (١)

وستر الظلمُ من عدالتِـــــه — بين حُصون الظِّباء بالكَحَلِ (٢)

وأبيضَ العدلِ ما تركتَ بهـــا — سوادَ ظُلْمٍ إلا من المُقَلِ (٣)

وعتدلتْ حيث ما استمرّ بها — لولا قدودُ الحسانِ ذُو مَيَلِ (٤)

ما كنتُ أدرى من قبل رُؤيتِه — كيف انحصار الأنامِ فى رجلِ

حتى رأيتُ امْرَأً يقوم له الدّ — هْرُ على ساقِه من الوَجَلِ

إن ادّعى مبصرٌ له شبهـــــا — فاحكُم على ناظرَيْه بالحَوَلِ

* * *

هذا فى ستعمالهم كثير ، ومن أبلغه قولى (٥) فى غلام أحْول :

بنفسِىَ من أخلصتُ قلبى لأجْلِه — فما اخترتُ عنه قطُّ أن أتحوّلَا (٦)

بديعُ جمالٍ لا يرى طرفُ ناظرٍ — نظيراً له حُسْنا ولو كان أحْوَلَا

* * *

ومن قصائده ، ميميّته التى أهداها شنَبا لثغر الأدب الباسم ، وبعثها رُوحا فى مجارى القَبول القاسم (٧) :

تلك الطُّلولُ طلولُ سَلْمَى — فاقْضِ بها للدمعِ حَتْما

دِمَنٌ غرستُ بهـــــا الهوى — فجنيْتُـــــه كَمَداً وسُقْما

---

(١) عجز البيت فى الديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر :

* ودولةُ الفضلِ أفضلُ الدُّوَلِ *

(٢) فى الديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « بين جفون الظباء » . (٣) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « بأبيض العدل » . (٤) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « واعتدلت حتى ما استمر بها » . (٥) فى ا : « قولهم » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى ا : « فاخترت عن حبه أن أحولا » . (٧) القصيدة فى ديوانه (العقود الدرية) ٢٠ ـ ٢٢ ، يمدح نجم الدين الحلفاوى .

وانشُد هنالك مُهجـةً   بصريعة الأحـداق تُسْمَى

خلقتُهـا يوم النوى   لسهامِهـا غرَضا ومَرْمَى

وأظنهـا لم يُبْقِ منـ   ـها حبُّ ذاك الظبي رَسْمَا (١)

صنمٌ كأنّ الله صوّ   رَهُ من الأرواح جسما

وكأنمـا مُزِج الصَّبا   حتى تكوّن منـه بألما

وجَنـاتُه رقّتْ فكا   دتْ من خيالِ الوهمِ تَدْمَى

وصفَتْ معاطفُـه فكا   دتْ بهـا الغلائلُ أن تنمّى

نفسٌ عليـه يا نطا   قُ فقد كدَدْتَ الخصرَ ضَمّا

واخففْ مُزورَّدُ يا نسيـ   ـمُ فقد خدَشْتَ الخدَّ لَثْما

إنّي غضضْتُ الطرفَ خو   فًا أن يُؤثّر فيـه حتْمَا (٢)

نَشْوانُ من خمرِ الدلا   لِ مُعشَّقُ الحركاتِ ألْمَى

عُوِّضتُ فيـه عن هدا   يَ وصحّتي غيًّا وسُقْمَا

إن الذى قَسَم الهـوى   جعـل القنا لى منه قِسْمَا

لا واخَـذَ الله الدُّمى   بدمِي فقد هدرتْه ظُلْمَا (٣)

فإلى مَ يُكْحَل الجفـو   نِ وفيمَ تجفـونى ومِمّ

قـد تاه سلطانُ العيو   نِ على القلوب وجار حُكْما

تلك الصفـاحُ البيضُ لـ   ـكنّ المنـايا السودُ تُنْمَى

فكأنّما راشتْ لهـا   عزماتُ نجمِ الدين سَهْمَا

نجمٌ غـدا للحائريـ   ـنَ هُـدًى وللأعداء رَجْمَا

---

(١) في أ : «حب ذاك الظبي وسمه» ، والمثبت في : ب ، ج ، والديوان . (٢) في الديوان : «أن يؤثر فيه وهما» . (٣) في الديوان : «لا سامح الله الظباء» .

وله الأيادِي الغرُّ ترْ ... جِع أوْجُــه الحسّادِ دُهْمَا
لو حاربَتْه الشُّهْبُ لانْ ... قضَّتْ لديْه تروم سِلْمَا

***

منها (1) :

خُـــذْها إليك أبا القوا ... فى لا أراها اللهُ يُتْمَا
قد أطْلعتْ من كلِّ مَعْـ ... نًى فى سما علياك نجْمًا (2)
أوْهمْتُهـــا مدحَ السِّوَى ... فتميّزتْ بالغيظِ وَهْمَا

***

ومن مَصُوناته التى إذا (3) اشتهرت اشتغل الناسُ بها عن كل منظوم ، واحتفلوا بها احتفال بنى تَغْلِب بقصيدة عمرو بن كُلْثوم ، هذه الميميّة (4) :

عاد فانْقاد للهــــوى بذِمامٍ ... بعد ماودَّع الصِّبـــا بسلامِ
نسْمةٌ من رُبا الغدير استقرتْ ... من أقاصى الحشَى دَواعى الغرامِ (5)
نشأتْ من منابِت الشِّيح والقَيْـ ... ـصوم تروِى عن رَنْدِه والخزامِ
ذكَّرتْه عهدًا قديمًا وكم نبَّـ ... ـه ذكرُ العهودِ جَفْنَ الهُيامِ (6)
بوجوهٍ تجلّتْ صُوَرَ الأقْما ... رِ ترْنُو عن أعْيُنِ الآرامِ (7)
كل قَدٍّ يــكاد يعقِده اللّيـ ... ـنُ وتَثْنيه خَطْرةُ الأوهامِ

---

(1) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (2) فى ب : « فى كل معنى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان . (3) ساقط من : ا ، ج ، وهو فى : ب . (4) القصيدة فى : ديوانه (العقود الدرية) ٤٠ ـ ٤٢ ، قالها يشتكى الزمان . (5) فى الديوان : « من ربا الغوير » .

(6) فى الديوان :

ذكَّرتْه عهدًا قديمًا وكم نبَّـ ... ـهَ غيًّا ذكرُ العهودِ القدامِ

(7) فى ب : « بوجوه تجليت » ، وفى الديوان : « بوجوه جلت لنا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى الديوان : « ترنو بأعين الآرام » .

وفمٍ طيِّبِ المُقَبَّلِ والنَّكْـ ـهةِ يُبْدي عن مثلِ حَبِّ الغَمامِ

أَبْلَجٌ واضحُ الدليلِ بأنْ لَا جوهرَ الفردَ قابلُ الانْقسامِ(1)

ولذيذُ الحديثِ يقطرُ ظَرْفاً بتَثَنِّي جِيدٍ وهزِّ قَوامِ

لــكلا العاشقَيْنِ ينفُثُ سحراً شكلُ زُعْبوبةٍ وزِيُّ غلامِ(2)

* * *

هذا البيت آخذٌ بطرَفَي الحسن، تفتنّه له(3) من غَيْرتها الجفونُ الوُسْن .

وقد ذكر الباخَرْزيُّ في مثله بيتاً، وهو(4) :

لمذكَّرِ الخطواتِ غيرِ مؤنَّثٍ ومؤنَّثِ الخطواتِ غيرِ مذكَّرِ

ثم قال، في وصفه: «هذا بيتُ شعرٍ، يُساوي بيتَ تِبْرٍ، ففيه(5) قَلْبٌ يقبله كلُّ قلب» .

ومما يُقارب هذا قولُ بعضهم:

هو تحت العَجاجِ ليثُ عرينٍ وهو فوقَ الفِراشِ ظَبْيُ كِناسِ

* * *

زمنٌ مرَّ كلُّ عامٍ كيومٍ قِصَراً جرَّ كلُّ يومٍ كعامِ

هــكذا كلُّ مَغْنمٍ فهو عينُ الْـ ـغُرْمِ والوجدُ رائدُ الإعدامِ

ستَرى إن أعارَك الدهرُ عيناً أنْ دَرَّ الأيامِ للأيامِ

جلَّ باري الأمورِ في صُوَرِ الأضْـ ـدادِ أبْدَى لذّاتٍ بالآلامِ

---

(1) في ب: «أبلج أوضح الدليل»، والمثبت في: ا، ج، والديوان.

(2) زعبوبة: بيضاء حسنة رطبة حلوة. القاموس (ز ع ب).

(3) في ا: «لها»، والمثبت في: ب، ج. (4) دمية القصر (تحقيق) ١/٢٤٣، من قصيدة لأبي كامل تميم بن الفرج العائذي. (5) في الدمية: «وفيه».

وجلا العزَّ فى ملابس ذلٍّ ... وكسا الذلَّ صورةَ الإعْظامِ (١)

وأراك المخدومَ ناعمَ بالٍ ... وهْو أشقى الخدام بالخدّامِ (٢)

حسبُك القنع منصباً وكفى المرْ ... ءَ نعيماً مُطارَحات الكرامِ (٣)

هى أهنى مواردِ العيش لكنْ ... كدَّرتْها مؤونة الاحْتشامِ (٤)

من خشوعٍ ولات حين صلاةٍ ... واحْتراسٍ ولات حين صِدامِ

حركاتٍ تجرى على غير طبعٍ ... وقعودٍ مُعيّنٍ وقيـــامِ

وأشدُّ البلا على الرأسِ تُلقَى ... عِمّةٌ مثل ذِرْوةِ الأهرامِ (٥)

ولباسٌ يغرى النوائبَ بالأكـ ... ـنافِ ضاقِ الأذيالِ والأكمامِ (٦)

صاحبيَّ ابْغيا لنا خرجَ الهمْـ ... ـمِ داراً فبئْس دارُ الزّحامِ

واصْدُقانى ألسْنا بين ليـــلٍ ... ونهارٍ ، مالى حليفُ ظلامِ

واسْتعيرا لمقلتى هجْعةً عنْـ ... ـها مكانى يعودُ لو فى منامِ (٧)

من أمورٍ تقذى العيونَ وأخرى ... تصْدَع السمعَ مثل وخْزِ السهامِ

مَشْربٌ كلُّه قذًى سوّغتْهُ ... إلفُ هذا النفوسِ بالأجسامِ

ما أرى موتَ مَن فقدْنا من الإخـ ... ـوانِ إلا لفرْط شوقِ الحِمامِ

هلكُوا همّةً وأدركنا اللـ ... ـهُ بحُمْقٍ عشْنا به فى جَمامِ (٨)

مَن أراد العيشَ الهنيَّ فلا يُعْـ ... ـمِلْ فكراً فالعيشُ عيشُ السَّوامِ

---

(١) فى الديوان : « صورة الاحترام » . (٢) يعنى بالخدام الأولى المخدومين . ولم أر هذا الجمع .

(٣) فى الديوان : « محاضرات الكرام » . (٤) فى الديوان : « فهو أهنى . . . نغصتها مؤونة الاحتشام » . (٥) فى الديوان : « على الرأس تحت * عمة . . » .

(٦) فى الديوان :

ولباسٌ يغرى النوائبَ بالأكـ ... ـتافِ ضاقِ الأذيالِ فى الأكمامِ

(٧) فى الديوان : « مناى يعود لو فى المنام » ، وفى ب ، ج : « لو فى مناى » ، والمثبت فى : ا .

(٨) فى الديوان : « وداركنا الله » .

وَيْكَ حتى م نحن غرقى بحور الشـ ... ـعر أسرى سلاسل الأرقام [(١)]

قد عكفنا على غوايتنا نَفْـ ... ـرِبُ منها فى غاربٍ وسنام

قد غنينا عن الدروس بما تُمْـ ... ـلِى علينـــا صحائفُ الأيام

من عظاتٍ تُتْلى بغير لسان ... وسطورٍ خُطَّت بلا أقـلام

أرْمُسٍ دارساتِ عهدٍ وأخرى ... طامساتِ الصُّوَى وأخرى قِدام [(٢)]

ولوَ انَّ العيونَ زال غشاها ... لرأتْ كلَّ أخمصٍ فوق هام

بل وفى كل وردةٍ ألف خدٍّ ... وقضيبٍ يميسُ ألفَ قوام

فلكٌ دائرٌ وما هو إلّا ... أجـــلٌ ساهرٌ لقومٍ نيام

كم قرون طحنَّ أيضا وكم تطْـ ... ـحنُ أرحاؤهنَّ بالإعدام [(٣)]

***

وقوله : « ولو أن العيون » ، إلى آخر البيتين ، معنى دقيق ، وفى رُباعيّات عمر الخيّام بالفارسيّ من نوعه أشياء كثيرة .

ولى فى ترجمة رباعية من رباعياته :

فى الاعتبار بمَن مضى من قبلنا ... عِـبَرٌ وتلك هدايةُ المسترشد

فلكم طوتْ تربا ؤنا أمما وهل ... مَيْتٌ بغير ثرائها لم يلحد [(٤)]

حتى كأن شقيقها دمُ أسرةٍ ... سفكتْ دماءَهمُ عيونُ الخُرَّد

وبنفسجُ الروضِ النَّدِىِّ كأنه ... خِيلانُ وجناتِ الخدودِ الوُرَّد [(٥)]

---

(١) فى الديوان : « غرقى فى بحور الشعر » . (٢) فى ا : « أرمس دائرات عهدى » ، وفى الديوان « أرمس حادثات عهد » ، والمثبت فى : ب ، ج .
ويعنى بالصوى : العلامات .
(٣) فى ا : « وكم تطحن أرحاءهن بالإعدام » ، وفى الديوان : « وكم تطحن أرحاء هذه الأجرام » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ا : « بغير ثراها » ، وفى ج : « بغير ترابها » ، والمثبت فى : ب .
(٥) فى ا : « غيلان وجنات » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ومن هذا قول المنجكي [١] :

وإذا تأمَّلت الثَّرى ألفيْتَه ... غُرَرَ الملوكِ تُداسُ تحت الأرْجُلِ

وقول السيد عبد الرحمن بن النقيب [٢] :

كم ضَمت التَّرباءُ خَلْقًا قبلنا ... من آخرٍ يقفو سبيلَ الأوّلِ [٣]

حتى كأن أديمَها ممَّا حوتْ ... حبّاتُ أفئدةِ الملوكِ العُدَّلِ

والمشهور فيه قولُ أبي العلاء المعرّيّ ، من مرثيته الشائعة [٤] :

رُبَّ لَحْدٍ قد صار لحدًا مرارًا ... ضاحكٍ من تزاحُم الأضدادِ [٥]

صاحِ هذى قبورُنا تملأ الرُّحْـ ... ـبَ فأين القبور من عهد عادِ

خفِّفِ الوطْءَ ماأظن أديم الْـ ... أرضِ إلا من هذه الأجسادِ

وقد شاركه فيه مِهيار ، فى قوله [٦] :

رُويدًا بأخفاف المَطيِّ فإنما ... تُداسُ جِباهٌ فى الثَّرى وخدودُ [٧]

ومنزَع هذا كله قولُ أبي الطيِّب [٨] :

ويدفنُ بعضُنا بعضًا وتَمشى ... أواخرُنا على هامِ الأوالِى [٩]

يريد بالأوالى الأوائل ، وهو كثير فى كلامهم ، قال امرؤ القيس [١٠] :

---

(١) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول صفحة ١٣٦ ، برقم ٧ .

ولم أجد هذا البيت فى ديوانه ، ولعل الخطأ وقع فى خلط ، فنسب هذا البيت إلى المنجكى وهو لابن النقيب الآتى ذكره ، فإنى وجدت البيتين المنسوبين فيما بعد لابن النقيب فى ديوان المنجكى ١١٨ .

(٢) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء ، صفحة ٣٤ ، برقم ٦٤ . (٣) فى ا : « كم ضمت الترب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وديوان منجك . (٤) شروح سقط الزند ٣/ ٩٧٤ ، ٩٧٦ .

(٥) فى الأصول : «ضاحكا» ، والمثبت فى شروح سقط الزند . وترتيب هذا البيت فى القصيدة الثامن ، والاثنين بعده الرابع والخامس . (٦) ديوان مهيار ١/ ٣١٠ . (٧) فى الديوان : « جباه تحتها وخدود » . (٨) ديوان أبي الطيب ٢٥٧ . (٩) فى الديوان : « يدفن » بتشديد الفاء المكسورة .

(١٠) ديوانه ٢٨ ، وصدر البيت :

* كذبتِ لقد أُصْبِى على المرء عِرْسَهُ *

وتزن بها : أى تتهم بها . وانظر شرح « الخال » فى الديوان .

* وأمنع عِرْسِي أن يُزَنَّ بها الخالي *

أي الخائل .

* * *

عَودا إلى ما نحن فيه .

وما أحسن ظنَّه بربه ، حيث قال [١] :

لا أبالي إنْ قبضتُ على ... سُنَنِ الإسلامِ قطُّ عَنَه

رحمةُ اللهِ التي وسِعتْ ... كلَّ شيءٍ لا تضيقُ بِنَه

* * *

وهنا أنهى ترجمته بموشَّح له يذكر فيه عين الذهب [٢] ، ويندب عيشاً فيها ذهَب [٣] :

بِأبي ... وا بِأبي ... وا بِأبي ... جَرْعةً من ماءِ عينِ الذهبِ

* * *

يارعاهُ اللهُ من وادٍ وسيمْ ... رقَّ فيه الماءُ واعتلَّ النسيمْ

تُعرف النَّضرةُ فيه والنعيمْ ... عيشُنا فيه رَخِيُّ الَّلبَبِ

غفلتْ عنه عيونُ النُّوَبِ

* * *

حيث ما يَمَّمْتَ روضٌ وغديرْ ... وإلى جانبه ظَبْيٌ غَرِيرْ

وفِراشٌ مُتْقَنُ الوَشْيِ وَثيرْ ... كَمُلَتْ فيه دواعِي الطَّرَبِ

يؤخَذ الصيدُ به عن كَثَبِ [٤]

* * *

---

(١) ديوانه (العقود الدرية) ٥٦ .

(٢) في إعلام النبلاء ٦/٣٧٣ : « في بلدة الباب نهر يدعى نهر الذهب ، منه كالفضة [illegible] » . وفي معجم البلدان ٤/٨٣٩ : « نهر الذهب : يزعم أهل حلب أنه نهر وادي بطنان ، الذي [illegible] » .

(٣) الموشح في ديوانه (العقود الدرية) ٥٢ ، ٥٣ . (٤) في الديوان : « يؤخذ اللهو به عن كثب » .

وندِيمٍ شَبَّ في حِجــرِ الدلالْ ... لو عصرْتَ الظرْفَ من عِطْفَيهِ سالْ

قمــرٌ ينظر عن عينَيْ غزالْ ... وإذا ساجلْتَــــه بالأدبِ

يملأ الدلوَ لعَقْدِ الكَربِ

* * *

هذا من قول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب [1] ، حيث يقول [2] :

مَن يُساجِلْني يساجِلْ ماجِــداً ... يملأ الدلوَ إلى عَقْــدِ الكَرَبْ

والكرب : الحبل الذي يُشدُّ في وسط العَراقِي ثم يثلَّث ، ليكون هو الذي يملأ الماء فلا يَعفَن الحبل الكبير ، وهو مثل يضرب لمن يُبالغ فيما يلي من الأمر .

* * *

قم بنا نتنشقْ رُوَيحاتِ السَّحَرْ ... قبل أن تَصْــدا بأنفاس البشَرْ

هــذه الوُرْق تغنَّت في الشَّجَرْ ... وتنــاجَتْ في رءوسِ القُضُبِ

أن مَن ضيَّع ذا الوقتَ غَبِي [3]

* * *

قوله : « قبل أن تصدا » ، إلخ . من قول ابن الرُّوميّ :

وغيرُ عجيبٍ طِيبُ أنفاسِ روضةٍ ... مُنوَّرةٍ باتت تُراحُ وتُمْطَــرُ

كذلك أنفاسُ الرياضِ بسُحْرةٍ ... تطِيبُ وأنفــاسُ الأنامِ تغيَّرُ

* * *

دَأْبُنا شَمُّ ورودٍ وخُــدودْ ... وعِناقٌ من غصونٍ أو قُدودْ [4]

(١) شاعرها شمي ، معاصر للفرزدق ، توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك . سرح العيون ٣٤٣ ــ ٣٤٦ ، سمط اللآلي ٧٠١ ، نسب قريش ٩٠ .

(٢) البيت في : التمثيل والمحاضرة ٢٩٩ ، سمط اللآلي ٧٠٠ ، وتخريجه فيه .

(٣) في الديوان : « كل من ضيع » .

(٤) في الديوان : « من غصون وقدود » .

والهوى ألفُ خصورٍ بزُنودْ لذّةٌ ما شابَها من أشَبِ (١)
خلُصتْ من مُوبِقاتِ الرِّيَبِ

❊ ❊ ❊

نفَخ روحَ الرّاحِ في جسمِ الزُّجاجْ إنها تُثمِر عن فَيْضِ مِزاجْ (٢)
أيهـــا السّاقي فبادِرْ بالعِلاجْ رصِّعِ الشمسَ لنا بالشُّهُبِ
واسكُبِ الفضّةَ فوقَ الذّهَبِ





---

(١) الأشب : عدم خلوص الشيء .
(٢) في الديوان : « نفخ روح الراح . . . إنما تثمر . . . » .

١١١

السيد موسى الرَّامَحْمَدانى*

من صفوة آل أبى طالب ، وسُراة لُؤَىّ بن غالب .

تُقتبسُ من مشْكاته أنوارُ الصلاح ، وتُطلبُ من جانب طُورِه أطوارُ الفلاح .

طلع من قريته قبل أن يبلغ أشُدَّه ، وقد ربط نِطاق عَزْمِه وشَدَّه .

ثم ورد حِمَى الشَّهْباء الأزْيَن ، كما ورد مُوسى ماء مَدْيَن .

فوجد أمَّةً من الناس على مائها يُسيغون [١] ، كما وجد موسى على ماء مَدْيَن أمَّةً من الناس يسْقون .

فشرب من زُلالهم حتى ارْتوى ، وحدَّث عنهم بما سمِع وروَى .

ومن خَوارِقِه أنه خرق بحرَ القَرِيض فى تراجُع أمرِه ، وذلك بعد ماتجاوز عددَ المِيقات [٢] من سِنِى عُمْرِه .

والشاعر يقول [٣] :

وماذا يبتغى الشعراءُ منِّى وقد جاوزْتُ حدَّ الأربعينَ

(*) السيد موسى الرام حمدانى ، الحلبى ، البصير ، الشافعى .

ولد برام حمدان ، من قرى حلب ، ثم توطن حلب ، واشتغل بتحصيل الفنون .

وكان بارعا فى الرياضيات ، والعلوم الحكمية ، له معرفة بأخبار العرب ووقائعها .

وقد أبدع فى الشعر والأدب ، وكان متعصبا لأبى العلاء المعرى ، متانخا عنه .

وله مؤلفات ؛ منها : « نظم الأسماء الحسنى » .

توفى بحلب ، سنة تسع وثمانين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٣٥٣ – ٣٥٩ ، خلاصة الأثر ٤/٤٣٥ – ٤٤٢ .

(١) فى ا : « يسقون » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) يعنى ميقات موسى عليه السلام ، وكان أربعين ليلة ، وهو يعنى هنا تجاوز المترجم أربعين سنة .

(٣) البيت لسحيم بن وثيل الرياحى ، الأصمعيات ١٩ ، وروايته هناك :

وماذا يدَّرى الشعراءُ منى وقد جاوزتُ رأسَ الأربعينَ

فأظهر تلك البيضا[1] فى صنعة الشعر ، وسحر بالبَداهة والمعهود أنه يُبطل السحر .
فكان قلمُه كعصا سميِّه ثعبانَ البيان ، يتلقف ماتُلقيه سحرةُ البلاغة بين اللسان والبَنان .

إذا جاء موسى وألقى العصا ... فقد بطَل السحرُ والساحرُ[2]

ثم حُجِب بصرُه وكُفّ ، فأصبح لشرفِهِ محمولا على الأكُفّ .

* * *

وهو فى الشعر يوازِن شاعر مَعَرّة النُّعمان ، لكنهُ مُنزّه الفطرة عن مَعَرّة العُميان .
فمن غرائبه قصيدةٌ ، أرسلها إلى دمشق ، لأحمد شاهين[3] ، ضمن كتاب ولم يذكر اسمه ، وأرسله مع من يجهل حَدّه ورَسْمه .

والقصيدة مطلعها قوله :

* بانُوا فحدِّثْ عن الأحبابِ بِأطْلَلِ *

ومن جملتها :

أنّى توجَّهتِ الأظعانُ أينَ سَرَوْا ... مَن فى الهوادج ماذا وارتِ الكِلَلُ[4]

عن يَمْنة الحىِّ أم عن يَسْرِه ظَعَنوا ... أم شَمْألًا أم جَنُوبا سارت الإبلُ

بانُوا وفى العيْن منهم منْظرٌ حسَنٌ ... وفى الفؤاد كُلُومٌ ليس تَندمِلُ

* * *

فلما وصل الكتاب إلى الشاهينىّ ، سأل ناقلَه عن مُرسله ، فلم يزده على أنه رجل من أشراف حلب .

فأجابه الشاهينىّ بهذه الأبيات ، وأرسلها مع ناقل الكتاب :

---

(١) فى ا : « البيض » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٢١ .
(٣) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٩٦ ، برقم ٦ .
(٤) فى ج : « من ذا وارت الكلل » ، والمثبت فى : ا ، ب .

ومن عجبٍ دون العجائب عاجبٍ　　كتابٌ أتانا ليس يُعزَى لكاتبِ
كتابٌ كريمٌ حيث أُلقِيَ بيننا　　طربْنا وقلنا من أجلِّ مُكاتِبِ
وأذكَرَنا لمــــا أتانا مُنكَّرًا　　سليمانَ إذ لم تحظ منه بصاحبِ
وقلنــــا كريمٌ من كريمٍ وإننى　　لِعرفانِ مُنْشِيه لأطْلَبُ طالبِ
على أنه قبــــلًا سليمانُ لم يكنْ　　ليكتُب إلا واسْمُه غــيرُ غائبِ[1]

***

فراجعه بقصيدة طويلة ، قال فى آخرها :

إن ابن شاهينَ لا تُنْسى صَنِيعتُه　　لو أنها نصفُ بيتٍ خُطَّ بالشعرِ
أنا الكليمُ عَصاىَ غيرُ خافيةٍ　　إن شِمْتُها انبَجستْ عينٌ من الحجَرِ
عينٌ من المجد ترْمى من جوانبها　　نبلَ القصيد فترمى الأُسْدَ بالذُّعرِ
ونِسْبتى فى قُصَىٍّ نِسْبةٌ وسَطٌ　　أعنى بها نِسْبةَ المبعوثِ من مُضَرِ
ولستُ ذاكراً اسماً فى مُراسلةٍ　　يهدى بها النَّزْرَ من تمرٍ إلى هجَرِ[2]
هَضْماً لنفسِىَ عن قول الفقيرِ كذا　　وهكذا فى فُصول الآىِ والسُّوَرِ

وصل كتابُك فملأ العيون ضياء ونوراً ، والقلب فرحة وسروراً .

لكن شَمَمْتُ من اختصار نظمه إشارةً خفيّة ، وتوسَّمْتُ فى أفانين نَثْره عبارةً جليّة ، وتأولتُ الإشارة : الحرُّ بالقليل يقنع ، وتأملت العبارةَ بما فيه كِفاية ومَقْنَع .

---

(١) فى ا : « على أنه قبل » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ا : « يهدى بها النذر » ، وفى ج : « يهدى بها المرء » ، والمثبت فى : ب .
وهجر : معدن التمر ، والمستبضع إليها مخطىء ، ومنه قولهم فى المثل : كمستبضع التمر إلى هجر
مجمع الأمثال ٢ / ٦٦ .

مترجيا[1] وَصْلَ حِبالِ الوُدّ ، متمنيًا قطعَ أمْراسِ الصَّدّ .

على أنا أهلُ بيت لا نُؤثر على الحب مَذْهبا، ولا نرغب عن قِنْطار منه بقنطار ذهبا .

وإن تواضع لنا الرفيعُ فبفضله ، أو ترفَّع علينا الوضيعُ فعلى مِهاله .

وإن رأى المولى إتحاف العبد بما يملأ الفمَ عُذْرا ، ويُحدِث لعَلِيّ مجده ثناء وذِكْرا .

ويقطع لسانَ الملام ، فذلك إليه والسلام .

***

فراجعه بقصيدة أولها .

ما روضةٌ دبَّجتْها السُّحْبُ في السَّحَرِ　　فدبَّجتْها يدُ الأنواءِ بالزَّهَرِ

ويُستجاد منها قوله :

وقد عرفتُ اليدَ البيضا له كرماً　　أما العصى فهي للعاصي بلا نكرِ

أفدِي الكليمَ الذي قد قال منبسطا　　هذه عصايَ ولم يضرب سوى الحجَرِ

إن الكليمَ حديدٌ في جلالته　　لا سيَّما نَبْلُ رامي الأسْد بالذُّعرِ[2]

والمُنتمِي المعتلِي في أوج نِسْبته　　لمُودِع الحِلْم حدَّ الصارمِ الذَّكَرِ

يسمُو بجدَّيْن جدٌّ قد أناف به　　على الحظوظ وجدٌّ سيدُ البشرِ

وُجوهُنا ونَواصِينا وأعيُنَنا　　مبذولةٌ لِتراب المصطفى العطِرِ

ثم الوَصِيِّ ونجليْه معاً وهما　　رَيحانتاه ومن يُنْمَى لذاك حرِى

منها :

مِن واصلٍ جاءنا حَرُّ القَريض وما　　من هاجرٍ جاءنا تمْرٌ إلى هَجَرِ[3]

---

(١) في ا : « مرتجيا » ، والمثبت في : ب ، ج .　(٢) في ا : « رامي الأسد بالزهر » ، والمثبت في : ب ، ج .　(٣) في ا : « من واصل جاءنا حي القريض » ، والمثبت في : ب ، ج .

وجاءنا الدُّرُّ محمولا على صَدَفٍ ... وجاءنا العطرُ يُذْكِي نفْحةَ الزَّهَرِ [١]

وزارنا الغيثُ وَكّافاً على جَدَدٍ ... وجاءنا البحرُ فيّاضا على النَّهَرِ [٢]

من كل قافيـــةٍ غنَّاء مُطْرِبةٍ ... والشُّهْدُ فيما أتانى شِيبَ بالصَّبَرِ

فرُحْتُ من راحِها المختوم مُنتشِياً ... لـكن سكِرتُ بها فى وَصْمةِ السَّكَرِ

وشِعرُكَ الـكأسُ قد سَرَّتْ أوائلُه ... لـكن أواخرُه لم تخلُ من كَدَرِ

لا بل هو الشُّهْدُ لا يصْفُو لعاسِله ... وليس يخْلُو مُجاجُ النحلِ من إبَرِ

لا بل هو الجيشُ سرَّتْنى طلائعُـهُ ... وساءنى بطشُه بالبيضِ والسُّمُرِ [٣]

غادَرْنَ فى منزلى أشياءَ من جَدَلٍ ... مُوسَّدٍ بين خَدْشِ النَّابِ والظُّفُرِ

هذا وهذا وما فى القلب غيرُ هوًى ... قد حلَّ منى محلَّ النُّورِ من نَظَرِى [٤]

لـكنَّ للشِّعرِ أطواراً يَمُجُّ بهـــا ... وللحديث شُجونٌ ليس كالغِيَرِ

مالى وللشِّعرِ والشُّئونِ قد أخذتْ ... منِّى مآخذَها من سَطْوةِ الـكِبَرِ

***

ولما وردتْ هذه القصيدة ، خاطبه السيد أحمد بن النَّقيب [٥] ، بقوله :

سَقيْتَ زُلالَ الشِّعرِ هِيماً من الظَّما ... تجلَّى حتى عن موارِدِه كُلُّوا [٦]

فجازَوْكَ أن زَفُّوا إليك عقيــلةً ... كذلك قد جُوزِى سَمِيُّكَ من قبلُ

وكتب إليه السيد المذكور أيضا جواب أبيات :

لموسى يدٌ بيضاءُ فى الشِّعرِ مالَها ... إذا ذُكِرتْ فى مَحْفَلِ القومِ منكِرُ

---

(١) فى ب ، ج : « محمولا فى صدف » ، والمثبت فى : ا .

(٢) الوكاف : المتتابع . والجدد : الأرض الغليظة المستوية .

(٣) فى ا : « سرتنى مطاعمه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ج : « من بصرى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) ستأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ١١٥ .

(٦) فى ب : « عن موارده كلوا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وكنتُ أراه يُبْطِل السحرَ ماله ... بأشْعاره يَسْبِي العقولَ ويسحَرُ

تشوَّقْتُه إذْ غاب عــنِّىَ بُرْهةً ... وأوْحشنى بالهجرِ والهجرُ يعسُرُ

فآنسنِي منه بعَــذْراء طَفْلةٍ ... شبيهة بدرِ التّمّ بل هى أنْوَرُ [1]

فكنتُ كأنى حين زارتْ سميَّهُ ... وبنْتُ شعيبٍ إذ أتَتْ تتبختَرُ [2]

ولو أننى أمْهَرْتُهــا العمرَ كلَّهُ ... فمــا أنا فى التّحقيقِ إلا مُقصِّرُ

※ ※ ※

وكتب إليه أيضا ، يطلب مراجعته ، بقوله [3] :

قسماً بمن جعــلَ الفضا ... ئلَ والمعالى حَشْوَ بُرْدِكْ

وحَباكَ منــه قريحةً ... كعصا سَمِيِّك فى أشُــدِّكْ

أبطلْتَ سحرَ بنى القَرِيـ ... ـضِ بها فكنتَ نسيجَ وَحْدِكْ

وتلقَّفتْ مايصنعو ... نَ فآمنوا رَغْماً بمجدِكْ [4]

إنّ القوافى قد ملكـ ... ـتَ زمامَهــا بعُلوِّ جَدِّكْ

واخــتَرْتَ كلَّ فريدةٍ ... منها تضىء بسِمْطِ عِقْدِكْ [5]

وبلغْتَ منــه ماترُو ... مُ فلم يصِلْ أحدٌ لِحَدِّكْ [6]

فلأنتَ فى شَهْبائنــا ... مَلِكُ القريضِ برغْمِ ضِدِّكْ [7]

فاسلمْ ولا رُميتْ بنو الـ ... آدابِ فى حلَبٍ بفقْدِكْ

※ ※ ※

---

(١) الطفلة : الناعمة . (٢) يشير إلى قصة موسى عليه السلام وبنت شعيب التى ذكرها الله عز وجل فى سورة القصص . (٣) قصيدة السيد أحمد بن النقيب ، فى : إعلام النبلاء ٦/٣٥٤ ، خلاصة الأثر ٤/٤٣٦ . (٤) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « فتلقفت » . (٥) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « وأخذت كل فريدة » ، وفى ب : « بسعد عقدك » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر . (٦) فى إعلام النبلاء : « فلم يصل أحد لجدك » .

(٧) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « فى شهبائها » .

فراجعه بقصيدة طويلة ، منها قوله [١] :

يا ابنَ النَّقيبِ قِبابُ مَجدِكْ ... فوقَ الشِّـــدادِ تشرَّعتْ [٢]
وأطاعكَ الشرفُ الرَّفيـ ... ـعُ فأنت فيـــه نسيجُ وَحْدِكْ
أُعْيِتَ جَـــدَّ بنى القَرِيـ ... ـضِ فقصَّرُوا عن نَيْلِ جَدِّكْ [٣]
وغَـــدوْتَ تَرْفُلُ فى العلى ... تِيهاً وتُرْغِمُ أنْفَ ضِدِّكْ [٤]

* * *

وحكى السيد يحيى الصَّادِقِ [٥] ، أن السيد موسى انْتحل شيئاً من شعره ، فكتب إليه يداعبه [٦] :

أقسمتُ بالسحرِ الحلا ... لِ وحُرمةِ الأدبِ الخطيرِ
ومصارعِ العشَّاقِ فى ... لَحَظاتِ ذا الظَّبْيِ الغَريرِ [٧]
ومجالسِ الأُنْسِ التى ... عُقِدتْ على عَقْدِ السرورِ
إن كان موسى ذو الأيا ... دِى البِيضِ والأدبِ الغزيرِ
لم يُرجِعِ المغْصوبَ من ... شِعرِى وما أبْدَى ضميرِى
لأُذيقَـــه مُرَّ العتا ... بِ لدى الكبيرِ مع الصغيرِ
بل والخِصامَ لدى الإمـا ... مِ رئيسِنا صـدرِ الصُّدورِ
وأصُوغُ من دُرِّ القوا ... فِى عِقْدَ نَوْمٍ مستنيرِ [٨]

---

(١) أبيات السيد موسى الرام حمدانى ، فى : إعلام النبلاء ١ / ٣٥٤ ، خلاصة الأثر ٤ / ٤٣٦ .
(٢) فى ا : « فوق الشديد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .
(٣) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .
(٤) فى ب ، ج : « ترفل بالعلى » ، والمثبت فى : ا ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .
(٥) ستأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ١٢٠ . (٦) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦ / ٣٥٤، ٣٥٥ ، خلاصة الأثر ٤٣٧ . (٧) لم يرد هذا البيت فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .
(٨) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « من درر القوافى » .

يُنْبِى أُولى الألبابِ ما فعل الفَرَزْدق مَعْ جرِيرِ

***

فأجابه بقصيدة طويلة ، منها[1] :

مالى وللقَنْصِ الصَّرِ ... حِ وهِمّتى صقرُ الصُّقورِ

وعصاىَ طوعُ يدى تلَقَّـ ... ـفُ كلَّ سحرٍ مُستطِيرِ

إن أُلقِهـا انبجستْ عُيو ... نُ المجدِ من صُمِّ الصخورِ

وبهـا على الدُّرِّ الثمِيـ ... ـنِ أغوصُ فى لُجَج البحورِ[2]

ولىَ اليدُ البيضاء بيْـ ... ـنَ الجمعِ والجمِّ الغفيرِ

أستغفرُ الرحمن من ... دَعْوَى تدنِّس بالفجورِ[3]

هذى قوافِى الشِّعرِ حا ... ضرةٌ لدَى المولى الكبيرِ

نَجْلِ الحسامِ المستبدِّ ... برأيه الليثِ الهصُورِ

مَن شُرِّفت حلبٌ به ... وعلَتْ على هامِ النُّسُورِ

إن كان مازعمُوه حقًّا ... م فهْو أدْرَى بالأمورِ

***

وله من قصيدة :

وفوقنـا الأغصانُ مَعْكوفةً ... تحنُو علينـا من جفاء الهَجِيرْ

كأنهـا الغيدُ تعطَّفْنَ من ... بعـد زمانِ هجرِه كالسعيرْ

أو خَيْمةً خضراءُ من سُنْدُسٍ ... مَحْبوكةَ الأطرافِ حَبْكَ الحريرْ

والروضُ قد هتَّك من حُسْنِه ... سَرائراً أخفيتُهـا فى الضميرْ

---

(١) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٣٥٥ ، خلاصة الأثر ٤/٤٣٧ .

(٢) فى ب : « أخوض فى لجج البحور » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٣) ألحق الطابع من صدر هذا البيت وعجز الذى يليه بيتا واحدا فى إعلام النبلاء .

مذ غنّتِ الوُرْقُ على مُنْبِهِ   أغنتْ عن النّدِي الرّخِيمِ المُنيِرْ (١)

ياعَنْدَليبَ الروضِ مهلاً فقـــد   هيَّجْتَ أشجـانَ المُعَنَّى الأسِيرْ

تشْدُو وصوتُ النّجْمِ يستوقفُ الأ   أملاكَ والأفلاكُ فيهـــا المُدِيرْ

والشمسُ من غُرَّتِهِ أشرقتْ   والبدرُ من ذاكَ المُحَيَّا المُنِيرْ

* * *

ومن مقاطيعه قوله (٢) :

أشدُّ من الموتِ الزُّؤامِ مَرارةً   وأصعبُ من قَيْدِ الهوانِ وحَبْسِهِ (٣)

مُعاشرةُ الإنسانِ مَن لا يُطيقه   وحَشْرُ الفتى مَعْ غيرِ أبناءِ جنسِهِ (٤)

* * *

ومن لطائفه :

أنه ذكر بحضرته فتى إذا جـرى في وصف الحسان تصريح ، فإنمـا هو لحسنه البديـع تلميح .

تُعيذه من خجلات الغرام ، وتلحظه ببعيون الملام .

فشُغف به على السّماع ، وأوقف على حبِّه الأطماع .

وما زال به هائما ، وفي بحار عشقه عائماً .

تأخذه حَيْرة التذكُّر ، وتمسكه لَهْفة التفكُّر .

فأنشده يوماً بعضُ الأدباء أبيـات أبي العزّ الضرير (٥) ، وقصد لوْمَه في حب ذاك الظّبيِ الغرير .

---

(١) في ا : « الرخيم المنير » ، والمثبت في : ب ، ج .   (٢) البيتان في : إعلام النبلاء ٦ / ٩٥ ، خلاصة الأثر ٤ / ٤٤١ ، ٤٤٢ .   (٣) في ا ، وإعلام النبلاء : «من قيد الهوان وحبه» ، وهو خطأ .

(٤) في إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « من لا يطيقه » وهي رواية أصدق بالمعنى .

(٥) أبو العز مظفر بن إبراهيم بن جماعة ، موفق الدين ، العيلاني ، الحنبلي ، الضرير .

شاعر مصري ، صنف في العروض مختصرا جيدا ، دل على حذقه .

ولد بمصر ، سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وتوفي بها ، سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

نكت الهميان ٢٩٠ – ٢٩٣ .

وهى [١] :

قالوا عشِقتَ وأنت أعْمَى ... ظَبْيـاً كحِيلَ الطَّرْفِ ألْمَى

وحُـلاهُ ماعايَنْتَها ... فتقُولَ قد شغَلَتْكَ وَهْمـا

من أين أرْسَـلَ للفُؤا ... دِ وأنت لم تنظُرْه سَهْمًا [٢]

وخيـالُه بك فى المنـا ... مِ فما أطافَ وما ألَمَّا

فأتم جوابها من حفظه [٣] :

فأجبتُ إنِّى موسَوِىُّ ... العِشقِ إنْصاتاً وفهمـا

أهْـوَى بجـارحةِ السَّما ... عِ ولا أرى ذاتَ المُسَمَّى

(١) الأبيات فى نسمة السحر (?) — الأبيات فى نكت الهميان ٧٣ .

(٢) بين هذا البيت والذى بعده تقديم وتأخير فى نكت الهميان .

(٣) هذان البيتان أيضا لأبى العز الضرير ، تمام قوله الأول ، وليسا من إنشاء السيد موسى الرام حمدانى ، ومع هذا فإن معناهما يتوافق مع حاله .

١١٢

أبو مفلح محمد بن فتح الله البَيْلُونِيّ *

ماجد أفلح رائدُه ، وجلَّت فوائده وفرائدُه .

صفحتُه البدر إلا أنه مُشرِق ، وحديثه الروضُ إلا أنه مُورِق .

وهو بمكان من النَّباهة مَـكِين ، يطلع له من كل ناحيـة على جيش البلاغة كَمِين .

ومع وَقاره الذي به يُعرَف ، يبدو له من النَّـكات مايُستملَح ويُستظرف .

وبلغتْ به السنُّ وهو جوَّاب بلاد ، ومُنفِقٌ من رياشه كل طريف وتِلاد .

فجاءت أيامُه فى تقلُّبات تقتضيه ، لـكنها لم تخلُ فى الحظ من فلَتات تسترضيه [1] .

تصقُل الأصائلُ ديباجتَها [2] ، وتُشعشِـع البُـكَر زُجاجتَها [3] .

فـكم شُغِف به المدحُ المُحبَّر ، وتشوَّق إليه الثناء المعطَّر .

حتى إذا قرُبت به النوى ، وأدَّنت به على إلمام من فضل الثَّوا [4] .

(*) أبو مفلح محمد بن فتح الله بن محمود البيلونى ، الحلبى ، القاضى .

ولد بحلب ، وبها نشأ ، وتأدب بوالده فتح الله البيلونى .

ورحل إلى الروم ، وسلك طريق القضاء ، فولى المناصب السنية فى إقليم مصر .

كان البيلونى غرة فى جبهة الفضل ، كثير الأدب ، راوية للشعر والوقائع ، خبيرا بصنعة النقد ، غواصا على دقائق الأدب .

توفى سنة خمس وثمانين وألف .

إعلام النبلاء ١/ ٣٥٠ ـ ٣٥٣ ، خلاصة الأثر ٤/ ١٠٥ ـ ١٠٨ .

والبيلونى : لقب جده ، وهو نسبة للبيلون ، وهو طين أصفر ، تسميه أهل مصر طفلا .

ريحانة الألبا ١/ ٢٠٤ ، وانظر إعلام النبلاء ٦/ ٢٤٣ ، خلاصة الأثر ٣/ ٢٥٧ ، سلافة العصر ٣٩٩ .

وفى ا ، ب : « محمد بن مفلح بن فتح الله » ، وفى ج : « محمد أبو مفلح بن فتح الله » .

(١) فى ب : « ترتضيه » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) فى ب : « ديباجها » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ب : « زجاجها » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٤) فى ب : « القوى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

طلع طلوعَ النجمِ في الآفاق ، وهبَّ هبوبَ النسيمِ على أخلاق الرِّفاق .

وحلَّ من الجفون محلَّ الوسَن ، ونزل من القلوب نزولَ الفأْلِ الحسَن .

وقد رأيتُه بدمشق ووالدي يُوسعه رَعْيه ، وَمَبَرَّة ويترنَّح باغتنام محاضرته جذَلا ومسَرَّة .

وصُبْح وجهِه يومئذ لم يبقَ فيه أثرُ غَيْهب ، وكُمَيت صِباه جرى فماد[1] وهْو أشْهب .

* * *

وتناولتُ بعدُ من أشعره المبذِّلة الأغصان ، أشياء تقرَّطت بزهَرات الحسن والإحسان .

فمنها قوله ، من قصيدة مستهلها[2] :

دُمْتَ يامَربَعَ الأحبَّةِ تَنْدَى ... كاسِيًا بالزهور بُرْداً فبُرْدَا

بِك مربَعٌ إذا جادَه النَّوْ ... ءُ فساقِ الصَّبوحِ يقطِف وردَا[3]

وإذا السحاب في جِيدِ أولهِ ... عُقْدُه حساما جلَى النسيمُ الفرِنْدَا[4]

جَنَّةٌ والغصونُ في حُلَلِ الأز ... هارِ حُورٌ بها ترنَّح قدَّا[5]

وتَهادَى مَعاطِفُ البانِ سُكْراً ... كتَهادِي العناق أخْذاً وردَّا[6]

وتُديرُ الصَّبا كُؤوسَ شذَا النَّوْ ... رِ على نَغْمة البلابلِ سَرْدَا

كيف جُزْتِ الطريقَ يوماً ومن خَو ... فِك دمعي بالسيلِ يسلُك سَدَّا[7]

---

(١) في ا : « وماد » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٢) القصيدة في : إعلام النبلاء ٦/٣٥١ ، ٣٥٢ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) في ا : « بك من مربع » ، والمثبت في : ب ، ج . وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٤) في ب ، ج : « على النسيم الفرندا » ، والمثبت في : ا ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٥) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر ، وفي ا : « في حلل الأز * هار حوائها ترنح قدا » ، والمثبت في : ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٦) في إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « بتهادى العناق » .

(٧) في إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « كيف جزت الطريق جوزا » .

لو رعيتِ العهودَ أحسنتِ لكن   قلَّما تحفظُ المليحةُ عهدَا

***

وقوله من أخرى ، مستهلها (١) :

وجهٌ يقابلني لكنه قمرٌ   في الليلِ يطلُع لكن ليلُه شَعَرُ

نظرتُه فسطا في القلب ناظرُه   ورُبَّ حَتْفٍ به قد أوقع النظرُ

لله ماصنعتْ بي وَجْنتاه ومَن   للنّار يقرُب لاينفكُّ يستعِرُ (٢)

ظَبْيٌ سبَى اللبَّ إلا أنه ملَكٌ   من الملائك لكن طبعُه بشَرُ

غَذَّتْه بدويًّا راق منظرُه   ورقَّ حتى استعارتْ دَلَّه أُخَرُ

للسحرِ من لفظه معنًى بقوّتِه   عن العقول صوابُ الرأيِ مستتِرُ (٣)

ماشاقني قبلَ رُؤْيا وجهِه قمرٌ   ولم يُشَمّ بعدَ ريّا نعلِه عَطِرُ

جمُّ المحاسنِ معسولُ الدَّلال له الـ   ـقدُّ الذي خَصْرُه لايُدرِكُ البصرُ

لاعيبَ فيه سوى أن المحاسنَ من   دون الأنام جميعاً فيه تنحصرُ

عن كأسِه خدُّه حَلْ يانديمُ لكي   يُنْبيك أن الحُميّا منه تُعتصَرُ (٤)

وانظرْ محاسنَهُ دُرًّا كمبسِمِه   منه كدمعِك دُرُّ اللفظ ينتثِرُ (٥)

منها (٦) :

عيناه في القلب أغصانَ الهوى غرسَا   ورُبَّ غَرْسٍ جَناه الصّابُ والصَّبِرُ (٧)

أوْلَيْتُ للشوقِ قلباً ليس يرجع من   هجرٍ أيرجعُ ماءٌ حيث ينحدِرُ

---

(١) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٣٥٠ ، ٣٥١ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) فى ب : « لله ما فعلت بى وجنتاه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٣) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « للسحر من لحظه » ، وفى ب : « صواب الرأى يستتر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى ب : « فيه تعتصر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٥) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « وانظر محاسنه » .

(٦) لم يرد هذان البيتان فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٧) فى ج : «عيناى فى القلب» ، والمثبت فى : ا ، ب .

ومن مديحها قوله[1] :

يكادُ بدرُ الدُّجى يُنْمَى لطلعتِهِ ... لو كان يمشي على وجهِ الثرى القمرُ

قضى الإلهُ بأن يُفْدَى بحاسدِهِ ... فما له حسدٌ باقٍ له عُمُرُ[2]

والدهرُ لو أنه نَدُّوه لانقلعتْ ... ظلالُه ورأينا الناسَ قد حُشِروا

له عزائمُ زانَ الحِلْمُ سَطْوتَها ... يَنْقَدُّ إن شامها الصَّمْصامةُ الذَّكَرُ[3]

منها[4] :

وافيتُ بأكْرِ لاأرجو سواهُ ومَا ... سواه ليس به نفعٌ ولا ضررُ

وجئتُ سَبْسَبَ خَطْبٍ من مَناسِمِهِ ... بسيلِ ذَوْبِ اصطبارى تملأُ الحُفَرُ[5]

وأيْنُقٍ حين أحْسِدُوها بمدحك لا ... يكاد يلحقها من سُرعةٍ النظرُ

كأنها ابتلعتْ بِيدَ الفَلا وسرتْ ... فى السُّحْبِ تقصِد حيث الغيثُ ينهمرُ

فظهورُهنَّ حرامٌ إذ بلغْنَ بنا ... [illegible] يحيــــى بن قد حلَّه الوطرُ

منها :

وهــــذه مِدَحى فى طىِّ أسطرها ... عبيرُ ذِكرِك فى الأقطار ينتشرُ

عذراءُ ترفُل فى ثوبِ البلاغةِ ... من القوافى حُجولٌ صاغها الخَفَرُ

ألفاظُهــــا كصخورٍ فى متانتِها ... وكلُّ لفظٍ به معنــــاه مفتقرُ

❊ ❊ ❊

وله من قصيدة ، أولها[6] :

صَبابةٌ لاالاصطبارَ يضمرهـا ... ومهجةٌ لاالخليلَ يعــــذرُها

---

(١) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا . (٢) فى ا : « بأن يفدى بحاسده » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر ، وفى الإعلام ، والخلاصة : « فماله حاسد » . (٣) لم يرد هذا البيت فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر ، كما لم ترد الأبيات التالية فيهما . (٤) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٥) فى ب : « تملأ الخضر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٣٥٢، ٣٥٣ ، خلاصة الأثر ٤/ ١٠٧ .

ودمعةٌ لا الزفيرُ ينضبها ... وزفرةٌ لا الدموع تضمرُها

وعشقةٌ قد أبان أولُها ... أن هلاكَ المحبِّ آخرُها

فكل نارٍ وإن علتْ خمدتْ ... سوى التى وجنةٌ تُسعِّرُها[1]

وَيْحَ جريحِ اللحاظ علّته ... فى الطبِّ حيث الطبيبُ خنجرُها

ثباتُ عينُ الحبيبِ ليلته ... كالنجمِ لكن أبيتُ أسهرُها

لولا الكرى قامت مرنّحةٌ ... لم تكُ أيدى الجفونِ تهصُرُها

لى زفرةٌ لم أزلْ أصعِّدُها ... ودمعةٌ لم أزلْ أقطِّرُها

ماالعشقُ إلا كالكيمياء أنا ... دون جميعَ الأنام جابرُها[2]

تبسَم إن كُلِّمتْ مشاكِلُها ... ودُرُّ دمعى غدا يناظِرُها

هيفاء ماالغصنُ مثلَ قامتها ... لكنّ أعطافَه أشايرُها[3]

أعشق من أجلها الكثيبَ إذا ... يضمُّ أمثالَه مآزرُها

وأحسدِ البدرَ فى محبتها ... فغيرُه لايكاد ينظرها

وألثمُ المسكَ والعبيدَ عسى ... يكون مما فتّتْ ظفائرُها

لله مافى الهوى أعالجُ من ... لواعجٍ فى الهوى أصابرُها

ياحبّذا خلسةٌ ظفرتُ بها ... فى غفلةٍ للزمان أشكرُها

حيث لعهدٍ غدتْ تمدُّ يدًا ... لم تدرِ أسرارَها أساورُها[4]

يسألها خاطرى الوصالَ ولا ... يجيب عنه إلّا خواطرُها

---

(١) فى إعلام النبلاء، وخلاصة الأثر: «إذا علت خمدت .. التى جمره». (٢) فى ب: «دون الأنام جائرها»، والمثبت فى: ا، ج، وإعلام النبلاء، وخلاصة الأثر.

وهو يعنى جابر بن حيان بن عبدالله الكوفى، عالم الكيمياء، المتوفى سنة مائتين للهجرة. إخبار العلماء بأخبار الحكماء ١١١.

(٣) أشايرها: كذا، ولم يتضح لى معناه. (٤) فى ا، ج: «لم تدر أسرارها أساررها»، والمثبت فى: ب، وإعلام النبلاء، وخلاصة الأثر.

لَيتَ لَيالي الوِصالِ لو رجعتْ ... أو لَيتَ قلبي معي فيذكُرُها[1]

* * *

ومن مقاطيعه قوله[2] :

لا تلُمْ من شكا الزمانَ وإن لم ... تَشْفِ شكْواه علّةَ المَجْهودِ

إنما يُحوِجُ الكرامَ لشكْوى ... شوقُ ما في طباعِهم من جُودِ[3]



---

(١) في ا : « أو ليت قلبي معي فأذكرها » ، والمثبت في : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٢) البيتان في : إعلام النبلاء ٦/٣٥٣ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٨ .

(٣) في إعلام النبلاء : « إنما يحوج الكرام بشكوى » .

وهنا أذكر ثلاثة من بلغاء[1] النثر والنظم ، نسقهم الشهاب في مطالع خباياه نَسَق النظم .

فمنهم :

١١٣

السيد محمد بن عمر العُرْضي*

هو من ألقيتْ إليه في كرم الطبع أعِنَّـةُ السَّلَم ، فلولا توقُّد ذهنِه لاخضرَّ في يده القلم .

مكانته من الشهرة حيث يستبين للمُبصر النهار ، وطبعه يتنفَّس عن المعاني تنفُّس الروض عن الأزهار .

***

وله عذبُ لفظٍ يلفِظ الدُّرر الزَّواهر ، وفي غير هذا العذْب لاتتكوَّن الجواهر .

ينظم فيوزِّع على العقول سحرًا ، وينثر فيفرِّق على الأفواه دُرًّا .

فهو يُذيب الشعر والشعرُ يُذيبُه ، ويدعو القولَ والسحرُ يُجيبُه .

---

(١) في ا : « البلغاء في » ، والمثبت في : ب ، ج .

(*) محمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضي ، الحلبي .

يقول فيه المحبي : كان من الفضل في مرتبة الآحاد ، ومن الأدب في مرتبة لا تنال بالاجتهاد .

ولى القضاء مدة ، ثم اشتغل بالتدريس ، ثم ولى إفتاء الحنفية بحلب سنتين ، ثم سافر إلى الروم .

وحين مات أخوه أبو الوفاء أخذ مكانه في إفتاء الشافعية بحلب ، والوعظ بجامعها .

توفي سنة إحدى وسبعين وألف ، وبلغ من العمر نحو ستين سنة .

إعلام النبلاء ٦/٣١٨ ـ ٣٣٤ ، خبايا الزوايا ، لوحة ٦٧ ا ، خلاصة الأثر ٤/٨٩ ـ ١٠٣ ، ريحانة الألبا ١/٢٧٤ ـ ٢٧٨ .

وعرض ، التي ينسب إليها المترجم ، بضم أوله وسكون ثانيه : بليد في برية الشام ، بين تدمر والرصافة الهشامية . يقول ياقوت : يدخل في أعمال حلب الآن .

معجم البلدان ٣/٦٤٤ ، وانظر استدراك ابن الأثير على ابن السمعاني . اللباب ٢/١٣٢ .

إذا خطّ فى الطِّرس نمّ ببدائع الآثار ، وأطْرب حتى كأن قلمَه مِضْرابٌ وسطوره أوتار .

فيجيء من أبكار أفكاره ، بما يستعير الرّحيقُ السَّلْسَل من فضلِ إسْكاره .

وكان دخل الروم مقدِّرًا أن المَتاع بأرضِه يُسترخَص ، وأن المرء يبلغ مُناه فى أىّ وَجه يشخَص .

فلم يحصُل على مايستحقه وُفور كمالِه ، فقال يذكر مالقيَه من تخلُّف آماله[1] :

لما ضاقتْ رِقاعُ بلادى ، ونفِدَت حقيبةُ زادى .

فوّقتُ[2] سِهامَ الاحْتيال ، وأجَلْتُ قِداحَ الفال .

فكان مُعَلَّاها السَّفر ، سفينةُ النجاة والظَّفَر .

طفِقْتُ أتوكّأُ على عَصا التّسْيار ، وأقتحم موارد القِفار .

أفْرِى فَلاةً يبعُد دونها مَسْرَى النّعِىّ ، وألطِم خدودَ الأرض بأيدى المَطِىّ .

فكنت فتى قذفتْه رِقّة الحال على بَريد النَّوى ، واعتنقتْه الهمةُ العاقِر[3] وألقحتْ بعزمه لواقح المنى .

أسايرُ عساكرَ النجوم والأفلاك ، وقد ركَزَ[4] الليلُ رُمحَ السِّماك[5] .

فأنختُ راحلتى بمُخيَّم المجد ، وقرارة ماء السَّعد .

كعبةِ الأفاضل إلا أنهم يحجُّون إليها كلَّ آن ، وسوق عُكاظِهم إلا أنها تُنصَب فيها مَصاقِع الروم لامصاقع عَدْنان .

فلما ألقتْنى فيها[6] أرْجوحة المقادير ، فإذا هى فَلَكُ العِزّ ومطلع التّدبير .

---

(١) ذكر المحبى فى خلاصة الأثر ٤/٩٠ ، ٩١ هذه القطعة أيضا ، ونقلها عنه الطباخ ، فى إعلام النبلاء ٦/٣١٩ . (٢) فى الأصول : « قوضت » ، والمثبت فى الخلاصة. (٣) فى خلاصة الأثر : « العاقرة » . (٤) فى ا ، ج : « ركن » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

(٥) يعنى السماك الرامح ، أحد نجمين نيرين .

(٦) فى ب ، ج : « بها » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر .

إلا أن حالى تقسَّمتْ فيها بين الاغْتراب والاضطراب والاكتساب أثْلاثا ، فما نزلت منها منازلَ إلا حسِبتُها علىَّ أجْداثا .

وسقتْنى الدُّرْدِىَّ من أول دَنِّها ، وسوء العِشْرة بإكورةُ فَنِّها .

كل هذا وأنا أسْتلين مَسَّ[١] خُشونتِها ، وأُسِيغها على كُدْرتِها .

وأقول : إذا لم تتمَّ الصدورُ فستتمُّ العواقب .

وإن لم تُرِش[٢] القوادِمِ فَسَتُرِيشُ الخوافى والجوانب .

***

وكتب إلى حلب لبعض أوِدَّائه :

وأيْمُ الله لقدطال حديثُ الفِراق واسْتطال علىَّ سُلطانه ، ولقدقرأت كتابَه فما سرَّنى خاتمتُه ، بقدرْ ماساءنى عُنْوانه .

وكلما مَحَت أناملُ وَشْكِ الملتقَى من أسطره سطرًا ، خطَّتْ أقلامُ تمليه عِوَضَه عشْرا .

وكلما استنْهضتُ عزيمتى أقْعدتْها كلاكِلُ التَّوانى ، وحالت بينها وبين مُخدَّرات الأمانى .

فإلى الله عز وجل أرفعُ يدَ التضرُّع ، وأُذْرِى فى ساحةالدعاء دموعَ التفجُّع والتوجُّع .

أن ينظِم ذاتَ البَيْن ، ويجْدَع بحدِّ الاجْتماع مارِنَ البَيْن .

***

وكتب من تعزية بنقيب أشراف حلب :

ما أيقنتُ أن قُسْطنطِينيَّة هى الجزيرة السودا[٣] حتى وقع لدىَّ طيرُ هذا النَّعِىِّ ، الذى مازال حامله يلطِم خدودَ الأرض بأيْدى المَطِىِّ .

---

(١) ف ، ا ج : « من » ، والمثبت ف : ب ، وخلاصة الأثر . (٢) ف الخلاصة : « تريش » .

(٣) ف ا : « السواد » ، والمثبت ف : ب ، ج .

فياله من خبرٍ حَيْنٍ زاد فى مرض القلوب ، وشقّ الأكباد قبل الجيوب .

وقرأتُ ما كتبته أقلامُ التفجُّع بأفواه الجفون ، ونثرتُ عندها عِقْدَ شَمْلِيَ المَصُون .

حيث لم أدَّخِر لسفرِ هذه الفُرقة من زاد ، ولا بَلَّيْت غليلَها ببَراد .

وأيْمُ الله ماذكرتُ لطائمَ أخلاقِه الغُرّ ، وحلاوةَ مَنْطِقِه الحُرّ .

وقَطْفَه نَوْرَ الفضائل ، وإهداءه باكورةَ المسائل .

وإحْرازَه قصَب السَّبْق ، وثبوتَ قدمه على جادّة الصدق .

وإيواءه لى فى حَواشِي وُدّه الخصيب ، وإلباسِي كلّ يوم رداءً [1] لفَقْده القَشِيب .

إلّا اتّقدتُ عليه حرًّا ، وتأبّطتُ على الحِمام شرًّا .

وأسأل الله تعالى أن يجعل وفاته خاتمةَ كتابِ الرّزايا ، وقافيةَ بيتِ البَلايا .

وأن يُقلِّمَ ظُفْرَ مُصابه بأنامل الصبر ، ويُذيقَكم عن مَرارة صابِه حلاوةَ الأجْر .

***

ومن شعره فى أيام اغترابه ، يشتكى من كثرة اضطرابه :

أما لأسيرِ الروم فَكٌّ من الأسْرِ ... فقد ملكتْ آرامُها القلبَ بالأسْرِ

بها نثْرُ شَمْلِي من ثغورٍ تنظَّمتْ ... فيالكَ من نَظْمٍ غدا داعىَ النَّثْرِ

ولا بِدْعَ فى أرضِ الثغورِ شتاتُنا ... ومَن لى بأنْ سَدَّ ذيّالك الثَّغْرِ

يُذكّرنا رَوْعَ العذارَى بمَنْزِلٍ ... أجادَ المنازِى وَصْفَه غابرَ الدَّهْرِ [2]

---

(١) فى ب : « رداث » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) يعنى قول المنازى :

تَرُوع حَصاه حالِيةَ العذارَى ... فتلمسُ جانبَ العقدِ النظيمِ

وقد تقدم فى صفحة ٤٥٢ .

إذا همستْ فى شُكْرِ غيرِكَ ألسُنٌ ... فأنت لكَ الأسفارُ تُعلِن بالشُّكْرِ [1]

بقيتَ لكَ العلياءُ تُعْطِى قِيادَها ... بتلكَ اليدِ البيضاءِ والبيضِ والسُّمْرِ

* * *

وله يتشوّق إلى أحبابه، ويحِنّ إلى معاهد صَبْوته وشبابه :

يابريدَ الأشواقِ أوْجِفْ لدارٍ ... هى مُصْطافُ لَوْعتى وشبابى

واختبرْ أسرةً أراهم بكاسى ... ماتذكَّرتُهم بطافى الحَبابِ [2]

هل هواهم بنا كما قد عهِدْنا ... أم قضى شخصُه بحُبِّ اغترابى

فمِن اللهِ أستعيدُ لِقاهُم ... وبه إن جفا الحميمُ احتسابى

فهو عونُ النّائى الغريبِ إذا ما ... عَضّه حادثُ الزمانِ بناب

* * *

وقال :

أحِنُّ إلى شَهْبائنا وقُوَيْقِها ... إذا انساب منه بالمَيارِبِ سَلْسالُ

وأظمأُ حتى أرْتوِى منه باللّمَى ... وألثَمُ أرْضاً دونها خَفَقَ الآلُ

ولم تستمِلْنى الرومُ شمسُ مُدامِها ... تُدار بكفّ البدرِ والمرءُ مَيّالُ

فماءُ بلادى كانَ أنجعَ مشرباً ... ولو أنّ ماءَ الرومِ صَهْباءُ جِرْيالُ

* * *

قُوَيْق نهر حلب [3]، أكثر الشعراء من وصفه، فمن وصفه الخطيب أبو عبدالله [4] محمد بن حرب، فى قوله:

---

(١) فى الأصل : « لك الافسار » ، ولعله جمع الفسر، وهو الإبانة وكشف المغطى .

(٢) فى ا : « بطاف الحباب » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) يقول ياقوت، فى معجم البلدان ٤/٢٠٦ : « هو نهر مدينة حلب، مخرجه من قرية تدعى سيناب ، وسألت عنها بحلب ، فقالوا : لا نعرف هذا الاسم ، إنما مخرجه من شناذر ، قرية على ستة أميال من دابق ... » . (٤) هكذا جاءت كنيته «أبو عبدالله» ، =

لقـــد طُفتُ فى الآفاقِ شرقًا ومغربا   وقلّبتُ طَرْفى بينهـــــا مُتقلّبا
فلم أرَ كالشَّهْباءِ فى الأرض منزلاً   ولا كقُوَيقٍ فى المَشارب مَشْربا

* * *

وللصَّنَوْبَرِىّ فيه (١) :

قُوَيقٌ إذا شمَّ ريحَ الشّتـــــا   ءِ أظهرَ تيهاً وكِبْراً عجيبا (٢)
وناسَبَ دجْلةَ والنّيـــلَ والـ   ـفُراتَ بهـــاءً وحسناً وطيبا
وإن أقبَـــلَ الصيفُ أبصرْتَه   ذليلاً حقـــيراً حزيناً كئيبا
إذا ما الضفـــادعُ ناديْنَه   قُوَيْقُ قُوَيْقُ أبَى أن يُجيبا
وتمْشِى الجرادةُ فيه فلا   تـكادُ قوائمهـــا أن تغيبا (٣)

* * *

وله فيه :

قُوَيقٌ على الصفراء رُكِّبَ طبعُه   رَباهُ بهـــذا شُهدُه وحدائقُهْ
فإن جَـدَّ جِدُّ الصيفِ غادر جسمَه   ضئيلاً ولـكنَّ الشتـــاءَ يوافقُهْ

* * *

= والمـكنى بأبى عبدالله هو محمـد بن حرب الخولانى ، الذى ولى قضاء دمشق ، وهو من رجال الحديث ، حافظ ، ولم يعرف له شعر ، توفى سنة أربع وتسعين ومائة .

انظر تهذيب التهذيب ١٠٩/٩ .

أما الذى عرف بالشعر فهو أبو المرجا محمـد بن حرب بن عبد الله الحلبى ، النحوى ، المتوفى سنة ثمانين وخمسمائة .

انظر معجم الأدباء ١١٧/١٨ .

(١) البيتان الأخيران من شعر الصنوبرى ، فى معجم البلدان ٢٠٦/٤ ، بدون نسبة .

(٢) فى ب : « وكبرا وعجبا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) رواية معجم البلدان :

تغوصُ البعوضةُ فى قعْرِهِ   وتأبى قوائمُها أن تغيبا

وله فيه ، من قصيدة :

هو الماء إن يوصف بكنه صفاته ... فللماء إغضاء لديه وإطراق

ففي اللون بلّور وفي اللمع لؤلؤ ... وفي الطيب قنديد وفي النفع درياق (١)

إذا عبثت أيدي النسيم بوجهه ... وقد لاح وجه منه أبيض برّاق

فطوراً عليه منه درق خفيفة ... وطوراً عليه جوشن منه رقراق (٢)

وقد عابه قوم وكلهم له ... على ما تعاطوه من العيب عشاق

وقالوا أليس الصيف يبلي لباسه ... فقلت الفتى في الصيف يقنعه طاق

وما الصبح إلا آيب ثم غائب ... تواريه آفاق وتبديه آفاق

ولا البدر إلا زائد ثم ناقص ... له في تمام الشهر حبس وإطلاق

ولو لم تطاول غيبة الورد لم تتق ... إليه قلوب تائقات وأحداق

ولو دام في الحب الوصال ولم يكن ... فراق ولا هجر لما اشتاق مشتاق

وفضل الغنى لا يستبين لذي الغنى ... إذا لم يكن في ذلك الفضل إملاق

فويق رسيل الغيث يأتي وينقضي ... ويأتي انسياقا تارة ثم ينساق

***

وللعُرْضِيّ من مكاتبة :

هل من خليل بشهبانا نخالله ... وهل غزال إذا عدنا نغازله

عهدتها وشموس الراح جاء بها ... بدر التمام وغصن البان حامله

إن ماس من وله واذلّ عاشقه ... حتى م يفني إذا ما اهتز عامله

ترى إذا ما قرعنا باب ساحته ... يولي الجميل وإلا خاب آمله

---

(١) القنديد : عسل قصب السكر إذا جمد .

(٢) الدرق : التروس من جلود ليس فيها خشب ولا عقب . والجوشن : الدرع .

وهل نَوَدُّ فتى شطَّتْ منـازِلُه ... ورَبْعُه قد خلا والبَيْن نازِلُهْ

ماحِيلتى وطُروق البَيْن أقْلقنى ... كأنَّ عيْشا مضى مازال زائـلُهْ

طال الفِراقُ فلا وافٍ يُراسِلنا ... على البِعاد ولا آتٍ نُسائلُهْ

* * *

وله :

همُ القومُ إن بانُوا عن العينِ أو بانُوا ... بهم رَبْـعُ قلبى آهِلٌ حيث ما كانُوا

أُنقِّلهُم من منزلٍ بعد منزلٍ ... ولولا انْتضاء السيفِ أصْداه أجْفانُ

فطوْراً جعلتُ العـينَ وادِى عقيقِهم ... إذا سال منهـا بالمَدامع طُوفانُ

وطوراً لهم قلبى الغَضَا ماتضرَّمتْ ... بتَذْكار عيشٍ لم يدُم لىَ نيرانُ

لئن فات عينى منهمُ اليوم بَهْجةٌ ... فقـد ملأتْ دارَ الأحاديث آذانُ

وكم من مُحِبٍّ لم يشاهدْ حبيبَه ... كما تُعْشَق الجنَّاتُ روضٌ وأفْنانُ

أُؤجِّج فى الأحْشـاء نارَ القِرَى عسى ... على ضوئها تَعْشو من الطَّيْفِ ضِيفانُ

فرشْتُ له جَفْنـاً بطائفة الـكرَى ... وأين الـكرَى هيهات قوْلىَ بُهتانُ[1]

فما الطيفُ إلا البـدر والنومُ فـكرتى ... فها أنا يقظانٌ وها أنا وسْنـانُ

أمولاىَ ياهـذا الصَّلاحى الذى به ... صَلاحُ وِدادٍ قد وهَى عنه ثَهلانُ[2]

لئن ظمئتْ عينى إلى مَنْهَلِ اللِّقا ... فقلبى برَيّا ذكرِك اليومَ ريَّانُ

* * *

ومن غُرَر قصائده فى إبْداء التشوّق ، قوله[3] :

على أثَلاتِ الوادِيَيْن سلامُ ... وبعضُ تحـايا الزائرين غَرامُ

تذكَّرتُ أيامى بها وأحبَّتى ... إذ العيشُ غَضٌّ والزمان غلامُ

---

(١) فى ب : « بطائفه الـكرى » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) ثهلان : جبل ضخم بالعالية . معجم البلدان ١/ ٩٤١ .   (٣) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/ ٣٢٦ ، خلاصة الأثر ٤/ ٩٦ ، ٩٧ .

وإلْمامتي بالحيِّ حيثُ تواجهتْ قصورٌ وأكنافُ الحِمَى وخيامُ (١)

أُلامُ على هِجْرانهم وهمُ المُنَى وكيف يُقيمُ الحرُّ وهو يُضامُ

همُ شرَعوا أنَّ الجفاءَ مُحلَّلٌ وهم حكموا أن الوفاءَ حرامُ

بقلبيَ رَوْحٌ منهمُ وضَمانةٌ وعندي برُءٌ منهم وسَقامُ (٢)

وأبلجَ أمَّا وجهُه حين يُجتَلى فشمسٌ وأما كفُّه فغَمامُ

جرى طائري منه سَنيحاً فهانى بدرِّ أيادٍ مالهنَّ فِطامُ

شرَدْتُ عليه غيرَ جاحدِ نعمةٍ أُكلَّفُ خَسْفاً بعده وأُسامُ

وقد يُسلَب الرأيَ الفتى وهو حازمٌ ويَنْبُو غِرارُ السيفِ وهو حسامُ

فقد وجد الواشون سُوقاً ونفَّقوا بضائع زودى مالهنَّ دَوامُ (٣)

وبعضُ كلامِ القائلين تزيُّدٌ وبعضُ قبولِ السامعين أثامُ

فأصبح شَمْلُ الأنسِ وهو مُبدَّدٌ لديه وحبلُ القُرْبِ وهو زِمامُ (٤)

يُقرَّب دوني من شَهِدتُ وغيَّبوا ويُوصَل قبلي من سَهِرتُ وناموا

تزاوَرَ حتى ما يُرجَّى التفاتُه وأعرَض حتى ما يُردُّ سلامُ

فلا عطفَ إلا لحظةٌ وتنكُّرٌ ولا ردَّ إلا ضَجرةٌ وسآمُ (٥)

فإن يكُ رأيٌ زَلَّ أو قدَرٌ جرى بنازلةٍ فيها عليَّ مَلامُ

فواللهِ ما فرَّقتُ فيك جنايةً أُعابُ بها في جَحْفَلٍ وأُذامُ

ولا قرَّ لي بعد التفرُّق مَضْجَعٌ ولا طابَ لي بعد الرحيلِ مُقامُ

---

(١) في إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « قصور بأكناف الحمى » . (٢) ضمن الرجل ضمانة : أصابه مرض يلازمه ويشتد عليه وقتا بعد وقت .

ولم يرد هذا البيت في : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٣) في ب ، ح : « بضائع ذودى » ، وفي إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « بضائع زور » ، والمثبت في : ا ، ولعله أراد زائدة . (٤) في إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « وهو ذمام » ، ولعل الصواب : « وهو رمام » . (٥) هذا آخر ماجاء من هذه القصيدة في : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

ولا لىَ إلّا فى ولائك مَسْرحٌ   ولا لىَ إلّا فى هواك مَسَامُ

وإن أكُ قد فارقتُ دارَكَ طائعاً   فللدهرِ فى شتّ الجميع غرامُ

فقبلىَ ماخلّى عليًا شقيقُه   وقرّ به بعد العراق شآمُ (١)

حياء فإن الصفحَ فيه مَعَبَّةٌ   ومَعذرةً إن الكرامَ كِرامُ

ألِمْنا وأعذرتم فإن تبلغِ المَدى   من العَتْب نُعْذَر دونكم ونُلامُ

وأحسنتمُ بَدْءاً فهلاّ أعدتمُ   ففى العَوْد للفضلِ الجميل تمامُ

أجِلّك أن ألقاك بالعُذْر صادقاً   وبعض اعتذار المُذنبين خِصامُ

أتبْعُد حتى ليس فى البُعد مَطْمَعٌ   وتُعرِض حتى ما تكاد تُرامُ

وتنسى حقوق عنــــد أوّل زلّةٍ   وأنت لأهل المَكْرمات إمامُ

أما ألقَ فيك الأسْرَ وهو مُبَرِّحٌ   وألتذُّ طعمَ الموت وهو زُؤامُ

وأخطو سوادَ الليل وهو جحافلٌ   وأرعى نجومَ الأفْق وهى سِهامُ (٢)

هو الذنبُ بين العفو والسيف فاحتكمْ   بما شئتَ لا يعلو بفضلك ذامُ

ولا تَبْلُنى بالبُعد عنك فإنمـــا   حياتىَ إلّا فى ذَراك حِمامُ

إذا ماجَزيتَ السُّوء بالسُّوء لم يكنْ   لفضلك بين الأكرمين مَقامُ

أعِدْ نظراً فى حالتى تلقَ باطنــــا   سليماً وسِرّى ماعليـــه قَتامُ

فمثلك لم تغلب عوائدُ سُخْطِه   رِضاه ولم يَبْعُـــد عليـــه مَرامُ

فلا تُنكرَنْ فيما تسخّطتَ ساعةً   فقـــد مرّ عامٌ فى رِضاك وعامُ

وإن عزّ ما أرجـــوه منك فإننى   لينفعنى تسليمةٌ وتَمامُ

فلا تُشعرَنّى غِرّة اليأسِ إنمـــا   أمامى وراء والوراء أمامُ

---

(١) يشير إلى قصة مفارقة عقيل بن أبى طالب لأخيه على كرم الله وجهه ، ووفوده على معاوية فى دين عليه. انظر أسد الغابة ٣/٤٢٣ .

(٢) فى ا : « وهو سهام » ، والمثبت فى : ب ، ج .

أترضى لفضْلِي أن يضيعَ ذِمامُه ... ومثلُك لم يُحْقَر لديه ذِمامُ

***

ومن بدائعه قوله فى قُسْطنطينيَّة :

تأوَّب مُخْتبِطًا للكرَمْ ... خيالُ ألَمَّ شكا من ألَمْ

ديارٌ يُحَزُّ لديها الخليجُ ... وتنْسَى المحاسنَ فيها إرَمْ

تعدَّى العواصمَ ثم الدُّروبَ ... وكم ضَالَ فى ضَالِها والعلَمْ (١)

يؤمُّ الجزيرةَ دارَ العلوم ... ودَسْتَ المُلوك ومَرْعَى الهِمَمْ

أُساِئلُه لِمْ قرعْتَ الثغورَ ... وقَرْعُ الثغورِ دليلُ النَّدَمْ

وأُنْموذَجٌ من جِنانِ النعيمِ ... لقد عجَّل الله فيها النِّعَمْ

***

وعاقَ بها فتى من بنى زَرْقا العامة (٢) ، بصير بأسباب التبريح بَصَرَ زَرْقاءِ اليمامة .

عقَد على أدَقَّ من الوهم الزُّنَّار ، وألقى قلبَ هذا المُوحِّد من شغَفه بالنار .

فملأ من خمْرةِ وَجْده كئوسا لم يَدْنُ منها عسْكَرُ اللَّوم ، ولم يَبْقَ قدحٌ فى عهده إلَّا تطفَّح سوى هلالِ شهر الصوم .

واستمرَّ يُعانى وُلوعَه ، ويطوى على يد الصَّبابة ضُلوعَه .

إلى أن هلك الغلام ، فقرأ بعده على العشق السلام .

فمما قاله فيه ، من قصيدة (٣) :

وعصـرٍ بقُسطَنْطينيَّةٍ قد قطعتُه ... على وَفْقِ ما قد كان فى النفس والصدرِ

يَجِيئى بها كراسـةٌ أجْتَلِى بها ... عـلوماً لقد زاوَلْتُها غابِرَ الدهرِ

---

(١) الضال ، من السدر : ما كان عذيا ، أو السدر البرى . و « وكم ضال » كذا فى الأصول ، ولعلها : « وكم ضل » أو « وكم جال » .

(٢) ذكر المحبى فى الخلاصة ٤/٩٨ أنه كان خمارا .

(٣) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٣٢٩ ، ٣٣٠ ، خلاصة الأثر ٤/٩٨ ، ٩٩ .

أحرِّر منهـــا فى الطُّروسِ بدائعاً ... فأملا صدورَ القوم فى الورْد والصَّدرِ (١)

وطَوْراً أُحَلِّى من زمانىَ عاطلاً ... بِعِقْد نِظامٍ صاغَه صائغُ الفِكْرِ

مَعانٍ إذا ما صُرَّ دُرّ وَعَى لهـــا ... تراه بِصُرّ راحٍ وهْو بلا دُرّ (٢)

أضمَّنها سَلْوى الحزين ورُقْيةَ الـ ... ـسليم ومأخوذٌ من اللَّحظ بالسِّحْرِ

وكفٌّ شمـــالى للشَّمُول ينابيعٌ ... إذا أحْتَشَّها الساقى أذاعتْ له سِرّى (٣)

من العَبْقريِّين الذين تحمَّـــلوا ... نَقا كَلْكَلِ الزُّنّارِ فوق وَهَى الخصْرِ

إذا اعْتمّ زرقاء اليمامـــــــة خِلْتَها ... سماء بها قد لاح نُورسَنا البدرِ

وإن قام بين الشَّرْب خلْتَ قَوامَه ... قَنَا ألفٍ قامت على وسَط السَّطْرِ

وإن أتْرَع الكاساتِ خلْتَ يمينَــه ... لُجَيْنا تُحلِّيها مَقامعُ من تِبْرِ

وإن نظرتْه العينُ نظرةَ ذى الهوى ... سقانى بكأسِ العين خمراً على خمرِ (٤)

وأدْجو بليلٍ من ذوائبِ شعرِه ... فيارَبِّ هل فى لَثْمِىَ الثَّغْر من فَجْرِ

أفكِّر فى يوم النوى ليـــلة اللِّقا ... فأذْرِى دماءَ العين من حيث لا أدْرِى

فأمْسَحُ فى كافورةِ الجيد مُقلتى ... عسى أنّ بالكافور دمعِىَ لا يجرى

فما زال فى ثوْبِ الخلاعةِ ظاهِرِى ... وقلبى بذكْرِ الله يفترّ عن دُرّ

---

(١) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « فأملأ صدر القوم » .

(٢) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « دعى لها » .

وصردر : هو أبو منصور على بن الحسن بن على البغدادى .

شاعر من الكتاب ، رقيق الطبع .

توفى سنة خمس وستين وأربعمائة .

وفيات الأعيان ٣/ ٦٥ .

(٣) رواية إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر للبيت :

وخمرُ شمالى للشَّمول متابعُ ... إذا حثَّها الساقى أذاعتْ له سِرّى

واحتشها : سعى فى طلبها .

(٤) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « نظرة ذى هوى » .

إلى أن قذفْتُ الشِّرْكَ عن صَفْوِ خاطِرِى　　كما تَقْذَفُ الأدْناسُ عن لُجَّةِ البحرِ[1]

* * *

وقال فيه ، بعد ما هلك[2] :

ألا قُل لقُسْطَنْطِينِيَّةَ الرُّومِ إننى　　أُعادِى لقُسْطَنطِين اسْمَـك والرَّسْمَا

لقد غيَّبْتِه فى الثرى غـــير واجِدٍ　　مُحِبًّا يُفَادِيه الحُشاشَـــةَ والجِسْمَا

وقد تركتْنِى ساهرَ الطَّرْف بعـده　　مُشتَّتَ شَمْلِ البالِ أرْتقِب النَّجْمَا

سأهجُرُ فيه خُلَّةَ الكأْسِ والهوى　　وأجْتنبُ اللَّذَّاتِ أن عُدْنَ لى خَصْما

* * *

ولمـا خلُص من هواه ، وقفَل من الروم إلى أرض مَثواه .

محَّض أشعارَه إلى التوسُّل والتشفُّع ، وسمَتْ همَّتُه إلى التنصُّل عن المدح والتَّرفُّع .

فمما قاله فى غضون ذلك ، من نبويَّة[3] :

ما زِلتُ حَسَّانًا له ولبيْتـــه　　ولِصَخْرِ ذاك البيتِ كالخنْساءِ

أبْكى العقيقَ وساكِنيه وليْتنى　　كنتُ المُخضَّبَ دونهم بدماءِ[4]

* * *

وله ، من مقصورة[5] :

ومُذ نشرتْ صفحةُ البيد سُرَى　　رسمَتْ بالمَنْسِمِ واواً للنَّوَى[6]

* * *

وله[7] :

قد أَلِفتُ الهموم لمَّا تجافتْ　　عن وِصالى الأفراحُ وازْدَدْتُ كُرْبَهْ

---

(١) فى ا : « كما تقذف الأجناس » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٢) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣٣ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٢ .

(٣) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٢٠ ، خلاصة الأثر ٤/٩١ .　(٤) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « أبكى البقيع » .　(٥) البيت فى : إعلام النبلاء ٦/٣٢٠ ، خلاصة الأثر ٤/٩١ .

(٦) فى الأصول : « رسمت بالنسيم » ، والمثبت فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٧) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣٣ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٢ .

فديارُ الهمومِ أوطانِيَ الغُرْ ... ودارُ الأفراحِ لى دارُ غُرْبَهْ(١)

* * *

وله :

لئن سلَبونى لُؤْلؤاً كنتُ صُنْتُه ... بأصْدافِ فكرى لم يثقِّبْه ثاقِبُهْ

وإن غلبتْنى الأغنياء وطيَّشَتْ ... سِهامى وعيشى كان صَفْواً مشارِبُهْ

فللهِ قوسٌ لا يَطيشُ سهامُها ... ولله سيفٌ ليس تنبُو مَضارِبُهْ

* * *

وله :

وجَنَّةٍ كالشقيق مِرآتُها اليوْ ... مَ صفَتْ من قَذاةِ عين الرَّقيبِ

خُضِّبتْ من دَمِ القلوب فما تُبْ ... صَرُ إلَّا تعلَّقتْ بالقــلوبِ

* * *

وله(٢) :

الصخرُ رقَّ لحالتى ياذا الفتى ... مذ صرتُ خنساء وقلبى قد عتَا

يا أيهـــا الرِّيمُ الذى ألحْاظُه ... سلَّتْ على العُشّاقِ سيفا مُصْلَتَا

كم ذا أُعانِى فيك أهْواء وكمْ ... أصْلَى بنيرانِ الهوى وإلى متَى

اللهُ أعــــلمُ لم أبُحْ بهواكُمُ ... لـكنما العينانِ فيهـــــا نَمَّتَا

أتُرَى زماناً مرَّ حُـــلْواً بالحمى ... هو عائدٌ والعيشُ غضٌّ نَمَّتَا

ما كان فى ظنِّى الفِراقُ وإنمـا ... قاضى الغرام علىَّ ذلك أثبتَا(٣)

كم ليلةٍ للوصلِ قرَّبتِ الـكرَى ... عطَسَ الصَّباحُ ولم أُجِبْه مُشَمِّتَا

---

(١) فى ا : « من ديار الهموم » ، والمثبت فى : د ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٢) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/ ٣٣٠ ، خلاصة الأثر ٤/ ٩٩ . (٣) فى الأصول : « ما كان فى ظن الفراق » ، والمثبت فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

وعلى الذى نطقَ الـكتابُ بمدْحهِ وأتى الخطابُ له بسُورةِ هل أتَى
منِّى صـــلاةٌ أجْتنى نوّارَها من جَنَّةٍ عيناىَ فيها عَنّتَا

***

وله :

إنِ يغِبْ كلُّ صاحبٍ وصديقٍ والرّزايا بساحتيـــك أنابَتْ
فاسْتمِدَّنَّ رَوْحَ رُوحِ نَبِيٍ إنَّ رُوح النبيِّ ما قطُّ غابَتْ

***

وله ، فى مُوشَّمٍ (١) :

أفْدِى غزالًا تعرّى من ملابسِه والجسمُ من ترَفٍ أضْحى كفا لُوذَجْ
كأنّه وطِرازُ الوشمِ دارَ به جسمٌ من الدُّرِّ فيه نَقْشُ فَيْرُوزَجْ

***

وله، فى صائغ :

وشادِنٍ صـــائغٍ هام الفؤادُ به وحبُّه فى سُوَيْدا القلب قد رسَخَا
ياليْتنى كنتُ منِفـــاخًا على فَمِهِ حتى أُقبِّـــلَ فاهُ كلَّما نفخَا

***

وله(٢) :

رَيْحانُ خـــدِّك ناسخٌ ما خَطَّ ياقوتُ الخـــدُودْ
وقَعِ الغبـــارُ بها كما وقَعِ الغبـــارُ على الوُرُودْ

***

---

(١) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣٢ ، خلاصة الأثر ٤/١٠١ .
(٢) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣١ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٠ .

وله فى الدُّخان :

كأن قُضْبانَها وأرْؤُسَها تُشَبُّ نيرانُها من الوَقْدِ
سُمْرُ القَنا بالدّما مُعمّمةٌ أو أنّها مثلُ أغْصُنِ الوَرْدِ

* * *

وله فى حامل قِنْديل[1] :

وشادنٍ جاء والقِنْديلُ فى يدِه مابيْننا وظلامُ الليلِ مُعتكِرْ
كأنه فَلَكٌ والماءُ فيه سَمَا والنارُ شمسٌ به والحاملُ القمرْ

* * *

وله :

وقالوا تركْتَ الشعرَ فيمن تُحِبُّه ولم تخْترعْ معنًى قديمًا ولا بِكْرا
فقلت تجلّى بعضُ أنْوارِ حسْنِه على طُورِ أحْشائى فأحْرقتِ الفِكْرا

* * *

وله :

طويتُ رُقْعة حالى عن شِكايتِها وقد سكنتُ زوايا الفَقْرِ والباسِ
وقد قطعتُ حِبالى عن رجَا بَشرٍ مُعوِّضًا بسهام الموتِ واليأسِ
حِينًا يجود وأحْيانا تُبخِّله خلائقٌ أوْحشتْه غِبَّ إيناسِ
وقد لجأْتُ إلى مَوْلًى أرَى ثقتى بفضْله نسخَتْ أحكامَ وَسْواسِ
هو النَّصِير لعبدٍ لانَصِيرَ له ترْميه بالهُون ظُلْما أعيُنُ الناسِ

* * *

وله :

أسْتودِعُ اللهَ بدرًا لاأُودِّعُه كيْلا يَنمّ إلى واشِيه أدْمُعُه

---

(١) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣٢ ، خلاصة الأثر ٤/١٠١ .

ولو بكى لم يكنْ ذاكَ البُكا أسفاً ... إذ لم تدعْ بيَد التَّفريق أضلعُهُ

وإنّما هو يسْقِي سيفَ ناظرِه ... كيْما يُعجِّل للمشتاقِ مَصْرعُهُ

أفْدِيه من راحلٍ أتْبعتُه نفسا ... ومُقْلةً لم تزلْ دوني تُشيِّعُهُ

***

وامتدح بعضَ الأدباء بقوله :

أبدًا أناضِلُ فيك أفْراسَ المُنى ... وأصونُ أوقاتي عن التَّفْريقِ

وأظنُّ أن الدهرَ ليس بمُوحِشي ... وبأنه ببنيه خـــيرُ رَفُوقِ

لـكنَّ للأيام حــكمًا جائرًا ... أمْضَى شَباً من صارمٍ مطروقِ

ياصَيْقَلَ الفـكرِ الـكليلِ ورَوْنَقَ الْـ ... ـعمرِ القصيرِ وزَوْرَةَ المعشوقِ

أنْدَشْتَني من بعدعَوْمِي في الرَّدَى ... وتقلُّبِي والنارُ دون حريقِي (١)

أمْسِي كما يُمسِي السليمُ مُسهَّدًا ... لابالطَّليق أُرَى ولا الْمَوثُوقِ (٢)

شَوقي إليك وإن تقارب عهدُنا ... شوقي إلى عهدِ الشَّبابِ الرُّوقِ

***

وله أيضا :

روضةٌ كالشباب شوقٌ ورُوقُ ... كم بها للنسيمِ ذيلٌ رقيقُ

ماسقاها السحابُ إلّا وبَثَّ الشُّـ ... ـكرَ عنها بَنَفْسَجٌ وشَقِيقُ

كلّما انْحلَّ للسحائب خيْطٌ ... عاد للروض منه نسجٌ أنيقُ

نثرتْ عَسْجَدَ الأصيلِ عليها ... راحةُ الشمسِ يعْتريها خُفُوقُ

كم ركَضْنا فيها بخَيْلِ الملاهِي ... يوم ماشَتَّ للفريق فريقُ

---

(١) في ا : « أنسيتني من بعد عومي » ، وفي ب : « أنشتني من بعد عومي » ، والمثبت في : ج .

(٢) في ب : « أمسى كما أمسى السليم » ، والمثبت في : ا ، ج .

وخطيبُ الأطْيار قام بسُوق الْ ... أُنْسِ يشْدو وعيشُنا مَرموقُ[1]

ورياض الحِياضِ طاب وقد دَبَّ ... مِ عِذارٌ من الظِّــلال يرُوقُ

※ ※ ※

ومن رباعيّاته :

يابدرَ مَلامةٍ له البدرُ شقيقْ ... القلبُ وحرمةِ الهوى منك شقِيقْ

عهدى بجَنَى خَدِّك وردًا فلما ... قد عاد بلحْظِى ذلك الوردُ شقِيقْ

※ ※ ※

ومن بدائعه قوله[2] :

تلك الثَّنايا وَاشتقائى بهــــا ... باتتْ ترينى عند لَثْمِى الطَّريقْ

تبدَّدتْ من غَــيْرةٍ عندها ... سُبْحةُ دُرٍّ نُظِّمتْ من عقيقْ

※ ※ ※

من هذا قول العزّ البغدادىّ :

أشبَّــــه الثغرَ على حالِه ... تشبيه من لا عنــده شكُّ

بسُبْحةٍ من جوهر أُودعتْ ... حُقَّ عقيقٍ خَتْمُه المِسْكُ

※ ※ ※

وله :

لله ياعصرَ الهوى والصِّبا ... ما كان أهْناكَ وأحْــلاكَا

إذ فيك ليلَ الخَيْف ريْحانةٌ ... أشمُّها فى ظِــــلٍّ نَمْساكَا

تمسَّك الليـــــلُ بأذْيالنا ... حتى حسبتُ الليلَ ليْلاكَا

※ ※ ※

(١) فى ب ، ج : « وعيشنا المرموق » ، والمثبت فى : ا .

(٢) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣١ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٠ .

وله فى السيد أحمد بن النقيب [١] :

من مبلغٍ عنى الشِّهابِىَ أحمدًا ... نجـــلَ النقيب الشامخ المتعالِى

لا تفخرَنَّ عليك بعـــدُ بقيَّةٌ ... مالم تنلهـــا لستَ بالمِفْضالِ

المرء يكرَع من مَناهلِ خالِه ... وشرابُ آلًا كالسَّرابِ الآلِ

للهِ قاضى عصرِكَ العَدْلِ الذى ... أعطاكَ خالًا ثم صاحبَ خالِ [٢]

فبقَــدْرِ ماتهْواه من ذِى الخال قد ... أُعْطيت عكسَ هَواكَ عند الخالِ [٣]

***

وله :

وحقِّك لولا أن جُودَكَ ماطرٌ ... لما أخْصَبَتْ بالبِشْرِ روضةُ آمالِى

وإنِّىَ عبدٌ وابنُ عبدٍ لديكَ فى ... عُبوديَّتى قد فُزْتُ بالنَّسَبِ العالِى

وقد أقبلَتْ نحوى الصروفُ بجيشِها ... فقابلَها شُجعانُ صبرى وإقْلالِى

صروفُ أمانيهـــا المَنايا فلم ترُعْ ... بصبرِى ولم ترجِــعْ بعجْزى وإذْلالِى

فأدْرِكْ بألطافٍ بقيَّـــةَ مُهجةٍ ... أليفةِ بَلْبالٍ حليفـــةِ أهوالِ

فلى فيك مايُحْيِى ظُنونَ خُطورُها ... على البالِ يُحيِى مَيْتَ عِزِّى وإقْبالِى

عسى عَطْفةٌ أنِّى أفوزُ بسَعْدِها ... ومِن فوقِ هام الفخرِ أسحبُ أذْيالِى

***

---

(١) تأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ١١٥ .

والأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/٣٢٨ ، خلاصة الأثر ٤/٩٨ ، وفيهما : « وله فى والد السيد بكر المذكور — كذا وهو باكير ، التى ستأتى ترجمته فى هذا الباب برقم ١١٦ — وهو السيد أحمد المار ذكره ، يشير إلى خال له كان يلقب بآلا ، وإلى غلام كان يهواه ، يعرف بصاحب الخال : » .

(٢) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « لله قاضى دهرك العدل » . (٣) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « عند الخالى » .

وله [١] :

إنَّ خالَ الحبيب ممّا شَجاني   وعَناني به الأسَى والمَلالُ [٢]

قلتُ إذْ طاب نَكْهةً وسَواداً   قُمْ أرِحْنا بقُبلةٍ يابِلالُ [٣]

* * *

وله :

خُلِقتُ مَلُولا لو يطول بيَ الصِّبا   تلقَّيتُ شَيْبي ضاحكَ السِّنِّ باسِماً [٤]

ولو لم أرَجِّ الموتَ فى كل ساعةٍ   لقضَّيتُ هذا العمرَ ثَكْلانَ واجِما

ولولا انْحطاطِي تارةً وترفُّعِي   لما طلبتْ نفْسى العلى والمَكارِما

فمالى صديقٌ ترْتضيه صداقتى   ولا لى عدوٌّ أتَّقيه المَظالِمَا

فطوْراً جعلتُ الأصدقاء أعادِيًا   وطوراً عدوِّى أرْتضيه مُسالِمَا

ولا لى على حالٍ قَرارٌ ولا بقَا   وكيف وبى التَّبْديلُ أصبح قائمَا

* * *

منها [٥] :

أشاهد هذا الخلقَ مثلَ سفينةٍ   وسَفانُها المولى تبارَكَ دائمَا

فمن شاء يُنْجيه إلى ساحلِ البَقَا   ومن شاء يُلْقيه فيصبحُ عائمَا

كذا قُرْعةُ الأقدار قد حكَمتْ به   فلا تقترحْ شيئًا فما أنتَ قاسِمَ

---

(١) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣٢ ، خلاصة الأثر ٤/١٠١ .

(٢) رواية الإعلام ، والخلاصة :

إن خَالَ الحبيب لمّا دهاني   وشَجاني منه الجَفَا والمِطالُ

(٣) فى ج : « نكهة وسواما » ، ورواية الإعلام ، والخلاصة لصدر البيت :

* قلتُ إذ زاد نكهةً وصفاء *

(٤) فى ا : «لو يطيل بى الصبا» ، والمثبت فى: ب ، ج .   (٥) زيادة من : ب ، على ما فى : ا ، ج .

فمُتْ مَوْتَةً بالإخْتيار وَجرِّدَنْ ثيابَ السِّوى إن كنت بالله عالماَ
وكُن للقَضا كالمَيِّتِ فى يدِ غاسلٍ عساكَ من الأدْناسِ تظهر سالماَ
ولا تَقفْ قُطّاع الطريق إلى الهدى فتصبحَ فى تِيهِ الضلالةِ هائماَ

***

وله فى أرمد [١] :

ذاكَ الذى طَلَّتْ دمى عينُه وراح يُسمَّى أرمدَ الإسْمِ [٢]
لمّــــا رأى لدَمِى ثائراً عَصَّبها بالطرَفِ المُعْلَمِ [٣]
قولُوا له يــكشفُ عن عيْنه فإنَّ فيهـــا نُقطًا من دمِى

***

وله [٤] :

وجهُه كعبةُ حُسْنٍ ولَمـــاه ماءُ زمزمْ
خِلْتُ ذاكَ الخالَ منــه حجرَ الأســودِ يُلثَمْ

***

ورأيتُ [٥] بخطه : ومما نسجْتُه فى حِلْية مَن نسَج عليه العنكبوت ، من حليته الشريفة وهو [٦] مثبوت :

اسمعْ حِلْية النبىِّ المُكنَّى من لآلٍ فرائدٍ ذاتِ معنَى
أبيضُ اللونِ أنفُه كان أقْنَى ذو جبينٍ طَلْقٍ وأفْرَقُ سِناَّ
خافضُ الطَّرْفِ هيبةً وحياءً وله حاجبٌ أزَجُّ مُثنَّى

---

(١) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦ / ٣٣١ ، خلاصة الأثر ٤ / ١٠٠ .
(٢) سقطت « الذى » من : ج ، وهى فى : ا ، ب ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .
(٣) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « بالطرف المعلم » . (٤) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦ / ٣٣١ ، خلاصة الأثر ٤ / ٩٢ . (٥) هذا النقل والشعر أيضا فى : إعلام النبلاء ٦ / ٣٢٧ ، خلاصة الأثر ٤ / ٩٧ .
(٦) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، والإعلام ، والخلاصة .

وكثيفُ اللِّحَى مُجمَّع شَعْرٍ … أسودُ العين كاسِرٌ لك جَفْنا [1]

هُدْبُ عينَيْه مثلُ أقْدام نَسْرٍ … وله راحةٌ غدتْ وهْى تُثْنَى

مثل ما رَقّ أنْمُلاً رَقّ قلباً … مثل ماطال أيدِياً طال مَنّاً [2]

بالسطرِ من فوق مُهْرَقِ صَدْرٍ … من شُعورٍ كالخزِّ ليناً وحُسْناً

إن يسرْ سار جملةً كانْحطاطٍ … من عُلوٍّ بجوز رُكْنا فرُكْنا

كاملُ القَدِّ لم يُسايِرْه قِرْنٌ … فى مَقامٍ إلّا وقد طال قِرْنَا [3]

وإذا رام منطقَ القوْ … لِ بشَعْرٍ فيوزن اللفظَ وَزْنا [4]

دائمُ الفِكرِ مظهرٌ لسرورٍ … فى مُحيَّاه وهْو يكتُمُ حُزْنا

فعليه الصلاةُ كلَّ مساءٍ … وصباحٍ ماصِيغَ فى القول مَعنَى

* * *

وله فى شريف ، يُدعى بالحسن :

فى دَعَةِ الله إن ظعنْت وخلّفْـ … ـتُ شريفاً ياليتَـــه ظَعَنا

فرّق بينى وبينه زمنٌ … لا يَلْتُه وهْو لم يزل خشِنا

لا أبصرتْ مُقلتِى محاسنُه … إن كنتُ أبصرتُ بعده حَسَنا

* * *

(١) فى الأصول : «مجمع شعره» ، وفى : الإعلام ، والخلاصة : « مجمع شعرا » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) فى ا : «طال حنا» ، وفى ب ، ج : « طال حسنا » ، والمثبت فى الإعلام ، والخلاصة .

(٣) مكان عجز هذا البيت بياض فى : ا ، ج ، وهو فى : ب ، ورواية إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر له :

* فى مَداه إلّا تراه ارجَحنّا *

(٤) رواية إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر للبيت :

وإذا رام فى مجالسِه القوْ … لَ بنُصْحٍ فيُوزن اللفظَ وزْنا

وله مضمِّنًا بيت الفرزدق ، وقد نسخه عن معناه الأول ، وجعله فى الدُّخان :

وظبي غرير بات عصْراً مؤانسي ... وليس سِواه من جليسٍ ونُدْمانِ
فقد أصبح الغلْيونُ قائد جوهرٍ ... بثغرٍ له يحكى عقودَ جُمانِ
يقودُ لىَ الرِّيقَ البُرادَ الذى به ... غدتْ تنْطفِي لَوْعاتُ قلبي ونِيرانِي
وأضْرِمه حيناً بنار حُشاشتي ... فلله من ضِدَّيْن يعتلجانِ
وبتُّ أفدِّى الزَّادَ بينى وبينه ... على ضوء نارٍ بيْننا ودُخانِ[1]

* * *

ومن بدائعه قوله[2] :

وَيْلاه من جيدٍ كماء الحياهْ ... حَفَّ به زِيقٌ كشَطِّ الفُراهْ[3]
كأنما أطْواقُه حولَه ... فَوَّارةٌ تُمطِرُ ماء الحياهْ

* * *

وقوله فى القهوة ، مضمِّنًا بيت المتنبِّى فى مدح كافُور :

برُوحِي غزالٌ راح يُترِع قهوةً ... براحتِه البيْضاء تحكى الغواليَا
فقرَّتْ به عينٌ تُطالع وجْهَه ... وثَغْرٌ ثَنَاياه نَظَمْنَ لآليَا
فأحْبِبْ بها سوداء مِسْكيَّةَ الشَّذَا ... ولولا سوادُ المِسْك ما كان غاليَا
لقد نظَمَتْ شَمْلَ المُحبِّ بحِبِّه ... وأنْسَتْ بياضَ الماء مَن كان صادِيَا
فجاءتْ بنا إنْسانَ عين زمانِه ... وخلَّتْ بياضاً خلفها ومآقِيَا[4]

* * *

(١) بيت الفرزدق فى ديوانه ٨٧٠ :

فبتُّ أُسوِّى الزادَ بينى وبينه ... على ضوءِ نارٍ مرةً ودُخانِ

(٢) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣٢ ، خلاصة الأثر ٤/١٠١ .

(٣) يعنى الفرات ، النهر المعروف . وفى الأصول : « حف به ريق » ، والمثبت فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر . (٤) ديوان أبى الطيب ٤٤١ .

وقوله[1] :

قيل لى كم ولِمْ ترُى تَـمادَى ... فى الهوى والطريقُ وَعرٌ قَصِيُّ[2]

قلتُ ظنّى بالله ظنٌّ جميـــلٌ ... وبخيْرِ الأنامِ جَدِّى علىُّ

إن لله رحمـــــةً تسَعُ الخَلْـ ... ـقَ جميعا فمَن هو العرْضِيُّ

***



---

(١) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/٣٣٤ ، خلاصة الأثر ٤/١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « قيل لى كم وكم » .

١١٤

فتح الله بن النحّاس *

أنا لا أجـد عبارة تفى [١] فى حقه بالمدح [١] ، فأرسلت اليَراع وما يأتى به على الفتح .

وناهِيك بشاعر لم يطِنّ مثـل شعره فى أذن الزمان ، وساحرٍ إذا أشربت كلماته العقول استغنتْ عن الكؤوس والنُّدْمان .

سِهام أفكاره تفك الزَّرَد ، وكِنانة آرائه تجمع ما شتّ وشرَد .

فهو للمعانى الباهرة مخترِع ، وآتٍ منها بأشياء لم يكن بابُها قُرِع .

وباب الفتح لم يُغلَق ، وكم فى خزائن الغيب من أشياء لم تُخلَق .

فـارت بأشعاره الصَّبا والقَبول ، وصادفت من الناس مواقع القبول .

كأنها نفَسُ الرَّيحان [٢] لُمبتَلّ ، يمزجه بأنفاس النَّور نسيم الروض [٣] المعتلّ .

(*) فتح الله بن النحاس الحلبى .

شاعر مشهور ، لم يكن أحد يوازيه فى أساليبه ، أو يوازنه فى مقاصده فى عصره ، وقد شغل النقاد بالمفاضلة بينه وبين الأمير منجك .

وكان الفتح فى حداثته من أحسن الناس منظرا ، ثم تبدلت محاسنه ، وانفض عنه أهل الغرام به ، واندرج فى مقولة الكيف ، وتزيا بزى الزهاد ، حدادا على ذهاب حسنه .

خرج من حلب ، وطاف البلاد ، وأكثر من التنقل ، ودخل دمشق مرات ، وفى شعره ما يدل على أنه أقام بمصر مدة .

توفى بالمدينة المنورة ، سنة اثنتين وخمسين وألف ، ودفن ببقيع الغرقد .

إعلام النبلاء ٦/٢٦٩ ـ ٢٧٣ ، خلاصة الأثر ٣/٢٥٧ـ٢٦٦ ، سلافة العصر ٢٧٦ـ٢٨٦ .

(١) فى ا : « بحقه فى المدح » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ا : « الريحانة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

أَسْرَى وأَسْيَرُ فى الآفاقِ من قمرٍ ومن نسيمٍ ومن طَيْفٍ ومن مَثَلِ

* * *

وقد أثبتُّ من منتخبات قصائده ، وأدبه الذى علقت القلوبُ فى مصائده .

ما لم يتغنَّ بمثل خبره الحادِى والملَّاح ، ولم تزْهُ بأحسن من وصفِهِ قدودُ الحسان وخدود المِلاح .

قال البَدِيعِىّ فى وصفه ، وذكر ابتداء أمره وإيراد لمع من نثره وشعره :

نشأ فى الشهباء ، ووجهه نسخة البدر فى إشراقه ، يناجى العاذل عن عذر عشّاقه .

وهناك ما شئتَ من منظر عجيب ، ومنطق أريب .

كأن الجمال ملَّكه رِقَّه ، ولم يرَ غيره من استحقَّه .

وهو مع تفرُّده بالحسن ، ولُوعٌ بالتجنِّى وسوء الظنّ .

بصير بأسباب العَتب ، يبيت على سلم ويغدو على حرب .

كم متيّمٍ فى حبه رعَى النجم فَرَقاً من الهجر ، لو رعاه زهادةً لأدرك ليلة القدر .

بخيل بنَزْر الكلام ، يضِنُّ حتى بردِّ السلام ، لا يُطمِع الدَّنِفَ بمرْضاته ولو فى المنام .

وأبناء الغرام يومئذ يفْدونه ، ويرَون كلَّ حسن دونه .

ومُذْ بدا العارضُ فى خـدِّه بُدِّلت الحمـرةُ بالاصْفرارْ

كأنمـا العارضُ لمَّا بدا قد صار للحسن جناحاً فطارْ[1]

ونُسِخت آيةُ جماله ، وكُسِفت آية هلاله ، وحال ذلك البَها عن حاله .

---

(١) سقطت « قد » من : ا ، وهى فى : ب ، ج .

وصار ضياء محاسنه ظلاما ، وعِقْيانُ مَلاحته رَغاما .

لو فكَّر العاشقُ فى مُنتهى   حسنِ الذى يسْبيه لم يسْبِهِ

ولما بطَل سحرُ هاروتِ أحْداقه ، وفُكَّت الأفئدة من وَثاقه .

عطف على مُحبِّيه يستمدُّ ودادَهم ، ويستقى عِهادَهم .

وكان شأنه مع الجميع ، شأنَ الفضل بن الربيع[1] .

فاندْرج فى مَقولة الكيْف ، وعلم أن المحاسن سحابةُ الصيف .

وأصبح عبير[2] وحدِه ، وصدَّه مَن رِيع بصدَّه .

وجعل زِىَّ الزُّهاد شِعاره ، واتَّخذ من الشَّعَر صِداره .

حداداً على وفاة حسنه البهيج ، وفَوات جماله الأريج .

وما زال يرثى[3] أيام أنسِه ، وينعى ما يتعاطاه من الكيف على نفسِه .

حتى ضاق نِطاقُ حضيرته ، ومَلَّ الإقامة بين عشيرته .

فأعطى عِنانَه ليد البِعاد ، وامْتطى غاربَ الإتْهام والإنجاد .

كأنَّ به ضِغْنا على كلِّ جانبٍ   من الأرض أو شوقاً إلى كلِّ جانبِ

إلى أن بلَّغه الله غايةَ المأمول ، ووفَّقه بأن استوْطن مدينةَ الرسول .

وأقام بجوار الشَّفيع ، إلى أن غيَّبه بِقاع البَقيع .

---

(١) أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس .
خصم البرامكة ، وصاحب وزارة الرشيد والأمين بعدهم ، ولما ظفر المأمون استتر الفضل ، ثم عفا عنه المأمون ، وأهمله بقية عمره .
توفى سنة ثمان ومائتين .
تاريخ بغداد ١٢/٣٤٣ ، وفيات الأعيان ٣/٢٠٥ .
والإشارة هنا إلى عزه أيام الرشيد والأمين ، وتبدل حاله أيام المأمون .

(٢) فى ج : « عسير » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٣) فى ا : « ينسى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وفى كثرة أسفاره يقول (١) :

أنا التاركُ الأوطانَ والنازحُ الذى … تتبّع ركبَ العشقِ فى زِىّ قائفِ

وما زلتُ أطوى نَفْنَفاً بعد نَفْنفٍ … كأنّى مخلوقٌ لطَىِّ النَّفانفِ (٢)

فلا تعذِلونى إن رأيتم كتابتى … بكلِّ مكانٍ حلَّه كلُّ طائفِ

لعلّ الذى بايَنْتُ عيشى لَبِيْنِه … وأفنَيْتُ فيه تالِدى ثم طارِفى (٣)

تكلِّفه الأيامُ أرضاً حلَلْتُها … ألا إنّما الأيامُ طَوْقُ التكالُفِ (٤)

فيُملى عليه الدهرُ ماقد كتبتُه … فيعطِفُ نحوى غصن تلك المعاطِفِ (٥)

* * *

ومن بدائعه قصيدة ينعى بها نفسه على أكل الأفيون ، ويتأسف على ماضى حسنه (٦) :

مَن يُدخِلِ الأفيونَ بيتَ لَهاتِه … فلْيُلْقِ بين يديْه نقْدَ حياتِه

وإذا سمعتم بامرئٍ شرِب الرَّدَى … عزُّوه بعد حياته بمماتِه (٧)

لو يا بُثَيْنُ رأيتِ صَبَّك قبلَ ما الـ … أفيونُ أنحلَه وحلَّ بذاتِه (٨)

فى مثل عمرِ البدر يرتَع فى ريا … ضِ الزَّهْوِ مثل الظَّبْىِ فى لَفَتاتِه (٩)

من فوق خدِّ الدهر يسحب ذيلَ ثو … بِ مُناه أنَّى شاء وهْو مُواتِه (١٠)

---

(١) الأبيات فى ديوانه ٧١ ، إعلام النبلاء ٦/٢٧١ ، خلاصة الأثر ٣/٢٥٩ .

(٢) النفنف : المفازة .

(٣) فى الديوان : « قبل طارف » .   (٤) فى الديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « طرق التكالف » .

(٥) فى الأصول : « غصن تلك المعاطف » ، والمثبت فى ديوانه ، إعلام النبلاء ، خلاصة الأثر .

(٦) القصيدة فى : ديوانه ٦٨ ــ ٧٠ ، وفيه أنه يمدح بها نجم الدين ، إعلام النبلاء ٦/٢٧٠ ، خلاصة الأثر ٣/٢٥٨ .   (٧) لم يرد هذا البيت فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٨) فى الديوان : « رأيت حبك » .   (٩) فى الديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « فى رياض الزهر » .   (١٠) فى الديوان : « مناه بين الناس وهو مواته » ، ورواية إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر :

من فوق خدِّ الدهرِ يسحب ذيلَهُ … مَنَّاه أنَّى شاء وهْو مُواتِه

وتراه إن عبث النسيم بقدّه ينقدُّ شَرْوَى الغُصْنِ فى حركاتِهِ [١]
وإذا مشى تِيهاً على عُشَّاقه تتقطّر الآجالُ من خَطَراتِهِ [٢]
يرنو فيفعلُ مايشاء كأنما ملَكُ المَنِيّة صال مِن لَحَظاتِهِ [٣]
لرأيتِ شخصَ الحسنِ فى مِرآتِهِ ودفعْتِ بدرَ التِّمّ عن عَتَباتِهِ [٤]

***

وقوله ، من أخرى [٥] :

ياهذه إن أنتِ لم تدرِ الهوى لا تجحديه فِى الهوى اسْتِحْكامُ [٦]
وأبيكِ كنتُ أحَدَّ منك نواظراً وبكل قلبٍ من جَفَايَ كِلامُ [٧]
والسحرُ إلّا فى لسانى منطقٌ والحسنُ إلا فى يدَىَّ خِتامُ
لَدْنَ القوامِ مَصُونةٌ أعطافُه عن أن تَمُدّ يداً له الأوْهامُ [٨]
مُتمنِّعا لا الوعد يُدْنِى وَصْلَه يوماً ولا لخيالِه إلْمامُ
حتى خلقْتِ السقمَ فيه بنظرةٍ ولقد يُلاقِى ظُلْمَه الظُّلّامُ
وتنوّعتْ أدْواؤه فبطرْفِهِ شكلُ الرقيبِ وفى الصِّماخِ مَلامُ

***

(١) فى ب ، ج : « وتريه إن عبث » ، والمثبت فى : ا ، والديوان وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .
وفى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « ينقد سرو الغصن » .
وشروى الغصن : أى مثله .
(٢) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر « تتقطر الآجال » . (٣) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « صار من لحظاته » .
(٤) فى الديوان :

* ورفعتِ بدرَ التِّمّ من عَتَباتِهِ *

(٥) الأبيات فى ديوانه ٨٠ ، ٨١ ، من قصيدة يمدح بها عثمان بك ، سنجق منفلوط ، وفى خلاصة الأثر ٣/٢٥٨ ، ٢٥٩ . (٦) فى الديوان : « فللهوى استحكام » .
(٧) فى الديوان : « أحد منك لواحظا » .
والكلام : جمع الكلم ، وهو الجرح .
(٨) فى الديوان : « لها الأوهام » .

ودخل دمشق فاتّخذه الأمير مَنْجَك نَديمَ مجلسه ، ومطمح أماني ترنُّحِه وتأنُّسِه .

فتوافق الليل والسَّمَر ، واجتمع الشمس والقمر .

على السعد في هذا القِران ، والتّنافس من أماجِد الأقْران .

فجالس الفتحُ به القَعْقَاع (١) ، ولم يقل : الفضل المتقدم . كما قال ابنُ (٢) الرِّقاع (٣) .

وله فيه قصائد منها داليته التي أولها (٤) :

نـثر الربيـعُ ذخائرَ النُّـ ... وّارِ من جَيْب الغـوادِي

وكسا الرُّبى حلَـــلا فو ... اضلُها تُجرُّ على الوِهادِ

وكأن أنْفاس الجنـــا ... نِ تنفّستْ عنهـا البوادِي

والزّيْزَفُون يفُتُّ غا ... ليةً مُضمَّخةً بجادِي (٥)

يُلقِي بهـــا للروض في ... ورَق كأجنحة الجرادِ (٦)

هاج النفوسَ ولم يَفُـ ... ـهْ غيرُ تهْييجِ الجمـــادِ

والورد مخْضوبُ البنـــا ... نِ مُضرجُ الوجنات نادِي (٧)

---

(١) هو القعقاع بن شور الذهلي ، الذي يقول فيه الشاعر :

وكنتُ جليس قعقاع بن شَوْرٍ ... ولا يشقَى بقعقاعٍ جليسُ

انظر ثمار القلوب ١٢٨ .

(٢) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

(٣) عدي بن زيد بن الرقاع العاملي ، وهو القائل :

وعلمتُ حتى ما أسائل واحدًا ... عن عِلم واحدةٍ لكى أزْدادَهَا

انظر الموشح ٣٠٠ .

(٤) القصيدة في : ديوانه ٢٣–٢٥ ، ومن البيت الحادي عشر إلى البيت العشرين في سلافة العصر ٢٨٤ .

(٥) الزيزفون : شجر ينقع زهره بالماء ويتداوى به . المنجد ٣٢١ .

والجادي : الزعفران .

(٦) هذا البيت والذي يليه ساقطان من : ج ، وهما في : ا ، ب ، والديوان .

(٧) في الديوان : « مضرج الوجنات زادي » .

نُصِبتْ له سُرُرُ الزَّبَرْ ... جَدِ والخيامُ بكل وادِى

حرسَتْه شوكةُ حسنِه ... من أن تُمَدَّ له الأيادِى

والعَنْدليبُ أمامَــــــه ... بفصيحِ نغْمته ينــادِى

مَن رام يعبَث بالخدو ... د فدونَها خَرْطُ القتادِ

وحَذارِ مخضوبَ البَنا ... ن إذا تمكَّن من فؤادِ (١)

فامْسَحْ بأذْيال الصَّبا ... عن مُقْلتيْك صدَى الرقادِ

هل هذه بُـكَر الرُّبَى ... أم هــذه غُرَر الرشـادِ

وانهضْ لـكسْب جديد عُمْـ ... ـرٍ من بُـكورٍ مُستفادِ (٢)

واقنَعْ بظلِّك أو بظـلِّ ... الدَّوْحِ عن ظل العبادِ

ماراج من طالب المعيـ ... ـشةَ بين إخوان الكسادِ

لا يُعجبنَّك لِينُ من ... أبصرْتَه سهلَ القيـادِ

وأبيك مالانتْ لغيـ ... ـرِ الطعنِ ألْسنةُ الصِّعادِ

لاتشتهى وجَــعَ الفؤا ... دِ مضى زمان الاتحادِ

نفسِى الفِداءُ لمنْجَك الْ ... مُسْتعِزِّ بالانفـــرادِ

لا يُجْتنَى إلا بمجْ ... لِس فضلِه ثمَرُ الودادِ (٤)

مُتكثِّرٌ بغنَى الشَّما ... ئل لا بعاجلةِ النَّفادِ

شِيَمُ الجواد هى الغنَى ... لاماحوَتْه يدُ الجـوادِ (٥)

الدهر مغلولُ اليديْ ... نِ وذاك مبسوط الأيادِى (٦)

* * *

(١) فى الأصول ، والديوان : « من فؤادى » ، والمثبت فى سلافة العصر . (٢) فى سلافة العصر : « من بكورك مستفاد » . (٣) فى سلافة العصر : « أو بظل الروض » . (٤) فى ب : « إلا بمجلس فضله نشر الوداد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان . (٥) فى الديوان : « شيم الجواد » .
(٦) فى الديوان : « الدهر مقبوض اليدين » .

وله فى أحمد بن شاهين[1]، البائية التى أخذت من البلاغة أوفر الأنصباء والقِسَم، وأقمت البراعة بقوافيها على أن مُبدعها مِحَكّ الأدب ولا غَرْو فالباء من حروف القسم.

ومستهلها[2]:

أَلَذُّ الهوى ماطال فيه التجنُّبُ وأحْلاه مافيه الأحِبَّاء تَعتَبُ

يقول فى مديحها:

يُمزِّق شَمْلَ المشكلاتِ لوقْتها إذاشِيمَ مِن فِيهِ الحسامُ المُذرَّبُ[3]

توقَّد حتى ليس يخبو ذكاؤه وكاد وحاشا فكرُه يتلهَّبُ

وبيت ختامها:

ولا بَرِح الحسَّادُ صَرْعَى وكلُّهم على مثل مافى قلبه يتقلَّبُ

***

واتفق له مع الأدباء مجالس تؤثَر، وعليها الأرواحُ تُلقى وتُنثَر.

فمن ذلك مجلس فى روض أورقتْ أشجارُه، وتنفَّست عن المسْك أسحارُه.

غِبَّ سحاب أقلع بعد هُتونه، ودار دُولابه يسْقيه بجفونه.

تُوسِّدهم أنهارُه مَعاصِمَ فِضِّيَّة، وتنيمهم أفياؤه تحت ذوائبَ مُرْخيَّة.

فقال[4]:

وروضٍ أنيقٍ ضمَّنا منـه مجلسٌ على نَوْره حَفنُ الدَّواليبِ ساكبُ

خَلا حسنه عن كل وَغْدٍ يَشِينه وما صَدَّنا لما أتيْناه حاجبُ

طَلَعنا بدوراً فى سَماه وبيننا جُمانُ حديثٍ هُنَّ فيه كواكبُ

وبِتْنا وأوراقُ الغصون غطاؤنا على فُرُشِ الأنهار والطيرُ نادِبُ

---

(١) تقدمت ترجمته، فى الجزء الأول، صفحة ٩٦، برقم ٦. (٢) ديوانه ٢٩ ـ ٣٤.

(٣) المذرب: المسموم. (٤) لم أجد هذه الأبيات فى ديوانه

فنعم مكاناً مابه قطُّ قاطنٌ وبيتاً ولكن ماله الدهرَ صاحبُ

***

وهنا أذكر منتخبات من شعره ، مرتَّبة على حروف المعجم .

فمنها قوله يخاطب العِمادِىَّ (1) ، مفتى الشام ، وقد رمِدتْ عيناه (2) :

فِدًى لعينك دون الناس عيناى وكلُّ عضو فِداه كلُّ أعضائى

نودُّ لو كان مَوْدُوعا بأنفسِنا ما تشتكيه بعينٍ منك رَمْداء (3)

نَظَّارةٌ لكتابِ الله قد مُلِئتْ خوفَ الوشاةِ بإشفاق وإغضاء (4)

وأنتَ لا عن حجابٍ كنت ناظرَنا فارْفَع حجابَك وانظُر للأحبّاء

***

وقوله من قصيدة ، مستهلها (5) :

عطَف الغصنُ الرطيبُ وتلافانا الحبيبُ

أىُّ عضوٍ تسرح الأ بْصارُ منه وتؤوبُ (6)

فاتّقِ اللهَ وغُضِّ الطَّرفَ عنه لايذوبُ

***

أبو تمام (7) :

قد غَضَضْنا دونك الأبْ صارَ خوفاً أن تذُوبا (8)

***

---

(1) يعنى عبد الرحمن ، كما فى الخلاصة .

(2) ديوانه ٩٢ ، خلاصة الأثر ٣/٢٦٥ . (3) فى ب ، والديوان : « نود لو كان » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (4) فى خلاصة الأثر : « خوف المعاد » ، وهى أولى .

(5) ديوانه ١٣ – ١٧ ، من قصيدة يمدح بها السيد أحمد البكرى .

(6) فى الديوان :

أى عضوٍ تسرحُ الأبْ حاظُ فيه وتؤوبُ

(7) ديوان أبي تمام ٤٣٣ . (8) فى الديوان : « قد قصرنا » .

وله [١] :

مالمشتـــــاه ولـكن ٭ كاد من لَحْظٍ يذوبُ [٢]

أيهـــا العشّاقُ مَحْـ ٭ ـزونُ الهوى منّى طَرُوبُ [٣]

كلَّ وقتٍ ليس تَنْـ ٭ ـشَقُّ قلوبٌ وجُيوبُ [٤]

إنمـــا يمْرَح بى فى ٭ لُجَّة العشق لَعوبُ [٥]

وإذا بدَّ سُرورٌ ٭ وإذا نَدَّ نحيبُ [٦]

والذى يهجر فى الحبِّ ٭ للاحيـــــه نسيبُ

ما على مَن سَرّه الْـ ٭ ـوصلُ إذا غِيظ الرّقيبُ

رَنَّةُ القوسِ لِرا ٭ مِيها وللغـــير النُّدوبُ

* * *

منها :

وإذا أمكنت الفرْ ٭ صةُ أجْـــنى وأتوبُ

فى الهوى صَحَّ اجْتهادِى ٭ فأنا المُخطِى المُصيبُ

* * *

من مديحها :

ضاحكُ الوجه وهـــل فى ٭ طلعةِ القُطْب قُطوبُ

---

(١) هذا تمام القصيدة ، كما جاء فى ديوانه ، وليس قصيدة أخرى . (٢) لم يرد هذا البيت فى الديوان . (٣) فى ا : « أيهـا العاشق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان .

(٤) فى الديوان : « أى وقت » . (٥) فى الديوان : « إنما يمرح . . . حلبة العشق » .

(٦) فى ا : « وإذا بدر سرور » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان ، وفيه : « لى إذا بد » . وفى حاشية الديوان : « بد : أعيا ، أو نعس ، وهو قاعد لايرقد » ، والذى فى اللسان (ب د د) ٣/٨٢ : « بدد فلان تبديدا : إذا نعس وهو قاعد لا يرقد » .

جنّةُ الشمس لهــا فيـ ـهِ شروقٌ وغروبُ[1]
أىُّ قلبٍ حــلَّ منى كلُّ أعضاىَ قلوبُ[2]

* * *

ومن مختاره[3] :

وجهكَ صبح المُنى ولى زمنٌ آمُــل إقباله وأرتقبُ[4]
تُلقى المعانى إلىَّ زهرتَهــا فأجتنيهــا والغيرُ يحتطبُ
وكم بيوتٍ ملأتُها حِكَماً وهُنَّ إن شئتَ خُرَّدٌ عُرُبُ
أسوغ من جرعة الزلال على الـ قلبِ وفى قلبِ حاسدى لهبُ

* * *

منها :

دارُ اغترابى التى عنيت بهـــا مصرُ ودارى وحبذا حلَبُ[5]
دارٌ تُميتُ الهمومَ نفحتُها وتقتدى من عبيرها الكُتُبُ
لا قُربُها للكرام مضيعةٌ ولا حِماها للضيمِ منقلَبُ
علىَّ أن لا تنامَ لوعتُهـــا بين ضلوعى همومُها شُعَبُ

* * *

منها :

لا أقبلُ الضَّيْمَ كيف أقبله والمجدُ يأباه فىَّ والحسَبُ

---

(١) فى الديوان :

حبّه الشمس لها فىَّ شروقٌ وغروبُ

(٢) فى ب ، والديوان : « كل أعضائى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) ديوانه ٣٥ — ٣٧ .
(٤) فى ب : «ولى أمل» ، والمثبت فى: ا ، ج ، والديوان . (٥) فى الديوان : «أنت ودارى» .

والشمسُ صَوْنا لضوءِ طَلْعتها   خوفَ لحاقِ الظلام تحتجبُ [١]

يُظَن صَدْعِي لقَرْعِ نائبةٍ   وإنّما من أحبّه النُّوَبُ [٢]

كأنني من زُجاجةٍ جسَدٌ   أحِبّتي فى انْكسارِه السببُ [٣]

***

وله هذه القصيدة ، وهى من بدائعه [٤] :

طَمَنْ فؤادَكَ أىُّ حُرِّ   م لم يُرَع بالخطْب قلبُـــهْ

ودعِ المَـــلام فداء مَن   عالَجتَ بالنّطاسِين طِبُّهْ [٥]

لا تُـكثِرَنْ هــلّا فعلْـ   ـتَ عليـــه فالفعّال ربُّهْ

المرء يصعُب جَهـدُه   ويلين بالمقْـدور صَعْبُهْ

لا تَنْهَمْنِي فالمُـــؤا   خَذُ فى الزمان النّذْلِ نَدْبُهْ [٦]

وأبيكَ من زمنِ التّر   وُعِ لم يزلْ دأبى ودأْبُهْ

ومن العجيبِ لدَى الأنا   مِ عَطاؤه ولدىّ سَلْبُـــهْ

يادهرُ مثْـــلى لا يُقَـ   ـقَلُ عن سَنام المجـدِ جَنْبُهْ

أنا لا أُبالى إنْ رميـ   ـتَ وسبَّ عرضِى من أسبُّهْ [٧]

السيفُ يُرمَى بالفُـــلو   لِ إذا فشَا فى الصَّلْدِ ضَرْبُهْ [٨]

والعينُ يُدميهـــا الذُّبا   بُ ويعجِز الآسادَ ذَبُّهْ [٩]

---

(١) فى ب : « والشمس ضوء لضوء طلعتها » ، وفى الديوان : « والشمس صونا بالضوء طلعتها » .

(٢) فى الأصول : « يظن صدغى » ، والمثبت فى الديوان .

(٣) فى الديوان : « أصابه فى انكساره السبب » .

(٤) القصيدة فى ديوانه ٦٤ ـ ٦٧ .

(٥) فى الديوان : « عالجت فى التسليم طبه » .

(٦) فى الأصول : « فى الزمان النذل » ، والمثبت فى الديوان . والندب : السريع الخفيف فى الحوائج .

(٧) فى ا : « وسب عرض » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان .

(٨) فى ا : « إذا نشى فى الصلد » ، وفى الديوان : « إذا قسا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٩) فى الديوان : « ويعجز الآساد دبه » .

والتِّبرُ يعلوه التُّرا ... بُ ولا يضرُّ التِّبرَ تُرْبُهْ

وأبيك ما نُكِبَ اللبيـ ... ـبُ وفضلُه باقٍ ولُبُّهْ

هم يعرفون بأن نجـ ... ـمِى تحرِق الطاغين شُهْبُهْ

والصبرَ يُرْقِينى إذا ... وثَب الزمان وعضَّ كَلْبُهْ

إن تَجْنِى قومٌ فإنْـ ... ـنَ الموتَ ليس يَسُوغ شُرْبُهْ

أو قيل قد مَلُّوه فالْـ ... ـمُّ الزعافُ يُمَلُّ قُرْبُهْ

أما المَلال فإنني ... عُوِّدتُه ممن أحبُّهْ

وإذا تكلَّف فى الودا ... دِ أخو الودادِ فكيف غربُهْ

فاطْوِ البِساطَ فالانبِسا ... طُ قد انطوى فى الناس سِرْبُهْ

والشِّعر أخلَف نَوْؤه ... وتقشَّعتْ فى الجوِّ سُحْبُهْ

مازال تلفحُه سَمو ... مُ البُخل حتى جفَّ عُشْبُهْ (١)

كم ترتجِى صَنَماً سوا ... ءٌ فيه مِدْحتُه وثَلْبُهْ (٢)

مُستنكَر الأكتاف جَعْـ ... ـدُ الكفِّ جَعْدُ الوجهِ صُلْبُهْ (٣)

أأُخَىَّ من يكُ شاعراً ... فالخالقُ الرزاقُ حَسْبُهْ

والراسُ راسُ المالِ إن ... يسلَمْ فليس يقِلُّ كَسْبُهْ

وكفَى فتى العرفانِ خِلاَّ ... ماً فضائلُه وكُتْبُهْ (٤)

فعلامَ ترغبُ فى سَرا ... بٍ من شُخوص الآلِ سِرْبُهْ

يتقلَّبون مع الزما ... نِ كأنَّ حِزْبَ هواكَ حِزْبُهْ (٥)

---

(١) فى ا ، ب : « ما زال تلمحه » ، والمثبت فى : ج ، والديوان . (٢) فى الأصول : « مدحته وسلبه » ، والمثبت فى الديوان . (٣) فى الديوان : «مستنكر الأنساب» . (٤) فى ا : « فضائله وكسبه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان .

(٥) فى الديوان : « كأن حرب هواك حزبه » .

يَشْقَى النجيبُ بهم ويُنْـ ـمُه إلى الأعـداء صَحْبُهْ

وإذا جـنَى فكأن سُـ ـلطانَ الذنوبِ الدُّهْمِ ذَنْبُهْ

فوجوههم طَلَـلٌ به يومَ اللّحَى قد طال نَدْبُهْ

وأكفُّهم قَفْـرٌ أُمِيـ ـتَ الخِصْبُ فيه وعاش جَدْبُه(١)

ذهب الذين يعيش مِثْـ ـلى بينهم ويموتُ كَرْبُهْ

وبَقى الذى تُضْنِى العيُـو نَ حُلاه والأسماعَ كَذْبُهْ

من كلِّ مَحْلولِ الوِكا ءِ مُثقَّفِ البِيضان ثُقْبُهْ(٢)

من كلِّ مَفْرِىِّ الأَدِ يمِ بِصَعْدَةِ السِّرْوالِ عَقْبُهْ

يمشى ويمسح من مَعـا طِفِه وكعبُ الشُّوم كَعْبُهْ

طُـول بلا طَوْلٍ وأَدْ هَى مايُرَى للعين صَلْبُهْ

أأُخَىَّ مثلى ليس يُهْـ ـدَى عن مَثار النَّقْع شُهْبُهْ

لابُدَّ من شَمَرٍ يعمُّ الجوَّ والأعدا مَصَبُّهْ

فارقُبْ خُفوقى إن سكَنْـ ـتُ فعاصِفِى يُرْجَى مَهَبُّهْ

لاتنظرُ الحسّادُ حا لى إنما المنظورُ غِبُّهْ(٣)

أوَ مادَرَوا أن الحسا مَ يُفَلُّ ثم يُحَدُّ غَرْبُهْ

والبـدرُ يُشرِق فى المَطا لعِ بعدما أخفـاه غَرْبُهْ

والروضُ يذبُل ثم يُكْـ ـسَى النَّوْرَ والأوراقَ قُضْبُـهْ

والداء إن يوماً يُشفَّ مِ فبالتّـداوِى يَشْفِ رَبُّهْ

---

(١) فى ب ، ج : « وعاش جذبه » ، والمثبت فى : ا ، والديوان .

(٢) فى الديوان : « مثقف القضبان » .

(٣) لا تنظر : لا تنتظر .

والدهرُ إن يُؤمن بغفـ ـلٍ لذّةٍ يفجأْهُ خَطْبُه (١)
لا يخـدعنّك سِلْمُـه فوراءَ سِلْمِ الدهرِ حَرْبُه

***

قلت : لله دَرُّه على ما أبدع من المعانى الغرائب ، والألفاظِ المُزرية بدُرَر النحور والترائب .

ويُعرف قدر الشاعر الفائق ، بتنوُّع جَوَلانه فى المَيْدان المُتضايق .

***

وله يصف بركة ماء (٢) :

انظُرِ البركةَ التى تتراءى لِمُحيَّا الرياضِ كالمِرآةِ
تَرَ خـداً مثـلَ اللُّجَيْن تحلَّى بعِذارٍ من انعكاسِ النَّباتِ (٣)

***

وهـذه قطعة من حائيته التى سارت بها الرُّكبان ، وطارت شهرتُها بخَوافى النُّسُور وقوادِمِ العِقْبان (٤) :

بات ساجِى الطَّرْفِ والشوقُ يُلِحّْ والدجى إن يمضِ جُنْحٌ يأْتِ جُنْحْ
وكأنّ الشرقَ بابٌ للدُّجى ماله خوفَ هجُومِ الصبحِ فَتْحْ (٥)
يقْـدَحُ النجمُ بعينى شرراً ولزَنْد الشوقِ فى الأحْشاءِ قَدْحْ (٦)

---

(١) فى الديوان :

والدهرُ إن تأمن نوا ئبَه يفجأْكَ خَطْبُهْ

(٢) ديوانه ٧٣ . (٣) فى الديوان : «مثل اللجين تجلى» . (٤) القصيدة فى ديوانه ٢٥ـ٢٨ ، سلافة العصر ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، قالها يمدح الأمير محمد بن فروخ ، أمير حاج الشام . (٥) فى ا : « وكأن الشوق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان ، والسلافة ، وفى السلافة : « فـكأن » .
(٦) فى الديوان والسلافة : « لعينى شررا » .

لاتَسَلْ عن حالِ جَفْني والكَرى ... لم يكنْ بيني وبين الدَّمْعِ صُلْحْ (١)

منها :

كلُّ عَيْشٍ ينقضي مالم يكنْ ... مَعْ مَليحٍ مالذاك العيشِ مِلْحْ

من مديحها في خصمائه :

وإذا قيل ابنُ فَرُّوخٍ أتى ... سقطُوا لو أنَّ ذاك القولَ مَزْحْ (٢)

بطَلٌ لو شاء تمزيقَ الدجى ... لأتاه من عمودِ الصبح رُمْحْ

كم سطورٍ بالقَنا يكتبها ... وسطورٍ بلسانِ السيف يَمْحُو (٣)

كلُّ ما قد قيل في ترجيحه ... في النَّدَى أو في الوغَى فهْو الأصحّْ

منها :

آهِ من جَوْرِ النَّوى لاسُقِيَتْ ... تُعْطِب الحرَّ وما للحرِّ جُنْحْ (٤)

غُرْبةُ الأوطان أوْدتْ كبِدي ... واعتراني ألَمٌ منها وبَرْحْ (٥)

حسَّنوا القولَ وقالوا غُربةٌ ... إنما الغُربةُ للأحْرار ذَبْحْ

فانتقِذْني واتخِذْني بُلْبلاً ... صَدْحُه بين يدَيْ عَلْياك مَدْحْ (٦)

بقَوافٍ كسَقِيط الطَّلِّ أو ... أنها من وَجَنات الغِيد رَشْحْ

* * *

ومما علق من مترنَّماته ، وأغلق عليه باب مُسلَّماته .

قوله (٧) :

(١) في الديوان : والسلافة :

* لا تسَلْ عن حالِ أرْباب الهوى *

وفي السلافة : « إن يكن . . . النوم صلح » .

(٢) في الديوان ، والسلافة : « فإذا قيل » . (٣) في السلافة : « كم طروس » ، وبين هذا البيت والذي بعده تقديم وتأخير في السلافة. (٤) في الديوان : « وما للحر نجح » ، وهذا البيت والبيتان التاليان له لم يردوا في السلافة . (٥) لم يرد هذا البيت في الديوان . (٦) في الديوان : « فانتقذني » . وفي السلافة : « وانتقذني » . (٧) القصيدة في : ديوانه ١٨-٢١ ، خلاصة الأثر ٣/٢٦١-٢٦٣ ، سلافة العصر ٢٧٩ - ٢٨١ ، يمدح أبا الإسعاد بن وفا .

قد نفِـــدَتْ ذخائرُ الفـؤادِ فـكم أُربِّي الدمعَ للسُّهادِ (١)

فُؤادُ من يُحِبُّ مثـــلُ دمعِهِ ودمعُه مَظِنَّةُ النَّفـــادِ

إذا هـــدَى الليلُ فطفلُ مُقلتي يبيتُ بالنَّزيفِ غـيرَ هـادِ (٢)

ومن بكى من النوى فقد رأى بعينِه تقطُّعَ الأكْبادِ (٣)

تمايلوا على الجمالِ مَيْلةً فعلَّمُوها مِشْيةَ التَّهـادي

وما سمعتُ بالغصونِ قبلَهم مشتْ بها أكْثِبةُ البوادِي

فإن تجِدْ يَدِي على ترائبِي فـــلا تقُلْ لغَيْبـــةِ الفؤادِ

وإنمـا رفعتُهـــا لأنهـا كانت لهم حمـائلَ الأجْيادِ

حُمْـــرُ الخدودِ إن تغِبْ فشكلُها بناظريَّ داخلَ السـوادِ (٤)

لأجْـلِ ذا الدمعُ جَـرى يشوقُهـا فنظَّمَ اليـاقوتَ في نِجـادِ (٥)

لا وأبي ومَـن يقل وأبي فقـد تلا أليَّـــةَ الأمجادِ (٦)

ما عثَّرَ الغَمْضُ بذيلِ ناظري ولا انْثنتْ لطَيْفِهم وِسادي

وهَبْ رَشاشَ مقلتي حبـابًا فأين منهـا زلَقُ الرُّقادِ

آهٍ وآهَ إنْ تـكنْ مِلْءَ فمي فإنهـا مَضْمضةُ الصَّوادي

قد نقَضَ السمعُ كلامَ غيرِهم كما نقضْتُ الصبرَ من مَزادِي (٧)

---

(١) في الأصول ، والسلافة : « قد نفذت » ، والمثبت في الديوان ، والخلاصة .

ويربى الدمع : يجمعه ويزيده .

(٢) في سلافة العصر : « فطيف مقلتي * يظل » . (٣) في الأصول : « ومن بكى عن النوى » ، والمثبت في : الديوان ، والخلاصة والسلافة . (٤) في الأصول: « حمر الخدود » ، والمثبت في: الديوان ، والخلاصة ، والسلافة . (٥) في السلافة : « جرى بسوقها ونظم » ، وفي ب : « في نجادى » ، وفي الديوان: « في نجادى » ، وفي حاشيته : « النجاد : كساء » ، والمثبت في: ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة.

(٦) في السلافة : « فإنها ألية الأمجاد » . (٧) في ج : « قد نقض السمع » ، وفي ب : « نفضت الصبر من مزادى » ، وفي الديوان « حديث غيرهم » ، وفي السلافة :

قد نقض السمعُ حديثَ غيرهم كما نقضتُ الصبرَ من فؤادِي

والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر .

أعاذِلى والهوى غَوايةٌ بِعْتُ بها كما ترى رَشادِى (١)
ولِعتْ بى وشُمْلتى كُمَيْتَةٌ بقادحٍ يعبثُ فى زِنادِى (٢)
دعِ الهوى يعبَثْ بى وإن تشَا فعُدَّنى من عذَباتِ وادِ (٣)
مالحق اللَّومُ غبارَ عاشقٍ حَدا به من المَشيب حادِى (٤)
أما ترى الأقاحَ حول لِمَّتِي حكى ابْتسامَ البرقِ فى البوادى (٥)
بشَّرنى طلوعه بأنَّ لى صبحَ وِصالٍ لدُجى بِعادِى
ولم أقلْ مَناصِلٌ تجرَّدتْ وأرْكِزت بجانبِ الأغمادِ (٦)
كأنَّ شيبَ الشعَراتِ ألْسُنٌ على ضَياعِ رَوْنقى تُنادِى (٧)
لبِسْتُ ما أضاعنى فأسْوتى كأسْوةِ الجمْرةِ فى الرَّمادِ (٨)

***

ومن رباعياته قوله (٩) :

لا تُبْدِ لمن تحبُّـه ما أبْدى واصبرْ فعلَّ الصبرَ يوماً يُجـدِى (١٠)
إظْهار محبَّـتى لمن أعشَقُه صارتْ سبباً لطُول عُمرِ الصَّدِّ (١١)

***

ومن بدائعه قوله (١٢) :

تذكَّرتُ إذ مرَّتْ بنا الغِيدُ بُكْرةً تلهُّبَ خالٍ فى لَظَى خَدِّ أغْيَدِ (١٣)

---

(١) فى خلاصة الأثر : « فللهوى غواية » . (٢) فى ا ، ج : « وشملى كمية » ، والمثبت فى : ب ، والديوان ، والخلاصة ، والسلافة ، وفى الديوان، والسلافة : « كقادح يعبث » ، وفى ا ، والديوان ، والسلافة : « فى زناد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(٣) فى ا ، ج ، والديوان : « من عذبات وادى » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة ، والسلافة .

(٤) فى الخلاصة : « من النسيب حادى » . (٥) فى سلافة العصر : « حكى ابتسام البرق فى الدآدى » .

(٦) فى الأصول : « ولم أقل مناصلا » ، والمثبت فى : الديوان ، والخلاصة ، والسلافة .

(٧) فى الديوان، والسلافة: « كأن بيض الشعرات » . (٨) فى السلافة: « كأسوة ما الجمر فى الرماد » .

(٩) البيتان فى: ديوانه ٩٣ ، خلاصة الأثر ٣/٢٦٥ . (١٠) فى الديوان، والخلاصة: « فلعل الصبر » .

(١١) فى الديوان : « كانت سببا » . (١٢) البيتان فى : ديوانه ٩٥ ، سلافة العصر ٢٨٥ .

(١٣) فى الديوان ، والسلافة: « توهمت إذ مرت » .

وردّدتُ طرْفى ساعةً فرأيته   فؤادى الذى قد ضاع فى الحبِّ من يدِى[1]

* * *

وقوله ، مضمّنا فى الدخان[2] :

عكفتُ على شُرْبِ الدُّخان وفى الحشا   لهيبُ الجوَى فازْداد جَمْراً على جمرِ[3]
فقلتُ أُداوِى نار قلْبى بمثلِها   كما يتداوى شاربُ الخمرِ بالخمرِ

* * *

وقوله[4] :

زُرْ واجْلِ لمَسْمعى كئوسَ اللّفْظِ   واجعلْ كبدى غِمْداً لسيفِ اللّحْظِ
بل جُرْ واهجُرْ ولا تخَفْ مَظْلمتِى   ما أوردنى البلاء إلا حَظِّى[5]



* * *

وقوله مضمّنا[6] :

لا يدَّعِى قمرٌ لوجهك نِسبةً   فتخاف أن يسْودَّ وجهُ المُدَّعِى[7]
فالشمسُ لو علمتْ بأنك دونها   هبطتْ إليك من المَحلِّ الأرْفعِ[8]

* * *

---

(١) فى الديوان ، والسلافة : « ورددت طرق ثانيا » .   (٢) البيتان فى ديوانه ٩٥ .
(٣) فى الديوان : « لهيب جوى » .   (٤) البيتان فى : ديوانه ٩٤ ، خلاصة الأثر ٣/٢٦٥ .
(٥) فى خلاصة الأثر : « بل زر واهجر » ، وفى الديوان : « ما أورثنى البلاء » .
(٦) البيتان فى : ديوانه ٧١ ، إعلام النبلاء ٦/٢٧٢ ، خلاصة الأثر ٣/٢٦٦ ، سلافة العصر ٢٧٩ .
(٧) فى السلافة : « لا يدعى بدر » .   (٨) فى السلافة : « والشمس لو علمت » .

وقد ضمن قول الرئيس ابن سينا فى النفس :

هبطتْ إليك من المحلِّ الأرفعِ   هيْفاء ذاتُ تدلُّلٍ وتمنُّعِ

قلت : هذا تضمين يليق أن يُكتب بالتِّبْر ، فضلا عن الحبر .

***

ومن رباعيّاته قوله[١] :

مولاىَ بقِيتَ قد بَرانى الأسفُ   من يُنصِفنى منك وهل أنتصِفُ
مَن أسْعده الحظُّ فإنى دَنِفُ   أشْقاه ولا شقِيتَ حَظٌّ دَنِفُ[٢]

***

وقوله[٣] :

مَن أرَّقنى قد اسْتلَذَّ الأرَقا   ويلاى ومَن أعشقُه قد عشِقا[٤]
من يُنقِذُنى منه ومَن يُنقِذُه   أفْنى حُرَقًا فيه ويفْنى حُرَقا



***

وقوله[٥] :

يا ربِّ لا أقصِد بالشعر سِواكْ   والقصدُ يَرُدُّنى إلى باب غِناكْ[٦]
يا مَن جعلتُ تُرابَه ناصِيتى   قد صَوَّح نَبْتُها أغِثْنى بنَداكْ

***

وقوله[٧] :

القلبُ لديْك وهْو عندى الغالِى   لا تتركْه مَطِيَّةَ الإذلالِ

---

(١) ديوانه ٩٤ .   (٢) فى الديوان : « حظ وقف » .   (٣) البيتان فى : ديوانه ٩٤ ، إعلام النبلاء ٦/٢٧٢ ، خلاصة الأثر ٣/٢٦٥ .   (٤) فى ا : « ويلاى من أعشقه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى الديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « ويلاه ومن أعشقه » ، وفى ب : « أعشقه من عشقا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٥) ديوانه ٧٣ .   (٦) فى الديوان : « يا رب لم أقصد » ، وهى أقرب إلى المعنى .

(٧) ديوانه ٩٤ .

تَاللهِ لقد عجِبتُ من أحْــوالى   يفنَى زمنِى بِضَيْعة الآمــالِ

* * *

وقوله[١] :

أصبحتُ ولَثْمُ أخْمَصيْهِ أمــلِى   مع أنّ له فمًا شفاء العِــلَلِ
لكنْ قدمْ سعتْ به فى تَلَفِى   أعددْتُ لها جَوائزًا من قُبَلِ

* * *

وقوله[٢] :

أحسنُ ما يُهْدِيه أمْثالُنــا   من طَيْبةٍ من عند خــيرِ الأنامْ
بعضُ تُمَيْراتٍ إذا أمْكنتْ   إهداؤُها ثم الدُّعا والســلامْ

* * *

ومن محاسنه قوله ، من قصيدة أولها[٣] :

طرقَتْ طَروق الطيفِ وَهْنَا   مَيّالَةُ الأعْطاف حُسْنَا[٤]
مصْقولةُ الخدَّين مثــلَ السيْــف ألْحــاظًا ومَتْنَا
أرْختْ وشاحًا فوق دِعْــصٍ فوق غصنٍ قد تَثَنَّى[٥]
ومشتْ فشيَّعهــا عَبِيــرُ الروضِ منْ هَنَّا وهَنَّا
فى حُــلَّةٍ من جِنْس ما   يكسُو الربيعُ الغصنَ دَكْنَا[٦]

---

(١) ديوانه ٩٤ .   (٢) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٢٧٢ ، خلاصة الأثر ٣/٢٦٥ يخاطب بعض الصدور ، وكان الفتح قدم من الحج ، فأهداه تمرا . وقد نقلهما الطباخ فى نشرته لديوان الفتح ابن النحاس (العقود الدرية) ٩١ ، عن المحبى ، وقال : ليسا فى ديوانه المطبوع ولا المخطوط .

(٣) القصيدة فى ديوانه ٢٨، ٢٩ ، يمدح عبدالعظيم .   (٤) فى الديوان : « مياسة الأعطاف » .

(٥) فى ا : « أرخت وشاحها . . . » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان .
والدعص : كثيب الرمل المجتمع .

(٦) فى ب : « يكسو الربيع الغصن وكنا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان .

الدَّلُّ يَنبُتُ من مسا حِبِ ذَيْلها والحسنُ يُجْنَى (١)

تَمْشِي فُرَادَى ثم تمْـ شِي خلفَها الأردافُ مَثْنَى

حَوْراء إنْ سمحتْ بكشْـ فِ قِناعِها مَلأتْكَ حُسْنا

وإذا اشْتَهتْ رجعت عليـ كَ فعاد ذاكَ الحسنُ حُزْنا (٢)

لو خاطبتْ وَثَناً لَحَنَّ مع الجمودِ لهـا وأَنَّا

طارحْتُها شَكْوَى النَّوى ولثمتُها أعْلى وأدْنَى

وعجبت من وَلَهِي بها ولِهْتُ بها وَلَهَ المُعَنَّى (٣)

تركتْ يداً وفماً وجيـ داً وابتذتْ ذيلاً ورُدْنا

وأقمت أنْصِبُ نحوهـا طَرْفاً ونحوَ البابِ أذْنا

أخْشَى يُحِسّ بنا النَّسيـ مُ فيُخبِر الروضَ الأغَنَّا (٤)

ويُوَلِّد الوَسْواسَ جَرْسُ الحَلْيِ إذا أرَنَّا

فتقول مسكينُ المتيـ مُ بالنسيم يُسِيءُ ظَنّا

طِبْ يا فتى نفساً فقد نامتْ عيونُ الحيِّ عنّا

* * *

جَرْس الحَلْي: صوته، ويقال فيه وَسْواس.

قال الشاعر:

كم بين وَسْواسِ الحَلْيِ م وبين وَسْواس الهمومِ

والوَسْوسة: مالا يُفهَم من الأصوات.

---

(١) فى الأصول: « من مساحِب ذيلها »، والمثبت فى الديوان. وفى ا: « والحسن لحنا »، والمثبت فى: ب، ج، والديوان.

(٢) فى ب: « رجعت إليك »، والمثبت فى: ا، ج، والديوان.

(٣) فى الديوان: « وعجبت من قلبى بها ».

(٤) فى الأصول: « فيخبر الحى الأغنا »، والمثبت فى الديوان.

وهذا أسلوب مُتداوَل ، ومَنْزَعه خَفْق الحلى ورهَجه ؛ وذلك يخرج على قوالب من جُنَّة الحلْى ونمّها وغير ذلك .

وقد يُغَيَّر فى الأطراف الفَعْمة(١) ، فيقال : إنها تَغِصُّ الحلْىَ ، وتُخرِس وَساوسها ، وتُحَيِّر الحلْىَ .

وأحسن ماسُمِع فيه قولُ أبى كامل تميم بن المُفرِّج(٢) :

وأطْرافًا يَحارُ الحلْىُ فيهـا فليس يكاد يضطرِبُ اضْطرابَا

قال صاحب الدُّمية(٣) : قوله « يحار الحلى فيها » لم أسمع به إلا فى شعره ، وقد أتى ببِدْع المُستعار وبِكْره .

***

وقد أنهيتُ الكلام على شعره ، وهنا أذكر جانبا من نثره .

فمنهقوله يعاتب(٤) :

غرستُ لكم فى المدح ماأخضرَّ عودُه وألقتْ إليه الزُّهْرُ عِقْدًا من الزَّهْرِ
وصارتْ عيون المشْفقين قلائدًا عليه وعينُ الحِقْد تنظُر عن شَذْرِ(٥)
وقلتُ ستنْدَى بالثِّمار أنامِــلى فما كان إلَّا أن قبضْتُ على جَمْرِ
وعدتُ كما عاد المُسىء مُذمَّمًا أغصُّ بشكْرى وهْو يُحسَب من وِزْرى
وما ساء حظًّا كالذى اجْتاب الهوى وأسْلَمه مَحْضُ الوِدادِ إلى الهجْرِ

---

(١) فى ا : « النعمة » ، وفى ج : « النغمة » ، والمثبت فى : ب .
والفعمة : الممتلئة .
(٢) هو الطائى ، كما جاء فى دمية القصر (تحقيق) ١ / ٤٠ .
والبيت فيها ١ / ٤٦ .
(٣) دمية القصر (تحقيق) ١ / ٤٧ . (٤) ساق المحبى أيضا هذه الأبيات فى خلاصة الأثر ٣ / ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، وساق معها بعض هذا الفصل ، من أول قوله : « وعهدى بالشيخ » الآتى ، إلى آخره .
(٥) فى خلاصة الأثر : « وصارتعيون المنصفين » .

إنّي لأعجب منى ومن تواضُع الشيخ فى مناجاته إيّاى وهو الطَّود الأشمّ ، واتخاذِه أُذنى صَدَفا لدُرَرِ عباراته وهو البحر الخِضَمّ .

واقْتراحِه علىّ أن أبْرِز من خِباء أبكارِ الشعر ، رَبِيبةَ خِدْرٍ ، ونتيجةَ فِكْرٍ .

تكون مُعْجِزةَ[1] ابنِ الحُسَيْن ، ومُفْحِمةَ الخالِدِيَّيْن .

تَنْطوى على مدْحِ ماانتشر عن ألْوِية فضائل ذاتِه المُعجِزِ ألْسُنَ الواصفين وصفُها ،

وتتضمّن نَشْرَ مانَسِمَ من طِيب أذْيال فواضل صفاتِه المُعطِّرِ مَشامَّ الناشِقِين عَرْفُها .

وقيامى له على قدَم الحَدّ[2] ، أفْرِى فَلَوات السّعى[3] وأمْتطى صَهَوات الجِدّ .

أقْتنِص الشوارِد ، وأتناول الفَراقِد .

وأغُوص على الغُرَر ، من بنَات الفِكَر .

إلى أن تكامَل عِقدُها ، وجاءت بنسيجِ وَحْدِها .

من مستفِزّات القلوب ، تهادَى أناةَ الخطو[4] بكرَ عَرُوب .

تجُرّ على مِهْيار الدَّيْلمِىِّ ذيلَ دلالها ، وتسكر الشريفَ الموسَوِىَّ بجِرْيالها .

لو رآها المُخضْرَمون ، لجاءوا إليها من كل حَدَب ينْسِلون .

وامتْ بها مع لطم الشكر ، إلى جناب إمام العصر .

كيف حالَ الجريضُ[5] دُون القريض[6] ، وغاض زُلال راحتِه وهو الغَضِيض .

ولم سَدّ عنى بابَ اعْتنائه ، ومحا ما كتَب من إمْلائه .

حتى استهْدفتْنى ألسنةُ الشامِتين وأحْدقتْ إلىّ أعينُ العِدَى ، وليس عنــدى منه مايَغضّ أجفانَهم ولا قذى .

---

(١) فى ج : « معجزة لابن الحسين » ، والمثبت فى : ا ، ب . وهو يعنى المتنبى .
(٢) فى ا : « الجد » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) فى ا : « السعد » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .
(٥) الجريض : الغصة ، من الجرض ، وهو الريق يغص به .
(٦) هذا مثل يضرب للأمر يقدر عليه أخيرا حين لا ينفع . مجمع الأمثال ١/١٢٩ .

فياليت شعرى ماالذى أوجب هذا الصدّ ، وإن لم يُحْسن القبولَ فليحسن الردّ .

وليكن بدون قوله ماأصنع بالقصائد دونه وشعره ، حتى اسْوَدّ وجهُ آمالى ولم يبيض حجره .

بعدما خطفتْنى منه مخالبُ الظنون ، ورجعتُ أقلِّب أكُفّى بصفقة المغبون .

أحاسَب عن أوْزار العباد ، وأعاقَبُ بجناية قوم عاد .

وعهدى بالشيخ جبلاً آوى إليه ، وحمًى أحوم حوله ، وعماداً أعتمد بعد الله عليه .

فما بال الجبل لم يَأْوِ[1] ، والحمى لم يَحْمِ والعمادِ لم يَحْوِ .

وما باله فى مسرّاته وأنا فى ليل الهموم ، أتوقّع تنفس صُبْحها ، وأبتهل إلى الله تعالى فى طلوع شمسها .

فعندما حلّت أكفُّ الابتهال عُرَى الدجى ، ولاح من تنفس صبح الوِصال أشعةُ شمس المُنى .

حال بين طَرْفى وسناه[2] قذاة البَيْن ، وأصبحتُ مُصابا بعَين .

أعوذ بالله من أن يُلْهِىَ الشيخَ[3] عنى زخرفُ[3] المُتَمشْدِق[4] ، وتستميله[5] أقاويل[6] الدخيل وجنّة[6] المتملّق .

والزُّخْرف عتبة التَّلاشى ، والتَّمشْدق باب الهَوْل .

فالأقاويل مطيّة الكذب ، والدَّخيل قذال يدِ الردّ ، والتملّق مِزْراب النفاق .

ولى فى محبته الجنانُ الثابت ، والقلبُ الصابر ، واللسان الرّطْب ،والفمُ الشاكر .

---

(١) فى الخلاصة : « يؤو » .

(٢) فى ا : « وثناؤه » ، وفى الخلاصة : « وسناها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٤) فى ب : « المتشدق » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٥) فى ب : « أو تستميله » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٦) ليس فى خلاصة الأثر .

وله منى الوِداد المحْض ، والقصائد الغُرّ .

ولى منه أنّة المتوجّع ، ولوعةُ المصاب ، وحُرقة المهجور ، وخشْيةُ المُرتاب .

وما أراه من اقتفائه [١] أثَرَ المُلتبِس عليهم الأمر ، فى كَسْر زجاجةِ ودادى من زيد وعمرو .

ولا غَرْو قد يُدْمِى الجبين إكْليلُه ، وتهجُر الحسامَ قُيونُه .

وكثيراً ما يُضلّ المُدْلجَ [٢] دليلُه ، وتخطئ المؤمّلَ ظنونُه .





---

(١) فى ب : « اقتضائه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٢) المدلج : من سار الليل كله أو من سار من آخره .

١١٥

السيد أحمد بن محمد المعروف بابن النَّقِيب*

السيد المولى ، من هو بكل ثناء أحقُّ وأَوْلى .

حل من الشرف فى ذِرْوته ، وتحكم من الأدب فى بَحْبوحته وعَقْوته[1] .

وقد تمتعتِ الرياسةُ دهرا بعده[2] النَّضْر ، وشرُفت النِّقابةُ له عَبْقريِّها الحسان ورَفْرفُها الخضْر .

فألقتْ إليه السيادةُ أفلاذَها ، واتَّخذت السعادة طاعتَه عِصْمتها ومَلاذَها .

فرفع لأهل الأدب هِضابا ، وأرْشفَهم على ظَمأ من ماء مكارمه رُضابا .

فالفضائل مِلْءُ[3] حقيبته ، والآمال تستفتح بيمن نَقيبته .

ومآثرهُ بادية الأوْضاح ، ونِعمه سائلة الغُرَر والأوْضاح .

ومجالسه بأصناف المعارف حافِل ، وفهمُه[4] بحَلِّ ما يُعْيِي[4] الأفهام كافِل .

(*) السيد أحمد بن محمد الحسني ، الحلبي ، المعروف بابن النقيب .

ولد بحلب وبها نشأ ، وأخذ عن عمر العرضي ، وغيره ، وتأدب بإبراهيم بن الملا .

وبرع ورحل إلى القسطنطينية .

وولى القضاء ، ونيابة القضاء ، بالقدس وحلب .

وله منزلة عظيمة فى النظم والنثر .

وله « حاشية » على « الدرر والغرر » فى الفقه .

توفى سنة ست وخمسين وألف ، وعمره ثلاث وخمسون سنة .

إعلام النبلاء ٦/٢٨٦ ــ ٢٩٥ ، خبايا الزوايا ، لوحة ٧٠ أ ، خلاصة الأثر ١/٣١٧ ــ ٣٢٤ ، ريحانة الألبا ١/٢٨٤ ، ٢٨٥ ، هدية العارفين ١/١٦٠ .

(١) العقوة : الساحة ، وما حول الدار .

(٢) كذا فى الأصول .

(٣) فى ا ، ج : « إملاء » ، والمثبت فى : ب .

(٤) فى ا : « بحلى ما يعنى » ، وفى ج : « بحلى ما يغنى » ، والمثبت فى : ب .

وله القلمُ الذى يكاد من نداوة بنانه ، يبيِّض[1] وجْهَ الطِّرس بتسْويد النُّقوش من بدائع بيانِه .

فهناك جِنان البلاغة لم يطمِث أبكارَها إنسٌ قبله ولا جانّ ، وأشجارُ البراعة لم يقطِف ثمارَها عينُ ناظرٍ ولا يدُ جانٍ .

من كل لفظٍ مع معناه رُوح وجسد ، إذا سمِع الناس تركيبَه خلقْن له فى القلوب الحسَد .

* * *

وقد ذكرت من كلامه الشريف ، ولفظه العالى المُنيف .

ما تجعله سيِّدَ الكلام ، وتقطع عن المُعالى[2] فى مدحه مادة[3] الملام .

كقوله[4] :

حضرةٌ تقلَّدت أعناقُ الرجال بقلائد نعمها ، وتدبَّجتْ رياضُ الآمال بهواطِل سُحبِ كرمها ، وطافت أفهامُ الطُّلاب بكعبة حقائقها وعمومها ، وسعتْ أفكارُ بنى الآداب مابين صَفا منثورها ، ومرْوة منظومها .

لا برحت الأيامُ باسمةَ الثغرِ بمعاليها ، والأنام حاليةَ النَّحْر بأياديها .

* * *

وكقوله[5] :

هو صدرُ الدنيا ، وركن العَلْيا ، وواسطة عقدِ ورثة الأنبيا ، وواحدُ هذا النوع الإنسانىّ من الأحيا .

---

(١) فى ا : « يبيض » ، وفى ج : « ويبيض » ، والمثبت فى : ب .

(٢) فى ا : « المعالى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : « عادة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) هذا الفصل فى : إعلام النبلاء ٦/٢٩٤ ، خلاصة الأثر ١/٣٢٣ . (٥) هذا الفصل أيضا فى : إعلام النبلاء ٦/٢٩٤ ، خلاصة الأثر ١/٣٢٣ .

دعوَى لا يُداخل[1] بنيتها[2] وهم ، ونتيجةٌ لا يشِين مُقدِّماتِها عُقْم .

فإن مَن كان صدر بنى هاشم ، وشنَب ثغرِ مجدِهم الباسم ؛ وهم هم[3] فى الرفعة والمَنَعة ، كان أجلَّ موجود ، وأعظم مَن فى الوجود .

***

وكقوله[4] :

قسماً بمَن جعل محاسن الدنيا فى تلك الذّات محصورة ، وأسبابَ العَلْيا على مُلازمة عتباتها مقْصورة .

إن عَقْد عبوديّتى لا تطاول إليه الأيام بفَسْخ ، وعهد مودّتى عهد لا تتوصّل إليه الحوادث بنَسْخ .

وكيف ينسخ وصورته فى الجَنان مجلُوّة ، أم كيف يُنسخ وسُورته على كلّ حين باللسان متْلوّة .

ولعَمْرى مهما نسِيت فإنى لا أنْسى أيامى فى خدمتها ، والتقاطى الدُّرّ من مُذاكرتها[5] .

وما كان بيْننا من المُصافاة التى أين منها مُصافاة الماء مع الرّاح ، وما يجرى بيننا من المُفاوضة التى هى فى الحقيقة مفاوضة[6] الورد والتفاح[7] .

---

(١) فى ا ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « يدخل » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى إعلام النبلاء : « بينها » ، وفى الخلاصة : « بينهما » .

(٣) ساقط من : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٤) هذا الفصل فى : إعلام النبلاء ٦ / ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، خلاصة الأثر ١ / ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٥) فى ب : « أكرتها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٦) فى ب ، ج : « مفاوحة » ، والمثبت فى : ا ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٧) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « مع التفاح » .

وعلى كل حال فلا عِوَض لنا عنها إلا ما تنقله الرُّكبان من أخبار سلامتها ، وما تُودعة فى صَدَفة آذاننا من جواهر آثار عَدالتها .

لا جَرَم أنه كلما تعطَّرت مجالسنا بشىء من ذلك ، دعَوْنا الله عز وجل هنالك .

بأن يَزيد باعَ عدلها امتدادا ، وشُعاعَ فضلها سُطوعا واشتدادا .

وأن يبلِّغها أقْصى ما تطمحُ إليه عينٌ طامحة ، أو تجنح نحوه نفسٌ جانحة .

هذا والمتوقَّع من كرمها ، كما هو المألوف من شيَمها ، ألا تخرجنا من ضميرها المُنير ، وأن تعُدّنا فى جريدة[1] مَن يلوذ بمقامها الخطير .

والله تعالى يُبْقى لنا تلك الحضرة ، سامية الركاب ، عالية القِباب ، فى رفعة دونها قابُ العُقاب .

***

ومن شعره قوله ، يخاطب بعض أحبابه[2] :

رُوَيْدَك شأنُ الدهرِ أن يتغيَّرا ... وشيمتُه إمَّا صفا أن يُكدِّرا

وعادتُه الشنْعاء فى النـاسِ أنه ... إذا جاء بالبُشْرى تحوّل مُنـذِرَا

فلا بُؤْسُه يبقَى وأمّا نعيمُه ... فـكالطَّيفِ إذ تلقاه فى سِنة الـكَرَى

فلا تكُ مسروراً إذا كان مقبِلا ... ولا تكُ محزوناً إذا هو أدْبَرا

فأىُّ دُجَى هَمٍّ دَهاك ولم تجدْ ... صَباحاً له بالبِشْرِ وافاك مُسْفِرا

وقد هُزلتْ أيامُنـــا فلوَ انَّها ... أتتْنا بجِدٍّ كان للهزلِ مَعْذِرَا[3]

***

(١) فى ب : « جريرة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٢) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٢٨٩ ، خلاصة الأثر ١/٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٣) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « كان للهزل مظهرا » .

منها :

وليسَ يعيبُ البدرَ فُقْدانُ نُورِه ... إذا كان بعد الفَقْد يظهر مُقْمِرَا

وماجُعَلٌ إن جفا الوردَ إذْ به ... أضَرَّ بداعٍ أن يُذَمَّ ويُهْجرَا [1]

الجُعَل يتأذَّى برائحة الورد ، وكذا المزكوم ؛ والحسناء إذا ابْتُليت بذامٍّ ، فهي كالورد مع الجُعَل ، وصاحبِ الزكام .

ومما يلحق بهذا أن الوَزَغَة [2] تكره رائحة الزَّعْفران ، وتهرب منه .

وعليه بنى البتَّار [3] قوله في هجاء الغُنْدَلِيّ [4] ، وقد وصل إلى بابه ، فتحجَّب عنه :

تحجَّب الغُنْـدَلِيُّ عنِّي ... فساء مِن فعلِه ضميري

يَنْفِر من رُؤْيتي كأنِّي ... مُضمَّخُ الجَيْب بالعبيرِ

***

وله من قصيدة ، يخاطب بها أيضا [5] صديقا له [5] :

تزُول الرَّواسِي عن مقَرِّ رسومِها ... ووُدِّي على الأيام ليس يزولُ

ولستُ بمَن يُرْضيه من أهل وُدِّه ... خفِيُّ ودادٍ في الفؤادِ دخيلُ

إذا لم يكن في ظاهر المرء شاهدٌ ... على وُدِّه فالودُّ منـــه عليلُ

أأرْضَى بوُدٍّ في الفؤاد مُغيَّبٍ ... وليس إلى علم الغُيوبِ سبيلُ

وأقْبلُ عن هجري اعتذاراً مُزيفاً ... تمحَّلْتَه إنِّي إذا لجَهُولُ [6]

---

(1) هذا البيت لم يرد في : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر . (2) الوزغة : هي سام أبرص ؛ سميت بها لخفتها . القاموس (و ز غ) . (3) لم أعرفه .

(4) في ا ، ب هنا وفيما يأتي : « الفندلي » ، والمثبت في : ج .

وفي اللباب ٢/١٨٠ : « هذه النسبة لأبي الحسن محمد بن سليمان بن منصور بن عبد الله الغندلي الأزرق » .

(5) تكملة من : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

والأبيات في : إعلام النبلاء ٦/٢٨٨ ، خلاصة الأثر ١/٣١٩ .

(6) في إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « اعتذارا مزينا » .

لَعَمْرُكَ قد حرَّكتَ مَن كان ساكِناً وعلَّمتنى بالعَتْب كيف أصُونُ

* * *

وله من قصيدة :

فياليتَ شِعْرى هل لعمروٍ مَزِيَّةٌ إذا ازْداد واواً وهْو فى رُتبة الذُّلِّ

وهـل شانَ بسمِ اللهِ وهْى عزيزةٌ تَمنُّعها فى الخطِّ عن ألفِ الوصلِ

ورُبَّ ازْديادٍ كان للهُلْكِ داعياً كما كان فى نبْت الجناح رَدَى النَّملِ

وما هـذه الأيامِ إلا عجائبٌ تَشابَه ماتُبْدِى من الجِدِّ والهَزْلِ

وقد طمَستْ أفكارَنا بصُروفِها وأشْغَلت الخالَ الألوفَ عن الخالِ

* * *

قوله : « وهو فى رُتبة الذل » ، يريد تمحُّضه المضروبية فى أمثلة النحاة ؛ ومن هنا تعلم سرَّ قولهم فيه : الاسم المظلوم . كما لا يخفى .

وكان الجاحظُ يعنى بذلك إلزاقهم به الواو ، التى ليست من جنسه ، ولا فيه دليل عليها ، ولا إشارة إليها .

ويشهد له قول الشاعر :

إنما البَهْنَسِىّ خطبٌ جليلٌ لا خطيبٌ ولا جليلٌ بقَدْرِ [1]

زِيدت الياء فيـه ظُلْما وعُـدْوَا نًا كواوٍ غـدَتْ بآخر عَمْرِو

* * *

وقوله : « ورب ازدياد » ، من قوله [2] :

---

(١) لعله يعنى مجد الدين الحارث بن مهاب البهنسى الكاتب ، الشاعر ، الوزير .
استوزره الملك الأشرف موسى بن أبى بكر بن أيوب .
وتوفى سنة ثمان وعشرين وستمائة .
البداية والنهاية ١٣/١٣٠ .

(٢) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٣٧٦ ، بدون نسبة .

وإذا استوتْ للنَّمْلِ أجنحـةٌ حتى يطـيرَ فقـد دَنا عَطَبُهْ

***

ومن غُرَره ، قوله من قصيدة يرثى بها أخاً له مات ، وأرسلها إلى أبى الوَفا العُرْضِىّ (1) ، يعزِّيه فى آخرها عن ولدين له ماتا ، ومطلعها (2) :

رُزْءٌ ألَمَّ وحسرةٌ تتوالَى ومُصيبةٌ قد جَـذَّتِ الآمالَا (3)

وجليلُ خَطْبٍ لو تـكلَّفَ حملَه ثَهْلانُ ذو الهَضَباتِ هَدَّ وزَالَا (4)

وفِراقُ إلْفٍ إن أردتُ تصبُّراً عنه أردتُ من الزمان مُحالَا

وعيونُ عَيْنٍ ليس تفتُرُ دائما عن سَكْبِ رَقْراقِ الدموعِ سِجالَا

بُعداً لدهرٍ شأنُه أن لا يُرَى إلا خَئُوناً غادراً مُغتالَا (5)

نَغترُّ فيـــه بالسلامة بُرْهةً ونرى المآلَ تمحُّقاً وزوالَا

ويُعيرنا ثوبَ الشَّبيـــبةِ مُعلَماً يبرَح به حتى يُرَى أسْمالَا

قُبِّحتَ ياوجهَ الزمان فلا أرَى لك بعد أن فُقِد الجمالُ جمالَا

ذاك الذى قد كان قُرَّةَ ناظرِى وقرارَ قلبى بل وأعظمَ حالَا

قد كنتُ أرجو أن يُؤخِّر يومُه عنى ويَحْمِلَ بعدِىَ الأثقالَا

---

(1) أبو الوفا بن عمر بن عبد الوهاب الشافعى ، الحلبى ، العرضى .
ولد سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة .
واشتغل بالتدريس ، والتصنيف ، والإفتاء .
وهو مفتى الشافعية بحلب ، وأحد أعيان العلماء فى المعرفة والإتقان والحفظ والضبط .
توفى سنة إحدى وسبعين وألف .
إعلام النبلاء ٦ / ٣٠٨ ، تراجم الأعيان ، ترجمة رقم ٢٠٧ ، خبايا الزوايا ، لوحة ٦٦ ب ، خلاصة الأثر ١ / ١٤٨ ، ريحانة الألبا ١ / ٢٦٩ .

(2) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦ / ٢٩١ ، ٢٩٢ ، خلاصة الأثر ١ / ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(3) فى ا ، ج : « وقد جزت الأمالا » ، والمثبت فى : ب ، وفى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « قد جزت الأذيالا » .

(4) فى ا : « ودليل خطب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر ، وفى الإعلام والخلاصة : « ثهلان ذو الهضبات دك ومالا » .

(5) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « غادرا محتالا » .

ويذوقَ ماقد ذُقْتُـه لفِراقِهِ ... ويُمارسَ الأهوالَ والأوْجالَا

فتطاولتْ أيدى المنيّةِ نحوه ... وبقيتُ فرداً أندُب الأطْلالَا

كُنّا كغُصْنَىْ دَوْحةٍ قطَع الرّدى ... منها الأغضَّ الأرْطبَ اميّالَا (١)

أو كاليديْن لِذاتِ شخصٍ واحدٍ ... كان اليمينَ لها وكنتُ شِمالَا

أسَفِى عليه شمسُ فضلٍ عُوجِلتْ ... بـكُسوفِها وعِمادُ مجدٍ مالَا

لا كان يومٌ حُمَّ فيه فِراقُنا ... فلقد أطال الحزنَ والبَلْبالَا

فسقى ضريحاً حَلّه صَوْبُ الحيَا ... فى كل وقتٍ لا يغِبُّ وِصالَا

* * *

منها :

هيهاتَ مَن لى بالرِّثاء وفَقْدُه ... لم يُبْقِ فىّ بقيّـةً ومَجالَا

أفْحمتنى يارُزْءه من بعدما ... كنتُ الفصيحَ المِصْقعَ القوّالَا

مَن لى بطَبعِ اللَّوْذَعِىِّ أبى الوفا ... ذاكَ الذى بالسحرِ جاء حلالَا

مولًى إذا وعظ الأنامَ رأيتَه ... يلقى على كل امرىءٍ زِلْزالَا (٢)

بزواجرٍ لو أنه استقصَى بها ... أهلَ الضلالِ لما رأيتَ ضلالَا

مولاىَ ياصدرَ الزمانِ ومَن غدا ... لبنيه غَوْثًا يُرْتجَى وثِمالَا (٣)

ذِى نَفْثةُ المصدورِ قد سرّحْتُها ... لِحِماك تشكو بثَّها إدلالَا

إنّ المُصيبةَ نامِيَتْ مابيننـا ... إذْ حوّلت بحُلولها الأحْوالَا

فشَكَلْتَ مخدومَيْن كلٌّ منهمـا ... قد كان فى أُفقِ السُّعودِ هِلالَا (٤)

---

(١) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « كغصنى بانة » .

(٢) فى ا : « مولاى إذا وعظ » ، والمثبت فى : ب ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

(٣) ثمال القوم : غياثهم . (٤) فى ا : « تشكلت مخدومين » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

لو أُمْهِلا مَلَآ العيونَ محاسِناً ... وكذا القلوبَ مَهابةً وكمالاَ
ولَكان هـذا للمعالى ناظراً ... ولَكان هـذا فى طُلاها خالاَ
خطفتْهما أيْدى المَنونِ وغادرتْ ... ماءَ العيونِ عليهما هَطّالاَ

* * *

فأجابه بقصيدة ، منها [1] :

لهفِى على بدرٍ تكامَل حسنُه ... قد سار فى فلَكِ الكمال هِلالاَ [2]
أعْظِم به رُزْءاً أناخ مصائباً ... فَتّ القلوبَ ومزّق الأوْصالاَ
ما كنْتُ أعلم قبل حَمْلِ سريرِه ... أن الرِّجال تُسيِّر الأجْبالاَ
وعجبتُ للبحر المُحيط بحُفْرةٍ ... هل غاب حقّاً أو أراك خيالاَ [3]
يادافِنِيه مِن الحياء تقنَّعوا ... غيَّبتُمُ شمسَ الغَداةِ ضَلالاَ
عهدِى الغمامُ حِجابُها مالى أرى ... أضحى الحجابُ جنادلاً ورِمالاَ

* * *

وكتب إليه فى هذا الشأن [4] :

خَطْبٌ يقرِّب دونه الآجالاَ ... ويمزِّق الأحشاء والأوْصالاَ
فدعِ الجفونَ تجود إن نضبتْ سَحا ... ئبُ دمعِها الصافى دماً هَطّالاَ [5]
أفلَتْ ذُكاءُ الفضلِ من فلَكِ العلى ... وهَوَى نَيِّرُ المكرُماتِ ومَالاَ [6]
وذَوَتْ غصونُ رياضِها وتصدّعتْ ... أجْبالُها حتى بَقِينَ رِمالاَ [7]

---

(١) قصيدة أبى الوفاء العرضى ، فى إعلام النبلاء ٦/٢٩٢ ، ٢٩٣ ، خلاصة الأثر ١/٣٢٢ .

(٢) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « تكامل بعدما ... فى ذلك الكمال » .

(٣) فى ب ، ج : « للبحر المحيط بحضرة » ، والمثبت فى : ا ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر ، وفى الأخيرين : « أو أراه خيالا » . (٤) القصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/٢٩٣ ، خلاصة الأثر ١/٣٢٢ ، ٣٢٣ . (٥) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « دمعها فيه دما هطالا » .

(٦) فى إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر : « أفلت نجوم الفضل » . (٧) لم يرد هذا البيت فى : إعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .

فقدت أولى الألباب ذو المجد الذى ... عدموا بفقد حياته الإقبالا

فقدُوا حليفَ الفضل مَن بكماله ... وحجاه كنّا نضرب الأمثالاَ

مَن شاء للعَلْياء يَسْعَ فإن من ... كانتْ له بالأمْسِ مِلْكاً زالاَ

منها :

أعْزِزْ علىّ بأن أرى ربَّ الفَصا ... حةِ والبلاغةِ لايجيب سُؤالاَ

ما كنتُ أعلمُ قبل يومِ وفاتِه ... أن الكواكبَ تسكُن الأرْمالاَ

ما كنتُ أحسَبُ أن أرى من قبْلِه ... للشمسِ من بعدِ الزّوالِ زوالاَ [(١)]

منها :

صَبْراً على مانالَنِى فى يومِه ... كالصبرِ منه به على مانالاَ

ملأَ القلوبَ من الأسى ولطالمَا ... ملأَ العيون مَهابةً وجلالاَ

لولا أخوه أبو الفضائل أحمدُ ... لرأيتَ أنْديةَ العُلَى أطْلالاَ

الكاملُ الفَطِنُ الذى عَزَماتُه ... إن صال تلقاها ظُبىً ونِصالاَ

منها :

مارام بدرُ التّمِ مثلَ كماله ... إلاّ وصيَّره المُحاقُ هِلالاَ

مولاىَ يابن الرّاشدِين ومَن لهم ... شرفٌ على هامِ السِّماكِ تَعالَى [(٢)]

صبراً فإن الدهرَ مِن عاداتِه ... يُدْنِى النوى ويُحوّل الأحْوالاَ

* * *

وقد اقْتفى أثرَ الشريف الرّضِىّ الموسَوِىّ فى قصيدته التى رثى بها الصاحب ابن عبّاد، وأولها [(٣)] :

أكذا المَنون تقنْطِرُ الأبْطالاَ ... أكذا الزمانُ يُضَعْضِع الأجْبالاَ [(٤)]

* * *

(١) فى إعلام النبلاء، وخلاصة الأثر: «من قبل الزوال زوالا».

(٢) هما سماكان: أعزل ورامح، نجمان نيران. (٣) ديوان الشريف الرضى ٢/ ٦٧٠.

(٤) فى الأصول، وخلاصة الأثر ١/ ٣٢٣: «تقطر الأبطالا»، والمثبت فى الديوان، وإعلام النبلاء ٦/ ٢٩٣.

قال وكان بالقرب من ضريحه عـدةُ أشجار من العُنّاب ، فشاهدت يوماً أغصانها المُخضرَّة ، تزهو بثمارها المحمرَّة .

فأتبعتُ الحسرةَ بالحسرة ، ولم أملِكْ سوابقَ العَبْرة .

وجادت الطبيعة ، بأبيات على البديهة .

وهي هذه [١] :

وقائلةٍ والدمعُ فى صَحْنِ خـــدِّها … يَفيضُ كهطَّالٍ من السُّحْبِ قد هَمَى

أرى شجر العُنّاب فى البقْعة التى … بها جـــدَثٌ ضمَّ الشريفَ المُعظَّمَا

لها خُضْرةُ المُرْتاح حتى كأنه … على فقْـــده ما إن أحسَّ تألُّمَـا

وأغصانه فيهـــا ثمارٌ كأنها … بحُمْرتهـــا تُبْدى السرورَ تألُّمـا

ولو أنصفتْ كانت لعظْمِ مُصـــابه … ذوَتْ وا كْفهرَّتْ حسْرةً وتندُّمَا [٢]

فقلتُ لهـــا ما كان ذاك تهاوُناً … بمـــا نالنـا من رُزْئه وتهضُّمَا

ولكنها لمـا وضعْنا بأصـــلها … خديناً بأنواع الفضائل مُفْعَمَا [٣]

بدَتْ خضرةٌ منه تروُق وحوله … تبين فلا تستقْطعيه توهُّمَا

وما احمرَّتِ الأثمـــارُ إلا لأنه … سقيْناه دمْعاً كان أكثرُهُ دمَا [٤]

❊ ❊ ❊

ولما وقف عليها صلاح الدين الكُوَراني [٥] ، قال أبياتا منها [٦] :

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٢) فى ا : « لعظم مصائب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، وفيها : « حيرة وتندما » .

(٣) فى ا ، ب : « ولكنها لما وصفنا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة ، وفى الأصول : « بأنواع الفضائل منها » ، والمثبت فى الخلاصة . (٤) فى ا : « ولكنها حمرت الأثمار » ، وفى ب : « وما احمرت الأشجار » ، والمثبت فى ج ، والخلاصة . (٥) صلاح الدين الكوراني ، الحلبى ، القاضى .

من مشاهير الأدباء ، وله شعر مطبوع ، مع مشاركة فى فنون عديدة .

كان رئيس الكتاب ، بمحكمة قاضى قضاة حلب .

توفى بحلب ، سنة تسع وأربعين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٢٥١ ، تراجم الأعيان ، ترجمة رقم ١٢٧ ، خبايا الزوايا ، لوحة ٦٩ ا ، خلاصة الأثر ٢/٢٥٢ ، ريحانة الألبا ١/٢٨١ .

وكوران ، التى ينسب إليها ، من قرى أسفراين . معجم البلدان ٤/٣١٩ .

(٦) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٢٥٥ .

فيا شجرَ العُنّاب مالك مُثمِرٌ ... سُروراً ولم تجزَعْ على سيِّدِ الحِمَى (١)

على رَمْسِه أوْرَقتَ تهتزُّ فَرْحةً ... وتُدْلِي إليه كلَّ غصن تَنَمْنُما (٢)

أهَـٰذِي أماراتُ المسرَّة قد بَدَتْ ... أم الحزنُ قد أبكاكَ من دونه دَمَا

ومنها على لسان العُنَّاب :

نعم فَرْحتى أنِّى مُجاورُ سيِّدٍ ... نَمَى حسَبًا فى عصرِه وتكرُّمَا

وحضرتُه روضٌ من الجنّة التى ... زَهَتْ بضجيعٍ كان بالعلْم مُغرَمَا (٣)

أتعْجبُ بى إذ كنتُ فى جنبِ روضةٍ ... وحقّ فيها أن أقيم وألْزَما

كعادةِ أشْجارِ الرياض فإنها ... تمكَّن فيها الأصلُ والفرْعُ قد نَمَا

وقد قيل فى الأمْثال إذ كنتَ سامعاً ... خذِ الجارَ قبل الدار إن كنتَ مُسلِماً (٤)

أمَا سار من دار الفَناء إلى البَقا ... وأبقَى ثَناء بالجميل مُعظَّمَا

ومَن كان بعد الموت يُذكَر بالعُلَى ... فبالذِّكْر يَحيَى ثانياً حيث يمَّمَا

فقلتُ له يُهنِيك طِيبُ جِوارِه ... وحيّاكَ وَسْمِىُّ الغَمام إذا هَمَى (٥)

لتَسْقِط أثماراً على جنبِ قبرِه ... ليلتقطَها مَن زارَه وترحَّمَا

فواعجبًا حتى النّبات زهَتْ به ... فحُقّ لنا عن فضلِه أن نُترجِمَا

* * *

وله ، يمدح المولى البهائى (٦) :

كشف الدهرُ عن وُجوه الأماني ... ومحَا السّيئاتِ بالإحسانِ

وأرانا شمسَ العدالةِ تبدو ... فى بُروجِ الجمالِ والعِرْفانِ

---

(١) فى الأصول : «مالك مثمرا» ، والمثبت فى الخلاصة .

(٢) فى ا : «تهزز فرحة» ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٣) فى الأصول : « زهت بضجيج » .

(٤) فى خلاصة الأثر :

* وقد قيل فى الأسْماع إذ كنتَ سامعاً *

(٥) الوسمى : مطر الربيع الأول . (٦) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء ، صفحة ٢٩١ ، برقم ٩٤ .

وحَبانا من آلِ سعدٍ بمولَى ... لا يُدانيهِ سعدُ تفتازانِي(1)

دُرَّةٌ رُكِّبت بتاجِ المعالِي ... غُرَّةٌ أشْرقتْ بوجهِ الزمانِ

عالمٌ وهو عالَمٌ يتراءَى ... لِلْبَرايا فى صُورةِ الإنْسانِ

وهُمامٌ مُهذَّبٌ قد تحَلَّى ... بعُقولِ الكهولِ فى العُنْفُوانِ

أَحْمَدَ الظلمَ منه عدلٌ مُنيرٌ ... وكذا النورُ مُخْمِد النِّيرانِ

خُذ يمِينى إنَّ البراعَةَ منه ... فعلتْ مايكِلُّ عنه اليَمانِى

إن شَهْباءَنا به قد أنارتْ ... وعلَتْ رُتْبَةً على كِيوانِ(2)

وتوالَتْ على بَنيها المَسرَّا ... تُ فهم يسْحَبون ذيلَ التَّهانِى

منها :

أنت معنًى لك الفضائلُ كاللَّفْـ ... ـظِ ورُوحٌ والمجدُ كالجُثْمانِ

أنت فى المَكْرُماتِ فَضْلٌ ولكنْ ... لابن عبد العزيز فى العدل ثانِى

***

ومنها ، يعتذر عن هدية أهداها(3) :

وهُديتَ اليسيرَ فانْمَ وقابِلْ ... نَزْرَه بالقَبولِ والامْتنانِ

فلوَ أنَّ العَيُّوقَ والشمسَ والبدْ ... رَ مع الفَرْقَدَيْن فى إمْكانِى(4)

كنتُ أهديْتها وقدَّمْتُ عُذْرًا ... ورأيتُ القُصور معْ ذاك شانِى

***

(1) سعد تفتازان ، هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى .

إمام من أئمة العربية والبيان .

توفى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .

البدر الطالع ٢/٣٠٣ ، بغية الوعاة ٢/٢٨٥ ، الدرر الكامنة ٥/١١٩ .

(2) كيوان : زحل . القاموس (ك و ن) .

(3) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/٢٨٨ ، خلاصة الأثر ١/٣١٩ .

(4) العيوق : نجم أحمر مضىء ، فى طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا ، لايتقدمها . القاموس (ع و ق) .

ومما يُسكر العقول فى الاعتذار عن الهدية ، قول الشّاهِينى[1] ، من قصيدة كتبها إلى أبى العباس المَقَّرِىّ[2] ، وأرسل له معها خمسين قرشا :

لو كان لى أمرُ الشباب خلعتُه ... بُرْدًا على عِطْفَيْك ذا أرْدانِ[3]

لكنْ تعذّر بَعْثُ أوّل غايتى ... فبعثْتُ نحوك غايةَ الإمْكانِ

***

وللسيد أحمد من اعْتذارية عن هدية أيضا[4] :

إن قصّر الداعى وأهْدى بلا ... رَوِيّةٍ مُحتقرًا نَزْرَا

مِن عمَلِ الصِّين قطاعا أتتْ ... لاتستحقّ الوصْفَ والذّكْرَا[5]

فاعْذُر فقد أهدَى إليك الثّنَا ... عِقْدًا نظيماً يُخجِل البـدرَا

***

ومن بدائعه قوله ،[6] وهو فى غاية الجودة[6] :

لِدَواةِ داعِيكم مِدادٌ شابَ من ... جَوْرِ اليَراعِ وقد رثَتْ لمُصابِهِ

فأتتْ تؤمِّل جُودَكم وترومِ من ... إحْسانكم تجْديدَ شَرْخِ شبابِهِ

***

وقوله ، فى صدر رسالة[7] :

أيها الفاضلُ الذى خصَّه الله ... ه من الفضلِ والحِجَى بلُبابِهْ

---

(١) تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ، صفحة ٩٦ ، برقم ٦ .   (٢) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ١١٣ .   (٣) فى ب : « لو كان لى برد الشباب » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) الأبيات فى : إعلام النبلاء ٦/٢٨٨ ، خلاصة الأثر ١/٣١٨ ، وأرسل بها لبعض الكبراء مع قطاع من الصينى أهداها له .   (٥) فى ا : « قطاعات أتت » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وخلاصة الأثر .   (٦) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

والبيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٢٩٠ ، خلاصة الأثر ١/٣٢٠ .

(٧) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/٢٩٠ ، خلاصة الأثر ١/٣٢٠ .

إن شوقى إليكَ ليس بِشَوْقٍ   يُمْكِن المرءَ شرحُه فى كتابهْ

***

وكتب إلى السيد محمد العُرْضِيّ[1]، قبل توجُّهه إلى الروم[2]:

مازلتُ محسودًا على أيّامكمْ   حتى غدوْتُ ببُعْدكم مَرْحوما[3]

ومن البليَّة قبلَ توْديعى لكم   أصبحتُ رِزْقًا للنَّوى مقْسوما

***

فأجابه، وكان محموما[4]:

وافَى الكتابُ وكنتُ قبلَ وُرودِه   مِن خَوْف ذِكْرِ فِراقكم محْمُوما

هذا ولِى أمرٌ بصَرْفةِ عَزْمِكم   عنه فكيف إذا غدا مختوما[5]

***

وله[6]:

إنَّ شَوْقى يجِلُّ عن أن يُؤدِّى   بعضَ أوْصافِه لسانُ اليَراعِ

***

وكان بحلب مُفْت صدَّره الدهر بجاه ومال، وعطف إليه الأفئدة وآمال.

بعد انقراض بنى البَتْرُونىّ الذين أبكى الدهرَ نَعِيُّهم، وذهب برَوْنق الرياسة أحْوَذِيُّهم وألْمعيُّهم.

وقد طلعوا فى سماء الغُفران شهبا، وأمست أطلالُهم بيد النوى نَهْبا.

وهكذا الدنيا لها لتصْدير أبنائها جنُوح، وموتُ بعض الناسِ على بعض فُتوح.

---

(١) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء، برقم ١١٣.   (٢) البيتان فى: إعلام النبلاء ٦ / ٢٩٠، خلاصة الأثر ١ / ٣٢٠.   (٣) فى ب: «ببعدكم مرجوما»، والمثبت فى: ا، ج، والإعلام، والخلاصة.

(٤) الجواب فى: إعلام النبلاء ٦ / ٢٩٠، خلاصة الأثر ١ / ٣٢٠، ٣٢١.

(٥) فى ا، ج: «إذا غدا مختوما»، والمثبت فى: ب، وإعلام النبلاء، وخلاصة الأثر، وفى إعلام النبلاء: «ولى أمل».

(٦) إعلام النبلاء ٦ / ٢٩٠، خلاصة الأثر ١ / ٣٢١.

فأصبح مكان الدُّرّ صَدَفاً ، وصيَّر نفسه لِسِهام الاعْتراض هدَفا .

وكان له كاتب يُعرَف بابن نَدى هو يدُه ولسانُه ، وعليه تدور إساءته وإحْسانه .

فقدَّم المفتى يوما للصلاة على جنازة ، فكبَّر عليها خمساً ظانّاً جوازَه .

وكان ذلك فى جَمْع حافل ، جمع بين عالٍ وسافل .

فقال فيه السيد أحمد :

وَمُذْ مصطفى صلَّى صلاةَ جنازةٍ ... وكبَّر خمسا سدَّس الناس لَعْنَهْ

فقلتُ اعْذرُوه إنَّه قلَّد النَّدَى ... ومن قبلُ فى الفُتْيا لقد قلَّد ابْنَهْ

* * *

يشير بقوله « قلّد الندى » إلى قول أبى تمـــام ، فى قصيدته التى رَثَى بها إدْريس ابن بدر[1] :

ولم أنْسَ سَعْىَ الجودِ خلفَ سَريره ... بأكْسفِ بالٍ يستقيمُ ويظْلَعُ

وتكبيرَه خَمْساً عليه مُعالِناً ... وإن كان تكبيرُ المصلّين أرْبَعُ

وما كنتُ أدرِى يعلمُ اللهُ قبلَها ... بأنّ النَّدَى فى أهلِهِ يتشيَّعُ

* * *

ومما يُناسب مع هذا ، قول بعضهم فى مُوَسْوس :

وباردِ النِّيَّـــةِ مَغْموسِها ... يُكرِّر الرَّعْـــدةَ والهِزَّهْ[2]

مُكبِّرًا سبْعين فى مرَّةٍ ... كأنمـــا صَلَّى على حَمْزَهْ

يشير إلى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، صلَّى على عمّه حمزةَ سبعين مرة ، فكلَّما قدِم عليه ميِّت صلَّى عليه ، وبه استدلَّ على الصلاة على شهيد المعركة .

---

(١) ديوان أبى تمام ٣٧٣ ، والمرثى إدريس بن بدر السامى ، من ولد سامة بن لؤى .

(٢) فى ا : « الرعدة والهمزة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

١١٦

ولده السيد باكير *

فرع من تلك الدَّوحة الباسقة ، وعَضْو من عِقد مَحْتِدها الذى تنظَّمت فرائدُه المتناسقة .

أثبت به ندى بيته الثناء فى حدائق الأذهان ، وأمْلت معاليه المعانىَ بأفصح لسان على الآذان .

رضع من دَرِّ العلوم كهلا ووليدا ، وحوَى من أنواع المفاخر طارفًا وتليدا .

يجْلى ناظرُه روضَ الحظِّ ناضرًا ، ويجتاب رأيُه المغْرِبات فيجعل غائبَها حاضرًا .

وله منطق يعلِّم الأبْكم براعةَ التلفظ ، وحديث كقِطَع الروض قد سقطتْ فيه مؤْنَة التحفُّظ .

فهو فى كلامه النفيس العالى ، كأنما عناه بقوله الميكالى (١) :

إن كلامَ ابن أحمد الحسنِى   آسَى كِلامَ الهموم والحزَنِ (٢)

سحرٌ ولكن حكى الصَّبا سَحَراً   فى لُطْفِه غِبَّ عارِض هَتِنِ

(*) السيد باكير بن أحمد بن محمد الحلبى ، المعروف بابن النقيب .
ولد سنة ثلاث وثلاثين وألف .
وقرأ على والده ، وعلى غيره .
وتعاطى صناعة النظم ، وشعره حسن الرونق ، بديع الأسلوب .
توفى سنة أربع وتسعين وألف ، بحلب .
إعلام النبلاء ٦/٣٧٦ ـ ٣٨٠ ، خلاصة الأثر ١/٤٣٣ ـ ٤٣٦ .

(١) يعنى الأمير أبا الفضل عبيدالله بن أحمد الميكالى ، المتوفى سنة ست وثلاثين وأربعمائة .
والبيتان فى خلاصة الأثر ١/٤٣٣ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٧ ، نقلا عن الخلاصة .

(٢) كلام الثانية : جمع الكلم ، بفتح الكاف ، وهو الجرح .

وقد جرى في مجلس النجم الحلفاوي [١] ذكرُ نجابته التي دلت عليه، دلالة النسيم على الحبيب إذا هبَّ بعَرْف صُدْغَيْه.

فأثنى عليه ثناء الزهر، على جدول النهر.

ووصف محتِده وصفَ حسّان، لآل غسّان.

فرأى ليلةً في منامه أنه نظم بيتين في نعته، ثم انتبه من نومه فكتبهما من وقته.

وهما:

يا كبيرُ فاق على الأقران مرتقياً   أوجَ المعالي فلا خِــدْنٌ يدانيهِ [٢]

والفرعُ إن أثمرتْ أيدي الكرامِ به   فالأصلُ من كوثرِ الأفضال يسْقيهِ

* * *

وقد أثبتُّ له ماهو أصفى من ماء المفاصِل، وألطفُ موقعاً [٣] من ضمّة الحبيب المُواصل.

فمنه قوله [٤]:

بك صَرحُ العَلاء سامٍ عِمادُهْ   وكذاك الكمالُ وارٍ زِنادُهْ

---

(١) نجم الدين محمد بن محمد الحلفاوي، الأنصاري، الحلبي الحنفي.

خطيب جامع حلب، وصدرها.

أخذ عن عمر العرضي، وغيره.

وتصدر للإقراء، فانتفع به خلق كثير؛ منهم: محمد بن حسن الكواكبي، وأحمد بن محمد المهنداري.

توفي سنة أربع وخمسين وألف.

والحلفاوي: نسبة إلى النبات المعروف، وقد ذكر المحبي سبب هذه النسبة في الخلاصة.

خلاصة الأثر ٤/١٨١ ــ ١٨٤.

والقصة، والبيتان بعدها، في خلاصة الأثر ١/٤٣٣، ٤٣٢، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٧ نقلا عنه.

(٢) في خلاصة الأثر: «فلا قرن يدانيه».

(٣) في ب: «مواقعا»، والمثبت في: ا، ج.

(٤) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٤٣٤، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٨ نقلا عنه.

إن كلَّ الأنامِ من ناظرِ الد ... هرِ بياضٌ وأنت منـــه سوادُهْ

قد غرقنا من فيْض فضلك فى أمْ ... واج بحرٍ تتابعتْ أزْبادُهْ (١)

وإذا الفـكرُ لم يُحِطْ بمعا ... ليكَ جميعا وخاب فيك اجْتهادُهْ

فاعْتـــذارى ببيْت نَدْبٍ هُمامٍ ... ما كبَا فى مَيْدان فضلٍ جوادُهْ

إنّ فى الموجِ للغريق لعُذراً ... واضحاً أن يفوتَه تعْـــدادُهْ

* * *

وقوله ، من قصيدة أولها (٢) :

تهلّل وجه الفَضــل والعدلِ بالبِشْرِ ... وأصبح شخصُ المجد مبتسمَ الثغرِ (٣)

فيالَكَ من مولًى به الشعرُ يزْدهِى ... إذا ما ازْدهتْ أهـلُ المدائح بالشعرِ

فريدُ المعالى لا يرى لك ثانياً ... من الناس إلا من غدا أحْولَ الفكرِ (٤)

* * *

معنى الأول مطْروق ، وأصله قول أبى تمام (٥) :

ولم أمـــدحْك تفْخيما بشِعرى ... ولـكنى مدحتُ بك المديحا (٦)

وأبو تمام أخذه من قول حسان ، فى مدح النبىّ صلَّى الله عليه وسلم (٧) :

ما إنْ مدحتُ محمداً بمقالتى ... لـكن مدحتُ مقالتى بمحمدِ

* * *

(١) فى ا : « قد عرقنا من فضــل فضلك » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصــة الأثر ، وفى ج : « أمواج أبحر » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

(٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/٤٣٥ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٨ نقلا عنه .

(٣) بعد هذا البيت فى خلاصة الأثر زيادة : « منها » . (٤) فى ب : « لا يرى لك شانيا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) ديوانه ٧١ ، وخلاصة الأثر ١/٤٣٥ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٨ نقلا عنه . (٦) فى ديوان أبى تمام : « فلم أمدحك تفخيما لشعرى » .

(٧) ليس فى ديوانه ، ولا فى سيرة ابن هشام ، وهو فى خلاصة الأثر ١/٤٣٥ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٩ نقلا عنه .

والبيت الثاني من قول بعضهم [1] :

إنَّ من يُشرِكُ باللَّـ ـهِ جَهولٌ بالمعاني
أحْوَلُ الفكر لهذا ظنَّ للواحد ثاني [2]

* * *

وله من قصيدة [3] :

لاح الصَّبا كزُرقة الألماسِ فاصطبِحْ ياقوتَ دُرِّ الكاسِ [4]
من كفِّ أهيفَ صانَ وردَ خدودِهِ بسياجِ خطٍّ قد بدا كالآسِ
فكأنَّ مرآةَ البديعِ صحيفةٌ للحُسنِ جَدْوَلُها من الأنفاسِ
في روضةٍ قد صاح فيها الديكُ إذْ عطَس الصباحُ مشمِّتًا لعُطاسِ [5]
ضحكتْ بها الأنوارُ لما أن بكى جَفنُ الغمامِ التامِّ العبَّاسِ [6]
ورَقَى بها الشُّحْرورُ أغصانًا غدتْ بتموُّجِ الأرياحِ في وَسْواسِ
والوردُ تحمَده البلابلُ هُتَّفًا من فوق غصنٍ قَوامِه الميَّاسِ [7]
ويرى البنفسجُ عُجْبَه فيعود من حسدٍ لسطوتِهِ ذليلَ الرّاسِ [8]
والطَّلُّ حلَّ بها كدمعِ متيَّمٍ لمعاهدِ الأحبابِ ليس بناسِ
فتظنُّ ذا ثغرًا وذا عينًا وذا خدًّا لغانيةٍ كظَبْيِ كِناسِ
وأحمرَّ خدُّ شقائقٍ مخضلَّةٍ حُمِيتْ بطرف النرجسِ النعَّاسِ

---

(١) خلاصة الأثر ١/٤٣٥ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٩ نقلا عنه . (٢) في ا : « ظن لله ثاني » ، وقد اضطر الشاعر لترك النصب في « ثانيا » للقافية . (٣) القصيدة في : خلاصة الأثر ١/٤٣٤ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٧٧ ، ٣٧٨ نقلا عنه . (٤) في ب : « فاصطباح » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) في ا ، ج : « مشمتا العطاس » ، وفي خلاصة الأثر : « مشمت العطاس » ، والمثبت في : ب . (٦) في خلاصة الأثر : « ضحكت بها الأزهار لما أن بكت » ، وفي ب : « لما أن بدا » ، والمثبت في : ا ، ج ، وفي خلاصة الأثر : « عين الغمام » ، وفي ب : « العباسي » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٧) في ب : « والورد تحمله البلابل » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٨) في ا : « ويرى البنفسج عوده » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

حسداً لخدّ الطِّرس حين غـــدا له خَطُّ القريض بمدْح فضلك كاسِ [1]

* * *

وله من أخرى فى المدح :

مولاى قُم نلتقطْ من لُؤلؤِ الحِكَمِ دقائقاً حُجِبت عن فِطْنة الفَهِمِ

فى وصف روضٍ أنيقٍ راق منظرُه من الزَّبَرْجَد والياقوت مُنتظِمِ

أما ترى نفحـة النِّسْرين عابقةً والزَّعْفرانَ سقته السحبُ بالدِّيَمِ

والمِهْرجانَ أتى فى جَحْفلٍ لجِبٍ من الرياض فأهــدى طيِّبَ النَّسَمِ

تقابلتْ فيـه أحْـــداقُ لنَرْجِسه تحكى فماً مال للتقبيل نحو فَمِ

والنبتَ عاوَد بعد الصدِّ مُنعطفاً يَبُلُّ شوقَ نباتِ الغَوْرِ والأَكَمِ [2]

والوُرْقَ غنَّتْ على الأشجار من طربٍ مُجيبةً عَنْدَليبَ الدَّوْحِ فى الظُّلَمِ

فأَهْيَجْ بتَذْكار غِزْلانٍ لواحظُهم تُركْنَ أهلَ الهوى فى قبضة السَّقَمِ

وأَهْيَفٍ من ظِباء الحُور مُقلتُـــه من قَوْس حاجبِه أوْدَتْ بكلِّ كَمِى

إن يهجُرِ الشاربُ الريّانُ مَبسمَه فالعذبُ يُهجَر للإفراط فى الشَّبَمِ [3]

فى صُدْغِـــه طبعتْ أهْدابُ ناظرِنا فظنَّه الصبُّ خطًّا غــــيرَ ملتئمِ

أدار شمسَ المُحيَّا بدرُ راحتِه ممزوجةً برُضاب المَبْسَمِ الشَّبِمِ

من خمرةٍ عُصِرتْ بالبِشْر من قِدَمٍ جاءتْ تخبِّرنا عن سالفِ الأُمَمِ

---

(١) فى ا : « حين بداله » ، وفى الخلاصة : « لما أن غدا » ، والمثبت فى : ب ، ج .
و « كاس » كذا للقافية .

(٢) فى ب : « بعد الصد منقطعا » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : « للافراط فى السأم » ،
والمثبت فى : ا ، ج ، وشبم الماء شبما : برد .
وهو هنا ينظر إلى قول أبى العلاء المعرى :

* والعذبُ يُهجَر للإفراطِ فى الخَصَرِ *

شروح سقط الزند ١ / ١٢٠ .

فى روضــــةٍ ضحكتْ فيها أزاهرُها ... مُذْ جادَها وابلٌ يَهْمِى بمُنْسجِمِ (١)
وقام بلْبُـلُهـــــــا يتلو محاسنَ مَن ... شهباؤُنا منه فى أَمْنٍ من النِّقَمِ
صـدرُ الموالى فريدُ العصرِ جِهْبِذُه ... ومَن به الناسُ مغمورون بالنِّعَمِ
كهفُ الأنامِ مَلاذُ الخلقِ أحمدُ مَن ... فاق الفحُولَ بفضلٍ غيرِ منكتِمِ
مَن شرَّفَ البــلدةَ الشهباءَ مَقدَمُه ... ففاخرتْ جُلَّ مُدْنِ العُرْبِ والعجمِ
أقام فيها عمــــادَ الشرعِ مجتهداً ... حتى روتْ حسنَها الناسُ عن إرَمِ

* * *

وله من أخرى :

هو فى الفؤادِ وشخصُه نادٍ عن الـ ... ـألحاظِ فهْو مسافرٌ ومُقيــــمُ
سحَر العقولَ بلحْظِه فــكأنما ... فى الجفْنِ دُرُّ كلامك المنظومُ
يا أيُّهـا المولى الذى أحْيَى رُبُو ... عَ الفضلِ والأفضالِ وهْى رَميمُ
أعطيتَ دهرَك من خِلالِك خلَّةً ... فغدا كريمَ الفعلِ وهْو لئيـــمُ

* * *

وله ، وتعزَّى لوالده (٢) :

صدرَ الوجودِ وعينَ هـــذا العالَمِ ... ومَــلاذَ كلِّ أخِى كمالٍ عالِمِ (٣)
إن لم تـكن لذَوِى الفضائلِ منقذاً ... من جَوْرِ دهرٍ فى التحكُّمِ حاكِمِ (٤)
فبمن نلوذُ من الزمانِ ونابَ من ... تنتابُ غيرَك فى المُهِمِّ اللازِمِ (٥)
فبحقِّ مَن أعطاك أرفـــعَ رتبةٍ ... أضحى لهــا هذا الزمانُ كخادمِ

(١) فى ب خطأ : « ضحكت أزهارها طربا » ، وفى ا : « ضحكت فيها أزاهره » ، والمثبت فى : ج .
(٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ١/ ٤٣٥ ، وإعلام النبلاء ٦/ ٣٧٩ نقلا عنه . (٣) بعد هذا البيت فى إعلام النبلاء زيادة : « أيضا » . (٤) فى خلاصة الأثر : « فى التحكم ظالم » .
(٥) فى خلاصة الأثر : « تنتاب فى الأمر المهم اللازم » .

١١٩

السيد عبد الله بن محمد حجازى*

السيد الصِّنْديد ، الفقيد الشَّبيه والنَّديد .

الشريف فى نفسه فضلا عن أرومتِه ، الحسيب فى ذاته عِلاوة على جُرثومته .

شرفٌ ليس بمدَّعى ولا منتحَل ، وحسَب له رونق المشترِى ومرتقَى زُحَل .

إذا انتَسب باهتْ به الأنساب ، وإذا كتب أرى البدائع بيض الوجوه كريمةَ الأحساب .

إلى مَكرُمات يدرك أقاصيها ، ومعلومات يعقِد بالفلك نواصيها .

ألبس من الفضل أحسنَ لباس ، وخلق من طينةٍ غيرِ طينة الناس .

وهو محاسنُ وفنون ، تتغاير عليها آذان وعيون .

بحر إذا نطَق وطَود إذا سكت ، وكلمه[(١)] من فرقِه إلى قدمه تحَف ونُكت .

(*) السيد عبدالله بن محمد حجازى بن عبد القادر بن محمد الحلبى ، الحنفى ، المعروف بابن قضيب البان .

وذكر نسبه فى ترجمة جده المتقدمة .

دأب فى طليعة عمره وحصل على جماعة من العلماء ؛ منهم : محمد بن حسن الكواكبى ، والسيد محمد النقوى ، ومصطفى الزيبارى .

وتفوق ، وتصدر للتدريس فى المدرسة الحلاوية ، وولى نقابة الأشراف ، وأعطى رتبة قضاء ديار بكر ، وعظمت صلته بالوزير الفاضل ، ثم تقلبت به الأحوال ، وتنقل بين أدرنة واستانبول والقاهرة ومكة للحج .

وكان أديبا بليغا ، وله تآليف ، منها « نظمه للأشباه الفقهية » وكتاب « حل العقال » ، وله « ذيل على الريحانة » لم يكمله .

توفى سنة ست وتسعين وألف ، اجتمع عليه أهل بلده وقتلوه ، فى قصة طويلة ذكرها المحبى فى الخلاصة والنفحة .

إعلام النبلاء ٦/ ٣٨٧ ــ ٤٠٢ ، خلاصة الأثر ٣/ ٧٠ ــ ٨٠ .

(١) فى ا : « وكلامه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

بفكر يفتح المُقفَل ، وذهن يستدرك المُغفَل .

وآداب رَطْبة لدى الهَصر [١] ، ومعارف تأبى على العَدِّ والحصر .

ولقد لقيتُه بالروم سنة سبع وثمانين ، وأنا فى أيام تلك الغربة راعى سنين .

ولى فؤاد إلى المخالطة شَيِّق ، وصدر يسَع همَّ الدنيا وهو ضيِّق .

فنزلت منه بحيث مُلتقى الصدر الرَّحْب والمُحيَّا الوسيم ، وحلَّيت بقلبه حلول المسرة وهبَبْت فى روض أخلاقه هبوبَ النسيم .

وكان لى من مجلسه نَضرةُ الرَّيْحان ، ونفحة الروض وطربُ الألحان .

أشيم خُضرة تَرِفُّ فى زهرة حسن ، وأجتلى روضة فى ناظر ونجوى فى أذن .

وهو أناله الله من كرمه أفضلَ إنالة ، لا يَقترح على الأيام مطلبْ إلا قال : أنا له .

إلا أن له حبائلَ تَعتلقه ، ومطامع لم تزل تَمتلقه .

فعوادى الأيام عليه مُلحَّة مُسكِبة ، وبواعث صفوها مُريحة [٢] مُغِبَّة .

وهو من بُعد الهمة ، ووساوس الشدة المُدلَهِمَّة .

فى قسوة سَدَّت عليه طريقا ومنهجا ، وآيَسَتْه من [٣] أن يلقى مَفْرَجا ومخرَجا .

فأبى له التخيُّل ، إلا التصنُّع والتحيُّل .

فدبَّر أمراً تحرَّاه ، ونُسِب فيه إلى أنه افتراه .

وكان سهوُه فيه أكثرَ من تيقُّظه ، ووقْعُه أقربَ إليه من تحفُّظه .

فخرج متحسِّبا إلى مصر ، وهو زميل همٍّ مبرِّح وإصْر .

---

(١) فى ا : « العصر » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ج : « صريحة » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

١١٧

السيد عبد القادر بن قضيب البان *

بحر معارف خِضَمّ ، وطَود فضائل أشَمّ .

تأزّر بالإحسان وارْتدى ، وراح فى تكْميل النفس واغْتدى .

هذا وعهده بالشباب قريب ، وحديثه ليس بمُنكَر ولا غريب .

ثم أطال التجوُّل ، وأكثر فى البلاد التحوُّل .

فدخل الحجاز واليمن ، وأقام بها مدة بمنزلة فصل الربيع من الزمن .

ثم رجع إلى دياره ، وألقى بها عصا تَسْياره .

فقعد مقعَد السُّها ، وعقَل لديه النُّهى .

وتماسَك عن الدنيا عَفافا ، والتفّ بالمعارف الإلٰهيّة التفافا .

مع شهرة كشهرة ضوء الصباح والمصباح ، وطلعة يُستفاد من لألائها نورُ الفلاح والرَّباح .

(*) السيد أبو محمد عبد القادر بن محمد ، المعروف بابن قضيب البان .

يتصل نسبه من جهة أبيه بالحسن بن على رضى الله عنهما ، ومن جهة أمه بالشيخ عبد القادر الكيلانى .

ولد بحماة ، سنة إحدى وسبعين وتسعمائة .

وهاجر به أبوه إلى حلب ، وتوطن بها إلى سنة ألف ، وفى هذه السنة حج إلى بيت الله الحرام ، وجاور بمكة إلى حدود سنة اثنتى عشرة وألف ، ثم توجه إلى القاهرة ، فلقى شيخ الإسلام يحيى بن زكريا ، وتلقى هناك الطرق الصوفية ، وأقر على طريقة النقشبندية .

وعرض عليه القضاء ، والنقابة ، فرفض القضاء ، وقبل النقابة .

وكانت له كرامات شهيرة وأحوال باهرة .

وله مؤلفات فى التصوف ، منها : « الفتوحات المدنية » ، و « نهج السعادة » ، و « ديوان شعر » كله على لسان القوم .

توفى بحلب ، فى حدود سنة أربعين وألف .

إعلام النبلاء ٦/ ٢٣٠ – ٢٣٤ ، خلاصة الأثر ٢/ ٤٦٤ – ٤٦٧ .

وهناكَ ما شئت من وَقارٍ يطيشُ له ثَبِير ، ومقدارٍ يصغُر لديْه كلُّ كبير .
إلى يدٍ تُفرِّج إذا ضاق الإعْدام ، وقَدمٍ تثبُت إذا زلَّت الأقْدام .

***

وله أشعار في الحقيقة تحرِّكُ السَّواكن[1] ، وتبعثُ الأشواقَ الكوامِن .
أوردتُ منهـا ما إذا وُصِف رأيتَ الحسنَ مجتمعا ، وإذا تُلِيَ أبصرتَ كلَّ شيء مستمِعا .

فمنها قوله[2] :

أرى للقلب نحوكُمُ انْجذاباً ... لأسمعَ من خطابِكُمُ خطابا[3]
فكم ليلٍ بقُرْبِكمُ تقضَّى ... إلى سَحَرٍ سجوداً واقْترابا
وكم من نشوةٍ وردتْ نهاراً ... فلا خطأً وَعيْتُ ولا صوابا
وكم سحَّتْ علينا من نَداكُمْ ... غُيوثٌ لا تفارقُنا انْسكابا[4]
وكم نفَحاتِ أُنْسٍ أسكرتْنا ... بها حضر الصَّفا والقبضُ غابا
توافقتِ القلوبُ على التَّداني ... فلم نشهدْ به منكم حجابا[5]
لقد حاز الوليُّ بكلِّ حالٍ ... من الرحمن فيضاً مُستطابا
تراه بين أهل الأرضِ أضحى ... لِداعي الحبِّ أسرعَهم جوابا
وغيرَ الله ليس له مُرادٌ ... وغيرَ حِماه لا يرجُو انْتسابا

***

(١) في ب : « الساكن » ، والمثبت في : ا ، ج . (٢) القصيدة في خلاصة الأثر ٢/٤٦٦ ، وإعلام النبلاء ٦/٢٣٢ نقلا عن الخلاصة . (٣) في خلاصة الأثر : « من جنابكم » .
(٤) في ا : « عيون لا تفارقنا » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) في ب : « فكم نشهد » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

وقوله [1] :

سقانى الحبُّ من خمر العَيانِ … فتِهت بسكْرتى بين الدَّنانِ

وقلتُ ارْفقى رِفقاً بقلبى … وخاطبتُ الحبيبَ بلا لسانِ

شربتُ لحبِّه خمراً سقاها … لصَحْبى فانْتَشَى منها جَنانى [2]

شطَحْتُ بشربِها بين النَّدامى … ورُشْدى ضاع مما قد دَهانى

فأكْرمَنى وتوَّجنى بتاجٍ … يقوم بسرِّه قطبُ الزمانِ

وأمَّرنى على الأقطاب حتى … سرَى أمرى بهم فى كلِّ شانِ

وأطْلعَنى على سِرٍّ خَفِيٍّ … وقال السَّترُ من سرِّ المعانى [3]

فهام أولو النُّهى من بعض سُكْرى … وغابُوا فى الشُّهود عن المكانِ [4]

مُريدى لا تخَفْ واشطَحْ بسِرِّى … فقد أذِن الحبيبُ بما حَبانى

* * *

وقوله [5] :

نظرتُ إليك بعينِ الطلبْ … ومنك إذاً طلبى والسببْ

رأيتُك فى كل شيء بدا … وليس سِواكَ لعينى حُجُبْ

فأنت هو الظاهرُ المُرتجَى … وأنت هو الباطنُ المُرتقَبْ

وأنت الوجودُ لأهل الشهودِ … وأنت الذى كلَّ شيء وَهَبْ

وعينى بعيْنَيْك قد أبصرتْ … بعيْنِك فى كل تلك النِّسَبْ

* * *

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٤٦٦ ، وإعلام النبلاء ٦/٢٣٣ نقلا عنه .

(٢) فى ب : «فانتشى منها جنانى» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) فى ب : « وقال السر من سر المعانى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى ب : « من المكان » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٥) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٤٦٦ ، وإعلام النبلاء ٦/٢٣٣ نقلا عنه .

ومن مقاطيعه قوله (١) :

ولقد شكوتُك فى الضمير إلى الهوى ... وعتَبْتُ من حَنَقٍ عليك تَجنُّنا (٢)

مَنَّيْت نفسى فى هواكَ فلم أجِـــدْ ... إلا المنيَّةَ عنـــــدما هجَم المُنَى

* * *

وقوله (٣) :

إذا امتدَّ كفٌّ للزمانِ بحاجةٍ ... فقوَّتُها من عادة الهِمَّة السُّفْلَى (٤)

ومن يكُ يستغْنِى عن الخلقِ جُملةً ... فيُغْنيهِ ربُّ الخلق من فضلِه الأعْلَى (٥)

* * *

وقوله (٦) :

إذا أســــأتَ فأحسِنْ ... واستغفرِ اللهَ تنجُو

وتُبْ على الفَوْرِ وارجِعْ ... ورحمـــــةَ الله فارجُو

---

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٦٦٤ ، وإعلام النبلاء ٦/٢٣٣ نقلا عنه (٢) فى خلاصة الأثر : « عليك تجننا » ، وفى إعلام النبلاء خطأ « عليك تجنبا » . (٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٦٧٤ ، وإعلام النبلاء ٦/٢٣٣ نقلا عنه . (٤) فى خلاصة الأثر : « للأنام بحاجة » . (٥) فى ب خطأ : « ومن يك مستغن » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٦) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٦٧٤ ، وإعلام النبلاء ٦/٢٣٣ نقلا عنه .

١١٨

ولده السيد محمد حجازى *

هو فى قلادة نسبهم واسطة ، وصاحب أيادٍ بجميل النِّعَم باسِطة .

شهرته النَّزْعة الحجازيَّة ، ولبس من حسن الحِجَى زِيَّه .

وله أملٌ يقوم به [١] مع الأيام ويقعُد ، ويدنُو به طوراً وآونةً يبعُد .

حتى رسخ رسوخ ثَهْلان ، وكلِف بالمعالى كما كلف بمَيَّة غَيْلان [٢] .

فجمع الله به شَمْل المكارم فى قُطْره ، وأحْيَى به الأرض المَوات إذا ضَنَّ سحابُها بقَطْره .

إلا أن فيه عجلَةً تلزمه الحُجَّة ، وشَراسةً تُضيِّقُ عليه المَحجَّة .

فإذا تكدَّر لا يُرجَى له صَفْو ، وإن سخِط لا يُنتظَر [٣] له عفو .

* * *

وأما القراءة فله منها ما تحصَّل ، ولكن له شعر تدرَّج به إلى الوصف بالأدب وتوصَّل .

وقد أثبتُّ له ما يرُوقك رُواؤه ، ويُغنيك عن ماء الغُدران إرْواؤه .

(*) السيد محمد حجازى بن عبد القادر بن محمد الحلبى ، الحنفى ، المعروف بابن قضيب البان .

وذكر بقية نسبه فى ترجمة والده السابقة .

ولد بمكة ، سنة إحدى بعد الألف .

وكان عالما ، فاضلا ، جسورا ، فصيح اللسان فى اللغات العربية والفارسية والتركية .

ولى بعد أبيه نقابة الأشراف بحلب ، ووجه إليه قضاء أريحا ، وأعطى رتبة القدس .

توفى بحلب ، سنة تسع وستين وألف .

إعلام النبلاء ٦ / ٣٠٥ ــ ٣٠٧ ، خلاصة الأثر ٤ / ١٤ ، ١٥ .

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٢) يعنى ذا الرمة ، وقد تقدم ذكر قصته مع مية .

(٣) فى ب : « ينظر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فمنه قوله ، من قصيدة يمدح بها البهاء [١] ، لما كان قاضيا بحلب ، أولها [٢] :

ألا منجِدٌ في أرض نجْد من الوجْدِ   فمــا عند أهْليها سوى لوعةٍ تُجْدِي

وقفتُ بهــا مستأنسًا بظِبائها   كما يأنَسُ الصبُّ المتيَّمُ بالوجْـدِ [٣]

أسائلُ عمَّن حلَّ بالجِزْعِ والحِمَى   وأنشُد عمَّن جاز بالأجْرَعِ الفَرْدِ

خليليَّ إن الصدرَ ضاق عن الجـوَى   فلا تعجَبا من طَفْرة النارِ بالزَّنْدِ [٤]

ففي الجسم من سُعْدَى جروحٌ من الأسَى   وفي القلبِ من أجْفانِها كلُّ مايُعْدِي

بثغْرٍ يزيدُ الوَقْدَ من خمْرةِ اللَّمَى   وصُدْغٍ يثير الوجدَ من جمْرة الخدّ

تُقرِّب لي باللَّحْظ ماعزَّ دَرْكُه   وتنفِر عمداً كي تُصاد على عمْــدِ

تَلاعَبُ في عقل الفُحول بطَرْفهــا   مُلاعبــةَ الأطفالِ من غِرَّة المهْدِ

رمتْ مهجتي أهــدابُها عن تعمُّدٍ   نِبالاً فزادتْ من توقُّدِها وَقْدِي [٥]

دنَوتُ إليها وهْي لم تدْرِ ما الهوى   وما علمتْ ما حلَّ بي من هوى نجْد

فقلتُ أما لي من رُضابِك رشفةٌ   معلَّلةٌ أرْوِي بهــا غُلَّةَ الوجدِ

وهل لِلتَّــداني عِــلَّةٌ أستمدُّها   وأبذُل في إنجاز وعْدِها جُهْدِي [٦]

فقالتْ أما يكْفيك وعدِي تَعِلَّةً   لقلبِك فاقنَعْ ياأخا الوُدِّ بالوعدِ

ولا ترْجُ مهما تقصد النفسُ نيْلَه   فإن الرَّزايا في مُتابعـةِ القصْـدِ

ولا تستمِـحْ من كلِّ خِدْنٍ وصاحبٍ   إخاءً فقـد يُفضِي الإخاءُ إلى الزهْـدِ

فما كلُّ إنسانٍ تَراه مُهــــذَّبا   ولا كلُّ خِلٍّ صادقَ الوعد والعهدِ

---

(١) في ب ، ج : « البهائي » ، والمثبت في : ا ، وهو يعني بهاء الدين العاملي ، الذي تقدمت ترجمته برقم ٩٤ ، في صفحة ٢٩١ ، من هذا الجزء .   (٢) القصيدة في خلاصة الأثر ٤/١٤ ، ١٥ ، وأعلام النبلاء ٦/٣٠٦ ، ٣٠٧ نقلا عن الخلاصة .

(٣) في ا : « وقفت بها مستنجدا » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة .

(٤) في خلاصة الأثر : « من طفرة النار في الزند » .

(٥) في ب : « رمت مهجتي أجفانها » ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة .   (٦) في خلاصة الأثر : « ساعة أستمدها » .

ولا كلُّ نجمٍ يُهتدَى بضيائِه ولا كلُّ ماءٍ طيِّبِ الطعمِ والوِرْدِ

ولا المسكُ فى كل المَهاةِ مَحَلُّه ولا ريحُ ماءِ الوردِ من عاصرِ الوردِ

ولا فضلُ مولانا البهاءِ محمدٍ كفضلِ المَوالى السابقِين على حَدِّ (١)

* * *

قلت : هذه العَلاقة النجديّة ، اقتضت أن تُسمَّى القصيدة بالوَجْدية (٢) .

* * *

وله ، من قصيدة أخرى ، فى مدح البهاء (٣) أيضا ، مطلعها (٤) :

قطبُ السماءِ هو الطريقُ الأقْصدُ دارتْ عليه نجومُه والفَرْقَدُ (٥)

والمُشْترِى والزُّهَرَةُ الزهراءُ فى أَوْجِ السُّعودِ هبوطُها والمَصعَدُ

والشمسُ ماشرُفتْ على أقرانها إلا بنِسْبته إليهـا المَسْجَدُ

واللهُ لاتحصَى شئونُ كمالِه فالويْلُ ثَمَّ على الذى لايشهدُ (٦)

ولقد أتيتُ الدهرَ غيرَ مُغادرٍ فى حالة منها أقومُ وأقعدُ (٧)

فسألتُه مَن فى الحمى فأجابنى مُفتِى الأنامِ أبو البهاءِ محمدِ

* * *

قلت : هاهنا فائدة من المستخرَجات بالإلهام ، وهى أن كثيرًا من الشعراء مَن يبنى رَوِىَّ قصيدته على اسم ممدوحه ، ولم يذكروا هـذا فى البديع ، فينبغى أن يسمى بـ « التمهيد » ، ويُذكَر .

* * *

---

(١) فى ب ، وخلاصة الأثر : « البهائى محمد » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « بالنجدية » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب ، وخلاصة الأثر : « البهائى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/١٥ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٠٧ نقلا عنه .

(٥) فى ب : « قطب السما وهو » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٦) فى الأصول : « عن الذى لا يشهد » ، والمثبت فى الخلاصة . (٧) فى ا : « ولقد علمت » ، وفى خلاصة الأثر : « ولقد أتيت » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ومن مستحسناته، قوله في الخمرة ونشأتها[1]:

لاتَرْضَ بالإضرارِ للنـــاسِ ... إن رُمْتَ أن تنجو من الباسِ

وانظر إلى الخمرِ وما أوقعتْ ... في شاربيها بعـــد إيناسِ

لما رضَوا في دَوْسِها عُوقبوا ... بضَرْبةٍ منهـــا على الرّاسِ

***

هـــذا معنى تصرّف فيه وبناه على العِقاب، وقد استعمله القدماء وأحالوه على جَوْرِ الشراب.

ولكل مَشرَب، إما عَذب أو مُستعذَب.

ومن الثاني قول ابن الأثير[2] من فصل في وصف الخمر: «وقد عُرِف منها سُنَّة الجوْر في أحكامها، ولولا ذلك لما استثأرتْ من الرُّءوس بجناية أقْدامها».

وهو أخذه من قول القائل:

ذكرتْ حقائدَها الكريمةُ إذ غدتْ ... وهْنـــاً تُداسُ بأرجلِ العصّارِ

لانتْ لهم حتى انتشَوْا فتحكّمتْ ... فيهم فنـــادتْ فيهمُ بالثّارِ[3]

وعلى ذكر الثّار فاعجب لثار الإشبيليّ الذي يُنطق الأوتار، وهو قوله:

والخمر تعلمُ كيف تأخذُ ثأرَها ... إني أماتُ إناءهـــا فأماني

ويعجبني في هذا السياق، قول بعض الأندلسيّين الحُذّاق:

لاتعجبَنّ لطالبٍ نال المُـــلَى ... كهـــلا وأخفَقَ في الزمانِ الأوّلِ

كالخمرِ تحكُم في العقول مُسِنَّةً ... وتُداس أوّلَ عَصْرها بالأرجُلِ

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ٤/١٥، وإعلام النبلاء ٠/٣٠٧ نقلا عن الخلاصة.

(٢) أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد الجزري، الوزير الكاتب، صاحب المثل السائر، المتوفى سنة سبع وثلاثين وستمائة. شذرات الذهب ٥/١٨٧، وفيات الأعيان ٥/٢٥.

(٣) في ب هنا وفيما يأتي: «بالنار»، والمثبت في ب، ج.

وفي القاموس (ث ور): «ويا ثارات فلان: مقلوب من الوتر للدم».

وحَباك من سُلطاننا بمواهبٍ ... تركتْ حسودَك فى الحضيضِ القائمِ

فإذا تتوّج كنت دُرّةَ تاجِه ... وإذا تختّم كنت فصّ الخاتمِ

إلّا نظرتَ بعين عطفِك نحوهم ... وتركتَ فيهم كلَّ لَوْمةِ لائمِ [1]

ورَعيْتَ فى داعِيك نِسْبته إلى ... خيرِ البريّة من سُلالة هاشمِ

فالوقتُ عبدك طَوْعُ أمرك فاحْتكمْ ... فيما تشاء فأنت أعدل حاكمِ

* * *

« فإذا تتوج[2] » ، هذا تضمين ، فإن البيت للمتنبى ، من قصيدته التى أولها[3] :

* أنا منك بين فضائلٍ ومكارمِ *

* * *

ومما يحسن له[4] قوله فى التشبيه :

ثلاثُ شاماتِه على نَمَطٍ ... فى جانب الخدّ وهْى مصفوفَهْ

كأنها أنجُم الذِّراع بدَتْ ... فى جانب الشمسِ وهْى مكسوفهْ[5]

* * *

وقد تناول هذا المعنى صاحبنا عبد الباقى بن السَّمان[6] ، فى قوله :

وكأن خالَيْه اللّذيْن بخدّه ... والشمسُ فى وجَناتِهِ لم تغرُبِ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « بعين عطفك نحونا » . (٢) يعنى بقوله هذا البيت كله .

(٣) ديوان أبى الطيب ٢٧٨ ، وخلاصة الأثر ٤٣٦/١ ، وإعلام النبلاء ٣٧٩/٦ نقلا عنه ، وعجز البيت :

* ومن ارْتياحَك فى غمامٍ دائمِ *

(٤) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٥) الذراع : منزل للقمر ، وهو ذراع الأسد المبسوطة . القاموس (ذ ر ع) . (٦) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٢٣٥ ، برقم ١٤ .

نَجْمانِ قد كسَفَتهما شمسُ الضحى ... أو نُقْطتا حِبْرٍ بِطِرْسٍ مُذْهَبِ

* * *

وأصل هذا المعنى لابن خَفاجة الأندلسىّ ، فى قوله[1]

غازَلْتُه من حبيبٍ وجْهه فَلَقٌ ... فما عدا أن بدا فى وجهِه شَفَقٌ[2]

فارْتجّ يعـــثُر فى أذْيال خَجْلتِهِ ... غصنٌ بعِطْفيه من إسْتَبْرقٍ ورقُ

تخـــالُ خِيلانَه فى نُورِ وَجْنتِهِ ... كواكبًا فى شُعاعِ الشمس تحْترقُ



(١) ديوانه ٨٨ .

(٢) فى الديوان : « فى خده شفق » .

ثم عدل الحقيقة عن المجاز ، وتوجّه إلى مَثابة الحجاز .

فحجّ البيت الحرام وعاد ، ودخل بلدَه وهو من توفُّر الحظ على ميعاد .

فلم يلبثْ حتى مدَّ عِنان النظر ، وتدرّج إلى حالٍ أفضتْ به للأمر المنتظَر .

وسبب ذلك أنه وقع بحلَب غلا ، نهض به سعرُ الأشياء وعلا .

وكان حاكمهم المرْفِق سارع إليهم مددُه ، وتوفَّرت لعنايتهم أنصارُه وعددُه .

فانجذبت إليه قلوب الخاصة والعامة ، وصاروا يحوطونه [1] من سِمة النقص بالكلمات التامة .

واتّفق أن الحجازىّ دعاه ليلة إليه ، فلما مضى عنده لم يستقر حتى حُقّت المنيّة عليه .

فنسَبوه إلى أنه اقتدح فى هُلْكه زَنْدا وَرِيّة ، وسقاه الحِمام كأسًا رَوِيّة .

ولما خرجوا بجنازته ليودِعوه القبر ، رأوا الحجازىّ أمامهم فلم يملكهم عن فَنَد الصبر .

وشُغِلوا عن الرّثاء بطلب الثار ، ولم يجدوا مثلها فرصةً تخمد [2] هذا العيب المُثار .

فرمتْه عن قوسها سهامُ القضاء الصوائب ، وعضّت منه إبهام الإبْهام بنانها النوائب .

فبقِىَ جسدُه على الأرض مطروحا ، كأن لم يكن فى روض المعارف غصنا مَرُوحا [3] .

وبلغت أمانيها من ذهابه الأغْراض ، ولله تعالى المشيئةُ فليس لنا اعْتراض .

---

(١) فى ا : « يحيطونه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا بعد هذا زيادة : « عن » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) غصن مروح : أصابته الريح .

فأنا إذا أفكرت في صرْعته ، وأخذتني لوعةُ محنته ورَوْعته .

ملكتني عَبْرة تترقرق ، أكاد بمائها أشْرق .

وأرغب إلى الباعث بعد الحِمام ، مادثر من هوامد الرِّمام[1] .

أن يهبَه رحمتَه وعفوه ، ويعوضه عن كدر دنياه النعيمَ وصَفْوَه .

* * *

وقد أثبتُّ من أشعاره التي طلعتْ محاسنها سافرةَ المحيَّا ، وسرَّتْ سرور الحبيب أحْيِي وحَيِّي .

ماحَشَوتُ حينا من دُرِّه الثمين مَسْمَعى ، فإذا تلوتُه بكيت فضائلَه فيبكي السامعُ معى .

فمنه قوله ، من نبويَّة مستهلها :

أهلا بنَشْر من مهبِّ زَرُودِ ... أحْيَى فؤادَ العاشق المَجهودِ[2]

وروى شذَى خبر العقيق ففجرت ... منه عيونَ الدمع فوق خدودِ

ونمَى فنمَّ لنــــا بأسرار الهوى ... من حيث منزلة الظباء الغيـدِ

تلك المعاهدُ جادَها صَوْبُ الحيا ... وسرى النسيمُ بظلها الممدودِ

فيهـــا بواعثُ مُنْيتي ومنيَّتي ... وبورْدها ظمأى وطيبُ وُرودِي

إن تَنْأَ عن عيني بدورُ سمائها ... فأنا المُقيم على رَسيس عهودِي[3]

كيف الخلاصُ ولى فؤادٌ مُوثَقٌ ... بالحب لا يُصغِي إلى التفنيدِ

وتأوُّه لولا دموعى لم يكدْ ... ينجو الورى من جَمْرها المَوقُودِ

* * *

---

(١) ق أ : « الدمام » ، وفي ج : « الزمام » ، والمثبت في : ب .

(٢) زرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة . معجم البلدان ٢ / ٩٢٨ .

(٣) ق أ : « إن تنأ عيني » ، والمثبت في : ب ، ج .

هذا من قول الآخر :

لولا دموعىَ لم يكدْ ... ينْجو الورى من نار قلبِى

وقول الآخر :

لولا الدموعُ وفيْضُهنّ لأحرقتْ ... أرضَ الوداعِ حرارةُ الأكبادِ

وأشبه به قول رَباح :

نار يُغذّيهـــا السحابُ بمائِه ... فلذاك لم تكُ ترتمِى بشَرارِ

ولابن عبد ربه، من أبيات ربيعية :

والأرضُ فى حُلَلٍ قد كاد يحرقُها ... توقُّد النَّوْر لولا ماؤها الجارِى

وقد قلبه الخُرْفُوشىّ [١] كما تقدم فى قوله [٢] :

ومدامعى لولا زفيرى لم يكدْ ... ينْجُو الورى من سَحِّها المُتوالِى

* * *

داء تَعوَّدَهُ فؤادٌ متيّمٌ ... لم يلتحِفْ غيرَ الأسَى ببُرودِ

كلا ولا كحَل الرُّقادُ جفونَه ... أبداً من ألِفَ الهــوى بهُجودِ

ما أعذب التعذيبَ فى طُرُق الهوى ... إن لم تَشُبْ أسْقامَه بصــدودِ

نفسِى الفــداءُ لذى قَوامٍ ناضرٍ ... جعل الحِدادَ وسيــلةَ التهديدِ

رَخْصٌ كجسمِ النُّورمهْضوم الحشَا ... لَدْنٍ كخُوطِ البانةِ الأمْلودِ [٣]

لبستْ غدائرُه الدجى وتقلّدتْ ... لَبّاتُها من زُهْرِها بعقودِ

عهدِى به والليلُ منْفصِم العُرَى ... مُتوسّــد وَفْقَ المُنى بزُنودِ

والقلبُ يَظْمأ من مَراشِف ثغرِه ... ظمأ السكارَى بابْنة العنقودِ

---

(١) تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ، صفحة ١٨٩ ، برقم ٦١ .

(٢) الجزء الأول ، صفحة ١٩٨ .   (٣) الخوط : الغصن الناعم ، والأملود : الناعم أيضا .

بعثَ الشبابُ على ورود رُضابِهِ   فأتى الفراقُ وحال دون وُرودِ (١)

فجعلتُ زادِي بعده جرَعَ الأسَى   وأطلتُ فيه تهائمِي ونُجودِي (٢)

وغدوْتُ فى شجَنٍ يُقلْقِل أضلُعِي   إن الشجونَ علامةُ المَعْمودِ

ليت الذى منع التَّدانِى بيننا   وقضى علىَّ بوَحْشة التبعيدِ

يلْوِى فيُسعفنى بتقريب الخطا   ويفكُّ من أسْرِ الفراق قيودِي

فأشيمُ برقَ الوصل من قِبَل الحمَى   وأشمُّ رَوْحَ الأُنْسِ غير بعيدِ

وأرى خيامَ أحبَّتِى وقبابَها   كالخُودِ تُجْلَى فى عِراصِ البِيدِ

أرض يفُوح بتُرْبها أرَجُ النَّدى   والمجدُ فى نُوّارها المَخْضودِ

هى مهبِطُ الوحيِ القديمِ ومَعقِلُ الدّ   ينِ القويمِ وموطِنُ التوحيدِ

* * *

وكتب إلى الأمير مَنْجَك (٣) قصيدة طويلة ، اكتفيت منها بالمقدار الذى كتبتُه ، ومطلعها قوله (٤) :

سقى جِلّقاً صَوْبُ السحائبِ المُرْعِدِ   وباكرَ من أفيائها كلَّ معهدِ (٥)

وقلّد أجْيادَ الرُّبى فى عِراصِها   يدُ الغيث عِقْدَىْ لُؤلُؤٍ وزَبرْجَدِ

ولا زال خفّاقُ النُّعامَى مُنبِّهاً   عيونَ الخزامى بالخفيفِ المجسَّدِ (٦)

وغنّتْ بها الأطيارُ من كل نَغْمةٍ   تُهيِّجْنَ ألحانَ النديمِ ومَعْبَدِ (٧)

---

(١) فى ب : « على ورود رياضه » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) فى ب : « تمائمى ونجودى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ، صفحة ١٣٦ ، برقم ٧ .   (٤) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣ /٧٨ ، ٧٩ ، وإعلام النبلاء ٦ /٣٩٦ ، ٣٩٧ نقلا عنه .   (٥) فى خلاصة الأثر : « وباكر من أفنائها » .   (٦) النعامى : ريح الجنوب ، أو بينه وبين الصبا . القاموس (ن ع م) .

وفى خلاصة الأثر : « بالخفيف المجسد » .

(٧) يعنى بالنديم إسحاق بن إبراهيم الموصلى الذى تفرد بصناعة الغناء فى عصره ، والمتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وبمعبد معبد ابن وهب المدنى نابغة الغناء فى العهد الأموى ، المتوفى سنة ست وعشرين ومائة .

لقد هتفتْ منها بوجدى سواجعٌ ... تلفّع أظلالَ الغصون وترتدى

تنوح وتُشجينا فنزداد عَيْمةً ... سنعلم إن متنا صدى أيّنا صدِ (١)

أشيم بروقاً بالشآمِ مُثيرةً ... عقابيلَ شوقٍ بالفؤاد المشرّدِ

وأستافُ نشراً كلّما هبّ ضائعاً ... تُحدّث أنفاسَ الحبيب المبعّدِ (٢)

فيهتزّ من ريّاه قلبى وينثنى ... ولولا اهتزاز الغصن لم يتأوّدِ

فواحُرقتى إن لم أبلّغْ نعيمَها ... ووافُرقتى إن بتّ والبينُ مُقعدى

ويومٍ بلألاء الكؤوس مفضّضٍ ... كسَتْه يدُ الصهباء حُلّةَ عسجدِ

قضيتُ به حقّ الهوى غير أننى ... متى أدنُ منه اليوم ينأى ويبعدِ

رعى اللهُ أيامَ الوصالِ فإنها ... ألذّ من التهويمِ فى جفن أرمدِ

تقضّتْ وضنّ الدهرُ منها بنهلةٍ ... تبلّ غليلَ السائق المتزوّدِ (٣)

منها:

عسى تقذف البيداء نضوى برحلةٍ ... تنفّس عن أسْرِ المشوق المقيّدِ

إلى بقعةٍ زِينتْ بباقعةِ الحِجى ... مُنيلِ المعالى المنتجَى محمدِ (٤)

عريقٍ بلاد الشام دُرّةِ تاجها ... غياثِ بنى الآداب مأوى المطرّدِ

منها:

أخا منجكَ يا أكملَ الناس فِطْنةً ... وأشرفهم بيتاً بغير تردّدِ

صبغتَ العُلى بالمكرُماتِ فلم تَحُلْ ... وينكر فى الأعراضِ غيرُ التجدّدِ

أمولاىَ يا بدرَ المعالى وشمسَها ... ويارحلةَ الآمالِ من غير موعدِ

(١) فى ا ، ب : « فنزداد غيمة » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة ، والعيمة : شدة الشهوة إلى اللبن . وفى الخلاصة : «ستعلم إن متنا صدى أينا الصدى» ، وفى ج : «أينا الصد» ، والمثبت فى : ا ، ب.

(٢) فى ا : « وأستأنف نشرا » ، وفى ب : « وأشتاق نشرا » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة . واستاف الشىء : اشتمه .

(٣) فى الخلاصة : « غليل الشائق » .

(٤) فى خلاصة الأثر : « سليل المعالى » .

لقد ذلَقتْ فى وصفِ مجدِك أَلسُنٌ ... وعَجَّتْ به الرُّكبانُ فى كلِّ مشهدِ

وأهدتْ لنا من بحرِ طبعِك لؤلؤاً ... على الطِّرسِ حتى كاد يُلقط باليدِ

منها :

فأسلفْتُكَ الإعظامَ والودَّ مُوفياً ... حقوقَ معاليك التى لم تُعدَّدِ

وقدّمتُ من فكرى إليك أُلوكةً ... حَبَتْكَ بمَضبوطٍ من المدحِ سَرْمَدِ

تخبِّرُ عمّا فى القلوبِ من الجوَى ... ويأتيك بالأخبارِ من لم تُزوِّدِ (١)

فأوجبْ لها حقاً وأنعِمْ بمثلِها ... وعِضْنى بنظمٍ من عقودك يُحْمَدِ

أرَوِّى بها من لاعجِ الشوقِ والنوى ... غليلَ فؤادٍ بالصَّبابةِ مُكْمَدِ

منها (٢) :

فأنت لجَفْنِ الدهرِ سيفٌ وناظرٌ ... ولولاك لم يُبصِرْ ولم يتقلَّدِ

ثم أعقبها بقطعة من نثره ، وهى (٣) :

حاملُ لواءِ النظمِ والنثرِ ، وحامى بيضته عن الصَّدعِ والكسرِ .

محلُّ استواءِ شمسِ (٤) الكرم ، العاصر بجده عنقود الثريّا تحت القدم .

واسطةُ قِلادةِ الفضائل وعِقدِ نِظامها ، وبيتُ قصيدةِ الآداب ورَوْنق كلامها .

جنابُ الأميرِ بن الأمير ، والعِطر ابن العَبير .

لا برحتْ ظلالُ معاليه ممتدّةً على مفارقِ الأيام ، وظلَّ حُسّاده أقلصَ من جفونِ العاشقِ عن طِيبِ المَنام .

---

(١) عجز هذا البيت عجز بيت لطرفة ، فى معلقته ، وصدره :

* ستُبدِى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً *

انظر شرح القصائد السبع الطوال ، لابن الأنبارى ٢٣٠ .

(٢) فى الخلاصة : « وآخرها » .   (٣) هذا الفصل أيضا فى خلاصة الأثر ٣ / ٧٩ ، وإعلام النبلاء ٦ / ٣٩٨ نقلا عنه .   (٤) فى الخلاصة : « شموس » .

هذا ولو أوتى الداعى زَكَن إياس ، واسْتضاء من محاضرة أبى الفرج بنِبْراس .

وملك براعة ابن العميد ، وأحرز خُطَب ابن نُباتة وبَداهة عبد الحميد .

وأعطِيَ بلاغــة الصاحب ونوادر أبى القَنْدَيْن[1] ، ونال مقامات البديـع ومفاوضات الخالديَّين .

وحاز مُحاورات الأحنف وفصاحة سَحْبان ، وحوى مُنشَآت القاضى الفاضــل ومدائح حسّان .

ورام أن يُزخرف كلاما يناسب مقتضى المقام والحال ، لَفُلَّ حَدُّ القلم وضاق ذَرْعُ المَجال .

وإن أحجم بقيتْ فى النفس حاجة ، وعصَف على القلب[2] ريحُ حسرة فهاجَه .

فلذلك أقْدم على الثانية سَجِيًّا ، وأبدى [3] لتلك الحضرة [3] هَدِيًّا .

فإن أكرمَ الأميرُ مَثْواها ، فنظم من فرائد عوائدِه حُلاها .

وأجاب بما يروِّى غليلَ الفؤاد ، ويخطب مراد المُراد .

فذلك من مَساعِى فطرته المنجَكِية ، ودواعى شِيمته البَرْمكية[4] .

* * *

فأجابه بهذه الأبيات[5] :

أمولاىَ من دون الأنام وسيِّدِى ... بمدحِك قد بلَّغْتنى كلَّ سُؤْدَدِ

---

(١) فى ج : « أبى العينين » ، وهو خطأ ، صوابه فى : ا ، ب ، والخلاصة .
وأبو القندين : الأصمعى ؛ كنى به لعظم قنديه ، أى خصيبه . القاموس (ق ن د) .
وأشار الشيخ نصر الهورينى إلى بعض هذا فى هامش الخلاصة ، حيث قال : « أبو القندين هو الأصمعى » .

(٢) فى ب : « القلب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفيه بعد هذا زيادة : « العالية » .

(٤) بعد هذا فى خلاصة الأثر : « فوصلته القصيدة والرسالة وهو متوعك ، فراجعه بهذه الأبيات : » .

(٥) القصيدة فى ديوان منجك ٧٤، ٧٥ ، خلاصة الأثر ٣/ ٧٩، ٨٠ ، وإعلام النبلاء ٦/ ٣٩٨، ٣٩٩ ، نقلا عن الخلاصة .

بعثتَ بأبياتٍ كأنَّ عُقودَهــــا ... مُنضَّدةٌ من لؤلؤٍ وزَبرْجَدِ

أُمتِّع طَرْفِي في طروسٍ كأنها ... مبادِي عِذارٍ فوق خدٍّ مُورَّدِ

سطورٌ إذا مارستُ قتلَ حواسدِي ... أُجرِّد منها كلَّ عَضْبٍ مهنَّدِ

تــكلِّفني ردَّ الجواد وإنني ... أَبيتُ بفــكرٍ في الزمان مُشرَّدِ

وليس يُجيد الشعرَ منطقُ عاجزٍ ... ضئيلٍ على فُرْشِ السُّهادِ مُوَسَّدِ[1]

يمرُّ به العمرُ الطويلُ مُضيَّعًا ... على الكُرْهِ منه بين واشٍ وحُسَّدِ

فعذرًا أخا العلياء فُلَّتْ عزائمي ... وقد كنتُ كالسيفِ الصَّقيلِ المجرَّدِ[2]

فإنك أهلُ الصفحِ والعفوِ والرِّضا ... وإنك من نَسْلِ النبيِّ محمدِ[3]

أعزُّ بني الدنيا وأشرفُ من سَمَا ... إلى الرتبةِ العَلْيا بغير تردُّدِ

صغيرٌ إذا عُدَّت سِنِيُّ زمانِه ... كبيرٌ به أشياخُنا الغرُّ تقتدِي

تملَّكَ رقَّ الحمدِ والشكرِ والثَّنا ... بكفٍّ على فعلِ الجميلِ مُعوَّدِ

فلا زال عينًا للزمانِ وأهلِه ... يجرُّ ذيلَ الفخرِ في كلِّ مَشهدِ

ومما طارحني به في بعض مطارحاته، أنه لما مرَّ بدمشق قاصدا الحج، شُغِف بأحد أبناء سُرَاتِها، وكان من الأشراف، قال: ثم فارقتُه وتباكينا يومَ التوديع، فكتبتُ إليه من الطريق مُضمِّنًا بيت البُحْتُرِي[4]:

يا آلَ بيتِ المصطفَى هل رحمةٌ ... لفؤادِ مشبوبِ الجوانحِ ثائرِ[5]

---

(١) في الديوان: « وليس يجيد النظم ». (٢) في الديوان، وخلاصة الأثر: « فلت عزائمي ».

(٣) في خلاصة الأثر: « أهل العفو والصفح ».

(٤) القصيدة في خلاصة الأثر ٣/٧٤، وإعلام النبلاء ٦/٣٩١، ٣٩٢ نقلا عنه.

(٥) في ا: « مبحوت الجوانح »، والمثبت في: ب، ج، وخلاصة الأثر. وفي الخلاصة: « مشبوب الجوانح ثائر ».

والثائر: الهائج.

ضلّتْ نواظرُه الرُّقادَ وما اهتدتْ ... ببَياضِ دمعٍ من سوادِ ضمائرِ (١)

دمعٌ تعلَّق بالشؤونِ فساقَه ... زفراتُ برْحٍ من جوًى متخامرِ

لو تنظرون إلى الشَّتيتِ وسِربُه ... يقفو سُروبَ زواخرٍ وزوافرِ

لـــــذرتموه وماله من عاذلٍ ... وعذلتموه وماله من عاذرِ

واهًا لأيامٍ تقضَّتْ خلسـةً ... في ظلِّ دَوْحٍ بالسيادةِ ناضرِ

دوحٌ عليه من النبيِّ محمدٍ ... وَضَحُ الصباحِ ونفْحُ روضٍ باكرِ

لم أنسَه يومَ الوَداعِ وطرْفُه ... يرنو إلى شَعثِ النجيبِ الضَّامرِ

وفعالُه تُبدِي نفاســةَ عِرْقِه ... في فضلِ وجهٍ بالسماحةِ زاهرِ (٢)

حتى إذا جدَّتْ بنا ذُلَلُ النوى ... والعينُ تسفح بالنَّجيعِ المائرِ

سِرْنا وعاوَد كالمقيمِ ورُبمـا ... كان المقيمُ عَلاقةَ للسائرِ (٣)

* * *

ومن بدائعه قوله :

ألا لا تسَلْ أيَّ شيءٍ جرَى ... ومن قَرْحِ جَفْنِيَ ماذا جرَى

تعلَّمتُ من حبِّه الكِيميَا ... وصرتُ حكيمًا به أكبرَا (٤)

سحَقْتُ فؤادي وأودعتُـــه ... بنارِ غرامٍ به أسْعرَا

وصـــيَّرتُ عيني أنبيقَةً ... وقطَّرتُه ذهبًا أحمرا

ألا هـكذا يا أُخَيَّ الهوى ... كما كلُّ صيدٍ بجوفِ الفرَا

* * *

---

(١) في ا : « وما هدت » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة . (٢) في خلاصة الأثر : « نفاسة عرفه » .

(٣) ديوان البحتري ٢/١٠١٧ ، من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر . وفي الديوان : « سرنا وأنت مقيمة ولربما » .

(٤) في ب : « تعلمت في حبه » ، والمثبت في : ا ، ج .

وقوله :

لم يدْرِ من بالوصل ماذ جَفاكِ ... أن الرَّحيقَ العذبَ مازَج فاكِ(١)

قد كنتُ فى دِين الغرام موحِّداً ... ومُوحِّداً من دون من يَهواكِ

حتى نصبْتِ الهُدْبَ منكِ حُبالة ... للعاشقين وعُقْـــــلةَ النُسّاكِ

وأريْتِنِى ناراً بخدكِ أُضرمتْ ... فوقعتُ فى الأشراكِ والإشراكِ

* * *

وقوله :

رأسُ الشريف عليه سندسُ أخضرٍ ... عنوانُ ما فى الخلدِ بعضُ حُلاهُ

سُقِيتْ بمـــاء مكارمٍ أعْراقُه ... فاخْضرَّ من أصــلٍ زكا أعْلاهُ

* * *

من قول الشِّهاب الخفاجِىّ :

يقول على رأس الشريف علامة ... ونورُ نبىِّ الله عن ذاك أغْناهُ

فقلتُ جرى ماءُ المــكارمِ والندى ... وقد طاب مَجْراه لذا اخضرَّ أعْلاهُ

* * *

وله فى مُجدَّر :

يقولون من تهواه جُدِّر وجهه ... فقلتُ لهم حاشاه من نَصَبٍ يُردِى

ولــكن أشارُوا بالبَنان لحسنِه ... فأثَّر أطرافُ الأناملِ فى الخدِّ

* * *

قلتُ : لله دَرُّه على ما أبدع(٢) .

---

(١) فى ا : « من بالوصل ماذ جفاك » ، وفى ج : « ماذا جفاك » ، والمثبت فى : ب .
(٢) فى ا : « أودع » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وقوله : « جدر » بالبناء للمفعول ، تقول جُدِّر الرجل ، فهو مُجدَّر .

وفى الأساس[1] : مُجدَّر ومَجْدور .

وأنكر الحريرىّ فى الدُّرَّة[2] مُجدَّرًا ، وعدَّه من الوهم .

قال : لأنه داء يصيب الإنسان مرة فى عمره ، من غير أن يتكرر عليه ؛ فلزم أن يُبْنى [3]منه المثال[3] على مَفْعُول ، ولا وجه لبنائه على مُفَعَّل الموضوع للتكثير .

ولا وجهَ لإنكاره[4] ، إذ ليس كل فَعَّل للتكرير والتكثير ، فقد يجىء بمعنى فَعَل كثيراً ، مع أن التكثير والتكرير مُحقَّق هنا باعتبار أفراد حبَّاته[5] ، وهو فى غاية الظهور[6] .

والأفصح [7]أن يقال جُدَرِىّ ، بضم الجيم ، واشتقاقه من الجَدَر وهو آثار [8]الكَدْم على عنق[8] الحمار[7] .

وقد أكثر الشعراء من وصف المُجدَّر ، ولم أرَ أحسن من قول [9]أبى سعد[9] الجُوَيْنِىّ :

بدتْ بَثَراتُه فوق المُحيَّا ... كما نُثِرتْ على الشمس الثُّرَيَّا

كأن الخدَّ والبَثَرات فيه ... حَبابٌ فوق كأسٍ من حُمَيَّا

* * *

وأنشدنى الحجازىّ ، قوله فى وصف مجلس لبعض أحبابه ، أطَلَّ على غدير فُرِشتْ أرضُه بحَصْبائه :

---

(١) الأساس ١١٠ . (٢) درة الغواص ٥٨ . (٣) فى الدرة : « المثال منه » .

(٤) هذه مقالة الشهاب الخفاجى ، فى شرحه على الدرة ١٣٨ . (٥) فى شرح الدرة : «موصوفيه» .

(٦) انتهت مقالة الشهاب . (٧) هذا نقل عن الدرة ٥٨ أيضا . (٨) فى الدرة : « الكدم فى عنق» ، وكذلك فى الصحاح (ج د ر) ٢/٦٠٩ . (٩) فى ب : «ابن» ، والمثبت فى : ا ، ج . (نفحة الريحانة ٢/٣٧)

حَدَتْ جَمْعَنا النجومُ فألْقتْ نَفْسَها فى مناقِعِ الغُــــدْرانِ

***

هذا بيتٌ ماله فى الحسن مُوازِى ، يساوِى ألفَ بيت من جنس بيت المَنازِىّ[1] .

وما أظن أن أحداً سبقه إلى هذا المعنى ، ولا أن فكراً طرَق هذا المعنى ، غير أن فى قطعة لابن حَمْدِيس[2] بيتا يقاربه فى المبنى ، وهو[3] :

كأن حُبابا رِيع تحت حَبابِه فأقبل يلقى نفسَه فى غَديرِهِ

***

وأنشدنى من لفظه لنفسه ، قوله من قصيدة ، فى مدح الوزير الفاضل[4] :

ولرُبَّ يومٍ قد تلفَّعتِ الضحَى منــــه بثوبَىْ قَسْطَلٍ وغَمامِ

حسرتْ قِناعَ النَّقْعِ عنه عُصبةٌ غُبْرُ الوجوه مُضيئةُ الأحْلامِ

مُتجرِّدين إلى النِّزالِ كأنمــــا يتجرَّدون لواجبِ الإحرامِ

لا يأنَسُون بغير أطْرافِ القنا كالأُسْد تألَف مَرْبِضَ الآجامِ

يَسْرِى بهم نَجْمان فى ليلِ الوغَى رأىُ الوزيرِ ورايةُ الإسلامِ

***

وكان أتحفنى من أناشيده بطرَف بدائع ، هى فى عهدة الدهر من جمــلة مالى من ودائع[5] .

ووقع [6]فى داره بالروم حريق[6] ، فتلِف بعضُ أسباب رِياشِه ، وذهب جُلُّ ما اتَّخذه من ذخائر معاشِه .

فقلت أخاطبه[7] :

---

(١) تقدم بيت المنازى ، فى هذا الجزء ، صفحة ٤٥١ .

(٢) تقدم ذكره فى صفحة ٣٦ ، من الجزء الأول . (٣) ديوان ابن حمديس ١٨٦ .

(٤) الأبيات فى : خلاصه الأثر ٣/٧١ ، وإعلام النبلاء نقلا عنه . (٥) فى ج : « الودائع » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٦) فى ب ، ج : « حريق فى داره بالروم » ، والمثبت فى : ا .

(٧) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٢/٧٣ ، ٧٤ ، وإعلام النبلاء ٦/٣٩١ نقلا عنه .

فِدًى لكَ ماعلى الدنيا جميعاً ... فعِشْ فى صِحَّةٍ وابْلِ الرُّبوعاَ

لئن جزِع الأنامُ لفقْـــد شىءٍ ... فلستَ لفقْدك الدنيا جَزُوعاَ

تعلَّمْنــــا الأناءَةَ منك حتى ... توطَّنَّا بهــــا الشرفَ الرفيعاَ

أفاضَ اللهُ جودَكَ فى البرايا ... وأنبتَ من أياديك الربيعــاَ

وصوَّرك المهيمنُ من كمالٍ ... لنَعْلم صنع خالِقك البديعاَ[1]

فمُر واحكُم بما تختارُ فينــــا ... تَجِدْ كُلًّا بما تهوَى مطيعاً[2]

فلو كلَّفتَ يومَ الأمسِ عَوْدًا ... لَخاضَ الليلَ واخْتار الرجوعا

ولو ناديتَ سهماً فى هواءٍ ... لعـاد القَهْقَرى وأتى سريعاَ

يضُمُّ البُرْدُ منك أخا فَخارٍ ... يبيتُ الليلَ لايدرى الهُجوعاَ

وإنِّى مَن بجُودك قد ترقَّى ... وحلَّ من العُلى حصناً مَنيعاَ

خُلِقتُ على الوفاءِ لـكمْ مقيماً ... وأوْفَى الناسِ من حفِظ الصنيعاَ

***

وكتبتُ إليه من دمشق ، بعد عَوْدِى من الرومِ إلى حلب ، هذه القصيدة[3] :

أرى النَّدْبَ مَن صافَى الزمانَ المحاربَا ... وأغْبَى الورى من بات للدهر عاتباَ

أتعتَبُ من لايعقل العَتْبَ والوفا ... ولا هَمُّـــه شىءٌ فيخشَى العواقباَ

وإن ضَنَّ لم يسمَح بمثْقال ذَرَّةٍ ... ولم يُبْقِ موهوبا ولم يُبق واهبــاَ

ولا جُنَّةٌ تُغنيك إن كان مانعاً ... ولا منزلٌ يؤْويك إن كان طالباَ[4]

أُحاوِل شَـكْواه فألْقَى نوائباً ... تُهوِّن عندى منه تلك النوائباَ

---

(١) فى ب : « لتعلم صنع » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .   (٢) فى خلاصة الأثر : « كما تهوى » .   (٣) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٣/٧٥ ، ٧٦ ، إعلام النبلاء ٦/٩٢ ــ ٣٩٥ نقلا عنه ، وجاءت الرسالة بعد الشعر فى المرجعين أيضا .   (٤) فى ب : « ولا منزل يأويك » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

ولن يسبِق الأقدارَ من كان سابقًا ... ولن يغلبَ الأيامَ مَن كان غالبًا (١)

ومَن صحِب الدنيا ولو عُمْرَ ساعةٍ ... رأى من صُروف الدهر فيها العجائبا

وقفرٍ كيومِ الحشْر أو شُقَّة النوى ... يُضِلُّ القطا أعملت فيه النجائبا (٢)

وليلٍ كقَلْب السامرِيّ قطعتُه ... إلى أن حكى بالفجر أسود شائبا

وما كنتُ أرْضَى بالنوى غير أنني ... جديرٌ بأن لا أرْتضِى الذلَّ صاحبا

فنظَمتُ من دُرِّ المعانى قلائدًا ... جعلتُ قوافيها النجومَ الثواقبا

ويَمَّمتُ أقْصَى الأرضِ فى طلبِ العلى ... ولم أصْطحبْ إلا القَنا والقواضبا

فلاقيْتُ فى الأسْفارِ كلَّ غريبـةٍ ... ومن يغترِبْ يلْقَ الأمورَ الغرائبا

وخلّفتُ مَن يرجُو من الأهلِ أوْبَتِى ... كما انْتظر القوم العطاشُ السحائبا

وكمْ قائلٍ لا قرّب اللهُ داره ... ومن يتمنَّى لو بلغتُ المطالبا

فعُدْتُ على رغمِ الفريقيْن سالمًا ... ولم أقضِ من حقّ الفضائل واجبا

وحسْبِى وجودُ ابن الحجازيّ نائلًا ... به لم أزلْ ألْقَى المُنَى والمآربا

فتًى قد جهلتُ العُسْرَ منذ عرفتُه ... ولاحتْ لىَ الأيامُ عِطْفًا وجانبا

وأصبحَ يلْقانى العدوُّ مُسالمًا ... وقد كاد يلْقانى الصديقُ مُحاربًا (٣)

منها :

فِراستُه تُغنيك عن ألفِ شاهدٍ ... تُريه من الأشياء ما كان غائبا

وَقُورٌ كأنّ الطيرَ فوق جليسِه ... ترى الدهرَ منه خائفَ الدهرِ راهبا (٤)

* * *

---

(١) فى خلاصة الأثر : « ولا يغلب الأيام » .

(٢) فى ج : « وقفر كيوم أوسفه النوى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .
وفى الأصول : « يضل القضا » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٣) فى ب ، ج ، وخلاصة الأثر : « وقد كان يلقانى الصديق محاربا » ، والمثبت فى : ا .

(٤) فى الأصول : « ترى الدهر منه خائف راهبا » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر .

فى قولهم : « كأنما على رؤوسهم الطير » توجيهان :

أحدها : أنهم لا يتحركون فصِفتهم صفةُ مَن على رؤوسهم طائر يُريد أن يصيده ، فهو يخاف إن تحرّك طيرانَ الطير وذهابَه .

والآخر ، هو أن نبىّ الله سليمان عليه السلام ، كان يجلس هو وأصحابه ، ويقول للريح : أقِلِّينا . وللطير : أظِلِّينا . ويستشعر أصحابُه السكونَ والسكوت ؛ فشُبّهوا بجُلَساء سليمان الذين لا يتحركون ، والطير تُظلُّهم من فوق رؤوسهم .

ويقال للرجل الحليم إنه يُساكِن الطيرَ ، أى أن طائره لا ينفر من سكونه .

❊ ❊ ❊

أخافَ سِباعَ الطير من سَوْطِ رأيه فكادتْ لفَرْطِ الخوف تُلقِى المخالبا

ولو أدركَ المجنونُ أيامَ حُكْمِه لأعرَضَ عن ليلَى وأصبح تائبا

منها :

خبيرٌ بتحقيق العلوم مُدقِّقٌ إذا جال فى بَحْثٍ أراكَ العجائبا

وإن نثرتْ يُمناه فى الطِّرْس لؤلؤا كتبْنا على تلك اللآلى مطالبا

❊ ❊ ❊

وذيّلتها برسالة وهى :

أُقسِم بمن جلّت عظمتُه ، وعلَت كلمتُه .

وسخّر القلوب[1] للمودّة ، وصقَل بالمحبة الخواطر المستعدّة[1] .

إنى أشوَق إلى لَثْم يد مولاى من الروض إلى الغمام ، ومن السَّارِى إلى تبلُّج القمر فى الظلام .

وقد كانتْ حالتى هذه وأنا جارُه ، فكيف الآن وقد بعُدت عنّى دارُه .

---

(١) فى خلاصة الأثر : « المودة المؤيدة ، وجعل الأرواح جنودا مجندة » .

وليست غيبتُه عنى إلا غيبة الروح ، عن الجسد البالى المطروح .

ولا العيشة [١] بعد فِراقه الجانى ، إلا كما قال البديع الهَمَذانِى :

عيشةُ الحوتِ فى البرّ ، والثلجِ فى الحرّ .

وليس الشوق إليه بشَوْق ، وإنما العظم الكسير ، والنَّزْع العسيرِ ، والسّمُّ يسْرِى ويسير ، والنارُ تشْوِى وتطِير .

ولا الصبر عنه بصبر ، وإنما هو الصّاب والمصاب ، والكبد [٢] فى يدِ [٢] القصّاب ، والنفسُ رهينةُ الأوْصاب ، والحَيْن الحائن وأين يُصاب .

وقد كتبتُ إلى مولاى هذه القصيدة ، وأنا لا أحسَبها من الإحسان بعيدة .

[٣] وهذا الكتابَ ، وقد [٣] أنفقتُ عليهما [٤] مدةً من العمر ، وصرفتُ على تحريرها [٥] حينا من الدهر .

وكتبتُهما [٦] وأنا [٧] مُستغرِق فى ذكرك [٧] ، مشغولٌ بحَمْدك وشكرك .

ذاكرٌ [٨] عهدَك ، ومُقامى عندك

فى أوقاتٍ ألذّ من قُبَل [٩] الغيد ، وأشهى من اجْتلاء [١٠] الخدود ذات التورِيد .

حيثما العيشُ أخذ طَلْقَه ، واستوْفى من الأمانى حقَّه .

وأنت تُقرِّط سمعى بفوائدك [١١] ، وتملأ صَدَفَةَ أذنى بلآلى فرائدك [١٢] .

---

(١) فى ب : « العيش » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى ا : « فى أيدى » ، وفى ب : « بيد » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) فى ب : « وهذه الكتابة قد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى خلاصة الأثر : « عليه » . (٥) فى خلاصة الأثر : « تحريره » .

(٦) فى خلاصة الأثر : « كتبته » . (٧) فى خلاصة الأثر : « مشغوف بذكرك » .

(٨) مكان هذه الكلمة فى خلاصة الأثر : « وعينى تود لو كانت مكانه ، وأمكنت من قطع المسافة إمكانه ؛ كل ذلك لتذكرى » . (٩) فى خلاصة الأثر : « شفاه » . (١٠) فى خلاصة الأثر : « قبل » .

(١١) فى خلاصة الأثر : « بفرائدك » . (١٢) فى خلاصة الأثر : « فوائدك » .

من أدبٍ أغزرَ مادّةً من الدِّيَم ، وأنشطَ للقلب من بوادِر النِّعَم .

ولقد يعِزُّ عليّ أن أُلْفَى بعيداً عنك ، متروكَ الذِّكْر منك .

ولكن هو الدهر ، وعلاجه الصبر .

فصبراً على الأيام في كلِّ حالةٍ ... فكم في ضميرِ الغيب سِرٌّ مُحجَّبُ [(١)]

وربما تخالج في صدري [(٢)] لداعيةٍ اقتضته ، ورُعونةٍ لأجل التنافُس تقاضته [(٢)] .

أن يُشرِّفني بمكاتبة ، ويؤهِّلني إلى مخاطبة .

جَرْياً على معروفِه المعروف ، وطمعا في اغتنام كرمِه الموصوف .

حتى أُباهِي بكَلِمه الزمان ، وأجعلها حِرْزَ الأماني والأمان .

وأظنه يفعل ذلك متفضّلا ، لابرح لكل إحسانٍ مُؤمَّلا .

* * *

فكتب إلى جوابا [(٣)] .

نحن عِفْنا الشهباءَ شوقاً إليكم ... هل لديكم بالشّامِ شوقاً إلينا

قد عجزتُم عن أن ترَوْنا لديكم ... وعجزْنا عن أن نراكم لَدَيْنا

حفظ اللهُ عهدَ مَن حفِظ العهدَ ووفَّى به كما وَفَّيْنا

اللهم جامعَ المحبِّين ، ومعينَ القُوَى على ألم النوىَ وما جعل الله لرجلٍ من قلبين [(٤)] .

أسألك بما أودعته في سرائر المخلصين من أسرار المحبة ، وأنبتّ في رياض صدورهم من المودّة، التي هي كحبّةٍ أنبتتْ سبعَ سنابلَ في كلِّ سُنبلةٍ مائةُ حبّة [(٥)] .

---

(١) في ب ، ج : « فصبرا على الأزمان » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر .

(٢) مكان هذا في خلاصة الأثر : « لرعونة أوجبها طلب ازدياد قدرى » .

(٣) جواب الحجازى في : خلاصة الأثر ٣/٧٧ ، ٧٨ ، إعلام النبلاء ٦/٣٩٥ ، ٣٩٦ ، نقلا عنه .

(٤) اقتبس هذا من قوله تعالى في سورة الأحزاب ٤ : ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ .

(٥) اقتبس هذا أيضا من قوله تعالى في سورة البقرة ٢٦١ : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ﴾ .

فارْعَ فَرْعَ الشجـــرةِ المحبَّبة وأصلَها ، وأفِضْ عليها فواضِلَك التى كانوا أحقَّ بها وأهْلَها .

واحفظِ اللهمَّ هاتيك الذات الزكية التى رؤيتها أجلُّ الأمانى ، ونوِّرْ تلك الصفات التى إذا تُليت تلقتْها الأسماعُ كما تتلقَّى آياتِ المثانى .

هذا وما الصَّبُّ إلى الحبيب ، والمريض إلى الطبيب .

بأشوقَ منى إلى تلقِّى خبرِه ، واستماعِ ما يفتخر به الركْبان من حسْن أثرِه .

وما غرَضى من عرْض الأشواق ، التى ضاقت عنها صدورُ الأوراق .

إلا تأكيدٌ لمـا يُحيط به علمُه المحترم ، وتشْنيفٌ لمسامِع اليَراع بذكْر صفاتِه التى تطرِب فيترنَّم بألطف نغَم .

ولقد كنت أتوقَّع زيارتَه لمَّا قدِم البلدةَ النَّجْرَا [1] ، فثَنى عِنان الإعْراض وأجرى جَواد الأنْبرا .

وما هكذا كنَّا لقـد كان بيننـا   معاملةٌ عن غير هذا الجفا تُنْبى [2]

هذا وضميرُ الأخ أنْوَر من أن يستضىء بمصباح الاعْتذار ، وأعلَم بصِدْق المحبـة فى حالتَىِ القُرْب والبعد والإعلان والإسْرار .

وليس يندمِل الجرح منا إلا بمرهم لقائِه ، ولا يُشفَى غليلُه إلا برِىِّ رُوائِه .

فالرجاء أن يتلافَى مافرَط [3] بل أفرط [3] من [4] الإعراض ، ويسمحَ بما نتوقعه منه بلا إغْماض .

هى الغايةُ القُصوى فإن فات نَيْلُها   فكُلٌّ من الدنيـا علىَّ حَرامُ

---

(١) كذا بالأصول والخلاصة . (٢) فى ا : «عن مثل هذا الجفا» ، والصواب فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(٣) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (٤) فى ا : «عن» ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

١٢٠

السيد يحي الصَّادِقِ *

غُرَّة فى جبهة الفخر ، ينْفلق عنها لألاء الفجر .

أساريرُه على قَرْحة الحمد مُشْرِقة ، وصحيفتاه ما زالا يُطْلِعان وَرْدَ (١) المعرفة .

أحسن فى هذه الحَلْبة السِّباق ، وكان له فى رَوضة الأدب الاصْطباح والاغْتباق .

ولذاته المحاسن أجْمَع ، وبمثلِه لم يتمتَّع منظر ومَسْمَع .

إلى ماحَواه من مُطارحةٍ معسولة ، ومُعاشرة من وسَخ الرياء مغْسولة .

مرآةُ طَبْعه عن أسْرار المعانى تشِفّ ، وورْدُ رَوِيَّته عليه طيورُ القلوب ترِف .

* * *

وله أشعار أشوَق من السُّلاف وألطف ، وأدقُّ من السحر يجُول فى لحْظ شادنٍ أوْطَف (٢) .

تعدُّ كلاما وهى تُجتلَى بين النِّدام ، فيتسلَّى بها فؤادٌ ماتُسلِّيه المُدام (٣) .

(*) السيد يحي الصادق الحلبي .

أديب فاضل ، كريم الأخلاق .

كانت له منزلة كبيرة فى حلب .

ذكر الطباخ أن وفاته كانت بين سنتى خمسين وألف ، وستين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٢٩٥ ـ ٢٩٧ ، خلاصة الأثر ٤/٤٨٩ ـ ٤٩١ .

(١) فى ب : « درر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) أوطف : كثير شعر الحاجبين والعينين .

(٣) أخذ هذا من قول أبى الطيب :

فؤادٌ ما تُسلِّيه المُدامُ وعمرٌ مثلُ ما يَهب اللئامُ

ديوانه ٩٢ .

وقد أوردتُ من نادِرها الغريب ، ما يتحيَّر فى كيفيَّة تخيُّله الفَطِن الأريب .

فمنه قوله :

ولم أشْرَبِ الخمرَ الحرامَ تعمُّداً ولـكن دعتْنيهِ الضرورةُ فاعْلَمِ
تخيَّل لى فى كأسِه عند مَزْجِه بكفِّ الذى أهْواه هيئةُ أرْقَمِ
فخِفْتُ عليه منه لَدْغة ضائرٍ فأوهمتُه وَكْراً وأدخلتُه فمِى [١]

***

وقوله فى تشبيه النَّرْجِس :

انْظُر إلى النَّرْجِس لمَّا بدا معتـدلَ القامةِ كالصَّوْلجانْ
كأنه كفُّ عُقابٍ هوَتْ فاختطفتْ تاج أنُوشِرَّوانْ

***

قلت هـذا تشبيهٌ ، ماله شبيه ، غير أنه شدَّد فيه راء « شروان » ، وهو من غلَط الخواصّ .

وهذا اللفظ فارسى معرَّب ، تـكلمت به العرب ، وأصله نور شروان ، ومعناه الأسد الجديد [٢] ، وهو وصف لـكسرى .

قال عَدِىُّ ابن زيد [٣] :

أين كسرى كسرى الملوك أنُوشِرْ وانَ أم أين قَبـلَه سابورُ [٤]

---

(١) فى ب : « لدغة ضائر » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « الجديد » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) عدى بن زيد العبادى .
شاعر جاهلى ، كان أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى .
قتله النعمان بن المنذر فى سجنه .
الأغانى ٢/٩٧ ـ ١٥٤ ، الشعر والشعراء ١/٢٢٥ ـ ٢٣٣ .
والبيت فى الأغانى ٢/١٣٩ ، الشعر والشعراء ١/٢٢٥ .
(٤) فى الشعر والشعراء : « كسرى الملوك أبو سا * سان . . » .

وقد يُعتذر عن[1] تشديده بما قاله[2] في مثله[2] العِصام[3] : « والمعرب التصرُّف في ألفاظ العجم ؛ ولهذا يُقال : هو أعجميّ فالْعَب به ماشئتَ » .

***

وولاه بعض القضاة نيابة محكمة تعرف بالسيد خان ، فكتب إليه[4] :

أصبحتُ مع الشمسِ ببُرْجِ المِيزانْ ... إذ أنْزلني الهمامُ بالسَّيِّد خانْ
لكن وعُلاكَ كلُّ مَن نابَ يَخُنْ ... والعبد يخافُ كِلْمةَ السيِّد خانْ

***

وحكى لي شيخنا المهمنداريّ[5] ، مفتي الشام ، أن الصَّادِقيّ حضر مع جماعة من الأدباء ، منهم البَدِيعيّ[6] ، وعبد القادر[7] الحَمَوِيّ ، في مجلس السيد أحمد بن النقيب[8] ، في ليلة شاتية تكاد نارُها تخمُد ، وأفكار القلوب فيها تجمُد .

والمجلس قد احْتبَك ، وأُرْمِيتْ لصائد الأفهام الشَّبَك .

وبينهم بدر ترمُقه المُقَل ، فتجرح منه مواضعَ القُبَل .

إذا تألَّبتْ نيرانُ خدَّيْه تراءتْ بها جنَّاتُ النعيم ، يدور عليها عقربُ صُدغِه المليح

فكم من سليمٍ منها في ليلِ السقيم .

---

(١) في ج : « من » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

(٣) لعله يعني عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الإسفرايني .
صاحب الأطول ، شرح التلخيص .
عالم من علماء البلاغة ، توفي في حدود سنة إحدى وخمسين وتسعمائة .
شذرات الذهب ٨/٢٩١ .

(٤) خلاصة الأثر ٤/٤٩١ ، إعلام النبلاء ٦/٢٩٧ نقلا عنه .

(٥) تقدمت ترجمته ، في الجزء الأول ، صفحة ٥٦٠ ، برقم ٥٥ .

(٦) تقدمت ترجمته ، في الجزء الأول ، صفحة ٢٠٢ ، برقم ١٢ .

(٧) هكذا في الأصول : « عبد القادر » ، ولم يرد له ذكر في الخلاصة أو النفحة ، ولعله أراد « عبد النافع » ، وقد تقدمت ترجمته في هذا الجزء ، صفحة ٤١٧ ، برقم ١٠٨ .

(٨) تقدمت ترجمته ، في هذا الجزء ، برقم ١١٥ .

فجيءَ بِمنقَلٍ شُبَّ ضِرامُه ، كما شُبَّ في كل قلب منهم غرامُه .

فما حصَل حتى بدّدت نارُه عن عَشْرة ، وأُصْلِيَ منها ذلك الحفلُ ألفَ جَمْرة .

فقال الصَّادِقيّ فيه (١) :

ضَمَّنا مجلسٌ لتاجِ الموالِي ... عالمِ العصرِ بِكْرِ هذا الزمانِ
غُرّةُ الدهرِ أحمــدٌ ذو الأيادِي ... وابنُ خيرِ الأنامِ من عَدْنانِ
بفريدِ الحسانِ خَلْقاً وخُلْقاً ... عندليبِ الإخوانِ نورِ المكانِ
فاشتهى كُلُّنـا زَفافَ عروسِ الْـ ... ـحُسنِ تُجْلَى في لونِها الأُرْجُوانِ (٢)
فانثنَى كالقضيبِ تفْديه نفْسِي ... عابِثاً بالبِساطِ والأجفانِ (٣)
فأصاب الكانُونَ سَوْطٌ فطار الْـ ... ـجمرُ من وَقْعِه على الإخوانِ
فسألْنا ماذا فقال نثـــ[...] ... [...]ـحبُ جمرٌ لا جمرةٌ من جُمانِ (٤)
واعْتراهُ الحيَا فأخْمدها من ... [...]ـــير بُؤْسٍ بساعدٍ وبنانِ
فرقْنا عليه منـــ[...] فنادَى ... وكيف النورُ مُخْمِدُ النِّيرانِ

❊ ❊ ❊

وقال أيضا (٥) :

لاموا الذي حاز لُطفاً ... وبَهْجةً وجَـــلالَهْ
إذ بدَّد النارَ عمـــداً ... ليـــلاً وأبْدى الجَهالَهْ
وصاغ في البُسْطِ شُهْباً ... إذْ كان بدراً بِهالَهْ

---

(١) ساقطة من : ب ، ج ، وهو في : ا .
والأبيات في : خلاصة الأثر ٤/ ٩٠ ، إعلام النبلاء ٦/ ٢٩٦ نقلا عنه .
(٢) لم يرد هذا البيت في الخلاصة ، وإعلام النبلاء . (٣) في ا : « تفديه نفس » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . وفي ب : « عابثا بالبساط » ، والمثبت في : ب ، وخلاصة الأثر .
(٤) في خلاصة الأثر : « لا بدرة من جمان » .
(٥) الأبيات في خلاصة الأثر ٤/ ٩٠ ، وفيه : « وقال فيه أيضا » ، إعلام النبلاء ٦/ ٢٩٦ نقلا عنه.

وكَفَّل الطَّوقَ يُمْنَـــا ... هُ تارةً وشِمـــالَهْ
كذاك الشمسُ تُدْني ... لكلِّ نجمٍ زَوالَهْ
فقلتُ لا تعـــذِلوه ... دَعُـــوه يُوضِحُ حالَهْ
بأنه بدرُ تَمٍّ ... حِيناً وحِيناً غَزالَهْ

* * *

وقال أيضا :

أفْدِي الذي أبدى سَما حُسْنِه ... لنـــا شُموساً ثم أقْمارَا
فاسْترق القـــومُ بأبْصارِهمْ ... سَمْعـــا فعاد السمعُ إبْصارَا
فأرسل الشُّهْبَ عليهم من السكا ... نُونِ تَهتُّـــانًا ومِدْرارَا
فظنَّه الجاهـــلُ مِن جهلِه ... بأنه قـــد بدَّد النارَا

* * *

وقال أيضا (١) :

أنْشدتُ من أهوَى وقد أخذ الهوَى ... بمجامِعِى واسْتحْوذَ استحواذَا
كبِدِي سلبْتَ صحيحةً فامْنُنْ على ... رمَقِى بهـــا ممْنونةً أفلاذَا
فأشار للكانونِ فانْثالتْ على الـ ... مجْلاسِ جمـــراً وابلاً ورَذاذَا
وبدا يُكفْكِفُه حَياً ويقول لى ... مَن كان ذا لُبٍّ أيطلبُ هذَا

* * *

وقال السيد أحمد بن النَّقيب (٢) :

قد قلتُ إذ عثَر الذى أخْلاطُه ... فعلتْ بنا فِعْلَ الشَّمولِ مُشَعْشَعَهْ

---

(١) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٤/٤٩٠ ، إعلام النبلاء ٦/٢٩٦ ، ٢٩٧ نقلا عنه .
(٢) أبيات ابن النقيب فى : خلاصة الأثر ٤/٤٩١ ، إعلام النبلاء ٦/٢٩٧ نقلا عنه .

فى مجلس بالنـــــار فانْتثرتْ على ... بُسْطِى فجَلَّله الحيـــــاء وبَرْقعه

وأكبَّ يدفع عَبْثَهـــــا بأكُمِّه ... مُسْتعظِماً ذاكَ الصَّنِيعَ ومَوْقِعَه [1]

جمراتُ حُبِّك لو علمتَ بفعْلِهـــا ... فى القلبِ ما اسْتعظمتَ حَرْقَ الأمْتعه

***

وقال أيضا [2] :

لا تحسَبُوا النارَ التى مابيْننَا ... نُثِرت من الكانُونِ كان شَتاتُهَا

بل إنما ذاكَ الذى ألْحَاظُه ... سلبتْ عقولَ أُولى النُّهَى فَتَرَاتُهَا

لَمَّا رأى عُشَّاقَه تُخْفِى الجوَى ... ولهيبَ نارٍ دَأْبُه زَفراتُهَا [3]

وأراد يفْضحها أشار بكفِّه ... لقُلوبِهـــــا فتناثرتْ جمراتُهَا

***

وقال البَدِيعِىّ :

فى الدُّجى زار مُنْعِماً مَن أرانا ... مَن رآه فى حبِّه مظلوما

عثَرتْ رِجلُه فبدَّدتِ النَّا ... رَ فخِيلَتْ بلا سَماء نُجُوماَ

واكْتستْ وَجْنتاهُ ثوبَ احْمِرارٍ ... فَرَقاً منه أن يكون مَلُوماَ [4]

قلتُ مولاىَ هـــــذه بعضُ نارٍ ... أنتَ أضْرمْتَهَا بقلبِى قديمَاَ

ظهرتْ منه بعد ما قد أكَنَّتْـ ... ـهَا ضُلوعى إذا ما أراكَ رحيماَ

فانثَنَى ضاحكاً وقال إذا كا ... نتْ لَظَى الشوقِ مالها لن تدُوماَ

***

---

(١) فى خلاصة الأثر : « وأكب يرفع غيها » .

(٢) خلاصة الأثر ٤/٩١ ، إعلام النبلاء ٦/٢٩٧ نقلا عنه .

(٣) فى خلاصة الأثر : « تخفى الهوى . . رابه زفراتها » . وهى رواية حسنة .

(٤) فى ا : « واكتست وجناته » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وقال عبد القادر الحموي[1] :

إن الذى أخْجَل شمس الضحى … فى مجلسِ المولى الرفيع العمادْ

بدَّد ناراً كانَ للإصْطِلا … فانْبَثَّ كالياقوتِ بين الأيادْ

فانْصَاع يَزْوِى الجمرَ فى أنْمُلٍ … كالخزِّ إن حاولْتَ منها انعقادْ

وقال إذ رامَتْ بتأجيجها … تحكى سنَا خَدِّى ومنكَ الفؤادْ[2]

نثَرْتُها عمداً على بُسْطِ مَنْ … أرْوَى نداه كلَّ غادٍ وصادْ



(١) خلاصة الأثر ٤/٤٩١ ، إعلام النبلاء ٦/٢٩٧ نقلا عنه . (٢) فى ا ، ج : « وقال إذا » ، وفى ا ، ب : « رمت بتأجيجها » ، وفى ج : « رامت بتأجيجها » . والمثبت كله رواية خلاصة الأثر .

١٢١

السيد عطاء الله الصادق *

هو للذى قبله نسيب ، يتناسب فيه مدح ونسيب .

صحيفة مجده للخير قابلة ، ونسخة مجتده صحيحة مقابلة .

إذا قال صدق ، وإذا استمطر غدق .

تعاطى المجرة صرفا ، واتخذ المجرة مدى والعيوق (١) طرفا .

* * *

وله أدب مشعشع مروق (٢) ، وشعر به جيد الدهر مطوق .

أثبت منه ما يناسب أنسياغ الريق ، ويهزأ بدرر الثنايا فى اللمعان والبريق .

فمنه قوله :

أقسمت ما لاح برق من ثنايَاكِ ... إلّا وسحّ سحاباً طرفى الباكى (٣)

وما تغنّت حمامات على فنن ... إلّا وجاوبها بالنوح مضناكِ

يا فتنة قابلت بالصدّ ودّ فتى ... ما مال فى حبها يوماً لإشراكِ

(*) السيد عطاء الله بن محمود الصادق ، الحلبى ، القاضى .

أديب شاعر ، بديع الصنعة ، رقيق النادرة .

ولى القضاء فى عدة بلاد ، إلى أن وصل إلى قضاء الموصل .

توفى سنة إحدى وتسعين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٣٦١ ، خلاصة الأثر ٣/١١٣ ، ١١٤ .

(١) العيوق : نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها . القاموس (ع و ق) .

(٢) فى ا : « يروق » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) سقطت الأبيات الثلاثة الأولى من هذه القصيدة من : ب ، وهى فى : ا ، ج .

إن غِبْتِ عن ناظِرى ماغبتِ عن خَلَدِى ... وحيث كنتِ فإنَّ القلبَ مأْواكِ

أَبيتُ فيك أُراعِى النجمَ من قَلَقٍ ... ما كنتُ أرْعَى نجومَ الأُفْقِ لَوْلاكِ

وفيك لى قد حلا خَلْعُ العِذارِ لما ... طربتُ عند سماعى وَصْفَ مَعْناكِ

يا شمسَ حُسْنٍ بليــلِ الشَّعرِ طالعةً ... لطَلْعةُ البـدرِ جزءٌ من مُحيَّاكِ

كذاكَ للريمِ سهمٌ فيك من مُلَحٍ ... وللصَّباحِ نصيبٌ من ثَناياكِ

لم ألتفتْ لسِواكِ غــيرَ مَن بهرتْ ... علومُه كلَّ ذِى فضلٍ وإدْراكِ

أخى الفضائل مَنَّاحِ المسائلِ وهّـ ... ـابِ الجزائلِ أمْنِ الخائفِ الشاكِى

مولًى بأعلَى أعالِى المجــد رُتْبتُه ... أضحتْ بأوْجِ المعــالى فوق أفلاكِ

به لقد نُسِخَتْ أخبارُ من دَرَجوا ... من الأكارمِ من عُرْبٍ وأتْراكِ

إن سادَ كلَّ الورى فضلا فلا عجبٌ ... فإنه فَرْعُ أصــــلٍ طاهرٍ زاكِى

مِن قادةٍ ورِثُوا العليــاء كلُّهمُ ... وأصبحوا للمعــالى أىَّ أمْلاكِ

ما منهمُ غيرُ نِحْريرٍ بمُصْطَدَمِ الْـ ... أبطالِ يلْقِى عليهـا أىَّ فتَّاكِ

فبدَّد المـالَ والأيامُ عابسةٌ ... روتْ أياديه عن بِشْرٍ وضَحَّاكِ(١)

بُعْدًا لمَنْ رام يحْكيهمْ بفيْضِ نَدًى ... أيُشْبِه الغيثُ إبراهـيمَ ذا الزّاكِى

يا مُفْرَدَ العصرِ فى خَلْقٍ وفى خُلُقٍ ... وألطفَ الناس فى فَهْمٍ وإدراكِ

حكاكَ فَيْضُ الحيا إذْ هلَّ منهملاً ... لدَى العطاء وليس الفضــلُ للحاكِى

بصَحْبِها سُفْنُ آمالٍ لديك سرَتْ ... فقـال جودُك بسمِ اللهِ مَجْراكِ(٢)

لا زلْتَ تَرْقَى المعالى دائمــا أبداً ... على البريّةِ من إنسٍ وأمْــلاكِ

***

(١) فى ب : « فبذل المال » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ب ، ج : « سفن آمالى » ، والمثبت فى : ا .

ومن بدائعه قوله ، وقد وَلِيَ قضاء الموصل[1] :

ومُعَذَّرٍ حُلْوِ اللَّمَى قَبَّلْتُه ... نظراً إلى ذاكَ الجمالِ الأوَّلِ

وطلبتُ منه وَصْلَه فأجابني ... ولَّى زمانُ تعطُّفي وتدلُّلِي[2]

نَضَبَتْ مياهُ الحسنِ من خدِّي وقد ... ذهب الرُّوا من غصنِ قدِّي الأعدَلِ

قلتُ الحديقةُ ليس يكمُل حسنُها ... إلَّا إذا حُفَّتْ بنبْتٍ مُبْقِلِ[3]

دَعْكَ اسْمعْ قولَ ابنَ مُنْقِذ طائعاً ... واعْلَمْ بأنِّي صرتُ قاضيَ الموصلِ

***

مراده بابن مُنْقذ الأمير شرف الدولة أبو الفضل وقوله[4] :

كتب العِذارُ على صحيفةِ خدِّه ... سطراً يحيِّر ناظرَ المتأمِّلِ[5]

بالَغتُ في استخراجِه فوجدتُه ... لا رأيَ إلَّا رأيُ أهلِ الموصلِ

***

ورأيُ أهلِ الموصل[6] هو الميلُ إلى ذوي اللِّحَى ، وتُنْسَب إليهم في هذا الباب مُبالغات .

وفيهم يقول أبو الوليد بن الجَنَّان الكِنانِيّ ، الشَّاطِبِيّ[7] ، نزيل

---

(١) الأبيات في : خلاصة الأثر ٣/١١٤ ، إعلام النبلاء ٦/٣٦١ نقلا عنه .

(٢) من أول هذا البيت إلى نهاية قوله : « جبلوا على حب الطراز الأول » الآتى ، ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب .

وفي ب : « تعطفى وتدلى » ، والمثبت في : ا ، وخلاصة الأثر .

(٣) في ا ، ب : « بنبت مقبل » ، والمثبت في خلاصة الأثر . (٤) لم أجد هذين البيتين لأسامة بن منقذ في ديوانه . وهما في : خلاصة الأثر ٣/١١٤ ، إعلام النبلاء ٦/٣٦١ نقلا عنه . والبيتان أيضا في معجم البلدان ٤/٦٨٤ دون نسبة إلى أسامة . (٥) في معجم البلدان : « سطرا يلوح لناظر المتأمل » .

(٦) انظر أيضا في رأى أهل الموصل ريحانة الألبا ١/١٠٠ ، ١٠١ .

(٧) فخر الدين أبو الوليد محمد بن سعيد ، بن الجنان ، الكنانى الشاطبى الحنفى .

ولد سنة خمس عشرة وستمائة بشاطبة ، وانتقل إلى الشام ، فاتصل بالصاحب كمال الدين بن العديم ، وولده مجد الدين ، فاجتذباه ، ونقلاه من مذهب مالك إلى مذهب أبي حنيفة .

دمشق[1] :

لله قومٌ يعشقون ذوى اللِّحَى ... لا يسألونَ عن السَّوادِ المُقبِلِ
وبمُهجتى قومٌ وإنِّى منهمُ ... جُبِلوا على حُبِّ الطِّرازِ الأوَّلِ[2]

قوله : « الطراز الأول » ، يريد به العِذار أوّلَ ما يُبْقِل ، وهو الذى يكنى عنه البلغاء بطراز الله[3] .

قال الصاحب بن عبّاد[4] :

رأيتُ عليًّا فى كَمالِ جمـالِه ... فشاهدتُ منه الروضَ ثانِىَ مُزْنِهِ
ولما تبدَّى لى طِرازُ عِـذارِهِ ... رأيتُ طرازَ اللهِ فى ثوبِ حُسنِهِ

* * *

وللسيد عطاء الله :

رأيتُ بخـدِّه الوَرْدىِّ خالًا ... فَمِتُّ المسكُ منه قد بدا لى
غزالُ الإنسِ ما فى ذاك بِدْعٌ ... فإنّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ[5]

* * *

وكتب إلى السيد باكير بن النَّقيب[6] ، ملغزًا فى اسم أحمد :

= وكان أديبا فاضلا وشاعرا محسنا .
توفى سنة خمس وسبعين وستمائة .
بغية الوعاة ١/١١٢ ، فوات الوفيات ٢/٣٢١ ، المغرب فى حلى المغرب ٢/٣٨٣ ، نفح الطيب ٢/٣٢١ .
وانظر فى ضبط « الجنان » القاموس (ج ن ن) .

(١) البيتان فى نفح الطيب ٢/٣٢٣ . (٢) آخر الساقط من : ج ، والذى تقدمت الإشارة إليه فى صفحة ٥٩٤ . (٣) انظر فى قولهم « طراز الله » ثمار القلوب ٣٥ ، ٣٦ .
(٤) ديوان الصاحب ٢٩٨ . (٥) من قول أبى الطيب :

فإن تفُقِ الأنامَ وأنتَ منهم ... فإنّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

ديوانه ٢٥٨ .
(٦) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء ، صفحة ٥٤٩ ، برقم ١١٦ .

يا ابنَ مَن أكسبَ الفضائلَ فى شَهْـ ... ـبائنا والعُلَى سَناءً وسَعْدَا

ما اسمُ شىءٍ حروفُه عددُ الأيا ... مِ إن رُمْتَه حساباً وعَدَّا

وهو اسمٌ نَفَى المهيمنُ عنه ... فى الكتابِ العزيزِ أن يُفدَّى[1]

صدرُه حاجبٌ لمن كنتَ مِن خَدَّ ... يْهِ قِبالَ الصدودِ أقطِفُ وَرْدَا

ويليه شمسٌ فميقاتُ مَن فى ... حالكاتِ الظلامِ آنسَ رُشْدَا

وله أولُ الهدى كلَّ وقتٍ ... آخِرٌ إن يكُنْ بلفظكَ فَرْدَا

ومِن دُونه إذا صحّفوه ... يستميلُ النفوسَ أنَّى تبدَّى

واقلِبِ النصفَ منه تنظُره عن ... كلِّ هامٍ يروِى علاءً ومجدَا

فأجِبْ عنه وابقَ فى ظلِّ عيشٍ ... كلُّ مَدْحٍ إلى جَنابِك يُهْدَى



(١) كذا فى الأصول .

١٢٢

السيد محمد التقوى*

التقوىُّ نسبُه علوِىٌّ ، وهو طبيبٌ طبُّه نبوِىٌّ .

وله فكرة فى تدْبير الأشيا ، تكاد تردُّ ضوء الشمس للأفْيا .

فحِكمتُه إشراقيَّةٌ مُفيضة ، وبصيرتُه شفَّافة مُستريضَة .

فلو عالج البروقَ لأزال خفَقانَها ، أو الشمس[1] عند الغروب لأذْهب يَرَقانَها .

أو البدرَ لما وجد المُحاقُ إليه سبيلا ، أو النهارَ لكان له على خَلاصه من الليل قَبيلا .

فتفرُّسه أوضحُ من النجوم لبطليموس ، ورأيُه إلى رأى جالينوس كالعاج عند الآبِنُوس .

فما سرَى ذهنُه فى استدْفاع مرضٍ يقتضيه ، إلّا وكانت الصحةُ مُمتثِلةً مايأمرُ به وطَوْعَ مايرْتضِيه .

فكأن فكرتَه تمازِج من العليل جسماً ورُوحا ، فيظن من توْفيقه الذى أُوتيَه أنه وحىٌ إليه يُوحَى .

* * *

(*) السيد محمد التقوى الحلبي .

فاضل أديب ، حكيم بارع .

أخذ عنه السيد عبدالله حجازى ، وذكر أن الناس تكلموا فى اعتقاده .

توفى سنة إحدى وستين وألف باسحقلى ، قريب من قونيه ، وهو راجع من قسطنطينية .

إعلام النبلاء ٦ / ٣٠٠ ــ ٣٠٥ ، خلاصة الأثر ٤ / ٣٠٤ ــ ٣٠٦ .

(١) فى ا ، ج : « والشمس » ، والمثبت فى : ب .

وله من الكلام الذى تُخالط أجزاء القلوب رقّتُه ، وتغمُض عن أوهام الأفكار دِقّتُه .

مالو خُوطب به الأخرسُ تكلّمَ ، أو عُلِّم به الطيرُ فنونَ العبارات لتعلّمَ .

وقد أوردتُ له مايتخذه لمرضِ الدهرِ علاجا ، ويَسْتضىء به فجرُ المعارف تعرُّضا وانبلاجا .

فمنه قوله[1] :

سرتْ والليلُ محلولُ الوِشاحِ ... ونَسْرُ الجوِّ مبلولُ الجناحِ

وعِقْدُ الزهرِ منتظمُ الدّراري ... كثَغرِ البيضِ يبسَم عن أقاحِ[2]

وزاهي الروضِ أسْفَر عن زهورٍ ... بها ظَمأٌ إلى ماءِ الصباحِ

كأن كواكبَ الظَّلْماء رُومٌ ... على دُهْمٍ تهُبُّ إلى الكفاحِ

إذا انْعكستْ أشِعتُها تردَّتْ ... على صفحاتِ غُدرانِ البِطاحِ

تُحاول سَتْرَ مَسْراها بوَهْنٍ ... وقد أرِجتْ بريّاها النّواحِي

فواعجَبا أتختفِي وهو بدرٌ ... وشمسٌ فى الحظائرِ والضّواحِي[3]

أما علمتْ عَبيرَ المسك منها ... يَنِمّ بها إلى واشٍ ولاحِ

مُهفْهَفةٌ يَغارُ البـدرُ منها ... ويُخجِل قدَّها هِيفَ الرماحِ

تمازَج حبُّهـا بدمِى وروحِي ... مِزاجَ الرّاحِ بالماء القَراحِ

فأصبح فى المَلا طبْعى وخُلْقِي ... دَماً فى الطبعِ عنه بلا بَراحِ[4]

كأنّ الله لم يخلُق فؤادى ... لغيرِ الوجـدِ بالخودِ الرّدَاحِ[5]

---

(١) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٤/٣٠٥ ، ٣٠٦ ، إعلام النبلاء ٦/٣٠١ ، ٣٠٢ نقلا عنه .

(٢) فى ب : « وعقد الدهر » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) فى خلاصة الأثر : « فى الحظائر والضواحى » . (٤) فى ب : « وما فى الطبع » ، وفى خلاصة الأثر : « وما فى الطبع عنه من براح » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) الرداح : الثقيلة الأوراك .

أحِنُّ إلى هَواها وهْو حَتْفِي ... كما حَنَّ السقيمُ إلى الصلاحِ

وأصْبُو والصبابةُ برَّحتْنِي ... وأنْحلتِ الجوارحَ بالـبَراحِ

فلولا الطيرُ يمسِك من خيالى ... لطار من النُّحول مع الرِّياحِ (١)

أبُثُّ لِطَرْفِها شكوَى غرامى ... وهل يشكو الجريحُ إلى السِّلاحِ

وأطمع أن يُزايلنى هَواها ... وهل حَذَرٌ من المقدورِ ماحِ

فلا تأوِ لِكَسْرةِ ناظِرَيْهـا ... فكم أوْدَتْ بألبابٍ صِحاحِ

أفِقْ ياقلبُ ليس الحبُّ سهلا ... فكم جِدٍّ تولَّد من مِزاحِ (٢)

رُوَيْدَك كم تبيتُ تئنُّ وَجدًا ... كما أنَّ الطعينُ من الجِراحِ

وقائلةٍ أرى نجْما تبـدَّى ... بليلٍ عوارضٍ كالصبحِ ضَاحِ

أبَعْدَ الشَّيْب تمزَح بالتَّصابى ... وتَمْرح فى بُرودِ الإفْتضاحِ

فمـا ماضِى الشَّبيبة مُسْتَرَدٌّ ... ولا الخسرانُ يسمحُ بالرَّباحِ

فدَعْ حبَّ الغوانى فهو غَىٌّ ... وتفنيدٌ يَحِيدُ عن الفلاحِ

* * *

وله من قصيدة يمتدح بها الوزير نصوح (٣) ، ومستهلها (٤) :

حَيَّاكِ سَرْحةَ دارةِ الآرامِ ... وحَباكِ دِيمـةُ مُزْنةٍ وغَمامِ

إلى أن قال فيها :

ذاكَ النصوحُ أبو الوزارةِ مَن رَقَى ... فَلَكَ العُلى وعلا على بَهْرامِ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « فلولا الطمر » .

(٢) فى خلاصة الأثر : « أفق يا حب » .

(٣) تولى نصوح باشا كفالة حلب بعد سنة سبع بعد الألف ، وكان متعديا فى حكمه ، عسوفا ، قوى النفس ، شديد البأس .

وتولى الوزارة العظمى والسردارية ، وجاءه الختم سنة عشرين وألف ، وزوجه السلطان ابنته ، ثم قتله سنة ثلاث وعشرين وألف .

خلاصة الأثر ٤/٤٤٨ — ٤٥١ .

(٤) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٤/٣٠٤ ، ٣٠٥ ، إعلام النبلاء ٦/٣٠٠ ، ٣٠١ ، نقلا عنه .

ومنها :

تَجْرِى الأمورُ بوَفْقِ مايختارُه ويُطِيعه العاصِى بكلِّ مَرامِ
فكأنَّما الأقْدارُ طَوْعُ يمينِهِ بعد المُهيْمن فى قضا الأحكامِ
قُطْبٌ تدور عليه دولةُ أحمدٍ ملَكَ الدُّنَا بالحَلِّ والإبْرامِ [1]
هابَتْه أنفاسُ النفوسِ بأسْرِها فى الناس بعد العالِم العَلّامِ
وال[بـ]ـأسِ شِدّته الأسودُ تشرَّدتْ ونسَتَّرتْ فى الغابِ والآجامِ

منها :

يلقاكَ بالبِشْرِ الذى مِن نَشْرِه ريحُ المُنى يسْرِى بطيبِ مَشامِ [2]
بخلائقٍ تكسو الرياضَ خلائقاً فتضيعُ رَيّا مَنْدَلٍ وخُزامِ
ويُريك من رِضْوان عَدْلٍ جَنَّةً فيها لحَرْبِ البَغْىِ أىُّ ضِرامِ [3]

منها :

يا أيُّها الطَّوْدُ العظيمُ وصاحبُ الطَّـ ـوْلِ الجسيمِ وجَوْشَنَ الإسلامِ
أُلبِسْتَ من حُلَلِ الصَّدارة خِلْعةً قنِع الأُلَى منها بطَيْفِ مَنامِ
مادار فى فلَكِ المُدِير مَدارُه إلا لحُبْلاكَ وَدَّ دَوْرَ حِزامِ [4]
ماأوْكبتْ زُهْرُ الدجى بكواكبٍ إلا لنصْرِكَ فى ألَدِّ خصامِ

إلى أن قال فى آخرها :

كتبتْ مدائحُكَ الليالى أسطُراً تبْقَى بقِيتَ على مدى الأيّامِ

***

---

(١) فى الأصول : « بالحل والإبرام » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر .

(٢) فى خلاصة الأثر : « بطيب بشام » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « نار ضرام » .

(٤) لم يرد عجز هذا البيت وصدر التالى له فى خلاصة الأثر.

وله [١] :

قَد جَدَّد الشوقَ الجديدَ خيالُكمْ ... بجوارِحي وضمائِري وسَرائِري [٢]

فإذا نظرتُ إلى الوجودِ رأيتُكمْ ... في كلِّ موجودٍ عيانَ الخاطرِ

***

وله [٣] :

قد قسَّم الحبُّ جسمي في محبَّتكمْ ... حتى تجزَّى بحيث الجسمُ ينقسمُ

وما تصوَّرتُ موْجوداً ومنعدِماً ... إلا خيالكمُ الموجودُ والعدمُ

ما إن نثَرتُ دموعَ القطْرِ من حُرَقٍ ... إلا تحقَّقتُكمْ في القطْرِ مازعَموا [٤]

***



(١) البيتان في : خلاصة الأثر ٤/٣٠٤ ، إعلام النبلاء ٦/٣٠٠ ، نقلا عنه .

(٢) في خلاصة الأثر : « الشوق الشديد » .

(٣) الأبيات في : خلاصة الأثر ٤/٣٠٤ ، إعلام النبلاء ٦/٣٠٠ ، نقلا عنه .

(٤) في ب : « بالقطر مازعموا » ، والمثبت في : ا ، ج ، ولم يرد البيت في : خلاصة الأثر ، وإعلام النبلاء .

١٢٣

السيد أسعد بن البَتْرُونى *

رَيْحانة جاذَبَتْها أيدى الصَّبا ، فلم تزل غضَّةَ المَهزِّ من عهد الصِّبا .

وحضرة عليها للجِنان صُوَر ، تشِفُّ عن كُحل فى عيون الغِيد وحَوَر .

صافى الطبع كالزجاج فى نَقائه ، منتظِم العِشْرة كالسِّلك إذا اتَّسق جوهرُه وجِيد فى انْتقائه .

وهو فى الأدب جامعُ نوادر وشوارِد ، يَزينها بجمال المُشترِى وظَرْف عُطارِد .

تعوَّدتْ غَصْب العقولِ نِسكاتُه البديعة ، كأنَّ لها عند كل قلبٍ من قلوب الرجال وَدِيعَة .

وكنت وأنا بالروم نعِمتُ بدنُوِّه ، وتنسّمتُ علىَّ نسماتُ تودُّده وحُنوِّه .

فى عهد أشْهَى للجَفْن من لذّة هُجوعِه ، وألذّ من بِشارةِ الشيخ بعَوْدِ صِباه ورجُوعِه .

(*) السيد أسعد بن عبد الرحمن بن أبى الجود البترونى ، الحلبى .

قرأ ودأب فى موطنه ، ثم خرج فى صباه إلى الروم فسلك طريق القضاء .

ودخل دمشق ، ومصر ، وحظى فى دنياه كثيرا .

وسمت همته حتى ولى إفتاء الحنفية بحلب ، عن مفتيها محمد بن حسن الكواكبى ، مدة يسيرة .

وترقى فى مناصب القضاء ، حتى ولى أرقاها .

وهو شاعر مطبوع ، إلا أن شعره قليل ، وأغلبه فى الهجاء .

وابتلى فى آخر أمره بمرض المراقيا ، ومهر فى الطب عن طريق مراجعته الأطباء ، وتوفى بقسطنطينية ، ودفن بها ، وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٣٧٤ ـ ٣٧٦ ، خلاصة الأثر ١/٣٩٩ ـ ٤٠٢ .

والبترونى ، بفتح الباء الموحدة وسكون التاء المثناة ثم راء وواو ونون : نسبة إلى البترون ، بليدة بالقرب من طرابلس الشام .

خلاصة الأثر ١/١١ .

وهو مع أنه جاوز العشرةَ التى تسمِّيها العرب دَقَّاقةَ الرِّقاب ، كثيرُ التلفُّت لجمع شملِ اللهو والارْتقاب .

إلى أن اعْترضَه آخرَ أمره مرض ، دام إلى أن انْطوى عمرُه [١] وانقرض .

وأحسَب أنّ الله أراد به تكفير سيِّئاته ، وتمْحيصَه من فَرَطاتٍ سلبتْ كثيراً من حسناتِه .

***

وقد أوردتُ من شعره ما أحْدقتْ به المحاسن إحْداقا ، ونبَّه لزَهَرات الروض أعيُنًا وأحْداقا .

فمنه قوله ، من قصيدة كتبها إلى السيد موسى الرَّامَحْمدانيّ [٢] :

قد حلّ أمرٌ عجَبُ	شَيْبٌ بفَوْدِى يلعبُ
نجومُــــه لا تغرُبُ	فأينَ أين المهْــربُ
أرجـــو بقاءً معه	ما أنا إلّا أشْعَبُ
هذا الشبابُ قد مضى	وبان مــنِّى الأطْيَبُ
هل عيشةٌ تصْفو لمن	قد غاب عنه الْطربُ [٣]
دهـــرٌ أرانا عجَباً	وكلُّ يومٍ رجبُ
أنْدُبُ أياماً مضتْ	فيها صَفا لى المشربُ [٤]
فى حلَبٍ بســادةٍ	قد خـــدمتْهم رُتَبُ
من كلِّ سمحٍ ماجدٍ	تخجَل منــه السُّحبُ

---

(١) فى ا ، ج : « وعمره » ، والمثبت فى : ب .

(٢) تقدمت ترجمته ، فى هذا الجزء ، صفحة ٤٦٧ ، برقم ١١١ .

والقصيدة فى : خلاصة الأثر ١/٣٩٩ ، ٤٠٠ ، إعلام النبلاء ٦/٣٧٤ ، ٣٧٥ ، نقلا عنه .

(٣) فى خلاصة الأثر : « قد غاب عنه الطرب » .

(٤) فى ا : « أندبه أياما » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

أفناهمُ الموتُ الذى ... لكلّ بِكْرٍ يخطبُ

وما بها مِن بعدهمْ ... مَن للمعالى يُنسبُ

سوى جَهولٍ سِفْلةٍ ... عن كلّ فضلٍ يُحجبُ

وهْــو إذا أمّلته ... كلبٌ عقـورٌ كَلِبُ

أستغفرُ الله بهـا ... أستاذُنا المهـذّبُ

مُوسى الذى لفضْـلِه ... مُـدّ رِواقٌ مُذْهَبُ

حَلّالُ كلّ مُشكلٍ ... وحاتمٌ إذ يَهَبُ

وإن جرى فى حكمٍ ... تخالُ فينا يخطبُ (١)

وقد حَـوى معاليًا ... تنحـطُّ عنها الشُّهبُ

مِن سـادةٍ أحسابُهمْ ... تنطِق عنها الـكتبُ

مولاىَ أشكو غربةً ... طالتْ وعزّ المطلبُ

وتحت أذيالِ الدجى ... حمامـةٌ لا تنتحِبُ

إلّا بأولاد الزنى ... هـذا لعمْرى العجبُ

إليكها خَريـدةً ... منالهـا يُستصعَبُ

جآذرُ الرومِ لهـا ... تسجدُ أو تنتسبُ (٢)

واسْـلمْ ودُم فى رفعةٍ ... للسّعد فيها كوكبُ (٣)

ما حرّكتْ متيّماً ... وَرقاءُ حين تندبُ

* * *

(١) رواية خلاصة الأثر ، وهى أولى :

وإن جرى فى محكمٍ ... يُخال قسًّا يخطبُ

(٢) فى خلاصة الأثر : « تسجد أو تنتسب » . (٣) فى خلاصة الأثر : « فاسلم » .

فراجعه بقوله[1] :

ما الكونُ إلا عجبُ	فمنه لا يُستعجَبُ[2]
أعمارُنا تُنتهَبُ	يوماً فيوماً تذهبُ
ونحن نلهو أبداً	في غفلةٍ ونلعبُ
أوّاهُ من يوم يجي	ء شمسُه لا تغرُبُ[3]
صائلةٌ فيه المَنَى	يا صولةً لا تغلَبُ[4]
تخطو على أرواحنا	فأين أين المهربُ[5]
تبًّا لدُنيانا التي	لم يصْفُ فيها المشربُ
كم سيّدٍ غرّتْ به	وَاراه لحدٌ أحْدبُ
للدُّودِ فيه مرتَعٌ	وللهَوامِّ ملعبُ
والويلُ يومَ العَرْضِ إن	لم ينجُ منه المُذنبُ[6]
ومن لَظَى نارٍ بها	أجسادُنا تلْتهبُ[7]
لا عملٌ يُرْجى ولا	غوثٌ إليه ينسَبُ
إلا الكريمُ ربُّنا	ومن به نحتسبُ
ثم الشفيعُ مَن إلى	جَنابِه ننتسبُ
محمدٌ خيرُ الورَى	مقصِدُنا والمطلبُ

(١) قصيدة السيد موسى الرامحمداني في : خلاصة الأثر ١/ ٤٠٠ ، ٤٠١ ، إعلام النبلاء ٦/ ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، نقلا عنه.

(٢) في خلاصة الأثر : « ما الدهر . . . لا تستعجب » .

(٣) في خلاصة الأثر : « يجي * وشمسه . . . » .

(٤) المنى : الموت ، ولعله أراد « المنى » بالضم جمع « منية » . وفي ا : « صائلة فينا » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . وفي الخلاصة : « بصولة » .

(٥) في خلاصة الأثر : « تسطو على أرواحنا » .

(٦) في خلاصة الأثر : « منا المذنب » .

(٧) في ا : « أجسادنا تلهب » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

الحكمُ لله فلا يكون ما لا يكتبُ
والخيرُ فيما اختارَه حتماً علينا يجبُ
نسألُه يبقَى لنا سيدُنا المهذَّبُ
أسعدُ من ساد الورَى به وسادَ العربُ (١)
جوهرةُ العِقْد الذى جوهرُه المنتخَبُ
نجلُ الأُلَى تجمَّلتْ بهم قديماً حلَبُ
حِلْماً وعِلماً وتُقًى وحسبٌ ونسَبُ
يخجل من أخلاقِه زَهرٌ سقتْه السُّحبُ
ومن جميلِ صُنْعِه له المعالى تخطُبُ (٢)
طَلْقُ المُحيَّا فكلُّه مُبجَّلٌ محبَّبُ (٣)
ولُطْفُ أنفاس الصَّبا إلى عُلاه يُنسَبُ
ومن إلى المجدِ عَزاه فلا يُصوَّبُ
زِيد بَناناً كفُّه إذ ضاق عمَّا يهبُ (٤)
فسَيْبُ صوْبِ جُودِه يخجلُ منه الصيِّبُ
لم يخْلُ خِلٌّ غيرُه مُودَّدٌ محبَّبُ

❊ ❊ ❊

قلت : لم أرَ من وصف الإصبع الزائدة هذا الوصف البديع ، وبعضهم جعلها علامة الحرص ، حيث قال :

انظُر إليه لشدَّةِ الحرصِ زِيد بَناناً فزاد فى النَّقْصِ

---

(١) فى ا : « يسود الورى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى ب : « له المعالى تخاطب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) فى خلاصة الأثر : « طلق المحيا بهج » . (٤) فى خلاصة الأثر : « أن ضاق عما يهب » .

ومن هنا تعلم سرَّ قولهم :

كم من زيادةٍ فيها نُقْصان فائدهْ   كاليد تنقُصها الإصبعُ الزّائدهْ

وكان الأستاذ أبو بكر الطَّبَرِيّ ، يقول : الزيادة تؤَدّى إلى النقصان ، والمثلُ فيها جارٍ على كل لسان .

ولذلك قيل : صَبْوة العفيف ، وسَطْوة الحليم ، وضربة الجبان ، وجواب السِّكِّيت ، ونادرة المجنون ، وشجاعة الخَصِيّ ، وظَرْف الأعرابيّ .

* * *

ومن شعر السيد أسعد ، قوله فى الشيب :

أبَعْدَ الأربعين خِضابُ شَيْبٍ   أرُوم به مُواصلةَ الغوانِى

وأرجو أن أكونَ به فَتيًّا   فهذا من أكاذيب الأمانِى

فَوا أسفِى على زمنٍ تقضَّى   سَماعِى فيه قَهْقَهةُ القَنانِى

١٢٤

السيد حسين النَّبهانيّ*

أديب بشَرْطِه ، الموجب لحوله وحطّه .

فما نقَص من حظّه ، زِيد في خطّه .

سَرُوجيُّ[1] المَذْهَب ، ذاهبٌ في التلوُّن كلَّ مَذْهَب .

لا يهبط بلدا إلا أبدَى أعجوبَة محجوبة ، وبنى دَسْتَه على حِيلةٍ منصوبة ، [2] وحِدَأةٍ مغصوبة [2] .

ثم يفارقُه مُفارقَةَ لُبَد[3] ، ويقول : ﴿ لا أُقسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ ﴾[4] .

وقد رأيتُه بالرُّوم وجهُه[5] أغبَر ، وهمُّه من وعائِه أكبر .

يظهر كلَّ يوم في نَمَط ، وحيثما سقط لَقَط .

وعاشَر ممن أعرف فرقةً رُفْقَة ، أدّاه خَبال حاله معهم إلى فُرْقة وحُرْقة .

وتلاعبتْ به الظُّنون في ذلك الفريق ، تلاعب مَوْج البحر الْهِتاج بالغريق .

وبقىَ أنْقَى من الرَّاحة ، شاكيا بلسان كَمَدِه مَغْداه ومَراحَه .

وفارقْتُه وهو مُنغمِر في تلك الأوْحال ، وتبْريحُه مابرِح وحالُه ماحَال .

ثم بلغني أنه انْتعَش ، فكانت[6] نَعْشتُه[7] النعشةَ الأخيرة ، وأدركه أجلُه الذي نَفَى الحكيمُ تقديمَه وتأخيرَه .

(*) ترجمه الطباخ في إعلام النبلاء ٦/٨ ٤٠ – ٤١٠ ، نقلا عن النفحة ، وذكر أنه ممن توفي آخر القرن الحادي عشر .

(١) نسبة إلى أبي زيد السروجي ، المذكور في المقامات . (٢) زيادة من : ا ، على ما في : ب ، ج ، وإعلام النبلاء . (٣) لبد : آخر نسور لقمان . انظر خبره في القاموس (ل ب د) .

(٤) أول سورة البلد . (٥) في ب : « وجوه » ، وفي ج : « ووجهه » ، والمثبت في : ا ، وإعلام النبلاء . (٦) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج ، وإعلام النبلاء .

(٧) في ب : « نعشة » ، والمثبت في : ا ، ج ، وإعلام النبلاء .

وهو بارع فى النِّظام والنِّثار ، إلا أنه يُرْمَى فى شعره بالإكْثار .
ولكونْ (١) الكثير (٢) مَمْلول الطِّباع ، لم أذكُر منه إلاَّ نَزْراً سهل الانْطباع .

فمنه قوله ، من قصيدة فى المدح :

العلمُ والحلمُ والمعروفُ والجودُ	وكلُّ وصفٍ حميدٍ فيك موجودُ
حويْتَ ذلك إرْثاً عن أبٍ فأبٍ	كأنكمْ فى رياض المجد عنقودُ (٣)
يامَن بِسُؤْددِه أعداؤُه شهدتْ	وكيف لاوهو مشهورٌ ومشهودُ
ففى العطا تُغرِق الدنيا بأجمعِها	وفى السَّطا تتوقَّاك الصَّناديدُ
حاشاكَ تحرِم عبداً مات من ظمأٍ	ومَنْهلُ الجودِ من كفَّيْك مورودُ
لاسيَّمَا أن لى حقَّ الجوارِ ولى	فى كلِّ آنٍ بمدْحى فيك تغريدُ
وما تقادَم عهدِى فى الدُّعا لكمُ	إلاَّ ويعقُبه فى الحال تجْريدُ
ولم يجاوِرْ كريماً قطُّ ذُو أملٍ	إلاَّ غدا وهْو من نعْماه محسودُ
لكنَّ حالِىَ لم يعلمْ بها أحدٌ	إذْ لا يُحيط بها رَسْمٌ وتحْديدُ

***

وأنشدنى نادرةُ الوقت المولى عارف (٤) للنَّبْهانىِّ ، يمدحه :

أنا فى التَّباعُدِ والدُّنُوّ	أرجو لمولانا العُلُوّ
أبدًا ترانى رافعاً	كفِّى إلى ربٍّ عَفُوّ
أدْعوه فى سرٍّ وجَهْـ	ـرٍ أن يُدِيمك فى السُّمُوّ
فيما يُسَرُّ به الصديـ	ـقُ وما يُساء به العدُوّ
ياعارفاً هو المعا	رفِ بالعشِىِّ وبالغُدُوّ

(١) فى ا : « ولكن » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء . (٢) فى إعلام النبلاء : « التكثير » .
(٣) فى ا : « فى رياض الجد » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء .
(٤) تأتى ترجمته ، فى الباب الثالث ، برقم ١٤١ .

بل للفضائلِ والعوا ضـلِ والفُتوّة والمُرُوّ

مَن دأْبُه بثُّ المكا رمِ والحفيظة والحُنُوّ

مَن سيفُه ثُكْلُ العِدا ةِ وسَيْبُه حُورٌ وحُوّ[1]

وبذكْرِه طاب المدِيـ حُ أما تراهُ في زُهُوّ

مولاىَ يامَن فضلُه ما إن رأيتُ له كُفُوّ

هـذِى العُجالة قد أتتْ لكَ تعوذُ من طَرْف السُّلُوّ

وتَميسُ فى حُلَل الفصا حةِ بالملاحةِ والدُّنُوّ

نطقتْ بما يحْوى الحشَا لا بالتقوُّل والغُلُوّ[2]

وهىَ التى لو رامَها قُسٌّ رمتْه بالنُّبُوّ

اسلَمْ ودُمْ تسمُو على شُمّ الذُّرى أسْمَى السُّمُوّ

---

(١) حو : من قولهم شفة حواء ، أى حمراء إلى السواد . القاموس (ح و و) .

(٢) فى ا : « لا بالتفول » ، وفى ب : « لا بالتفول » ، والمثبت فى : ج ، وإعلام النبلاء .

١٢٥

القاضي ناصر الدين الحلفاوي

حليفُ أدب وأرَب ، وأليف جذَل وطرَب .

ورَوْنق روض ناضر ، وتُحفةُ جواب حاضر .

وقد طالت في الفضل باعُه ، وأُشربتْ حُبَّ الأدب طباعُه .

فذهب في مجاله عَرْضا وطولا ، وأصبح فيه وهو صاحب يد طُولَى .

تَرِدُ أربابُه عليه ، ويرجعون في دَعاويهم إليه .

فتُعرب براعتُه عن فصل خِطاب ، وتُسفر حُكومته عن ثناء مُستطاب .

وهو خالصٌ من الشَّوْب ، طاهرُ العِرض والثوب .

نقيُّ الشَّيْبة ، ممتزج المُباسطة بالهيبة .

تُوُفِّيَ عن سنٍّ عالية ، وحالته بالرفاهية حالية .

***

وقد أثبتُّ من شعره ما سهُل مَساقُه ، وأُحكِم في الصنعة اتّساقُه .

فمنه قوله من سلسلة ، أولها :

يامعتدلَ القَدِّ هل لوعْدك إنْجازْ … أو طيفُ خيال يُلِمُّ نحوىَ إنْ جازْ

ترنُو بلحاظٍ لهنَّ فعلُ مَواضٍ … في القلبِ وتسطُو من القَوام بهزّازْ

فالشوقُ غريمي والفكرُ فيه نديمي … والدمعُ حميمي وفي اصْطباريَ إعْوازْ

لم تحكِ مُحيّاه فاحتجبْ بغمامٍ … يابدرُ فحِبِّي مدى الملاحةِ قد حازْ

ياعاذلًا هلّا تركْتني وغرامي … ما كنتُ لأُصغِي إلى نصيحةِ همّازْ

يامن ملَك الحسنَ فى الأنام جميعاً ... ماأسْعد صَبًّا بطِيبِ وصالِك لو فازْ
قلبِي بك لَاهٍ وعقْد صَبْرِىَ وَاهٍ ... إذْ وجهك زاهٍ وطرفُ لحظِك غمَّازْ
نظمتُ جُمَـانَ البديع فيك عقودًا ... ياحُسْنَ نِظامٍ أَتَى بأبْدع إبْرازْ
قسمتُ وجودِى لمَّا جمعتَ صدودًا ... والبَيْنَ فهل حلَّ ماصنعْتُ وجازْ[1]

***

وقوله مُحاجِيا :

يا كاملَ الفضْلِ فى المعــــانِى ... وللأحاجِى غــــدا يُمانِى
امْنُنْ بردِّ الجواب فضْــــلًا ... مامثلُ قولى ألمَى جَفَــــانِى



(١) فى ا : « لا جمعت صدودا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

١٢٦

محمد بن تاج الدين الكوراني*

أديب لبيب ، مليح التشبيه والتشبيب .

لحق من الأدب مالم يُلحَق ، وانفرد بأشياء كأنها لم تُخلَق .

وله المجد الطامح ، إلى مافوق الأعزل والرامح(١) .

على انتهاضٍ بين أكفائه ، وشهرةٍ في تنبُّهه وإغفائه .

إلا أن عمرَ سروره قصير ، والدهرُ بتفريق المجتمع بصير .

***

وقد أثبتُّ له مايقطر من ماء الظَّرف ، وتتمتَّع به الرُّوح قبل الطَّرف .

فمن ذلك قوله في الغزل :

طرقتُ ديارَ الحيِّ والليلُ حالكٌ ... طُروقَ فتًى لايختشِي الدهرَ من ضُرِّ

وخُضتُ بحارَ الموت والموتُ حائمٌ ... كحوْمة نَسرِ الأُفق فيها على وَكْرِ

ودُستُ بِساطَ الأَجمِ عمدًا وأُسْدُها ... توقَّد منها الأعيُن الحُمرُ كالجمرِ

(*) محمد بن تاج الدين الكوراني الحلبي .

وفي إعلام النبلاء نقلا عن العرضي : محمد تاج الدين بن محيي الدين الكوراني .

كان أبوه وجده من زمرة العدول ، ولهما الدراية في التوريق ، وكتابة الصكوك ، وقد أربى عليهما بصناعة الشعر .

سافر الكوراني إلى دار السلطنة مرات ، وانتظم في سلك القضاة ، وفي سفرته الأخيرة تولى قضاء سرمين ، وباغته الأجل وهو عليها .

ولم يحدد العرضي ولا المحبي سنة وفاته .

إعلام النبلاء ٦/٣٨٥ ، ٣٨٦ ، خلاصة الأثر ١/١٢٤ .

وكوران التي ينسب إليها ، قرية من قرى أسفراين . معجم البلدان ٤/٣١٩ .

(١) يعني السماكين .

إلى أن أتيتُ الحيَّ نحو خِباءِ مَن ... أراشتْ فؤادِي من لواحظِها الفتْرِ

فلم ألقَ إلا صَعْـــدةً سَمْهرِيَّةً ... عليها مُحيًّا منه يبدو سَنا البدرِ (1)

عَرضتُ لها عُذْرِي وأظهرتُ ما حوَى ... جوَى مُهجتِي من مُحكماتِ هوى العُذْرِي

فرقَّتْ وراقتْ وانْثنَتْ وتعطَّفتْ ... وحيَّتْ فأحْيتْ ميِّتَ الشوقِ والصبرِ

وجادتْ بجيدٍ للتَّداني وأرْشفتْ ... رُضاباً رَحِيقياً ينُوب عن الخمْرِ (2)

وبِتْنا وقلبُ البرقِ يخفِق غَيْرةً ... علينا وعينُ النجمِ تنظُر عن شَذْرِ

* * *

البيت الأخير مضمَّن من رائيَّة ابن خَفاجة (3) ، وقبله :

ودون طُروقِ الحيِّ خَوْضةُ فتكةٍ ... مُوَرَّسَةِ السِّرْبالِ داميـــةِ الظُّفْرِ

تطلَّع من فَرْعٍ من النَّقْعِ أسودٍ ... وتُسْفِر عن خدٍّ من السيفِ مُحْمَرِّ (4)

فسِرْتُ وقلبُ البرقِ يخفِق غَيْرةً ... هناكَ وعينُ النجمِ تنْظُر عن شَذْرِ

* * *

وله في مُعذَّر اصْطَبح الوردَ واغْتبق بوجنتيه ، وقلم (5) الرَّيْحان مَشَق (6) فوق عارِضَيْه :

بدَا بدْراً بآياتِ الـــكمالِ ... مليحٌ قد تفرَّد بالجمـــالِ

تخيَّــــل ناظِري في وجْنتيْه ... مِثالاً كالعِذارِ بلا مِثـــالِ

فقلتُ له وعِقْدُ الصــبرِ منِّي ... لدَهْشة ناظِريَّ في انْحِـــلالِ

---

(1) الصعدة : القناة المستوية المستقيمة ، والسمهرى : الرمح الصلب ، منسوب إلى سمهر ، زوج ردينة وكانا مثقفين للرماح ، أو إلى بلدة بالحبشة . القاموس (س م هـ ر) .

(2) في ا : « رضابا رحيقا » ، والمثبت في : ب ، ج .

(3) رائية ابن خفاجة في ديوانه ٤٩ ، ٥٠ ، وهى أيضا في ريحانة الألبا ٢ / ٤٧٠ - ٤٧٢ .

(4) في الديوان : « تطلع في فرع » . (5) في ا : « وقلب » ، والصواب في : ب ، ج .

(6) في ا : « مشف » ، والمثبت في : ب ، ج .

عقيـــدةُ مطلبِي هل ذاكَ نَبْتٌ أَبِنْ لى قال حاشيةُ الخيـــالِ

***

قلت : هذه الحاشية ، عليها [1] خيال الخيالىّ [2] على « الحاشية » .

وأول من عبّر بهذه العبارة فيما أعلم ابن النَّبيهِ ، فى قوله [3] :

كأن ذاكَ العِذارَ حاشيةٌ خرَّجها كاتبٌ لنِسْيانِه [4]

ثم تصرفت [5] فيها الشعراء على حسب خيالاتهم ، حتى جاء العُسَيْلِيّ المصرىّ [6] ، فقال [7] :

صحيفةُ الخـــدِّ التى للحُسْنِ فيهـــا صُوَرُ [8]

مُذ حُشِيتْ بعـــارضٍ لم يَبْقَ فيهـــا نَظَـرُ

ومن هنا انظر قولى ، مع قول الكُورَانِىّ ، والعُسَيْلِىّ :

فى حاشيةِ الكمالِ من عارضٍ دَوْرٌ وتَسَلْسُل ولى فيه نَظَرْ

وقول الشِّهاب الخفاجىّ [9] :

أيا قمـراً زانتْ طوالعُ حُسْنِه حواشِي عِذارٍ يبهر اللُّبَّ والفِكَرْ

فمـــا شانَه دَوْرٌ به وتَسَلْسُلٌ فكم فى حواشِيها لذِى فكْرةٍ نَظَرْ

***

---

(١) فى ا ، ب : « عندها » ، والمثبت فى : ج .   (٢) فى ا : « الخيال » ، والصواب فى : ب ، ج .

وهو شمس الدين أحمد بن موسى الخيالى ، صاحب الحاشية على شرح السعد على العقائد النسفية ، المتوفى سنة اثنتين وستين وثمانمائة .

الشقائق النعمانية ١/١٥٢ ، الفوائد البهية ٤٣ .

(٣) ديوانه ١٤ ، وريحانة الألبا ٢/٢٠٠ .   (٤) فى الديوان : « خرجها ناسخ » .

(٥) فى ا : « تصرف » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٦) نور الدين على بن محمد العسيلى ، المصرى الشافعى .

أديب مؤلف ، من علماء الأزهر .

توفى سنة أربع وتسعين وتسعمائة .

خبايا الزوايا ، لوحة ١١١ ا ، ريحانة الألبا ٢/١٩٧ ، شذرات الذهب ٨/٤٣٤ .

(٧) البيتان فى ريحانة الألبا ٢/٢٠٠ .   (٨) فى الريحانة : « للحسن فيها سور » .

(٩) زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب .

وقد دار الدَّوْر ، لقضيَّة التسلسُل والدَّوْر .

فاسمعْ فيه قول الظَّريف :

لحاظُك أسيافٌ ذكورٌ فما لَها   كما زعمُوا مثلَ الأراملِ تغزلُ

وما بالُ بُرهانِ العِذارِ مُسلَّما   ويلْزمُه دَوْرٌ وفيه تسلسُلُ [1]

وأعْجَب منه قولى :

نظَرِى اصْدغك بُغْيتِي   فعلى مَ تمنعنِي النَّظَرْ

والمَنعُ غيرُ مُوجَّهٍ   فيه المَقالُ قد اشتهَرْ

والدَّوْرُ إن صحِب التَّسَلْـ   سُلَ ليس يخْلُو من نَظَرْ

فكُن فى هذا ممّن لا يرضَى بالحواشى والأطْراف ، ويقنَع من اللآلئ بمعرفة مافى الأصْداف .

***

وللكُورَانِى [2] :

بدرٌ أدار على النجومِ براحةٍ   شمساً فنارتْ فى كؤوسِ رحيقِهِ [3]

شمسٌ إذا طلَعتْ كأنَّ وَمِيضَها   بَرْقٌ تلالاً عند لَمْعِ بريقِهِ [4]

يسْقِى وإن عزَّتْ عليه ورامَ أن   يشْفِى لداء مُحِبّه وحريقِهِ

فيُديرُها من مُقلتَيْه وتارةً   من وَجْنتَيْه وتارةً من رِيقِهِ

***

ومن مقطَّعاته قوله [5] :

(١) فى ا : « برهان الفرار » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) الأبيات فى : خلاصة الأثر ١/ ١٢٤ ، إعلام النبلاء ٦/ ٢٨٤ ، نقلا عنه .

(٣) بين هذا البيت والذى بعده تقديم وتأخير فى إعلام النبلاء .

(٤) فى ا : « عند برق بريقه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(٥) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/ ١٢٤ ، إعلام النبلاء ٦/ ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، نقلا عنه .

مَلِيكُ جمالٍ أنْبت العزُّ خـــدَّه ... نباتاً له كلُّ المحاسنِ تُنْسَبُ

فـكرَّرتُ أمَ الخدَّ منه لطِيبهِ ... وكل مكانٍ يُنبتُ العِزَّ طيِّبُ (١)

***

وقوله ، مضمِّناً(٢) :

ومُعذَّرٍ لَدْنِ القَوامِ ووجهُهُ ... قمرٌ تقمَّصَ بالعِـــذارِ الأخْضَرِ (٣)

فُتِقَ العِذارُ بخدِّه فـــكأنما ... فُتِقَتْ لـكم رِيحُ الجِلادِ بعَنْبَرِ (٤)

***

وقوله (٥) :

عجبتُ لِمَا أبْداه وجـــهُ مُعذِّبي ... من الحسنِ كالسحرِ الحلالِ وأسْحَرُ

بوجْنتـــهِ ياقوتُ نارٍ توقَّدتْ ... عليها عِـــذارٌ كالزُّمُرُّدِ أخضرُ

***

وقوله :

ومُعـــذَّرٍ فتَكَ الأنامَ بحُسْنِه ... وسطَا بمُرْهَفِ لَحْظِـــهِ المُتنعسِ

جعل العِـــذارَ لشامِهِ مُتنكِّراً ... كيْلا يُحـــاطَ به لقتْلِ الأنفُسِ

***

---

(١) من قول أبي الطيب :

وكلُّ امرئٍ يُولى الجميلَ مُحبَّبٌ ... وكلُّ مكانٍ يُنبتُ العِزَّ طيِّبُ

ديوانه ٤٦٦ .

(٢) البيتان في : خلاصة الأثر ١/١٢٤ ، إعلام النبلاء ٦/٢٨٥ ، نقلا عنه .

(٣) في خلاصة الأثر : « ومهفهف لدن القوام » .

(٤) من قول ابن هانئ :

فُتِقَتْ لـكم رِيحُ الجِلادِ بعَنْبَرِ ... وأمدَّكم فَلَقُ الصباحِ المُسفِرِ

ديوانه ٧٤ .

(٥) البيتان في : خلاصة الأثر ١/١٢٤ ، إعلام النبلاء ٦/٢٨٤ ، نقلا عنه .

وقوله[1] :

لمّا تأمّل بدرُ التّمِّ عارضَـــه ... وقد بدا في مُحيّاً نورِه سَطَعـــا

بدَا به غَـــيْرةً خَسْفٌ وشبَّهه ... كأنه في مُحيّاه قد انْطبعـــا

***

وقوله[2] :

ومُهَفْهَفٍ كَمُلتْ محاسنُ وجهِـــه ... من فوق غصنِ قَوامِه المُتمايلِ

وبدا طِرازُ عِـــذارِه فكأنّه ... بَدْءُ الخسُوفِ بِبَدْرِ تمٍّ كاملِ

***



(١) البيتان في إعلام النبلاء ٦/٢٨٦ ، نقلا عن العرضي .
(٢) البيتان في إعلام النبلاء ٦/٢٨٦ ، نقلا عن العرضي .

١٢٧

ولده أبو السعود *

هو فى الميلاد سَليله ، وفى البراعة مُقدَّمه ودليلُه .

طلع طُلوعَ الزَّهرة من الكِمامة ، فتَهادته أبناء عصرِه تهادِىَ الشَّمَّامة .

يُنشَد الأدب من خِصالِه ، كما يُنشَد الأُنس من وِصاله .

* * *

وله شعر أوْقعُ فى النفسِ من رَجْعة الشباب ، وأسْوغُ من سُلافةِ الكأس طَفَى عليها الحَباب .

أثبتُّ منه مايقَع موقِعَ الماء من ذِى الغُلَّة ، ويُفرِح فرَح الشفاءِ لصاحب العِلَّة .

فمنه قوله ، من قصيدة (١) :

أَجَلْ إنها الآرامُ شِيمتُها الغدْرُ ... فلا هجرُها ذَنْبٌ ولا وَصْلُها عُذْرُ

فَفِرَّ سالماً من فَرْطةِ الحبِّ واتَّعِظْ ... بحالِى فإن الحبَّ أيْسرُه عسرُ (٢)

وقد هاجَنِى فى الأَيْكِ صَدْحُ مُغرِّدٍ ... به حلَّتِ الأشجانُ وارْتحل الصبرُ

يُذكِّرنى تلكَ الليالى التى مضتْ ... بلَذَّةِ عيْش لم يشُبْ حُلْوَهُ مُرُّ (٣)

سُقِيتِ لياليِ الوصلَ مُزْنَ غَمامةٍ ... فقد كان عيشِى فى ذَراكِ هو العمرُ

(*) أبو السعود بن محمد الكورانى ، الحلبى .

شاعر فائق ، لطيف الطبع ، وله محاضرة رائقة ، ومفاكهة فائقة ، مع حداثة سنه .

توفى بالطاعون ، سنة ست وخمسين وألف ، بحلب .

إعلام النبلاء ٢٨٣/٦ ـ ٢٨٥ ، خلاصة الأثر ١٢٣/١ ، ١٢٤ .

(١) القصيدة فى : خلاصة الأثر ١٢٣/١ ، إعلام النبلاء ٢٨٣/٦ ، ٢٨٤ ، نقلا عنه .

(٢) فى خلاصة الأثر : «من ورطة الحب واتعظ» . (٣) فى خلاصة الأثر : «تلك الليالى التى انقضت» .

فكم قد نعِمْنا فيك مَعْ كلِّ أغْيَدٍ ... رقيقِ الحواشي دون مَبْسِمِه الزَّهْرُ

لقـــد خَطَّ ياقوتُ الجمالِ بخدِّه ... جداولَ من مِسْكٍ صحيفتُها الدُّرُّ

* * *

منها[1] :

وروضٍ به جرَّ الغمامُ ذُيولَه ... نخرَّ له وَجْــداً على رأسِه النهرُ

وقد أرْقَدَ الأغصانَ تغْريدُ وُرْقِه ... وأضْحك ثغرَ الزَّهرِ لمّا بكى القَطْرُ[2]

وضاع به نَشْرُ الخُزامَى فعطَّرتْ ... نسيمَ الصَّبا منه ويا حبَّذا العِطْرُ

بدائعُ من حُسْنِ الربيعِ كأنَّها ... إذا مايدتْ أوصافُ سيِّدِنا الغُرُّ[3]

* * *

ويُستحسَن له قوله[4] :

كأنَّما الوجهُ والخالُ الـكريمُ به ... مع العِذارِ الذى اسْوَدَّتْ غدائرُهُ[5]

بيتُ العتيقِ الذى فى رُكْنِه حجرٌ ... قد أسْبلتْ من أعاليه ستائرُهُ

* * *

أخذه[6] من قول سيف الدين المُشِدّ[7] :

---

(١) القصيدة متصلة فى خلاصة الأثر . (٢) فى خلاصة الأثر : « وقد أرقص الأغصان » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « بدائع من حسن البديع » . (٤) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/١٢٣، ١٢٤، إعلام النبلاء ٦/٢٨٤ ، نقلا عنه . (٥) فى ج : « كأنما الخال والخال الكريم » ، والصواب فى : ا ، ب ، والخلاصة . (٦) فى ا : « أخذها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٧) سيف الدين على بن عمر بن قزل التركمانى .

ولد بمصر سنة اثنتين وستمائة ، وقرأ الشعر الرائق، وتولى مشد الدواوين بدمشق للناصر بن العزيز بدمشق مدة .

وكان ظريفا ، طيب العشرة ، تام المروءة .

توفى سنة ست وخمسين وستمائة ، ودفن بسفح قاسيون .

البداية والنهاية ١٣/١٩٧ ، فوات الوفيات ٢/١٢٨ ، النجوم الزاهرة ٧/٦٤ .

ومشد الدواوين ، هو متوليها الذى يكون رفيقا للوزير ، متحدثا فى استخلاص الأموال ، وما فى معنى ذلك . صبح الأعشى ٤/٢٢ .

يامَن عِـــذارُه وأصْداغُه حـــدائقٌ هِمْتُ بأزْهارِهَا
لو لم يـكنْ خَـــدُّك لي كعبةٌ لَمـــــا تعلَّقتُ بأسْتارِهَا

إلا أنه زاد فيه تشْبيه الخال بالحجَر .

ولقد أجاد يوسف بن عِمْران (١) ، في قوله يصف أرمد (٢) :

حين خُبِّرتُ أن في الطَّرْفِ منه رَمَـــداً زاد في ذُبولِ المَحاجِرْ
جئتُ كيْما أزورَ مِن وَجْه بَدْرِي كعبةَ الحسنِ تحت سُود السَّتائِرْ

٭٭٭



(١) يوسف بن عمران الحلبي .
كان يعمل في أول أمره بالتجارة ، وكان صاحب مال ، يخالط الأدباء ، وينسج على منوالهم .
طاف بلاد الشام ، والقاهرة ، وعاصمة دار الخلافة ، وامتدح أكابر علمائها ورؤسائها .
وكان مغرما بابتكار المعاني ، ذا شعر جيد .
وقد جمع لنفسه « ديوانا » .
توفي سنة أربع وسبعين وألف .
إعلام النبلاء ٣٣٨/٦ ، خبايا الزوايا ، لوحة ٣٤ ب ، خلاصة الأثر ٥٠٦/٤ ، ريحانة الألبا ١٠٤/١ ــ ١٠٩ .

(٢) البيتان في : إعلام النبلاء ٣٤١/٦ ، ريحانة الألبا ١٠٧/١ .

١٢٨

محمد بن أحمد الشيبانى

ذو الرأى الأصيل ، وواحدُ النجابة والتحصيل .
مساعيه مُنيفة شريفة ، وخلائقه كأنها روضة وريفة .
ترفُ النضرة فيه من كِمامِه ، ويكرع الظمآن من آدابه فى غمامه .

وأرى رقيق المدح يخدم نعتَهُ ... فلذاك أضحى كلُّ نعتٍ تابِعا

***

وقد أثبتُّ له ما اتخذ النجومَ الزُّهرَ من فريقه ، وجاء ممتزجا بمُدام الساقى وريقِه .

فمنه قوله ، من قصيدة أولها :

حتى م ليلى بالتجنى أليلُ ... وإلى متى إدبارُ صُبحى مُقبِلُ
مالى أرى هذى النجومَ تحيّرتْ ... أأضلّتِ التسيارَ أم لا تعقلُ
أم أسكر الفلكَ الأصيل فأقعدتْ ... عن سيرها أم بالبروق تسلسَلُ
ياقِبلتى فى حاجبيْك نواظرى ... آياتُ نورٍ للصلاةِ ترتَّلُ
ما كان أحسن لو عطفتِ ولم أقُلْ ... ما كان أقبح هجرُ من هو أجملُ
قلبى السِّجامُ وأنتِ فيه الزَّهرُ هل ... يُرضيك بينك بالتجنّى يُشعَلُ

من مديحها :

فالدهرُ إن رقم الأُلى فى صفحة الأ ... يامِ فهو لها حسابٌ مُجمَلُ
يا خيرَ من فاق الأُلى فى عصرِه ... أنتَ الأخيرُ وفى الفضائل أوّلُ

بك إن يهنّى العبدُ فهْو حقيقةٌ ... والك الهناء به مجازٌ مُرْسَلُ (١)

***

وقوله من أخرى مستهلها :

أما والهوَى لو أوْضحَ العذْرَ كاتمُهْ ... لأقْصرَ لاحِيه وأحْجمَ لائمُهْ

ولو خبّرُوا ظَبْيَ النفارِ بحالتى ... لآنَس لكنْ مُسْهرَ الجفْن نائمُهْ

بُروحِي وأىُّ الرُّوحِ أبقى لىَ الهوَى ... غزالًا حلّتْ لِى فى هواه علاقِمُهْ

رقيقُ الحواشِي كادَ من لُطْفِ عِطْفِه ... يُمَنْطِقُه من رِقّةِ الخصْرِ خاتمُهْ

ترَاءت لمِرآةِ الخدودِ جفونه ... فظَنّ نباتًا فوق خدّيْه شائمُهْ

كأن حسابَ الحسنِ كان مُفرّقًا ... فجمّعه فى طِرْس خدّيْه راقمُهْ

كما جمَّع الأفضالَ والمجدَ والنّدَى ... إمامُ الهدى مولَى الزمانِ وعالِمُهْ

منها :

فيا نجمَ أُفْقِ الفضلِ بل شمسَه التى ... أنار بها من غَيْهبِ الجهلِ قاتمُهْ

تَهنَّ بعيدِ النحرِ يا خيرَ ماجد ... تهنّتْ به أعيادُه ومواسِمُهْ

ودونك غرّاء القوافِى كأنها ... إذا أُنْشِدتْ رَوْضٌ تغنّتْ حمائمُهْ

بها ما بجسْمِي من هوَى الغِيدِ رِقّةً ... لذلك نمَّتْ بالذى أنا كاتمُهْ (٢)

لك الخيرُ هل مُسْتَكثَرٌ شعرُ شاعرٍ ... أُنيطتْ على نظمِ القريضِ تمائمُهْ

أرانى إذا ما قلتُ شعراً تنكّرتْ ... وُجوهٌ وعابَتْهُ علىّ أعاجمُهْ

لئن جهِلوا نثْراً فإنّى بَدِيعُه ... أو استحسنوا نَظْما فإنّى كشاجِمُهْ

فدُمْ وابْقَ واسلَمْ لابن شيْبانَ مَلْجأً ... تَشِيد من العلْياء ما الدهرُ هادِمُهْ

فقد مدّتِ العَلْيا عليك ظلالَها ... وحيّتْك من ثغرِ الربيعِ مَباسِمُهْ

***

---

(١) فى ا ، ب : « بل إن يهنى العبد » ، والمثبت فى : ج .

(٢) فى ا : « بها ما بجسم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

١٢٩

حسين بن مُهَنّا*

أديب فصيح المقال ، مُرْهفُ طبعِهِ غنيٌّ عن الصِّقال .

اقتطف القولَ جَنِيًّا ، وتناول كأسَه سائغا هَنِيًّا .

ولد بحلب ، وتقلَّب في النِّعَم أكرمَ مُنْقلَب .

وتكرَّرت منه إلى دمشقَ الوِفادة ، فجلا بها عن صُبح الإفادة والاسْتفادة .

واكتسب تلك الرِّقّة التي تحسدها رِقّةُ الصَّبا ، من امْتزاجه بأبْنائها امْتزاج الماء الزُّلال بالصَّهبا .

تخطبَتْه الحَظْوة ، وما قصَّرت له الخُطوة .

ودرَّجتْه الأيام والليالي ، إلى أن صار بخطابة سليميَّتها المقدَّم وخلفه المصلِّي والتّالِي .

ثم أقْلَع إلى مسقط راسِه ، ومنبِت غِراسِه .

وبها تلاحق به الحِمام ، فكان من ترابها البدايةُ وإليه التَّمام .

* * *

وقد أثبتُّ له ما تتَّخذ سطورُه رَيْحانا ، وترجع ألفاظُه أَلْحانا .

فمنه قوله :

أنُسَيمةً بالطَّلِّ تندَى ... باللهِ إنْ وافيْتِ نَجْدَا

فتجمَّلي للقا الحبيـ ... ـبِ وشمِّري بالجِدِّ بُرْدَا

(*) هذا الضبط من : ج ، ضبط قلم .

وتحمَّـــلى فى طَيِّهِ النَّ شْرَ النَّدِىَّ عدِمتِ نِدَّا[1]
وتعهَّدى بَثَّ الهوى بل يَمِّمى فى السَّيْرِ وَخْدَا[2]
وإذا وصلتِ إلى الشآ مِ وفاح نادى الروضِ نَدَّا
أدِّى ألُوكَةَ مُغْــرمٍ ما خان للأحبابِ عهدَا[3]

منها :

أوَّاه طِيبُ العيش أَدْ نَ بظلِّكم والصَّفْوُ نَدَّا[4]
مرَّت ليالِىَ فيــــه مُرَّ الشُّهدِ قد ذُقْناه شُهْدَا
من يوم فارَق ناظرِى ذاكَ الجمالُ عدِمتُ رُشْدَا
وبقِيتُ فى قومٍ رأَوا كَلْبَ الغَنِىِّ يفوق أُسْدَا
عقلوا وما عقَلُوا فـــلِى عن حبِّهم مَسْرَى ومغْدَى
لذَوِى المعـــالى والمعا رفِ والكمالِ أجِدُّ جِدَّا
فأحُـــوز منهم ما ينا لُ به الفتى شرفًا ورُشْدَا
لــكنَّ أين العَنْدَلِيـ ـبُ رقَى من الأفنانِ مُلْدَا[5]
غنَّى له لمـــا سقَى فى دَوْرةِ الدُّولاب وجْدَا[6]
فشـــدَا على وِرد الريا ضِ فأحْرق الأحشاءَ وَقْدَا
ورأيتُ ذاتَ الطَّوقِ أَبْ دتْ مثلا قد كان أبْدَى
أتُرى الزمانَ يُعيد لِى فى عَوْدِ من أهْواه رِفْدَا[7]

---

(١) فى ا : « فى طيه النثر الذى عدمت ندا » ، والصواب فى : ب ، ج .

(٢) الوخد : الإسراع .

(٣) الألوكة : الرسالة . (٤) ند : بعد وذهب . (٥) الملد : الغصون الناعمة .

(٦) فى ا : « فى دورة الدولاب خدا » ، وفى ج : « فى دوره الدولاب وجدا » ، والمثبت فى : ب .

(٧) فى ا : « يعيدنى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

يا دهرُ خُذْ رُوحِي إذا بشَّرْتَنِي سَلَفًا ونَقْدًا

***

وقوله :

وحقِّ ليالٍ قد مضَيْنَ عفائفًا وحُرْمةِ أيامٍ مضتْ بصفاءِ[1]

لأنتِ بسَوْداوَيْن قلبي وناظرِي وذِكرُكِ وِرْدِي بُكْرتي ومَسائِي

وإنِّي على العهدِ الذي كان بيننا مُقِيمٌ على وُدِّي وحُسْنِ وَفائِي

***

وقوله مضمِّنًا :

فُتِنتُ بظَبْيٍ أهْيَفِ القَدِّ فاتِنٍ بعينٍ لها عن قَوْسِ حاجِبه جَذْبُ[2]

صَبَوْتُ به لما رأيتُ جمالَه ومَن ذا يرى هذا الجمالَ ولا يصْبُو

***

وقوله :

كأنَّما الخالُ قُرْبَ الثغرِ مِن رَشَإٍ مُعذَّرٍ راشِقٍ سهمًا من المُقَلِ

شَحْرُورُ وردٍ أراد الوِرْدَ ثم رأى صِلًّا يدور حَوالَيْه فلم يصِلِ[3]

***

حام فيه على معنى الحَرْفُوشِيِّ[4] فى قوله :

كأنَّما الخالُ فوق الثغرِ حين بدَا وقد غدَا فِتْنةَ الألْباب والمُقَلِ

---

(١) فى ا : « وحق لياليا قد مضين خفائفا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ب : « عن قوس حاجبه جدب » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) فى ا : « لصايدور » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ، صفحة ١٨٩ ، برقم ١١ .

هَزَارُ أَيْكٍ سَعَى من روضةٍ أُنُفٍ   لمَنْهَلٍ راجياً رَيًّا فلم يصِلِ (١)

* * *

وله مُلغِزا في شعير:

ما اسمُ شيء من النَّبات إذا ما   زال حرفٌ منه غدا حيَوانا

رُبْعه معدِنًا تراه وشمساً   وترى فيه جَهْرةً إنسانا

وبتصْحيف بعضِه فهو نارٌ   وتُروِّى من بعْضِه الظمآنا

***



(١) في ا : « روضة ألف » ، والصواب في : ب ، ج .
وروضة أنف : لم ترع .

١٣٠

محمد بن عبد الرحمن

دُرَّة مغفلة ، وخزانة مُقفلة .

ولولا أني ظفرتُ باسمه عفوا ، ووردتُ من منهل أدبه الفيّاض صفْوا .

لبقيَ محجوبا عن العيان ، ونسجتْ عليه عناكبُ النِّسيان .

ورأيتُ فضله كمَن في إهابه ، وبراعته دثر رسمُها به .

* * *

وهو مطبوعُ الطبع على النظم ، إلَّا أنه إذا نظَم جاء بالمُخّ والعظم .

ووَلَمَهُ بأوابد الكلام ، كولعه بشوارد نفثات الأقلام .

ولا بُدَّ مع الرُّطَب من سُلَّاء النخل[1] ، ومع العسل من إبَر النحل .

فقد أوردتُ له ما تحمده عليه ، وتركتُ لأجل ممدوحه تفويق سهم الانتقاد إليه .

فمنه قوله من كافيّة:

خَلّ العوانسَ ذاتَ الخبّ والرَّتَكِ ... تسْري بها بِبُحور الآلِ كالفُلُكِ[2]

تَعْلُو الحزُون فلا فُلَّتْ مَناسِمُها ... ولا يُغِبُّنَّها وِرْدٌ بمُشترِكِ[3]

ولا عَداها هَطُولُ المُزْنِ في قَيْفٍ ... ولا أُحيدتْ من الحوماء في شَرَكِ[4]

---

(١) السلاء : شوك النخل .

(٢) في ا : « ذات الخب والرتك » ، وفي ج : « ذات الخب والرتك » ، والمثبت في : ب .

والعوانس : جمع العنس ، وهي الناقة . والخب : ضرب من السير ، وهو أن يراوح الفرس بين يديها ورجليه . والرتك : عدو البعير متقارب الخطو .

(٣) أغب الماشية : جعلها تشرب أي ترد يوما ويوما .

(٤) القيف : المكان المستوى أو المفازة لاماء فيها . القاموس (ق ى ف) .

حتى تَجُوبَ الفَيافِيَ والوِهادَ وتَسْـ　　ـتَقِـــــلَّ فى مَرْبَعٍ بالبِرِّ مُحْتَبِكِ

حيثُ المَلاذُ المُرجَّى المجْتَبَى قِدماً　　المُصطَفَى مُنقِذُ العاصِى من الدَّرَكِ

حامِى حِمَى الدِّينِ مَن شَأْواه قد رُفِعتْ　　على العُلَى حيث حُطَّت دُرَّةُ الفَلَكِ (١)

مَن قد سَما وسَما من فوق كل سَما　　حتى وطِى بشُسُوعٍ ربَّةَ الحُبُكِ (٢)

محمدٌ أحمدُ المحمودُ خـــــيرُ فتًى　　له فَخارٌ عَلا بالفضل كلَّ ذَكِى

***

وقوله من أخرى :

أحسنُ من بَهْجة نَوْحِ الحَمامْ　　وسجعِ وَرْقاء بمَتْنِ البَشامْ (٣)

وصَدْحِ قُمْرِىٍّ شَجِىٍّ عَلَى　　خَمِيلةِ الضَّالِ وأثْلِ الخُزامْ (٤)

ومن صَفِيرٍ صاتَه بُلبُلٌ　　على قضيبٍ مائِدٍ وهْو سامْ

وشَدْوِ شُحْرورٍ فصيحِ اللُّحونْ　　مُنْتَجِمِ اللفظِ دَغِيمِ الكلامْ

ودَوْحةٍ قد أنْبتَتْ زَهرَها　　تَرُوق للناظِرِ فى الانْتظامْ

وظِـــــلٍّ أنْداء بأوْراقِه　　تَنْثُره فيه غَوادِى الغَمامْ (٥)

وأرْقَمٍ تَنْسِج أيدِى النَّسا　　ئمِ مَوْجاً له كفِرِنْدِ الحُسامْ (٦)

وقَهْوةٍ حَلْبٍ عصيرٍ غدَا　　يسعَى بها ساقٍ كبدرِ التَّمامْ

---

(١) فى الأصول : « درة الفلك » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) فى ا : « رتبة الحبك » ، والمثبت فى : ب ، ج .

والحبك : الطرق . وهو يعنى السماء .

(٣) البشام : شجر طيب الرائحة .　　(٤) الضال من السدر : ما كان عذيا ، أو السدر البرى . القاموس (ض ا ل) .　　(٥) فى ب : « تنشره فيه » ، وفى ج : « تنثر فيه » ، والمثبت فى : ا .

(٦) يعنى بالأرقم النهر المشبه به . وفى ب : « وأرقم تنتج » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ومُطْرِبٍ قد شَــدَّ أطْباقَه ... وحَرَّكَ العودَ وأبْدَى النَّغامْ

ومن هوًى حسْناء رُعْبُوبَةٍ ... قد كُحِّلتْ أجفانُها بالسَّقامْ[1]

مليحةٍ تُخْجِل غصنَ النَّقا ... وتَسلُب اللُّبَّ بِلِينِ الـكلامْ

أحسنُ من هذا وذا كلِّه ... وكلِّ ذي حُسْن به يُسْتَهامْ

مَدْحُ النبيِّ المصطفى أحمـــدٍ ... مَن قد أتى رحمةً للأنامْ

☆

---

(١) الرعبوبة : البيضاء الحسنة الرطبة الحلوة الناعمة . القاموس (ر ع ب) .

١٣١

محمد بن الشاه بندر*

هو من حين تحَيَّزَ[١] ، بنعمةٍ[٢] بأدواتها تَميَّز .

تُنادِيه النَّشْوة وتُراوِحه ، وتُناوِحه أنْفاسُ القَصْف وتُفاوِحه .

فنبَغ ونَجَب ، وقضَى من حقِّ التحصيل ماوجب .

وفتَق ثناءً كالمِسك صَدَرًا ووِرْدًا ، وتخلَّق بخُلُقٍ كالماء الزُّلال عَذْبا وبَرْدا .

فوجهُ أدبِه شادِخةٌ[٣] غُرَرُه[٤] ، وسِلْكُ نَظْمه مُتَّسِقة دُرَرُه .

* * *

وهذه قطعة من شعره ، تعلم منها أنه أُوتِيَ الإصابة ، واستَحق أن يُنَوَّه به بين هذه العصابة .

وهى قوله[٥] :

ذَرِ الصدَّ إنى لستُ أقوى على الصدِّ ... وعُدْ للذى عوَّدْتَنِى منك من وُدِّ

فِطـــامِىَ عن ثُدْىِ الوَلا مُتمنِّعٌ ... وطِفْـــلُ نُزوعِى لايُعلَّل بالمَهْدِ

حَنانَيْكَ ماهـــذا التجنِّى فإننى ... لَفِى نُكرٍ من مَزْجِ هَزْلِك بالجِدِّ

لئن يكُ شَطَّ الوَهْمُ عنِّى لِهفْوةٍ ... فَعُدَّ وعُدْ وابْشِر فغُفْرانُها عندِى[٦]

(*) ترجمه الطباخ فى إعلام النبلاء ٦/١٣٤ـ٤١٥ ، نقلا عن النفحة ، وذكر أنه ممن توفى آخر هذا القرن ، أى القرن الحادى عشر .

(١) فى ج : «تميز» ، والمثبت فى : ا ، ب ، وإعلام النبلاء . (٢) فى إعلام النبلاء : «فى نعمة» .

(٣) شدخت غرة الفرس : انتشرت من الناصية إلى الأنف . (٤) فى ا : « غدره » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء . (٥) القصيدة فى إعلام النبلاء ٦/٤١٣ ، ٤١٤ .

(٦) فى ا : « فقد وعدوا بشرا فغفرانها عندى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء .

وحقِّكَ لم أحسَبْكَ قطُّ مُفارِقي ... ولم يكُ ظنِّي فيكَ خُلْفَكَ للوعْدِ

فكيف تنائي وَيْحَ غيرِكَ هاشماً ... حِباكَ بمَحْضِ الودِّ في القربِ والبعدِ [1]

فوالهَفِي لو كان يُغني تلهُّفي ... ووا أسفِي إذ صرتَ أبطأَ من فِنْدِ [2]

فما هكذا عهدي بفقدِكَ أَلْفَتي ... أأحدَثْتُ أمراً لم يكن منكَ في عَقْدِ [3]

لقد كنتَ لي حسبَ اقتراحي ومُنْيتي ... مُفدًّى إذا أشكو وأنتَ الذي أفدِي

مجيباً بمطلوبٍ مُلبٍّ بدعوةٍ ... مُراعٍ بمرغوبٍ سريعاً إلى رِفْدِي [4]

فماذا عسى أنكرتَ منِّي وما الذي ... أباحَكَ تعذيبي وقتْلي على عَمْدِ

أراكَ وقد خلَّفتني ذا لواعجٍ ... من البَيْنِ ذا قلبٍ أشَدَّ من الصَّلْدِ

لئن صِرْتَ لا زَلَّتْ بك النَّعْلُ غادِياً ... حليفاً وذا أهلٍ وقد كنتَ لي وَحْدي

فيا ناسياً للوُدِّ إنِّي ذاكرٌ ... ويا ناقضَ الميثاقِ إنِّي على العهدِ

أبى اللهُ أن أرعَى ذِمامَكَ جاهداً ... وتَبْخَسني حقِّي وتُكثِرُ في جَهْدِي

فلا كان لي قلبٌ لغيرِكَ جانحٌ ... ولا صحِبَتْني مُقلةٌ فيك لا تَنْدِي [5]

فقدْتُكَ إبراهيمَ فُقْدانَ آدمٍ ... على دَعَةٍ من أمرِه جنَّةَ الخلدِ

أعلِّلُ قلباً لا يحيلُ تعِلَّةً ... به عنك ذا تَوْقٍ جزيلٍ وذا وَقْدِ

وأُنْشِدُ بيتاً سالفاً حسبَ لوعتي ... إذا هاجَ تَهْيامي وقد فاتني قصْدِي

لعلَّ الذي أبلَى بهجْرِكَ يا فتى ... يردُّكَ لي يوماً على أحسَنِ العهدِ [6]

---

(١) في الأصول: «فكيف تنائي»، والمثبت في إعلام النبلاء. وفي ب، وإعلام النبلاء: «بالقرب والبعد»، والمثبت في: ا، ج. (٢) في ا: «فوالهفي لئن كان»، والمثبت في: ب، ج، وإعلام النبلاء، وفي ا: «ووا أسفي إن صرت»، والمثبت في: ب، ج، وإعلام النبلاء، وسيشرح المؤلف فيما يأتي قوله: «أبطأ من فند». (٣) في ج: «لم يكن في عقد»، والمثبت في: ا، ب، وإعلام النبلاء. (٤) هكذا في الأصول، والإعلام: «ملب بدعوة * مراع . .» والصواب النصب، وبه يختل الوزن.

(٥) لا تندى: لا تسخو بالدمع. (٦) في ا: «أبلى محبيك»، وفي ج: «أبلى بحبك»، والمثبت في: ب، وإعلام النبلاء.

أُقلِّبُ طَرْفِى لا أراكِ فَيَنْثَنِى ... بوابِلِ دمعٍ كالجُمانِ على خَدِّى

ووَدَّتْكِ تدرِى ما الذى بِى من الجوَى ... عسى كنتِ تَرْثِى لى من الهمِّ والوجدِ[1]

أما تذكُرَنْ مادار بالوصلِ بيْننا ... أباريقَ لذّاتٍ ألذَّ من الشُّهْدِ

لأيَّةِ حالٍ قد تناسيْتِ خُلَّتِى ... وكيف اسْتجزْتِ الهجرَ والنَّكْثَ للعهدِ

سلامى على اللَّذاتِ بعدكِ والهوَى ... وحلوِ التَّصابِى والتَّشَوُّقِ للمُرْدِ

فياليتَ شعرِى مَن تبدَّلتَ بى ومَن ... غداحاسدِى فى القرب بالبَيْنِ تسْتعْدِى[2]

فما أمُّ خِشْفٍ راعَها حبلُ صائدٍ ... فأذْهَلها عنه وغابتْ عن الرُّشدِ

تحِنُّ فتسْتهدِى الأسودُ لِغابِها ... فلا أثَراً تلْقَى ولا هادِياً يهْدِى

بأفْجعَ منِّى حين فارقْته ضُحًى ... حليفَ أُوارٍ لا أُعيدُ ولا أُبْدِى

لئن كنتَ أخلفتَ العهودَ وخُنْتَ بالْ ... مَواثيقِ عن جهلٍ ومِلْتَ عن الرشدِ

فحُبُّكَ فى قلبى وذكْرُكَ فى فمِى ... وأنت بعيْنِى ماحَيِيتَ إلى اللَّحْدِ

* * *

قوله : « أبْطأُ من فِنْد » مثل .

وفند هـذا مولى عائشة ابنة سعد بن أبى وقاص[3] ، وكان أحد المغنين المحسنين ، وكان يجمع بين الرجال والنساء .

وله يقول ابن قَيْس الرُّقَيّات :

قل لِفِنْدٍ يُشيِّـع الأظْعانا ... طالَ ماسَرَّ عيشَنا وكَفانا

وكانت عائشة أرسلته يأتيها بنار ، فوجد قوماً يخرجون إلى مصر ، فخرج معهم ،

---

(١) فى ج : « وودك » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وإعلام النبلاء .

(٢) فى ب ، ج : « بالبين مستعدى » ، وفى إعلام النبلاء : « بالبين مسعدى » ، والمثبت فى : ا .

(٣) وكنيته أبو زيد ، كما جاء فى القاموس (ف ن د) والقصة فيه . وما هنا منقول عن مجمع الأمثال ٢/٩٢ ، والمثل أيضا فى مجمع الأمثال ١/٧٨ .

فأقام بها سنة ، ثم قدِم فأخذ ناراً ، وجاء يعدو ، فعثَر وتبدّد الجمر ، فقال : تعِست العجلة .

وفيه يقول الشاعر :

مارأينـــــا لغُرابٍ مثلَا　　إذ بعثناه يجي بالمِشْمَلَهْ

غيرَ فِنْـــدٍ أرْسلوه قابساً　　فثوَى حولاً وسبَّ العجَلَهْ

المشملة : كساء [1] يجمع المِقْدحة وآلاتها [1] .

وقال بعضهم : المَشْملة ، بفتح الميم ، وهى مهَبُّ الشمال ، يعنى الجانب الذى بعث نوح عليه السلام إليه الغُراب ؛ ليأتيه بخبر الأرض أجفَّتْ أم لا [2] ، فاشتغل بجيفة رآها فى طريقه ، وفيه يقال : « أبطأُ من غراب نوح » .



---

(١) فى مجمع الأمثال : « تجمع فيه المقدحة بآلاتها » .　　(٢) إلى هنا انتهى ما جاء فى مجمع الأمثال .

١٣٢

صالح بن قمر *

هلالُ نَجابته يمدُّ بأقمار ، وفيه وفى نَباهته أحاديث وأسمار .

كتب وقيّد بخطِّه الكثير ، ونظَمَ ونثَر فجاء بالدُّرِّ النَّظِيم واللؤلؤ النَّثِير .

* * *

وقد أوردت له ما تستبْدِعه ، وتحفظُه فى خِزانة النفس وتستودعُه .

فمنه قوله [(١)] :

يامقـــلةَ الحِبِّ مهلاً ... فقد أخـــذتِ بثارِكْ

وأنتِ ياوجنتيْـــــه ... لا تحْرِقيني بنـــارِكْ

فقـــد كفانى لهيبٌ ... أصـــابنى من شَرارِكْ

هيهـــاتَ أنْجُو سليماً ... من بعـــد خَطِّ عِذارِكْ

وخالُك الخـــالُ غالٍ ... لوقْعةٍ فى نُضـــارِكْ

وثغرُك العذبُ فيـــه ... لنا غِنًى عن عُقـــارِكْ

وقَدُّك الغصْنُ لـكن ... لا يُجْتَنَى من ثمـــارِكْ

أنت الذى مارأيْنـــا ... فى حُسنِه من مُشارِكْ [(٢)]

فارفُق بصَبٍّ عليـــلٍ ... أفْناه بُعْدُ مَـــزارِكْ

(*) ترجمه الطباخ فى إعلام النبلاء ٦/٤٠٦ ، ٤٠٧ ، نقلا عن النفحة ، وذكر أنه توفى أواخر القرن الحادى عشر .

(١) القصيدة فى إعلام النبلاء ٦/٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(٢) فى ا : «فى حسنه من يشاركه» ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء .

إلى متى تتركني أرعى نجومَ انتظارِكْ [1]
وكم على ليـلِ ضَعْفِي تسطُو بجَوْرِ نهارِكْ
إن كان يُرضيك قتْلي عَمْداً بحُسْن اختيارِكْ [2]
فذاك صَبٌّ عميـدٌ في ساحةِ الذلّ بارِكْ
ولم يزلْ في التّصابي بالصبرِ فيك يُعارِكْ
عسى يلوح صَباح ألرِّ م ضَا له من دِيارِكْ
وتشمل الصَّبَّ قُرْباً من بعد طولِ ازوِرارِكْ
فجُدْ وسامحْ وواصِلْ واعطِفْ وعجِّل ودارِكْ



(١) في ا : إلى متى تتركني » ، والمثبت في : ب ، ج ، وإعلام النبلاء .
(٢) في ا : « عمدا بحسن اختيارك » ، والمثبت في : ب ، ج ، وإعلام النبلاء .

١٣٣

صالح بن نصر الله المعروف بابن سَلُّوم *

رئيسُ الأطباء للسلطان محمد ونديمُه الذى صحّ به تركيبُ الزمان ، ووفّى له الأملُ بالضّمان .

تقدّم فى حَلْبة النُّبلاء بحلب ، ودَرَّ له ضَرْعُ الأمانى فحَلَب (١) .

طالما وفّى العيشَ حقّه بمُنادمةٍ يهتزُّ لها مرحًا عِطْفُ الشباب ، وسقى السمع كأس مُحاورة تُرقِص السامعين رَقْصَ الحَباب .

حتى تَقَضْقَض (٢) آبنُوسُه ، وأشرف عَناه وبُوسُه .

فأنِفَ الإقامةَ فى حيِّه ورَبْعه ، ودعاه إلى الرِّحلة حبُّ (٣) الرياسةِ المَرْكُوز فى طبعه .

(*) صالح بن نصر الله ، ويعرف بابن سلوم ـ بفتح السين المهملة وتشديد اللام ـ الحلبى .

رئيس أطباء الدولة العثمانية ، ونديم السلطان محمد بن إبراهيم .

ولد بحلب ، ونشأ بها ، وأخذ عن أكابر شيوخها ، واشتغل بالعلوم العقلية ، وجد فى تحصيلها ، حتى برع ، وغلب عليه علم الطب .

وكان حسن الصوت ، عارفا بالموسيقى .

تولى مشيخة الأطباء بحلب ، ورحل إلى الروم ، واختلط بكبرائها ، واستدعاه السلطان محمد ، وصيره رئيس الأطباء ، وأعطاه رتبة قضاء قسطنطينية .

وألف فى الطب تأليفا لطيفا ، سماه « برء ساعة » .

سمت همته ، ومدحه الشعراء .

وكانت وفاته بينكى شهر ، وهو فى خدمة السلطان ، سنة إحدى وثمانين وألف .

إعلام النبلاء ٦/٣٤٤ ، ٣٤٥ ، خلاصة الأثر ٢/٢٤٠ ـ ٢٤٢ .

وفى ب : « المعروف بسلوم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(١) فى ا : « بحلب » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى الأصول : « تقضقض » ، ولعل الصواب ما أثبته . والتقضقض : صوت الخشب عند كسره .

(٣) فى الأصول : « حيث » ولعل الصواب ما أثبته .

فرحل إلى دار السلطنة العالية ، وحلَّ منها محل العافية من الأبدان العافية [1] البالية .

واتَّفق إثْرَ وصوله وصولُ خبره للسلطان فاستدْناه ، وصيَّره رئيسَ أطبَّائه وندمائه فبَلَّغه من وُفور الجاه مايتمنَّاه .

وتبدَّلتْ نحوسُه سعودا ، وأنْجَز له الدهرُ الضَّنين وُعودا .

فأبْرز من نفيسِ صَنْعتِه مالم تتنفَّس به لَهَواتُ ابن النَّفِيس [2] ، وشفَى عليلَ صدور الملهوفين ولا بِدْعَ فـ « الشفاء » [3] للرئيس .

وبالجملة فجُمَل فضائِله مما تقصُر عن وصْفِه جُمَل العبارات ، وإذا وقعتْ لِذاتِ الفضل إشارات فلذلك الرئيس تلك الإشارات .

***

وله فى الأدب روايةٌ طال بها باعا ، ودرايةٌ أبْرأ بها من مرض الزمان قلوبًا وطباعا .

ولم أقِف له إلا على بيتَين أجاد مَعْناهما ، ولم تتمتَّع أذنُ سامعٍ بغيرِهما فى معناهما .

وهما قوله [4] :

سقانِىَ مَن أهوَى كلوْنِ خدودِه ... مُداماً تُرِى سرَّ القلوب مُذاعَا
ومُذ شبَّب الإبريقُ فى كأسِ حانِنا ... أقامتْ دراويشُ الحَباب سَماعَا [5]

*

(١) العافية الأولى : ضد المرض ، والثانية من العفاء . (٢) علاء الدين على بن أبي الحزم القرشى ، ابن النفيس ، وورد فيه « ابن أبي الحرم » .

ولد بدمشق ، وتوفى بمصر ، وهو علامة زمانه فى الطب .

وكانت وفاته سنة سبع وثمانين .

شذرات الذهب ٥/٤٠١ ، طبقات الشافعية الكبرى (الطبقة السادسة) ٥/١٢٩ ، وانظر الأعلام ٥/٧٨ ، ٩/١٦ .

(٣) يعنى كتاب الشفاء ، للرئيس ابن سينا . (٤) البيتان فى : خلاصة الأثر ٢/٢٤١ ، إعلام النبلاء ٦/٣٤٥ ، نقلا عنه . (٥) فى ا : « ومذ شب الإبريق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

١٣٤

مصطفى الزيبارِيّ *

هو فى هذه الحَلْبة ، كالعِقد النفيس فى اللَّبَّة .

وله جامِعيّة فنون تربُو على الحصر ، وفضائلُ لا يستطيع جُحودَها نُبَهاء العصر .

لكنه أتى الدهرَ وقد هرِم، (١ فلم يتروَّ زُهَيْر روضِه بمثل ندَى هرِم .

فهو يشتكى زمنا بعيد الإحسان ، لا تستجْلبه ولا دعوةُ الغِيد الحِسان ١) .

وينظِم الشعرَ على فاقَة ، ما له منها إفاقة .

بجدٍّ أمْضَى من النَّصْل ، وهزلٍ أحلَى من الوصل .

وقد ذكرتُ له ما يستلِذّ وصفَه الوَصّاف (٢) ، والقولُ فيه أنه غايةٌ فى بابِه من الإنصاف .

فمنه قوله ، من قصيدة يمدح بها البَهائِي (٣) :

هى الشمسُ إن حيَّ بها الأوطَفُ البَدْرُ ... فخُذْها هنيئاً لا مَلامٌ ولا وِزْرُ (٤)

دِهاقاً دَهاقاً غيرَ عانٍ فإنها ... إذا صافحتْ ذا عُسْرةٍ حَلَّه اليُسْرُ (٥)

ولا تخشَ إملاقاً فإن حَبابَها ... فرائدُ يا قوتٍ وذائبُها تِبْرُ

(*) ترجمه الطباخ ، فى إعلام النبلاء ٦/ ١٠ ـ ٤١٣ ، نقلا عن النفحة ، وسماه « مصطفى بن حسن الزيبارى » ، وذكر أنه توفى بعد سنة أربع وتسعين وألف .

(١) ساقط من : إعلام النبلاء . (٢) فى ا : «الوصفان» ، والمثبت فى: ب ، ج ، وإعلام النبلاء.

(٣) تقدمت ترجمته ، فى هذا الجزء ، صفحة ٢٩١ ، برقم ٩٤ .

والقصيدة فى : إعلام النبلاء ٦/ ٤١٠ .

(٤) فى ا : « إن حي ربا الأوطف » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء .

والأوطف : غزير شعر الحاجبين .

(٥) كأس دهاق : ممتلئة .

ولا تعتـبرْ قولَ المعيبين صَحْبَها   فأترابُها زُهْرٌ وأكوابُها زَهْرُ(١)

وقُلْ لمدير الرّاح سِرًّا وجَهْرةً   ألا فاسْقِنِي خَمْراً وقل لى هى الخمْرُ(٢)

ومَكْسُولةِ الألحـاظ معْسولةِ اللّمَى   تَخال به قَطْرَ النَّباتِ ولا قَطْرُ

لهـا لَحَظاتٌ تسلُب اللُّبَّ والحجَى   وما فارقتْ جَفْناً وهذا هو السحرُ

وجيــدُ مَهاةٍ بل غزالٍ كأنه   عمود لُجَيْنٍ فوقه بَزَغَ البـدْرُ

وليـلٍ كبحرٍ خُضْتُ أمواجَ جُنْحِه   على سابحٍ عن سَيْرِه قصّر النّسْرُ

أكَفْـكِفُ أذيالَ البوادِى تعسّفاً   ولا يرْعوِى إن راعَه الضربُ والزّجْرُ

كأن أبا الفضــلِ البهاءَ محمّدا   لنا حيث سِرْنا من صباحتِه فَجْرُ

***

وقوله من أخرى، مطلعها(٣):

أأيتهنّ إذْ تبـدو نوارُ   صَدُوف أم كَنُود أم نَوارُ(٤)

بعيشِك هل سمعتَ فما سمعنا   بآرامٍ وليس لهـا نِفارُ

برَزْنَ من الخدورِ محجّباتٍ   وعُودٌ من البدرِ السِّرارُ(٥)

طَلَعْنَ عليك ثم خَنَسْنَ عُجْباً   كذلك تفعل الغُرُّ الجوارُ(٦)

حَذارِ لواحظاً منهن دُعْجاً   فمقتول الهوى منها جُبارُ(٧)

---

(١) فى ب، ج: «قول المعيبين صحبها»، والمثبت فى: إعلام النبلاء.

(٢) تضمين لصدر بيت أبى نواس:

ألا فاسْقِنى خمرًا وقل لى هى الخمرُ   ولا تسْقِنى سِرًّا إذا أمْـكنَ الجهرُ

ديوانه ٢٧٣.

(٣) الأبيات فى إعلام النبلاء ٦/١١٤. (٤) فى إعلام النبلاء: «أتيهن إذ تبدو نوار». والصدوف: الكثير الصد. والكنود: الكافر للنعمة، والنوار: المرأة تنفر عن الريبة.

(٥) السرار: اختفاء البدر فى آخر ليلة من الشهر. (٦) كان حق «الجوار» كسرة تحت الراء، فهى الجوارى، أى الكواكب الجارية، ولكن الشاعر اضطر إلى ضمها للقافية.

(٧) فى أ: «لواحظا منهن دعج»، وفى ب، ج: «لواحظا منهن دعج»، والمثبت فى: إعلام النبلاء. وجبار: هدر. المصباح المنير ١١٠.

وفي مَنبتٍ أُملُودُ رَدَاحٌ   نأَتْ عنّي وقد شطَّ المزارُ[1]

لقد غدرت أَخيَّ وغادرتْني   وحيــــدًا لاأزور ولا أُزارُ

* * *

وأنشد له السيد عبد الله الحجازى[2]، يهجو قرية أوّارين[3] :

ولو أن لى فى كلِّ وقتٍ وساعةٍ   بقريةِ أوّارينَ ماأتمنّــــاهُ

لقلت خليليَّ ارْحلا بى عن التى   تُكَثِّر أوْصابى فلا باركَ اللهُ

*



---

(١) الأملود : الغصن الناعم اللين ، والرداح : الثقيلة الأوراك .

(٢) تقدمت ترجمته ، فى هذا الجزء ، صفحة ٥٦٥ ، برقم ١١٩ .

(٣) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦/١١٤ .

(نفحة الريحانة ٢/٤١)

١٣٥

مصطفى بن محمد بن نجم الدين الحلفاوي*

خطيب وابن خطيب ، وعَبِير مستفاد من مسك وطيب .

تناول المجد كابرًا عن كابر ، واستفاده ما بين أسِرّة ومنابر .

وهو من قوم رَقَوا على الدَّرَج ، وأمِن مادحُهم من الاعتراض والحَرَج .

لأيديهم فُتحت بالثناء أفْواهُ الأعلام، ولأقدامهم طأْطأت رُؤوس المنابر والأقلام .

إذا نزل النَّجابةُ فيهم نَسَقًا على نَسَق ، وإذا لاحتْ وجوهُهم أضاءتْ بالليل وما وَسَق .

وأنا إذا أمسكتُ عن ذِكرِهم لسانًا رَطِيبا ، فقد قام اشْتهارُهم عنِّي في الآفاق خطيبا .

وقد نبغ منهم هذا النَّدْب كما شاءت العُلَى ، فجاء متحلِّيًا من الفضائل الغُرّ بأفخر الحُلَى .

وقد عُرِف فيه الرشد ، من حين وُضِع في اللُّفافة وشُدّ .

إلا أنه اخْترمَه الأجلُ وغصنُه يانِع ، وليس له عند التوسُّع في المآثر مانع .

* * *

وقد أنشدني بعضُ الأدباء له بيتين ، جئت بهما في هذا المحل مثبتين .

وهما قوله[1] :

(*) ترجمه المحبي في : إعلام النبلاء ٦/٤٠٧، ٤٠٨ ، نقلا عن النفحة ، وذكر أنه توفي آخر القرن الحادي عشر .

(١) البيتان في إعلام النبلاء ٦/٤٠٧ .

قالوا سَلَا قلبُه عن حبِّهم وغــــدا   مُفرَّغَ الفكرِ منهم خاليَ البـالِ
قلتُ اثبِتُوا أن لي قلبــاً أعيشُ به   ثم اثْبِتُوا أنه عن حبِّهم سالِي

* * *

وهذا معنى حسن ، وقلت فيه من قطعة[١] :

وظننتَ قلبي سالِيــاً   أتركتَ لي قلبــاً فيسْلُو

وقلت أيضاً[٢] :

قال تسَــلَّى وقد جفاني   ونام عن صَبْوتي وحُــبِّي
صــدقتَ بالقلبِ كنتُ أهوى   حبيبتي إذ أخــذتَ قلبي

والأصل فيه قول بشّار[٣] :

عَذيرِي من العُذَّالِ إذ يَعذِلونني   سَفاهاً وما في العاذلين لبيبُ[٤]
يقولون لو عزَّيْتَ قلبَك لارْعَوى   فقلتُ وهل للعــاشقين قلوبُ

ومثله لابن الوضَّاح المُرسِيّ[٥] :

يقولون سلَّ القلبَ بعد فِراقِهم   فقلتُ وهل قلبٌ فيسْلو عن الحبِّ

وللعَرْجِيّ[٦] ماهو منه ولا يبعُد عنه[٧] :

---

(١) إعلام النبلاء ٦/٤٠٧ .   (٢) إعلام النبلاء ٦/٤٠٧ .
(٣) البيتان في ديوانه ١/١٨٦ ، الأغاني ٣/١٧٧ ، إعلام النبلاء ٦/٤٠٨ ، والثاني في ريحانة الألبا ١/٤٣ .
(٤) رواية الديوان :

عَذيرِي من العُذَّال لا يتركونني   بغمِّي أما في العاذلين لبيبُ

وما هنا رواية الأغاني .
(٥) إعلام النبلاء ٦/٤٠٨ .   (٦) أبو عمر عبد الله بن عمر العرجي ، الأموي ، القرشي .
شاعر أموي ، وفارس شجاع .
توفي في حبس محمد بن هشام المخزومي ، نحو سنة عشرين ومائة .
الأغاني ١/٣٨٣ ، العقد الثمين ٥/٢١٩ ، معاهد التنصيص ٢/٥٥ .
(٦) إعلام النبلاء ٦/٤٠٨ ، ريحانة الألبا ١/٤٤ .   (٧) في الريحانة : « أن الدهر يعقبني » .

وزعمتِ أن الدهـــــر يُقْنِعني   صـــــبْرًا عليك وأين لى صبرُ

وللبهاء زُهَير(١) :

جعل الرُّقادَ لـكى يُواصل مَوعِدًا   من أين لى فى حبِّه أن أرْقدَا

ولْلُبوريني(٢) :

يقولون فى الصبحِ الدعاء مُؤثِّرٌ   فقلتُ نعم لو كان لليلِ له صبحُ

وللشِّهاب الخفاجى(٣) :

يقولون لى لم تُبْقِ للصلحِ مَوْضِعاً   وقد هجرُوا من غير ذَنْبٍ فمَن يمْحى

صدقْتُم وأنتُم للفؤادِ ســـــابَتُم   ومالىَ قلبٌ غيره يطْلب الصُّلحَا





---

(١) ديوانه ٥٠ ، وإعلام النبلاء ٦ / ٤٠٨ ، وريحانة الألبا ١ / ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) بدر الدين حسن بن محمد بن حسن البوريني ، الشافعى .

ولد فى قرية صفورية ، سنة ثلاث وستين وتسعمائة .

وهاجر مع أبيه إلى دمشق ، ثم ارتحل معه إلى بيت المقدس .

واشتغل بالتدريس والوعظ بمدارس الشام ومساجدها .

وكان عالما محققا ، زكى الطبع ، فصيح العبارة ، طلق اللسان ، متين الحفظ ، حسن الفهم ، عذب المفاكهة .

وقد جمع « ديوانا » من شعره .

توفى بدمشق ، سنة أربع وعشرين وألف .

خبايا الزوايا ، لوحة ١٤ ا ، خلاصة الأثر ٢ / ٥١ ، ديوان الإسلام ، لوحة ٢١ ب ، ريحانة الألبا ١ / ٤٢ .

والبيت فى : إعلام النبلاء ٦ / ٤٠٨ ، خلاصة الأثر ٢ / ٥٦ ، ريحانة الألبا ١ / ٤٢ .

(٣) البيتان فى : إعلام النبلاء ٦ / ٤٠٨ ، ريحانة الألبا ١ / ٤٤ .

١٣٦

محمد بن محمد البَخْشِيّ *

من أفراد العلم الكبار ، الحسان الآثار والأخبار .

وكان من سُمُوِّ القدر، واتّساع الصدر ، ونُبْل الهمة ، ورَعْى الذِّمَّة .

فى حدٍّ ما وراءه مَطْمَع ، ولا يتقرّط بمثل خبرِه مَسْمَع .

إلى تقْوى باطنه معمور ، وقناعة موطنُه ببركاته مغْمور .

وإيثار بما ملَك ، ووَقارٍ يتْبعه أنَّى سلَك .

تُوازَن به السحبُ الهواطِل إذا حَبَا ، ولا تَرْضَى أن تُشبِهه الجبالُ الرّوازن إذا احْتَبَى .

صحِبْتُه بالرُّوم فشاهدتُ ملَكاً فى صورة إنسان ، مطبوعاً على الخير فلا يُشابُ[1] بشرٍ ولا يُشان .

فما شرَّته مُحِبًّا له مَحبّةَ الصحابىّ للسُّنّة ، وفارقتُه فتأسّفتُ عليه تأسُّف آدم على الجنّة.

(*) فى ا ، ب : « النجشى » ، والمثبت فى : ج .

وهو :

محمد بن محمد بن محمد ، البخشى ، البكفالونى ، الحلبى ، الشافعى .

المحدث ، الفقيه ، الصوفى .

ولد ببكفالون ـ بفتح الموحدة ـ قرية من أعمال حلب ، فى سنة ثمان وثلاثين وألف ، وبها قرأ القرآن .

ورحل إلى دمشق ، وأخذ عن بها من العلماء ، مثل : عبد الباقى الحنبلى ، ومحمد الخباز البطنينى .

وأخذ طريق الخلوتية عن الشيخ أيوب الخلوتى ، وقرأ عليه جملة فنون .

ثم توطن حلب ، وأخذ بها عن محمد بن الحسن الكواكبى .

سافر إلى الروم سنة ست وثمانين وألف ، والتقى به المحبى هناك فى أدرنه ، ثم فى قسطنطينية .

وله من التآليف « الشافية نظم الكافية » ، و « شرح على البردة » ، وغيرهما .

ودرس بالمقدمية التى بحلب ، ثم قصد الحج بنية المجاورة ، فقدم مكة حتى توفى سنة ثمان وتسعين وألف ، ودفن بالمعلاة .

إعلام النبلاء ٦/٤٠٢ ـ ٤٠٦ ، خلاصة الأثر ٤/٢٠٨ ـ ٢١١ .

(١) فى ا : « يصاب » ، والمثبت فى : ب ، ج .

أنسى الأيامَ وأذكرُه ، وأذكرُ مكارمَه فأشكرُه .

وهاجر آخر أمرِه إلى مكة ، فكان بها سحاباً ماطراً ، ونسيماً إذا هبَّ هبَّ عاطراً .

فأقبل أكثرُ أهلها عليه ، وسلَّموا زمامَ انقيادهم إليه .

ووردُوا مشرعَ وفاقِه ، وانتظموا في سِلْك رفاقِه .

ثم لم يلبث أن دعاه الكريمُ إلى دارِه ، فتولَّاه عفوُه بمنِّه ومِدْرارِه .

***

وكان أملَى عليَّ من أشعاره قطعاً سهلة ، ربما حفظتُها لجودتها من أول وَهْلة .

ولم أعلِّقها في[1] دفتر اعتماداً على الحفظ منِّي ، ولم أدرِ أن الأيام وشواغلَها تنفِّرها عنِّي .

ثم وقفتُ له بمكة على قصيدة فتعلَّقتُ بها وجعلتُها من المعلَّقات ، وأنا من عهدها شَغِفٌ بترديدها حِرْصاً على تذكُّر تلك الأوقات .

والقصيدة هي هذه ، قالها في مدح الشريف أحمد[2] ، وأخيه الشريف سعد ابنَي زيد ، وهما بدار الخلافة[3] :

خليليَّ إيهٍ عن حديثِ صَبا نَجْدِ   وإن حرَّكت داءً قديماً من الوَجْدِ[4]

فآهٍ على ذاك النَّسيم تنشُّقاً   وآهٍ على آهٍ تروح أو تُجْدي

عليلةُ أنفاسٍ تُصبِّحُ نفوسَنا   مُعطَّرةُ الأرْدانِ بالشِّيح والرَّنْدِ

وهيهاتَ نجدٌ والعُذَيْبُ ودونَه   مَهامِهُ تغوِي الكُدْرَ فيها عن الوِرْدِ

ومن كلِّ شِمْراخِ الأهاضبِ خائطِ السَّ   حابَ يرومُ الشمسَ بالصدِّ والرَّدِّ

(١) سقطت من : أ ، وهو في : ب ، ج .   (٢) تقدم التعريف به ، في الجزء الأول ، صفحة ٤١٧ .

(٣) رحل الشريفان أحمد ، وسعد ابنا زيد إلى دار الخلافة سنة خمس وثمانين وألف . انظر خلاصة الأثر ١ / ١٩١ .

والقصيدة في : خلاصة الأثر ١ / ٢٠٩ ، ٢١٠ ، إعلام النبلاء ٦ / ٤٠٣ ـ ٤٠٥ ، نقلا عنه .

(٤) في خلاصة الأثر : « من حديث صبا نجد » .

وتَسْرِى الصَّبا منه فتُمسى وبيننا ... من البَوْنِ مابين السَّماوةِ والسِّنْدِ (١)

* * *

هذا في المبالغة وقول ابن عُنَيْن (٢) رقيقاً عنان .

وقوله هو (٣) :

ساحتْ كُتْبَكَ في القطيعةِ عالِماً ... أنّ الصحيفةَ لم تجدْ من حاملِ (٤)

وعذرتُ طَيْفَكَ في الوصولِ لأنه ... يَغْدو فيصبح دوننا بمَراحلِ (٥)

* * *

ولا أقول ماقال ابنُ بَسّام (٦) : قد شنَّع وبشَّع أبو زيد في الكذب ، حيث قال :

وشِمْتَ سيوفَكَ في جِلِّقٍ ... فشامتْ خُراسانُ منها الحَيا (٧)

وبعَّد وبدَّع مُهَلْهِل ، حيث قال (٨) :

---

(١) في ا : « ما بين السموت والسند » والمثبت في ب ، ج .
وبادية السماوة : بين الكوفة والشام . معجم البلدان ٣ / ١٣١ .
(٢) محمد بن نصر الله بن الحسين ، ابن عنين الدمشقي .
شاعر دمشق ، من أملح أهل زمانه شعراً ، ولكنه كان هجاء .
توفي سنة ثلاثين وستمائة .
معجم الأدباء ١٩ / ٨٦ ، وفيات الأعيان ٤ / ١٠٦ .
(٣) ديوان ابن عنين ٨٦ ، والبيت الثاني مضمن ، وهو لأبي العلاء المعري ، انظر شروح سقط الزند ٢ / ٧٣٤ ، وقد روى الخوارزمي في شرحه البيتين ، وقال : « أنشدني له بعض المتعربة » .
(٤) في الديوان : « أن الصحيفة أعوزت من حامل » .
(٥) في ديوان ابن عنين ، وشروح سقط الزند :

وعذرتُ طيفك في الجفاء لأنه ... يسْرِى فيصبح دوننا بمراحلِ

(٦) لم أجد هذا فيما طبع حتى الآن من كتاب ابن بسام .
(٧) يقال : شمت السيف : إذا أغمدته ، وشمته أيضاً : إذا أخرجته من غمده . الأضداد لابن الأنبارى ٢٥٨ ، ٢٥٩ . (٨) الأصمعيات ١٥٥ ، وأمالي القالي ٢ / ١٣٣ ، وسمط اللآلي ٢ / ٧٥٥ ، والشعر والشعراء ١ / ٢٩٧ ، والوسيح ١٠٦ ، وانظر ريحانة الألبا ٢ / ٤٩٣ .

ولولا الريحُ أسمَعَ من بحُجرٍ ... صليلُ البيضِ تُقرَعُ بالذُّكورِ [1]

لأن الصَّبا قد تتخلف لهبوب غيرها أياماً فيبِيْنُ [2] ابن عُنَيْن كذبُه ويضح ، والعذر فاضح .

والبيتُ الذى نحن فيه مُنْشِيه موصون [3] بصدق المقال ، ومُنْشِده مُستريحٌ من حَمْل الأثقال .

❊ ❊ ❊

سقا اللهُ من نجدٍ هضاباً رياضُها ... تنفّسُ عن أزكى من العنبرِ الوَرْدِ [4]

وحيّى الحيا حيًّا نعِمْنا بظلِّه ... بنَعمان ما بين الشَّبيبة والرِّفْدِ [5]

نُغازِل غِزْلانا كوانِس فى الحشَى ... أوانسَ فى ألحاظِها مقتنِصُ الأُسْدِ

تُحاكى الجوارى الكُنَّسَ الزُّهْرَ بهجةً ... وتفضُلها فى رفعةِ الشأنِ والسَّعْدِ

حِجازيّةُ الألفاظِ عُذريّةُ الهوى ... عراقيّةُ الألحاظِ ورديّةُ الخدِّ

بعيدةُ مَهوَى القُرْطِ معسولةُ اللَّمَى ... مُرهَفةُ الأجفانِ عسّالةُ القدِّ

تَميسُ وقد أرخَتْ ذوائبَ فرعِها ... فتخطُر بين البانِ والعلَمِ الفَرْدِ

وتعطو بجِيدٍ عطّل الحَلْيُ حسنَه ... كأنْ ظبيةٌ تعطو إلى ورَقِ المَرْدِ

وكم ليلةٍ باتتْ يداها حمائلِى ... وباتتْ يدى من جيدِها مطرَحَ العِقْدِ

---

(١) فى المصادر السابقة : « أسمع أهل حجر » .

وحجر : هى مدينة اليمامة وأم قراها . معجم البلدان ٢/٢٠٩ .

وقال أبو على : حجر ، قصبة اليمامة ، وحربهم إنما كانت بجزيرة .

انظر الأمالى ٢/١٣٤ ، مع السمط ٢/٧٥٥ ، ٧٥٦ .

(٢) فى ا ، ب : « فثبت » ، والمثبت فى : ج . (٣) كذا فى الأصول ، ولعل الصواب « موصوف » .

(٤) فى ب : « هضابا بأرضها » ، والمثبت فى : ا ، ج . وخلاصة الأثر ، وفى الخلاصة : « تنفس عن أذكى » . (٥) نعمان : واد قريب من الفرات على أرض الشام قريب من الرحبة . معجم البلدان ٤/٧٩٦ .

والرفد : جمع الرفدة ، وهو العصبة من الناس . اللسان (ر ف د) ٣/١٨٢ .

نُديرُ سُلافًا من حديثِ حَبابِها ... على حين تَرْشافٍ ألذَّ من الشُّهْدِ (١)

ولمّا تجلّى الصبحُ يطلُبُ عَيْنَنا ... تـكنَّفَنا ليلٌ من الشَّعَرِ الجَعْدِ

عفيفَيْنِ عمّا لا يليقُ تكرُّمًا ... على ما بِنا من شدةِ الشوقِ والوَجْدِ

وقد كاد يسعى الدهرُ في شَتِّ شَمْلِنا ... ولـكن توارَى شَقُّنا عنه بالفَرْدِ

فأصبحتُ أشكو بَيْنَها وفِراقَها ... بشَطِّ النوى شكوى الأسيرِ إلى القِدِّ (٢)

وإنّي قد استطعتُ دَرْكَ مطالبي ... وتبليغَ آمالي وما نَدَّ عن حَدِّي (٣)

بخدمةِ نَجْلِ دَوحةِ المجدِ غارسِ أ ... مَعالي سَنامِ الفخرِ بل غُرّةِ المجدِ (٤)

إمامِ المُصلّى والمُحصَّبِ والصَّفا ... وِراثةَ جَدٍّ عن نبيٍّ إلى جَدِّ

أبي أحمدَ زينِ الصَّناديدِ في الوَغَى ... بني حسنَ الأُسْدِ الـكواسرةِ الحُدِّ

بُزاةِ العلى الغُرِّ الميامنةِ الأُلى ... سما قدرُهم يومَ التفاخُرِ عن نِدِّ

غيوثٌ إذا أعفَوْا ليوثٌ إذا سطَوْا ... مناقبُهم جلَّتْ عن الحَدِّ والعَدِّ

فإن أفَلَتْ شمسٌ لزيدٍ وقد بدَتْ ... لنا من ضياها شمسُ أحمدَ أو سعدِ (٥)

هما نيّرا أوجِ المعـــالي وشرفا ... بروجِ قصورِ الرومِ في طالعِ السعدِ (٦)

ومذ رحلا عن مكةٍ غاب أنسُها ... فـكانا كنَصْلِ السيفِ غاب عن الغِمْدِ

❊ ❊ ❊

منها :

جَوادَيْنِ في شَوْطِ المَاجِدِ جَلَّيا ... وحازا رِهانَ السَّبْقِ في حَنَقِ الضِّدِّ (٧)

---

(١) في خلاصة الأثر : « من حبابِ حبابها » . (٢) القد : السوط ، أو السير يقد من جلد .

(٣) في خلاصة الأثر : « وإني قد استدركت » . (٤) في ا ، ب : « روحة المجد » ، وفي ج : « روحة نجد » . وفي خلاصة الأثر : « ذروة المجد » ; ولعل الصواب ما أثبته .

(٥) في خلاصة الأثر : « شمس أحمد والسعد » . (٦) « عمانيرا » كذا في الأصل .

(٧) في الأصول : « في شط الماجد حليا » ، والمثبت في خلاصة الأثر .

وفي ا ، ج : « في حنق الضد » ، والمثبت في : ب ، وخلاصة الأثر .

براحاتهم إن ينبُت الجود فى العطا ... فتلك بحورٌ تتّقى الجزْرَ بالمَدّ

وإن أحْيتِ السحبُ النباتَ بمائها ... فكم أحْيتِ الراحاتُ أنفسَ مُستجْدِى[1]

رياضٌ لمرتادٍ حصونٌ للائذٍ ... رُجومٌ لمستعْدٍ نجومٌ لمستهْدِى

شمائلُ تهزُو بالشَّمائلِ لُطْفُها ... وعِطْفُ شَمُولِ الرّاحِ هزّته تبْدِى[2]

منها :

بنو هاشمٍ إن كنتَ تعرف هاشماً ... وما هاشمٌ إلا الأسِنَّةُ للمجدِ[3]

بهم فخَرَتْ عدْنانُ والعُرْبُ كلُّها ... ودانتْ لهم قَحْطانُ أهلُ القنا المُلْدِ

فمِن مجدهم يُستَقْبَس المجدُ كلُّه ... ومن جُودِهم أهلُ المكارمِ تستجْدِى

هنيئاً لأبْنا المصطفى الشرفُ الذى ... تسامَى فلا يُحْصَى بعدٍّ ولا حَدّ[4]

بمدْحتكم جاء الكتابُ فما عسى ... تقول الورى من بعد حمٍ والحمدِ[5]

وعُذْراً بنى الزّهْراءِ إنّىَ ظامِئٌ ... إلى المدحِ والأيامُ تُنْئِى عن الوِرْدِ

يودُّ لسانى لو يترجمُ بعضَ ما ... لكم فى فؤاد الصَّبِّ من صادق الوعدِ

وقد نضبَتْ منه القريحةُ نضْبةً ... على حذَرٍ من حاذرٍ أحْذر الرّبْدِ[6]

كنَفْثةِ مَصدورٍ ولمحةِ عاشقٍ ... تُسارِقه عينُ الرقيب على بُعْدِ

فإن أعطَتِ الأيامُ بعضَ قيادِها ... رأيْتُ له من مَدْحِكم أعظمَ الوِرْدِ

---

(١) فى الأصول : « وإن أحسن السحب » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر .

(٢) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والخلاصة .

وفى الخلاصة : « شمائل تهزا » .

(٣) فى خلاصة الأثر : « إلا الأسنة للجد » . (٤) فى خلاصة الأثر : « هنيئا لنسل المصطفى » .

(٥) فى ب : « تقول الروى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٦) فى الأصول : « وقد نعبت » ، والمثبت فى الخلاصة ، وفيها : « منه القريحة نفثة » .

وفى الأصول أيضا : « أحذر الربد » ، والمثبت فى الخلاصة .

١٣٧

إبراهيم بن أبي اليُمْن البَتْرُونِيّ *

صَدر منشرح الصدر ، مُوفية محاسنهُ على الشمسِ والبدر .

من أُسْرَة تَسقوا الفضائل وَلَا ، وسحَبوا من المُعلوات مطارفَ ومُلَا .

أُفْتَرَّ لهم الزمانُ وابْتسم ، وارْتسم بهم نَقْشُ المآثِر واتَّسم .

كما تبسَّم ثغرُ زهرٍ عن شُعاع ، وترقرق جَعْد نهرٍ بظِلٍّ لَمَّاع .

وهذا الفاضل محلّه منهم محل العينِ الناظرة تُصان عما يُقْذِيها ، واليد الباطِشة تُحفظ عما يُؤْذيها .

أوْصافُه لا تُجاريه فيها أقدامُ الوطَر ، ونُعوتُه لا تزاحمه عليها مناكبُ الخطَر .

فهى مُسلَّمة إليه إذا نُوزِع من ادَّعاها ، مقرَّة لديه إذا دُوفِع من استدْعاها .

وله مآثرُ يفارق فَرْقَ الفرقدين[(١)] فعيدُها[(٢)] ، إذا وطِئتْ أقدامُه الأرضَ رَبَتْ واهتزَّ فيها صعيدُها .

إلا أن الأيام عاندتْه في منصب قومِه ، وعوَّضتْه همَّ أمْسِه مضافًا إلى يومه .

(*) إبراهيم بن أبي اليمن بن عبد الرحمن البترونى ، الحلبى ، الحنفى .

دمشقى ، أديب .

تصدر فى مدينة حلب بعد أبيه ، وسلك طريق القضاء ، وتولى مناصب عديدة .

ثم ترك كل هذا ، وتفرغ للعلم ، ونزل له أبوه عما كان بيده من مدارس وجهات ، وسكن بفناء الحنفية وجه إلى غيره .

كان حسن المحاضرة ، شاعرا مطبوعا .

توفى سنة ثلاث وخمسين وألف ، عن نحو أربع وسبعين سنة ، ودفن بجانب والده ، بالصالحية .

وتقدم ذكر نسبة البترونى ، فى هذا الجزء ، صفحة ٢٠٣ .

إعلام النبلاء ٦/ ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، خلاصة الأثر ١/ ١٠ ، ١١ .

(١) فى ب : « الفرقد » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) فى ج : « تعيدها » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وعارَضه صادقُ المقدور ، فراحَ من الدنيا بنفثة المصدور .

* * *

وقد رأيتُ له شعراً يدلُّ على قدره الجليل ، دلالة النسيم العليل ، على الروضِ البَليل .

فأثبتُّ منه ما ألفيْت ، وبالدلالة عليه اكتفيْت .

فمنه قوله من مكاتبة :

على فَرْطِ التشوّقِ والبعادِ وإخلاصِ محبّةٍ في العبادِ
فإنّي موقرٌ غُرَرَ التحايا ومُهْدِيها إلى الشهمِ الجوادِ
خليلي ذي الخِلال بلا اختلالٍ وخِدْني ذي الفضائلِ والودادِ
وصفوتيَ المصافي والموفّي حقوقَ مودّتي في كلّ نادِ

* * *

ومنه(1) :

وهل يصفو الزمان وقد تولّى إلى [illegible] من قبل عادِ
إذا ما فارقتْ منه سهام فلا تُخطي [illegible] فؤادي
ففي من صرفه ما لو ترى لأودى بالقرى والبوادي
ألا قل لي فديتك هل أرى لي معيناً في السعي إلى المرادِ
رحيبَ الصدرِ ذا صدقٍ ودينٍ لأجعله ذخيري واعتمادي

* * *

وقوله من قصيدة :

جاءتْ إليك وقد أرتْك قصورَها عذراءُ شيّدتْ بمدحه قصورَها

---

(1) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

حسناء صاغ لها المديحُ قلائداً ‏ ‏ حلَّت بها بين الحسانِ نُحُورَها[1]

باهتْ بفخرك كلَّ ممتدَحٍ وما ‏ ‏ تاهتْ وصانتْ عن سواك نظيرَها

واستمطَتِ الجوزاء قدْراً حيث إن ‏ ‏ كنتَ المآلَ لها وكنتَ سميرَها

يا أيها الصدرُ الذى اقتعد العُلَى ‏ ‏ بمكارمٍ أضحى الكمالُ سميرَها[2]

منها :

ورجعتَ منصوراً وغدتَ بنعمةٍ ‏ ‏ قد نلتَ من رب الورى موفورَها

وحَظِيتَ بالأجرِ الجزيلِ وهذه ‏ ‏ نِعَمٌ فكُن بالمكرُمات شكورَها

* * *

ويعجبنى قوله فى التخلُّص من قصيدة قالها فى الأمير محمد بن سيفا[3] :

ولقد شكوتُ له الهوى نيرِّقَّ لى ‏ ‏ فدَّى عن الُمضْنَى بقلبٍ جَلْمَدِ

وأبَى سوى رِقِّى فقلتُ له اتّئدْ ‏ ‏ إنِّى رفيقٌ للأمير محمدِ[4]

* * *

وله فى الفتح بن النحّاس[5] ، وكان يهواه[6] :

مُهلِكَ العشاقِ مَهْـــــلاً ‏ ‏ فيكَ لى منكَ انتقامُ

(١) فى ا : « خدراء صاغ » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٢) فى ب : « أضحى الكمال سهيرها » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) الأمير محمد بن على السيفى الطرابلسى .
أحد أمراء بنى سيفا حكام طرابلس الشام ، وولاتها المشهورين بالكرم والأدب ، ولى حكومة طرابلس بعد موت الأمير يوسف السيفى ، واختص به كثير من الشعراء .
توفى سنة اثنتين وثلاثين وألف ، بمدينة قونية ، مسموما .
خلاصة الأثر ٤/٤٧ – ٤٩ .
والبيتان فى : خلاصة الأثر ١/١١ ، إعلام النبلاء ٦/٢٧٥ نقلا عنه .
(٤) فى ا : « إنّى رفيق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء ، صفحات ٥٠٧ – ٥٣٢ ، برقم ١١٤ . (٦) البيتان فى : خلاصة الأثر ١/١٠ ، إعلام النبلاء ٦/٢٧٤ ، نقلا عنه .

بِشُعَيْراتٍ كَمِسْكٍ هي للحسنِ خِتامْ

* * *

وله فيه ، من أبيات [١] :

بيني وبينك مدةٌ فإذا انقضَتْ   كنتَ الجديرَ بأن تُعزَّى في الورَى

منها [٢] :

رِفقًا بقلبٍ أنت فيه ساكنٌ   إن الحياةَ إذا قضَى لا تُشترَى

فارْدُدْ على طَرْفِ المُسهَّدِ نعلَه   يلقَى خيالًا منك في سِنةِ الكَرَى [٣]

وسَلْ عيونًا لا تملّ من البكا   عن حالتي يُنبِيك دمعي ما جرَى

* * *

وله فيه ، وقد عشق مليحا اسمه موسى ، فتجنَّى عليه [٤] :

كلُّ فِرعونَ له موسى وذا   في الهوى موساكَ يُوليكَ النَّكَدْ

فكما أكمدتَ من يهواكَ بالصـ   ـدِّ مُتْ صدًّا وذُقْ طعمَ الكَمَدْ

* * *

(١) خلاصة الأثر ١ / ١٠ ، إعلام النبلاء ٦ / ٢٧٤ نقلا عنه .
(٢) الأبيات متصلة في الخلاصة .   (٣) في خلاصة الأثر : « المنام لعله » .
(٤) البيتان في : خلاصة الأثر ١ / ١٠ ، إعلام النبلاء ٦ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

١٣٨

أحمد بن محمد المعروف بابن المُنْلا *

شارح « مغني اللبيب »

عالِم الشهباء ومصنِّفها ، ومُقرِّظ العلماء ومُشنِّفها .

بتآليف وشَّح بيَراعةِ بَراعتِها صدورَ المَهارِق ، وأتى فيها من معجزات البلاغة بالخوارِق .

حاز بها[1] في تلك الحَلْبة غاية[2] الظهور ، وفاز بقصَب السَّبْق فيما بين ذلك الجمهور .

* * *

وله عُقود كلام لو تجسَّم لفظُها لما رُصِّعت إلا على التِّيجان ، وتنزَّهت عن أن تُرى أفرادُها مواضعَ اللؤلؤ والمَرْجان .

تشتمل من رُودِ القوافي ، وخُودِ الغزليات الصوافي .

على غُرَر كقِطع الرياض غِبَّ القَطْر ، وفِقَر أحسن من الغنى بعد الفقر .

فما يتبين في معاني بلاغته الخلالُ مَعاقد ، ولا تلين قناةُ براعتِه لغَمْز ناقد .

* * *

(*) أحمد بن محمد بن علي الحصكفي ، الحلبي ، الشافعي ، المعروف بابن المنلا .
ولد سنة سبع وثلاثين وتسعمائة .
كان واحد الدهر في كل فن من فنون الأدب ، جمع بين لطف التحرير ، وعذوبة البيان .
رحل مع والده إلى قسطنطينية ، سنة ثمان وخمسين وتسعمائة ، ثم رجع إلى حلب ، فاشتغل بالتدريس والتأليف ، وتعاطى صناعة النظم والنثر ، فأحسن فيهما إلى الغاية .
إعلام النبلاء ٦/١٣٨ـ١٥٢ ، خبايا الزوايا ، لوحة ٣٢ ب ، خلاصة الأثر ١/٢٧٧ ـ ٢٨٠ .
وانظر ريحانة الألبا ١/٩٧ ، ٩٨ .

(١) في ج : « فيها » ، والمثبت في : ا ، ب .   (٢) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

فمن كلامه الدائر بين الرواة ، المرتعيف دُرًا أصدافه الأفواه .

هذه القطعة من موشح أطلعها مُنيرة ، وبعث بها الأشجان نار الوجد مُثيرة .

وقد عارض به موشح ابن سهل [١] الذي يقول في مطلعه [٢] :

هل درى ظبيُ الحمى أن قد حمى ... قلبَ صبٍّ حلَّه عن مَكْنَسِ

* * *

وهو من الموشح الموزون ، الذي يتسلى به قلبُ المحزون [٣] :

رُبَّ ريمٍ رام قلبي فرمى ... فيه سهماً جاء عن غير قِسي

من رأى ظَبْيا أرانا أسْهُما ... من لحاظٍ كعيونِ النرجسِ

* * *

دور (٤)

يانديمي قُمْ صفا وقتُ الهنــــا ... فاملأ لي الكأسَ وعجّل بانطلاق [٥]

وأدِرْها خمـــرةً تولي المنى ... فزمانُ الأُنسِ بالبِشرِ حـــدا

والحيا قد ألبس الروضَ السَّنى ... وعلى الدَّوحِ من الزَّهرِ حلا

* * *

وحكتْ بالأنجُمِ الأرضَ السما ... إذْ غدتْ بالزُّهْرِ منها تكتسي

وحبا الأغصانَ طَرْزاً مُعْلَما ... حين ماماسَ بأبهى مَلبسِ

* * *

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإشبيلي .
كاتب ، شاعر ، كان يهوديا فأسلم .
غرق سنة تسع وأربعين وستمائة .
فوات الوفيات ١/ ٤١ ـ ٤٨ .

(٢) ديوانه ٤٧ (٣) الموشح في إعلام النبلاء ٦ : ٤٤ ، ٤٥ .

(٤) زيادة من : ح ، على ما في : ا ، ب ، هنا وفي المواضع التالية .

(٥) في إعلام النبلاء : « واملأ الكأس » .

دور

ماترى ياصاحِ أغصانَ الرُّبى مائلات القدِّ من خمر السحابْ (١)
رنَّحتْها سُحْرةً أيْدِي الصَّبا فصَبا القلبُ إليها باكْتئابْ
ومن الزَّهْر لهـــا أغلى قبـاَ ومن الدَّوْح لها عالِي القِبابْ (٢)

* * *

نقَّطتْها السُّحبُ دُرًّا مثلمـــــا كستِ الروضَ بثوْبٍ سُنْدُسِي
وشـــذا عَرْفُ نسيمٍ هَيْنَما وكذا يفعُل ذا كى النَّفَسِ (٣)

* * *

دور

مالِلاحٍ مُذْ لَحى طاب الهوى فى حبيبٍ وجهُه يحْـــكِى القمرْ
لَذَّ لِى فى حبِّه مُرُّ النوى وارْتكابُ الهوْلِ يوما إن خطرْ
ماعلى مَن نجْمُه فيـــه هوَى حين ما صَدَّ دَلالا ونفَـــرْ

* * *

أحورُ اللحْظِ معسولُ اللَّمَى فاحِمُ الشعرِ شهِيُّ اللَّعَسِ (٤)
ثغرُه أبدى لنا برقَ الحِمى وأثِيثُ الشعرِ ثوبَ الغَلَسِ

* * *

دور

يالَه بدراً حمَى عنِّى الكرَى قدُّه والطَّرْفُ عَضْبٌ وأسَلْ
فى دُجَى شعرٍ له بدرٌ سرَى وبشمسِ الوجه ليلٌ قد نزَلْ
خَنِثٌ فى جَفْنِه أُسْدُ الشَّرَى وعلى أعْطافِه لِينٌ ودَلّْ

* * *

---

(١) عجز هذا البيت وصدر الذى يليه ساقطان من إعلام النبلاء . (٢) فى إعلام النبلاء : « أعلى قبا . . . بها عالى القباب » . (٣) فى إعلام النبلاء : « عرف نسيما هيما » .
(٤) فى ا : « أحور اللحظ » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء .

سَاحِرُ المُقْلَةِ معشوقُ الدُّمَى ... قَمَرُ الأُفْقِ وظَبْيُ المَكْنَسِ

ذُو لِحَاظٍ كم أراقتْ من دِمَا ... وهي تُفْدَى بالجوارِي الكُنَّسِ (١)

* * *

ومن بدائعه قوله (٢) :

نَازَعَ الخَدَّ عِذارٌ دائرٌ ... فوق خالٍ مِسْكُه ثَمَّ عَبِقْ

قائلاً للخال هذا خادِمِي ... ودليلى أنه لَوْنِي سَرَقْ

فانْتَضَى الطرفُ له سيفَ القضا ... ثم نادَى ما الذى أبْدَى القَلَقْ (٣)

أيها النُّعمانُ فى مذهبِكم ... حجةُ الخارجِ بالمِلْكِ أحَقّ

* * *

وقوله (٤) :

وأسمرٍ من بنى الأتراكِ ذى غنجٍ ... يهزُّ قدًّا كغُصن البان فى هَيَفِ

كأنه حين يعْـــلو شورَ قامتِه ... ويَنْثَنِى شَرَفًا منــــه على الشَّرَفِ

غصنُ الصِّبا مزهِرا قد رنَّحتْه صَبا ... عليه بدرٌ بدا من دَارَةِ الشَّرَفِ

* * *

ومن تضامينه العجيبة ، قوله فى شخص عابه بانحسار شعر رأسه :

يَعِيبنى أن شعرَ الرأسِ مُنْحسِرٌ ... منه فتًى قد عرَى من حُلَّةِ الأدبِ

وليس ذلك إلا من ضِرامِ هوًى ... سرَى إلى الرأس منه ساطِعُ اللهبِ

---

(١) فى ا : « أراقت من دم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وإعلام النبلاء ، وفى ج ، وإعلام النبلاء : « بجوار الكنس » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) الأبيات فى : خلاصة الأثر ١/٢٧٨ ، إعلام النبلاء ٦/١٤٦ نقلا عنه . (٣) فى ب : « فانتضى السيف » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . وفى الخلاصة : « أبدى الفرق » . (٤) الأبيات فى : خلاصة الأثر ١/٢٧٨ ، إعلام النبلاء ٦/١٤٦ ، نقلا عنه .

أقْصِرْ فَدَيْتُكَ ذا داءٍ بمَعْرَه والعيبُ في الرأسِ دونَ العيبِ في الذَّنَبِ

***

وله في شريف يعرف بالمَشْهَدِيّ يدّعى الشعر[1]:

المَشْهَدِيُّ لِسانُه قد فَلَّ كلَّ مُهَنَّدِ

إن رام إنْشادَ القَرِيـ ـضِ فَقُل له يا سيدي

***

يُشير إلى قول القائل في[2] ابن الشَّجَرِيّ العَلَوِيّ[3]:

ياسيِّدي والذي يُعيذُك من نَظْمِ القَريضِ يَصْدَا به الفِكرُ

مافيك من جَدِّك النبيِّ سوى أنك لايَنْبغي لك الشعرُ

وفي كتاب « الكناية والتعريض »[4] للثعالبي: يقولون في فلان فضيلتان من فضائل النبيّ صلى الله عليه وسلم: إحداهما أنه أُمّيّ، والثانية أنه لايقول الشعر، وهاتان الخصْلتان من فضائل رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وليستا من غيره بفضيلة.

وإذا كان الرجلُ مُتشاعِرًا غيرَ شاعر، قالوا: فلان نَبِيٌّ في الشعر. يعني أنه لايَنْبغي له ذلك، وعلى هذا بنَى مَخْلَد المَوْصِلِيّ قوله:

يا نَبِيَّ الله في الشـ ـعرِ وعيسى بنَ مريَمْ

أنتَ من أشْعرِ خَلْـ ـقِ الله مالمْ تتكلَّمْ

***

وله[5]:

قالوا حبيبُك أمسى لاتكلِّمه ولا تميلُ لرُؤْيا وجهِه النَّضِرِ[6]

---

(١) خلاصة الأثر ١/٢٧٩، إعلام النبلاء ٦/٤٦ نقلا عنه.

(٢) في خلاصة الأثر بعد هذا زيادة « قول ». (٣) البيتان في: خلاصة الأثر ١/٢٧٩، إعلام النبلاء ٦/١٤٦، نقلا عنه. (٤) الكنايات ٤١ ولم أجد فيه إلا من أول قوله: « وإذا كان . . . ».

(٥) البيتان في: خلاصة الأثر ١/٢٧٩، إعلام النبلاء ٦/١٤٦، نقلا عنه. (٦) في ب: « آسى لاتكلمه »، والمثبت في: ا، ج، والخلاصة. وخلاصة الأثر ١/٢٧٩، إعلام النبلاء ٦/١٤٦، ١٤٧.

فقلتُ أمرٌ دعانى نحو جَفْوتِه والحبُّ للقلبِ لا للَّفظِ والنَّظَرِ

* * *

وله :

ادَّعَوا أن خَصْره فى انْتِحالٍ فإذا بانَ قَدُّه الممشوقْ

وأقاموا الدليلَ رِدْفًا ثقيـــلًا قلتُ مهــلًا دليلُكمْ مَطْروقْ

* * *

ومن منشآته قوله من رسالة[1] :

يقبِّل الأرضَ معترفًا برِقّ العبودية قُرْبًا وبُعْدًا ، ومقِرًّا بأن فِراق تلك الحضرة الزاكية لم يُبْقِ له على مُقاومة التَّصبُّر[2] جُهْدًا .

ارتــكب مجازَ التصبُّر ليفوزَ بحقيقة الاصْطبار ، واستعار لقلبه جناحَ الشوق فهو هو يود لو أنه نحوكم قد[3] طار .

عجَّل عليــه البَيْنُ بذَوْب حَشِيّه ، وسبك فى بودقة خــدوده[4] خالصَ إبْريز دمعةِ عَيْنه .

وقطَّر بتصْعيد أنفاسِه لُجَيْن دموعه ، ونفى بتأوُّهه وأنينِه طيْرَ هجوعه[5] .

بين أيادى من حَلَّاه اللهُ بأشْرف المناقب ، ورفعَ رتبتَه العليَّة على أعلى المراتب .

ونصَب له لواء المجد ، وخفَض له جناح السَّعد .

المجْزوم بأنه أوحــدُ العصر والأوان ، والمحــكومُ بقَصْر الفضل عليه من غــير احتياج إلى حجة وبرهان .

---

(١) الرسالة فى : خلاصة الأثر ١/ ٢٨٠ ، إعلام النبلاء ٦/ ١٤٨ ، ١٤٩ ، نقلا عنه .

(٢) فى خلاصة الأثر : « الصبر » . (٣) ساقط من : خلاصة الأثر .

(٤) فى خلاصة الأثر : « خديه » . (٥) هذا آخر ما نقل فى : خلاصة الأثر ، وإعلام النبلاء .

من فتح لأبناء دهره أبوابَ التحقيق ، وفاق أقرانه بحسن التَّنقيح والتدقيق .
وحلَّ من مُشْكِلات العلوم ماأعجز كل نِحْرير ، وأبرز غوامِض الدقائق على أطْراف الثِّمام بأحْسن تقرير .

فهو المستَند إليه فى باب العلم ، والمُشار إليه بأنه إمام الحِلْم .

* * *

وله من رسالة أخرى :

انفتح له[1] فى فصل تصريف الأيام أبوابُ المَزيد ، وتسلَّطت على أصوله أيْدِى العِلَل فعايَن العَذاب الشديد .

فحاله رقَّ له[2] أولو التمييز ، ومتى[3] ارتفعت زفراتُه بِعامل التجنِّى من يوسف الملاحة نادى أيها العَزيز .

تناوب فى إهْلاكه ماضى طَرْفه ومُضارِعُ قَدّه فقرأتُ «باب تنازُع»[4] العاملِين ، وتمادَى موصولُ جَفاه فأرسل سحابَ الناظرين .

وأوقع الفؤادَ فى عَرُوض الأسْقام ، وآذن بتقْطيع الأوصال بسُيوف الغرام .

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .
(٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٣) فى ا : « وقد » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٤) فى ب : « بباب » ، والمثبت فى : ا ، ج .

١٣٩

محمد بن حسن الكَواكِبيّ *

عنوانُ كتاب العلى ، يُكتَبُ آخِراً ويُقرأُ أوّلا .

له[1] يُفتَرَضُ الشكرُ ويُحتَمُ ، وبه يبدأ الذكرُ ويُختَتَمُ .

فلهذه ختمتْ به باب أولى الفتوَّة والبَسالة ، كما خُتِمت بمحمد صلى الله عليه وسلم باب النُّبُوَّة والرِّسالة .

فإنه من خُلَّص نُخبته ، القائم بتأييد مِلَّته .

ومن تقدَّمه بالنِّسْبة إليه ، كلهم في الفقْه عِيالٌ عليه .

فهم مُقدِّمات لشكْل الفضل الأوّل ، وهى النتيجة التى عليها فى القياسِ المُعوَّل .

فقد يتأخَّر الهاطل عن الرعد ، والنائلُ عن الوعد .

ومراتبُ[2] الأعداد ، ترقَى بتأخير رقْمِها وتزداد .

وتجيء فَذْلَكةُ الحسابِ أخيرةً   لتكون جامعةَ العديد الأوْفرِ

ولا غَرْو فالكبير تتقدَّمه المواكب ، والشمسُ بطلوعها تغيبُ الكواكب .

(*) محمد بن حسن بن أحمد الكواكبي ، الحلبي ، الحنفي .

مفتى حلب ورئيسها ، والمقدم فيها في الفنون النقلية والعقلية ، مع الجاه والمال والشهرة .

ولد سنة ثماني عشرة وألف ، ونشأ بحلب ، وأخذ بها عن علمائها كالشيخ جمال الدين البابولي .

ولى إفتاء حلب ، وتصدر بها ودرس .

وألف المؤلفات العديدة ؛ منها : « نظم الوقاية » في الفقه ، و « شرحه » أي النظم شرحا مفيدا ، و « حاشية على تفسير البيضاوي » .

توفي سنة ست وتسعين وألف .

إعلام النبلاء ٦/ ٣٨٠ ـ ٣٨٧ ، خلاصة الأثر ٣/ ٤٣٧ ـ ٤٣٩ .

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .   (٢) في ا : « مراتب » ، والمثبت في : ب ، ج .

فهو النَّيِّر الأَعْظم ، وعَصْماء عِقْد النفاسة المُنظَّم .

مَزاياه تستغرِق الألفاظَ من النَّثِير والنَّظِيم ، والذى قسم الحُظوظ بين الناس حَباه بالخلق العظيم .

وقد متَّعه الله بحواسّه وأعْضائه ، وأمتع بَني الدنيا بإيناسِه وإغْضائه .

فاقتعد الرتبةَ التى أرتْه إلى الفلك صاعِدا ، وصحِب الهمةَ التى صيَّرتْه يتناول الـكوا كبَ قاعداً .

وأنا إذا أردتُ وصفَه الذى بهَر ، وبَدا كالصبح إذا اشْتهر .

قلتُ فى شأنِه الباهِر ، ومحلِّه الزاهى الزَّاهِر [١] :

ليت الـكوا كبَ تدْنو لى فأنْظِمها　　عقودَ مدحٍ فلا أرضَى له كَلِمِى [٢]

* * *

وله من النظمِ الذى أبدعه فِكرُه ، وأكسب صحائفَ الأيام فخر الأبد [٣] ذِكْرُه مايسْمو إلى الأسْماع سُموَّ حَباب الماء ، ويعمل فى القلوبِ عمـلَ الأفعـال فى الأسماء [٤] .

فمنه قوله مضمِّنا بيتَى المُرسِى [٥] :

حتّى م فى لُجـــجِ الهمو　　مِ زِنادَ فِكرِك تقتدِحْ

قلبٌ تحــــرَّق بالأسى　　ودموعُ عينٍ تنْسفِـحْ [٦]

ارْفُق بنفسِك واعْتصِمْ　　بحِمَى المهيْمِنِ تنْشرِحْ [٧]

---

(١) البيت ضمن قصيدة لعمارة اليمنى ، فى وفيات الأعيان ٣/١٠٨ .　(٢) فى وفيات الأعيان : « فما أرضى لكم » .　(٣) فى ا : « الأدب » ، والمثبت فى : ب ، ج .　(٤) فى ب ، ج : « بالأسما » ، والمثبت فى : ا .　(٥) يعنى أبا العباس أحمد بن عمر المرسى ، المتصوف ، المعروف ، المتوفى بالاسكندرية ، سنة ست وثمانين وستمائة .

النجوم الزاهرة ٧/٣٧١ .

والقصيدة فى : خلاصة الأثر ٣٠ ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، إعلام النبلاء ٦/٣٨٢ ، نقلا عنه .

(٦) فى ا ، ب : « ودموع عينى » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر .

(٧) فى ب : « بحمى المهيمن تنشرح » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

وأضْرَعْ له إن ضاق عنـ ـك خِنَـاقُ حالِك تنفَسِحْ
ما أمَّ ساحـــةَ جُودِه ذُو مِحْنَـــةٍ إلا مُنِحْ
أو جاءه ذو المُعْضِـــلا تِ بِمُغْلَقٍ إلا فُتِحْ
فدعِ السِّوَى وانْهجْ على النَّـ ـهجِ القويمِ المُتَّضِحْ (١)
واسمعْ مقالةَ ناصحٍ إن كنتَ مِمَّن ينتصِحْ
ما ثَمَّ إلا ما يُرِيـ ـدُ فدَعْ مُرادَك واطَّرِحْ
واتْرُكْ وَساوسَك التى شغلتْ فؤادَك تسترِحْ

* * *

وله فى الغزل (٢) :

وَرْقاءُ من عهـــدِ الحبيبِ تُتَرْجِمُ لِيَهْنِك إنَّك بالغُوَيْرِ مُخَيِّمُ (٣)
لئِن تفـدُ بى إلفًا وما شطَّ حَيُّـــه فإنّى على شطِّ المَزارِ مُتَيَّمُ
وهَبْ سَجْعَك الموزونَ باللحنِ مُعرِبٌ فدمعِى أوْفَى صامتٍ يتـــكلَّمُ (٤)
لكِ مثَلٌ فى العَنْدَلِيبِ وسَجْعِه ولى بالفراشِ الشِّبْهُ والفَرْقُ يعلَمُ (٥)

* * *

وله (٦) :

يأيها البـــدرُ المُنيرُ إذا بدَا وإذا رَنا يأيُّهـــذا الرِّيمُ
ومعيرَ الغصنِ الرَّطيبِ تمايُلاً رق النسيمُ لهـــا فصار يَهِيمُ
كم ذا تَمُوِّه عن صَبابةِ عاشقٍ صَبٍّ على طولِ الصدودِ مقيمُ

---

(١) فى خلاصة الأثر : « النهج السوى » . (٢) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣/٤٣٨ ، إعلام النبلاء ٦/٣٨١ ، نقلا عنه . (٣) فى خلاصة الأثر : « عن عهد الحبيب » ، وفى أ : « بالعزيز مخيم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٥) فى الأصول « لكى » بإشباع الكسرة تحت الكاف وبعدها ياء ، للوزن . (٦) الأبيات فى : خلاصة الأثر ٣/٤٣٨ ، إعلام النبلاء ٦/٣٨١ ، نقلا عنه .

فارحمْ ضَنا جسدِي وحسنَ تصبُّرِي   وارعَ الجميلَ فما الجمـالُ يدومُ

***

وله في ألكن (1) :

فلا تعجبوا من لُكْنةٍ في لســانِهِ   فمن حُلوِ فيـه لا يفارقُه الشُّهدُ (2)

***

وهذا المعنى أصله بالتركيَّة ، وكنت عرَّبْته قبل أن رأيتُ تعريبَه .

وبيتي هو (3) :

ما لُكنةٌ فيه تَشِينُ وإنمـا   تأبَى حروفٌ فِراقَ شُهْدِ لسانِهِ

ثم رأيت في « ديوان الشهاب » ما زاد عليه ، وهو قوله :

باللهِ حـدِّث عن تلَجْلُجِ نُطْقِهِ   سُـكْرًا وأتْحِفْني بعذْبِ بيانِهِ

ألِضيقٍ فيه ليس يخرُجُ لفظُه   أم لا يُريدُ فِراقَ عَذْبِ لسانِهِ

وقد يُستعذَبُ هنا قول ابن تميم (4) :

عابُوا التَّلَجْلُجَ في لسانِ معذِّبي   فأجبتُهم للصَّبِّ فيــه بيانُ

إنّ الذي يُنْشِي الحديثَ لسانُه   ولسانُه من ريقِـه سكْرانُ

*

وهـذا الأصل الطيِّب المَغْرِس ، فرعٌ لم يزلْ ولا يزال تتعرف فيـه المعاني وتتفرَّس .

---

(1) في ج : « لَـكن » ، والمثبت في : ا ، ب .
والبيت في : خلاصة الأثر 3 / 38 ؛ إعلام النبلاء 6 / 381 .

(2) في ا : « ولا تعجبوا » ، والمثبت في : ب ، ج .
وفي خلاصة الأثر : « لا يفارقه الحرف » .

(3) خلاصة الأثر 3 / 38 ؛ إعلام النبلاء 6 / 382 ، نقلا عنه .

(4) في ا : « تمام » ، والمثبت في : ب ، ج .
وتقدم التعريف بمجير الدين بن تميم ، في الجزء الأول ، صفحة 44 .

وهو أحمد [١] القائم مَقامَ أبيه فى رُتْبته ، والمُفرِّع لأفانِين البلاغة من سامِى هَضْبته .

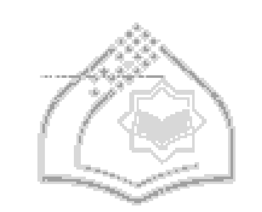
زاده الله تعالى فضلاً ونُبْلا ، وضاعف له الثناء بَعْداً كما ضاعفه [٢] قَبْلا .

وذلك إن كان بَقِيَ مزيدٌ بعد التَّمام ، على أنه لم يَبْقَ إلا الاستدامة كما قال أبو تمّام [٣] :

نعمةُ اللهِ فيـــــه لا أسألُ اللَّـ ... ـهَ إليها نُعْمَى سوى أن تدوما [٤]

ولو أنّى سألتُ كنتُ كمن ... يسألُه وهْو قائمٌ أن يقوما [٥]

* * *



آخر الجزء الثانى ، ويليه الجزء الثالث ، وأوله :

الباب الثالث

فى نوابغ بلغاء الروم

---

(١) تأتى ترجمته فى ذيل النفحة ، إن شاء الله تعالى . (٢) فى ا : «ضاعف» ، والمثبت فى : ب ، ج.

(٣) ديوانه ٢٩٣ ، ٢٩٤ . (٤) فى الديوان : « نعمة الله فيك » .

(٥) فى الديوان : « ولو انى فعلت » .

فهرس

تراجم الجزء الثانى
